

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



مركز تحقيق وتطوير علوم عربي



المحرّم من سنة ١٣٩٨ هـ

كانون الثاني ويناير، من سنة ١٩٧٨ م



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

بتايا الفصح

الأستاذ شفيق جبري

من الألفاظ المستفيدة في لغة العامة ما يدلّ على حالة من حالات العصر الذي استفاضت فيه ، من هذا القبيل : لفظة التشليح ، فقد جاء في معجم الفيروزابادي : التشليح التعرية ، وهي سوادية ، أي من لغة أهل السواد . وجاء في مقام آخر : يوم غواس كسحاب فيه هزيمة وتشليح . إن هذه اللفظة تدلّ على حالة من حالات العصر الذي شاعت فيه فكثيراً ما استعمت في بلاد الشام ، فقد يحدث أن تاجراً من التجّار كان في طريقه في بادية من بوادي الشام فيخرج عليه جماعة من أهل البدو فيشلتّحونه أي ينهبون كل مامعه من مالٍ وغيره ، أو أن رجلاً كان يسير في طريق من الطرق الخالية في الحضر فيتعرّض له من يشلتّحه . وليس من الضروري أن يكون المشلتّحون رجالاً فقد توسّعوا في معنى هذه المادّة ؛ فإذا استولت امرأة على قلب رجلٍ غني واستصفت كل ما يملك فيقولون شلتّحته ، إلا أن هذه المادّة قد قلّت استعمالها في أيماننا أي قد خفت التشليح في البوادي أو في بعض الطرق الخالية ، وإن قام مقامه شيء آخر مثل القتل والإرهاب ونحوهما ، فالهم من كل هذا أن لفظة التشليح مازالت مستعملة وإن قلّ استعمالها وهي فصيحة أي جاء ذكرها في بعض المعجمات ، وإن كانت سوادية ، وما أظن أن لفظة ثانية تعدلها في القوة ، وإن كان في اللغة ألفاظ كثيرة تدل على معناها

مثل السلب والنهب وما شابه ذلك ولكن لمادة التشليح قُوَّة خاصة لرسوخها في لغة العامَّة ولجريانها على الألسن أكثر من غيرها . وقد تستعملها العامَّة في معناها الحقيقي فهي تستعملها في معنى التمرية أيضاً ، فأَيَّ حرج في استعمال المواد التي تستعملها العامَّة إن كانت فصيحة أو مدوَّنة في معجمات اللغة فإن في مثل هذا الاستعمال ما يقرب بين لغة الخاصَّة ولغة العامَّة أي ما يعين على استعمال اللغة الفصيحة في أحاديث الناس .

ولنتقل الآن إلى لفظة ثَانيَّة ، إلى المآكل والموائد والولائم ، فقد يحدث في وليمةٍ من الولائم أو على مائدةٍ من الموائد أن رجلاً أكل كثيراً وأفراط في الأكل حتى تعبت معدته من كثرة الأكل أو مرضت فتقول العامة في مثل هذه الحالة إن فلاناً أكل وتبوع في الأكل ، وهم يريدون بذلك أنه أكل كثيراً حتى أتخمه الطعام . ماذا نجد في اللغة ، نجد أن التَّبَوُّع مدَّة الباع بالشيء كالتبوع وأن النعجة تسمى : أبواع معرفة لتبوعها في المشي ، وما يُدرك تبوعه أي شأوه . لانجد توافقاً كثيراً بين لغة العامَّة واللغة الفصيحة في هذه المادَّة : التبوع ، ولكن العامَّة لها مذهبها في المجاز فإذا كان من معاني التبوع مدَّة الباع بالمشي فما الذي يمنع العامَّة عن أن تنقل هذه المادَّة من الحقيقة إلى المجاز فتعني بالتبوع مدَّة الباع إلى الأكل والإكثار منه ، وكيف كان الأمر فإن مادَّة التبوع الدارجة في لغة العامَّة إنما هي فصيحة .

وإذا فرغنا من الولائم والموائد فلنستمع إلى مخاطبة الناس ، فكثيراً ما يصاب المرء في كلامه بشيء من الحَصَر أو العي في الكلام فيقال في مثل هذه الحالة : تعتع في الكلام أي تردَّد من حَصَرٍ أو عيٍ والتتعع الفأفاء . إن العامة تستعمل هذه المادَّة الفصيحة في كلامها وتريد بها مادَّةً عليه

اللغة الفصيحة ، غير أنها تتبسّط في بعض الحالات في معانيها فليس من الضروري أن يتمتع الرجل في كلامه أي أن يتردّد من حصر أو عـي فقد يتمتع الخطيب في خطبته إذا كان لا يستوعب موضوعه أو قد يتمتع الرجل في حديثه إذا كان غير ملمّ بجوانبه .

فلنشهد الآن مجالاً من مجالات العامّة يتسع فيه مذهبها في المجاز .
إنّا نجد في اللغة : أبزّ الظبي وثب أو تطلّق في عدوه ، لاشك في أن العامّة إذا استعملت هذه المادّة في لغتها فقالت : أبز فلان فإنها لا تكتفي بالدلالة على وثبه وتطلّقه في العدو ولكنها تريد بها وضعاً من الأوضاع ، فقد يحدث في مجلس من المجالس أن أحد رجال هذا المجلس يشرح أمراً من الأمور أو يفصل قضية من القضايا وهو متمكن من موضوعه يتكلم بشيء من الرصانة وفي كلامه ما يدلّ على الفهم فيتعرّض له في مثل هذه الحال رجل آخر ليس من وزنه إمّا حبّاً للظهور أو ميلاً إلى التعكير ، فيتكلّم وكلامه بعيد عن الصواب فيخلط في كلامه فيقولون في مثل هذا الوضع : وبينما فلان يتكلّم أبز فلان ، فهم لا يريدون مجرد الوثب وإنما يريدون مع هذا الوثب شيئاً آخر ، إنهم يريدون الدلالة على سخفه ، فكأنه قال مالا يجوز أن يقال أو كأنه قال مالا معنى له أو مالا حاجة إليه ، فمادّة : أبز التي تستعملها العامة في هذا الموضع لها دلالة قوية ، إنها تصوّر وضعاً من الأوضاع الغريبة أو السخيفة .

ومن الألفاظ التي مالت العامّة في استعمالها إلى المجاز لفظة : عاطل يقال في اللغة : عطلت المرأة كفرح وتعطّلت إذا لم يكن عليها حمل فيهي عاطل ، ولا نريد التوسع في معاني هذه المادّة وإنما نكتفي بأن نقول : تعطّل الرجل ، بقي بلا عمل ، ولكن الذي يهمّنا إنّما هو المعنى الأول :

المرأة العاطل . أظن أن العامة لاتعرف أن المرأة العاطل هي التي ليس عليها حكمي ولكنها استعملت هذه المادة في أقبح المعاني فقد نقلتها إلى المجاز وأعطتها قوة قبيحة ، فقد نسمعها في أحاديثها تقول : فلان عاطل ، فهي لاتريد بذلك أنه لا عمل له أو أن المرأة لاحتلي عليها ، وإنما تجرد الرجل بقولها هذا من كل فضيلة وخلق . على أن هذه المادة قد وردت في شعر الشريف الرضي « أنا عاطل منها وأنت مطوّق » أي عاطل من الخلافة ، ولكن شئت أن ماتريده العامة وما يريده الشريف الرضي باستعمال لفظه : عاطل .

وأخيراً أريد أن أختم هذا المقال الوجيز بتعبير لا يزال حياً في أيامنا وله دلالة قوية وقد استعمل في أدبنا القديم فكثيراً ما يأتي ذكر رجل عظيم من رجال السياسة أو الشجاعة أو من أصحاب المقامات فيريدون أن يدلّوا على مبلغ قوة هذا الرجل وعظمته فيقولون : فلان مامعه لعبة ، أو ماهو قريب من هذا القول أي لاتجري عليه حيلة أو كذبة أو غش أو ما شابه ذلك فهو سليم من جميع الوجوه لاسبيل لى خداعه أو نحو ذلك وقد ورد مثل هذا التعبير في أدبنا القديم وإن كان التركيب يختلف فقد جاء في موطن من مواطن الأغاني : ليس مع السيف لعب ، أي إذا جاء ذكر السيف أو عمل السيف بطل كل شيء ، وكذلك إذا جاء ذكر فلان بطل كل خداع وحيلة .

شفيق جبري

نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات

للدكتور أ. ل. كيرفيل

نقله إلى العربية الأساقذة مرشد خاطر
وأحمد حمدي الحياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

- ٣٦ -

الدكتور حسني سبيع

وأرجح إرتكاس دهلبيزي حراري ، علامة باراني ، الرأرأه (١)
الحرارية ، الاختبار الحراري .

١١٤٤٣ تَنَشِيط مَصْلٍ I1443 réactivation d'un serum

وأفضل تَنَشِيط المصل

١١٤٤٦ تَنَشِيط 11446 Réactivité

وأرجح نشاط ، وإستطاعة الارتكاس أو قدرة الارتكاس
أو إمكانية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

١١٤٤٧ مَوْجِبَات التَّفَاعُل ، مُفَاعِلَات 11447 Réactogènes, réagines

وأرجح مَوْلِدَات الارتكاس ، رَاكِسَات

١١٤٤٨ مُطَابَقَة ، تَوَافُق 11448 Réadaptetion

وأرجح عَوْدَة التَّوَافُق أو الملائمة أو إعادتها . وسبق للجنة
أن ترجمت (accomodation) بمطابقة (اللفظة ٩٢)

(١) سبق للجنة أن ترجمت (nystagmus) برأرأه (اللفظة ٩٢٧٦) .

(٢) (capability of reaction)

- 11549 Réagir ١١٤٤٩ فاضَلَ ، قاوَمَ ، تفاعلَ
- 11450 Réalisation ١١٤٥٠ إنجاز ، إتمام
(وأفضل تفاعل وقاوم في اللفظة الأولى)
إنجاز ، تحقيق في اللفظة الثانية
- 11451 Réamputation ١١٤٥١ بَتَرُ ثَانٍ
إعادته البتر
- 11452 Réanimation , reviviscence , revivication, rappel
à la vie ١١٤٥٢ إنعاش ، إحياء إعادة الحياة ، دَعْوَة للحياة
وأرجع رَد الحياة في اللفظة الأخيرة
- 11454 Rebord osseux ١١٤٥٤ حَتَافَةٌ عَظْمِيَّة
وحيدار العظم ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)
- 11456 Recalcification ١١٤٥٦ تَكَكَّلس ، تَكَكَّلَسَ
وأرجع تكليس مخصصاً تكلس ترجمة لـ (calcification)
شأن مافعلته اللجنة (اللفظة ١٩٧٥)
- 11457 Récepteur , trice ١١٤٥٧ قابِل مُتَقَبِّلٌ
- 11458 récepteur ١١٤٥٨ آخَذَ
وأرجع مُتَقَبِّلٌ في اللفظة الأولى والمُتَقَبِّلٌ في الثانية ،
وقد ترجمت اللجنة (receveur) بأخذ أيضاً (اللفظة ١١٤٦٥)
- 11459 Récepteurs sensibles (organes des sens) ١١٤٥٩ مُتَقَبِّلَات حَسَّاسَة (أعضاء الحس)
وأرجع مُتَقَبِّلَات الحواس (أعضاء الحس)
- 11460 récepteurs téléceptifs ou à distance ١١٤٦٠ مُتَقَبِّلَات سَيَّكِيَّة أو عن بُعْد

(١) (bony wall , osseous wall)

وأرجع المُتَقَبِّلَات عن بُعْد

١١٤٦١ Réceptif , ive , susceptible آخذ ، قابل

١١٤٦٢ réceptivité , susceptibilité قابليَّة الأخذ

١١٤٦٣ قابليَّة الأخذ النسيجية

١١٤٦٤ réceptivité tissulaire وأفضل قابل الأخذ أو قبول الأخذ وقابل التأثير في اللفظة

الأولى ، وقبول الأخذ وقابليَّة الأخذ وقبول التأثير وقابلية

التأثر أو المتأثرة في اللفظة الثانية ، وقابلية الأخذ أو التأثير

النسيجية في اللفظة الثالثة .

١١٤٦٤ Récessif , ive مُخْتَفٍ

ودرجت على ترجمته اللفظة بالمُتَقَهِّقِرَة (الصفة المتقهقرة

في علم الوراثة) وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة :

المُتَنَحِّيَّة ، وجاء في الشرح : عكس السائدة (dominant)

١١٤٦٥ Receveur (Chim.) آخذ (كيمياء)

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة مُسْتَقْبِلَة - مُتَقَبِّلَة ،

وجاء في الشرح : وعاء يُجْمَعُ فيه السائل المُقَطَّر

١١٤٦٦ receveur du sang آخذ الدَّم

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة مُتَلَقِّي الدَّم

١٤٦٧ آخِذٌ عامٌ (من الدم)

وأرجع مُتَلَقٍ عام أو شامل

١١٤٦٨ Réchaud à fumigation

١١٤٦٨ مِدْفَأٌ أو مَوْفِدٌ للتَبْخِيرِ ، مَبْخَرَة

وأفضل مُدْخِنَة ، وكما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم

الأصلي (١)

- 11471 Rechloruration ١١٤٧١ تمليح (زيادة المِلح)
وأفضل إضافة المِلح
- 11475 récipient d ' une cornue ١١٤٧٥ مَأْخَذٌ مُعْوَجَّةٌ
وأرجح رِوعاء أو إناء مُسْتَقْبِلٌ لِمَقْطِيرة (آلة التقطير)
- 11476 Reclassement , regroupement ١١٤٧٦ تَصْنِيفٌ ثَانٍ ، لَمْ ثَانٍ
وأرجح إعادة التَصْنِيف ، إعادة التَّجْمِيع
- 11479 Reconstituant , ante ١١٤٧٩ مُشَدِّدٌ ، مُقَوِّ
11480 Reconstituants ١١٠٤٧ مُقَوِّيات ، مُرْمِّمات
- 11481 Reconstituè , éc ١١٤٨١ مُقَوِّى
وأفضل مُنْشِطٌ ومُنْعِشٌ ومُرْمِّمٌ في اللفظة الأولى، وكما
جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١) والمُرْمِّمات
في الثانية، ومُرْمِّمٌ في الثالثة ، ومعاد تكوينه ، مُقَوِّو
ترجمة لـ tonique (اللفظة ١٣٤٧٣)
- 11485 Recrystalliser ١١٤٨٥ بَتْلُوْرٌ ثَانِيَّةٌ ، أعادَ التَّبَلُّر
وأرجح اسْتِعَادَ التَّبَلُّوْر أو أعاده
- 11489 rectification ١١٤٨٩ تَقْوِيمٌ ، إِصْلَاحٌ ، تَخْلِيسٌ و (كيمياء)
وأفر مجمع اللغة العربية في القاهرة : تَكْرِيرٌ - تَصْفِيَّةٌ ،
وجاء في الشرح : إعادة تَقْطِيرِ سَائِلٍ بقصد التَّنْقِيَةِ
وقد سبقت الملاحظة على هذه اللفظة (٢)

(١) (refreshing , strengthening , fortifying)

(٢) الصفحة ٤٧٨ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة

11490 Rectifier , raffiner , purifier

١١٤٩٠ قَتَوَّمَ ، رَفَّنَ ، خَلَّصَ ، نَقَّى

وأرجح كَرَّرَ ، صَفَّى ؛ نَقَّى وسبقت الملاحظة على هذه
اللفظة أيضاً (١)

11492 Rectite , proctite

١١٤٩٢ إَلْتِهَابُ الْمُسْتَقِيمِ ، إَلْتِهَابُ الدُّبُرِ

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ، إَلْتِهَابُ الْمُسْتَقِيمِ فقط

11497 Rectosigmoidite

١١٤٩٧ إَلْتِهَابُ الْمَسْتَقِيمِ وَالسَّيْنِ

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة إَلْتِهَابُ الْمُسْتَقِيمِ
والسجمي مُعَرَّباً لفظة (sigmoid) ، وأرجح لَفْظَةُ السَّيْنِ

11502 Redistribution

١١٥٠٢ تَوَزِيعٌ ثَانٍ

وأرجح إعادة التَّوَزِيعِ

11505 Redressement , relèvement

١١٥٠٣ تَقْوِيمٌ ، إِنْهَاضٌ

وأرجح تَقْوِيمٌ أو إِقَامَةٌ ، تَعْدِيلٌ وَإِنْهَاضٌ

11506 Réductible

١١٥٠٦ رَجُوعٌ

رَجُوعٌ وَرَدُودٌ (قابل الرد)

11508 Réduction , déoxygenation (chim.)

١١٥٠٨ إِرْجَاعٌ ، خَسْفَةٌ (كيمياء)

وأرجح إِرْجَاعٌ ، طَرْحُ الأَكْسِيجِينِ

11512 réduction sanglante d' une hernie, kélotomie ,
herniotomie

(١) الصفحة ٤٧٨ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

- ١١٥١٢ رَدُّ فَتَقٍ جِرَاحِي ، رَثَقُ فَتَقٍ
وأرجع الرَدُّ الجِرَاحِي للَفَتَقٍ أو رَدُّ الْفَتَقِ جِرَاحِيًا ،
رَثَقُ فَتَقٍ
- ١١٥١٣ مُرْجَع (كيمياء) 11513 Réduit , uite (chim.)
ومُنْتَقَص
- ١١٥١٤ تَضَاعُف 11514 Réduplication
وأفضل إعادة التَضْعِيف أو التَضَاعَف
- ١١٥١٥ فَسَافِس (نَوْعٌ من الحشرات كالبق) 11515 Réduves
والصحيح ضَمَج واحدتها ضَمَجَةٌ (١)
- ١١٥١٧ تَدْرِيبُ الشَّامِيَيْنِ الْحَرَكَي 11517 Rééducation motrice des tabétiques
وأرجح التدريب الحركي للتأبيين أو المصابين بالتابس (٢)
أو تأهيلهم الحركي وتمارين فرنكل في معالجة التابس ،

(١) وردت ترجمتها في الانكليزية في المعجم الأصلي (assassin bugs) ،
وجاء في معجم ستدمان الطبي في شرح اللفظة المذكورة : إنها حشرة من صنف
نصفية الجناح تكثر في البلاد الحارة يحدث لسعها تخريشاً مؤلماً في الإنسان
والحيوان . وجاء في شرح (réduve) في معجم لاروس الموسوعي : إن هذه
الحشرة تطير ليلاً، تسطو على الحشرات الأخرى لتمتص دماءها، ولسعها مؤلم وسام .
وفي تاج العروس الضمجة دويبة منتنة الرائحة تلسع والجمع ضمج
ووردت هذه اللفظة في معجم المنار الانكليزي العربي في لفظة (bug) .
(٢) الصفحة ٩٨ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

كما جاء في الترجمة الانكليزية على المعجم الأصلي^(١)

11518 rééducation professionnelle ١١٥١٨ تدريب مهني

وأفضل التأهيل المهني

11519 Réel , réelle ١١٥١٩ حقيقي ، حقيقة*

وواقعي وواقعية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من
المعجم الأصلي^(٢)

11520 Réfléchi , ie ١١٥٢٠ مُنتعكس

ومُفكر وحذر ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من
المعجم الأصلي^(٣)

11523 Réflexivité ١١٥٢٣ إشعكاسية

وأرجع إمكانية الإثارة الإنعكاسية ، كما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الأصلي^(٤)

11524 Réfectogène ١١٥٢٤ مُؤَلِّد الإنعكاس

وأرجع مُؤَلِّد المُنتعكس ومُوجِب المُنتعكس ، كما
جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي^(٥)

11528 réglexe achiléen ١١٥٢٨ مُنتعكس دايري

وأرجع المُنتعكس العُرْقُوبي

(١) (Frenkel 's exercise in the treatment of tabes)

(٢) (actual, real)

(٣) (thoughtful, considerete)

(٤) (reflex excitability)

(٥) (reflex producing, involving)

11529 réflexe d' automatisme médullaire

١١٥٢٩ مُنْعَكَسُ النَامِيَةِ النُّخَاعِيَّةِ مُنْعَكَسُ الدِّفَاعِ
وأرجح مُنْعَكَسُ الحَرَكَةِ الذَّائِبَةِ النُّخَاعِيَّةِ ، مُنْعَكَسُ
الدِّفَاعِ

11536 réflexe crémastérien مُنْعَكَسُ مُعَلِّقِ الْخِصْيَةِ

والصَّحِيحُ مُنْعَكَسُ مُعَلِّقَةِ الْخِصْيَةِ ، لِأَنِ الْمَقْصُودُ الْعِضْلَةُ
الْمُعَلِّقَةُ الْمَسَاءِ

11539 réflexe cutané plantaire مُنْعَكَسُ جِلْدِي أَخْمَصِي

وَالْمُنْعَكَسُ الْأَخْمَصِي ، كَمَا جَاءَ فِي التَّرْجُمَةِ الْإِنْكَلِيزِيَّةِ مِنْ
الْمَعْجَمِ الْأَصْلِيِّ (١)

11540 réflexe d' embrassement, d' étreinte

١١٥٤٠ مُنْعَكَسُ الْعِنَاقِ أَوْ الضَّمِّ
مُنْعَكَسُ ارْتِبَاطِي

وأرجح مُنْعَكَسُ الْعِنَاقِ أَوْ الضَّمِّ ، وَمُنْعَكَسُ مورو
(Moro) ، كَمَا جَاءَ فِي التَّرْجُمَةِ الْإِنْكَلِيزِيَّةِ مِنْ الْمَعْجَمِ الْأَصْلِيِّ (٢)

11451 réflexe oculo - palpébral ou conjonctivo - palpébral

١١٥٥١ مُنْعَكَسُ عَيْنِي جَفَنِي أَوْ مُنْتَحِي جَفَنِي
وَالْمُنْعَكَسُ الْبَصَرِي الْوَجْهِي ، وَمُنْعَكَسُ رَفْعِ
الْعَيْنِ ، وَالْمُنْعَكَسُ الْجَفَنِي ، وَمُنْعَكَسُ انْفِلَاقِ جَفْنِ

(١) (plantar, sole reflex)

(٢) (embracer . Moro's reflex)

العَيْن ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي؛^(١)

11558 réflexe de posture, d' attitude

١١٥٥٨ مَنَعَكَسُ الاتيزان أو الوَضْع

وأفضل مَنَعَكَسُ الوَضْعَةِ والوَاقِفَةِ ، ثم مَنَعَكَسُ

التَوَتُّر ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي^(٢)

11562 réflexe psychomoteur, idéomoteur

١١٥٦٢ مَنَعَكَسُ رُوحِي أو نَفْسِي ، حَرَكَِي فِكْرِي فِكْرِي

حَرَكَِي وَأَفْضَلُ مَنَعَكَسُ نَفْسِي حَرَكَِي ، تَفَكَّرِي حَرَكَِي

11568 réflexe solaire

١١٥٦٨ مَنَعَكَسُ شَمْسِي (متعلق بالصفيرة الشمسية)

وأفضل مَنَعَكَسُ الصُّفِيرَةِ الشَّمْسِيَةِ ، كما جاء في الترجمة

الانكليزية من المعجم الأصلي^(٣)

11569 réflexe tasso - phalangien de Bechterew - Mendel

١١٥٦٩ مَنَعَكَسُ بَخْتَرَوُ - مَنَدَلُ الرُّسْفِي السَّلَامِي

المَشْهُور لَفْظَةً بِكَتَرَف في الفرنسية وبختريف في

الروسية لأنه عالم روسي ومندل لا مندل

11571 réflexe total

١١٥٧١ مَنَعَكَسُ عَامٌ ، شَامِلٌ

ومَنَعَكَسُ كُنْطَلِي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من

(١) (opticofacial, winking reflex, lid reflex, eyelid)

(closure reflex

(٢) (postural, attitudinal, tonic reflex)

(٣) (solar plexus reflex)

المعجم الأصلي (١)

- 11573 réflex vélopalatin ١١٥٧٣ منعكس حَقَتَانِي
وأفضل مُنْعَكَس شِرَاع الحَنَك
- 11576 Reflux ١١٥٧٦ جَزْرُ (الدَّم) رُجُوع ، إِرْتِيَاد
وأرجع جَزْر ، نَرَاجِع ، قَلَسْ ، كما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)
- 11580 Réfractaire, résistant, ante ١١٥٨٠ مُقَاوِم ، مَسْتِين ، صَامِد
وأرجع عَاصٍ ، غَيْر مُتَأَثِّر ، مُقَاوِم
- 11582 Réfracter ١١٥٨٢ كَسَّرَ ، غَيَّرَ الْإِتْجَاه
إِنْكَسَار ، إِنْعَطَاف ، إِنْحِرَاف
- 11584 réfraction double, biréfringence ١١٥٨٤ إِنْكَسَارٌ مُضَاعَفٌ ، إِنْكَسَارٌ مُزْدَوِج
- 11585 réfraction simple ١١٥٨٥ إِنْكَسَارٌ بَسِيط
- 11586 Réfrangibilité ١١٥٨٦ كَسُورِيَّةٌ (قَتَابِلِيَّةُ الْإِنْكَسَار)
- 11587 Réfrangible ١١٥٨٧ كَسُورٌ (قَابِلُ الْإِنْكَسَار)
وأرى أن يضاف إلى كل لفظ يتعلق بالكسور والانكسار
(في الشعاع) لأنه سبق للجنة أن ترجمت (fracture)
بكسَّر وهو ما يعرض للعظم (اللفظة ٥٩٩٣) وما يليها

(١) (mass reflex)

(٢) (reflux, backward flow, regurgitation)

فيقال في اللفظة الأولى كَسْر (الشعاع أو الأشعة)

11600 régime acidifiant (des urines)

١١٦٠٠ حِمِيَّة مُحَمِّضَةٌ (البول)

11601 régime alcalinisant des urines)

١١٦٠١ حِمِيَّة مُقَلِّوِنَةٌ (البول)

وأرجح تدبير الغذاء المُحَمِّض (البول) في اللفظة الأولى والمُقَلِّوِن في اللفظة الثانية (١)

11603 régime carné, alimentation carnée

١١٦٠٣ حِمِيَّة لَحْمِيَّة ، تَغْذِيَّة لَحْمِيَّة . وأفضل التَغْذِيَّة بِاللَّحْمِ (٢)

11604 régime cétogène

١١٦٠٤ حِمِيَّة مُخَلَّوِنَةٌ (مُورَثَةٌ الْخَلَثُون)

وأفضل تَغْذِيَّة مُخَلَّوِنَةٌ أو مُكَوِّنَةٌ الْكَيْبَتُون

11604 régime de crudité, cure de crudités ,fruitarisme

١١٦٠٤ حِمِيَّة بِالْأَغْذِيَّة الْغَضَّة ، معالجة بالأحرار ، تَفْتَكْث

وأرجح تَغْذِيَّة (٣) بِالنَّبِيَّات ، معالجة بالنبيئات تَغْذِيَّة بأحرار البقول ، تَغْذِيَّة بِالْفَوَاكِه (٤)

11513 régime léger

١١٦١٣ حِمِيَّة خَفِيفَةٌ

(١) الصفحة ٤٨٠ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٤٦٦ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) الصفحة ٥٩٦ من المجلد التاسع والثلاثين من هذه المجلة .

(٤) في معجم الألفاظ الزراعية للمرحوم الأمير مصطفى الشهابي :

أحرار البقول ، البقول التي تؤكل ورقها كالخس والهندباء والاسفاناخ .

م (٧)

وأرجح تدبير بالأغذية الخفيفة واللينة ، كما جاء في الترجمة

الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

11615 régime (de ménagement) spécial pour malades

١١٦١٥ حِمِيَّة (رِعايَة أو إدارة) خاصَّة بالمرضى

وأرجح تدبير الغذاء الإحتيازي ، الخاص بالمرضى أو

التدبير القصدي أو القاصد ، كما جاء في الترجمة الانكليزية

من المعجم الأصلي (٢)

11618 régime de protection حِمِيَّة صِيانَة أو حَيَايَة

وأرجح تدبير الغذاء الصائين أو الواقي

11636 registre de la voix سِجِلُ الصَّوْتِ

وسِجِلُ طَبَقَاتِ الصَّوْتِ ، كما جاء في الترجمة الانكليزية

من المعجم الأصلي (٣)

11637 Régale, mise au point ,ajustage

١١٦٣٧ تَنْظِيمُ إِسْتِثْدَافٍ ، إِحْكَامٌ ، وَأَفْضَلُ تَنْظِيمٍ ، ضَبْطٌ ، إِحْكَامٌ

11639 Réglementation تَنْظِيمٌ ، إِحْكَامٌ

وأَفْضَلُ تَنْظِيمٍ ، تَقْيِيدٌ (وَضْعُ قَوَاعِيدِ)

11640 règles diététiques, prescriptions diététiques

١١٦٤٠ مَنَاهِجُ الحِمِيَّةِ ، نُظُمُ الحِمِيَّاتِ .

(١) (light, soft diet)

(٢) (spare diet, regime of management, bland,)

(sparing diet)

(٣) (register of the voice, pitch of voice register)

وأفضل قِتَوَاعِدُ التَّغْذِيَّةِ ، الوَصَفَاتُ الْغِذَائِيَّةُ أَوْ قِتَوَائِمُ
الغِذَاءِ أَوْ الطَّعَامِ .

١١٦٤١ نُظْمٌ تُتَّبَعُ ، مَنَاهِجٌ 11641 règles à suivre, directives

وأفضل تَعَلِّمَاتُ ، تِوَصِيَّاتُ ، أَوْ تَوَاصِي

١١٦٤٣ إِمْتِلَاءٌ ، قَيْضٌ 11643 Regorgement

وأفضل زُخُورٌ (١) قَيْضٌ ، وَسَبَقَ لِلجَنَةِ أَنْ اسْتَعْمَلَتْ إِمْتِلَاءً

ترجمة لـ (pléthore) (٢)

١١٦٤٤ مُتَدَنَّ ، مُتَقَهِّقِرٌ 11644 Régressif, ive, rétrograde

وأفضل مُتَقَهِّقِرٌ ، مُتَرَاوِجٌ

١١٦٤٥ رَاضِمٌ ذُو هَوَاءٍ (أَشْعَةٌ) 11645 régulateur à air (rad.)

١١٦٤٦ رَاضِمٌ ذُو شَرَارَةٍ (أَشْعَةٌ) 11646 régulateur à étincelle (rad.)

وأفضل مُنَظِّمٌ بِالْهَوَاءِ فِي الْإِظْفَةِ الْأُولَى وَمُنَظِّمٌ بِالشَّرَارَةِ

الْكهربائية فِي الثَّانِيَةِ .

١١٦٤٨ رَاضِمٌ الضَّغْطِ (فِي حُبَابَةِ الْغَازِ) 11648 régulateur de pression (d' une ampoule à gas)

وَأَرْجَحُ مُنَظِّمُ الضَّغْطِ (فِي أَمْبُولَةِ الْغَازِ) (٣) أَوْ أَثْبُوبِ

(١) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ : زَخَرَ الْبَحْرُ يَزْخُرُ زَخْرًا وَزُخُورًا

وَتَزْخُرُ طَمًا وَتَمَلًا ، وَزَخَرَ الْوَادِي مَدًّا وَارْتَفَعَ فَهُوَ زَاخِرٌ .

(٢) الصَّفْحَةُ ٢٢٣ مِنَ الْمَجْلَدِ الْخَادِي وَالْخَمِينَ مِنْ هَذِهِ الْمَجْلَةِ .

(٣) الصَّفْحَةُ ٦٥٣ مِنَ الْمَجْلَدِ السَّابِعِ وَالثَّلَاثِينَ مِنْ هَذِهِ الْمَجْلَةِ .

الفتاز . وهو الجهاز المستعمل من أجل تجديد الفراغ في أنبوب
الأشعة السينية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم
الأصلي (١)

11650 régulation thermique

١١٦٥٠ تنظيم حراري ، نَظْمٌ حراري
وأفضل تَنظِيم حراري أو تَنظِيم الحرارة فقط ، إذ
سبق للجنة أن استعملت نَظْم ترجمة لـ (rythme) في
اللفظة ١١٩٦٦ وما يليها (

11651 Régulier, ère, v. normal, uniforme

١١٦٥١ 'منظم' ، انظر نظامي ، وحيد الشكل
وأرجح 'منتظم' ، انظر سوي ، مُطَرِد أو مُنسَق

11653 Réhabilitation (améric.) = retour à une efficacité
fonctionnelle correcte (rééducation et réadaptation
des blessés)

١١٦٥٣ إعادة حقوق = عودة إلى حالة وظيفية صالحة
(تدريب الجرحى وتوفيق حركاتهم) .
والصحيح التأهيل = استعادة العمل الوظيفي الصحيح
(تدريب الجرحى على العمل الملائم)

11654 Réimplantation إعادة الغرّز

وإعادة الغرّس ، لأن المقصود منها غرّس الأعضاء

(١) - X of the vacuum of an apparatus for regeneration of the

(ray tube

11655 substance médullaire (١) مادةٌ مُخَيَّةٌ أو لُبِّيَّةٌ

وأرجع مادةً نُخَاعِيَّةً أو نَقْصِيَّةً

(٦) مِنطَاقَةُ مُشَدِّمَةٍ أو غِرْوَالِيَّةِ area cribrosa (6)

وأرجع بَاحَةً غِرْوَالِيَّةً

(٨) أَهْرَامُ فَرَّانٍ pyramides de Ferrein (8)

أهرام فرَّان كما تلفظ في الألمانية

(١١) كُتْبَةُ glomèrule (11)

كُتْبِيَّةٌ

11656 rein (avoir mal au) إِكْتَلَى ، أَصِيبَ بِكُلَّيَّتَيْهِ

والصحيح إِشْتَكَى من ألم ظهره أو صُلْبِهِ ، كما جاء في

الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

11657 rein amyloïde كُتْلِيَّةٌ نَشْوَيْدِيَّةٌ

وأرجع كُتْلِيَّةٌ نَشْوَانِيَّةٌ (٢) و كُتْلُوَّةٌ شَحْمِيَّةٌ ، كما جاء

في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٣)

11659 rein céphalique, rein primitif (embr.)

11659 كُتْلِيَّةٌ دِمَاجِيَّةٌ ، كُتْلِيَّةٌ إِبْتِدَائِيَّةٌ (مُضَغَّةٌ)

وأرجع الكُتْلِيَّةُ السَّافِقَةُ ، أو الكُتْلِيَّةُ الْأَسَاسِيَّةُ والكُتْلِيَّةُ

(١) (to have backache)

(٢) الصفحة ٦٥٤ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) (lardaceous kidney)

الابتدائية (أجنة) كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

11660 rein définitif (embr.)

١١٦٦٠ كلئية دائمة ، مقررة (مضغة)

كلئية دائمة أو الكلئية الجنينية المستمرة (أجنة) ، كما
جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

11661 rein atteint de dégénérescence graisseuse

١١٦٦١ كلئية مصابة بحؤول شحمي .

كلية متشحمة كلئية ، شحمية كما جاء في الترجمة الانكليزية
من المعجم الأصلي (٣)

11663 rein ficelé (syphilis tertiaire)

١١٦٦٣ كلئية متصلبة (أفرنجي ثاوي)

وأرجع 'كلية متحزومة والكلئية الصمغية في الأفرنجي
الثاوي كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٤)

11666 rein kystique

١١٦٦٦ كلئية كيسية

وأرجع كلئية كيسية

11668 rein moyen , corps de Wolff

١١٦٦٨ كلئية متوسطة ، جسم 'ولف

وأرجع كلية وسطانية أو كلية ابتدائية كما جاء في الترجمة الانكليزية

من المعجم الأصلي (٥) (للبحث صلة)

(١) (fore kidney, head kidney, primordial kidney)

(٢) (permanent embryonic kidney)

(٣) (fatty kidney)

(٤) (sclerogummatous kidney in tertiary syphilis)

(٥) (prinitive kidney , Woeffian body)

نظرية النظم النحوي قبل عبد القاهر

د . أحمد نصيف الجنابي

المدخل إلى النظرية

عرفت « نظرية النظم النحوي » بعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) ، وبها اشتهر كتابه « دلائل الإعجاز » الذي بسط فيه هذه النظرية ، ولم تشتهر كتبه الأخرى لاسيما النحوية ، ككتاب « المقتصد في النحو » وكتاب « العوامل المائة » مثلما اشتهر « الدلائل » .

أما النحاة الذين جاؤوا بعده فلم يزيدوا على هذه النظرية شيئاً ذا بال بل إنهم لم يدركوا أبعاد تلك النظرية العملاقة التي تشمل اللغة كلها ولا سيما الجانب الاسلوبي الذي تفتقر إليه المؤلفات اللغوية قبل عبد القاهر الجرجاني ، إلا في حالات نادرة .

أما في العصر الحديث فقد التفت إليها مجموعة من اللغويين والنقاد ، منهم : الاستاذ أحمد أحمد بدوي في كتابه : « عبد القاهر الجرجاني » ، وإن كان الرجل ناقلاً ومشارحاً أكثر منه باحثاً مكتشفاً . وتناولها الدكتور محمد مندور « في الميزان الجديد » فأبرز الجانب اللغوي في هذه النظرية ، وجعل عبد القاهر في صف أعظم اللغويين المحدثين ، وتحدث عنها الدكتور أحمد مطلوب في كتابه « عبد القاهر الجرجاني » حديثاً مستفيضاً .

ولكن أعمق من تناول نظرية النظم « وكشف عن كثير من جوانبها المتصلة بالنظرية العامة والمصطلحات والأساليب » هو الاستاذ الدكتور تمام حسان في كتابه القيم « اللغة العربية ، معناها ومبناها » .

وقد تناولها بالدرس والتحليل غير هؤلاء . ولكل جهده المشكور .

وأهم شيء نخلص إليه من هذه الكتب كلها أنها أجمعت على أن صاحب النظرية هو « عبد القاهر » وأنه غير مسبوق بها ولا بجزء منها .

ولي وجهة نظر تخالف هؤلاء جميعاً ، « ولكل وجهة هو مولها » . والناس يختلفون ماداموا يفكرون .

فقد وجدت أن عبد القاهر مسبوق بهذه النظرية في الجانب النحوي المتصل بالأساليب ، الخاص بموضوع « الفصل والوصل » ، أو ما يسمى - عند القراء - بالوقف والابتداء (أو القطع والانتاف) . وقد عدل عبد القاهر عن مصطلح البلاغيين - وهو منهم - في أثناء بحثه موضوع « الفصل والوصل » - في الدلائل إلى مصطلح القراء . وهذه القرينة إحدى حججي في إثبات مايدل على أن صاحب « الدلائل » مسبوق بالجزء الذي أوضحته ، من نظرية النظم . (١) فمن هو ذلك السابق ؟ (٢) وماهي حدود التأثير ؟ (٣) وماهي الأدلة عليه ؟

هذا ما سأبينه في أقسام البحث الثلاثة الآتية :

القسم الأول : من هو صاحب نظرية النظم قبيل عبد القاهر ؟

صاحب هذه النظرية هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المعروف بالنحاس (ت ٣٣٨ هـ) . ولد بمصر في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري من عائلة كانت تعمل بالنحاس . ولم تحدد مصادر حياته سنة ميلاده ، ويمكن أن نقرب من ذلك التأريخ بالطريقة الآتية :

لقد كان أول أساتذته موتاً هو بكر بن سهل الدمياطي (ت ٢٨٩ هـ) .
فإذا كان طلب العلم يبدأ في السادسة عشرة في ذلك العصر فيمكن طرح هذا
الرقم الأخير من (٢٨٩) فيكون الباقي (٢٧٣) ، وهو السنة التي ولد فيها
النحاس تقريباً لا تخـ. يداً . وبناء على هذه يمكن تقدير سنوات العمر التي عاشها
٣٣٨ - ٢٧٣ = ٦٥ .

ومعنى هذا أنه عاش عمراً وسطاً يشبه أعمار الأنبياء ، ولم يمت شاباً
ولا هرمًا بالرغم من أنه ألقى في النيل بمؤامرة دبرها له الحكم الذي كان
قائماً وقتئذ . وإني أرفض الرواية المعروفة في مصادر حياته الزاعمة أنه كان
يقطّع أبياتاً من الشعر فرماه رجل في النيل لأنه اعتقد أنه يسحر النيل (١)
ليقل ماؤه !

وبما يمضد ما ذهبت إليه أن الحادثة تكررت مع عالم آخر رمي في النيل
في آخر القرن الرابع الهجري . وهذا يدل على أن هذه الوسيلة كانت متبعة في
ذلك العصر لاغتيال العلماء الذين يرفضون الخنوع والاستخذاء
ويمكن تقسيم حياة النحاس إلى المراحل الآتية :

المرحلة الأولى وتمتد من سنة ٢٧٣-٢٨٧ هـ وهي مرحلة الطفولة والصبوة .
المرحلة الثانية : وتمتد من سنة ٢٨٧ - ٣٠٠ هـ وتمثل مرحلة طلب العلم
في مصر وفلسطين والعراق . وهي مرحلة الشباب في الحياة والفكر .
وفي مصر كانت بداية رحلته العلمية . وأول أساتذته فيها : بكر بن
سهل الدمياطي ، وقد نقل عنه النحاس في كتابه : « الناسخ والمنسوخ
في القرآن » ، كثيراً (٢) . وأستاذه هذا محدّث ، ومفسر ، ومقرئ (٣) .

(١) إنباه الرواة ١/١٠٢

(٢) الناسخ والمنسوخ / ٥ ، ١٠٦ ، ١٥٢ ، ١٥٦ الخ

(٣) طبقات القراء ١/١٧٨ وحين المحاضرة ١/٣٦٧ وطبقات المفسرين ١/١١٧

وفي مصر أخذ قراءة « ورش » (١) ، عن أبي بكر (٢) عبد الله بن مالك التنجيبي (ت ٥٣٠٧ هـ) . وأخذ العلوم اللغوية والنحوية عن « محمد بن ولاد » (ت ٥٢٩٨ هـ) وقد ذكره في « إعراب القرآن » ، و « شرح القصائد التسع » (٣) . والتقى بالأخفش الصغير : علي بن سليمان (ت ٥٣١٥ هـ) بعدما جاء إلى مصر سنة ٥٢٨٧ هـ ، وقد أخذ عنه وذكره في جل كتبه الموجودة . كما أخذ عن غير هؤلاء .

أما في فلسطين فقد التقى في مدينة « البلد » ، بالإمام أبي بكر محمد بن أحمد بن عمر المعروف بالداقوني الكبير (ت ٥٣٢٤ هـ) ، وهو صاحب كتاب في القراءات ضمنه قراءة أحد عشر مقرأ (٤) .

وأما في العراق فالتقى بأشهر أساتذته وأبعدهم تأثيراً في حياته العلمية وفي مناحي تفكيره : أبي إسحاق الزجاج (ت ٥٣١١ هـ) ، وابن كيسان النحوي (ت ٥٣٢٠ هـ) . وقد روى عنها في كتبه اللغوية والنحوية ، ومدحها مدحاً دل على قدرهما الكبير عنده ، فقال : « إنها أجل من رأى من النحويين » (٥) . وقد أخذ عن غير هؤلاء ولكننا عرضنا عن ذكرهم اختصاراً واكتفاء بالأمم .

(١) هو عثمان بن سعيد المصري المتوفى ١٩٧ هـ . رأس المدرسة المصرية في القراءات ، وأشهر تلاميذ « نافع » أحد القراء السبعة .

(٢) طبقات القراء ٤٤٥/١

(٣) إعراب القرآن لوحة ٨ / أ وشرح القصائد التسع ٣٠٤

(٤) لطائف الإشارات ٨٦/١

(٥) في رسالته : « إعراب قول سيديويه في أول الكتاب : هذا باب علم ما الكلام من العربية » (مخطوط) .

المرحلة الثامنة : وتمتد من سنة ٣٠١ - ٣٣٨ هـ وهي مرحلة العطاء .
وقد قضاها في التدريس والتأليف ، إذ صنف ما يزيد على عشرين كتاباً في
اللغة والنحو والتفسير والفقه والحديث .

وأهم مؤلفاته وأشهرها وأكثرها تأثيراً في الدراسات اللغوية والنحوية :

- (١) إعراب القرآن (مخطوط) .
 - (٢) شرح القصائد التسع المشهورات . طبع ببغداد سنة ١٩٧٣ بتحقيق
الدكتور أحمد خطاب العمر .
 - (٣) القطع والائتناف (مخطوط) . (٤) معاني القرآن (مخطوط) .
 - (٥) النسخ والمنسوخ في القرآن . طبع بمصر سنة ١٣٢٣ هـ .
- أما أهم تلامذته فهم :

- (١) فضل الله بن سعيد بن عبد الله بن قاسم المعروف بالكزني
(ت ٣٣٥ هـ) من أهل الأندلس ، رحل إلى المشرق فسمع النحاس (١) .
- (٢) ومن أظهروهم القاضي منذر بن سعيد البلوطي (ت ٣٥٥ هـ) ، وقد
سمع منه وله معه حادثة مشهورة (٢) .
- (٣) محمد بن يحيى بن عبد السلام الرباحي (ت ٣٥٨ هـ) من أهل الأندلس
رحل إلى مصر فلقى النحاس ، وحمل عنه كتاب سيدييه رواية ، وحدث
بكتبه : « المكافي في النحو » ، و « المقنع في اختلاف البصريين والكوفيين » ،
و « صناعة الكتاب » ، و « الاشتقاق » (٣) .

(١) بغية الملتبس : ٤٢٩

(٢) بغية الملتبس : ٤٥٠ وتاريخ علماء الأندلس ١٤٢/٢

(٣) تاريخ علماء الأندلس ٦٩/٢ وفهرسة ابن خبير : ٣٨٦

(٤) محمد بن مفرج بن عبد الله المعافري القرطبي (ت ٣٧١ هـ)
لقي أبا جعفر النحاس فروى عنه كتبه : إعراب القرآن ، ومعاني القرآن ،
والناسخ والمنسوخ ، وهو أول من أدخل هذه الكتب إلى الأندلس (١) .

ويبدو أن جل تلامذة النحاس من أهل الأندلس .

(٥) وأشهر تلامذته المصريين أبو بكر محمد بن علي بن محمد الأدفوي
الذي لازم النحاس وروى عنه كتبه . وعن الأدفوي نقل بعضها إلى الأندلس .
وكان الأدفوي نحويًا ومقرئًا (٢) ، توفي بمصر سنة ٣٨٨ هـ .

القسم الثاني : نظرية النظم عند النحاس

وقد بسط النحاس نظريته في كتاب « القطع والائتناف في القرآن ،
أي : الوقت والابتداء .

وقسمه أربعة أقسام :

(١) وقف التمام . (٢) الوقف الكافي . (٣) الوقف الصالح .
ويسمى « الوقف الحسن » أيضاً . (٤) الوقف الممتنع . ويسميه بعض
العلماء : « الوقف القبيح » (٣) .

فالوقف التام :

هو الذي يحسن القطع عليه والابتداء بما بعده لأنه لا يتعلق بشيء
بما بعده به ، وذلك عند تمام القصص وانقضائهن ، وأكثر ما يكون موجوداً
في الفواصل ورؤوس الآي ، كقوله تعالى : « وأولئك هم المفلحون » (البقرة : ٥)

(١) تاريخ علماء الأندلس ٨١/٢

(٢) انباه الرواة ١٨٦/٣ والبعية ١٨٩/١ وطبقات القراء

(٣) الداني : المكتفى في الوقف والابتداء ، ورقة ٩ : ب

والابتداء بقوله : « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » (البقرة : ٦) وكذلك : « ولو ألقى معاذيره » (القيامة : ١٥) ، والابتداء بقوله : « لا تحرك به لسانك » (القيامة : ١٦) . وكذلك : « وجعلوا أعزة أهلها أذلة » هذا هو التمام ، لأنه انقضاء كلام « بليقيس » ثم قال عز وجل : « وكذلك يفعلون » (النمل : ٣٤) .

أما الوقف الكافي :

فهو الذي يحسن الوقف عليه أيضاً والابتداء بما بعده غير أن الذي بعده متعلق به من جهة المعنى دون اللفظ . وذلك نحو الوقف على قوله : « حرّمت عليكم أمهاتكم » (النساء : ٢٣) ، والابتداء بما بعد ذلك في الآية كلها . وكذلك الوقف على قوله : « اليوم أحلّ لكم الطيبات » (المائدة : ٥) ، والابتداء بما بعد ذلك لأن ذلك كله معطوف بعضه على بعض وكذلك الوقف على الفواصل في سورة الجن والمدثر والتكوير والانفطار والانشقاق.

أما الوقف الحسن :

فهو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به من جهة اللفظ والمعنى جميعاً . وذلك نحو قوله تعالى : « الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم » (الفاتحة : ١ - ٢) ، الوقف على ذلك كله وشبهه حسن ، لأن المراد مفهوم ، والابتداء بقوله « رب العالمين » ، و « الرحمن الرحيم » ، و « مالك يوم الدين » لا يحسن ، لأن ذلك مجرور ، والابتداء بالمجرور قبيح لأنه تابع لما قبله ، ويسمى هذا الضرب صالحاً إذ لا يلزم القارئ أن يقف في كل موضع على تام ولا كافٍ لأن نفسه ينقطع دون ذلك .

أما الوقف القبيح :

فهو الذي لا يعرف المراد منه ، وذلك نحو الوقف على « بسم » و

« مالك » والابتداء بقوله . « الله » و « يوم الدين » ، من سورة الفاتحة ، لأنه إذا وقف على ذلك لم يعلم إلى أي شيء أضيف .

وأقبح من هذا النوع الوقف على قوله : « لقد سمع الله قول الذين قالوا ، (آل عمران : ١٨١) ، والابتداء بما بعد ذلك من قوله : « إن الله فقير ونحن أغنياء » .

ومن انقطع نفسه على ذلك وجب عليه أن يرجع إلى ما قبله وبحل الكلام بعضه ببعض فإن لم يفعل أثم وكان ذلك من الخطأ العظيم ^(١) .

والذي لفت نظري أن منهج النحاس في كتاب « القطع والائتناف » ، وموقفه من المسائل النحوية والوجوه الاعرابية وطريقة تعامله معها كلها تختلف عما في كتبه الأخرى الباقية ، لأنه أعطى السياق القرآني ومعانيه صورة واحدة هي أفضل من سواها ، وهذا السياق هو العلاقة النحوية والرابطة اللغوية بين أجزاء الجملة القرآنية مرتبطة بالمعنى العام ارتباطاً وثيقاً حيث يلتزم القارئ بهذه العلاقة فيقف وقفاً تاماً في حالة واحدة ، في الموضع الذي يتم فيه المعنى وتتصل أجزاء الجملة ، فإذا تعدى القارئ هذا الموضع دون أن يقف أو وقف على ما قبله ، فقد ارتكب الخطأ وجاوز منطق الصواب . لكنه لهج في كتابه : « إعراب القرآن » و « شرح القصائد التسع » بالاحتمالات النحوية والوجوه الإعرابية وجعل لكل وجه علة في الصواب .

فكلمة « هدى » في قوله تعالى : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » (البقرة : ٢) ، فيها ثمانية أوجه من الإعراب : (تكون في موضع رفع خبراً عن ذلك ، وعلى إضمار مبتدأ ، وعلى أن تكون خبراً بعد خبر ، وعلى أن

(١) ملخص من كتاب « المكتفي في الوقف والابتداء » لأبي عمرو الداني ورقة ٧ :

تكون رفعاً بالابتداء .. فهذه أربعة أوجه في الرفع .. وتكون على وجه خامس هو أن تكون رداً على موضع « لاريب فيه » أي : حق هدى . وتكون نصباً على الحال من ذلك . وتكون حالاً من الكتاب ، وتكون حالاً من الماء (١) .

أما الآراء والوجوه الإعرابية في كتاب « القطع والائتناف » فهي تخضع للمفاضلة وليست موضع احتمالات تتساوى فيها الوجوه الإعرابية بالصحة بل هناك حالة واحدة يصح معها المعنى التام ويقف عندها القارىء أو المتكلم وقفاً تاماً ، وهي الحالة التي تتصل فيها أجزاء الجملة اتصالاً كلياً بالمعنى وتنقطع عما بعدها انقطاعاً كلياً . أما الجواز فلا يكون في حالة تتساوى مع حالة الوقف التام بل تأتي بعدها وهي حالة الوقف الكافي أو الصالح ، وقد لا تكون هذه ولا تلك بل حالة أخرى يمتنع معها الوقف امتناعاً كلياً .

الغاية من النظرية

وإذا كان لكل نظرية أو قضية غاية يتوخاها العالم فإن غاية هذا الفن وهذا العلم : « علم الوقف والابتداء » هي « التفريق بين المعاني ، والعصمة من الخطأ ، والبعد عن الخلط بين المعاني المختلفة . فالقارىء إذا وقف على الآية : « فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض » (٢) ، كان المعنى أنها حرمت عليهم هذه المدة . وإذا وقف على « فإنها محرمة عليهم » كان المعنى أنها محرمة عليهم أبداً ، وأنهم يتيهون أربعين سنة (٣) . وعند نهاية الآية الكريمة : « وإن من

(١) إعراب القرآن لوحة ٣ : ب وينظر المرجع نفسه ، لوحة ٢ : ب ، ومواضع أخرى من الكتاب .

(٢) سورة المائدة آية ٢٦

(٣) القطع والائتناف لوحة ٨ : ا

شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ، (سورة الحجر آية ٢١) ، وكذا الآيات التي بعدها إلى « فسجد الملائكة كلهم أجمعون » . و يروى عن « نافع » (١) أن الوقف التام عند الآية ٤٧ من السورة نفسها : « ونزعنا ما في صدورهم من غل » ووافقه على ذلك العباس بن الفضل (٢) (وخولفا في ذلك لأن « إخواناً منصوب على الحال بما قبله) ، أي : « ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين » ، والتام « وما هم بمخرجين » : أما قوله تعالى : « الغفور الرحيم » فليس بتام لأن بعده « وأن » معطوفة على ما قبلها (٣) .

ولذلك يصح في أول كتابه « القطع والائتناف » - بعد بسط مجموعة من المقدمات - قوله : « فقد صار في معرفة الوقف والائتناف التفريق بين المعاني ».

الوسائل

ولكن ماهي الوسائل التي تجعل القارئ أو المتكلم يصل إلى التفريق بين المعاني ليعصم نفسه من الوقوع في الخطأ ، أولاً ، وليصل إلى المفاضلة بين تلك المعاني ، ثانياً ؟ من أجل هذا كله حدد النحاس الوسائل التي يستعين بها قارئ القرآن أو المتكلم بغير القرآن حتى يحققا الغايتين ممأ ويصلا إلى ذينك الهدفين .

فعند حديثه عن الأدوات التي يتسلح بها من يتصدى لموضوع « وقف التام » يؤكد أن ما يجب أن يراعيه طالب هذا الفن هو أن يعرف قوانين النحو لأنه إذا لم يعرف ذلك وقع في الخطأ والوهم ولم يستطع أن يفرق بين المعاني

(١) هو نافع بن أبي نعيم أحد القراء السبعة توفي سنة ١٦٩ هـ (طبقات القراء ٢/ ٣٣٠)

(٢) مقرئ معروف توفي سنة ١٩٥ هـ وروى القراءة عن أبي عمرو بن العلاء (طبقات

القراء ١/ ٣٥٣) .

(٣) القطع والائتناف لوحة ١٢٤ ز ١

وخط بين العذاب والرحمة . فقارئ الآية الكريمة : « يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً » (١) ، لا ينبغي أن يصل « والظالمين » بما قبله ، بل يقف على « في رحمة » لأن الظالمين منقطع بما قبله منصوب بإضمار فعل أي : ويعذب الظالمين أو وأعد الظالمين عذاباً أليماً (٢) .

فمعرفة النحو حاجة ملحة لمن أراد معرفة القطع والائتناف (٣) ، ليصل طالب هذا الفن إلى بجانب الخطأ ويفرق بين المعاني فلا يخلط بينها .

ومن أدوات طالب هذا الفن معرفة القراءات وتوجيهها وتعليقها .

غير أنه لا يورد القراءات إلا إذا أوضحت « القطع والائتناف » فإذا لم تكن حاجة إلى ذلك فإنه لا يوردها . وهذا واضح من تصريح النحاس حين بين سبب إيراد القراءات في سورة الجن فقال : (وإنما ذكرنا كل ما بلغنا من القراءات في هذه السورة لأن من أراد أن يعرف القطع والائتناف فيها احتاج إلى معرفة القراءات) (٤) .

ومن هذه الأدوات « اللغة » ومادام القرآن نزل بلغة العرب ، فلا بد لمن أراد أن يفهمه مجرد فهم أن يعرف هذه اللغة معرفة جيدة ويعرف أساليبها فكيف بمن أراد أن يعرف أسرار هذه المعاني ومراميها البعيدة والمفاضلة بينها ؟ ولهذا فإن النحاس أكد هذه الناحية في أول كتابه (٥) ، فقال — وهو يتحدث عن « القطع والائتناف » — : (وهو علم يحتاج إليه جميع المسلمين لأنهم لا بد لهم من قراءة القرآن ليقرأوه على اللغة التي أنزله الله جل وعز بها

(١) سورة الإنسان آية : ٣١ (٢) القطع والائتناف لوحة ٨ : ب

(٣) القطع والائتناف لوحة ١٢٣ : ب (٤) القطع والائتناف لوحة ٢٤٣ : ب

(٥) القطع والائتناف لوحة ٢ : ب

وفضلها ومدحها فقال جل ثناؤه : « بلسان عربي مبين » (١) .

ولكن ما مفهوم البيان عند النحاس ؟

مفهوم البيان - عنده - « تفصيل الحروف » (٢) والوقف على ما قد تم والابتداء بما يحسن الابتداء به ، وتبيين ما يتجنب من ذلك ، وما هي الوسيلة التي نبين بها وقف التام ، وما لم يتم ؟ وما هو المعيار الذي نرجع إليه في مثل هذه الحالات ؟

أما الوسيلة التي نبين بها ماتم ولم يتم فهي اللغة وقوانين النحو بعناها الواسع الشامل الذي يقصد به معرفة الأساليب الصحيحة والمناهج القوية التي يجب أن يراعيها قارئ القرآن والناطق بلغته ، وقد بينها في أول كتابه « القطع والائتناف » وضرب لها الأمثلة . وأورد ما روي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه جاءه رجلان فتشهد أحدهما فقال : « من يطعم الله جل وعز ورسوله فقد رشد ومن يعصيهما » . فقال رسول الله ﷺ : « بشئ الخطيب أنت . كان ينبغي أن تصل كلامك : « ومن يعصيهما فقد غوى » أو تقف على « رسوله فقد رشد » (٣) . ثم عقب النحاس على ذلك بقوله : (فإذا كان هذا مكروهاً في الخطب وفي كلام الناس الذي يكلم به بعض الناس بعضاً ، كان في كتاب الله جل وعز أشد كراهة) .

وذكر عن رسول الله الحديث المعروف : « أنزل القرآن على سبعة أحرف . اقروا ولا تخرج ولكن لا تختموا ذكر رحمة بذكر عذاب ولا تختموا عذاباً برحمة » .

(١) سورة الشعراء آية ١٩٥

(٢) الحرف في مفهوم القراء : ما وقع فيه الاختلاف من كلم القرآن سواء كان حرفاً في اصطلاح النحويين أم أسماً أم فعلاً . (ابن الفاصح : سراج القاريء المبتدي : ١٤) .

(٣) القطع والائتناف لوحة ٦ : ١

واستنتج منه قوله : (إنه ينبغي أن يقطع على الآية التي فيها ذكر الجنة والثواب وتفصل مما بعدها إن كان بعدها ذكر النار والعقاب) (١) .
هذا إذا كانت الآية تتعلق بذكر الجنة والنار أو بذكر الثواب والعقاب .
ولكن الآيات ليست كلها على هذه الصورة .. فما هي المعايير والأسس التي نركن إليها ، ويمكن الرجوع إليها والاحتكام عندها دائماً ، أي :

(١) ماهي المعايير التي تضبط مواطن وقف التمام ؟

(٢) وماهي المعايير التي نحكم بها مايتنوع من الوقف ؟

الجواب : إنها قوانين النحو . وهذا ما مجده في كتاب « القطع والائتناف » بحيث تكون تلك القوانين المرجع النهائي لبيان تلك الحالات وما يتفرع منها وتصبح هذه القوانين أداة المفاضلة بين المعاني ، وأساس تمييز الخطأ إن كان هناك خطأ في رأي ، وأساس الصواب إن كان الرأي صواباً .

ولكن بأي مفهوم استعمل النحاس النحو في هذا الكتاب ؟

إن المفهوم النحوي الذي ساد في هذا الكتاب هو « قانون السياق الجملي » المرتبط بالمعنى العام حيث يكون « أداة معيارية اللغة » وأساس المفاضلة بين أسلوب يصح الوقف عنده أو يجب وأسلوب لا يصح الوقف عنده لأن الوقف عنده يعارض قانوناً من تلك القوانين المتصلة بمعيارية اللغة . وهذه القوانين هي التي استندت إليها نظرية النظم النحوي عند النحاس .

المعيارية النحوية :

قدم النحاس المعايير النحوية في أول كتابه « القطع والائتناف » حتى وصل إلى صورة الأنعام . فقال : (قد ذكر ما تقدم من السور على تقصير وشرح

(١) القطع والائتناف لوجه ٦ : ١

فكان في ذلك دليل على كثير مما يرد من القطع التام والحسن والكافي والصالح ،
فقس على ذلك ، فإني لو أثبت بذلك إلى آخر الكتاب ، على تقصير ، طال .
فرايت ألا أذكر الواضح المفهوم المعنى وأذكر المشكل وما لا يفهم إلا بفكر
ونظر .. (١) .

وفيا يأتي أمثلة تتضمن المعيارية النحوية :

(١) قوله تعالى : « ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم
تعلمون . وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين » (٢) .
وعند هاتين الآيتين الكريميتين أورد النحاس ما يأتي : (قال يعقوب (٣) :
ومن التام الكافي : « ولا تلبسوا الحق بالباطل » . قال أبو جعفر (٤) : وهذا
غلط بيّن ، ليس بتمام ولا بكاف لأن « تكتموا » لا يخلوا من إحدى جهتين ،
إما أن يكون معطوفاً ولا يتم الوقف على ما قبله ، وإما أن يكون جواباً
فيكون القطع على ما قبله أبعد . والجواب كما قال الشاعر :

لاتنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

فلو وقف على « لاتنه عن خلق » لفسد المعنى ، وكذا قول العرب
« لاتأكل السمك وتشرب اللبن » ، لو وقف على « لاتأكل السمك » لفسد
المعنى . على أن « يعقوب » لما ذكر ، « لاتلبسوا الحق بالباطل تام كاف » ، قال :
ثم يجعل الکتان جواباً ، فجاء بأبعد الوجهين فالوقف الكافي : « وأنتم تعلمون » ،
وليس بتمام ، لأن ما بعده معطوف عليه . وكذا « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة »
والتمام : « واركعوا مع الراكعين » (٥) .

(١) القطع والاثتناف لوحة ٧٩ : ب (٢) سورة البقرة ، الآيتان ٤٢ ، ٤٣

(٣) هو يعقوب الحضرمي أحد القراء العشرة توفي سنة ٢٠٥ هـ

(٤) أبو جعفر هو النحاس .

(٥) القطع والاثتناف لوحة ٢١ : ب - ٢٢

(ب) قوله تعالى : « قال إنه يقول : إنها بقرة » لا فارض ولا يكر عوان بين ذلك . فافعلوا ما تؤمرون ، (١) .

(قال نافع : لا فارض ولا بكر ، تام . وكذا قال الفراء .

قال أبو جعفر : وفي الحديث : أن سعيد بن جبير (٢) كان يقف (عند) (٣) « ولا بكر » وكذا عن مجاهد (٤) وعيسى بن عمر (٥) ويعقوب وخالفهم الأخفش فقال : التهام عوان بين ذلك . قال : أراد لاصغيرة ولا كبيرة ، ولكنها عوان بين ذلك ، وأنشد :

جلوس لدى الأبواب طلاب نائل عوان من الحاجات أو حاجة بكر

قال أبو جعفر : مع مخالفة الأخفش هذه الجماعة ، قد جاء بوجه بعيد ، ومن النحويين من يقول : أخطأ وجاء بما لا يجوز ألبتة ، وذلك أنه جعل « عواناً » من نعت « بقرة » وذلك بمنزلة المضمر ، فإذا كان التقدير أنها بقرة عوان بين ذلك ، أي : بين الفارض والبكر فقد قدم المضمر على المظهر (٦) .

(ج) قوله تعالى : « إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا

(١) سورة البقرة آية ٦٨

(٢) سعيد بن جبير هو الإمام المقرئ المفسر قرأ على عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قتله الحجاج سنة ٩٥ هـ (طبقات القراء ١/٣٠٦)

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

(٤) مجاهد بن جبر : مقرئ ومفسر قرأ على ابن عباس وقرأ عليه عبد الله بن كثير وهب الرحمن بن محيص وأبو عمرو بن العلاء ، وتوفي سنة ١٠٤ هـ (طبقات القراء ٢/٤٢)

(٥) عيسى بن عمر الثقفي : النحوي المشهور وهو مقرئ أيضاً قرأ على الحسن البصري ، وتوفي سنة ١٤٩ هـ (طبقات القراء ١/٩١٣ وتراجم النحاة)

(٦) القطع والائتناف لوحة ٢٢ : ب

فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يُضِلُّ به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يُضِلُّ به إلا الفاسقين ، (١) .

(قال أحمد بن موسى : مثلاً : تمام . وقال أحمد بن جعفر (٢) لو وقف واقف على « إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما » ، جاز وكان حسناً . وقال الأخفش (٣) : إن شئت وقفت على : « مثلاً ما بعوضة » ، قال أبو حاتم (٤) : والتمام « فما فوقها » . قال أبو جعفر : هذا أصح الأقوال . وأما أن تقف على « مثلاً » فخطأ ، لأن « ما » ، إن كانت زائدة للتوكيد فالابتداء بها ، وإن كانت بمعنى الذي ورفعت « بعوضة » فهي بدل من « مثل » وكذا إن كانت نكرة . ومثّل ومثّل واحد . والمعنى - والله أعلم - إن الله لا يخشى أن بين شها . ومثّل ومثّل ، مثّل ، شَبَّه وشَبَّه ، كما قال (٥) :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً وما مواعيده إلا الأباطيل

والقطع على « ما » حسن . ولكن الائتناف بما بعده قبيح لأنه منصوب مردود على ما قبله وبمعنى : ما بين البعوضة . والوقف على « ما بعوضة » ليس بتمام لأنه متعلق بما بعده (٦) .

(١) سورة البقرة آية : ٢٦

(٢) أحمد بن جعفر هو أبو علي الدينوري ختن ثعلب ، نحوي معدود في المصريين

توفي سنة ٢٨٩ هـ (الزيدي : طبقات النحويين واللغويين ٢٣٤) ومعجم الأدباء ٢٣٩/٢

وإنباه الرواة ٣٣/١ والبغية ٣٩٧/١)

(٣) أي : الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة المتوفي ٢١٥ هـ .

(٤) هو أبو حاتم السجستاني اللغوي المعروف وهو مقرئ أيضاً له اختيار في القراءة

وئصنيف (طبقات القراء ٣٢٠/١ وتراجم النحاة)

(٥) البيت لكعب بن زهير من قصيدته : « البردة » .

(٦) القطع والائتناف لوحة ١٨ : أ - ب

(قال أبو حاتم « فأما الذين آمنوا ، ، ليس بقطع كاف لأنه لم يأت الخبر . » فيعلمون أنه الحق من ربهم ، قطع حسن لأن « أما ، » لا تحتاج إلى تكرير ، وإنما يأتي بعدها ما هو معطوف عليها . « وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً ... » قال أبو حاتم : هذا الوقف (١) . وأما الفراء فليس هذا عنده تاماً ، والتام - عنده - ويهدي به كثيراً ،) .

قال أبو جعفر : (الأولى في هذه الآية ما قاله أبو حاتم ، والدليل على ذلك قوله جل وعز : « وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً ، . » ثم قال الله جل وعز : « كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ، » (٢) .

فقد قاس آية البقرة على آية المدثر لأن السياقين متشابهان كل التشابه وما دام القطع التام في آية المدثر عند قوله تعالى « مثلاً ، » من قوله : « وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون : ماذا أراد الله بهذا مثلاً ، ، » وعلة الوقف أنها نهاية حكاية قولهم وبعده : « كذلك يضل الله .. الآية ، وهو منقطع مما قبله انقطاعاً تاماً لأنه ليس من حكايتهم بل هو كلام مستأنف ، فهذا يبين أن الوقف عند قوله تعالى : « مثلاً ، » تام .

حالات يمتنع الوقف عندها ولا يحسن

أما في هذه الحالات فتظهر قوانين علم النحو بأجلى مظاهرها كما تظهر المعيارية النحوية لتطبيقات « نظرية النظم النحوي ، » عند النحاس . وأهم الحالات التي دارت في كتاب « القطع والائتناف ، » ومثلت هذه النظرية هي :

(١) أي : الوقف التام بدليل ما بعده

(٢) سورة المدثر آية : ٣١

(١) حالة المبتدأ والخبر :

سورة الفاتحة آية : ٢ : « الحمد لله رب العالمين »

قال النحاس : (لا يقف على الحمد لأنه مبتدأ لم يأت خبره) (١) .

(٢) حالة النعت والمنعوت :

سورة الحجر الآيتان : ٩٥ - ٩٦ : « إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون » .

قال النحاس : (زعم العباس بن الفضل أن الوقف الكافي : « إنا كفيناك المستهزئين » . وعقب النحاس عليه بقوله : (وهذا غلط لأن « الذين » نعت للمستهزئين) (٢) .

(٣) حالة الموصول والصلة :

سورة البقرة آية : ٢٧ : « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه » .
قال النحاس : (هذا ليس بقطع كاف لأن ما بعده معطوف على ما في الصلة فهو داخل في الصلة ، وما بعده هو قوله تعالى : « ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ») (٣) .

(٤) الحال ومتعلقاته :

١ - سورة إبراهيم الآيتان : ٤٩ - ٥٠ ، وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد سراييلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ، .
قال النحاس : (« مقرنين في الأصفاد » ، ليس بنظام لأن « سراييلهم من قطران » في موضع الحال . و « تغشى » معطوف عليه . والنظام : « إن الله سريع الحساب ») (٤) .

(٢) نفسه ، لوحة ١٢٤ : ١

(٤) نفسه ، لوحة ١٢٣ : ١

(١) القطع والائتناف لوحة ١١ : ب

(٣) نفسه ، لوحة ١١ : ب

ب - سورة الحجر الآية : ٤٧ : « ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين » .

قال النحاس : (« من غل » تمام عند « نافع » ، وتابعه على ذلك العباس ابن الفضل ، وخولفا في ذلك لأن « إخواناً » منصوب على الحال بما قبله) (١)

(٥) المستثنى والمستثنى منه :

١ - سورة المؤمنين .

قال النحاس : (يجوز الوقف على كل آية - أي في سورة المؤمنين - إلا على « والذين هم لفروجهم حافظون » (الآية : ٥) لأن بعده استثناء هو قوله تعالى : « إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين » (الآية ٦) (٢) .

ب - سورة النساء آية : ٦٦ : « ولو أنا كتبنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم أو أخرجوا من دياركم مافعلوه إلا قليل منهم .. » .

وهنا أورد النحاس رأى الإمام يعقوب الحضرمي في الوقف الكافي في هذه الآية . فهو يرى أن الوقف الكافي هو قوله جل وعز « مافعلوه » .

وعقب عليه النحاس بقوله : (هذا تخليط ، لا يجوز الوقف على « مافعلوه » كما لا يجوز الوقف على قوله جل وعز : « فلبث فيهم ألف سنة ») (٣) .

والسبب في هذا الامتناع أن بعد قوله تعالى : « فلبث فيهم ألف سنة » استثناء هو قوله تعالى : « إلا خمسين عاماً » (سورة العنكبوت الآية : ١٤) ، وكذا لا يجوز الوقف على « مافعلوه » لأن بعده استثناء هو قوله جل وعز « إلا قليل منهم » . وهذا - لعمرى - قياس بديع .

(١) القطع والائتناف لوحة ١٢٤ : ١

(٢) نفسه لوحة ١٥٢ : ١ - ب

(٣) نفسه لوحة ٦٢ : ١

(٦) الممطوف والمعطوف عليه :

أ - سورة البقرة آية : ٤٢ : « ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » .

قال النحاس : (« وأنتم تعلمون » وقف كاف ، وليس بتمام لأن ما بعده ممطوف عليه ، وكذا : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » والقطع والتمام « واركعوا مع الراكعين » (١) .

ب - سورة الذاريات الآيات : ١ - ٦

« والذاريات ذروا . فالحاملات وقرا . فالجاريات يسرا . فالملقيات أمرا . إنما توعدون لصادق . وإن الدين لواقع »

قال النحاس : (والذاريات : خفض بواو القسم . وما بعده ممطوف عليه ، فجواب القسم : « إنما توعدون لصادق » . ثم عطف على الجواب : « وإن الدين لواقع » فهنا التام (٢) .

حالات الاتصال السياقي

ووضع النحاس أيضاً مجموعة من حالات الاتصال السياقي والجملي التي يقف عندها القارئ لكمال اتصالها ، ويتجنب الوقف على ما قبلها سواء أكان كمال الاتصال بالتوكيد أو بالبدل أو بالعطف ، أو بسياق آخر يتم به المعنى كلياً ..

فعندما أورد قوله تعالى : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون . كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله » (٣) .

(١) القطع والائتناف لوحة ٢٢ : أ (٢) نفسه لوحة ٤٤ : ب

(٣) البقرة : ٢٨٥

أورد بعدها قول يعقوب : (ومن الوقف التام) « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه » قال : « والمؤمنون » (رفع بالابتداء لا بفعالهم) ثم قول الأخفش سعيد : (وأما « آمن الرسول » فالتام فيه « والمؤمنون ») . ثم عقب على الرأيين بقوله : (هذا القول الأخير - أولى من الأول لأن واو العطف توجب أن يكون الثاني داخلاً فيما دخل فيه الأول ، إلا أن تقع حجة بغير ذلك . وأيضاً فإن بعده : « كل آمن بالله » ولم يقل كلهم فيكون نو كيداً) (١) . فالوقف التام عنده « والمؤمنون » و « كل آمن بالله » وهو مبتدأ وخبر .

وفي الحديث عن الأئمة (٢) في سورة الفاتحة ، جمع كثيراً من هذه الحالات . فقال : (القطع على اسم الله جائز إلا أن الائتناف بما بعده لا ينبغي لأنه نعت . وكذا الوقف على « الرحمن » ، والتام « بسم الله الرحمن الرحيم » . ولا يقف على « الحمد » لأنه مبتدأ لم يأت خبره . والوقف على اسم الله جائز إلا أنه لا ينبغي أن يفعل ذلك لأن قوله : « رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين » نعت ، وهذا التام . ولا يقف على « إياك » لأنه موضع نصب بنعبد ، ولا على « نعبد » لأن ما بعده معطوف عليه ، والتام « نستعين » . ولا يقف على « اهدنا » لأن « الصراط » منصوب به . ولا على « الصراط » لأن « المستقيم » نعت له . ولا على « المستقيم » لأن بعده بدل . ولا على « الذين » لأن ما بعده من صلته ، ولا على « عليهم » لأن « غير » بدل من « الذين » أو نعت .. والتام « ولا الضالين » (٣) .

وكل هذه الحالات - وأمثالها - توضح كل الإيضاح أن اهتمام النحاس في كتاب « القطع والائتناف » منصب على السياق الجملي المرتبط بالنظم النحوي ارتباطاً كلياً ، بعيداً عن القضايا الشكلية والاحتمالات الكثيرة التي

(١) القطع والائتناف لوحة ٤٤ : ب (٢) الأئمة : جمع تمام أي وقف التام

(٣) نفسه لوحة ١١ : ب - ١٢ : أ

تجدها في « نظرية الاحتمالات النحوية » عنده حيث تتساوى هذه الاحتمالات في الصحة . أما في هذا الكتاب فهناك حالة واحدة يصح معها « وقف التمام » وليس هناك غيرها ولا ما يعادلها . ولهذا ظهرت عنده قضايا جديدة مرتبطة بهذا المنهج الجديد ، فهو يرفض القراءة التي لا تتفق مع قراءة الجمهور حيث تناسب الأخيرة وقف التمام ، حتى لو كانت تلك القراءة المرفوضة لأحد الأئمة المشهورين كالكسائي^(١) وهو يرفض الوجه الضعيف في العربية أو الذي لا يتفق عليه أكثر العلماء . مصرحاً أن كتاب الله « إنما يحمل على الأشهر »^(٢) لا على الأضعف من لغة العرب . وهذه الابهجة لم تألفها حتى في كتابه « إعراب القرآن » ولا في « شرح القصائد التسع » ففيها تكثر الاحتمالات وتعدد الأوجه ويكثر الاهتمام بالاختلافات النحوية الجزئية .

فهو في كتابه « القطع والائتناف » قد أعطى صورة واضحة « لنظرية مبكرة في النظم » أساسها « علم النحو » ، وغايتها المفاضلة بين الأساليب والمعاني النحوية لتصل في النهاية إلى حالة واحدة هي أفضل الحالات التي يصح معها النظم السكلي الذي تأتلف أجزاؤه وترتبط معانيه ارتباطاً تاماً فتروض معه الاحتمالات لأنها لا تحقق هذا الارتباط الكلّي الذي سماه « القطع التام » . وكل الحالات الأخرى لا تحقق مثل هذا « القطع » وإنما تحقق لوناً آخر أو حالة أخرى هي حالة القطع الكافي أو الصالح أو الحسن . وهذا معناه أنه كلما اختلف بناء الجملة اختلفت حالة الوقف ، ومنها حالة « امتناع الوقف » . كل ذلك وفق القوانين النحوية التي تتضمنها لغة القرآن .

وقبل أن انتقل إلى القسم الثالث والأخير لا بد أن أشير إلى أن النحاس مسبوق ببيان بعض جزئيات النظرية ومسبوق بقسم من التعليلات ، وفضله

(١) القطع والائتناف لوحة ٢٤٧ : ب (٢) نفسه ، لوحة ٢٢٨ : ١

ينحصر في إضافاته الرائدة وفي هذا التكوين الكلبي لنظرية النظم بكل أبعادها من حيث المنهج العام ، والاسلوب ، والجزئيات المرتبطة بمنهجه ، وهذا هو أهم شيء ، ولهذا ناقش كثيراً من الجزئيات والتعليقات التي نقلها وردت كثيراً منها لأنها لا تخضع لمنهجه ولا تتصل بهيكلة العام اتصالاً كلياً .

القسم الثالث : هل أثرت نظرية النحاس في نظرية الجرجاني ؟

والسؤال الذي يرد هنا : هل أثرت « نظرية النظم النحوي » عند النحاس (المتوفى ٣٣٨ هـ) في (نظرية النظم) عند عبد القاهر الجرجاني (المتوفى ٤٧١ هـ) وهو مسبوق بالنحاس من حيث الزمن .

إن الموازنة بين النظريتين من حيث الوسائل والغايات والتفاصيل هي التي تقرر الجواب .

(١) من حيث الوسائل :

فقد جعل عبد القاهر قوانين النحو وأصوله هي أساس المفاضلة بين المعاني وأساس الخطأ والصواب ، ومحصل ذلك « أن تعتمد إلى اسم فتجمله فاعلاً لفعل أو مفعولاً ، أو تعتمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبراً عن الآخر ، أو تتبع الاسم اسماً على أن يكون اسماً على أن يكون الثاني صفة للأول أو توكيداً له أو بدلاً منه أو نجيء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون صفة أو حالاً أو تمييزاً » (١) .

وهذه الوسيلة .. هي وسيلة النحاس للوصول إلى أساس المفاضلة بين المعاني . بل من أول الوسائل ، والحالات التي بسطناها والنصوص التي نقلناها من كتاب النحاس كافية للتدليل على هذا .

(٢) من حيث الغاية :

أما من حيث الغاية فإن « عبد القاهر الجرجاني جعل الغاية من نظريته
« المفاضلة بين المعاني التي ينتظمها علم النحو » (١) .

وتلك غاية النحاس من نظرية النظم النحوي ، غير أن الأول استعملها
في الدلالة على إعجاز القرآن واستعملها الثاني في ضبط قراءة القرآن حتى
'يقراً قراءة متفقة مع أفضل أساليب اللغة التي أنزل بها .

(٣) من حيث التفاصيل :

أما نقاط الالتقاء من حيث التفاصيل فهي :

أولاً : إن عبد القاهر جعل أساس نظريته أن تراعى قوانين النحو
حيث تعتمد إلى اسم فتجعله فاعلاً لفعل أو مفعولاً .. أو تعتمد إلى اسمين
فتجعل أحدهما خبراً عن الآخر أو تتبع الاسم اسماً على أن يكون الثاني
صفة الأول أو تأكيداً له أو بدلاً منه .

وهذه القوانين النحوية والحالات الاسلوبية هي أساس الممارسة عند
النحاس .. وعليها مدار كتابه : « القطع والائتناف » ..

ثانياً : من الحالات التي جعلها عبد القاهر أساساً للممارسة النحوية
هي أن تبيء باسم بعد تمام كلامك فتجعله صفة أو حالاً أو بدلاً .. والاهتمام
بالأتمّة وحالة الوقف التام وصلة الاسم - في حالات كونه صفة أو حالاً
أو بدلاً - بم-ذا الوقف التام هو من أهم القضايا التي اهتم بها النحاس
في كتابه .

ثالثاً : وليس هذا فحسب ، بل إن عبد القاهر استعمل عبارة « الاستئاف »

في كتابه « دلائل الإعجاز » أكثر من مرة ، في موضوع واحد هو :
« الفصل والوصل » ، وهي عبارة النحاس ، وجل « السابقين له استعملوا عبارة
« الوقف والابتداء » في هذا الموضوع أما هو فقد استعمل « القطع والائتناف »
فلو لم يتأثر عبد القاهر بالنحاس لاستعمل عبارة البلاغيين « الفصل والوصل »
وهي العبارة التي عقد من أجلها الباب .

رابعاً : وليس هذا فحسب ، بل إن عبد القاهر وقف عند بعض
الآيات في باب « الفصل والوصل » ، وهي من موضوعات « القطع والائتناف »
وكان يستطيع أن يقف على مئات الآيات أمثالها ، وهي قوله تعالى : « إن
الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » (سورة البقرة
آية : ٦) . بل كان وقوفه عند الجزء الذي وقف عنده النحاس تماماً . فقد
وقف عند قوله تعالى : « لا يؤمنون » مبيناً أنه تأكيد لقوله تعالى : « أأنذرتهم
أم لم تنذرهم » ، وأن معناها يتصل بالأول كما ترتبط الصفة بالموصوف
والتأكيد بالمؤكد (١) .

وبناء على فهمنا لنظرية النظم عند الجرجاني نرى أنه يريد أن يقول :
إن تمام الكلام هو « لا يؤمنون » ، وإنه يتصل بما قبله « أأنذرتهم أم
لم تنذرهم » تمام الاتصال ولذلك فصل بينه وبين ما بعده تمام الانفصال فلا
يعطف عليه . وتلك حالة من حالات ترك العطف التي بسط فيها عبد القاهر
القول في دلائل الإعجاز (٢) .

ومعنى هذا أن عبد القاهر جعل تمام الكلام « لا يؤمنون » وهذا
ماءبر عنه النحاس بكل وضوح حين قال : (والأدلى أن يكون القطع
« لا يؤمنون » ويكون كافياً) (٣) .

(١) نفسه : ١٧٤ ، ١٧٥ . (٢) نفسه : ١٨٧ .

(٣) القطع والائتناف ، لوحة ١٤ : ١

فألوسيلة واحدة والغاية واحدة والملامح والقسيمات التفصيلية متشابهة في موضوع واحد ..

أليست هذه الدلائل على تأثير نظرية النظم عند النحاس في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني دلائل كافية ؟

ولله الحمد في الأولى والآخرة . وهو حسبي ونعم الوكيل .

كلية الآداب

الجامعة المستنصرية - بغداد أحمد نصيف الجنابي

المراجع المساعدة

— إعراب القرآن . لأبي جعفر النحاس (مخطوط مكتبة فاتح باستنبول رقم ٨٨) .

— بغية الوعاة : للسيوطي ، تحقيق أبي الفضل إبراهيم ط . القاهرة ١٩٦٤ م

— تاريخ علماء الأندلس : تأليف ابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ) ط .

القاهرة ١٩٦٦ .

— حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، للسيوطي ، تحقيق أبي

الفضل إبراهيم ، ط . القاهرة ١٩٦٧ م .

— دلائل الإعجاز : تأليف عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)

مطبعة المنار ١٣٣١ هـ .

- رسالة إعراب قول سيويه في أول الكتاب : هذا باب علم ما الكلام من العربية ، (مخطوطة ضمن مجموع رقمه ٢٧٤٠ ، بمكتبة شهيد علي باشا بتركيا) .
- شرح القصائد التسع المشهورات ، لأبي جعفر النحاس ، تحقيق أحمد خطاب ، ط . بغداد ١٩٧٣ م .
- طبقات القراء (أو غاية النهاية في طبقات القراء) . لابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) ، ط . مصر ١٣٥١ هـ .
- عبد القاهر الجرجاني . الدكتور أحمد أحمد بدوي (سلسلة أعلام العرب)
- عبد القاهر الجرجاني . للدكتور أحمد مطلوب .
- فهرسة ابن خير الاشبيلي (ت ٥٧٥ هـ) . مطبعة قومش بسرقة ١٨٩٣ م .
- في الميزان الجديد . للدكتور محمد مندور .
- القطع والائتناف . لأبي جعفر النحاس . مخطوط مصور بمعهد المخطوطات برقم ٥٧ - ٥٨ قراءات .
- لطائف الإشارات لفنون القراءات للإمام القسطلاني (ت ٩٢٣ هـ) تحقيق الشيخ عامر عثمان والدكتور عبد الصبور شاهين ، ط . القاهرة ١٩٧٢ م (الجزء الأول فقط) .
- اللغة العربية ، معناها ومبناها . للدكتور تمام حسان ط . القاهرة ١٩٧٣ م
- المكتفى في الوقف والابتدا ، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ) ، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات رقم ٩١ قراءات .
- النسخ والنسوخ في القرآن . للنحاس ، ط . مصر ١٣٢٣ هـ .

التذكرة لأبي حيان الأندلسي

الدكتور عفيف عبد الرحمن

أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي
الغرناطي ، ينتسب إلى قبيلة نفزة ، القبيلة البربرية^(١) . ولد بمدينة مطبخشارش ،
وهي مدينة من حضرة غرناطة ، في أواخر شوال سنة ستمائة وأربع وخمسين .^(٢)
وقد ذكر الصفدي في كتابه « الوافي بالوفيات » مانصه : « قاله وكتبه أبو حيان
محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان ، ومولدي بغرناطة في أخريات شوال
سنة أربع وخمسين وست مائة »^(٣) إشارة إلى إتمام ما أجاب به أبو حيان^٤
الصفدي حينما كتب إليه يستدعي إجازته بهارواه^(٤) .

وأبو حيان عالم غني عن التعريف ، تفتح عقله فتطلع إلى التزود بالمعرفة
والثقافة ، ففي بلده درس على شيوخها ، وأخذ عن أساتذتها ، ثم طوف في

(١) بغية الوعاة للسيوطي ٢٨٠/١ ، نفح الطيب للعقري بتحقيق إحسان عباس
٥٣٥/٢ وما بعدها .

(٢) نكت الهميان ٢٨٠ وشذرات العباد ١٤٥/٦

(٣) الوافي بالوفيات ٢٨١/٥

(٤) انظر نص كتاب الصفدي وإجابة أبي حيان في الوافي ٢٧٦/٥ - ٢٨١ ،
نفح الطيب ٥٤٨/٢ - ٥٥٣

بلاد الأندلس كثيراً يبحث عن المعرفة ، ولم يكفه ذلك بل رحل إلى الشرق باحثاً عن الشيوخ ليتلقى عنهم . وقد خدم العلم ثمانين عاماً . ولعل من المفيد لنا أن ندع أبا حيان نفسه يحدثنا عن نفسه وعلمه وذلك في معرض رده على ما كتبه الصفدي إليه استدعاءً ، ليجيزه مارواه من المسانيد والمصنفات والسنن والمجاميع الحديثية والتصانيف الأدبية ، نظماً ونثراً ، إلى غير ذلك من أصناف العلوم على اختلاف أوضاعها ، وتباين أجناسها وأنواعها ، مما تلقاه ببلاد الأندلس وإفريقية والاسكندرية والديار المصرية والبلاد الحجازية وغيرها من البلدان ، بقراءة أو سماع أو مناولة أو إجازة خاصة أو عامة ، كيفما تأدى ذلك إليه ، وإجازة ماله من التصانيف في تفسير القرآن العظيم والعلوم الحديثية والأدبية وغيرها ، وماله من نظم ونثر إجازة خاصة ، وأن يثبت بخطه تصانيفه إلى حين ذلك التاريخ ، وأن يجيزه إجازة عامة لما يتجدد له من بعد ذلك على رأي من يراه ويجوزه ، (١) .

يقول أبو حيان مجيباً طلب الصفدي : أعزك الله ، ظننت بإنسان جميلاً فغايت ، وأبديت من الإحسان جزيلاً وما باليت ، وصفت من هو القتام يظنه الناس سماء ، والسراب يحسبه الظمآن ماء ... وقد أجزت لك — أيدك الله تعالى — جميع ما رويته عن أشياخي بجزيرة الأندلس وبلاد إفريقية وديار مصر والحجاز وغير ذلك ... فمن مروياتي الكتاب العزيز قرأته بقراءة السبعة على جماعة من أعلام الشيخ المسند المعمر فخر الدين أبو الطاهر إسماعيل بن هبة الله بن علي بن هبة الله المصري ابن المليحي ، آخر من روى القرآن بالتلاوة على أبي الجود ، والكتب الستة والموطأ ومسنده

عَبْدُ بنُ مُحَمَّدٍ ومُسْنَدُ الدَّارِمِيِّ ومُسْنَدُ الشَّافِعِيِّ ومُسْنَدُ الطَّيَالِسِيِّ والمُعْجَمُ الْكَبِيرُ لِلطَّبْرَانِيِّ والمُعْجَمُ الصَّغِيرُ لَهُ وَسُنَنُ الدَّارِ قُطْنِيٍّ وَغَيْرُ ذَلِكَ .

وَأَمَّا الْأَجْزَاءُ فَكَثِيرَةٌ جِدًّا ، وَمِنْ كُتُبِ النُّحُوِّ وَالْأَدَابِ فَاُرْوِي بِالْقِرَاءَةِ كِتَابُ سَيَبَوِيهِ وَالْإِيضَاحُ وَالتَّكْمِلَةُ وَالْمَقْصَلُ وَجَمَلُ الزَّجَاجِيِّ وَغَيْرُ ذَلِكَ ، وَالْأَشْعَارُ السِّتَةُ وَالْحَمَاسَةُ وَدِيْوَانُ حَبِيبٍ وَالْمُتَنَبِّيِّ وَالْمَعْرِيِّ ، .

« وَأَمَّا شَيْوُخِي الَّذِينَ رَوَيْتَ عَنْهُمْ بِالسَّمَاعِ أَوْ الْقِرَاءَةِ فَهُمْ كَثِيرٌ ، وَأَذْكَرُ الْآنَ جَمَلَةٌ مِنْ عَوَالِيهِمْ : (١) فَهُمْ الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي الْأَحْوَصِ الْقُرَشِيِّ . . . » وَيَذْكَرُ مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثِينَ شَيْخًا (٢) . وَمِنْ كُتُبِ عَنْهُ مِنْ مَشَاهِيرِ الْأَدْبَاءِ أَبُو الْحَكَمِ مَالِكُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْفَرَجِ الْمَالَتَقِيُّ ابْنُ الْمَرْحَلِ ، وَأَبُو الْحَسَنِ هَازِمُ الْأَنْصَارِيِّ الْقُرْطَاجَنِيِّ . . . » وَيَعْدُدُ اثْنَيْ عَشَرَ مِنْهُمْ (٣) . « وَمِنْ أَخَذَتْ عَنْهُ مِنَ النُّحَاةِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَشْنِيِّ الْأُبُدِيِّ ، وَأَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يَوْسُفَ الْكَتَامِيِّ ، ابْنُ الضَّائِعِ ، وَأَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الزُّبَيْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الزُّبَيْرِ الْمُتَّقَفِيِّ ، وَأَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ يَوْسُفَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يَوْسُفَ الْفَهْرِيِّ الْأَشْبِيلِيِّ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ نَصْرِ الْحَلَبِيِّ ، ابْنُ النُّجَاسِ (٤) . ثُمَّ يَذْكَرُ لَنَا مِنْ لَقِيَهُمْ مِنَ الظَّاهِرِيَّةِ فِيَقُولُ ، وَمِنْ لَقِيَتْهُ مِنَ الظَّاهِرِيَّةِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ خَالِصِ الْأَنْصَارِيِّ الْإِسْبِيلِيِّ الزَّاهِدِ ، وَأَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعْدُونَ الْفَهْرِيِّ الشُّنْتَمَرِيِّ (٥) . »

(١) وردت هذه العبارة في النفح « واذكر الآن منهم جماعة » ونص الصفدي أقرب إلى الصواب .

(٢) نفح الطيب ٥٥٠/٢ - ٥٥١ ، الوافي بالوفيات ٥٤٩/٥ - ٥٥٠ .

(٣) نفح الطيب ٥٥١/٢ (٤) المصدر السابق

(٥) نفح الطيب ٥٥٢/٢

وبقدر أبو حيان عدد الذين سمع منهم بنحو من أربعمائة شخص وخمسين وأما الذين أجازوه فعالم كثير جداً من أهل غرناطة ومالقة وسبته وديار إفريقية وديار مصر والحجاز والعراق والشام^(١) .

وهكذا فإن أبا حيان كان واسع الاطلاع غزير العلم لكثرة مصادر علمه وتنوعها ، وقد وصفه الكمال جعفر فيما نقل عنه صاحب الدرر الكامنة بأنه « شيخ الدهر وعالمه ، ومحبي الفن الأدبي بعدما درست معالمه ، ومجري اللسان العربي فلا يقارن أحد فيه ولا يقارمه »^(٢) . ووصفه تلميذه الصفدي مشيراً إلى ثقافته ومدى تحصيله للعلم والمعرفة بقوله :

« ... ولم أر في أسياسي أكثر اشتغالاً منه لأني لم أره إلا يسمع أو يشتغل أو يكتب ولم أره على غير ذلك ، وله إقبال على الطلبة الأذكياء وعنده تعظيم لهم ... وأما النحو والتصريف فهو إمام الدنيا فيها لم يذكر معه من أقطار الأرض غيره في العربية ، وله اليد الطولى في التفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم ... »^(٣) .

ولم يكن أبو حيان مبرزاً في العربية وآدابها فحسب بل كان ملمّاً بلغات أخرى مما ساعده على الاتساع في المعرفة ، فقد كان يجيد اللغتين الفارسية والتركية ، كما أتقن الحبشية ، وليس أدل على إتقانه هذه اللغات من أنه ألف كتاباً في نحو اللغة الفارسية « منطق الخرس في لسان الفرس »^(٤) وآخر في نحو اللغة التركية « كتاب الإدراك للسان الأتراك » وقد طبع هذا

(١) نفح الطيب ٥٥٢/٢

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر ٣٠٦/٤ طبعة الهند

(٣) الوافي بالوفيات ٢٦٧/٥ ، بغية الوعاة ٢٨١/١

(٤) نكت الهميان للصفدي ٢٨٤

الكتاب بالقسطنطينية عام ١٣٠٩ هـ . أما رسالته في الحبشية فلم يتمها « نور الغبش في لسان الحبش » ، ^(١) .

أخلاقه :

لخص المقرئ في نفح الطيب ما وصف به الرعيني « أبا حيان فقال : « وهو شيخ فاضل مارأيت مثله ، كثير الضحك والانبساط ، بعيد عن الانقباض ، جيد الكلام ، حسن اللقاء ، جميل المؤانسة ، فصيح الكلام ، طلق اللسان ، ذولمة وافرة ، وهمّة فاخرة ، له وجه مستدير ، وقامته معتدلة التقدير ، ليس بالطويل ولا بالقصير » ^(٢) . ويصفه لسان الدين بن الخطيب بأنه « .. كان شديد البسط مهيباً جهورياً ، مع الدعابة والغزل ، وطرح التسمت ، شاعراً مكثراً ، مليح الحديث ، لا يمل » وإن أطال ، وأسن جداً فانتفع به » ^(٣) . أما الأدفوي فقد وصفه بأنه كان يفخر بالبخل كما يفخر الناس بالكرم ، ثباتاً صدوقاً حجة سالم العقيدة من البدع الفلسفية والاعتزال والتجسيم ... كثير الخشوع والبكاء عند قراءة القرآن ، وكان شيخاً طوالاً حسن النعمة ، مليح الوجه ، ظاهر اللون مشرباً بجمرة ، منور الشيبة ، كبير اللحية ، مسترسل الشعر ... » ^(٤) .

وهكذا فإننا نجد أن الرجل كان مكتمل الخلق والخلق لا يعيبه شيء إلا ما ذكر عن بخله وحبّه للمال ، فإذا عرفنا تطواف الرجل وهربه إلى مصر والمشرق لأسباب سذكروها ، نعلم خوفه من غدر الزمان به ، وقد روى كمال الدين الأدفوي فقال : قال لي أبو حيان : « إذا قرأت أشعار المشرق أميل إليها ، وكذلك أشعار الشجاعة تستميلني ، وغيرهما ، إلا أشعار الكرم ما تؤثر في » ^(٥) .

(١) الوافي بالوفيات ٢٨١/٥

(٢) نفح الطيب ٥٦٥/٢

(٣) بغية الوعاة ٢٨٢/١

(٤) المصدر السابق ٥٨٠/٢

(٥) نفح الطيب ٥٤٣/٢

ودافع الصفدي عنه فقال « والذي أراه فيه أنه طال عمره وتغرب ،
 وورد البلاد ، ولا شيء معه ، وتعب حتى حصل المناصب تعباً كثيراً ،
 وكان قد جرب الناس ، وحلب أشطُر الدهر ومرت به حوادث فاستعمل
 الحزم .. » (١) .

وقد كان أبو حيان يقول « يكفي الفقير في مصر أربعة أفلس يشتري
 له بائنة بفلسين وبفلس زيبا ، وبفلس كوز ماء ، ويشترى ثاني يوم ليمونا
 بفلس لياكل به الخبز » (٢) .

ولمنا نجد في هذه الأبيات لأبي حيان ما يبرر فعلته وسلوكه ويبين
 ما كان يقاسيه من الناس إذ يقول :

حلبت* الدهر أشطـره زمانا	وأغواني العيان عن السؤال
فما أبصرت من خلٍ وفي*	ولا ألفيت مشكور الحلال
ذئاب في ثياب قد تبدت	لرائها بأشكال الرجال
ومن يك يدعي منهم صلاحا	فزنديق تغفل في الضلال
ترى الجهال تتبعه وترضى	مشاركةً بأهل أو بمال
فينهب ما لهم ويصيب منهم	نساءهم بمقبـوح الفعـال (٢)

ويوصي أبو حيان أهله حينما قدم إلى مصر فيقول « ينبغي للعاقل أن
 يعامل كل أحد في الظاهر معاملة الصديق وفي الباطن معاملة العدو في التحفظ
 منه والتحرز ، وليكن في التحرز من صديقه أشد في التحرز من عدوه ،
 وليعتقد أن إحسان شخص إلى آخر وتودده إليه إنما هو لغرض قام له فيه
 يتعلق به ، يبعثه على ذلك ، لا لذات ذلك الشخص ، وينبغي أن يترك

(١) النفح ٥٤٣/٢

(٢) المصدر نفسه ٥٦٧/٢

الإنسان الكلام في ستة أشياء : في ذات الله تعالى وما يتعلق بصفاته ، وما يتعلق بأحوال أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وفي التعرض لما جرى بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، وفي التعرض لأئمة المذاهب رحمهم الله تعالى ورضي عنهم ، وفي الطعن على صالحى الأئمة نفع الله بهم ، وعلى أرباب المناصب والرتب من أهل زمانه ، وألاً^١ يقصد أذى أحد من خلق الله سبحانه وتعالى إلا على حساب الدفع عن نفسه ، وأن يعذر الناس في مباحثهم وإدراكاتهم فإن ذلك على حسب عقولهم ، وأن يضبط نفسه عن المراء والاستزراء والاستخفاف بأبناء زمانه ، وألاً^١ يبحث إلا مع من اجتمعت فيه شرائط الديانة والفهم والمزاولة لما يبحث ، وألاً^١ يغضب على من لا يفهم مراده ومن لم يدرك ما يدركه ، وأن يلتبس مخرجاً لمن ظاهر كلامه الفساد . . . الخ ،^(١) وهي وصية طويلة جامعة نافذة نقلها المقرئ من خط الشيخ العلامة أبي الطيب ابن علوان التونسي المالكى الشهير بالمصري ، وهو ممن أخذ عن تلامذة الشيخ أبي حيان .

وتبقى بعد ذلك قضية تتصل بخلق أبي حيان وهي صلته ببعض شيوخه الذين أخذ عنهم . فقد ذكرت المصادر التي ترجمت له أنه انحرف عن ابن تيمية بعد أن كان يحضر مجلسه ، وذلك أنه كان يحضر مجلسه ذات مرة والمجلس غاص فمدحه ارتجالاً :

لما أتينا بقي الدين لاح لنا داع إلى الله فردّ ماله وزرّ
على محياه من سبأ الألى صحبوا خير البرية ، نورّ دونه القمر
إلى أن يقول :

كنا نحدث عن حبرٍ مجيء فيها أنت الإمام الذي قد كان ينتظر^(١)

ثم يضيف صاحب نفح الطيب أنه انحرف عنه فيما بعد ، ومات وهو على انحرافه ، ولذلك أسباب : منها أنه قال له يوماً : كذا قال سيبويه ، فقال يكذب سيبويه ، فانحرف عنه^(٢) . ويضيف صاحب بغية الوعاة أن ابن تيمية قال : لقد أخطأ سيبويه في ثلاثين موضعاً من كتابه ، فأعرض أبو حيان عنه ورماه في تفسيره «النهر» بكل سوء^(٣) . وكذلك فقد أورد صاحب نفح الطيب خبراً عن لسان الدين ابن الخطيب أن أبا حيان حملته حدة الشيبة على التعرض لأستاذه أبي جعفر الطباع ، وقد رفع أمره الأمير محمد بن نصر المدعي بالفضيلة ، وكان أبو حيان كثير الاعتراض عليه أيام قراءته عليه فتأثر من ذلك ، وقد عزم السلطان أن ينكل بأبي حيان حيث أمر بإحضاره ، ولكن أبا حيان أحس بما اعتزم عليه فاخفى ثم ركب البحر ولحق بالمشرق لا يلتفت خلفه^(٣) .

ولسنا هنا في هذه العجالة بقادرين على مناقشة هذه الآراء بشكل موسع ولكننا نميل إلى أن أبا حيان إنما دفعه إلى الخروج عن احترامه لشيخه والهرب إلى المشرق أمر عظيم ، ولن تكون حدة الشيبة وحدها هي التي جعلته يفعل هذا ، فربما كان يخالف هؤلاء الرأي ، وربما أرادوا أن يكرهوه على أن يسلك مسلكاً لا يؤمن به ، وإيم لا يكون الطموح هو الذي دفعه إلى مغادرة الأندلس ممتزجاً بالخوف على حياته من وشاية أو فتنة ؟ .

(١) نفح الطيب ٥٧٨/٢

(٢) بغية الوعاة ٢٨٢/١ ، شذرات الذهب ١٤٦/٦

(٣) نفح الطيب ٥٨١/٢ و ٥٨٣

رحلته إلى المشرق :

أرى أن من المفيد حقاً أن أورد ما ذكره الأقدمون عن سبب هذه الرحلة فهي تنطق بالأسباب ولا تحتاج إلى تعليق . يقول لسان الدين ابن الخطيب في معرض مدحه لأبي حيان « ونالته نبوة لحق بسببها بالمشرق ، واستقر بمصر ، فزال بها ماشاء من عز وشهرة ، وتأنل وافر وحظوة » (١) .

كما ذكر ابن الخطيب بعد ذلك ما حدث بينه وبين أستاذه أبي جعفر الطباع ، وكذا بينه وبين أستاذه ابن الزبير بسبب حدة الشبهة (٢) .

وذكر صاحب نفح الطيب مايلى « أفاد غير واحد أن سبب رحلة الشيخ أبي حيان عن الأندلس أنه نشأ شر بينه وبين شيخه أحمد بن علي ابن الطباع فألف أبو حيان كتاباً سماه « الإلماع في إفساد إجازة ابن الطباع » فرفع ابن الطباع أمره للأمير محمد بن نصر المدعو بالفقيه ... الخ ، الرواية التي سبق ذكرها (٣) .

وذكر السيوطي في البغية أنه رأى في كتابه النصار (٤) الذي أنفقه في ذكر مبدئه واشتغاله وشيوخه ورحلته أنه مما قوى عزمه على الرحلة عن غرناطة أن بعض العلماء بالمنطق والفلسفة والرياضي والطبيعي قال للسلطان : إني قد كبرت وأخاف أن أموت فأرى أن ترتب لي طلبه أعلمهم هذه العلوم ، لينفعوا السلطان من بعدي . قال أبو حيان : فأشير إليّ أن أكون من أولئك

(١) نفح الطيب ٤/٥٨٠

(٢) المصدر نفسه ٩/٥٨١

(٣) المصدر نفسه ٤/٥٨٣

(٤) نزار هي بنت أبي حيان وقد حضرت مجالس العلماء وإجازها أبو جعفر بن الزبير وحفظت مقدمة في النحو وحدثت بشيء من مروياتها . ولما توفيت عمل والدها فيها كتاباً سماه « النصار في المسئلة عن نزار » وقد توفيت سنة ٧٣٣ هـ .

ويرتب لي راتب جيد وكسا وإحسان ؛ فتمنعت مخافة أن أكره على ذلك .
وبمناقشة هذه الأخبار وتمحيصها نجدها لا تخرج عما قدرناه آنفاً ، وهو
أن أبا حيان أحس بخطر محقق به ووجد آمالاً تنتظره في المشرق ، فلم لا يرحل ؟
أما تاريخ خروجه من الأندلس فقد حدده المقرئ بعام ٦٧٩ هـ ^(١) ،
وأوقع هذا الخبر صاحب الدرر الكامنة في لبس فزعم أنه دخل مصر عام
٦٧٩ هـ ^(٢) . وأما كتب التاريخ فلم تحدد تاريخ دخوله مصر ، غير أن
دائرة المعارف الإسلامية ذكرت أنه حضر دروس ابن النحاس في النحو
إلى عام ٦٩٨ هـ ^(٣) . ويميل أحد الباحثين إلى أنه خرج من الأندلس وطوف
في بلاد المشرق وشمال إفريقيا وأدى فريضة الحج ودخل مصر بعد ذلك
بعد سنة ٦٩٥ على وجه التقريب مستنداً إلى أن تلمذة أبي حيان على شيخه
ابن النحاس لن تزيد عن ثلاث سنوات ^(٤) .

وبحدثنا تلميذه الصفدي عن هذه المرحلة من حياة أستاذه فيقول :
ولما قدم البلاد لازم الشيخ بهاء الدين ابن النحاس رحمه الله كثيراً وأخذ
عنه كتب الأدب ، وهو - يعني أبا حيان - شيخ حسن العمة مليح الوجه ...
وكان له خصوصية بالأمير سيف الدين أرغون الدودار الناصري نائب السلطان
بالممالك الإسلامية يتبسط معه ويبيت عنده ... وتولى تدريس التفسير بالقبة
المنصورية والإقراء بالجامع الأحمر ، وقرأت عليه الأشعار الستة والمقامات

(١) نفح الطيب ٥٨٤/٢ (٢) الدرر الكامنة ٤٠٤/٤

(٣) دائرة المعارف الإسلامية (النص العربي المترجم) ج ١/٣٣٣

(٤) أبو حيان الأندلسي ومنهجه في الدراسات النحوية - عبد العال سالم مكرم -

مجلة كلية الآداب والتربية - جامعة الكويت - العدد الثاني ديسمبر ١٩٧٢ - ص ١١

الحريرية ... وقرأت عليه أيضاً سقط الزند لأبي العلاء وقرأت عليه بعض الحماسة لأبي تمام الطائي ومقصورة ابن دريد ... الخ ،^(١) .

ولما توفي ابن النحاس خلفه أبو حيان وجلس مكانه وملاً فراغه^(٢) قال الصفدي « وكان له إقبال على الطلبة الأذكياء وعنده تعظيم لهم »^(٣) .

مذهبه النحوي :

أبو حيان بصري المذهب يذكر هذا في كتبه التي ألفها ، فإذا ذكرهم أو ذكر أحدهم قال : والذي عليه أصحابنا^(٤) . ولعل هذا المذهب هو الذي دعاه إلى أن يعيب بعض الأدلة التي بنى عليها ابن مالك قواعده النحوية لأن هذه الأدلة يتسرب إليها الاحتمال ، والدليل ينبغي ألا يتسرب إليه الاحتمال وإلا سقط به الاستدلال . ولعل هذا هو الذي دعاه إلى الحملة على ابن مالك فقد ذكر المقرئ أن ابن النحاس شيخ أبي حيان ، ولم يأخذ أبو حيان عن ابن مالك وإن عاصره بنحو ثلاثين سنة . وانهم أبو حيان ابن مالك بأنه لم يصحب من له البراعة في علم اللسان ولذا تضعف استنباطاته قال : وهذا شأن من يقرأ بنفسه ويأخذ العلم من الصحف بفهمه^(٥) .

معتقده :

وصفه الأدقوي في البغية بأنه كان سالم العقيدة من البدع الفلسفية والاعتزال والتجسيم ، وأنه مال إلى أهل الظاهر وإلى محبة علي بن أبي طالب ، كثير الخشوع والبكاء عند قراءة القرآن^(٦) .

(١) الوافي بالوفيات ٢٦٨/٥ - ٢٦٩

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٣٣٣/١

(٣) شذرات الذهب ١٠٦/٦ ، الوافي بالوفيات ٢٦٧/٥

(٤) ذكر هذا كثيراً في التذكرة التي سنعرض لها بالتفصيل

(٥) نفح الطيب ٢٢٨/٢ - ٢٣٠ (٦) بغية الوعاة ٢٨٢/١

وذكر الصفدي أنه كان أولاً يرى رأي الظاهرية ، ثم إنه تمذهب بمذهب الشافعي (١) . أما أبو البقاء فكان يقول : إنه لم يزل ظاهرياً (١) . ونسب ابن حجر في الدرر الكامنة إليه أنه كان يقول : محال أن يرجع عن مذهب الظاهر من علق بذهنه (٢) .

نتاجه العلمي :

أسهم أبو حيان كعالم في الحركة العلمية ، وبخاصة فيما يتصل باللغة والنحو والصرف والتفسير والأدب ، بنصيب وافر . ولم يقف به الحد عند الكتابة والتأليف بلغته بل كتب في نحو لغات أخرى كما مرّ بنا سابقاً . ولم يترك فثلاً من الفنون التي عرفها عصره إلا وأسهم فيه بنصيب .

لقد ذكر الرعيني أن تصانيفه تزيد على خمسين ما بين طويل وقصير (٣) أما تلميذه الصفدي فقد ذكر تصانيفه على لسان أبي حيان نفسه حينما كتب إليه مجيباً (٤) . وتسهيلاً لمرضاها سأحاول أن أضعها في الفئات التالية :

كتب منشورة ومحققة ، وكتب مازالت مخطوطة تنتظر التحقيق والنشر ، وكتب ضلت طريقها إلينا .

فمن كتبه التي حققت ونشرت :

- ١ - البحر المحيط : في ثمانية أجزاء مطبوعة السعادة بصر ١٣٢٨ هـ وهو تفسير القرآن الكريم تفسيراً نحويّاً .
- ٢ - النهر الماد : في جزئين كبيرين مطبوع على حاشية البحر المحيط .

(١) الوافي بالوفيات ٢٦٨/٥ (٢) الدرر الكامنة ٣٠٤/٤

(٣) نفح الطيب ٥٦٣/٢

(٤) الوافي بالوفيات ٢٨٠/٥ - ٢٨١ ، نفح الطيب ٥٥٢/٢ ، بغية الرعاة

- ٣ - تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب - طبع بحمادة بسورية ١٣٤٥ هـ ويقع في ١٤٢ صفحة .
- ٤ - التذيل والتكميل في شرح التسهيل : طبع جزء منه بمطبعة السعادة بمصر ١٢٢٨ هـ .
- ٥ - الارتضاء في الفرق بين الضاد والطاء : طبع ببغداد ١٩٦١ م .
- ٦ - كتاب الإدراك للسان الأتراك : طبع بالقسطنطينية ١٣٠٩ هـ .
- ومن كتبه التي مازالت مخطوطة ومحفوظة في دور الكتب والمخطوطات في العالم :
- ١ - إرتشاف الضرب من لسان العرب : وهو كتاب ضخم توجد منه نسخة كاملة بالمدينة المنورة تقع في أكثر من ألف ومائتي ورقة تحت رقم ١٨ نحو ، وكذا جزء منه بمكتبة جستر بتي بدبلن ، وبالحزانة العامة بالرباط وغيرها من المكتبات . وقد ألفه ليختصر كتاب التذيل .
- ٢ - غاية الإحسان في علم اللسان : وهي مقدمة في علم النحو .
- ٣ - النكت الحسان في شرح غاية الإحسان : وهو شرح المقدمة ويقع في مائة وإحدى وثلاثين ورقة . وأقوم بتحقيقه وسيروى النور قريباً إن شاء الله .
- ٤ - التدريب في تمثيل التقريب : بمعهد إحياء المخطوطات في ثلاثين ورقة .
- ٥ - تقريب المقرب : وهو شرح وإعادة بناء لكتاب المقرب لابن عصفور ، وقد قمت بتحقيقه وسيظهر إن شاء الله قريباً ، ويقع المخطوط في اثنتين وسبعين ورقة .
- ٦ - المبدع الملخص من المتع : (بدار الكتب ضمن مجموعة) و (معهد إحياء المخطوطات العربية) .

٧ - الموفور من شرح ابن عصفور : بدار الكتب ضمن مجموعة بخط أبي حيان) .

٨ - التذييل والتكميل في شرح التسهيل .

٩ - التنخيل الملخص من شرح التسهيل .

١٠ - التكميل في شرح التسهيل .

١١ - اللمحة البدرية في علم العربية : كتيب في سبع ورقات .

١٢ - الهداية في النحو : كتيب .

١٣ - تذكرة النحاة . ويقع في أربع مجلدات كبار (١) وقد عثرت عليه وأقوم بتحقيقه منذ فترة .

١٤ - دالية في تفضيل النحو مطلعها :

هو العلم لا كالم شيء تراوده لقد فاز باغيه وأنجح قاصده

وقد مدح بها النحو والخليل وسيبويه ثم خرج منها إلى مديح صاحب غرناطة وغيره من أسيادها ، وتزيد على مائة بيت كما ذكرته المصادر ، ولكنني حصلت على نسخة منها في الخزانة العامة عدد أبياتها أكثر من الذي ذكر بكثير ، ورغبت في تحقيقها ولكن رداءة خطها والتلف الذي أصاب بعض صفحاتها حالا دون ذلك . وتقع في مائة وثمان وستين ورقة ، ورقها ٣٢٩ وربما كانت الدالية هي التي عنها بلائيا في كتابه (تاريخ الفكر الأندلسي) (٢) حينما ذكر أنها موجودة بمكتبة برلين . والدالية لم تذكر في إجازته للصفدي .

أما الكتب المفقودة :

١ - الشذا في أحكام كذا .

(١) بغية الوعاة ٢٨٢/١

(٢) تاريخ الفكر الأندلسي - بلائينا ص ١٨٨ - ١٨٩

- ٢ - القول الفصل في أحكام الفصل : وهي ورقات في النحو ، وقد ذكرها أبو حيان في البحر المحيط ١/٤٤ .
- ٣ - الشذرة أو الشذرة الذهبية .
- ٤ - شرح كتاب سيبويه .
- ٥ - التجريد لأحكام سيبويه .
- ٦ - الاسفار المُلخص من شرح سيبويه للصفّار : وقد لخص فيه شرح كتاب سيبويه لأبي الفضل البطلانيوسي قاسم بن علي المشهور بالصفار .
- ٧ - الأفعال في لسان الترك .
- ٨ - زهو الملك في نحو الترك .
- ٩ - منطق الحرس في لسان الفرس .
- ١٠ - نور الغبش في لسان الحبش : وهو مما لم يكمله .
- ١١ - الخبور في لسان اليخمر : وهو مما لم يكمله .
- ١٢ - نهاية الإغراب في علمي التصريف والإعراب .
- وفاته :

اتفق جل المؤرخين على أنه توفي عام ٧٤٥ هـ في الثامن عشر من صفر بعد عصر السبت في منزله خارج باب البحر بالقاهرة ، ودفن بمقبرة الصوفية خارج باب النصر ، وصلى عليه صلاة الغائب بدمشق .

وقد رثاه تلميذه الصفدي بقصيدة منها :

مات أثير الدين شيخ الورى	فاستعر البارق واستعبراً
ورق من حزن نسيم الصبا	واعتل في الأسجار لما سرى
مات إمام كان في علمه	يرى إماماً والورى من ورا ^(١)

وهي قصيدة طويلة .

(١) الوافي بالوفيات للصفدي ٥/٢٨٢

كتاب التذكرة

جاء في كتاب الدكتور خديجة الحديشي عن أبي حيان في معرض حديثها عن الكتب المفقودة لأبي حيان أن كتاب التذكرة لأبي حيان ألفه في النحو ، وقد سماه بعضهم التذكرة في العربية . وأضافت « ولا نعرف شيئاً عن هذا الكتاب لأنه من كتب أبي حيان المفقودة .. (١) . وقد أتيت لي فرصة زيارة المملكة المغربية الشقيقة في صيف عام ثلاثة وسبعين ، وكنت قد أطلعت على ماكتبته الباحثة ، وأقمت شهراً كاملاً أتردد على الخزانة العامة بالرباط أنقب في مخطوطاتها وأختار ما أراه يستحق البحث والتحقيق . وعثرت ، فيما عثرت عليه ، على مخطوط التذكرة ، الجزء الثاني منها تحت رقم ٢١٤ ق . ويقع المخطوط في مائتين وأربع وثمانين ورقة (٢٥ سطراً ، ١٩٦٥ سم × ٢٨ سم) والمخطوط معنون بـ « تذكرة النحاة لأبي حيان » فقامت بتصويره وصحبتني النسخة إلى المشرق ، وترددت قبل أن أقوم بنشرها وتحققها لعدة أسباب :

أولها : أنها فريدة لاثنية لها ، وثانيها : أنها جزء من كتاب . إلى أن نصحتني أحد أساتذتي بأن أقوم بالتعريف بالمخطوط والإشارة إلى الرغبة في التحقيق كإعلان ضمني لمن لديه علم بنسخ أخرى لها أو أجزاء في هذا العالم المترامي الأطراف ، وما أنا أنفذ النصيحة وأقوم بها أشار به .

المصادر التي ذكرت المخطوط :

فوات الوفيات ٥٦١/٢ طبعة القاهرة ١٩٥١ م .

طبقات الشافعية ٣٢/٦ - - ١٣٢٤ هـ .

(١) أبو حيان النحوي - خديجة الحديشي ١٦٦

البدر الطالع بمحاسن مابعد القرن السابع للشوكاني ٢٨٩/٢
 الدرر الكامنة في أعلام المائة الثامنة ٣٠٤/٤
 نكت الهميان في نكت العميان للصفدي ٢٨٤ طبعة القاهرة ١٩١١
 نفع الطيب المقرئ ٥٥٢/٢ بتحقيق إحسان عباس .
 بغية الوعاة للسيوطي ٢٨٢/١
 كشف الظنون ٣٩٣/١
 أسماء أخرى له :

بعض المصادر ذكرت له أسماء خلاف التذكرة ، فقد ذكر في البغية
 وكشف الظنون باسم « التذكرة في العربية » كما ذكر في الدرر الكامنة
 والبدر الطالع باسم « التذكير » واكتفت باقي المصادر بذكر اسم « التذكرة » .

وصف المخطوط :

يقع كتاب التذكرة في أربع مجلدات كبار ، صرح به هذا أبو حيان
 نفسه حينما أجاز كتبه للصفدي . ويقول في البحر المحيط « كتابنا الكبير
 الذي سميناه بالتذكرة » (١) . ومكتوب على غلاف الكتاب : الجزء الثاني
 من كتاب تذكرة النجاة لأبي حيان محمد بن يوسف ، رحم الله مؤلفه وعفا
 عنه آمين . ملك لله تعالى بيد سيد محمد بن ناصر بخمسة أقرش كلاب عام
 ست وسبعين وألف .

والنسخة مكتوبة بخط مشرقى جيد ، وهي بحالة جيدة تقل فيها الألفاظ
 غير المقروءة . وقد كتب عليها الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني بخطه ما معناه : ميزة
 هذا الكتاب أنه حوى نقولاً من كتب نحوية ولغوية كثيرة لم تصلنا .

(١) البحر المحيط ٨٨/١ ، ٢٩٤/٢ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩

ولعل هذه العبارة من عالم متصل بالتراث هي التي حفزتني على تحقيق الكتاب.
وأول المخطوط :

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر بخير يا كريم .

رب : حرف جر قاله الكسائي وابن الطراوة ومن وافقهم في ادعاء اسميتها ، ومعناها في المشهور التقليل ، خلافاً لمن زعم أنها للتكثير مطلقاً أو للتكثير في المباهاة والافتخار ، وليست لشيء منها بل حرف إثبات أو للتقليل والتكثير . وفيها لغات 'رب' ، 'رَب' ، 'رُب' ، 'رُبْتُ' ، 'رَبْتُ' . الخ .
وآخره :

من مسألة في الاستثناء .

من نقل عن الكتاب :

نقل عنه كثيرون نشير إلى بعضهم :

- ١ - أبو حيان : في البحر المحيط ج ١/ ٨٨ ، ج ٢/ ٢٩٤ ، ٣٣١ ، ٤٢٨ ، ج ٨/ ٤٦٤ . في الارتشاف ٣٢٥ ، ٣٣١ .
- ٢ - السيوطي : في جمع الهوامع ١/ ١٠ ، بغية الوعاة . في الاقتراح ١٠ ، ١٢ . في الأشباه والنظائر ٣/ ١٦ - ١٧

متى ألفه ؟

يبدو أنه ألفه قبل البحر المحيط والارتشاف لأنه نقل عنه في الكتابين .

قيمة المخطوط :

إذا أخذنا بعين الاعتبار مكانة أبي حيان في عالم اللغة والأدب والتفسير ، ونشاطه الجُم ، ونتاجه العلمي الغزير ، ووضوح مذهب نحوي له ، وأن جهده لم يقف عند حدود النقل عن سبقة من العلماء ، وإنما ناقش ما وصل إليه ،

واتخذ موقفاً معيناً منه ، ولم يأخذه ويسلم به ، أحسننا بقيمة هذا المخطوط لأنه حوى نقولاً من كتب كثيرة ضلت طريقها إلينا ، كما نقل أيضاً عن كتب وصلت إلينا ، ولم يقتصر على النقل عن الكتب والمدونات بل إنه استمع إلى العلماء وأخذ عنهم وأجازوه ، وأبو حيان في كل ما نقل لم يجعله إلا ضمن مادة يعرضها في كتابه فتبدو متناسقة وفي موضعها .

أما الكتب المنشورة التي نقل عنها فهي :

- ١ - التمام في تفسير أشعار هذيل لابن جني (ص ٨٥ - ٨٨ في المخطوط)
- ٢ - ملخص من الكلام في المسائل العشر التي تكلم عليها أبو نزار ملك النخاعة ورد عليه فيها ابن الجيئاب الجليس (ص ١١٥ من المخطوط) وقد نشر الكتاب باسم : المسائل العشر المتعبات إلى الحشر .
- ٣ - الممتع في التصريف ، ويسميه الممتع الكبير لابن عصفور (ص ٤١٢ من المخطوط) .
- ٤ - الألفاظ والحروف لأبي نصر الفارابي (ص ٤٣٩ من المخطوط) نشره محسن مهدي بيروت .
- ٥ - مختصر في الأيام والشهور مما رواه ابن خالويه (ص ٤٤٨ من المخطوط)
- ٦ - الصاهل والشاحج لأبي العلاء (ص ٤٧٥ من المخطوط) .
- ٧ - فقه العربية لابن فارس (ص ٤٣١ من المخطوط) .
- ٨ - شرح أبي جعفر النحاس للمعلقات (ص ٤٤٠ من المخطوط) نشرته وزارة الإعلام العراقية باسم « شرح القصائد التسع المشهورات » .
- ٩ - الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين لابن الأنباري (ص ٤٨٦ ، ٥٤١ من المخطوط) .
- ١٠ - الامتاع والمؤانسة للتوحيدي (ص ٥٢٠ من المخطوط) .

أما الكتب التي نقل عنها ولم تصل إلينا فهي :

- ١ - من كتاب البغال للجاحظ (ص ١١ من المخطوط) .
- ٢ - من كتاب الطارقيات لأبي عبد الله الحسين بن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) وهو كتاب لم يذكر في الكتب التي ترجمت لابن خالويه (ص ١٤ من المخطوط) .
- ٣ - من كتاب الزهكال في حصر الحروف والمصادر والأفعال لأبي أسامة جنادة بن محمد الغوي (ت ٣٩٩ هـ) ، ولم تذكر المصادر التي ترجمت له هذا الكتاب (ص ١٤ ، ٤٧ من المخطوط) .
- ٤ - من كتاب للفراء في التصريف (ص ٢٠ من المخطوط) .
- ٥ - من كتاب المنتخل في شرح كتاب الجمل لإبراهيم بن أحمد بن يحيى البهاري السبتي (ص ٢٦ من المخطوط) .
- ٦ - من قصيدة لعبد الكريم بن عبد الرزاق بن عبد الخالق بن موسى بن علي بن حسن الجهني من أهل بلفيا مؤلفة من سبعمائة وثلاثة عشر بيتاً في مدح الرسول ﷺ ، والقصيدة بخط ناظمها ، مطلعها :
قف بالمطي وهل يفيد الموقف والدار من طول البلى لا تعرف
وآخرها :
أرجو بها عفو الإله لأنني مازلت أمعن في الذنوب وأسرف
والنص في (ص ٣١ من المخطوط) .
- ٧ - من كتاب لمحمد بن محمد بن عمرو الحلبي النحوي (ت ٩٤٩ هـ) شرح فيه المفضل وانتهى فيه إلى قوله الوزن الرابع عشر تجده في المصادر ، وعاق عن إكمال موته رحمه الله (ص ٣٢ من المخطوط) .
- ٨ - من كتاب مختصر في علم العربية لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي (ت ٣٢٢ هـ) (ص ٣٤ من المخطوط) .

- ٩ - من كتاب المفاحشات عن العرب لعاصم بن الحدثان (ص ٣٥ من المخطوط) .
- ١٠ - من كتاب نكت على إيضاح الفارسي لأبي علي الحسن بن علي بن حمدون الأسدي المعروف بالجلولي (ص ٧٥ من المخطوط) .
- ١١ - من كتاب توطئة المدخل إلى كتاب الجمل للأستاذ العلامة أبي العباس أحمد بن عبد الجليل بن عبد الله التدميري (ت ٢٥٥) ، وقد ذكر السيوطي كتاباً له باسم : التوطئة في النحو ، والنص في (ص ٨٢ من المخطوط) .
- ١٢ - ونقل أبو حيان من خط أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أحمد ابن خلاصة اللخمي الأندلسي ، وكان قد كتبه على ظهر كتاب سيبويه بخطه (توفي بعد الثلاثين وخمسةائة) . والنص في (ص ٨٣ من المخطوط) .
- ١٣ - ونقل أبو حيان ملخصاً من مسائل جرت بين ابن النحاس وبين أبي العباس بن ولاد ، وبُعث قولها إلى ابن بدر ببغداد ، ومال مع أبي العباس ميلاً مفرطاً (ص ١٢٤ من المخطوط) .
- ١٤ - وذكر من تقييد شيخه الأستاذ الجليل الإمام النحوي المحدث الشهير أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير (وأبو جعفر هذا أستاذ ت ٦٢٧ هـ) والنص في (ص ١٢٩ من المخطوط) .
- ١٥ - من كتاب الترشيح لأبي بكر خطاب بن يوسف بن هلال الماردي (ت ٤٥٠ هـ) ، وقد عارض به كتاب دريود في شرحه لكتاب الكساني (ص ٢١٥ من المخطوط) .
- ١٦ - من كتاب التمشية لابن ريدان السهاني أبي محمد عبد العزيز ابن علي (ت ٦٢٤ هـ) . والنص في (ص ٢٣٧ ، ٢٥١ من المخطوط) .
- ١٧ - من كتاب مفتاح الإعراب لمحمد بن علي بن موسى بن عبد الرحمن

الأنصاري ثم الخزرجي وينعت بأمين الدين ويعرف بالمحلي (ت ٦٧٣ هـ) .
والنص في (ص ٢٣٨ من المخطوط) ولم يذكر صاحب البغية ، الذي ترجم له ،
هذا الكتاب من تصانيفه .

١٨ - من شرح مقصورة ابن دريد لمهلب بن الحسن بن بركات بن علي
ابن المهلب بن غياث بن سلمان القاسم المهلب ، الذي سماه : شرح الجواهر المنشورة
في شرح المقصورة ، ولم يذكر صاحب البغية هذا الكتاب ضمن تصانيفه
(ص ٢٤٧ من المخطوط) .

١٩ - من مقدمة في النحو لأبي محمد طاهر بن أحمد القزويني (ت ٤٦٩ هـ)
وذكر القفطي في ترجمته له كتاباً اسمه : المقدمة في النحو (ص ٢٤٨ من المخطوط) .

٢٠ - من كتاب إلهاء الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن
أبي نصر الحلبي المعروف بابن النحاس في شرح مقرب ابن عصفور ، وانتهى فيه
إلى باب الوقف (ت ٦٩٨ هـ) . والنص في (ص ٢٦٠ من المخطوط) .

٢١ - من قصيدة للإمام أبي اليمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن
الكندي . (ص ٢٨٩ من المخطوط) .

٢٢ - من كتاب أيمان العرب لأبي إسحاق إبراهيم النجيري الكاتب (رحل
عن بغداد إلى مصر في أيام كافور الإخشيدي) ، ولم يذكر أحد ممن ترجم له
هذا الكتاب . (ص ٣١٥ من المخطوط) .

٢٣ - بما قاله الشيخ الإمام العلامة شمس الدين أبو العباس أحمد بن الحسين
ابن أحمد النحوي المعروف بابن الحبّاز (ت ٦٣٧ هـ) حينما نظر في كتاب
اللغات لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، وكتاب اللغات هذا
لم يرد ذكره ضمن مؤلفات الرازي . (٣٢٣ من المخطوط) .

٢٤ - من كتاب الشجرة لأبي العباس محمد بن أحمد الحلواني المعروف

بابن السراج (ت ٧٤٣ هـ) وهو وريقات في النحو ، ولم يذكر صاحب البغية هذا الكتاب . (ص ٣٢٩ من المخطوط) .

٢٥ - من كتاب جماهير الكلام لقطرب (ت ٢٠٦ هـ) وهو كتيب في النحو . (ص ٣٢٩ من المخطوط) .

٢٦ - لأبي منصور ابن الجواليقي (ت ٥٤٠ هـ) والنص في (ص ٣٢٩ من المخطوط) .

٢٧ - من كتاب زلاّت العلماء لأبي محمد الأعرابي (ت ٣٤٠ هـ) . والنص في (ص ٣٣٢ من المخطوط) .

٢٨ - من كتاب الهوامل والعوامل لابن فضال المجاشعي ويعرف بالفرزدقي وقد ذكر الكتاب ضمن مؤلفاته . (ص ٣٣٧ من المخطوط) .

٢٩ - من كتاب البهي للفراء .

٣٠ - من كتاب على جمل الزجاجي لمحمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم ابن خلف اللخمي (كان حياً ٥٥٧ هـ) ، وقد ذكر صاحب البغية الكتاب ضمن مؤلفاته . (ص ٣٥٥ من المخطوط) .

٣١ - من كتاب أبي الفضل القاسم بن علي البطليوسي (مات بعد ٦٣٠ هـ) على كتاب سيبويه . (ص ٤٠٠ من المخطوط) .

٣٢ - من كتاب أبي عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد غلام ثعلب (ت ٣٤٥ هـ) وهو شرح علي فصيح ثعلب (ص ٤٠١ من المخطوط) .

٣٣ - من خط أبي جعفر بن أبي رقيقة والنص في (ص ٤٢٢ من المخطوط) .

٣٤ - من تعليق لعلي بن موسى بن حماد على كتاب الجمل ، علقه عن الأستاذ أبي الحسن علي بن أحمد المعروف بابن الباذش (ت ٥٢٨ هـ) والنص في (ص ٤٢٣ من المخطوط) .

- ٣٥ - من كتاب سفر السعادة وسفير الإفادة لأبي الحسن علي بن محمد السخاوي (ت ٦٤٣ هـ) والنص في (٤٥١ من المخطوط) .
- ٣٦ - من كتاب للبارقي في شرح اللمع (ص ٤٥٢ من المخطوط) .
- ٣٧ - من كتاب الشامل في شرح الإيضاح لابن الدهان سعيد بن المبارك ابن علي (ت ٥٦٩ هـ) . والنص (ص ٤٩٦ من المخطوط) .
- ٣٨ - من كتاب الإبل لأبي حاتم السجستاني مهمل بن محمد (ت ٢٤٨ هـ) والنص في (ص ٥٢٣ من المخطوط) .
- ٣٩ - من كتاب الردة للقعقاع والنص في (ص ٥٢٤ من المخطوط) .
- ٤٠ - ذكر الأبنية المقصورة والممدودة من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي على ما جمعه أبو القاسم السعدي . والنص في (ص ٥٣٥ من المخطوط) .
- ٤١ - ونقل أبو حيان من خط بهاء الدين أبي عبد الله بن النحاس بخط الشاطبي رضي الدين رحمه الله ، والنص في (ص ٥٣٥ من المخطوط) .
- ٤٢ - من كتاب التبيين في مذاهب النحويين لأبي البقاء . والنص في (ص ٥٥٠ من المخطوط) .
- ٤٣ - من كتاب المحلى في النحو لأبي غانم المظفر بن أحمد بن حمدان النحوي (ت ٣٣٣ هـ) والنص في (٥٦٠ من المخطوط) .
- ٤٤ - وأملى أبو الحسن علي بن عيسى بن الفرج بن صالح الربعي (ت ٤٢٠ هـ) من كتاب البديع ، وقد ذكر ياقوت الكتاب (ص ٥٧ من المخطوط)
- ٤٥ - ونقل أبو حيان من خط أستاذه وشيخه أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي (ص ٦٦ من المخطوط) .
- ٤٦ - من كتاب الأسد لابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) ، وقد ورد الكتاب ضمن قائمة مصنفاته . (ص ٤٧٦ من المخطوط) .

٤٧ - من كتاب النكاح لأبي القاسم علي بن جعفر السعدي المعروف بابن القطاع الصقلي (ت ٥١٥ هـ) ، ولم تذكر المصادر التي ترجمت له هذا الكتاب . (ص ٤٧٧ من المخطوط) .

٤٨ - من كتاب الحياة والموت لابن درستويه عبد الله بن جعفر (ت ٣٤٧ هـ) والنص في (ص ٤٧٧ من المخطوط) .

٤٩ - من كتاب أبي الحسن الهيثم والنص في (ص ٤٨١ من المخطوط) .

٥٠ - من باب الزجر في الناس والبهائم من كتاب الفرق لقطرب ، محمد بن المستنير (ت ٢٠٦ هـ) وقد ذكر الففطي الكتاب حينما ترجم لقطرب (ص ٥٠١ ، ٥١٨ من المخطوط) .

٥١ - لأحمد بن منصور البشكري كتاب في النحو مرتجز أرجوزة عدة أبيات ألفان وتسعمائة وأحد عشر بيتاً ، أورد منها أبو حيان ما يقارب المائتي بيت . وقد ترجم له السيوطي باختصار شديد ، وذكر من الأرجوزة بيتين (ص ٥٠٩ من المخطوط) .

٥٢ - من كتاب المهرر في النحو للإمام فخر الدين أبي عبد الله محمد ابن عمر بن الحسين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) ، وقد ذكرت بعض المصادر الكتاب ضمن قائمة كتبه (ص ٥٢٣ من المخطوط) .

٥٣ - من كتاب لأبي العلاء المعري في علم التصريف (ص ٥٣١ من المخطوط) .

وقد ضمن أبو حيان كتابه ، أو الجزء الذي بين أيدينا ، مجالس اكتبها أبو حيان من كتاب المنتخب من كتاب الشهاب المقتبس للحافظ أبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني في أخبار النحاة والقراء والرواة وقد انتخبها بشر بن أبي بكر حامد بن سليمان الجعفري التبريزي . وعدد هذه

المجالس خمسة عشر مجلساً (من ص ١٠٩ - ص ١١٤ من المخطوط) . وعرض
هذا الجزء من الكتاب مجالس متنوعة لعلماء نعرفهم وردت في الصفحات
(٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٢ ،
١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧) .

ووردت مسائل كثيرة في المخطوطة منها :

- ١ - من مسائل الكوفيين (ص ٤٦)
- ٢ - مسائل قيدت عن أبي الحسن بن الشريك (ص ٨١)
- ٣ - مسائل ذكرها محمد بن السري (ص ٤٢)
- ٤ - من مسائل أبي نزار ملك النخاعة (ص ٤٥٤)
- ٥ - من المسائل التي جرت بين ابن النحاس وابن ولاد وابن بدر (ص ٤٥٣)
- ٦ - مسائل متفرقة .

أما حجم المادة التي ينقلها من هذه الكتب التي ذكرناها آنفاً فيتراوح
بين بضعة أسطر وعدة صفحات ، ولا نجافي الحقيقة إن زعمنا أن معظم
الكتب قد نقل منها صفحات ، وأن الكتب التي نقل عنها نقلاً قليلاً نادرة
ككتاب درستويه في الموت . وإذا نقل أبو حيان فإنما ينقل الفكرة كاملة
ولا يقف حتى يستوفيه ، ولولا خشيتي من الإطالة لأتبع هذه المقالة
نقولا من الكتب إلا أن ذلك سيجعل البحث طويلاً قد لا يتسع صدر المجلة له .
وإن أكثر ما يسبب بعض الجهد للباحث في هذا الكتاب هو كثرة
مناقشاته وتداخل مباحثه أحياناً وتداخلها بما ينقل من تلك الكتب ، ولكنه
يبقى ما ينقل محددأ منذ بداية النص إلى آخره ويذكر في نهايته ما يؤكده
الانتهاء ، وتكثر الشواهد الشعرية في هذا الكتاب ولكنه لا يشير إلى صاحبها
أحياناً كما يذكر بعضها غير مكتمل كأن يذكر نصف الشاهد الشعري .

ويتدخل أبو حيان كثيراً ليعلق على رأى عالم أو على ما ينقل من كتاب ولا يقف موقف المنفرج ، ونظف في النهاية بما يؤيده المؤلف وما يرفضه .
وقد بلغ من إعجاب تلميذه الصفدي بهذا الكتاب أنه نسج على منواله كتاباً أسماه : التذكرة الصفدية ويقع في أكثر من خمسين مجلداً .
موضوعات هذا الجزء من الكتاب :

نؤثر أن نشير في عجلة إلى موضوعات الجزء بإيجاز وصفحاتها في المخطوط :

رب (ص ٢) ، مذومند (٤) ، الكلام على لو حقيقة (٢٣) أفعال المقاربة (ص ٢٣) ، حروف التخصيص (ص ٥١) ، المعارف وأنواعها (ص ٨١) ، البذل (ص ١٢٩) ، المفعول به (ص ١٥٠) ، الحال (ص ١٩٠) ، (١٩٩) ، باب التفضيل (ص ٢٢٩) ، الاستثناء (ص ٢٣٠ ، ٣٢٢ ، ٤٥٩) الاسم المنقوص (٢٣٩) ، الظرف (ص ٢٥٢) ، التنازع (ص ٢٦٢) ، المنصوب على الاختصاص (ص ٢٨٣) ، باب الجمع (ص ٢٩١) ، اسم الفعل (٣١٧) ، العامل في إذا ومتى (ص ٣٢٠) ، التغييرات التسع العارضة (ص ٣٢٣) ، النداء (ص ٣٤٩) ، الممنوع من الصرف (٤١٦) ، الحروف التي تنصب المضارع (ص ٤٢٩) ، الاستثناء (ص ٤٥٩) ، المبتدأ والخبر (ص ٤٨٧) ، فصل في مادة الحرف واشتقاقه (٥١٧) ، فصل في تطاير الحروف من اللغة (ص ٥١٨) .

قضية عنوان كتاب البيان

للجاحظ

الأستاذ : الشاهد البوشيخي

لم يكن يخطر بالبال أن يصبح اسم (البيان) موضع نزاع ، بل قد بلغ من اطمئنان النفس إلى اسمه المعروف أن مرت القراءة الأولى للكتاب دون أن يلحظ البصر أو يتقف النظر شيئاً مما يشير السؤال على كثرته . ولكن ما إن بدىء في القراءة الثانية حتى طرح السؤال ، ولم تنته إلا والسؤال قد أصبح إشكالاً يتطلب الحل : هل العنوان الحقيقي للكتاب هو « البيان والتبيين » ، بياثين ؟ أم « البيان والتبيين » بياء واحدة مشددة ؟ .

وتواصل البحث ، فإذا السؤال قضية لها تاريخ ، وإذا المتصدون لها في موقفهم من كلمة « التبيين » أصناف ثلاثة :

١ - مشيرون إليها إشارة ، كالمستشرق دي سلان ، والمستشرق كارل بروكلمان ، والأستاذ عبد السلام محمد هارون ، والدكتور إبراهيم سلامة .

٢ - وجازمون أو ظانون بأنها الصواب ، كالمستشرق كليمان هيوار

- ولعله أول جازم - والدكتور بدوي طبانة ، والدكتور ميشال عاصي .

٣ - ومعارضون ، وهم الجمهور المتمسك بالتبيين عن علم بالتبيين .
ولعل الدكتور الطاهر مكّي أول من كتب منهم في ذلك .

وبنسق تواريخ تصدي هؤلاء للقضية يتكون لها تاريخ ، وبعرض
مواقفهم داخله يتميز ما للسابق بما لللاحق . وأوائك على التوالي :

١ - البارون ماك كوكين دي ملان : (Le Baron Mac
Guckin pe Slane)

ولعله أول من عثر على « التبيين » وأشار إليها في العصر الحديث ، وذلك
في ترجمته الانجليزية لوفيات الأعيان التي صدرت بباريس عام ١٨٣٨ م . قال
معلقاً على عبارة « كتاب البيان والتبيين »^(١) الواردة في ترجمة أبي عثمان بالوفيات :
« في المخطوط بخط المؤلف التبيين »^(٢) ، وكتب كلمة « التبيين » بالحروف
العربية ، جاعلاً شدة فوق الياء . وهي إشارة لاشك مشيرة .

٢ - كليان هيوار (Clement Huart)

وقد جزم جزمياً بأن الصواب هو « التين » ، دون سوق أي دليل نقلي
أو عقلي على ذلك . قال في كتابه « الأدب العربي » الذي صدرت طبعته
الفرنسية الأولى عام ١٩٠٢ م^(٣) ، متحدثاً عن كتب أبي عثمان : « كتاب

(١) معجم ابن خلكان ٤٠٥/٢

(٢) معجم ابن خلكان ٤٠٩/٢ . والنص كما في الأصل الإنجليزي هو « التبيين

. « The Autograph, Has

(٣) لم يتيسر الاعتماد على هذه الطبعة ، وإنما اعتمد على الطبعة الثانية (١٩١٢ م)

والرابعة (١٩٢٣ م) . لكن بعد مقارنة النص فيها بالنص في الترجمة الانكليزية (١٩٠٣ م)
للطبعة الأولى ، تبين أنه لا يوجد فرق ألبتة .

البيان والتبيين (وليس التبيين ، كما طبع) (١) « ... » (٢) .

٣ - كارل بروكلمان : (Carl Brockelmann)

وقد اكتفى بالإشارة إلى « التبيين » وما يعرفه عنها بين قوسين . قال في الملحق الأول لكتابه « تاريخ الأدب العربي » الذي صدر بالألمانية عام ١٩٣٧ م متحدثاً عن كتب أبي عثمان : « ١ - كتاب البيان والتبيين . (أو التبيين ، وقد ورد كذلك بخط ابن خلكان ، انظره بنشر دي سلان ٠٠٠) (١) « ... » (٣) .

٤ - عبد السلام محمد هارون ، ولم يجاوز اختيار « التبيين » في المتن أو الإشارة إليها في الهامش ، عند تبيين الفروق بين النسخ ، وذلك في تحقيقه لكتاب (البيان) الذي أصدر طبعته الأولى عام ١٩٤٨ م ، مع أن النسخة

(١) القوسان بالأصل .

(٢) الأدب العربي ٢١٣ . والنص كما في الأصل الفرنسي هو :

« Kitâb El Bayân w'et - Tabayyon (non Tabyîn , comme on L'a imprimé) ... » .

ونظيره في الأصل الانجليزي هو :

« Kitâd al - Bayân w'I - Tabayyun (not Tabyîn , as it has been Printed) ... » 213 - 214

(٣) الملحق الأول ٢٤١ . وترجمة النص من الطبعة العربية لتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١١٠/٣ . والسبب في الاعتماد على الملحق دون هذه الطبعة أنها مزجت - كما قال المترجم في مقدمة الجزء الأول منها - « بين الكتاب الأصلي وملاحقه مع ملاحظة الطبعتين الأولى والثانية للكتاب الأصلي » . فتعذر لذلك التأريخ الصحيح للإشارة إلى « التبيين » لدى بروكلمان اعتماداً عليها ، وتعين الرجوع إلى الأصل ، فوجد أن لا ذكر « للتبيين » في المجلد الأول من الأصل ، وإن في الطبعة الثانية المهدبة الصادرة سنة ١٩٤٣ م (انظر : ص ١٥٩ منه) ، مع أنه طبع بعد الملحق الأول بست سنين . وذلك أمانة كان ينبغي أن يكون الناقل العربي عليها أحرص .

المعتمدة لديه (ل) ، ليس في متنها وعنوانها - وإن لم يتم به - إلا « التبيين »^(١) مع ضبطه بتشديد الياء المضمومة (٢) ، إحيائاً (٣) .

٥ - إبراهيم سلامة ، ولم يجاوز الإشارة إلى رأي هيوار . قال في هامش كتابه « بلاغة أرسطو بين العرب واليونان » (٤) معلقاً على كلمة التبيين الموجودة بعنوان (البيان) : « يقرؤها هيوارت HUART (التبين بدل التبيين ، ويرى أن الكلمة الأولى تشير إلى النقد والتحقيق أكثر من الكلمة الثانية » (٥) .

٦ - بدوي طبانة ، وقد جزم ، مثل هيوار بأن « التبيين » هي الصواب ، لكنه لم يستق أي دليل نقلي أو عقلي على ذلك في كتبه (٦) . وكل ما فعله أنه أصر في مؤلفاته على كتابة اسم (البيان) هكذا : « البيان والتبيين » ، إلا في الطبعة الخامسة لكتابه « البيان العربي » ، ففيها التبيين دائماً . ويغلب على الظن

(١) سيأتي تفصيل ما أجمل هنا عند الحديث عن الدليل ١ ، ٢ ، ٥ .

(٢) البيان ١/١٨٦

(٣) ونفس القول يقال عن نسخة (هـ) التي اعتمد عليها في الطبعة الثانية عام ١٩٦٠ م ، فهي في كل ذلك مثل (ل) .

(٤) صدرت طبعته الأولى عام ١٩٥٠ م ، ثم طبع طبعة ثانية أجود - وعليها اعتمد - عام ١٩٥٢

(٥) بلاغة أرسطو ٦٩ . وليس يدرى من أي مصدر استقى أن هيوار « يرى » ذلك ، إذ ليس في كتاب « الأدب العربي » شيء من ذلك كما تقدم ، ولم يعتمد الأستاذ إبراهيم إلا عليه ، كما يشهد بذلك فهرس « المراجع الافرنجية » في كتاب بلاغة أرسطو ٤٠٦

(٦) المقصود : كتبه الأساسية في البلاغة والنقد العربي القديم ، والتي تبتدىء برسالته عن أبي هلال العسكري التي صدرت طبعها الأولى عام ١٩٥٢ م ، وتنتهي بالطبعة الخامسة لكتابه « البيان العربي » عام ١٩٧٢ م .

أن ذلك ليس بتراجع ، وإنما هو من أخطاء الطبع ، بدليل فهمه لعنوان (البيان) في قوله : « ويستطيع القارىء أن يتصور موضوع « البيان والتبيين » من اسمه ، فهو البحث في « البيان » أي في « الأدب » وفنونه ، والتعريف بأسباب قوته بتوافر عناصر الجمال الفني فيه ، ودراسة العوارض التي تعثره ، فتعوقه عن تأدية رسالته ، وهي توليد الإحساس بالذقة الفنية بالتأثير في المشاعر والمواطف ، أو قيادة الجماهير وتوجيهها نحو ما يراد توجيهها إليه - وهذا ما يمكن أن يفهم من كلمة « التبيين » التي عطفها الجاحظ على كلمة « البيان » . على أن الجاحظ لم يقصر دراسته على الأدب وتفهميه ، أو البيان وتبيينه ، بل عني إلى جانب الدراسة المستفيضة في ذلك بشيء من دراسة مصدر الأدب ... » (١) .

٧ - الطاهر مكي ، وقد عارض بشدة الأخذ « بالتبيين » دون حجج نقلية . وأحسن عرض لآرائه نقل نصه المركز في ذلك . قال في الجزء الأول من كتابه « دراسة في مصادر الأدب » الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٦٨ م ، متحدثاً عن (البيان) : « وارتأى المستشرق الفرنسي كليمان هيوار Clément Huart (١٨٥٤ - ١٩٢٧) (٢) في كتابه الأدب العربي La littérature Arabe أن أصل عنوان الكتاب « البيان والتبيين » لأن كلمة « التبيين » تشير إلى النقد والتحقيق أكثر من كلمة « التبيين » (٣) ، وتابعه في رأيه بعض الباحثين العرب المحدثين . ولم يسق المستشرق الفرنسي

(١) البيان العربي ٦٧ - ٦٨

(٢) القوسان بالأصل .

(٣) يقارن هذا التعليق بما تقدم عن الدكتور إبراهيم سلامة .

بين يديه حججاً تعتمد على النقل ، مكثفياً بأدلة العقلية وفيها من التمهك أكثر مما فيها من العلم ^(١) ، لأن عناوين الكتب لا يبحث فيها عما هو أولى وأنسب ، وإنما نلتزم بازائها النص والرواية ، وبخاصة إذا كانت تدعمها شهرة مستفيضة . وما بين أيدينا من مخطوطات الكتاب ^(٢) يجعل العنوان الذي عرف به إن لم يكن بقيناً قاطعاً ، فهو أقربها إلى اليقين ، ^(٣) .

٨ - ميشال عاصي . وقد رجح ^(٤) بعد أن بدا له ^(٥) أن تسمية (البيان) « محرفة عن حقيقتها .. إن العنوان في الأصل قد كان « البيان والتبيين » لا « البيان والتبيين » ، وذلك استناداً إلى ^(٦) ما يلي :

(١) تقدم أن هيوار لم يقدم أي دليل عقلي أو نقلي . ولعل تعليق الدكتور إبراهيم سلامة المتقدم هو السبب في هذا التعقيب .

(٢) ذكر إثر النص أنها ست : « لدينا من مخطوطات الكتاب ست فيما أعلم » ولم يتحدث إلا عن خمس (انظر : دراسة في مصادر الأدب ١٦٥ - ١٦٧) مبتدئاً بالتين رمز لها المحقق عبد السلام هارون بـ (ل) و (هـ) . ومع أنه ليس في هاتين إلا « التبين » بياء واحدة مشددة فقد سها الأستاذ الطاهر وتحدث عنها وكأن ليس فيها إلا التبيين بياءين . بل إنه نقل نص أبي ذر الحثني الموجود في الصفحة الأولى من (هـ) هكذا : « أكمل الفقيه الحسيب ... جميع كتاب البيان والتبيين لأبي عثمان ... » . وليس في الأصل « إلا التبين » ، بياء واحدة مشددة (انظر صورة الصفحة الأولى في مقدمة البيان ٢٤) .

(٣) دراسة في مصادر الأدب ١٦٤ - ١٦٥

(٤) في كتابه « مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ » الذي صدرت طبعته

الأولى عام ١٩٧٤ م

(٥) ونص عبارته هو : « غير أن التسمية كما يبدو لي محرفة » .

(٦) المفاهيم ٤٠

١ - « إن لفظة البيان التي تعني التعبير الواضح البليغ في حد ذاته .. هي مرادفة من هذه الوجهة للفظة التبيين التي تعني الشيء نفسه بالنسبة للشخص المتكلم ، (١) .

٢ - « إن لفظة التبيين ، وليس التبيين هي التي تعبر عن وضع . السامع ، (١) الذي مهمته الفهم ، في مقابل « لفظة البيان ... المختصة » (١) بالقاتل الذي مهمته الإفهام .

وبما يرجع صحة هذا « التعليل المنطقي » (١) عنده ، أنه « عثر ... على لفظة « التبيين » واردة في أكثر من موضع بدلاً من لفظة التبيين ، حتى في ذكر عنوان الكتاب ، (١) وأحال في الهامش على : البيان ٢/٥ ، طالباً مراجعة : البيان ٢٧١/١ أيضاً . وفي الموضوعين مما اختار المحقق « التبيين » ، لكنها لم ترد نصاً في العنوان إلا في الأول .

هذه أهم معالم تاريخ القضية ، وذلك أهم ما يتضمنه ملفها حتى الآن (٢) أما ما يمكن إضافته ، فهو أن الأدلة متضافرة ، النقلية منها والعقلية ، على أن العنوان الحقيقي للكتاب هو « البيان والتبيين » بياء واحدة مشددة ، وليس « البيان والتبيين » بياءين . وأهم تلك الأدلة هو :

أولاً - « إن « البيان والتبيين » بياء واحدة مشددة ، هو العنوان الذي عنونت به نسخ ثلاث من أصول الكتاب ، هن أصح النسخ وأوثقها وأقدمها . وتلك هي :

(١) المفاهيم ٤٠

(٢) ويمكن تلخيصه في أن كلمة « التبيين » في عنوان (البيان) ، واردة كذلك بخط ابن خلكان ، وفي بعض مخطوطات (البيان) ، وإن المعارض لها أقوى حجة من الآخذ بها .

١ - نسخة مكتبة فيض الله (١) بالآستانة . وهي التي رمز لها المحقق في الطبعة الثانية (للبيان) ب : (هـ) . ويكفي للتعريف بها وتبيان أهميتها وحجيتها أن يعلم :

١ - أن العنوان بها مشكول شكلاً تاماً . ونص عبارته هـ و : « يَشْتَمِلُ هَذَا السِّفَرُ عَلَى جَمِيعِ كِتَابِ الْبَيَانِ وَالتَّبَيُّنِ » (هكذا بتشديد الياء المضمومة) (٢) تَأَلَّفَ أَبُو عُثْمَانَ عَمْرُو بْنُ بَعْرٍ الْجَتَّاحِيُّ رَوَاةُ أَبِي جَمْفَرٍ الْبَغْدَادِيِّ . كَتَبَهُ لِنَفْسِهِ بِخَطِّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسَفَ ... بن حَجَّاجِ بْنِ زُهَيْرٍ اللَّخْمِيِّ ، (٣) .

٢ - أن تاريخ إكمالها « بالقراءة والمقابلة » (٤) هو : « غرة ذي الحجة سنة سبع وثمانين وخمسمائة » (٤) . وهو أقدم تاريخ لنسخة اعتمد عليها ناشره (للبيان) حتى الآن .

٣ - أنها منسوخة من أصل « مشتمل على جميع كِتَابِ الْبَيَانِ »

(١) انظر عنها : مقدمة البيان ٢٤ ، وفهرس المخطوطات المصورة ٤٣٣/١ رقم ١٠٦ أدب ، ودراسة في مصادر الأدب ١٦٥ . وتوجد نسخة منها في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٤٨١٢ ، كتبت « في أول المحرم سنة خمس وثمانين ومائتين بعد الف » (مخطوطة باريس ٤٠٦) ، لكن ناسخها ليس بضابط ، ومما قاله بلوشي عنها في فهرس المخطوطات العربية رقم ٤٨١٢ ، ص ٢٣ :

« Kitâb al - Bayan Wal - Tabayyoun ... Bon nesghi Turc copié en 1285 H. »

(٢) ومع ذلك فقد كتب اسم هاته النسخة في فهرس المخطوطات المصورة ٤٣٣/١ رقم ١٠٦ أدب : « البيان والتبيين » بياين .

(٣) صورة الصفحة الأولى في مقدمة البيان ٢٤

(٤) صورة الصفحة الأخيرة في مقدمة البيان ٢٤ ، والبيان ١٠١/٤

والتَّبَيُّنِ (هكذا بتشديد الياء المضمومة) (١) ... ، (٢) ، قد و كُتِبَ .. من (٣) نسخة أبي جعفر البغدادي . وهي النسخة الكاملة . وتم بعون الله وتأيمده في غرة ربيع الآخر من سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ، (٤) ، أي بعد وفاة أبي عثمان بأقل من قرن .

(٢) صورة الصفحة الأخيرة في مقدمة البيان ٢٤ ، والبيان ١٠١/٤ .

(١) صورة الصفحة الأخيرة في مقدمة البيان ٢٤ . وسها المحقق أواخطأ الطابع فكتبها « البيان والتبيين » بياءين (انظر البيان ١٠١/٤) .

(٣) هكذا في الأصل : « من » ، وليس : « عن » ، كما كتبها المحقق أو الطابع في البيان ١٠١/٤ .

(٤) صورة الصفحة الأخيرة في مقدمة البيان ٢٤ . والظاهر من هذا النص أن التاريخ المذكور فيه (٣٤٧ هـ) هو تاريخ كتابة نسخة أبي ذر ، وليس تاريخ كتابة نسخة أبي جعفر البغدادي ، كما فهم المحقق حين قال : « ونسخة أبي جعفر هذه كتبت في غرة ربيع الآخر من سنة ٣٤٧ » (مقدمة البيان ٢٤) ، وذلك لأن اللخمي قال في آخر نسخته : « في آخر السفر الذي نسخت منه الثلث الثالث من هذا الكتاب : كتب هذا السفر - وهو مشتمل على جميع كتاب البيان والتبيين - من نسخة أبي جعفر البغدادي - وهي النسخة الكاملة - وتم بعون الله وتأيمده في غرة ربيع الآخر من سنة سبع وأربعين وثلاثمائة » (صورة الصفحة الأخيرة في مقدمة البيان ٢٤)

والسفر الذي نسخ منه اللخمي ، و « كُتِبَ ... من ... وتم ... في ... » هو نسخة أبي ذر ، لقول اللخمي بعد ذلك في نفس الصفحة :

« أكمّلتُ جميع هذا الديوان بالقراءة والمقابلة على الفقيه الأجل الأستاذ... أبي ذر بن محمد ابن مسعود الحاشني أعزه الله وأكرمه ، وهو يسكن علي كتابه ، وهو الأصل الذي كتب من نسخة أبي جعفر البغدادي ، فصيح بحمد الله وتوفيقه ... » .

وعليه ، فأصلُ أصلِ نسخة مكتبة فيض الله - وهو نسخة أبي جعفر البغدادي - قد يكون مكتوباً قبل سنة ٣٤٧ هـ بسنين ،

٤ - أن أبا ذر صاحب الأصل (١) الذي نُسخَت منه ، كَتَبَ بخط يده على الصفحة الأولى منها شهادته بتمام المعارضة بالأصل ، وإكمال اللخمي قراءة جميع النسخة عليه . ويزيد الشهادة قيمة أن صاحبها - وهو مَنْ هو في الضبط والإتقان - كان - كما قال - معتنياً بـ (البيان) مزاولاً له . قال أبو ذر : « أكمل الفقيه الحسيب ... الأديب أبو عمرو محمد بن يوسف ... ابن حجاج اللخمي ... وفقه الله ، جميع كِتَابِ الْبَيَانِ والتبشِيرِ (هكذا بياء واحدة مشددة) لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله ، وعارض كتابه هذا بكتابي ، وفسرت له ما أشكل من معاني نثره ونظمه ، وشرحت

(١) واسمه المکتوب بخطه في صورة الصفحة الأولى ، وبخط اللخمي في صورة الصفحة الأخيرة بمقدمة البيان ٢٤ هو : « أبو ذر بن محمد بن مسعود الخشني » ، وسها المحقق أو اخطأ الطابع فسماه في مقدمة البيان ٢٤ محمداً : « نقلها من نسخة أبي ذر محمد بن مسعود الخشني » ، وإنما اسم أبي ذر مصعب (٤٣٥ - ٦٠٤ هـ) . قال ابن الأبار في التكملة ٧٠٠/٢ - ٧٠٢ معرفاً به : « مصعب بن محمد بن مسعود ... الخشني . من أهل جيتان . يكنى أبا ذر ، ويعرف بابن أبي ركب . أخذ عن أبيه الأستاذ أبي بكر ... وكان رئيساً في صناعة العربية ... درسها حياته كلها ورحل إليه الناس فيها - مع المعرفة بالآداب واللغات ... وتوفي بمدينة فاس ... » وفي البغية ٢٨٨/٢ توثيق له هام جداً : « ... واتفق الشيوخ على أنه لم يكن في وقته أضبط منه ، ولا أتقن في جميع علومه حفظاً ونقلها . وكان نقاداً للشعر ، مطلق العنان في معرفة أخبار العرب وأيامها وأشعارها ولغاتها ، متقدماً في كل ذلك ... » .

أما محمد فأبود . ومن السهل أن يختلطاً ، لانفاقها في الكثير مما يعرفان به ، وما جاء عن محمد في التكملة ٤٦٩/٢ : « محمد بن مسعود ... الخشني النحوي : من أهل جيتان ، يعرف بابن أبي ركب ، ويكنى أبا بكر ... ، تقدم في صناعة العربية ، وتصدر لأقراءها ... وكان من جلة النحويين وأئمتهم ... متصرفاً في فنون الآداب ... أخذ عنه الناس ، وتوفي بقرطبة سنة ٥٤٤ هـ » . وينظر أيضاً : البغية ٢٤٤/١

له غريب لغته ، وبينت له مواقع بلاغته ، حسب اعتنائي بهذا الكتاب ومزاويتي له ، فأكمل له قراءة "علي" في العشر من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وخمسة . والحمد لله حق حمده . قاله وكتبه بخطه أبو ذر بن محمد بن مسعود الخشني في التاريخ المذكور ، (١) .

ب - نسخة مكتبة كوبريلي (٢) بالآستانة أيضاً ، وهي التي رمز لها المحقق بـ : (ل) ، واتخذها أصلاً للطبعة الأولى (٣) (للبيان) قبل أن يعثر على (هـ) . ونص العنوان بها هو : الجزء الأول من كتاب البيان والتبيين (هكذا بباء واحدة مشددة) تصنيف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ... (٤) وقد بين المحقق أهميتها في مقدمة تلك الطبعة بقوله « يذكر ياقوت أن كتاب البيان والتبيين نسختان : «أولى وثانية ، والثانية أصح وأجود» (٥) ، فيشتد سؤال الأدباء : أين أولاهما وأين الأخرى ؟ وكان من صنع الله أني حينما

(١) صورة الصفحة الأولى بمقدمة البيان ٢٤ . ويقارن بما في : دراسة في مصادر الأدب ١٦٥

(٢) انظر عنها : مقدمة البيان ١٦ - ١٨ ، ٢١ ، ودراسة في مصادر الأدب ١٦٥ - ١٦٦

(٣) جاء في مقدمة البيان ٢١ : « وقد اتخذت نسخة كوبريلي أصلاً لهذه النشرة ، (اي الطبعة الأولى) ، منها على ما بينها وبين سائر النسخ من خلاف » . إلا إذا نعلق الأمر بـ « التبيين » فإن المحقق يتخذ «سائر النسخ» أصلاً « انظر : البيان ١٨٦/١ ، ٢٠٠ ، ٥/٣ ، ١٠١/٤ من الطبعة الأولى) ، وقد يترك التنبيه انظر البيان ١١/١ ، ٥/٢ من الطبعة الأولى » .

(٤) صورة الصفحة الأولى من نسخة كوبريلي بمقدمة البيان ١٧ من الطبعة الأولى ، و ٢٠ من الطبعة الثانية .

(٥) معجم الأدباء ١٠٦/١٦

انجهت إلى معارضة أصول الكتاب بعضها ببعض ، تبين لي في أثناء ذلك أن نسخة مكتبة كوبريلي ، هي أصح نسخة من أصول الكتاب ، ولحظت أيضاً أنها كثيراً ما تنفرد ببعض النصوص والعبارات ... ومهما يكن من شيء فلا ريب عندي أن نسخة كوبريلي هي أصح النسخ وأوثقها وأوفرها نصاً ،^(١) ومما يزيد لها قيمة أن تاريخ الفراغ من نسخها هو : « الجمعة سابع المحرم من سنة أربع وثمانين وستمائة »^(٢) ، وأنها « مكتوبة بخط جميل وضبط دقيق »^(٣) . فهي إذن قديمة ، بل لولا (هـ) ، لكانت أقدم نسخة اعتمد عليها محقق^(٤) (للبيان) حتى الآن .

ج - نسخة خزانة القرويين^(٥) بفاس . ولا يعرف بين محققي (البيان) من اعتمد عليها . ونص العنوان بها هو : « السفر الثالث من البيان والتبيين

(١) مقدمة البيان ١٦ - ١٧ . ولكون نسخة (هـ) يقال عنها ما قبل عن نسخة (ل) ، أغفل المحقق في الطبعة الثانية (للبيان) « وضع علامتي الزيادة في كل ما اشتركا فيه ، لما وضع » له « انها اعلان عظيم من أصول الكتاب » (مقدمة البيان ٢٤)
 (٢) صورة الصفحة الأخيرة من نسخة كوبريلي بمقدمة البيان ١٧ من الطبعة الأولى ، ومقدمة البيان ١٨ ، والبيان ١٠١/٤ ، ودراسة في مصادر الأدب ١٦٦
 (٣) مقدمة البيان ١٧

(٤) قال عنها الأستاذ العابد الفاسي رحمه الله في فهرس الخزانة : « كتاب البيان والتبيين (وكتب بخط يده - والجذاذة كلها مكتوبة بخط يده - (صح) فوق الياء المضمومة المشددة) ... السفر الثالث منه ، سفر ضخيم بخط أندلسي صحيح ، في رق الغزال ، مقابل على أصول صحيحة . وكثيراً ما يشير الكاتب في هامش الجزء إلى المخالفات الواقعة في الأصول المقابل عليها . وبالجملة ، فهذا السفر من الأصول العتيقة ، ولم يوجد في آخره تاريخ النسخ ولا اسم الناسخ ... من تحبيس الخليفة مولاي علي بن محمد بن عبد الله عام ١١٨٣ ... » (الجذاذة رقم ١٢٤٤) . وينظر عنها أيضاً : مجلة الثقافة ٨٣

(هكذا بيا واحد مشددة) ، تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، ^(١) .
ولا يوجد منها إلا ذلك السفر . ولو وصلت تامة لوصل أصل ربا كان أعظم
أصول الكتاب المعتمد عليها في تحقيق (البيان) حتى الآن ، وذلك لسببين :
١ - أنها معارضة بثلاثة أصول صحيحة ذات حواش : أصل الوقشي ^(٢)
ورمزه فيها : (ش) ^(٣) ، وأصل ابن سراج ^(٤) ، ورمزه : (ج) ^(٥) ،

(١) مخطوطة القرويين ١

(٢) بتشديد القاف نسبة إلى : وقش « وهي قرية بنواحي طليبة ، مشددة
القاف » (الحلة السراء ٢/٢٥٨ . وينظر أيضاً : صفة جزيرة الأندلس ١٩٠) . ومن
ينسب إليها من رجالات العلم والأدب في الأندلس كثير (انظر : الحلة السراء ٢/٢٥٧ -
٢٥٨ ، والذيل والتكملة ١/١٩٧ ، والنفح ٣/٣٧٦ ...) ، ولكن أشهرهم والذي
« يعرف بالوقشي » منهم هو : « هشام بن أحمد بن هشام الكناي ، يعرف بالوقشي من أهل
طليطلة ، يكنى أبا الوليد ... قال ... صاعد ... : أبو الوليد الوقشي (في الأصل :
الوحشي بالحاء) أحد رجال الكمال في وقته ... من أعلم الناس بالنحو واللغة ومعاني
الأشعار وصناعة البلاغة ، وهو بليغ مجيد ، شاعر متقدم .. » .

وَكَانَ مِنَ الْعُلُمَاءِ بِحَيْثُ يُفَضَّلُ لَهُ فِي كَثَلٍ عَالِمٍ بِالْجَمِيعِ

... توفي أبو الوليد الوقشي رحمه الله بدانية ... سنة تسع وثمانين وأربعمائة ، ومولده
سنة ثمان وأربعمائة « (الصلة ٢/٦١٧ - ٦١٨ . وينظر عنه أيضاً : طبقات الأمم ٨٤ ،
وصفة جزيرة الأندلس ١٩٦ ، والنفح ٣/٣٧٦ - ٣٧٧ ، والبغية ٢/٣٢٧ - ٣٢٨)
ويغلب على الظن أنه هو صاحب الأصل ، لما سيأتي في ترجمة ابن سراج بعد قليل .
والمتتبع لتعليقات المعارض لنسخة خزانة القرويين بأصولها يلمس أن أصل الوقشي
هذا هو الأصل الأساسي للنسخة ، وبعده يأتي أصل ابن سراج ، ثم الأصل الثالث .

(٣) مخطوطة القرويين ٨٩ ، ٩٤ ، ١٢٢

(٥) مخطوطة القرويين ٧٨ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٢٧ .

(٤) أبناء سراج بين العلماء والأدباء بالأندلس كثير ، ولكن أشهرهم « هذا الشيخ
أبو مروان ... محيي رسم علم اللسان بجزيرة الأندلس ... وحاوي قصب السبق في إحراز =

وأصل عطا بن الباذش^(١) ، والغالب^(٢) أنه المرموز له بـ : (خ) . جاء في بعض حواشيها قبالة بعض الرموز المتقدمة :
 — « ثَبَّتَ هذا في أصل ابن سراج ، واتصل في أصل الوقشي قوله ...
 بقوله ... »^(٣) .

= بعيد غاياته ، وتجاوز أقصى نهاياته ... » (الذخيرة . القسم الأول ٢/ ٣٠٨) . وهو عبد الملك بن سراج « إمام اللغة بالأندلس غير مدافع ... كانت الرحلة في وقته إليه ، ومدار أصحاب الآداب واللغات عليه ... أحفظ الناس للغات العرب ، وأصدقهم فيما يحمله ... (ولد) ... سنة أربعمائة ... وتوفي ... ليلة عرفة سنة تسع وثمانين وأربعمائة » (الصلة ١/ ٣٤٦) . قال في البغية ٢/ ١١٠ « قال في الريحانة : ... درس الجهرة فاستظهرها واستدرك الأوهام على المؤلفين ، وطال عمره مع البحث والتنقيب ، وكان يقول : طريحتي في كل يوم سبعون ورقة ... » . وقد اجتمع بالوقشي . جاء في النفح ٤/ ١٦٢ : « واجتمع أبو الوليد الوقشي وأبو مروان عبد الملك بن سراج ، وكانا فريدي عصرهما حفظاً وتقدماً فتعارفا ... » .

والراجح أن ابن سراج هذا هو صاحب الأصل (ج) ، لقول ابن خير الإشبيلي في فهرسة مارواه عن شيوخه ٣٢٦ : « كتاب البيان والتبيين للجاحظ . حدثني به شيخنا أبو عبد الله جعفر بن محمد بن مكى رحمه الله ، عن أبي مروان عبد الملك بن سراج ، قراءة منه عليه ، عن الوزير أبي القاسم بن الإفيلي . ولم تكن له فيه رواية » .

(١) أبناء « الباذش كصاحب والذال معجمة » (التاج / بذش) بين العلماء والأدباء بالأندلس كثير ، ولكن عطا هذا لم يعثر له على خبر .

(٢) لأنه لم يذكر في هامش (مخطوطة القرويين) اسم رابع من أصحاب الأصول المقابل عليها ، فالأسماء ثلاثة ، والرموز ثلاثة . ولكن لم يكن القطع ؛ لأن المعارض رمز لأصل الوقشي ب : (ش) ، وهو آخر حرف أصلي من الاسم ، ورمز لأصل ابن سراج ب : (ج) ، وهو آخر حرف أيضاً ، أما (خ) ، فليس لها علاقة بـ (الباذش) ، إلا أن يكون المعارض تجنب تكرار الشين ، فاختار حرفاً آخر له علاقة ما بـ (عطا) هذا ، فمكن ، ولكن لم يكن إثباته ،

(٣) مخطوطة القرويين ١٢٢

- « هذا المعلم عليه الذي سقط عند الوقشي ثبت عند ابن سراج »^(١) .
 - « المعلم عليه في خ . عند ش (...) في حاشية الكتاب . والمعلم الثاني لابن سراج وعطا بن الباذش في الحاشية أيضاً »^(٢) .
 - « هكذا رأيت هذا الاسم في النسخ »^(٣) .

٢ - أنها قديمة ، كما يستفاد من خطها ورق الغزال الذي كتبت فيه^(٤) وإذا صح أن صاحب الأصل (ش) هو القاضي أبو الوليد هشام بن أحمد الكتاني الذي « يعرف بالوقشي »^(٥) ، وصاحب الأصل (ج) هو الوزير أبو مروان عبد الملك بن سراج الذي روى « كتاب البيان والنبئين ... » عن الوزير أبي القاسم بن الأفلح^(٦) ، - فإن نسخة خزانة القرويين ستكون في الغالب أقدم من (هـ) وإن بقليل^(٧) ، لقول المعارض المشعر بقرب العهد ؛ « ثبتت هذه الخطبة في كتاب ش الذي بخطه رحمه الله بعد خطبة يوسف ابن عمر ... »^(٨) .

- (١) مخطوطة القرويين ٨٩ . وينظر أيضاً ٩٤ (٢) مخطوطة القرويين ٧٨
 (٣) مخطوطة القرويين ١١٩ ، وينظر أيضاً ١٨٣ ، ١٩٤
 (٤) قال عنها الأستاذ محمود الطناحي المهرس بمعهد المخطوطات العربية ، وهو يذكر نماذج من النواذر التي صورتها بعثة المعهد من المغرب : « البيان والتبيين (هكذا بياء واحدة فقط) للجاحظ ، الجزء الثالث من نسخة جلييلة على رق الغزال بقلم أندلسي نفيس جداً ضارب في القدم » (مجلة الثقافة ٨٣) .
 (٥) الصلة ٦١٧/٢ ، وقد تقدم .
 (٦) فهرسة ابن خيبر ٣٢٦ . وقد تقدم .
 (٧) لأن تاريخ كتابة (هـ) هو : ٥٨٧ هـ ، ووفاة كل من الوقشي وابن سراج في : ٤٨٩ هـ .
 (٨) مخطوطة القرويين ٦٨

ثانياً - إن ذلك العنوان - على تكرره أربع مرات في متن (البيان) - لم يذكر في كل من نسختي (ل) و (هـ) إلا هكذا : «البيان والتبيين» بياء واحدة فقط ، وأحياناً مضمومة مشددة :

١ - قال أبو عثمان ، معقّباً على استطراد له : « وليس هذا الباب مما يدخل في باب البيان والتبيين ، ولكن قد يجري السبب فيجرى معه بقدر ما يكون تنشيطاً لقارئ الكتاب » (١) . قال المحقق في الهامش : « ل ، هـ : « التبيين » مع ضبطه بتشديد الياء المضمومة » (٢) .

٢ - وقال أبو عثمان : « أردنا - أبقاك الله - أن نبتدىء صدر هذا الجزء الثاني من البيان والتبيين (٣) بالرد على الشعوبية » (٤) . قال المحقق في الهامش : « ماعدا ل هـ : « والتبيين » . » (٤) .

٣ - وقال أيضاً : « هذا - أبقاك الله - الجزء الثالث من القول في البيان والتبيين » (٥) . قال المحقق في الهامش : « ل ، هـ : « والتبيين » . » (٦) .

٤ - وقال في آخر الكتاب : « وهذا - أبقاك الله - آخر ما ألفناه من كتاب « البيان والتبيين » (٧) » (٨) . قال المحقق في الهامش : « ماعدا ل هـ :

(١) البيان ١٨٦/١

(٢) البيان ١٨٦/١ . وفي هامش البيان ١٨٦/١ من الطبعة الأولى قال : « ل فقط : « التبيين » مع ضبطه بتشديد الياء المضمومة » .

(٣) في البيان ٥/٢ من الطبعة الأولى : « والتبيين » بياءين ، دون التنبيه على ما في (ل)

(٤) البيان ٥/٢ (٥) البيان ٥/٣

(٦) البيان ٥/٣ . وفي هامش البيان ٥/٣ من الطبعة الأولى قال : « ل : « والتبيين »

(٧) في البيان ١٠١/٤ من الطبعة الأولى : « والتبيين » بياءين . وقد علق عليها

المحقق بقوله : « ل : « والتبيين » . » .

(٨) البيان ١٠١/٤ . وياء التبيين في الأصلين معاً : (ل ، هـ) مضمومة مشددة

(انظر : صورة الصفحة الأخيرة بمقدمة البيان ٢٤ ، وصورة الصفحة الأخيرة من نسخة

كويريلي بمقدمة البيان ١٧ من الطبعة الأولى ، وبكتاب تحقيق النصوص ونشرها ١٠٣) ،

والتبيين ، . . (١) .

وبمقارنة النصوص بعضها ببعض ، يتبين مدى اضطراب المحقق في أمر العنوان (٢) ، وتردده بين « التبيين » الواردة في الأصلين العظيمين (ل ، هـ) الممثلين للنسخة الثانية الأصح والأجود لديه (٣) ، وبين « التبيين » التي لم ترد إلا في « النسخ التوائم » (٤) ، لكن تدعمها شهرة مستفيضة .

(١) البيان ١٠١/٤

(٢) وبمقارنة النصوص في الطبعتين بعضها ببعض أيضاً ، يتبين مدى تطور موقف المحقق من « التبيين » ، لاسيما إذا أضيف مافي : البيان ١١/١ من الطبعتين .

(٣) انظر مقدمة البيان ١٦ ، ٢٤

(٤) هي ما عدا : ل ، هـ من النسخ التي اعتمد عليها المحقق . ومن وصفه لها يتجلى ضعف قيمتها . قال عنها :

١ - « نسخة دار الكتب المصرية المحفوظة برقم (٤٧١ أدب) ... وليس بها ضبط ، وعنوانها عجيب : « كتاب البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن يحيى (كذا) الجاحظ ، وهو كتاب جيد النظم والنثر الموضوع على منوال كامل المبرد (كذا) بل يفوق عليه حسناً وبلاغة » . وكتب في صدرها أيضاً : « فيما صار نسخه بالمدينة المنورة ... فيماه مايو سنة ١٨٨٢ » ... ١٢٩٩ هجرية » .

٢ - « نسخة دار الكتب المصرية المحفوظة برقم (١٨٧٢ أدب) ... وليس بها ضبط ولكن بها أثر قراءة وتصحيح ... وفي خاتمة هذه النسخة : « وكان الفراغ ... يوم الخميس ... ١١ محرم الحرام سنة ١٣٠٩ ... » .

٣ - « نسخة المكتبة التيمورية ... وهذه النسخة مجهولة التاريخ وبها عدة اسقاط ... نحو ٢٠ صفحة من مواضع متفرقة » .

(مقدمة البيان ١٨ - ١٩ . وينظر أيضاً : دراسة في مصادر الأدب ١٦٦ - ١٦٧) .

ثالثاً — أنه لم يذكر في متن نسخة جامع ابن يوسف ^(١) بمراكش —
والموجود منها الجزء الثالث فقط — إلا هكذا : « البيان والتبيين » بياء
واحدة مشددة :

١ — قال أبو عثمان أول المخطوطة : « هذا — أبقاك الله — الجزء الثالث
من البيان والتبيين (هكذا بياء واحدة فقط) . » ^(٢) .

٢ — وقال آخر المخطوطة : « وهذا — أبقاك الله — آخر ما ألفناه من
كتاب البيان والتبيين (بتشديد الباء المضمومة) . » ^(٣) .

رابعاً — أنه ورد مكتوباً كذلك في بعض مخطوطات المصادر القديمة مثل
وفيات الأعيان ^(٤) والمنزح : جاء في نسخة السويد من المنزح ، عند الحديث عن
صور البيان الجزئية : « وقد رام أبو عثمان . . . استيفاء ذلك بكتابه في البيان
والتبيين (هكذا بياء واحدة فقط) » ^(٥) .

(١) ليس للمخطوطة عنوان أصلي ، وما في التحبيس المكتوب على وجه الورقة الثانية
رسم هكذا : « حبس . . . مولانا زيدان أمير المؤمنين . . . جميع هذا المجلد المشتمل على
الجزء الثالث من البيان والتبيين (بياءين) على خزانة جامع المنصور . . . وكتب . . .
عام خمسة وعشرين وألف » .

(٢) مخطوطة مراكش ٩ و

(٣) مخطوطة مراكش ٨٦ و

(٤) انظر ماتقدم في : ص ٩ . وينظر أيضاً : الوفيات بتحقيق إحسان عباس
٤٧١/٣ ، ففي متنها أن من أحسن تصانيف أبي عثمان « وأمتعها : كتاب « البيان
والتبيين » . » هكذا بياء واحدة مشددة . ولم يعلق عليها الدكتور إحسان بشي ،
مما يفيد أن النسخ الثماني المعتمد عليها في تحقيق هذا الجزء متفقة في ذلك .

(٥) المنزح ٨٦ من نسخة السويد .

خامساً أنه الذي ترجمه نصوص (البيان) التي وردت بها عبارة العنوان^(١)

بل إن أولها ليؤكد يكون صريحاً أو كالصريح في أنه تفسير وتعليل للعنوان .
وذلك لإيراده في مطلع الكتاب ، وسوقه في سياق تبين أهمية البيان الذي
هو الشق الأهم في العنوان :

١ - قال أبو عثمان : . . . وقال الله تبارك وتعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا
مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ^(٢)) ، لأن مدار الأمر
على البيان والتبيين^(٣) ، وعلى الإفهام والتفهم^(٤) . وكلما كان اللسان أبين
كان أحمد ، كما أنه كلما كان القلب أشد استبانة كان أحمد . والمتفهم لك
والمتفهم عنك شريكان في الفضل ، إلا أن المفهم أفضل من المتفهم . . . هكذا
ظاهر هذه القضية . . . إلا في الخاص الذي لا يذكر . . . ،^(٥) .

٢ - وقال بعد أن ذكر كثيراً مما تحب العرب وتكره في باب
القول ، ككرهم للفضول في البلاغة وأمرهم بالتبيين^(٦) . « وأنا أوصيك

(١) انظر : البيان ١/١١ ، ٢٠٠ ، ٢٧١ . وهي غير النصوص الأربعة المتقدمة
التي ذكر فيها العنوان نفسه .

(٢) سورة إبراهيم ٥

(٣) قال المحقق معلقاً على هاته الكلمة في الهامش : « ماعدا ل ، ه : « التبيين »
والنص كله شاهد على خطأ ما في غير الأصلين العظيمين . وقد سها المحقق في الطبعة الأولى ،
فاختار « التبيين » دون أن يعلق عليها بشيء ، ولو بتبيين الفرق بين النسخ !

(٤) قال المحقق في الهامش معلقاً على هاته الكلمة : « ماعدا ل ، ه : « والتفهم » .
والنص كله شاهد على خطأ ما في غير (ل ، ه) . وقد سها المحقق في الطبعة الأولى
فاختار « التفهم » ، دون أن يعلق بشيء .

(٥) البيان ١/١١ - ١٢

(٦) وهذا آخر ما ذكر .

ألا تدع التماس البيان والتبيين (قال المحقق في الهامش : ل ، هـ : « والتبيين »^(١) .)
إن ظننت أن لك فيها طبيعة ، وأنها يناسبانك بعض المناسبة ، ويشاكلانك
في بعض المشاكلة ،^(٢) .

فقوله : « فيها ... ويناسبانك ... ويشاكلانك » مما يرجح مافي
الأصلين العظيمين (ل ، هـ) ، وبترجيحه يزداد العنوان المستدل عليه بذلك
ترجيحاً^(٣) .

سادساً — أنه الذي يمثل خلاصة فكر أبي عثمان في (البيان) ، وبإخص
المحور الذي تدور عليه والأساس الذي تنطلق منه نظريته في البيان ، ذلك
أن الإنسان عند أبي عثمان ، ليس كباقي العالم حكمة فقط ، ودليلاً عاياً
فقط ، بل هو حكمة تعقل « الحكمة وعاقبة الحكمة »^(٤) ، و « دليل يستدل »^(٥)
وله « سبب يدل به على وجوه استدلاله ، ووجوه مانتج له الاستدلال »^(٥) ،
هو البيان^(٤) . بخلاف غيره من « الأجرام الجامدة والصامتة »^(٥)
مثلاً ، فهي « لا تبيّن ولا تحس ، ولا تفهم ولا تتحرك إلا بداخل يدخل

(١) البيان ٢٠٠/١ . وفي البيان ٢٠٠/١ من الطبعة الأولى قال : « ل فقط :
« والتبيين » . »

(٢) البيان ٢٠٠/١

(٣) وأما النص الثالث فهو : « قال صاحب البلاغة والخطابة ، وأهل البيان
وحب التبيين (قال المحقق في الهامش : ماعدا هـ : « التبيين » .) : إنما عاب النبي
صلى الله عليه وسلم المتشادقين والثرثارين ... » (البيان ٢٧١/١) ، وقد اختار المحقق
فيه « التبيين » نظراً للسياق .

(٤) الحيوان ٣٣/١ (٥) نفسه ٥٠/١

عليها (١) ، (٢) .

وقد جعل الله عز وجل الحكمة كلها إزاء عينيه وتجاه سمعه ، ثم
حث على التفكير والاعتبار ... وعلى التعرف والتبيين ... فجعلها مذكرة
منبهة ، وجعل الفيطر (٢) تنشئ الحواطر ، وتجول بأهلها في المذاهب ،
ذلك الله رب العالمين ، (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (٣)) . (٤) .
فالإنسان إذن مُتَبَيِّن ومُبَيِّن ، وذلك ما يميزه عن العالم ، ويجدد
موقعه ووظيفته في العالم .

وقد كان لانطلاق أبي عثمان من هذا الأساس العام أثر كبير في دوران
تفكيره الأدبي حول « البيان والتبيين » ، مرتبطين ، وانشغاله بهما أو بما يرجع
إليهما بوجه أو بآخر ، واعتباره لهما رأس الفضل وعنوانه .

فهو في (الحيوان) قبل (البيان) يقول ، متحدثاً عن حرص الزنادقة
على تجميل كتبهم وإخراجها في أحسن ورق وأجود خط : « ولو كانت كتب
الزنادقة كتب حكم وكتب فلسفة ، وكتب مقاييس وسنن ، وتبيين وتبيين ،
أو لو كانت كتبهم تعرف الناس أبواب الصناعات ... أو بعض ما يتعاطاه
الناس من الفطن والآداب - وإن كان ذلك لا يقرب من غنى ولا يبعد

(١) الحيوان ٤٥/١ .

(٢) علق المحقق على هاته الكلمة والتي بعدها بقوله : « وفي ط » وجعل الفكر
ينشئ . « . والأشبه بلغة أبي عثمان أن تكون الفكر ، جمع فكرة ، لا الفكر
مفرداً ، ولا الفيطر جمعاً . جاء في ب ٧٥/١ : « المعاني القائمة في صدور الناس ...
والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم » . وينظر أيضاً : الفكر في : مصطلحات
نقدية وبلاغية ٢٥١

(٣) سورة المؤمنون ١٤ (٤) الحيوان ٣٧/١

م (٧)

من مأثم - لكانوا ممن قد يجوز أن يظن بهم تعظيم البيان والرغبة في التبيين . ولكنهم ذهبوا فيها مذهب الديانة ... فإنما إنفاقهم في ذلك كإنفاق المجوس على بيت النار ... » (١) .

وفي (الحيوان) أيضاً يقول ، مبيّناً أن المصلحة في أمر الدنيا امتزاج النقيضين : « اعلم أن المصلحة في أمر ابتداء الدنيا إلى انقضاء مدتها امتزاج الخير بالشر ... ولو كان الشر صرفاً هلك الخلق ، أو كان الخير محضاً سقطت الحنة ، وتقطعت أسباب الفكرة ، ومع عدم الفكرة يكون عدم الحكمة ، ومتى ذهب التخير ذهب التمييز ، ولم يكن للعالم تثبت وتوقف وتعلّم ، ولم يكن علم ، ولا يعرف باب التبيين ... ولا تفاضل في بيان ... وعادت الحال ... إلى حال السبع والبهيمة ... وإلى حال النجوم في السخرة ... وكل شيء في العالم فإنما هو للإنسان ، ولكل مختبر ومختار ، ولأهل العقول والاستطاعة ، ولأهل التبيين والرؤية » (٢) .

وفيه أيضاً يقول : موثقاً راوياً له : « وحدثني بعض أهل العلم ... وكان صاحب أخبار وتجربة ، وكان كلفاً بحب التبيين (٣) ... معترماً للأمر يجب أن يفضي إلى حقائقها ... وكان يعرف للعلم قدره ، وللبيان فضله » (٤) .

(١) الحيوان ٥٦/١

(٢) الحيوان ٢٠٤/١ - ٢٠٥

(٣) قال المحقق في الهامش معلقاً على هاته الكلمة : « في الأصل : « التبيين » . وهو تحريف يتكرر كثيراً . وإنما هو « التبيين » بمعنى التفهيم والاكتناء . ومن ذلك التكرار مافي : الحيوان ٦/٣ ، لاسيما إذا قورن بما في مفاخرة الجوارى (رسائل الجاحظ ٩١/٢) . وقد يكون منه أيضاً مافي : الحيوان ٢٢٤/٢ ، وإن لم يستوعق انتباه المحقق .

(٤) الحيوان ٥١/٤

أما حين ينتقل إلى (البيان) فإنه يجعل مدار الأمر على البيان والتبيين ، وعلى الإفهام والتفهيم^(١) قولاً وعملاً . وقد صرح بذلك في مواضع متعددة ، وعبر عنه بالفاظ عدة^(٢) :

١ - قال معللاً تعريفه للبيان بالمعنى الاصمعي العام : « ... لأن مدار الأمر ، والغاية التي إليها يجري القائل والسامع ، إنما هو الفهم والإفهام ، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع ، »^(٣) .

٢ - وفي نفس الباب^(٤) ساق قول « علي بن الحسين .. لو كان الناس يعرفون جملة الحال في فضل الاستبانة ، وجملة الحال في صواب التبيين ، لأعربوا عن كل ما نخلج في صدورهم ... ولكنهم من بين مغمور بالجهل ... ومعدول بالهوى عن باب التثبت ، ومصروف بسوء العادة عن فضل التعلم ، »^(٥) .

٣ - وقال أيضاً أثناء حديثه مما ينبغي وما لا ينبغي في البيان والبلاغة : « وما يدل على شغفهم وكلفهم ، وشدة حبهم للفهم والإفهام قول الأسدي في صفة كلام رجل نعت له موضعاً من تلك السباسب التي لأمانة فيها بأقل اللفظ وأوجزه ، فوصف إيجاز الناعت وسرعة فهم المنعوت له ، فقال :

(١) البيات ١١/١

(٢) بعضها على ترتيب الأصل كالإفهام والتفهيم ، وبعضها بعكس ذلك كالفهم والإفهام ، وذلك في الحالين هو مقتضى المقام ، لأن التبيين قد يكون سابقاً للبيان وقد يكون لاحقاً له . (انظر : التبيين في : مصطلحات نقدية وبلاغية ١٦٦ - ١٦٨) .

(٣) البيان ٧٦/١ (٤) باب البيان .

(٥) البيان ٨٤/١ . وانظر : الاستبانة في : مصطلحات نقدية وبلاغية ١٦٨

بضربة نعت لم تُعَد غير أنثي

عقول لأوصاف الرجال ذكورها (١) ،

٤ - وقال حاصراً الأمور كلها في ذلك : « وإنما مدار الأمور ، والغاية التي يجري إليها : الفهم ثم الافهام ، والطلب ثم التثبت » (٢) .

فمن تأمل هذه النصوص وأمثالها وما يلحق بها ، وتبين في سياقها وموقعها من الكتاب ، وربط مضمونها بمضمون (البيان) العام - علم أن المدار فعلاً على « البيان والتبيين » ، وأن أبا عثمان لم يكد يطرق غيرها ، أو يتطرق إلى شيء بمعزل عنها .

فإذا أضيف إلى ذلك أنها في تصور أبي عثمان مرتبطان غاية الارتباط ومتكاملان غاية التكامل : التبيين يعين على البيان وهو ضروري له في جميع المراحل ، قبل الولادة وأثناءها وبعدها ، والبيان يعين على التبيين وهو مادة له - إذا أضيف ذلك ظهر أن عبارة « البيان والتبيين » هي أحسن خلاصة لفكرة أبي عثمان في (البيان) ، وأنها - بالنظر إلى مضمون الكتاب ، والتصور الأساسي الذي قام عليه - أصدق عنوان .

سابعاً - أن أبا عثمان لم يكد يعنون مؤلفاً باسمين معطوف أحدهما على الآخر - وما أكثر ما فعل ذلك - إلا وبين الاسمين ضرب من التقابل أو التخالف .

ويكفي للاطمئنان إلى ذلك قراءة مقدمة (الحيوان) ، أو الاطلاع على عناوين ما ذكر من كتب ورسائل لأبي عثمان (٣) . على أن العناية بالشئ

(١) البيان ١٥٥/١ - ١٥٦ (٢) البيان ٣٩/٢

(٣) انظر مثلاً : معجم الأدباء ١٠٦/١٦ - ١١٠ ، وهدية العارفين ٨٠٢/١

٨٠٣ ، وقاريخ الأدب العربي ١١٠/٣ - ١٢٦ ، وأدب الجاحظ ١١٧ - ١٤٤ ، وأبو عثمان الجاحظ ٢٨٥ - ٣٠٨

ومقابلته خصيصة من خصائص تفكير وتعبير عمرو بن بحر . جاء في المقدمة المذكورة : « ... وعبتي بكتاب الشرحاء والهجناء ، ومفاخرة السودان والحمران ، وموازنة ما بين الخثولة والعمومة ، وعبتي بكتاب الزرع والنخل والزيتون والأعشاب ، وأقسام فضول الصناعات ، ومراتب التجارات ، وبكتاب فضل (١) ما بين الرجال والنساء ، وفرق ما بين الذكور والإناث ... وعبتي بكتاب العرب والموالي ... وعبتي بكتاب العرب والعجم ... (٢) ، إلى آخر ما ذكر من الكتب التي تتجلى فيها أيضاً عنايته بالمتقابلات والفروق .

وفي تلك المقدمة أيضاً جاء : « وعبتي برسائي ، وبكل ما كتبت به إلى إخواني وخطائي من مزح وجيد ، ومن إفصاح وتعريض ، ومن تغافل وتوقيف ، ومن هجاء لا يزال ميسمه باقياً ، ومديح لا يزال أثره نامياً ، ومن ملاح تضحك ومواعظ تبكي » (٣) .

والذي ينسجم مع هذه الخاصية وتلك العادة ، هو عنوان « البيان والتبيين » ، بياض واحدة مشددة ، وليس « البيان والتبيين » بياضين (٤) .

(١) هكذا في الأصل بالضاد المعجمة . وكذلك ذكرت في : أدب الجاحظ ١٣٧ ، وأبو عثمان الجاحظ ٣٠٦ . والصواب في الغالب « فصل » بالصاد المهملة ، لذكر أبي عثمان لها كذلك في البيان ١٨٦/١ ، ولمناسبة ما بعدها لها : « ما بين ... وفرق ... » ، ولكون فضل بالمعجمة - ومثلها تفضيل - ترد في عناوين أبي عثمان متبوعة بـ « على » كما في : « فضل الفرس على الحملج » ... (تاريخ الأدب العربي ١٢٥/٣ ، وأدب الجاحظ ١٣٧) . وقد ذكرها بروكلمان بالمهملة أيضاً في تاريخه للأدب العربي ١٢٣/٣

(٢) الحيوان ٤/١ - (٣) الحيوان ٧/١

(٤) انظر : التبيين في : مصطلحات نقدية وبلاغية ١٦٣ - ١٦٥ ، فهناك وضح

المعنى الذي يستعمله به أبو عثمان ، وذكرت المعاني المحتملة له في عبارة العنوان .

لا سيما ومضمون (البيان) ذلك المضمون ، وحيز « التبين » في فكر أبي عثمان ذلك الحيز .

هذه أهم الأدلة . ولعلها كافية لتحصيل اقتناع — إن لم يكن يقيناً قاطعاً فهو أقرب ما يكون إلى اليقين — بأن العنوان الحقيقي للكتاب هو : « البيان والتبيين » ، بياء واحدة مشددة ، وليس « البيان والتبيين » بياين . وعسى أن يكون في ذلك بيان لحقيقة ، وفصل في نزاع ، وتصحيح لتحريف ، وإنصاف لصواب مهجور من خطأ مشهور ، وخدمة للعلم وأهله . وبالله التوفيق .

فهرس المصادر والمراجع المذكورة في البحث

- أبو عثمان الجاحظ : د . محمد عبد المنعم خفاجي . ط ١ . بيروت ١٩٧٣
- أدب الجاحظ : حسن السندوبي . ط ١ القاهرة ١٩٣١ م .
- الأدب العربي لكليمان هيوار (بالفرنسية والانجليزية) :
- Littérature Arabe . CL . Huart . Librairie Armand Colin ,
- Paris . 2ème Ed . 1912 . 4 ème Ed . 1923 .
- A Hirtory of Arabic Literature . Cl. Huart. London. 1903
- البغية = بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ١٩٦٤ - ١٩٦٥ م .
- بلاغة أرسطو بين العرب واليونان للدكتور إبراهيم سلامة . ط ٢ . مكتبة الانجلو المصرية . ١٩٥٢ م .

- البيان = البيان والتبين لأبي عثمان الجاحظ (عمرو بن بحر) :
 ط ٢ . تحقيق عبد السلام هارون . مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المتني ببغداد
 مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ٩٦٠ م - ١٩٦١ م . (دون نص) .
 ط ١ . تحقيق عبد السلام هارون . لجنة التأليف والترجمة والنشر .
 القاهرة ١٩٤٨ م - ١٩٥٠ م .

- مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٤٨١٢
 — مخطوط بخزانة القرويين بفاس تحت رقم ١٢٤٤ . (السفر الثالث فقط) .
 — مخطوط بخزانة جامع ابن يوسف بمراكش تحت رقم ١١٣ . (الجزء
 الثالث فقط) .

- البيان العربي للدكتور بدوي طبانة . ط ٥ . دار العودة . بيروت ١٩٧٢
 — التاج = تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي مصر ١٣٠٦ م .
 — تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (كارل) :
 — بالعربية : ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار . دار المعارف بمصر .
 ط ٣ (ج ١) ١٩٧٤ م . ط ٢ (ج ٣) ١٩٦٩ م .
 — بالألمانية :

— Geschichte des Arabischen Literatur. Erster Band C.
 Brockelmann Leiden 1943

— Geschichte Des Arabischen Literatnr. Erster Suppl-
 -ementband. C. Brockelmann. Leiden. 1937

— تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام هارون . القاهرة . ط ٢ .

١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م .

- التكملة = التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار . ط العطار . مصر .
 = الحلة السيرة لابن الأبار (أبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي) .
 تحقيق الدكتور حسين مؤنس . القاهرة . ط ١ . ١٩٦٣ م

— الحيوان لأبي عثمان الجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون . ط ١

١٩٣٨ م - ١٩٥٨ م .

— دراسة في مصادر الأدب الدكتور الطاهر مكّي . ط ١ . ١٩٦٨ م .

— الذخيرة = الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام . المجلد الثاني

من القسم الأول . القاهرة - لجنة التأليف . تحقيق جماعة من الأساتذة .

١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م .

— الذيل والتكملة - الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة للمراكشي

(أبي عبد الله محمد بن محمد الأنصاري) . القسم الأول من السفر الأول . تحقيق

الدكتور محمد بن شريفة . بيروت .

— صفة جزيرة الأندلس = صفة جزيرة الأندلس . منتخب من كتاب

الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري (أبي عبد الله محمد بن عبد الله) .

تحقيق : أ . ليفي بروفنصال . القاهرة . ١٩٣٧ م .

— الصلة = كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثهم

وفقائهم وأدبائهم لابن بشكوال (أبي القاسم خلف بن عبد الملك) . تحقيق

السيد عزت العطار الحسيني . ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

— طبقات الامم لصاعد (أبي القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي) .

نشر علي محمد أبي طالب . طبعة محمد محمد مطر . مصر .

— فهرس خزانة القرويين (جذاذات) . مخطوط بخزانة القرويين بفاس .

— فهرس المخطوطات العربية لبلوشي (بالفرنسية) :

— Catalogue des Manuscrtis Arabes des nouvelles
Acquisitions. B. Nationale, E. Blochet. Editions Ernest
Leroux Paris 1925

— فهرس المخطوطات المصورة (بمحمد المخطوطات العربية) . تصنيف فؤاد

سيد . القاهرة . ج ١ . ١٩٥٤ م

- فهرست ابن خير = فهرست مارواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف الشيخ ... أبو بكر محمد بن خير الله الإشبيلي . ط ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .

- القرآن الكريم : مصحف بالرسم العثماني على رواية الإمام ورش . القاهرة . ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .

- مجلة الثقافة = الثقافة . العدد ٢٨ . السنة ٣ . قاريخ يناير ١٩٧٦ م مصر . (مقالة : التراث العربي في المغرب وقضية التواصل بين المشرق والمغرب للأستاذ محمود الطماحي) .

- مخطوطة باريس = البيان والتبيين .

- مخطوطة القرويين = البيان والتبيين .

- مخطوطة مراکش = البيان والتبيين .

- مصطلحات نقدية وبلاغية = مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ . (رسالة قدمت لنيل دبلوم السلك الثالث من جامعة محمد بن عبد الله بفاس . كلية الآداب والعلوم الإنسانية . السنة الجامعية ٧٦ - ١٩٧٧ م) مرقون .

- معجم ابن خلكان (وفيات الأعيان) (بالانجليزية)

- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) لياقوت الحموي .

نشر الدكتور أحمد فريد رفاعي .

- مفاخرة الجوارى = كتاب مفاخرة الجوارى . لأبي عثمان الجاحظ .

ضمن رسائل الجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ١٩٦٤ - ١٩٦٥ م .

- المفاهيم = مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ . للدكتور ميشال

عاصي . ط ١ . دار العلم للملايين . بيروت ١٩٧٤ م .

- الملحق الأول = تاريخ الأدب العربي .
- المنزع = المنزع البديع في أساليب التجنيس والبديع للسجلمامي (أبي محمد القاسم بن محمد) . مخطوط بحقه الأستاذ علال الغازي تحت إشراف الدكتور أمجد الطرابلسي ، على نسختين : نسخة السويد ونسخة تطوان .
- النفع = نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري (أحمد بن محمد التلمساني) تحقيق الدكتور إحسان عباس . بيروت . ١٩٦٨ م .
- هدية العارفين = هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لاسماعيل باشا البغدادي .
- وفيات الأعيان لابن خلكان (أبي العباس أحمد بن محمد) . تحقيق الدكتور إحسان عباس . بيروت . ١٩٦٨ م - ١٩٧٢ م .



تاريخ أبي بشر هارون بن حاتم التميمي

ت سنة ٢٤٩ هـ

الأستاذة سكيئة الشهابي

تمهيد : قد محمد الإنسان ساعات حرجة تمر به بعد أن يتناول عليها الزمن لما تكسبه من خبرة ، وما تسوقه إليه من تجارب .

وهذا ما حصل لي وأنا أعمل في جزء من تاريخ دمشق لابن عساكر لا تتوافر منه إلا أصول سقيمة سيئة . فاضطرتني ذلك إلى أن أبحث وأطيل البحث عن الموارد التي استقى منها ابن عساكر مادته لأقوم النصوص المصحفة ، وأعيدها كما شاء لها المؤلف، قبل أن تعبت بها يد النساخ . ولقد عثرت في تنقيبي هذا على كتب كثيرة كانت أصولاً لابن عساكر منها المطبوع ومنها المخطوط . ومن بين المخطوطات النادرة كتيب صغير لهارون بن حاتم بخط الحافظ أبي القاسم بن عساكر يقع في سبع ورقات وعليه مائة . عثرت عليه في مجموع من مجموعات الحديث حافل بالأجزاء النفيسة التي تحتاج إلى من ينفذ عنها غبار القدم ، ويبعثها من مرقدتها لتكون جزءاً في موكب الفكر الحديث الذي يقوم على أساس من القديم .

لقد كان سروري بهذا التاريخ عظيماً لسببين : الأول ، لأنه من موارد ابن عساكر في تاريخه الكبير (١) ، ومن موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٢) ، والثاني لأنه من أوائل الكتب التي ألفت في التاريخ ، فكتابه معاصر خليفة بن خياط صاحب الطبقات والتاريخ (توفي خليفة سنة ٢٤٠ ، وتوفي هارون بن حاتم سنة ٢٤٩) . وفوق ذلك كله لأن مؤلفه اتبع نهجاً خاصاً لعله يعطينا صورة الأسلوب الذي ابتدئ به التأليف في التاريخ ، فهو كتاب تاريخ على السنين بدأ بخلافة علي وتوقف بانتهاء ملك بني أمية . وكان أكثر ما يعيه اسم الخليفة وبدء خلافته وانتهاءها ثم أمر الحج في زمنه ، وإن شئنا أن نسمي قسمه الأول تاريخاً لمن قام بأمر الحج منذ تولى علي الخلافة إلى نهاية ملك بني أمية استطعنا . وخلال العرض الموجز الذي التزمه هارون بن حاتم في هذا التاريخ كانت له وقفة عند تقوى ابن الزبير وورعه ، والحديث الذي روي عن النبي في فساد ملك بني أمية في آخر عهدهم . وينتقل بعد ذلك فيورد نسب الرسول ﷺ وسنة بعثته ووفاته ، ثم يعقب بوفيات الصحابة وأعمارهم ، ووفيات من تلاهم من التابعين لابلتزم في ذلك تسلسلاً زمنياً واضحاً ، لكنه يعنى بالنظائر : من تماثلت أعمارهم وقت وفاتهم ، ومن ولدوا في سنة واحدة ، ومن ماتوا في سنة واحدة ، ولا يتجاوز في تحديد سنوات الوفاة سنة ٢١٩ . وله أسلوب طريف في تعيين الولادات ، فهو يسأل شيوخه عن مولدهم ومولد غيرهم ، وقد يسألهم عن سنوات الوفيات . ويفرد القسم الأخير من الكتاب تحت

(١) انظر المطبوع من ابن عساكر « الجزء عاصم - غايه » ١٤٣ ، ٢٤٢ ، ٢٥٩

٢٩٤ ، ٢٨٥

(٢) انظر موارد الخطيب البغدادي ٤٠٤ ، فقد ذكر الأستاذ أكرم العمري أن الخطيب

اقتبس من تاريخ أبي بشر في ٢٩ موضعاً .

عنوان : « ماجاء في الأسماء والكنى ، فيأتي بأسماء من عرفوا بكناهم من الصحابة وبعض من تلاهم .

والسؤال الذي يفرض نفسه : هل نحن أمام تاريخ كامل أم قطعة من تاريخ ؟

إن الناظر في وريقات هذا المخطوط يخيل إليه أنه أمام كتاب كامل فعلى ورقة الغلاف هذا العنوان : « تاريخ أبي بشر هارون بن حاتم ^(١) ، والورقة الأولى منه تبدأ بالبسملة ثم الطريقتين اللذين روى بهما ابن عساكر هذا التاريخ ^(٢) . وفي نهاية الورقة الأخيرة « بلغت من أول تاريخ هارون ابن حاتم ممعاً .. » وبعد انتهاء السماع في هامش الورقة الأخيرة : « هذا آخره والحمد لله وحده ^(٣) .

ولكن العبارة الأولى التي يبتدىء بها المخطوط بعد الإسناد تدعو إلى التروي وهي : « ثم بايع الناس علي بن أبي طالب .. » إن « ثم » هذه تقتضي أن تكون استمراراً لكلام سابق ، والحديث عن علي يقتضي أن يكون له ماقبله . ولو كنا أمام ناسخ عادي لقلنا إن هذه قطعة من كتاب لفقت على هذه الصورة ، ولكن ماذا نقول ونحن بين يدي الحافظ الكبير !!؟

هل نقول إن هذه الوريقات هي الجزء الأخير من التاريخ الذي سمعه الحافظ علي شيخه أبي القاسم وأبي البركات ، وأن هناك أجزاء أخرى لم نستطع العثور عليها حتى الآن ، أم نقول إنها كل ما سمعه وما وصل إليه من هذا التاريخ ؟

(١) انظر ص ١١٣

(٢) انظر ص ١١٤

(٣) انظر ص ١١٥

وكأنني بما قرأته من تاريخ ابن عساكر حتى الآن يؤيد الافتراض الثاني لأن ما وجدناه فيه من نقول عن هارون بن حاتم لا يتجاوز هذه الورقات التي بين أيدينا والتي وصلتنا باسم: « تاريخ أبي بشر هارون بن حاتم ». ولا يشك الأستاذ أكرم العمري (١) بأن ما وصلنا إنما هو تاريخ أبي بشر هارون بن حاتم كاملاً قال: « وقد وصل إلينا تاريخه من رواية محمد ابن محمد بن عقبة الشيباني عنه ويقع في ٥ أوراق ويبدأ بذكر نسب النبي (ﷺ) .. » ثم يقول: « وقد اقتبس منه الخطيب في ٢٩ موضعاً ».

ولكن الأستاذ العمري لم يقل لنا هل كانت هذه المواضع التسعة والعشرون كلها في هذه الورقات التي رأها في المكتبة الظاهرية . ثم إن التاريخ في سبع ورقات وليس في خمس كما قال ، ويبدأ بخلافة علي لابنسب الرسول (ﷺ) .

والأمل كبير في أن يكشف لنا النظر المتصل في تاريخ ابن عساكر نفسه الصورة الكاملة لتاريخ هارون بن حاتم لنعرف هل كنا أمام التاريخ كاملاً أم أمام قطعة من التاريخ . ولن نعجز وقتها عن كلمة أجزاء هذا الرافد الصغير من ذلك الحضم الكبير .

عملي في الكتاب :

أول ما قمت به بعد نسخ الكتاب أنني عرضته على تاريخ خليفة ، فلم أجد وجهاً للتشابه يثبت نقل أحدهما عن الآخر ، أو أخذهما من مصدر واحد ، وأثبت في الحواشي ما خالف فيه هارون بن حاتم خليفة أو الطبري ولم أشير إلى التوافق بينه وبين هذين المصدرين . ثم عملت على إعجام ماورد

(١) انظر موارد الخطيب البغدادي ٤٠٤

من غير إعجام في الأصل ، لأن خط الحافظ نصف منقوطة ، وحددت المصادر التي اعتمدت عليها لإعجام ما فيه لبس ، وكذلك فسرت وضبطت الألفاظ الغريبة والأسماء والأنساب التي تلتبس على القارئ ، وحاولت أن أضبط بالشكل ما وجدته ضرورياً لفهم النص ، وقدمت بين يدي عملي ترجمة قصيرة لهارون بن حاتم صاحب التاريخ معتمدة في ذلك على المصادر القليلة التي ترجمت له . وعلى الرغم من صغر الكتاب فقد أعددت له نوعين من الفهارس ، أحدهما للأعلام والآخر للأسانيد لتسهيل المراجعة فيه والاستفادة منه . فعسى أن أكون بعملتي هذا - على ضآلته - قد مهدت جزءاً ضئيلاً من الطريق الطويلة للعمل في تاريخ ابن عساكر .

أسأله سبحانه أن يوفقنا إلى ما فيه رضاه آمين .

من هو هارون بن حاتم

لأنجد في كتب الرجال ترجمة وافية لهارون بن حاتم بل إننا لأنجد له ذكراً إلا في بعضها ، وأول من عرف أنه ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (ج ٤ ق ٢ / ٨٨) فحدثنا عن تضعيف أبي حاتم له ، وأعاد الذهبي في ميزان الاعتدال (٤ / ٢٨٢) قوله وأضاف إليه أنه رأى تاريخه وبين سبب تضعيفه ، فقد كان يروي المناكير ، وذكره الذهبي أيضاً في المغني ، ثم جاء ابن حجر في لسان الميزان (٦ / ٧٧) فكرر ما قاله الذهبي في الميزان ولم يصف إليه شيئاً ذابال ، قال : « هارون بن حاتم الكوفي عن أبي بكر بن عياش .. وعنه محمد بن محمد بن عتبة ، وقع لنا تاريخه وقد سمع منه أبو زرعة وأبو حاتم وامتنعا من الرواية عنه ، سئل عنه أبو حاتم فقال : أسأل الله السلامة .. توفي هارون بن حاتم سنة تسع وأربعين ومائتين » .

من الكتب التي ترجمت لهارون وسأقت بعض أخباره عرفنا إذاً أنه عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري ، وإن كنا لم نعرف شيئاً

عن مولده ، لقد كان معاصراً لخليفة بن خياط . وقد مر ذكره عرضاً في كتاب الإشراف^(١) لابن أبي الدنيا - وسير أعلام النبلاء للذهبي^(٢) . أما كتب التاريخ المعروفة فلم أجد فيها أية إشارة إلى هارون بن حاتم وكتابه هذا ، ولعله من الغريب حقاً أن تنصرف عنه كتب التاريخ هذا الانصراف ويحفل به محدثان كبيران : الخطيب البغدادي في بغداد وابن عساكر في دمشق فيكون كتابه هذا على ضالة مادته رافداً لهما في تاريخيهما الكبيرين .

وصف المخطوطة :

يتألف ه تاريخ هارون بن حاتم ، من سبع ورقات من الحجم المتوسط (٢١١ ظ - ٢١٨ و) في المجموع ذي الرقم ٤٠ من مجاميع دار الكتب الظاهرية ، مسطرة الورقة عشرون سطراً ، وخطها نسخ عادي نصف منقوط وخالٍ من الشكل ، وفي آخره سماع تاريخه سنة ٥٢١ ، وفي آخر السماع نعلم أن الذي كتب التاريخ هو علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي - ابن عساكر - وسمعه معه أبو عبد الله الحسين بن محمد بن خسرو البلخي^(٣) وعلي بن سعد بن إبراهيم الحنبل^(٤) . وقد بدىء بالبسملة ثم ذكر الطريقتين اللذين تأدى إليه التاريخ عنها .

(١) روى عنه ابن أبي الدنيا في الإشراف ل ١٦ .

(٢) نقل عنه الذهبي مولد شيخه أبي بكر بن عياش ، انظر سير أعلام النبلاء ٢٧٩/٦ .

(٣) هو أبو عبد الله الحسين بن محمد بن خسرو البلخي جامع مسند أبي حنيفة .

حدث عنه ابن الجوزي . قال السمعاني : سألت عنه ابن ناصر فقال : فيه لين يذهب إلى الاعتزال وسألت عنه ابن عساكر فقال : ما كان يعرف شيئاً . توفي سنة ٥٢٦ هـ . انظر

مصورتي مشيخة ابن الجوزي ل ٧٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٢٤/١٣٦ «من مصورات مجمع اللغة» .

(٤) لم أعثر على ترجمة له .

آخر صفحات التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

قرأت على الشيخ الإمام أبي القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر بن السمرقندي أيدده الله ببغداد قلت له : أخبركم القاضي أبو الفتح نصر بن أحمد بن نصر الخطيب السمينجاني (١) قراءةً عليه وأنت تسمع في محرم سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة ، أنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الله الجواليقي التميمي قراءة عليه بالكوفة في ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وأربعمائة .

[و] (٢) أخبرنا الشيخ أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد ، أنا أبو الحسين المبارك ابن عبد الجبار بن أحمد وأبو طاهر أحمد بن علي بن سيوار المقرئ ، قالا : أنا أبو الفرج الحسين بن علي ابن (٣) الطنাজيري (٢) قالا :

(١) السمينجاني - بكسر السين والميم وسكون النون وفتح الجيم - نسبة إلى سمينجان بلدة من طخارستان وراء بلخ . الأنساب واللباب ومعجم البلدان .
(٢ - ٢) ورد ما بين الرقعتين في رأس الصفحة « انظر ص ١١٤ » المقدمة ، وهو طريق آخر للحافظ ابن عساكر إلى تاريخ هارون بن حاتم لعله جاء متأخراً عن الطريق الأول بدليلين : الأول ما جاء في ورقة الغلاف ، فبعد أن ثبت طريق أبي القاسم اعترض خط صغير بين السطرين ثبت فيه طريق أبي البركات . الثاني استدراك طريق أبي البركات في هامش الأصل ، واقحام كلمة « قالا » بين السطرين في المتن ليلتقي ابن الطنাজيري بالجواليقي في الأخذ عن الأبراري . وفي هامش الأصل يتلو لفظة الطنাজيري : « قال : أنا أبو عبد الله الأبراري » ، ولم أر لها موضعاً بعد أن التقى الطريقان وورد اسم الأبراري كاملاً في المتن . وقد أضفت حرف العطف بين الإسنادين ليستقيم المعنى ولأنه موجود في اقتباسات ابن عساكر من هذا الكتاب .

(٣) لاحظ وجود فراغ في الأصل بقدر كلمة في هذا الموضع .

أنا أبو عبد الله محمد بن زيد بن علي بن مروان الأنصاري البزازي قراءة عليه ، أنا أبو جعفر محمد بن محمد بن عقبة الشيباني (١) قراءة عليه فأقر به ، نا أبو بشر هارون بن حاتم التميمي البزار ، نا أبو بكر بن عياش (٢) ، قال :

ثم بايع الناس علي بن أبي طالب رحمة الله عليه سنة خمس وثلاثين (٣) فأمر علي عبد الله بن عباس على الحج سنة ست وثلاثين (٤) وأمر علي عبد الله (٥) بن عباس سنة سبع وثلاثين ، وبعث علي قُثم بن العباس على الحج سنة ثمان وثلاثين ، ثم اصطاح الناس على شعبة بن عثمان سنة تسع وثلاثين فحج بالناس تلك السنة (٦) . ثم قتل علي رحمة الله عليه ورضوانه في شهر رمضان لسبع عشرة مضت من رمضان من سنة أربعين ، وكانت خلافة علي خمس سنين إلا ثلاثة أشهر . وحج بالناس المغيرة بن شعبة سنة أربعين .

(١) يراجع في ترجمته المعجم الصغير ٣٠٩/٢ ، وسير أعلام النبلاء ١٩٤/٩

(٢) يراجع في ترجمته تاريخ بغداد ٣٧١/١٤ ، ٣٨٤ ، وسير أعلام النبلاء ٢٧٩/٦

والتهذيب ٣٤/١٢

(٣) في تاريخ خليفة ١٩٩/١ أن بيعة علي كانت سنة ٣٦ ومقتل عثمان لأيام بقين من ذي الحجة سنة ٣٥

(٤) في تاريخ خليفة ٢١٤/١ أقام الحج عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ويقال : عبد الله .

(٥) في تاريخ الطبري ٩٢/٥ « عبيد الله » .

(٦) في تاريخ خليفة ٢٢٦/١ : « وفيها بعث معاوية بن أبي سفيان يزيد بن شجرة الرهاوي ليعلم الحج بالناس فنازعه قثم بن عباس فسفر بينهما أبو سعيد الخدري وغيره فاصطلمحوا على أن يقيم الحج شعبة بن عثمان ويصلي بالناس . وفي تاريخ الطبري ١٣٦/٥ أقام الحج في هذه السنة عبيد الله أو عبد الله بن العباس .

ودخل معاوية الكوفة فبايع الناس في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين ، فحج بالناس عتبة بن أبي سفيان . ثم حج بالناس سنة إحدى وأربعين عتبة بن أبي سفيان (١) ، ثم حج بالناس سنة اثنتين وأربعين عتبة (٢) . ثم حج بالناس مروان بن الحكم سنة ثلاث وأربعين ، ثم حج بالناس معاوية ابن أبي سفيان سنة أربع وأربعين . ثم حج بالناس مروان بن الحكم سنة خمس وأربعين . ثم حج بالناس عتبة بن أبي سفيان سنة ست وأربعين . ثم حج بالناس عتبة سنة سبع وأربعين (٣) ، ثم حج بالناس مروان بن الحكم سنة ثمان وأربعين (٤) . ثم حج بالناس سعيد بن العاص سنة تسع وأربعين . ثم حج بالناس معاوية (٥) بن أبي سفيان سنة خمسين . ثم حج بالناس يزيد بن معاوية سنة إحدى وخمسين (٦) . ثم حج بالناس يزيد بن معاوية سنة اثنتين وخمسين (٧) . ثم حج بالناس يزيد بن معاوية سنة ثلاث وخمسين (٨) . ثم حج بالناس مروان بن الحكم سنة أربع وخمسين ، ثم حج بالناس مروان

-
- (١) في الطبري ١٧١/٥ ، والكامل ٢١٩/٣ وقيل عنبة بن أبي سفيان .
 (٢) في الطبري ١٨٠/٥ « عنبة بن أبي سفيان » .
 (٣) في تاريخ خليفة ٢٤٤/١ « عنبة بن أبي سفيان » ، وفي الطبري ٢٣٠/٥ ،
 والكامل ٤٥٣/٣ حج بالناس في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان وقيل عنبة .
 (٤) في تاريخ خليفة ٢٤٥/١ أقام الحج في هذه السنة سعيد بن العاص .
 (٥) في الطبري ٢٤٠/٥ معاوية أو يزيد .
 (٦) في تاريخ خليفة ٢٥٨/١ أن الذي حج بالناس في هذه السنة معاوية .
 (٧) في تاريخ خليفة أن الذي أقام الحج في هذه السنة سعيد بن العاص وكذلك
 في الطبري ٢٨٧/٥
 (٨) في تاريخ خليفة ٢٦٠/١ ، ٢٦٤ ، والطبري ٢٩٢/٥ ، أن الذي أقام الحج
 في هذه السنة سعيد بن العاص .

سنة خمس وخمسين . ثم حج بالناس سنة ست وخمسين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان . ثم حج بالناس أيضاً الوليد سنة سبع وخمسين . ثم حج بالناس أيضاً الوليد بن عتبة سنة ثمان وخمسين . وحج بالناس عثمان بن محمد بن أبي سفيان سنة تسع وخمسين ^(١) . ثم مات معاوية في رجب سنة ستين . وكانت خلافة معاوية تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر .

وبابع الناس يزيد بن معاوية ، فحج بالناس عمرو بن سعيد بن العاص سنة ستين . وقتل الحسين بن علي صلوات الله عليه لعشر ليالٍ خلون من المحرم سنة إحدى وستين ، وحج بالناس الوليد بن عتبة بن أبي سفيان سنة إحدى وستين . وحج بالناس الوليد بن عتبة سنة اثنتين وستين ^(٢) . ومات يزيد لأربع عشرة خلت من شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وستين ، فكانت خلافته سنتان ^(٣) وثلاثة أشهر ^(٤) .

ثم ^(٥) وقعت الفتنة ، وحج بالناس عبد الله بن الزبير سنة ثلاث وستين قبل أن يبايع له الناس ، ثم بايع الناس سنة أربع وستين . وخربت الكعبة يوم السبت ثلاث ليالٍ خلون من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين . ثم حج بالناس عبد الله بن الزبير ثلثي سنين ولأخيراً سنة أربع وستين وخمس وستين وست وستين وسبع وستين وثمان وستين وتسع وستين وسنة سبعين وسنة إحدى وسبعين ^(٥) .

(١) في تاريخ خليفة أن الذي حج بالناس في هذه السنة محمد بن أبي سفيان .

(٢) في تاريخ خليفة ٢٨١/١ « وأقام الحج سنة ٦٢ - عثمان بن محمد بن أبي سفيان »

(٣) كذا في الأصل .

(٤) في تاريخ خليفة ٣١٨/١ : « توفي أمير المؤمنين يزيد في سنة أربع وستين ليلة

البدر في شهر ربيع الأول » .

(٥ - ٥) ما بين الرقمين في تاريخ دمشق ٩ ق ١٣٥ ب أخبار عبد الله بن الزبير .

ثم بايع الناس مروان بن الحكم فعاش سبعة أشهر ثم مات .
ثم بايع الناس عبد الملك بن مروان فحج بالناس الحجاج بن يوسف
سنة ثلاث وسبعين وابن الزبير محصور ، فقتل ابن الزبير يوم الثلاثاء لسبع
عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ^(١) . وكانت الجماعة
على عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين حين قتل ابن الزبير . وحج
بالناس الحجاج سنتين ولاءً : سنة ثلاث وأربع وسبعين . ثم حج بالناس
عبد الملك بن مروان سنة خمس وسبعين . ثم حج بالناس أبان بن عثمان
ابن عفان سنة ست وسبعين ^(٢) وسنة سبع وسبعين . ثم حج الوليد بن
عبد الملك سنة ثمان وسبعين . ثم حج بالناس أبان بن عثمان سنة تسع وسبعين
وسنة ثمانين . وحج بالناس سليمان بن عبد الملك سنة إحدى وثمانين . ثم
حج بالناس أبان بن عثمان سنة اثنتين وثمانين . ثم حج هشام بن إسماعيل
المخزومي أربع سنين ولاءً : سنة ثلاث وأربع وخمس وست وثمانين .
ومات عبد الملك بن مروان في النصف من شوال سنة سبع وثمانين يوم
الخميس ^(٣) فكانت خلافة عبد الملك أربع عشرة سنة وخمسة أشهر إلا
أربعة أيام ^(٤) .

حدثنا هارون بن حاتم ^(٥) ، فارباج عن عبد السلام بن حرب عن ليث
عن مجاهد قال :

(١) في تاريخ خليفة ٣٤٢/١ « قتل عبد الله بن الزبير يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت
من جمادى الآخرة » .

(٢) لم يذكر خليفة أمر الحج سنة ٧٩ . انظر التاريخ ٣٥١/١

(٣) في تاريخ خليفة ٣٨١/١ « وفي سنة ست وثمانين مات عبد الملك بن مروان » .

(٤) في تاريخ خليفة ٣٩٩/١ وكانت ولاية عبد الملك منذ اجتمع عليه ثلاث عشرة
سنة وثلاثة أشهر وثمانية عشر يوماً .

(٥) انظر الخبر في تاريخ ابن عساكر م ٩ ق ١٢٦ أخبار عبد الله بن الزبير .

بلغ ابن الزبير من العبادة ما لم يبلغ أحد ، وجاء سيل فجال بين الناس وبين الطواف فجاء ابن الزبير فطاف بالبيت سببوعاً سباحة .

ثم بايع الناس الوليد بن عبد الملك سنة ثمان^(١) وثمانين . ثم حج بالناس عمر بن عبد العزيز سنتين ولاء سنة تسع وثمانين وسنة تسعين . ثم حج بالناس يعني الوليد بن عبد الملك - سنة إحدى وتسعين . ثم حج بالناس عمر بن عبد العزيز سنة اثنتين وتسعين وسنة ثلاث^(٢) وتسعين . وحج بالناس مسلمة بن عبد الملك سنة أربع وتسعين . ثم حج بالناس بشر بن الوليد ابن عبد الملك سنة خمس وتسعين . ثم مات الوليد بن عبد الملك يوم السبت في النصف من جمادى الآخرة سنة^(٣) ست وتسعين . فكانت خلافة الوليد ابن عبد الملك تسع سنين وثمانية أشهر^(٤) .

ثم بايع الناس سليمان بن عبد الملك فحج بالناس أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري سنة ست وتسعين ، ثم حج بالناس سليمان سنة سبع وتسعين . ثم حج بالناس عبد العزيز بن عبد الله بن خالد سنة ثمان وتسعين . ثم توفي سليمان بن عبد الملك يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة

(١) فوقها في الأصل ضبة . وفي تاريخ خليفة ٣٩٦/١ « ثم بويع الوليد بن عبد الملك في النصف من شوال سنة ست وثمانين » وهذا يتفق مع ما ورد عن وفاة عبد الملك في تاريخ خليفة .

(٢) في تاريخ خليفة ٤٠٦/١ في سنة ثلاث وتسعين قال : « وأقام الحج عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك » وكذلك في الطبري ٤٨٢/٦

(٣) في تاريخ خليفة ٤١٢/١ « في النصف من شهر ربيع الأول » .

(٤) في تاريخ خليفة ٤١٣/١ « وخمسة أشهر وأياماً » .

تسع وتسعين . فكانت خلافة سليمان بن عبد الملك سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام ^(١) .

وبايع الناس عمر بن عبد العزيز فحج بالناس أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري سنتين : سنة تسع وتسعين وسنة مائة . ثم توفي عمر بن عبد العزيز رحمه الله لخمس ليال خلون ^(٢) من رجب سنة إحدى ومائة . فكانت خلافة عمر بن عبد العزيز سنتين وخمسة أشهر وخمسة عشر يوماً .

ثم بايع الناس يزيد بن عبد الملك فحج بالناس عبد الرحمن بن الضحاك الفهري ثلاث سنين ولواء : سنة إحدى ومائة وسنة اثنتين وسنة ثلاث ومائة . ثم حج بالناس عبد الله بن عبد الواحد النضري سنة أربع ومائة ثم توفي يزيد بن عبد الملك لخمس ليال بقرين من شعبان سنة خمس ومائة ، فكانت خلافة يزيد بن عبد الملك أربع سنين وشهراً .

ثم بايع الناس هشام بن عبد الملك فحج بالناس إبراهيم بن ^(٣) إسماعيل الخزومي سنة خمس ومائة . ثم حج بالناس هشام بن عبد الملك سنة ست ومائة . ثم حج بالناس إبراهيم بن هشام بن عبد الملك ^(٤) ست

(١) في تاريخ خليفة ٤٢٦/١ : « عشرة أشهر ونصف أو تسعة أشهر ونصف » .

(٢) في تاريخ خليفة ٤٦١/٢ « بقرين » .

(٣) فوقها في الأصل ضبة ، وفي الهامش : « هو إبراهيم بن هشام بن إسماعيل » ولم يذكر خليفة أمر الحج في هذه السنة .

(٤) كذا في الأصل وفوق هذه اللفظة ضبة ، ولعلها إشارة إلى أن الصواب

« إبراهيم بن هشام بن إسماعيل الخزومي » كما في تاريخ خليفة ٤٩٢/٢ والطبري ٤٢/٧ ،

٤٥ ، ٥٢ ، ٦٢ ، ٦٩ ، ٨٧ . وقد تقدم على الصواب سنة ١٠٥

سنتين ولاء سنة سبع وثمان وتسع وعشر وإحدى عشرة واثنى عشرة ومائة .
ثم حج بالناس سليمان بن هشام بن عبد الملك سنة ثلاث عشرة ومائة . ثم
حج بالناس خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية
سنة أربع عشرة ومائة . ثم حج بالناس ^(١) محمد بن هشام بن إسماعيل سنة
خمس عشرة ومائة . ثم حج بالناس ^(١) الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة
سبع ^(٢) عشرة ومائة . ثم حج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل سنة ثمان
عشرة ومائة . وحج بالناس مسلمة بن عبد الملك سنة تسع عشرة ومائة .
ثم حج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل سنة عشرين ومائة ، وسنة إحدى
وعشرين ومائة وسنة اثنتين وعشرين ومائة . وحج بالناس يزيد بن هشام
ابن عبد الملك سنة ثلاث وعشرين ومائة . وحج بالناس محمد بن هشام بن
إسماعيل سنة أربع وعشرين ومائة ^(٣) . ثم توفي هشام بن عبد الملك يوم
الأربعاء لست ^(٤) خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ، فكانت
خلافة هشام تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وأحد وعشرين ^(٥) يوماً .

(١ - ١) استدرك ما بين الرقمين بالهامش .

(٢) فوقها في الأصل ضبة ، ومن الملاحظ أن المؤلف لم يذكر أمر الحج سنة ست
عشرة ومائة ، والذي في تاريخ خليفة ٥١٢/٢ ، ٥١٤ والطبري ٩٨/٧ ، ١٠٧
أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك حج بالناس سنة ست عشرة ومائة ، والذي حج سنة
سبع عشرة ومائة هو خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم .

(٣) في الطبري ١٩٩/٧ الذي أقام الحج هذه السنة عبد العزيز بن الحجاج
بن عبد الملك .

(٤) في تاريخ خليفة ٥٣٣/٢ . « ثلاث » .

(٥) في تاريخ الطبري ٥٣٣/٢ « وأحد عشر » .

ثم بايع الناس الوليد بن يزيد بن عبد الملك فحج بالناس يوسف بن محمد بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي سنة خمس وعشرين ومائة . وقتل الوليد لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، فكانت خلافة الوليد سنة واحدة وشهرين واثنين وعشرين يوماً .

ثم بايع الناس يزيد بن الوليد بن عبد الملك فحج بالناس عمر بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان سنة ست وعشرين ومائة (١) ثم مات يزيد ابن الوليد وكانت خلافة يزيد سنة واحدة .

ثم بايع الناس مروان بن محمد فحج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز سنتين ولواء : سنة سبع وعشرين ومائة وسنة ثمان وعشرين ومائة . ثم حج بالناس عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك سنة تسع وعشرين ومائة . وحج بالناس محمد بن عبد الملك بن مروان (٢) سنة ثلاثين ومائة ثم حج بالناس الوليد بن عروة بن عطية السعدي سنة إحدى وثلاثين ومائة . فكانت خلافة مروان خمس سنين . ثم انقضى ملك بني أمية .

حدثنا أبو بشر هارون بن حاتم ، نا يحيى بن عيسى الرملي عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا دين الله دَغَلًا (٣) ،

(١) لم يذكر خليفة أمر الحج في هذه السنة . وفي الطبري ٢٩٩/٧ أن الذي أقام الحج في هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان .

(٢) في تاريخ خليفة ٩٧/٢ : محمد بن عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي ، تصحيف قارن مع الطبري ٤٠٢/٧

(٣) في لسان العرب « دغل » : « في الحديث : اتخذوا دين الله دغلاً ، أي يخدعون الناس . . . وقيل هو من قولهم : أدغلت في هذا الأمر إذا أدخلت فيه ما يخالفه ويفسده . »

وعباد الله ختولاً (١) ، وماله دُولاً (٢) .

حدثنا أبو بشر قال : أُملي علينا محمد بن فضيل بن غزوان نسبة
النبي ﷺ :

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي
ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن
النضر بن كِنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن
معد بن عدنان بن أد بن أمّتي (٣) بن شجرة (٣) بن منجر بن صالح (٣)
بن الهميسع بن نبيت بن قينار بن إسماعيل بن إبراهيم بن قارح بن فاحور بن
ساروخ بن أرغوا بن بالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشاد (٣) بن سام بن نوح
بن ملك بن متوشلح بن أخنوخ بن يرد بن مهابل بن قينان بن أنوش بن
شيث بن آدم ﷺ .

قال : ومتوشلح هو إدريس النبي ﷺ . قال : واسم أم النبي ﷺ
آمة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة . واسم أم
آمنة برة بنت عبد العزى (٣) بن غنم (٤) بن عبد الدار بن قصي بن كلاب (٥)

(١) الخول : العبيد ، والخدم ، يقال : هؤلاء خول فلان إذا اتخذهم كالعبيد وقهرهم
اللسان : « خول » .

(٢) جمع دُولَة - بضم الدال ، وهو ما يتداول من المال فيكون لقوم دون قوم
اللسان : « دول » .

(٣) فوقها في الأصل ضبة .

(٤) فوقها في الأصل ضبة ، وبعدها كلمة « عثمان » معترضة بين السطرين .

(٥) يختلف النسب هنا اختلافاً كبيراً بعد عدنان عما هو عليه في كتب التاريخ والسيرة
وقد قال محقق سيرة ابن هشام في حاشية - ١ ص ١ : « كره مالك وجماعة من العلماء أن يرفع
الرجل نسبه إلى آدم من قبل أن هذا كله من باب التخريص والظنون التي لا يمكن أن يوثق
بها ، ثم إن هذه الأسماء المذكورة قد اختلف فيها وفي ضبطها اختلافاً كبيراً » .

واسم أم عبد الله أبي النبي ﷺ فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة^(١) بن مرة بن كعب . وأم عبد المطلب جد النبي ﷺ سلمى بنت عدي بن زيد من بني النجار .

حدثنا هارون بن حاتم ، نا أبو بكر بن عياش ، قال : قبض رسول الله ﷺ وله ثلاث وستون ، وقبض أبو بكر وله ثلاث وستون وقبض عمر بن الخطاب وله ثلاث وستون ، وقتل علي بن أبي طالب^(٢) وله ثلاث وستون .

قال أبو بشر : وسمعت غير أبي بكر بن عياش يقول :

قتل علي بن أبي طالب^(٢) وله ثمان وخمسون سنة .

حدثنا أبو بشر ، أنا يحيى بن أبي عتبة ، قال :

مات العباس بن عبد المطلب سنة تسع وعشرين^(٣) وله ست وثمانون سنة ، وكان أسن من النبي ﷺ بأربع سنين . قال : ومات عبد الرحمن بن عوف سنة إحدى وثلاثين^(٤) / وله ثلاث وستون .

قال أبو بشر ، قال يحيى بن أبي عتبة :

ومات عبد الله بن مسعود سنة ثلاث وثلاثين^(٥) وله ثلاث وستون .

قال أبو بشر : نا محمد بن يعلى قال :

قتل عثمان وله نيف وثمانون .

قال أبو بشر : ونا الفضل بن عمرو قال :

مات مسروق وله ثلاث وستون .

قال أبو بشر : نا عبد الرحمن بن هاني النخعي ، قال :

(١) لانقط في الأصل ، وهو كذا في جهرة الأنساب ١٥ ، ١٤١

(٢ - ٢) استدرك ما بين الرقمين في هامش الأصل .

(٣) في تاريخ خليفة ١٧٩/١ مات العباس سنة ثلاث وثلاثين .

(٤) في تاريخ خليفة ١٧٧/١ سنة اثنتين وثلاثين فيها مات عبد الرحمن بن

عوف وعبد الله بن مسعود .

مات علقمة بن قيس سنة اثنتين وسبعين وله تسعون سنة .
 حدثنا هارون ، نا عبد الرحمن بن هاني ، قال : مات الأسود سنة
 خمس وسبعين وله خمس وثمانون .
 قال أبو بشر : ونا أصحابنا قالوا : مات عمرو بن ميمون الأودي سنة
 أربع وسبعين .
 حدثنا هارون ، نا عبد الله بن مراد^(١) المرادي السلمي عن النعمان بن
 قيس قال : مات عبيدة السلمي سنة اثنتين وسبعين وله خمس وثمانون سنة
 وأوصى أن يصلي عليه الأسود بن يزيد .
 حدثنا هارون ، نا الفضل بن عمرو قال : قتل عبد الرحمن بن أبي
 ليلى وأبو البختري الطائي وعبد الله بن شداد بدُجَيْل^(٢) سنة إحدى وثمانين .
 قال أبو بشر : وحدثنا الفضل قال : مات سويد بن غفلة^(٣) سنة
 إحدى وثمانين وله عشرون ومائة سنة .
 حدثنا هارون ، نا الفضل بن دكين قال : مات رمي بن حيراش سنة
 إحدى ومائة .

(١) فوقها في الأصل ضبة ، ولعله يريد أن الصواب كليب ، فالذي يصح في مكانه
 عبد الله بن كليب بن كيسان المرادي ، أبو عبد الملك البصري توفي سنة ١٩٣ ، فهو من
 طبقة شيوخ هارون . انظر التهذيب ٣٧٠/٥

(٢) هو دَجِيل الأهواز وكانت قريباً منه معركة دير الجماجم التي اتفق على أنها
 حصلت سنة اثنتين وثمانين ، وذكر خليفة وغيره أن أبا البختري قتل في المعركة وأن
 الآخرين اختلفوا . انظر تاريخ خليفة ٣٦٦/١ ، والتهذيب ٢٦٠/٦ ، ومعجم
 البلدان « دجيل » .

(٣) « غَفَلَة » بفتح المعجمة والفاء واللام ، انظر التهذيب ٢٧٨/٤ ، والخلاصة
 ١٥٩ والضبط فيه .

وحدثنا هارون ، نا عبد الرحمن بن هاني قال : مات إبراهيم النخعي
سنة ست وسبعين .

قال أبو بشر : ونا وهب بن اسماعيل الأسدي قال : قتل سعيد بن جبير
سنة خمس وتسعين .

قال أبو بشر : نا الفضل بن دكين قال : مات طلحة بن مصرف سنة
ست ومائة^(١) .

قال أبو بشر : ونا الفضل قال : مات أبو بردة قبل طلحة بن مصرف بأيام .
قال أبو بشر : نا غير واحد من أصحابنا أن شريحاً القاضي مات سنة ثمانين
قال أبو بشر : نا أصحابنا أن ربعي بن حراش مات سنة إحدى وثمانين
وكان ربعي بن حراش بن جحش بن عمرو بن مجاد العبسي .

حدثنا هارون ، نا عمرو بن شبيب المسلي قال : مات الشعبي سنة
أربع ومائة .

حدثنا هارون ، نا محمد بن كثير القرشي عن ليث قال : مات
طاوس سنة ست ومائة .

وعن ليث قال : مات مجاهد سنة سبع ومائة^(٢) .

حدثنا هارون ، نا عبد الله بن إدريس قال : سألت شعبة متى مات
الحسن وابن سيرين قال : ماتا جميعاً في سنة عشرين^(٣) ومائة ، بينهما مائة يوم
مات الحسن قبل .

(١) أورده خليفة ٥٠٦/٢ في وفيات سنة ثلاث عشرة ومائة ، رانظر تاريخ
ابن عساكر « الجزء عاصم - عايد » ٣٩٢

(٢) ذكره خليفة ٤٧٩/٢ في وفيات سنة ١٠٤

(٣) كذا في الأصل وفوقها ضبة ، وفي تاريخ خليفة ٤٩٨/٢ أنها مائة سنة ١١٠

حدثنا هارون ، نا ابن ادريس قال : سألت شعبة متى مات الحكم ؟
قال : سنة خمس ^(١) عشرة ومائة . قال ابن إدريس : وفيها ولدت .
حدثنا هارون ، نا يحيى بن مساور عن أبي الجارود قال : مات أبو جعفر
محمد بن علي سنة ست عشرة ومائة .
قال أبو بشر : نا مصعب عن ابن جريج ، قال : مات عطاء بن أبي
رباح سنة ست عشرة ومائة .
حدثنا أبو بشر ، نا أصحابنا ، قال : مات حبيب بن أبي ثابت سنة
تسع عشرة ومائة .
قال أبو بشر : وسألت عمر بن عبيد متى مات حماد بن أبي سليمان ؟
قال : سنة عشرين ومائة .
حدثنا هارون ، نا أصحابنا قالوا : مات سلمة بن كهيل الحضرمي
سنة ثلاث وعشرين ومائة ^(٢) .
قال أبو بشر : سألت مفضل بن صالح متى مات جابر الجعفي ؟ قال :
سنة سبع وعشرين ومائة .
قال : وسأله متى مات أبو إسحاق ؟ ، قال : بعده بسنة سنة ثمان
وعشرين ومائة .
حدثنا أبو بشر ، ثنا عبيدة بن حميد قال : مات منصور بن المعتمر سنة
إحدى وثلاثين ومائة .
حدثنا أبو بشر نا إسماعيل بن علية قال : مات أيوب السختياني سنة
إحدى وثلاثين ومائة .

(١) كذا في الأصل وفوقها ضبة ، ولعله يريد الحكم بن عتيبة العجلي وقد
ذكر خليفة ٥٠٨/٢ وفاته سنة ١١٣
(٢) في تاريخ خليفة وفاته سنة ١٢٢

حدثنا أبو بشر وسألت عبيدة بن حميد متى مات عبد العزيز بن رُفَيْع ؟
قال : سنة ثلاثين ومائة ^(١) .

قال أبو بشر : وسألت عبيدة ، متى مات أبو الزعراء ؟ قال : سنة
تسع وعشرين ومائة .

وسألت عبيدة ، متى مات نوير بن أبي فاختة ، فقال سنة اثنتين
وثلاثين ومائة .

وسألت عبيدة ، متى مات عمار الدُّهني ^(٢) ؟ قال : مات عمار الدُّهني
وعبد الملك بن عمير سنة ثلاث وثلاثين ومائة .

حدثنا هارون ، نا محمد بن فضيل قال : مات مغيرة بن مُقْسِم سنة
ثلاث وثلاثين ومائة ^(٣) .

حدثنا هارون ، نا محمد بن فضيل قال : مات عطاء بن السائب سنة
أربع وثلاثين ومائة ^(٤) .

حدثنا هارون ، نا ابن فضيل قال : مات حصين بن عبد الرحمن سنة
ست وثلاثين ومائة .

حدثنا أبو بشر ، نا ابن فضيل قال : مات يزيد بن أبي زياد سنة سبع
وثلاثين ومائة .

(١) أورده خليفة ٦٠٤/٢ في وفيات سنة ١٣١

(٢) الدُّهني : بضم أوله وسكون الهاء بعدها نون - نسبة إلى « دُهن » قبيلة من
بجيلة . انظر التاريخ الكبير ٢٨/٧ ، والأنساب ، واللباب ، والتهذيب ٦/٧ ، ٣٠ ،
والتقريب ٣٧٥

(٣) ذكره خليفة ٦٢٧/٢ في وفيات سنة ١٣٤

(٤) ذكره خليفة ٦٣٥/٢ في وفيات سنة ١٣٦

- حدثنا هارون ، نا أسباط بن محمد قال : مات أبو إسحاق الشيباني سنة ثمان وثلاثين ومائة ^(١) .
- حدثنا هارون ، نا أسباط بن محمد قال : مات ليث بن أبي سليم سنة ثمان وثلاثين ومائة .
- حدثنا هارون ، نا ابن علية قال : مات أبو عبد الله الشقري سنة تسع وعشرين ومائة .
- حدثنا أبو بشر ، نا يحيى بن ميمون بن عطاء التمار - بصري ^(٢) - قال : مات علي بن زيد سنة تسع وعشرين ومائة ^(٣) .
- حدثنا هارون ، نا يحيى بن ميمون بن عطاء قال : مات ثابت البُناني قبل علي بن زيد بسنة .
- حدثنا أبو بشر - نا عبيد الله بن سفيان بن عبد الله بن رباح الغُداني من بني يربوع ثم من بني تميم قال : مات يونس بن عبيد سنة أربع وثلاثين ومائة ^(٤) .
- قال أبو بشر : ثنا عبيد الله بن سفيان قال : مات خالد الحذاء سنة سبع وأربعين ومائة ^(٥) .

(١) أورده خليفة ٦٤١/٢ في وفيات سنة ١٤٠

(٢) قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ج ٤ : ق ١٨٨/٢ « بغدادى » وقد عقب الخطيب على قوله في التاريخ ١٢٤/١٤ : « قلت : ولم يكن بغدادياً وإنما كان من أهل البصرة وسكن بغداد » . وهو البصري أيضاً في ميزان الاعتدال ٤/١١١

(٣) أورده خليفة ٦٠٣/٢ في وفيات سنة ١٣١

(٤) أورده خليفة ٦٤٠/٢ في وفيات سنة ١٣٩

(٥) أورده خليفة ٦٤٤/٢ في وفيات سنة ١٤٢

حدثنا أبو بشر ، نا مسعدة الباهلي قال : مات هشام بن حسان سنة ست وأربعين ومائة (١) .

حدثنا أبو بشر ، ونا أصحابنا قالوا : مات ابن أبي خالد سنة ست وأربعين ومائة .

قال أبو بشر : سألت أبا قطن عمرو بن الهيثم ، متى مات عبد الله بن عون ؟ قال سنة خمسين (٢) . قال : وفيها مات أبو حذيفة .

حدثنا أبو بشر ، حدثنا دُبَيْس الملائبي قال : مات علي بن صالح سنة اثنتين وخمسين (٣) .

قال أبو بشر : نا دُبَيْس بن حميد الملائبي ، قال : مات إسماعيل بن يونس سنة إحدى وستين ومائة (٤) .

قال أبو بشر : نا دُبَيْس قال : مات سفيان بن سعيد سنة اثنتين وسبعين ومائة .

قال أبو بشر : نا دُبَيْس قال : مات جعفر الأحمر سنة سبع وستين ومائة .

قال أبو بشر : نا دُبَيْس قال : مات حسن بن صالح سنة سبع وستين ومائة .

قال أبو بشر : نا عبد الرحمن بن أبي حماد المقرئ قال : مات حمزة الزيات وعيسى الهمداني سنة ثمان وخمسين ومائة .

حدثنا أبو بشر ، نا أصحابنا منهم أبو عمرو الحضرمي قال : مات جعفر

(١) أورده خليفة ٦٥٤/٢ في وفيات سنة ١٤٧

(٢) ذكره خليفة ٦٥٤/٢ في وفيات سنة ١٤٧

(٣) أورده خليفة ٦٦٣/٢ في وفيات سنة ١٥٤

(٤) ذكره خليفة ٦٨٦/٢ في وفيات سنة ١٦٢

ابن سليمان سنة سبع وسبعين (١) ومائة .

حدثنا أبو بشر ، نا رباح بن خالد قال : مات شريك سنة سبع وسبعين ومائة (٢) .

حدثنا أبو بشر ، نا نوفل (٣) بن مطهر الضبي قال : مات حماد بن زيد سنة سبع وسبعين ومائة (٤) .

قال أبو بشر : ومات إبراهيم بن الزبرقان التيمي (٥) وموسى بن عيسى ابن موسى وابن السمّاك سنة ثلاث وثمانين ومائة . ومات عمرو بن يحيى الهمداني سنة ثلاث وثمانين ومائة ، ومات عبد الله بن مراد المرادي السلمي الذي روى عن النعمان بن قيس سنة ثلاث وثمانين ومائة . ومات هشيم بن بشير الواسطي ببغداد سنة ثلاث وثمانين ، ومات يحيى بن زكريا بن أبي زائدة بالمدائن سنة ثلاث وثمانين ومائة . ومات عباد بن العوام ببغداد سنة ثلاث وثمانين ، ومات عبد السلام بن حرب سنة سبع وثمانين ، وصلى

(١) اللفظة مصحفة في الأصل وفوقها ضبة وإشارة إلى الحاشية حيث الصواب « سبعين » . وجعفر بن سليمان هذا هو الضبي وقد جعل خليفة ٧١٨/٢ وفاته سنة ١٧٨

(٢) ذكره خليفة ٧١٨/٢ في وفيات سنة ١٧٨

(٣) فوقها في الأصل ضبة ، وفي الحاشية « مؤمل » . وهو ابن مطهر أبو مسعود الضبي الكوفي ، روى عن أبي الأحوص ، روى عنه الحسن بن الربيع . انظر الجرح والتعديل ج ٤ ق ١/٨٨٨

(٤) ذكره خليفة ٧١٩/٢ في وفيات ١٧٩

(٥) في تاريخ البخاري ٢٨٦/١ : « إبراهيم بن الزبرقان أبو إسحاق الكوفي من بني تيم » الله ، وفي الجرح والتعديل ج ١ ق ١/١٠٠ « التيمي » .

عليه عمران بن إسحاق الأشعري ، ومات عمر بن عبيد الطنافسي في هذه السنة بعده بأشهر .

حدثنا أبو بشر ، نا ابن فضيل قال : مات ابن مُبْرُمة سنة أربع وأربعين ومائة . ومات يحيى بن يمان العجلي سنة ثمان وثمانين ومائة . ومات عبد الله بن سليمان سنة ثمان وثمانين ومائة . ومات يحيى بن عبد الملك بن حميد (١) ابن أبي غنينة (٢) الحِزَاعي ، وكان مولى لطلحة الطلحات سنة ثمان وثمانين ومائة . ومات حميد بن عبد الرحمن الرواسي سنة تسع وثمانين ومائة (٣) . ومات أبو خالد الأحمر سنة تسعين ومائة . ومات عبيدة بن حميد سنة تسعين ومائة .

حدثنا أبو بشر ، نا محمد بن كثير القرشي عن ليث قال : مات طاوس وسالم بن عبد الله (٤) سنة ست ومائة وصلى عليها هشام بن عبد الملك . ومات إسماعيل بن عليّة سنة ثلاث وتسعين ومائة .

قال أبو بشر : نا أبو معاوية قال : مات عمرو بن مرة الجَمَلِي (٥) سنة ست عشرة ومائة .

قال أبو بشر : نا أصحابنا قالوا : مات جعفر بن محمد وزكريا بن أبي

(١) فوقها في الأصل ضبة .

(٢) بفتح المعجمة وكسر النون وتشديد التحتانية . انظر التهذيب ٢٥٢/١١ والتقريب ٣٩٣

(٣) ذكره خليفة ٧٣٩/٢ في وفيات سنة ١٩٢

(٤) ذكر خليفة ٤٩٣/٢ وفاة سالم سنة سبع ومائة .

(٥) الجَمَلِي - بفتح الجيم والميم نسبة إلى جمل بطن من مراد . انظر الأنساب

واللباب ، والتهذيب ١٠٢/٨ . وفي تاريخ خليفة ٦٥٥/٢ وفاته سنة ١١٨

زائدة سنة ثمان وأربعين^(١) ومائة . ومات شعبة سنة إحدى وستين ومائة .

حدثنا أبو بشر ، نا عبيد الله بن موسى قال : مات محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى سنة ثمان وأربعين ومائة .

قال أبو بشر : نا أبو معاوية قال : مات الأعمش سنة ثمان وأربعين ومائة .
حدثنا أبو بشر : نا عبدة بن سليمان الكلابي قال : مات هشام بن عروة سنة ست وأربعين ومائة .

حدثنا هارون ، نا عبدة قال : مات ابن أبي خالد سنة ست وأربعين ومائة .
حدثنا أبو بشر ، نا عبد الله بن نمير قال : مات عبد الملك بن أبي سليمان سنة سبع وأربعين^(٢) ومائة .

قال أبو بشر : ومات ابن إدريس سنة اثنتين وتسعين ومائة في العشير وصلى عليه داود بن عيسى ، وكان أمير الكوفة يومئذ . ومات أبو بكر بن عياش سنة ثلاث وتسعين ومائة في شهر ربيع الأول وصلى عليه داود بن عيسى . ومات عائذ بن حبيب بياح الهروي^(٣) سنة تسعين ومائة .

حدثنا أبو بشر ، نا دُبَيْس قال : مات قيس بن الربيع سنة سبع وستين ومائة^(٤) . وفلج حفص بن غياث حين مات ابن إدريس فمكث في البيت إلى سنة أربع وتسعين ومائة ثم مات سنة أربع وتسعين ومائة في العشير وصلى عليه الفضل بن العباس ، وكان أمير الكوفة يومئذ .

(١) أورده خليفة ٦٥٦/٢ في وفيات سنة ١٤٩

(٢) أورده خليفة ٦٥١/٢ في وفيات سنة ١٤٥

(٣) انظر التهذيب ٨٨/٥

(٤) أورده خليفة ٦٩٢/٢ في وفيات سنة ١٦٨

قال أبو بشر : ومات ابن فضيل في سنة خمس وتسعين ومائة في
 صفر يوم جمعة وأخرج بالعشي وصلى عليه عبد الملك بن عيسى . قال :
 ومات أبو معاوية بعد ابن فضيل بثمانية وأربعين يوماً وصلى عليه الفضل بن
 العباس . ومات عبد الرحمن بن محمد بن زياد بن ملحان المحاربي يوم الاثنين
 آخر يوم من شهر ربيع الآخر بعد أبي معاوية بثمانية عشر يوماً ، وصلى
 عليه عبد الرحيم ابنه . قال : ومات محمد بن إسماعيل بن رجاء الزبيري
 سنة ثمان وتسعين ومائة . ومات زيد بن الحباب^(١) بن مسلم بن زياد بن
 ريان^(٢) العكلي في سنة إحدى ومائتين . ومات أبو أسامة في سنة اثنتين
 ومائتين . ومات محمد بن عبيد الطنافسي في سنة خمس ومائتين . مات
 جعفر بن عون سنة ست ومائتين . مات حسين الجعفي يوم الأحد في أول
 يوم من ذي القعدة وكان يوم النيروز في سنة ثلاث ومائتين . ومات أبوداود
 الحفري^(٣) - وإنما كان من بني فزارة - في سنة ثلاث ومائتين . ومات محمد
 بن بشير العبدي سنة ثلاث ومائتين . ومات عبد الرحمن ابن أبي حماد
 سنة ثلاث ومائتين . ومات داود بن يحيى بن يمان سنة ثلاث ومائتين .
 ومات عبيد الله بن موسى سنة ثلاث عشرة ومائتين . ومات قبيصة بن
 عقبة السوائي سنة خمس عشرة ومائتين . ومات الفضل بن دكين سنة
 تسع عشرة ومائتين .

(١) أورده خليفة ٧٦٦/٢ في وفيات ٢٠٣

(٢) كذا في الأصل وفوق هذه اللفظة والتي قبلها ضمة ، وهو زيد بن
 الحباب بن الريان أبو الحسين العكلي بضم العين الممثلة وسكون الكاف وكسر اللام
 هذه النسبة إلى عكل بطن من تميم - توفي سنة ثلاث ومائتين . انظر الجرح والتعديل
 ج ١ ق ٥٦١/٢ ، والأنساب ، والتهذيب ٤٠٣/٣

(٣) هو عمرو بن سعد الكوفي ، وقد ذكره خليفة ٧٦٩/٢ في وفيات ٢٠٦ ،
 وانظر الكنى لمسلم ٥٩

قال أبو بشر : ونا نوفل بن (١) مطهر قال : مات مالك بن أنس سنة سبع وسبعين ومائة (٢) .

قال أبو بشر : ومات أسباط بن محمد في سنة تسع وتسعين ومائة (٣) في أيام أبي السرايا .

قال : ومات عبد الله بن غير في جمادى سنة تسع وتسعين ومائة ، قبل خروج أبي السرايا قال : ومات يونس بن بكير بعد ابن غير بأيام في جمادى الأولى سنة تسع وتسعين ومائة . ومات جنادة بن أسلم السوائي سنة سبع وتسعين ومائة . ومات رباح في ذي القعدة سنة أربع وتسعين ومائة . ومات أحمد بن بشير في المحرم سنة سبع وتسعين ومائة .

حدثنا أبو بشر ، نا رباح قال : سألت سفيان بن عيينة ، متى مات الزهري ؟ قال : سنة ثلاث وعشرين ومائة (٤) ، وفيها قتل زيد بن علي . قال أبو بشر : وسألت حسين الجعفي متى قتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسين ؟ قال : سنة خمس وأربعين ومائة .

قال أبو بشر : وحدثني أبو عمران الأحول قال : قتل الحسين بن علي صاحب فخ (٥) بفخ يوم التروية سنة تسع وستين ومائة .

(١) كذا في الأصل وفوقها « صح » وقد تقدم التعريف به في ص ٨

(٢) ذكره خليفة ٧١٩/٢ في وفيات سنة ١٧٩

(٣) في تاريخ خليفة ٧٦٣/٢ وفاته سنة ٤٠٠

(٤) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري ، ذكره خليفة ٥٣٢/٢

في وفيات سنة ١٢٤

(٥) « فخ » بفتح أوله وتشديد ثانيه - واد بمكة ، قتل فيه أبو عبد الله الحسين بن علي بن الحسن ، وقد كان خرج من المدينة يدعو إلى نفسه . انظر تفصيل خبره في مقاتل الطالبين ٤٣١ ، ومعجم البلدان .

قال أبو بشر : ونا أبو أسامة عن هشام بن عروة قال : أسلم الزبير وهو ابن ست عشرة سنة ، وقتل وله بضع وستون سنة . ومات عكرمة سنة سبع ومائة .

قال أبو بشر : نا محمد بن عبيد الطنافسي عن أبي خالد قال : رأيت زُرَّ بن حيش وله عشرون ومائة سنة ، ورأيت أبا عمرو الشيباني وقد أتى عليه بضع عشرة ومائة سنة . قال : ومات الشعبي وأبو بردة في سنة واحدة سنة أربع ومائة . وقال آخرون : سنة سبع ومائة . مات الضحاك بن مزاحم سنة خمس ومائة ، ومات سالم بن أبي الجعد في خلافة سليمان بن عبد الملك . ومات قتادة ونافع سنة ست عشرة (١) ومائة ، ومات زبيدة الياامي (٢) سنة اثنتين وعشرين ومائة ، ومات محمد بن كعب القرظي سنة ثمان ومائة (٣) .

قال أبو بشر هارون بن حاتم : سألت عبيدة بن حميد ، يا أبا عبد الرحمن متى ولدت ؟ قال : سنة سبع (٤) ومائة . وسألت أسباط بن محمد فقلت : يا أبا محمد ، متى ولدت ؟ قال : سنة خمس ومائة . وسألت محمد ابن فضيل فقلت : يا أبا عبد الرحمن متى ولدت ؟ قال : أنا وحيان بن علي سنة إحدى عشرة ومائة ، فقلت : مندل ؟ قال : مندل أكبر منا بدهر . وسألت عبد السلام بن حرب فقلت : يا أبا بكر متى ولدت ؟ قال : ولدت أنا وسفيان بن عيينة سنة خمس ومائة . وسألت أبا خالد الأحمر متى ولدت ؟

(١) ذكره خليفة ٥١٤/٢ في وفيات سنة ١١٧

(٢) في تاريخ خليفة ٥٤٧/٢ « زبيدة الياامي » ، وهو زبيد الياامي ويقال الياامي .

انظر التهذيب ٣١٠/٣

(٣) ذكر خليفة ٥١٤/٢ وفاته سنة ١١٧

(٤) كتبت في الأصل « تسع » وفوقها ضبة ، ثم صوبت في الهامش ، كما أثبتنا .

قال : سنة أربع عشرة . وسألت أبا معاوية ، متى ولدت ؟ قال : سنة ثلاث عشرة ومائة . وسألت أبا معاوية متى ولد الأعمش ؟ قال : ولد سنة ستين ومات سنة ثمان وأربعين ومائة ومات وله ثمان وثمانون سنة . وسئل حفص ابن غياث وأنا أسمع عن مولده فقال : ولدت سنة سبع عشرة ومائة . وسألت سليم بن عيسى فقلت : يا أبا موسى متى ولدت ؟ قال : سنة سبع عشرة ومائة ليلة عرفة ، أنا ويعلى بن عبيد في ليلة واحدة . وسألت عبد الله بن غير فقلت : يا أبا هشام متى ولدت ؟ قال : سنة خمس عشرة ومائة ، وسألت الحسين بن علي الجعفي فقلت : يا أبا عبد الله متى ولدت ؟ فقال : سنة تسع عشرة ومائة . وسألت عبد الرحمن بن أبي حماد قلت : يا أبا محمد متى ولدت ؟ قال : سنة إحدى وثلاثين ومائة . وسألت عبيد الله بن موسى ، متى ولدت ؟ قال : سنة سبع وعشرين ومائة .

قال أبو بشر : وسأل داود بن يحيى بن يمان وكيعاً وأنا أسمع فقال : يا أبا سفيان متى ولدت ؟ قال : سنة ثمان وعشرين ومائة . وولد سعيد بن المسيب لسنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطاب رحمه الله . وسألت أبا نعيم فقلت : يا أبا نعيم متى ولدت ؟ قال : سنة تسع وعشرين ومائة . وسألت يحيى بن يمان فقلت : يا أبا زكريا متى ولدت ؟ قال : سنة سبع^(١) عشرة ومائة . وسألت يحيى بن أبي غنينة^(٢) فقلت : يا أبا زكريا متى ولدت ؟ قال : سنة سبع عشرة ومائة .

قال أبو بشر : وسمعت منصور بن أبي نيرة الأسدي يقول لأبي بكر بن

(١) كتبت في الأصل « ثمان » وفوقها ضبة ، ثم صوبت في الهامش كما أثبتنا .

(٢) لم تتضح اللفظة في الأصل ، وهو يحيى بن عبد الملك بن حميد بن

أبي غنينة - بفتح المعجمة وكسر النون وتشديد التحتانية ، انظر التهذيب

عياش : يا أبا بكر ، متى ولدت ؟ قال : سنة خمس وتسعين ^(١) ، فجلت إلى دُبَيْس بن حُميد المُلَائي فقلت : يا أبا عيسى سأل منصور بن أبي نيرة أبا بكر بن عياش متى ولدت ؟ فقال : سنة خمس وتسعين : فقال دُبَيْس : صدق ، ولد أبو بكر بن عياش وسفيان بن سعيد وشريك بن عبد الله في سنة خمس وتسعين فمات سفيان بن سعيد في سنة اثنتين وستين وله سبع وستون ، ومات شريك بن عبد الله سنة سبع وسبعين وله اثنتان وثلاثون ، ومات أبو بكر بن عياش سنة ثلاث وتسعين وله ثمان وتسعون سنة .

حدثنا أبو بشر ، نا دُبَيْس بن حميد قال : ولد علي بن صالح والحسن بن صالح توما في بطن ^(٢) وجعفر الأحمر وإسرائيل بن يونس سنة مائة ، فمات علي بن صالح سنة اثنتين وخمسين وله اثنتان وخمسون سنة ، ومات إسرائيل سنة إحدى وستين وله إحدى وستون سنة ، ومات الحسن بن صالح سنة سبع وستين وله سبع وستون سنة ، ومات جعفر الأحمر سنة سبع وستين وله سبع وستون سنة .

قال أبو بشر : نا أصحابنا منهم أبو نعيم قال : مات شريح بن هانئ وله مائة وعشر سنين .

حدثنا أبو بشر ، نا أبو نعيم قال : مات سويد بن غفلة الجعفي وله مائة وعشرون سنة .

حدثنا أبو بشر ، نا أبو نعيم قال : مات زر بن حُبَيْش الغاضري وله مائة وسبع وعشرون سنة . ومات أبو خالد الدالاني ^(٣) الوالي وله مائة سنة .

(١) تاريخ بغداد ٣٨٤/١٤ ، وفيه : « منصور بن أبي موية الأسدي » .

(٢) في متن الأصل : « في يوم فطر » وفوقها ضبة وثبت الصواب في الهامش .

(٣) استدركت اللفظ في الهامش .

قال أبو بشر : نا نصر بن حماد الواسطي الوراق قال : سألت هشيم متى ولدت ؟ فقال : في سنة أربع ومائة .

قال أبو بشر : وسألت علي بن عاصم ببغداد سنة سبع وثمانين ومائة فقلت : يا أبا الحسن متى ولدت ؟ فقال : سنة خمس ومائة .

حدثنا أبو بشر ، نا سويد بن عمرو السكبي عن حماد بن سلمة عن علي ابن زيد عن سعيد بن المسيب قال : رفع الله عز وجل عيسى بن مريم وهو ابن ثلاث وثمانين سنة ، ومات معاذ بن جبل وهو ابن ثلاث وثمانين سنة . حدثنا أبو بشر ، نا أبو معاوية ، عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب ^(١) قال : توفي النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وبقي بمده أبو بكر حتى بلغ ثلاثاً وستين ثم مات ، وبقي بعده عمر بن الخطاب حتى بلغ ثلاثاً وستين .

حدثنا أبو بشر ، نا حسين بن علي عن زائدة عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس قال : أنزل على النبي ﷺ وهو ابن أربعين سنة ، ثم مكث بمكة ثلاث عشرة سنة ، وكان بالمدينة عشراً فقبض وهو ابن ثلاث وستين . حدثنا أبو بشر ، نا عبدة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب ^(١) أن النبي ﷺ أنزل عليه القرآن وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، وأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين ثم توفي وهو ابن ثلاث وستين .

حدثنا أبو بشر ، نا إسماعيل بن علية عن خالد الحذاء عن عمار مولى بني هاشم عن ابن عباس قال : توفي رسول الله ﷺ وهو ابن خمس وستين سنة .

حدثنا أبو بشر ، نا الفضل بن دكين عن شريك عن أبي إسحاق قال : مات النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعلي أبناء ثلاث وستين ، وقتل عثمان وهو ابن نيف وسبعين ^(٢) .

(١) فوقها ضبة . (٢) كذا في الأصل وفوقها ضبة .

حدثنا أبو بشر ، نا حسين الجعفي عن سفيان بن عيينة قال : سمعت الهذلي سأل جعفر بن محمد ، كم كان لعملي حين قتل ؟ قال : قتل وهو ابن ثمان وخمسين ، ومات بها الحسن . وقتل بها الحسين ، يعني ولهما هذا السن .

ما جاء في الأسماء والكنى

اسم أبي الهيثم بن التميمي مالك بن التميمي^(١) . واسم أبي مسعود الأنصاري عقبة بن عمرو^(٢) . واسم أبي أيوب خالد بن زيد^(٣) . واسم أبي أمية أسعد بن زوارة^(٤) . واسم أبي بكرة نقيع^(٥) . اسم أبي طلحة زيد بن سهل^(٦) . واسم عبد المطلب شيبه . اسم هاشم عمرو . اسم عبد مناف مغيرة . اسم أبي بكر عبد الله بن عثمان^(٧) . اسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب . اسم أم حبيبة زوج النبي ﷺ ومثلة^(٨) . اسم أم سلمة هند بنت أبي أمية^(٩) . اسم أبي عبيدة بن الجراح عامر بن عبد الله بن الجراح^(١٠) . اسم أبي مَحْذُورَة سمرة بن مَعْيَر^(١١) . اسم

(١) انظر الاستيعاب ١٧٧٣/٤ . وتيمهان : أوله ثاء بعدها ياء مشددة معجمة باثنتين . انظر الإكمال ٥١٩/١

(٢) الاستيعاب ١٧٥٦/٤ (٣) الكنى لمسلم ل ٥ ، والاستيعاب ١٦٠٦

(٤) الكنى لمسلم ل ٧ ، والاستيعاب ١٦٠٠/٤ (٥) الكنى لمسلم ٥٠

(٦) الكنى لمسلم ل ٧١ ، والاستيعاب ١٦٩٧/٤ (٧) الكنى لمسلم ل ٤٨

(٨) الاستيعاب ١٩٢٩/٤ (٩) الاستيعاب ١٩٣٤/٤

(١٠) الكنى ل ٨٢ ، والاستيعاب ١٧١٠/٤ ، وتاريخ ابن عساكر «عاصم - عايد» ٢٥٩

(١١) الكنى لمسلم ل ٩٧ ، والاستيعاب ١٧٥١/٤ ، وفيه أنه مختلف باسمه

أبي بَرَزَة نَضْلَة بن عبد الله (١) . اسم أم ابن عباس لبابة بنت الحارث الهلالية (٢) . اسم أم هانيء بنت أبي طالب هند (٣) . اسم أبي دجاجة الأنصاري سماك بن خروشة (٤) . اسم أبي قرّة الكندي سلمة بن معاوية . اسم أبي قتادة الأنصاري الحارث بن ربيعي بن بلدمة (٥) . اسم أبي أمامة الصدي بن عجلان (٦) . اسم أبي سعيد الخدري سعد بن مالك (٧) . اسم أبي جُحَيْفَة الشَّوْائِي وهب بن وهب (٨) . اسم أبي موسى الأشعري عبد الله بن قيس (٩) . اسم أبي هريرة الدَّوْشِي عبد شمس (١٠) . اسم أبي الدرداء عويمر بن عامر (١١) . اسم أبي ذر جُثْدَب بن جُنَادَة بن الوقيلة بن عمرو بن غفارة (١٢) . اسم أبي عبد الرحمن السلمي عبد الله بن حبيب (١٣) . اسم أبي البخري الطائي سعيد بن فيروز (١٤) ، وكان مولاهم . اسم الشعبي عامر بن شراحيل . اسم أبي لهب عبد العزى (١٥) .

-
- (١) الكنى لمسلم ٥٠ ، وفيه « نضلة بن عبيد الله » والاستيعاب ٤/ ١٦١٠ ، وقد ذكر الخلاف في اسمه ورجح : « نضلة بن عبيد الله » .
- (٢) الاستيعاب ٤/ ١٩٠٧ (٣) الاستيعاب ٤/ ١٩٦٣ ، اختلف في اسمها
- (٤) الاستيعاب ٤/ ١٦٤٤ (٥) الكنى لمسلم ل ٨٩ ، والاستيعاب ٤/ ١٧٣١ وفيه أنه مختلف باسمه . (٦) الكنى لمسلم ل ٧ ، والاستيعاب ٤/ ١٦٠٢
- (٧) الكنى لمسلم ٦٣ ، والاستيعاب ١٦٧١
- (٨) الكنى ل ٥٢ ، وفيه « وهب بن عبد الله » ، والاستيعاب ٤/ ١٦١٩ ، وفيه « وهب بن عبد الله » ، ويقال : وهب بن وهب .
- (٩) الكنى ل ٩٤ ، والاستيعاب ٤/ ١٧٦٢
- (١٠) وكذلك في الكنى ل ١٠١ ، والاستيعاب ١٧٦٨ ، وفيه خلاف .
- (١١) الكنى ل ٢٣ ، والاستيعاب ١٦٤٦
- (١٢) الكنى ل ٦٠ ، والاستيعاب ١٦٥٢ وذكر خلافاً كبيراً في اسمه ونسبه .
- (١٣) الكنى ل ٧٥ (١٤) الكنى ل ٥٠
- (١٥) انظر جمهرة ابن حزم ١٧٦

اسم أبي المليح عامو بن أسامة^(١) . اسم أبي سفيان صخر بن حوب
بن أمية^(٢) . اسم أبي الوداك جبر بن نوف^(٣) . وكان اسم أبي المتوكل
علي بن دؤاد التاجي^(٤) . اسم أبي سريحة الغفاري حذيفة ابن أسيد^(٥) .
وكان اسم أبي الكنود الأزدي عبد الله بن عويم^(٦) . وكان اسم أبي الأسود
الدؤلي ظالم بن عمرو بن سفيان^(٧) . وكان اسم أبي بردة بن أبي موسى
الأشعري عامر بن عبد الله بن قيس^(٨) . وكان اسم أبي خالد الوالبي هرمز^(٩)
وكان اسم أبي القعة-اع الحزامي عبد الله بن خالد . وكان اسم أبي
التسيّاح الضبعي يزيد بن حميد^(١٠) . وكان اسم أبي عمران الجَوْني عمرو بن
حبيب . وكان اسم أبي تيممة الهجيمي طريف بن مجالد^(١١) . وكان اسم أبي
مسلم الحولاني عبد الله بن عبد الله^(١٢) . وكان اسم أبي العجفاء السلمي هرم^(١٣)

- (١) الكنى لمسلم ل ٩٦ (٢) الكنى لمسلم ل ٦٦
(٣) الكنى لمسلم ل ١٠٠ ، والتهذيب ٦٠/٢ وقد اضطرب رسم الكنية في الأصل
وهو جبر بن نوف الحمداني البسكالي أبو الوداك الكوفي ، روى عن أبي سعيد الخدري .
(٤) انظر الكنى لمسلم ٩٧ ، والمشتبه ٥١٥
(٥) الكنى لمسلم ل ٦٨ والمشتبه ١٢ (٦) الكنى لمسلم ٨٩
(٧) الكنى لمسلم ل ٦ (٨) الكنى لمسلم ل ٤٩ ، وانظر تاريخ دمشق «عاصم-عايد» ٣٨٠
(٩) الكنى لمسلم ل ٥٧
(١٠) الكنى لمسلم ل ٥٠ ، «والتياح» : بفتح التاء وتشديد الياء . انظر المشتبه ٥١٧
(١١) الكنى لمسلم ل ٥٠
(١٢) فوق « عبد الله » ضبة ، ولعله يريد أن الصواب « ثوب » .
فهو « عبد الله بن ثوب » على أصح الروايات . انظر الكنى لمسلم ٩٥ ، والإكمال ٦٨/١
والمشتبه ٨٠
(١٣) هو هرم بن نسيب السلمي . انظر التاريخ الكبير ٦٢/٩ ، والكنى
لمسلم ل ٨٧ ، والتاج «عجف» ، وفي ذيل التاريخ الكبير يقول ابن أبي حاتم ص
١٦٠ « أبو العجفاء » بالميم . وفي الحاشية : « وقع في الكنى أبو العجفاء خطأ » .
وهو « أبو العجفاء » أيضاً في الجرح والتعديل ج ٤ ق ٢٠/٤

وكان اسم أبي حازم المدني سلمة بن دينار (١).

قال أبو بشر : أخبرني بذلك محمد بن عبد الرحمن بن أبي مليكة .

وكان اسم أبي الزناد عبد الله بن ذكوان (٢) . أخبرني بذلك سفيان

ابن عيينة . وكان اسم أبي الحويرث عبد الرحمن (٣) بن معاوية . قال أبو بشر :

أخبرني بذلك سفيان بن عيينة . وكان اسم أبي عاصم الغطفاني (٤) علي بن

عبيد الله . أخبرني بذلك عبيدة بن حميد . وكان اسم أبي نضرة المنذر

ابن مالك (٥) . وكان اسم أبي الصديق الناجي (٦) بكر . وكان اسم أبي

فروة الهمداني عروة بن الحارث (٧) . وكان اسم أبي فروة الجهني مسلم

بن سالم (٧) . أخبرني بذلك حفص بن عمر (٨) بن أبي فروة .

بلغت من أول تاريخ هارون بن حاتم سمعاً ، والشيخ الإمام أبو

عبد الله الحسين بن محمد بن خسرو البلخي ، وعلي بن أبي سعد بن إبراهيم

الحباز في محرم سنة إحدى وعشرين وخمسمائة . وكتب علي بن الحسن بن هبة

الله الشافعي وصح وثبت ، والحمد لله وحده .

هذا آخره والحمد لله وحده

(١) الكنى لمسلم ل ٥٥ (٢) الكنى لمسلم ل ٦٣

(٣) في الأصل «عبد الله» وفوقها ضبة ، وقد صوبت في الهامش كما أثبتنا ، والذي في

كنى مسلم ٥٧ «أبو الحويرث عبد الرحمن بن معاوية» وكذلك في التهذيب ٨١/١٢ ، والتقريب ٤١٧

(٤) لم تنقط الغين في الأصل والتبس رسمها بالفاء ، والصواب ما أثبتناه انظر

الكنى لمسلم ل ٨٣ ، والجرح والتعديل ج ٣ ق ١/١٩٤

(٥) الكنى لمسلم ٩٩٠ وميزان الاعتدال ٤/١٨١

(٦) الكنى لمسلم ل ٧٠ والمشتبه ٥١٥ «الناجي» .

(٧) انظر الكنى لمسلم ل ٨٨ (٨) فوقها في الأصل ضبة .

المصادر

الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر . تحقيق علي محمد البجاوي
ط . مصر .

الإشراف في منازل الأشراف لابن أبي الدنيا . مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق .
تاريخ دمشق لابن عساكر المطبوع (عاصم - عايد) . تحقيق الدكتور
شكري فيصل . ط مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٧ ، والنخطوط المجلدة ٩ . أخبار
« عبد الله بن الزبير » . نسخة دار الكتب الظاهرية .

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي . ط الخالجي . القاهرة ١٣٤٩ = ١٩٣١ م
= خليفة بن خياط . تحقيق سهيل زكار . ط دمشق ١٩٦٨ م
= الطبري . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ط . دار المعارف .

مصر ١٩٦٧

التاريخ الكبير للبخاري . ط . حيدر آباد الدكن .
تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ط الهند ١٣٢٥ هـ
الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي ط حيدر آباد الدكن الهند
١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م

جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي . تحقيق عبد السلام محمد
هارون . ط . دار المعارف بمصر ١٣٨٢ = ١٩٦٢ م

خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي . مكتب المطبوعات الإسلامية

١٣٩١ هـ ١٩٥٢ م

سير أعلام النبلاء للذهبي مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق .

- الكامل في التاريخ لابن الأثير . ط . دار صادر بيروت ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م
- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني . حيدر آباد الدكن الهند ١٣٢٩ م
- الكنى والأسماء لمسلم بن الحجاج القشيري . مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق
- المشبه في أسماء الرجال للذهبي . ط . لندن - بريل .
- المغني في الضعفاء للذهبي . تحقيق الدكتور نور الدين العتر .
- ميزان الاعتدال للذهبي تحقيق علي محمد البجاوي . دار إحياء الكتب
- العربية القاهرة . ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م

التعريف والتقد

شعر عبد الله بن معاوية

جمع الأستاذ عبد الحميد الرازي - ص ١١٥ - قطع كبير

طبع مؤسسة الرسالة بيروت

الأستاذ عدنان مردم بك

إن شعر عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب شعر السادة النجب ، من ذؤابة هاشم ؛ إذ يدور أكثره على الفخر والحماسة والحكمة ، ويترفع عن لغو القول ، وعن الساقط المرفول ؛ وليس ثمت ما يستدعي العجب في ذلك ، وعبد الله هو من علمت في كرم المحتد ، ورفعة الحسب .

اشتهر هذا الشاعر بين الناس بالمرؤة ونبل الأخلاق ، ولشد ما أجه الناس ، حتى يبيع له بالخلافة ، في الفتنة التي اندلعت نازها مابين مروان ابن محمد وإبراهيم بن الوليد ، مما شجع الشاعر على أن يظهر للناس على المسرح السياسي سنة ١٢٧ للهجرة ، فجبى الأموال ، وضرب النقود باسمه ، ولم يزل الخليفة عند أكثر الناس ، حتى توجه لقتاله عامر بن ضبارة ومعن بن زائدة ، فلم يشب لها ، وفر إلى خراسان ، طمعاً بنصرة أبي مسلم الخراساني ، الذي أمر بحبسه ، ثم بقتله .

إن ما وصل إلينا من شعر عبد الله بن معاوية ، لا يعدو نتفاً متناثرة ، حفظتها لنا كتب الأدب القديمة في بطونها ، وهذه النتف لا تتجاوز خمسين ومائة بيت من الشعر ، ومنها ما ينسب إلى غيره ؛ والسبب في قلة

شعر هذا الشاعر يعود لأسباب عديدة ، منها أن عبد الله بن معاوية رحمه الله ، لم يدون شعره في حياته ، ومنها عدم تحمس الرواة لحفظ شعره وتدوينه حذراً من نغمه الأمويين عليهم ، يضاف إلى ذلك إغارة شعراء السوء على شعر هذا الشاعر وانتحالهم له .

والتدبر لشعر عبد الله يطالع به سلامة الطبع ، وحسن انتقاء اللفظ ، مع موهبة شعرية جيدة ؛ وحسبنا أن نستشهد ببعض أبيات من شعره لذلك على صدق ما ذهبنا إليه .

قال في الفخر :

أرى نفسي تتوق إلى أمور	ويقصر دون مبلغن مالي
فنفسي لا تطاوعني ببخل	ومالي لا يبلغني فعالي

وقال في الحكمة :

إن العدره له عين بقلبهـا	لا يستطيع لما في القلب كتمانـا
فالعين تنطق والأفواه صامتة	حتى يرى من ضمير القلب تبيانـا
ويقول في معرض آخر :	
رأيت فضيلاً كان شيئاً ملففاً	فكشفه التمحيص حتى بدا ليا
أنت أخي ما لم تكن لي حاجة	فإن عرضت أيقنت أن لا أخاليا

أبيات لعمرى تنبئ عن مقدرة الشاعر على صوغ المقطعات الجيدة ، وعلى حسن رصف اللفظ والسبك الجيد ، مع تدفق ماء الطبع .

قد لا يسمو شعر هذا الشاعر إلى درجة الفحول من الشعراء الذين انقطعوا لنظام الشعر وصفه وتهذيبه ، وليس في هذا ما يحط من منزلة عبد الله بن معاوية الشعورية ، لأنه لم يكن شاعراً محترفاً ولم يكن من عبدة الشعر ، وإنما كان ينظم البيت أو القطعة الشعرية ، لحاطرة ثمر ، أو لهاجس

يقع في نفسه ، وكان شأنه شأن الأمير أبي فراس الحمداني الذي يأنف أن يُقال عنه شاعر ، إذ لم ينظم الشعر إلاّ ليشيد بمناقب آبائه وأجداده وليترجم عن لواعج نفسه حينما أسره الروم .

أو ليس أبو فراس الحمداني هو القائل في قصيدته الرائية :

فخرت بأهلي وامتدحت عشيرتي وما أنا مدهّاح ولا أنا شاعر

هذا وإن فيما قام به الأستاذ الراضي من جمع الأبيات المتناثرة في بطون الكتب ككتاب الأغاني وعميون الأخبار ومحاضرات الأدباء وكتاب نهاية الأرب وحماسة البحتري وغير ذلك من عشرات الكتب ، ما يشير إلى الجهد الكبير الذي بذله ، إذ كان يعتمد إلى كل بيت من شعر عبد الله أو كل قطعة كان أوردها في كتابه فيرتبها حسب تسلسل الأحرف الهجائية ، ويذكر في أسفل الصفحة التخريج ، وأحياناً يسطر اختلاف الرواية في الكتب التي نقل عنها مع الإشارة إلى المناسبة التي دعت لنظم البيت ، أو لنظم القطعة . وفي عمل الأستاذ الراضي هذا ما يقدره له القارئ المنصف .

دمشق

عدنان مردم بك

حول ديوان مسلم بن الوليد

الأستاذ محمد يحيى زين الدين

تعد الطبعة التي أصدرها المستشرق الهولندي ميخائيل ده خويه ، لديوان مسلم بن الوليد ، من أتم الطبعات استيفاء لشعر الشاعر ، وأخباره ، وقد بقيت هذه الطبعة من الديوان ، محل اعتماد الباحثين والمحققين فترة طويلة ، صدرت خلالها طبعات أخرى في القاهرة وبومباي ، ولكنها لم تكن لترقى إلى طبعة المستشرق ، أو لتضيف إليها شيئاً جديداً ، وإنما امتازت برداءة الإخراج ، والتحريف الواضح ، بما جعل الفائدة منها معدومة تقريباً . وفي أواخر الخمسينات ، أعاد الدكتور سامي الدهان - رحمه الله - نشر الديوان مرة أخرى ، معتمداً في ذلك على المخطوطة التي اعتمدها المستشرق الهولندي من قبله . وهي برواية أبي العباس الطيخني ، أحد علماء الأندلس .

ولكن الطيخني في صنيعه هذا لم يتعرض لجميع قصائد مسلم بن الوليد وإنما ألم بالمشهور منها ، كما أنه لم يعن بذكر هذه القصائد كاملة ، وإنما أسقط منها عدداً من الأبيات ، ولذا عمد المحقق إلى جمع ماتناثر من أبيات الشاعر مما لم يروه الطيخني ، وجعل ذلك في قسم مفرد ، ولكنه لم يكلف نفسه عناء التثبت من صحة نسبتها ، سواء في الطبعة الأولى أو في الثانية للديوان وإنما بسطها للنقد والتمحيص كما يقول : « جعلنا ذيل الديوان لما جمعناه

من المصادر المخطوطة والمطبوعة ولم تقطع بأن الشعر لمسلم بن الوليد وإنما بسطناه للنقد والتمحيص (١) .

وقد رأيت أن أستعرض في هذا المقال ، بعضاً من هذه المقطعات ، مبيناً صحة نسبتها ، كما رأيت أن أذكر بعض الأبيات التي لم ترد في صنعة الطيحي أو ذيل الديوان .

وقد استحسننت أن أضم إلى ما جمعته بعض الأبيات التي أوردها المحقق في ذيل الديوان ، إن كانت تمثل جزءاً مما جمعته ، وهذا ما انتهت إليه .
● غفل المحقق عن بعض أشعار مسلم بن الوليد ، وهي في جملتها ثمانية وعشرون مقطعة ، بلغ عدد أبياتها ١١٢ بيتاً ، وقد ألحقت في آخر المقال تخريجاً لهذه الأبيات ، بينت فيه عددها في كل مصدر ، كما حاولت أن أثبت صحة نسبتها معتمداً على أمهات الكتب والمراجع وهي :

- شجاني وأبلاني تذكر من أهوى وأبسنى ثوباً من الضر والبلوى (٢)
- يدل على مافي الضمير من الفتى تقلب عينيه إلى شخص من يهوى
- وما كل من يهوى هو صديق أخواله حب نضو لا يموت ولا يحيى
- خطبنا إلى الدهقان بعض بناته فزوجنا منهن في خدره الكبرى
- وما زال يغلي مهرها ويزيده إلى أن بلغنا منه غايته القصوى
- رحيقاً أبوها الماء والكرم أمها وحاضنها حره الهجير إذا يجمى

(١) ديوان مسلم بن الوليد : ٣٠٣

(٢) الأبيات في ديوان أبي نواس : ١١٨ - ١١٩ ، أما ما نسب منها إلى

مسلم بن الوليد فهو : الأبيات ٤ - ٦ في قطب السرور : ٥١٤ ، والبيتان ٤ ، ١٠ ،

في : ٥٩٨ - غير منسوبين - ، والأبيات ٩ - ١١ ، ١٥ ، ١٧ في روح الروح :

٢٠٩ / ١ ، والبيتان ٤ ، ١٠ في عيون التواريخ حوادث سنة « ٢٠٠ » ، وانظر

الديوان : ٣٠٣ ، ق ٧٦ . ولعلها مما أضيف إلى أبي نواس .

لما كنّا دنّ بهِ القارُ مشعرُ
يهوديةُ الأنسابِ مسلمةُ القرى
مجوسيةُ قر فارقت أهل دينها
رأتُ عندنا ضوء السراج فراعها
وبنا نراها في الندامى أسيرةُ
إذا أصبحت أهدت إلى الشمس سجدة
أميتت بلذات الكؤوس نفوسهم
وساقٍ غرير الطرف والذلّ فاتن
حشّنا مغنينا على شرب كأسه
فأمسك مافي كفه بشماله
فشبهت كأسه بكفيه إذ بدا
أديرا عليّ الكأس تنكشف البلوى
عقاراً كأنّ البرق في لماعها
إذا ما علاها الماء خلّت حبابها
فتزداد عند المزج طيباً كأنها
● ألاب يوم صادق العيش نلتُهُ
● فإنّ الهوينى تخوت الرجال
ولم أر كائن السرى والفلا
● دارت عليه فزادت في شمائله

إذا برزت منه فليس لها مشوى
شاميةُ المغدى عراقيةُ المنشأ
لبغضتها النار التي عندهم تذكى
فما سكنت حتى أمرنا به يطفى
إذ اندفعت فيهم فصاروا لها أسرى
وتسجدُ أخرى حين تسجد للمسرى
فأنفسهم أحياء وأجسادهم موتى
ربيب ملوك كان والدم كسرى
فتدركه كأس وفي كفه أخرى
وأوما إلى الساقى ليسقي باليمنى
مراجين في محراب قس إذا صلى
وتلتذّ عيني طيب رائحة الدنيا
تجلى لأبصار فكادت به تعمى
تفاريق درّ في جوانبها شتى
إشارة من تهوى إلى كل ماتهى
بها وندامى العفافة والنهى^(١)
إذا ما الشدائد لم تركب^(٢)
أسر بعاقبة المطلب
لين القضب ولخط الشادن الفرد^(٣)

(١) روضة المحبين : ٣٧٠ ، وانظر الديوان : ٩١ ، البيت : ١٢

(٢) الحماسة البصرية ٤٨/٢

(٣) الأشباه والنظائر ٢١١/١ ، وانظر الديوان : ٨٠ ، ق ٨ ، والبيت

الأول منها في الحاشية .

- مشيته لما تمشت في مفاصله
ومشمولة مما تعتق بابل
سلافة كرم بنت خمسين حجة
يطوف بها ساق أغن متوج
عليه أكاليل من الآس رصعت
فبت أسقياها بأنعم ليلة
● أرادت رجوع القلب بعد انصرافه
ينثر الفتى مره الليالي سليمة
فإن أعص ربعان الشباب فطالما
● ويوم كأن الشمس فيه مريضة
جمعت له الأشتات من كل لذة
ظلمنا وما تنفك فينا ذبيحة
رحيقاً تعالى في المزاج كأنه
وكأس يكون الماء حين يسها
إذا دب فيها الماء قارن صعبة
- لعب الرياح بغصن البانة الحصد
كأن شعاع الشمس في كأسها انتشر^(١)
إذا ما علاها الماء تقذف بالشرر
بوجنته خال وفي طرفه حور
بأنصاف ألوان الشقائق والزهر
معتقة حتى بدت غيرة السحر
وما علمت ما أحدثته المقادر^(٢)
وهن به عما قليل عوائر
أطعت إليه الجهل والحلم وافر
من الدجن مطول الضحى والظواهر^(٣)
وأمسكت من أنفاسها بالمزاهر
نجح نجيعاً من دماء المعاصر
شهاب غضى في كف ساع مبادر
قذى ثم يعلوها بجثمان طائر
جموحاً عليه سهلة في الحناجر

(١) قطب السرور : ٥٩٧ ، ولكنها لم تنسب فيه إلى مسلم بن الوليد صراحة وإنما وردت معطوفة على بعض أشعاره ، والمؤلف غالباً ما يتبع أبيات الشاعر بأبيات أخرى من أشعاره مسبوقة بعبارة « وقال » .

(٢) البيتان ١ ، ٢ في البصائر والذخائر ٤٣٧/٢ ، والبيت الثاني في نهاية الأرب ٨٥/٣ ، والتمثيل والمحاضرة : ٨٢ ، ومحاضرات الأدباء ٣٩١/٤ - لم ينسبه الراغب والبيتان ٢ ، ٣ في الحماسة البصرية ٤٢٨/٢ للعتابي .

(٣) قطب السرور : ٩١٩ ، والبيتان ٥ ، ٦ في كتاب الزهرة ٢٥٥/٢ بلا نسبة وانظر الديوان : ٣٢٢ ، ق ١٣٣

- سقتني من معتقات الحمور إن يوم الاثنين يوم مسرور^(١)
عاطنيتها حمراء مثل دم الحش فـ علمـا كاللؤلؤ المنشور
لاتطل حبسها علي وخذها واسقني واسق صاحبـي بالكبير
قد جعلنا الاثنين عيداً جديداً واتخذناه جنة الدهور
● لو كان يشبه جلد كل أب له رأيت جلده كيمنة عبقر^(٢)
قبحت مناظره فحين خبرته حسنت مناظره لقبـح الخـبر
● ولي صاحب مازال يصبح رفته ويسـي بلا من علي ولا كبر^(٣)
رأى أن شكري مستقل ببذله فرب بعود لابكي ولا نزر
متى أشكر النعمى ومهل يربها سيعجزني لامن ججود ولا كفر
● رأيت البواكي بعد طول عويلها نسين وما أنساك إلا على ذكر^(٤)
وذلك أن الجود شئت يمينه غداة عدا ريب الزمان على بكر
أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطيب تراب القبر دل على القبر
فتى لم يزل مذ شدة عقد إزاره مشيد فعال أو مقيماً على ثغر
فتى لم يكذب فعله نادباته بما قلن فيه لا ولا المادح المطري

(١) قطب السرور : ٦٢٣

(٢) الحماسة البصرية ٢/٢٨١ ، وفيه « وقال آخر وتنسب إلى مسلم بن الوليد »
والبيت الثاني في المحاسن والمساوىء : ٢٤٥ ، وبهجة المجالس ١/٥٢٢ ، والمنتهى :
١٤٠ ، والمصون في الأدب : ٢١ ، وديوان المعاني ١/١٨٢ ، والتمثيل والمحاضرة
٤٥٦ ، وكتاب الزهرة ٢/١٦١ ، وانظر الديوان : ٣٢١ ، ق ١٢٩

(٣) الأشباه والنظائر ١/١٤٨

(٤) الوحشيات : ١٤٣ ، والبيت الثالث في الإبانة عن سرقات المتنبي : ٢٣٤ ،
والصباح المنبي عن حيثية المتنبي : ٢٨٢ ، والمصون في الأدب : ١٧ ، والمحاسن
والمساوىء : ٢٤٥ ، وسرقات المتنبي ومشكل معانيه : ٦٨ ، ١٠٧ ، وانظر الديوان
٣٢٠ ، ق ١٢٦

- وبنت يهودي^١ حضرت زفافها وقد حليت درأ تزين^٢ به النعرا^(١)
- بامن^٣ بلوم^٤ على تخريق قرطاس الحزم^٥ تخريقه^٦ إن كنت ذا حذر^٧
- الحزم^٨ قرطاس^٩ من تهوى صيانتها^{١٠} فشق^{١١} قرطاس^{١٢} من تهوى صيانتها^{١٣}
- إذا أتاك^{١٤} وقد أدى أمانته^{١٥} فاجعل^{١٦} كرامته^{١٧} في بطن^{١٨} قرطاس^{١٩}
- كم^{٢٠} ضيع^{٢١} السر^{٢٢} في حفظ^{٢٣} لقرطاس^{٢٤} فشق^{٢٥} قرطاس^{٢٦} من تهوى وكن حذراً^{٢٧}
- ضعيفة^{٢٨} أثناء التهادي كأنما^{٢٩} تسبب^{٣٠} انسياب^{٣١} الأيم^{٣٢} أخصره^{٣٣} الندي
- فأملتها^{٣٤} مفترة^{٣٥} فكأنما^{٣٦} إذا ما ملأت^{٣٧} العين^{٣٨} منها ملأها^{٣٩}
- ولا خير^{٤٠} في ود^{٤١} امرئ^{٤٢} متكاره^{٤٣} إذا المرء^{٤٤} لم يبذل^{٤٥} من الود^{٤٦} مثلاً^{٤٧}
- كم^{٤٨} مر^{٤٩} مثلك^{٥٠} في الدنيا على راسي^(٢) وإنا^{٥١} الحزم^{٥٢} سوء الظن^{٥٣} بالناس^{٥٤}
- فرب^{٥٥} مفتضح^{٥٦} في بطن^{٥٧} قرطاس^{٥٨} فاجعل^{٥٩} كرامته^{٦٠} في بطن^{٦١} قرطاس^{٦٢}
- كم^{٦٣} ضيع^{٦٤} السر^{٦٥} في حفظ^{٦٦} لقرطاس^{٦٧} تخاف^{٦٨} على أحشائها^{٦٩} أن تقطعا^(٣)
- فرفّع^{٧٠} من أعطافه^{٧١} ما ترفعا^{٧٢} رأيت^{٧٣} بها^{٧٤} من سنة^{٧٥} البدر^{٧٦} مطلقا^{٧٧}
- من الدمع^{٧٨} حتى تنزف^{٧٩} الدمع^{٨٠} أجما^{٨١} عليك^{٨٢} ولا في صاحب^{٨٣} لا توافقه^(٤)
- بذات^{٨٤} له^{٨٥} فاء^{٨٦} لم^{٨٧} بأني مفارقة^(٥)

(١) عيون التواريخ حوادث سنة « ٢٠٠ » ، وقطب السرور : ٥٩٦ ، وانظر الديوان : ٤٤

(٢) ديوان أبي نواس ٣٥/١ - ٣٦ ، وانظر الديوان ، ٣٢٤ ق/١٣٩

(٣) الحماسة البصرية ٢٢٠/٢ ، والأشباه والنظائر ٢٠٦/١ ، والبيت الأول في ٤٥/١ ، والبيتان ١ ، ٢ في الحماسة ٢٤٦/٣ ، والبيتان ٣ ، ٤ في ٢٤٨/٢ ، والبيتان ١ ، ٢ في محاضرات الأدباء ٣٠٨/٣ للسعدي ؟ ، والشطر الثاني من البيت الثالث في محاضرات الأدباء ٢٩٤/٣ غير منسوب .

(٤) الأبيات ١ - ٣ من الديوان : ٣٣٠ ، والأبيات ٣ - ٥ في مجالس لعلب ٤٦٦/٤ غير منسوبة ، والبيت الأول في ديوان المعاني ١٩٠/١ غير منسوب أيضاً والبيتان ٤ و٥ ، ومنها بيت آخر في الحماسة البصرية ٥٠/٤ لخصيب بن رباح ، وانظر ديوان شحيم عبه بني الحسحاس : ٩٩ ، والبيت الثاني لطرفة بن العبد ضمن قصيدة مطولة في ديوانه : ١٤٦

- فإن شئت فاصحبه فلاحيرَ عنده
ولا خيرَ فيمن ليس يؤمنُ فجعله
فإن قرينَ السوءِ ليس بواجدٍ
● وكأننا كانَ النصيحُ ...
- عن عادةٍ مثلِ قرنِ الشمسِ ناعمةٍ
كفاكمُ يا بني العباسِ أنْ لكم
● له عطايا تودُّ الروحَ نفحتها
يهدي العفافةَ إليها قبلَ رغبتهم
- وخندرسٍ لها شعاعُ
كانها كوكبٌ منيرُ
لو قربتُ بالظلامِ يوماً
تكسبُ شرابها سروراً
- تضحكُ عن لؤلؤٍ شئتِ
ماذقنا قطرةً غيرَ أني
حلت لي المكاسات حينَ دارت
● حلفتُ لمن لم تلقني سفهاؤها
- لأرتجعنُ الودَّ بيني وبينها
- وإن شئت فاجعله صديقاً تماذقه
ولا يستقيمُ الدهرُ فينا خلائقه
له راحةٌ ما عشتَ حتى تفارقه
ذمُّ العزاءِ إليك حينَ نهماكا^(١)
- بادٍ مخلصها مرتجةِ الكفلِ^(٢)
سيفاً لكم غيرَ مانكسٍ ولا وكلٍ
إلى النفوسِ وتحبي ميتَ الأملِ^(٣)
فيها ويفنيهمُ عن كلفةِ الرحلِ
- ابنة خمسينَ ألفَ عامٍ^(٤)
والبدرُ في ليلةٍ التمامِ
لأنجابِ عنا دجى الظلامِ
فما يُراءونَ باهتِماً
- ألفه الماءُ في النظامِ
أمنحها الودَّ بالكلامِ
عليَّ في سكرةِ المنامِ
خزاعةُ والحيانِ عوفُ وأسلم^(٥)
- بقافيةٍ تفري العروق فتحسمُ

(١) سرقات أبي نواس : ٩٧

(٢) الوافي بالوفيات المجلد الثالث ، وانظر الديوان ق ١

(٣) الإبانة عن سرقات المتنبي : ١٦٧ ، وانظر الديوان ق ١

(٤) الوافي بالوفيات المجلد الثالث ، وعيون التواريخ حوادث سنة « ٢٠٠ »

والأبيات الستة الأولى في ديوان أبي نواس : ١٥٢ ، ولعلها مما أضيف إليه .

(٥) رسائل الجاحظ ٢٦٦/١

- من اللاء لا يرجعن إلا شوارداً
أصابوا حلماً فاستعدوا بجاهل
● بإصاح إن أخاك الصب مهموم
● وفارقت حتى ما أبالي من انتأى
فقد جعلت نفسي على النأي تنطوي
● وإيلة مات اللهو إلا بقية
جمعنا معاذير العتاب برقدة
تبسم عن مثل الأقاحي تبسمت
مزيدك عندي أن أفيك من الردى
● أصبحت مشتاقاً إلى وجه من
وكنت لا أهجره ساعة
إني أرى الساعة شهراً إذا
- لهن بأفواه الرجال نهم
إذا الحلم لم يمنك فالجهل أحزم
فأرفق به إن لوم العاشق اللوم^(١)
وإن بان جيران علي كرام^(٢)
وعيني على هجر الحبيب تنام
تداركها طيف ألم فسلم^(٣)
مشت بيننا تطوي الحديث المكتما
له منزلة صيفة فتبسمها
وإن كان شجواً أن أكون المقدما
كنت أراه بين يومين^(٤)
فكيف صبري عنه شهرين
ماغبت واليوم كحولي

(١) البديع : ٣٢

(٢) كتاب الورقة : ٤٤ ، وفيه : « حدثني عبد الجبار بن سعيد بن سليمان المساحقي قال : ولاني الحسن بن زيد شرطته بالمدينة فقال لي يوماً قولاً كان جوابه مني خلاف ما أراد فقال : والله لهمت أن أفارقك فراقاً لا رجعة بعده . فقلت أيها الأمير إذا أقول - ويقال الشعر لمسلم ، وقوم يقولون للمساحقي - وفارقت ... » وهما في مرآة الجنان ١/٤٤٩ لمؤرج بن عمرو السدوسي ، ونسبها الراغب الأصفهاني في كتابه محاضرات الأدباء ٣/٧١ إلى المتنبي .

(٣) الأبيات ١ ، ٢ ، ٤ في طيف الخيال : ٥٥ ، والوافي بالوفيات المجلد الثالث ، وعيون التواريخ حوادث سنة « ٢٠٠ » . والأبيات ١ ، ٣ ، ٤ ، في البديع . هـ ، والبيت ٣ في الأشباه والنظائر ١/١٦٤ ، والديوان ٣٤٠ ، وفيه « وقبل إنه لابن المعتز » والصواب أنه لمسلم ، إذ أن ابن المعتز نسبه إليه في كتابه : البديع .

(٤) ديوان أبي نواس ١/٧٤

- ما أقبحَ الهجرَ ولا سباً
أدم لنا الوصلَ كما لم تولُ
اخترتَ أقواماً علينا فلمُ
● أصبحتَ لي روحاً فيا من رأى
قلبكَ قلبي والهوى واحدُ
لن يستطيعَ الهجرُ إفساد ما
ولا أرى كالوصلِ في حسنه
ما غبتَ عن عيني وإن كنتَ قد
فالحمدُ لله على بخلكم
● تركتَ صفاتِ الخيلِ والخيلُ معقلُ
حننتَ إليها رغبةً في أبورها
● في المنى راحةٌ وإنْ علَّمتُنا
مادعاني الهوى إليك ولكن
أتراني سررتُ بعدك يوماً
وإذا ما قنعتُ بالياسِ منها
● هانتِ الدنيا عليه
يصبحُ الجودُ وعيسى
● بدنتُ فيما تقدم أن المحقق قد ذكر في ذيل الديوان جملة من المقطعات
المنسوبة إلى مسلم بن الوليد دون أن يبين صحة نسبتها . والواقع أن بعض

(١) ديوان أبي نواس ٧٥/١

(٢) رسائل الجاحظ ٣٢/٢

(٣) الأشباه والنظائر ٢٣٢/٢

(٤) محاضرات الأدباء ٢٧٩/٢

هذه المقطعات يكتنفها شك كبير في نسبتها إلى مسلم ، كما أن ثمة مقطعات أخرى يتنازعها مسلم بن الوليد وسلم الحاسر . وبما تجدر الإشارة إليه أن بعض هذه المقطعات نسبت في محاضرات الأدباء - مطبوعة مصر - إلى مسلم ابن الوليد . بينما هي في مطبوعة لبنان منسوبة إلى سلم الحاسر . ولعل الأمر قد التبس على أحد الناصيرين : المصري أو اللبناني . ومرد ذلك سهولة تحريف لفظة مسلم إلى سلم . وقد بلغ عدد المقطعات المتنازعة - فيما أعلم - سبعة وعشرين هي :

١ ق / ٨٠ : ٣٠٤

وبدر دجى يمشي به غصن رطب دنا نوره لكن تداوله صعب
إذا ما بدا أغرى به كل ناظر كأن قلوب الناس في حبه قلب
البيتان لأبي بكر محمد بن هاشم الحالدي ، وهما في ديوان الخالدين :
١٥ ، وانظر محاضرات الأدباء ٥١٦/٤ ، ٢٩٦/٣

٢ - ق / ٨١ : ٣٠٥

هوى يجده وحبيل يلعب أنت لقي بينهم معذب
والبيت في طبقات الشعراء : ٣٤٤ لأبي نواس ، وفيه : وتذاكر قوم
في أغزل العرب فقال أحدهم : القائل هو أبو نواس ... ، وانظر أيضاً
المحاسن والمساوى : ٢٤٥

٣ - ق / ٨٢ : ٣٠٥

إن المطية لا يلدن ركوبها حتى تذال بالزمام وتركبا
والحب ليس بنافع أربابه حتى يفصل في النظام ويشقبا
والبيتان في نساء الخلفاء : ٨٦ لفضل ، الشاعرة اليامية وفيه : جلبت
فضل الشاعرة من البصرة فاشتراها رجل من النخاسين بعشرة آلاف درهم ،

فابتاعها محمد بن الفرّج الرُّخَّجِيُّ ، فأهداها إلى المتوكل ، فكانت تجلس في مجلسه على كرسي تعارض الشعراء بحضرته ، فألقى عليها أبو دُلَاف القاسم بن عيسى العجلي :

قالوا عشقتَ صغيرةً فأجبتهم أشهى المطيِّ إلى مالم يركب
كم بين حبةٍ لؤلؤٍ متفوّبةٍ لبستَ وحبةٍ لؤلؤٍ لم تثقبِ
فقلتَ فضل محبّةٍ له :

إنّ المطيّةَ لا بلذّ ركوبها حتى تذللّ بالزمام وتركبا
والحبّ ليس بنافعٍ أربابهُ حتى يؤلفَ بالنظامِ ويثقبِ
وانظر كذلك محاضرات الأدباء ٣/٢٠٤ ، والمستطرف في كل فن مستظرف
١/٢٤٤ ، والمنتخب من كُنَايَاتِ الأدباء : ٢٣ ، والكناية والتعريض : ١٤ ،
وديوان علي بن الجهم : ١١٢ ، والأغاني ١٩/٣٠١ ، ومرآة الجنان ١/٤٥٤
٤ - ق / ٨٨ : ٣٠٦

يا عنقَ الإبريقِ من فضةٍ ويا قِوَامَ الغصنِ الرطبِ
هَبْكَ نَجْمًا رتّ وأقصيته بي تقدّرُ أن تخرجَ من قلبي
والبيتان في المحمدون من الشعراء ، ٢٣٧ لمحمد بن بركات النحوي ،
وفيه : وقال ابن الزبير في الجنان - كتابه - : كان عالي المحل في النحو
واللغة وسائر فنون الأدب ، منحطاً في الشعر إلى أدنى الرتب ، . وانظر
خريدة القصر - شعراء مصر - ٢/٤٢ ، وإنباه الرواة ٣/٧٨ ، ووفيات
الأعيان ٧/٧٥ ، وبنية الوعاة ١/٦٠ ، وبعدهما :

وهبك صمتَ على هجرتي رضيتُ أن أؤلفَ في الحبِّ
والله لو عذبتني جاهداً ما قلتُ في حبي إذاً حبي

٥ - ق / ٩٤ : ٣١٠

كأنه شلو كبشٍ والهواء له تنورٌ شافيةٍ والجذعُ سفودٌ
والبيت في خاص الخاص : ٩٢ ، وروح الروح : ٣٠٤ | لإبراهيم
ابن المهدي .

٦ - ق / ٩٨ : ٣١١

يطولُ مع الرمحِ الردينيّ قامةً ويقصرُ عنه طولُ كلِّ نجادٍ
والبيت لسلم الخامر ، وهو في ديوانه : ٩٧ - ضمن « شعراء عباسيون » -
وأما لي الشريف المرتضى ٥٧٢/١ ، ونسبه الراغب الأصفهاني في محاضرات
الأدباء ٢٨٥/٣ ، إلى عمرو بن أحرر الباهلي ، وعنه أثبتته الدكتور حسين
عطوان في شعر عمرو بن أحرر ص : ٤٩

٧ ق ١٠٥ : ٣١٤

تلهيظُ السيفُ من شوقٍ إلى أنسٍ فالموتُ ياحظُ والأقدارُ تنتظرُ
فليسَ يبلِغُ منه ما يؤمله حتى يؤامرَ فيه رأيكَ القدرُ
أمضى من الموتِ بعفو عند قدرته وليس الموت عفو حين يقتدرُ
والآيات في الوحشيات : ٣٨ ، وكتاب الزهرة ١٠٩/٢ لبعض بني ثعل
وانظر الديوان : ٢٥٤ ، ق / ٤١

٨ ق ١٠٩ : ٣١٦

من راقبَ الناسَ ماتَ غمًا وفازَ بالأسدةِ الجسورُ
والبيت لسلم الخامر وهو في ديوانه : ١٠٤ ، وانظر أيضاً بهجة المجالس
١٢٢/١ ، وعميون التواريخ المجلد السادس حوادث سنة « ١٨٠ » ، والتمثيل
والمحاضرة : ٧٧ ، ونهاية الأرب ٨١/٣ ، وطبقات الشعراء : ١٠٠ ، والإيجاز
والإعجاز : ٤٩ ، ورسائل الجاحظ ١٢٠/٢ ، والأغاني ١٩ / ٢٦٣ - ٢٦٥

٩ - ق / ١١٠ : ٣١٦

أَجْدَكَ مَا تَدْرِي أَنَّ رَبَّ لَيْلَةٍ كَانَ دُجَاهَا مِنْ قُرُونِكَ يُنْشَرُ
صَبْرَتْ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ بِغُرَّةٍ كَفَرَةٍ يَحْيَى حِينَ يَذْكُرُ جَمْعُ

والبيتان في الرسالة الموضحة : ٤٤ لمنصور النمرى ، والصواب أنها
لمسلم بن الوليد . انظر الحماسة البصرية ١/١٦٤ ، ومنهاج البلغاء وسراج
الأدباء : ٣١٧

١٠ - ق / ١١١ : ٣١٧

أَمَّا الْقُبُورُ فَإِنَّهُمْ أَوَانِسُ بِجَوَارِ قَبْرِكَ وَالْدِيَارُ قُبُورُ
عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ وَعَمَّ مَصَابِيْهُ فَالْنَّاسُ فِيهِ كَلِّهِمْ مَاجُورُ
رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرَهَا مَنْشُورُ

« جاءت الأبيات في العقد الفريد ٣/٢٩١ منسوبة إلى مسلم ، وفي
الحاشية أن الحماسة نسبتها في الطبعة الأوربية إلى التيمي أبي محمد عبد الله
ابن أيوب في رثاء منصور بن زياد ، ولعل الحماسة أوثق في هذا ، لأن العقد
يورد كلمة « وقال ، ونليها قصيدة أشجع بن عمرو السلمي في رثاء منصور
ابن زياد ، فلمله نسي أن يذكر اسم الشاعر فكتب « وقال » بعد أن روى
شعراً لمسلم بن الوليد ، فألحقناها بمسلم حتى تثبت المراجع لغيره . »

هذا ما ذكره المحقق ، والبيت الثالث في الإبانة عن سرقات المتنبي:
٣٦ ، والصبيح المنبي عن حيثية المتنبي : ٢١٢ لأبي القوافي الأسدي ، وهو
لمنصور النمرى في التبيان في شرح الديوان ٢/١٣٢ وفيه : « وهذا البيت
منقول بأسره من قول منصور النمرى - كذا والصواب النمرى - وهو من
أبيات الحماسة ، وهذا وهم من العكبري لأن الأبيات في الحماسة ثابتة النسبة
إلى التيمي - الحماسة ٣/٥ - ، والأبيات الثلاثة في الكامل ٢/٧٢٩ وفيه :

« وقال رجل من خزاعة ويُنسجته كثير يرثي عمر بن عبد العزيز بن مروان قال أبو الحسن : صح عندنا أن هذا الشعر لقطرب النحوي » .

وهي في كتاب الزهرة ٥٢/٢ غير منسوبة ضمن مقطعة في ستة أبيات هي :

لهفي عليك للهفة من خائفٍ كنت المجير لها وليس مجير
أما القبور فلا تزال أنيسة بجوار قبرك والديار قبور
جئت مصيبتهم فمهم مصابهم والناس كلهم به مأجور
والناس مأثمهم عليه واحد في كل دار رثة وزفير
تجري عليك دموع من لم توله خيراً لأنك بالثناء جدير
ردت مكارمه عليه حياته وكأنه من شرها منشور

والبيت الأول من هذه الأبيات في الحماسة البصرية ٢٣٠/١ للشمر دل
الليثي ، وانظر كذلك عيون الأخبار ٦٧/٣ ، والبديع : ٤٢ ، ويتضح مما
قدمت أن الأبيات ليست لمسلم بن الوليد .

١١ - ق / ١١٤ : ٣١٧

كانت درءاً إذا هي ابتسمت من ثورها في الحديث ينتشر
لم ينسب هذا البيت إلى مسلم بن الوليد وإنما ورد معطوفاً على بعض
أشعاره ، وهو في الأشباه والنظائر ١٦٩/١ غير منسوب وبعده :

تبذ بالحسن كل جارية كما يبذ الكواكب القمر

١٢ - ق / ١١٨ : ٣١٨

أنت تفسو إذا نطقت ومن سب ح من فسو قال إنما وزورا
والبيت لعنان ، جارية الناطفي ضمن مقطعة في هجاء أبي نواس وقبله :
مت متي شئت قد ذكرتك في الشيم ر وجريث أثواب ذيلك فخرا

لا تَسِيحَ فما عليك 'جناح' جعلَ الله بين فكَّيكَ دُبرا
انظر كتاب الورقة : ٤٢ ، وناشرح المقامات ١/١٢٢ ، وديوان أبي
نواس ٨٢/١ . وفي هذه المراجع : «بالفسو قال إثمًا ووزرا» ، وهو الصواب .
وانظر كذلك روح الروح : ٢٩٦ : ١ ، وفيه تُسب البيت إلى
أبي نواس .

١٣ - ق ١٢٤ : ٣٢٠

سقى الله أبا ما لنا لسنَ رَجَعاً وسقياً لعصرِ العامريةِ من عصرِ
ليالي أجرتُ البطالة مقودي تَمُرُّ الليالي والشهورُ ولا أدري
والبيتان لجنون ليلى وهما في ديوانه : ١٥٨ ضمن قصيدة مطلعها :
ألا أيها القومُ الذينَ وشوا بنا على غير ماتقوى الإلهِ ولا برِّ
وهما في الحماسة البصرية ١٣٧/٢ لطلحة بن أبي الصفي الفقعسي .

١٤ - ق / ١٢٤ : ٣٢٣

لا يرحلُ الشيبُ عن دارٍ أقام بها حتى يرحلَ عنها صاحبُ الدارِ
والبيت لبشار بن برد ، وهو في ديوانه : ١٢٧ ق ١٨٢ ، وانظر
كذلك روح الروح : ٢٩٢ : ١ .

١٥ - ق / ١٣٥ : ٣٢٣

قالوا أبو الفضلِ محمومٌ فقلتُ لهم نفسي الفداء له من كلِّ محذورِ
يأيتُ علتهُ بي غيرَ أنْ له أجرَ العليلِ وأني غيرُ مأجورِ
والبيتان في نثر النظم : ١٠٩ لأحمد بن يوسف الكاتب ، وهما غير
منسويين في المنتحل : ٧١ ، وشرح المقامات ١/٢٣٢ ، وانظر محاضرات
الأدباء ٤٤١/٢ . وهما في روح الروح : ٢٨٩ : ١ لأبي تمام ، ولمحمد بن البَيْهَاقِ
الشيباني في الحمدون من الشعراء : ٢٤٤

١٦ - ق / ١٤٣ : ٣٢٤

أقبلنَ في رَأْدِ الضحَاءِ بِهَا يَسْتُرْنَ وَجَهَ الشَّمْسِ بِالشَّمْسِ
والبيت لبشار بن برد وهو في ديوانه : ١٤٤ ، وطبقات الشعراء :
٣١ ، وقبله :

وخريـدةٍ سودٍ ذوائبها قد ضَمِيختُ بالمسكِ والورسِ

١٧ - ق / ١٤٨ : ٣٢٧

بتٌ في درعها وباتَ رفيقي 'جُنُبَ القلبِ طاهرَ الأطرافِ
منٌ له' في حرِّ امته الف' قرنٍ قد أنافت على علوٍ مناسفٍ
والبيت الأول منها لمسلم بن الوليد ، أما البيت الثاني فهو لدعبل الخزاعي .
انظر ديوان دعبل : ٢١٦ - ٢١٧ ، ومعاهد التنصيب ٦٥/٣ ، والأغاني
١٩/٤٨ - ٤٩ ، والعقد الفريد ٩٥/٨

١٨ - ق / ١٦٨ : ٣٣٥

كأنَّ المذايا عالـماتٌ بأمره إذا خطرت أرمأحه' ومناصله'
والشطر الأول منه لسلم الخاسر ، انظر ديوانه : ١٢٠

١٩ - ق / ١٦٩ : ٣٣٥

كادت له' ممـج' الأنام تسيل'
والشطر لسلم الخاسر وهو في ديوانه : ١١١ ، ومحاضرات الأدباء ٥١٦/٤

٢٠ - ق / ١٧٣ : ٣٣٦

أعطاك قبلَ مؤاليسه فكفاك' مكروه' السؤال
والبيت لسلم الخاسر ، وهو في ديوانه : ١١٠ ضمن مقطعة في أربعة أبيات
وانظر أيضاً بهجة المجالس ١٧٢/١ ، والموازنة ٩٦/١ ، وغرر الخصاص :
١٧١ . والأبيات في مدح يحيى بن خالد .

٢١ - ق / ١٧٥ : ٣٣٦

مامركب من ركوب الخيل يعجبني كتركب بين دملوج وخلخال
والبيت للفرزدق ضمن عدة أبيات وبمده :

ألد للفارس المجري إذا انبهرت أنفاس أمثالها تجري بأمشالي
من الملاءة أو من مثلها أنفأ قفراً من الناس كانت غير محلال
انظر ديوان الفرزدق ٦١٤/٢ ، والمنتخب من كنايات الأدباء : ١٠

٢٢ - ق / ١٧٦ : ٣٣٧

لسانك أحلى من جنى النحل موعداً وكفك بالمعروف أضيق من قفل
تمنني الذي يأتبك حتى إذا انتهى إلى أجل ناولته طرف الخيل
والبيتان للبحتري ، وهما في ديوانه ١٦٨٢/٣ ، وانظر بهجة المجالس
٤٩٣/١ ، وغرر الحصاص : ١٩٩

٢٣ - ق / ١٧٨ : ٣٣٧

طرفت عيون الغانيات وربما أمائن إلى الطرف كل تميل
وما الشيب إلا شعرة غير أنه قليل قذاة العين غير قليل
والبيتان في الحماسة الشجرية ٨٢٠/٢ لابن الرومي ، وانظر ديوانه : ١٨

٢٤ - ق ١٨٢ : ٣٤٠

فإذا قتبته رعتته وإذا غفا سلت عليه سيوفك الأحلام
والبيت لأشجع السامي من قصيدة مطلعها :

قصر عليه نجبة وسلام نشرت عليه جمالها الأمام
وقبل البيت المذكور :

وعلى عدوك يابن عم محمد مرصدان ضوء الصبح والإظلام
انظر طبقات الشعراء : ٢٥١ ، والأغاني ١٨ / ٢١٤ ، ٢٣٣ ، والشعر

والشعراء ٨٨٢/٢ ، ومجالس ثعلب ٣٧٩/٢ - ٣٨٠ ، ونهاية الأرب ٨٧/٣ ،
وخاص الخاص : ٨٨ ، والكامل ٢٨٧/١ ، والتمثيل والمحاضرة : ٨٤ ،
والإبانة عن سرقات المتنبي : ٥١ ، والإيجاز والإعجاز : ٥٠ ، والحماسة
البصرية ٣٠/١ - ٣١

٢٥ - ق ١٨٣ : ٣٤٠

لعلّ له عذراً وأنت تسلمٌ وكم لائمه قد لام وهو ملهمٌ
والبيت لمنصور النعمري في مدح المأمون ، انظر طبقات الشعراء :
٢٤٧ ، ونهاية الأرب ٨٦/٣ ، والزهرة : ١٤٩ ، والمحاسن والمساوى :
٥٠٢ ، والعقد الفريد ١٥/٢ ، والتمثيل والمحاضرة : ٨٣

٢٦ - ق ١٨٨ : ٣٤١

لا يمنعك خفض العيش في دعة نزوع نفس إلى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد إن حلت بها أهلاً بأهل وجيراناً بجيران
والبيتان لمسلم بن الوليد في الوافي بالوفيات المجلد الثالث ، وعيون
التواريخ المجلد الثامن حوادث سنة « ٢٠٠ » . وهما لأبي بكر الصولي في
البداية والنهاية ٣٤٥/١٠ ، وديوان المعاني ١٩٢/١ ، وشرح المقامات ١٠٢/١
وانظر ديوانه : ١٥١ - ضمن الطرائف الأدبية - وهما لأبي تمام في غرر
الخصائص : ٢٠٦ ، وبهجة المجالس ٢٤٤/١ ، والمحاسن والمساوى : ٣٠٥ ،
وانظر المحاسن والأضداد : ٧٢ ، وعيون الأخبار ٢٣٤/١ ، والحماسة البصرية
٢٢٠/٢ ، وروح الروح : ٣٠٤

٢٧ - ق ١٩٩ : ٣٤٤

ذهب في ذهب را ح بها غصن الجبين
فأنت قرّة عين من يدي قرّة عين

قَمَرٌ يَحْمِلُ شَمْساً مَرْحَباً بِالْقَمَرَيْنِ
 لَا جَرَى بَيْنِي وَلَا بَيْنَهُمَا طَائِرٌ بَيْنَ
 وَبَيْنَنَا مَا بَقِينَا أَبَدًا مَلْتَقَيْنِ
 فِي غُبُوقٍ وَصَبُوحٍ لَمْ نَبْعْ نَقْدًا بَدِينِ
 والأبيات للخاركي في طبقات الشعراء : ٣٠٦ - ٣٠٧ ، وفيها فضل
 بيتين ، ولعبد الله بن العباس في الديارات : ٤٥ . والبيتان الزائدان هما :
 مَرْحَباً بِالرَّاحِ وَالرَّائِدِ حِجْرٍ مِنْ رِيحَاتَيْنِ
 أَلْفَا إِلْفَيْنِ شَكْلَيْنِ - مِنْ مَعَا مُؤْتَلَفَيْنِ

محمد يحيى زين الدين

حلب



بلوغ الأمل في فن الزجل

لابن حجة الحموي ، تحقيق الدكتور رضا محسن القريشي

وتصدير الدكتور عبد العزيز الأهواني ، ١٥٩ صفحة من القطع المتوسط
وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، سلسلة إحياء التراث العربي ، دمشق ١٩٧٤

الأستاذ عبد المحسن علي العباس

كتاب « بلوغ الأمل في فن الزجل » واحد من عشرات الكتب التي
صنفها ابن حجة الحموي . وأول ما يلاحظ هو أن المحقق اعتمد على نسختين
فقط من نسخ خمس من المخطوط توجد واحدة منها في مكتبة البودليان بجامعة
أكسفورد تحت رقم Ms. Marsh 702 والثانية بمكتبة جامعة كمبردج تحت
رقم Qy 183 مع أن بروكلمان ، الذي اعتمد عليه المحقق يذكر مخطوط كمبردج في:
« Geschichte Der Arabischen Litterature , S II , 4 » (١)

والسؤال الذي قد يمرض المرء هنا هو : ما قيمة هاتين النسختين ؟
لأن الإجابة عليه تكون نوعاً من تقويم عمل الدكتور القريشي ، ولسنا
الآن بصدد ذلك (٢) .

(١) تنامي إلى أن ثمة نسخة مخطوطة من هذا الكتاب متوفرة في المكتبة الظاهرية
لم تسعفني الظروف بالاطلاع عليها .

(٢) ألحق المحقق بالكتاب ثبثاً بمراجع التحقيق ، ولكن ليس في حواشي الكتاب
مباشرة إلى أنه استعملها ، إلا فيما ندر ، انظر على سبيل المثال : « ديوان إبراهيم بن =

أود أن أشير إلى قصور واضح في التحقيق نتج من إهمال المحقق لكتب المصنف الأخرى كمصدر مهم من مصادر تاريخ حياته ، ومن إغفاله الجانب الفني من كتابة المؤلف ؛ ومع هذا كله فمن الحق أن يقال إن إخراج الكتاب بشكله هذا يعطينا صورة واضحة عن الجهد الشاق الذي تكبده المحقق في جمع الأخبار والنصوص ليتم ما نقص منه ويقوم ما اعوج من عبارته ويضيف إليه ما يجد فيه فائدة للقارئ . لقد تجمعت لدي ملاحظات كثيرة ربما كان في نشرها بعض الفائدة للقارئ الكتاب إذ أن فيه أخطاء عديدة يبدو أن الكثير منها ناتج عن التسرع وعدم الدقة كإغفال عدد من المصادر في التاريخ والأدب ، وإهمال ترجمات كثير من وردت أسماؤهم في نص الكتاب نحو : ابن قزمان وابن غزلة (١) . ولا شك أن الأخطاء المطبعية قد زادت الأمور سوءاً .

وسأحاول فيما يلي إبراز أهم هذه الملاحظات مرتبة تبعاً لترتيب صفحات الكتاب :

سهل الاشبيلي ، تحقيق د . إحسان عباس ، بيروت (١٩٦٧) والموشحة المذكورة في ص ٦٦ - ٦٨ ، أو الاختلافات بين كتاب « العاطل الحالي والمرخص الغالي » لصفي الدين الحلي ، تحقيق ولهم هونرباخ . المانيا (١٩٥٦) ، أو ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي ، هامش محاضرات الأدباء للأصفهاني ، القاهرة (١٢٨٦ هـ) ص ٤٠٥ ، وكتاب بلوغ الأمل في فن الزجل ص ١٤٢

(١) مما تجدر الإشارة إليه هنا أن المحقق قد استعان بما كتب في « العاطل الحالي » عن ابن غزلة [أو : عرلة ، غرلة ، عزلة ، أو عدلة ؛ ويسميه البدر في « سحر العيون » القاهرة (١٢٧٦ هـ) ص ١٧٦ : ابن غزاله] دون الإشارة للمصدر مع أن اسمه في العاطل « : ابن غرلة ، هذا بالإضافة إلى أن ترجمة المعيار لم تظهر في ص ٥٢ بل في هامش ص ١٢٠

١ - التصدير ص ص ٥ - ٧ :

ينفي الدكتور عبد العزيز الأهواني في تصديره للكتاب أية أهمية له حين يقول : « ويجيء ابن حجة فلا يضيف شيئاً فيما يتصل بنشأة هذا الفن (أى : الزجل) وتاريخه في عصوره الأولى وإنما يعتمد على ما قاله صفي الدين الحلي قبله الاعتماد كله » . ويضيف مؤيداً رأيه « إن الحلي لا يقدم مادة وفيرة في هذا المجال ، وفي كتابه فجوات واسعة من حيث العصور التاريخية والبيئات المختلفة ... » ولست أدري هل مخالفة ما جاء في الكتابين ، حول نشأة الزجل ، لرأي المصدر هي السبب في نفي أهمية الكتاب أم أن السبب أمر آخر ^(١) .

ب - المقدمة ص ص ١١ - ٣٧ :

(١) يعتقد الدكتور عبد العزيز الأهواني أن الزجل ماهو إلا تقليد لشعر غنائي اعجمي . راجع كتاب « الزجل في الأندلس » . د . عبد العزيز الأهواني . القاهرة (١٩٥٧) ، ولكن الحلي يقول في العاقل ص ١٨ - ٢٥ في نشأة الزجل : « وأول ما نظموا الأزجال جعلوها قصائد وأبياتاً مجردة في أبحر عروض العرب بقافية واحدة كالقريض لا تغايره بغير اللحن واللفظ العامي وسموها القصائد الزجلية » . ثم يذكر الحلي بعض قصائد مدغليس الزجلية . ويقول في ص ٢٦ : « وهذه القصائد لما كثرت واختلفت عدلوا عن الوزن الواحد العربي إلى تفريع الأوزان المتنوعة وتضعيف لزومات الفواقي وترتيب الأغصان بعد المطالع والخرجات بعد الأغصان إلى أن صار فناً لهم بفردهم . وراجع بلوغ الأمل ص : ١٠٠ - ١٠١ :

وهناك ظاهرة جديدة بالنسجيل هي أن الزجل في عصوره الأولى كان يتخذ شكل المسعط ، وأكبر دليل على ذلك ما وصلنا من أزجال ابن قزمان إذ أن أكثرها له نظام التقفية (الهيكلي) التالي : ا ب ب ب ا ح ح ا ... ويؤيد ذلك ما جاء في الكتابين اللذين كان مؤلفاهما أقرب منا لذلك العصر .

لقد اقتضت المقدمة فأغفلت أموراً كثيرة جدية بالاعتبار ؛ فقد كان يحسن بالمحقق أن يقوم بدراسة ، ولو قصيرة ، لكتب الحموي الأخرى وعلاقة الكتاب المحقق بها .

جاء في ص ١٢ من المقدمة : « فكتب (ابن حجة) رسالة إلى ابن مكانس سماها « يا قوت الكلام في أيام الشام » . والصواب : « يا قوت الكلام في مناب الشام » وهي في وصف الحريق الذي أصاب دمشق أثناء الحصار الذي ضربه بقوق عليها في ذي القعدة سنة ٧٩١ هـ . والرسالة مهمة تاريخياً ، إذ أن العماد الحنبلي يجعل تاريخ الحريق في شعبان سنة ٧٩٤ هـ ^(١) ، بينما تذكر لرسالة أنه كان سنة ٧٩١ هـ والصحيح ما ذكره ابن حجة ؛ لأنه شاهد عيان . والرسالة منشورة في مجلة الجمع العلمي بدمشق ٣١ : ٦١٢ ، سنة ١٩٥٦ لاتسود طريقة إيراد آثار الحموي ومصنفاته خطة واضحة فهي ليست مرتبة ترتيباً أبجدياً أو زمنياً .

جاء في ص ٢٤ : ٨ - ناصح قلائي ، والصحيح « ناصح قلاقس » ^(٢) . وجاء في الصفحة نفسها : ١٠ - تحرير القيراط ، والصواب « تحرير القيراضي » وهو مختصر لديوان برهان الدين القيراطي ^(٣) . وجاء في ص ٢٥ : ٢٢ - تغريد الصلاح ، والصواب « تغريد الصادح »

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، للعماد الحنبلي . القاهرة (١٣٥٠ هـ -

١٣٥١ هـ) ٣ : ٢٣٢

(٢) الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع ، لشمس الدين محمد السخاوي ، مكتبة

القدسسي ، القاهرة (١٣٥٣ هـ) ١١ : ٥٤

(٣) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي ، القاهرة (١٣٠٤ هـ) ص ٣١٤

وهو اختيار موجز من كتاب الصادح والباغم لابن الهبارية (١) .
وهناك مؤلفات ورسائل كثيرة لم يذكرها المحقق مع أنها مثبتة في
عدد من المصادر نحو : « ازدهار الأنوار » ، وتعليق التائم ، ورسالة السكين (٢) ،
ورشف المنهين ، والسيرة الشيخية ، وقبول البيئات ، ولزقة العطار ، ولطائف
التلطيف .. الخ .

وثمة كتاب آخر أشار ابن حجة إلى أنه ينوي وضعه لكن ليس
هناك ما يثبت أنه قد أنجزه (٣) .

ج - النص ص ص ٥١ - ١٤٦ :

يبدو من خلال قراءة المخطوط المُحَقَّق أن المحقق قد قرأ كتاب
« دار الطراز في عمل الموشحات » لابن سناء الملك ، تحقيق د . جودت الركابي
دمشق (١٩٤٩) ، وكتاب « العاقل الحالي والمرخص الغالي » لصفى الدين
الحلي ، تحقيق وللم هونرباخ ، المانيا (١٩٥٦) ، ولكنه لم يثبت ما جاء من
الفروق بين المخطوط والكتابين ، وكان يستحسن الرجوع أيضاً إلى ديوان
ابن قزمان « إصابة الأغراض في ذكر الأعراض » نسخة مصورة عن نسخة
لينينغراد ، أو « Tobo Ben Quzman » . غرسيه غومس ، مدريد (١٩٧٢)
خاصة وأن المخطوط « بلوغ الأمل » يتناول أرجال ابن قزمان ، إمام
الزجل ، باهتمام كبير .

(١) الصادح والباغم ، لابن الهبارية ، القاهرة (١٢٩٢ هـ) ، خزانة الأدب
للحموي ص ٣٦ ، ٩٣ وراجع أيضاً بلوغ الأمل في فن الزجل للحموي ص ٢٦

(٢) خزانة الأدب للحموي ، ص ٢٠ ، ٤٣٢

(٣) خزانة الأدب للحموي ، ص ٤٥٠ ، يقول الحموي : « قد عنّ لي أن أفرد
كتاباً وأسميه « رفع الالتباس عن بديع الاقتباس » وقد تقدم وتقرر أيضاً أنه إن
جاء في المنظوم فهو عقد وتنظيم وإن كان في المنثور فهو اقتباس » .

ومما ينبغي الإشارة إليه طريقة كتابة هيكل الزجل . تتكون الأزجال من مطالع وأغصان وأقفال وخرجات ولذلك ينبغي ألا تختلف كتابة هيكل الزجل عن كتابة هيكل الموشح . إن طريقة إثبات هيكل الزجل في الكتاب المصحق تجعل من المسير التفرقة بين المطالع والأغصان والأقفال (١) ، نحو ما جاء في ص ٥٨ .

شرب الخمر المحتسب وزنا قاضي المسلمين أت هو السبب

سيدي ليش جعلت ذا محتسب

ومحكم في أمر أهل الأدب

وهو زاني زنيم كثير الزنا

والزجل كما هو مثبت ناقص من جهة ، إذ أن النسختين (٢) اللتين لم

يستعن بهما المحقق تحتويان على المطلع والبيت الذي يليه كما يوردهما أيضاً

الحلي (٣) ومن جهة أخرى فإن تمييز المطلع عن الأغصان والأقفال أكثر

صعوبة . فالكتابة الصحيحة للمثال السابق على هذه الصورة :

شرب الخمر المحتسب وزنا الله يكفي لو كان عملتو أنا

قاضي المسلمين أت هو السبب

سيدي ليش جعلت ذا محتسب

ومحكم في أمر أهل الأدب

وهو زاني زنيم كثير الزنا

(١) أستعمل في الصفحات القادمة كلمة « هيكل » لأشير إلى أنه أتى على غير

الصورة الصحيحة .

(٢) في نسختي اكسفورد وكمبردج . سوف تجري الإشارة من الآن فصاعداً إلى

نسخة اكسفورد بـ « أ » ونسخة كمبردج بـ « ك » .

(٣) العاقل الحلي والمرخص الغالي ، لصفي الدين الحلي ص ٥١ ، ٧٦ ، ٧٧ ، من

الآن فصاعداً : العاقل للحلي .

وكانت تجدر به الإشارة، على الأقل ، إلى النص كما أثبتته الحلي في العاقل.
جاء في هامش الصفحة الأولى من المخطوط ، أي صفحة ٥١ من الكتاب :

(٥) صدره : أكل فصيح قال شعراً متم (المتنبي) .

والصواب (٥) عجزه « أكل فصيح قال شعراً متم » راجع ديوان المتنبي ، طبعة اليازجي ص ٣٠٨ أو طبعة عبد الوهاب عزام ص ٢٩٠ .

وجاء في هامش ص ٥٢ : « (٢) المعيار ، برهان الدين لم نعثر على ترجمته حتى الآن ، ولكن المؤلف توفي سنة ٨٣٧ هـ . وقد ذكر المحقق في هامش ص ١٢٠ بشأن : برهان الدين إبراهيم المعيار : « (١) ذكره ابن شاعر الكتبي في فواته واسمه فيه إبراهيم الحائك أو المعيار أو الحجار (ج/ ٥٥١) . والصواب : أنه لم يكن معاصراً للمؤلف وإنما لابن نباتة كما جاء في الصفحة نفسها ، ونقل عن الشيخ جمال الدين ابن نباتة أنه قال : قطعنا المعيار بقاطيمه » . وتوفي المعيار سنة ٧٤٩ هـ في مصر (١) .

وجاء في ص ٥٣ : « فاللفظ المغربي لا يجوز في المواليا لكون أنها من مخترعات المشاركة » . كان يجدر بالمحقق أن يصوب الخطأ كما يلي : لكون أنه « أو » لكونه ، وليس ماجاء في المخطوط . فالمواليا فن مذكر وليس مؤنثاً .

وجاء في ص ٥٤ : « بعد ما كنتُ قرير العين » . ولكن جاء في العاقل للحلي ص ١٠٩ : « بعد ما كنتو قرير العين » بما تنبغي الإشارة إليه وإثباته في الهامش .

(١) الدرر السكامة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ، حيدر آباد

وجاء في الصفحة نفسها : « وهو أكبر عيوب الزجل بل محور رسمه وإخراجه عن قاعدة المصنف الإعراب » والصحيح : « وأكبر عيوب الزجل بل محور رسمه وإخراجه عن قاعدة المصنف : الإعراب » لأن الحموي يتكلم عن « الإعراب في الزجل » وليس عن « كنت » .

وجاء في الصفحة نفسها : « وقد جردته من الإعراب كما تجرد السيف من القراب » (١) .

وهذا ليس بشعر وإنما هو نثر ، راجع العاطل للحلي ص ١٤ ، وراجع الورقة الأولى من ديوان ابن قزمان .

يقول ابن قزمان في خطبة ديوانه : « وصفيته عن العقدة التي تشينه ، وسهلتها حتى لأن مالمسه ورق خشينه ، عرّيته من الإعراب ، وعريته من النخالين والاصطلاحات تجريد السيف عن القراب ... » .

وجاء في ص ٥٥ : « وكان ابن سناء الملك يعيب عليه ذلك ، ولهذا لم يشب شيئا من موشحاته في دار الطراز » .

كان يحسن بالمحقق أن يشير في هامش الصفحة إلى الموضع الذي نقل ابن حجة كلامه عنه من كتاب « دار الطراز » ، فإن ابن سناء الملك يقول (٢) « الموشع المعروف بالمعروس وهو موشع ملحون واللحن لا يجوز استعماله في شيء من ألفاظ الموشع إلا في الخرجة خاصة فلهذا لم نورد مثاله » .

وجاء في ص ٥٦ : « .. والتزيم هو ما أعرب من ألفاظ الفنون

(١) بلوغ الأمل في فن الزجل للحموي ص ٥٩ : « كما يجرد السيف من القراب » .

(٢) دار الطراز في عمل الموشحات لابن سناء الملك ، تحقيق د . جودت الركابي

دمشق (١٩٤٩) ص ٢٧

الأربع : الزجل ، والمواليا ، والكان وكان ، والقوما ... واشتقاق المزمع وهو المستلحق في قوم ليس منهم ، وأما قوله تعالى « عَتِلُّ » بِعَدِّ ذَلِكْ زَنِيم ، أي لئيم . وكأنهم ألحقوا الزجل بالموشح من طريق إعراب بعضه وألحقوا بالموشح الزجل لما أظهروا اللحن في بعض ألفاظه ، فمن الموشحات المزمعة التي نظمها ... » .

والصحيح : « ... التزيم هو ما أعرب من ألفاظ الفنون الأربعة : الزجل ، والمواليا ، والكان وكان ، والقوما ... واشتقاق المزمع من التزيم والتزيم هو المستلحق في قوم ليس منهم . وأما قوله تعالى : « عَتِلُّ » بِعَدِّ ذَلِكْ زَنِيم ، أي لئيم . كأنهم ألحقوا الزجل بالموشح من طريق إعراب بعضه ، وألحقوا الموشح بالزجل لما أظهروا (أو : أظهر) اللحن في بعض ألفاظه . فمن الموشحات المزمعة التي نظمها ... » لان قصد الكاتب هو جعل الزجل في مصاف الموشح عندما تكون ألفاظ الزجل معربة ، وجعل الموشح في مصاف الزجل عندما تكون ألفاظ الموشح (عدا الخرجة) ملحونة .

أورد المؤلف في ص ٥٧ موشحة ابن غزلة (٤) ناقصة مع العلم أنه كان بالإمكان الاستدراك وإكمال الموشحة - المزمعة - في الهامش ، وتكملتها (١) :

ظبية	لعوب	حلوة لها معنى
ريقها	الشبيب	للقبل والمعنى
تنعش	القلوب	وهي غاية المضي
كلما تبدى	وجها لنا يبدي	ثمراً تلالا في مطامع السعد
إن تقل	هلالا	فالهلال محدقاً

(١) راجع كتاب « مجموع الأغاني والألحان من كلام أهل الأندلس » ، ١٤ نوبة

ورائق لابات » جمع وترتيب ناطان يدمون يا فيل ، الجزائر (١٩٠٤ م / ١٣٢٢ هـ) ص ٣١١

أو تقل غزالا فالغزال قد سبقا

ريم لا محالا حسنها لمن عشقا

فوق كل ودًا ودها على ودي كالقضيب مالا في حدائق الورد

وجاء في ص ٥٨ : « ومن نظمها فيه الزجل المشهور الذي مطلعته :

مشى السهر حيران حتى رأى إنسان عيْنِي وَقَفَ »

وهذا المطلع هو مطلع زجل لابن قزمان رقم (١٤٨) . وهذا لم يشر

اليه المحقق .

وجاء في الصفحة نفسها : « وهو أيضاً مقبول في الزجل ، وفي ا ، وفيك

والعاطل للجلي ص ٧٨ .. » وهو أيضاً غير مقبول في الزجل ، والفرق

لا يمكن التفاضل عنه .

وجاء في ص ٥٩ هيكل الزجل على غير الصورة الصحيحة مرتين .

راجع في « قدي يا عيد » ، العاطل للجلي ص ٧٨ وفي « الجنة لو عطيت » ، العاطل

للجلي ص ٧٩ ، ديوان ابن قزمان زجل (٦٧) .

وجاء في الصفحة نفسها : « فإذا أسكن في لفظة (هي) ، وفي ا ، وفيك

« فإذا أسكن الياء في لفظة هي » . وفي الصفحة نفسها ورد اسم مدغليس

راجع ترجمته في « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب » تأليف الشيخ

أحمد بن محمد المقري النلمساني ، تحقيق د . إحسان عباس ، بيروت (١٩٦٨)

٢ : ٣٨٦ ، ٣ : ٣٨٥ ، ٥ : ٤٤ ، ٧ : ١٦ . وراجع « المغرب في

حلي المغرب » لابن سعيد ، تحقيق د . شوقي ضيف ، مصر (١٩٥٣)

٢ : ٢١٤ ، ٢٢٠ .

وفي ترجمة ابن عمير الأندلسي ، راجع « مقدمة ابن خلدون » ،

طبعة Quatrimère (١٨٥٨) ٣ : ٤١٧ ، « وتاريخ آداب اللغة العربية »

لجرجي زيدان ، القاهرة (١٩١١ - ١٩١٤) ٣ : ١٤

وجاء في الصفحة نفسها :

« وجردت فني من الإعراب كما يجرد السيف من القراب »

راجع ماقلناه عن ص ٥٤ . والكلام :

« فمن دخل علي من هذا الباب فقد أخطأ وما أصاب »

نثر أيضاً ، وهو ليس من قول ابن قزمان وذلك مما ينبغي الإشارة

إليه راجع مقدمة ديوان ابن قزمان ورقة ١ - ٥

وجاء في ص ٦٠ : « ولو نهى عنه مطلقاً ... يصدق عليه ... » والصواب

« لصدق عليه .. » .

وجاء في الصفحة نفسها : « لا أنه في حال الصلاة والنوم [كذلك] ،

والصواب : « لا لأنه في حال الصلاة والنوم (١) »

وجاء في ص ٦١ : « قواعد هذه من جملتها » وفي أو فيك : « قواعد وهذه

من جملتها » .

وجاء في ص ٦٢ : « فعلوا ذلك ليظهر الفرق » وفي اوك : « فعلوا

ذلك ليظهروا الفرق » .

(١) بشأن الحديث راجع : سنن أبي داود سليمان بن أشعث السجستاني ، دهلي

(١٣٢٢ هـ) ، كتاب الطلاق ، باب في نفقة المبتوتة ، وراجع : سنن الدارمي عبد

الله بن عبد الرحمن ، دمشق (١٣٤٩ هـ) ، كتاب النكاح ، باب النهي عن خطبة الرجل

على خطبة أخيه ، وراجع : موطأ مالك ابن أنس ، تونس (١٢٨٠ هـ) ، كتاب الطلاق

باب ما جاء في نفقة المطلقة ، وذكر في موطأ مالك : « ان فلاناً لا يضع عصاه على عاتقه »

وراجع النسائي أحمد بن شعيب ، القاهرة (١٣١٢ هـ) ، كتاب النكاح ، باب اذا استشارت

المرأة رجلاً هل يخبرها بما يعلم . أما المرأة فهي فاطمة بنت قيس ، والرجلان :

معاوية وأبو الجهم ، ولكنها لم تتزوج أياً منهما ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« أما معاوية فرجل لا مال له ، وأما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن (أو : علي) عاتقه

فأين أنت من أسامة » .

وجاء في ص ٦٣ :

« نهبتُ والقالي لا يقيمُ أعذاري شَغَفني قدُ زاده وَهني لاترعاني،
والصواب :

« نَبَّهتُ والقالي لا يقيمُ أعذاري شَغَفني قدُ زاده وَهني لاترعالي،
وهناك فروق كثيرة بين « بلوغ الأمل في فن الزجل » للحموي والعاقل
للحلي ص ٩٤ ، مما ينبغي إثباته في الهامش .

وجاء في ص ٦٤ : « لاسيما لفظة (ذا) في البيت الأول التي أراد
بها (ذاما) ، والصواب : « لاسيما لفظة (ذاما) في البيت الأول التي
أراد بها (اذاما) » .

وجاء في الصفحة نفسها : « وقد تقدم قول ابن سناء الملك وغيره من
[أن] أئمة الوشاحنة أتوا في آخر .. ، وفي اوك : « وقد تقدم قولي ان ابن
سناء الملك وغيره من الوشاحنة أتوا في آخر ... » .

وجاء في الصفحة نفسها موشح ابن سناء الملك : « لم يلق نعيها ونعيم ،
والصواب : « نعي ونعيم » ، « وأن لي دثيا قديم ، والصواب : « وإن لي
ذنبا قديم أو دينا قديم » ، « ثوى به الحسن الجديد ، والصواب « ثوابه الحسن
الجديد » أي جزاؤه ، « فحزت تشكيك ، والصواب : « فحرت تشكيك » الخ .

وجاء في ص ٦٥ :

« فقال خلّى ذا الصبّا فقلت لاله

على آس شُخْليكُ وابيشُ نِداريكَ مافي الهوى قاطيعُ طريقِ لابد يُغريكُ ،
والصواب :

« فقال : خلّ ذَا الصَّبّا فقلتُ لاله

على آس نخليك وايش نداريك نا في الهوى قاطع طريق لا بد نعرّيك ،
(نا في : أي أنا في) (١) .

وجاء في ص ٦٥ / ٦٦ : « إن حكمت لتوشّحه .. أتى في تزجيله »
وفي اوك : « أنسى حكمت لتوشّحه .. أناني تزجيله » .
وجاء في الصفحة نفسها : « لاتدرك في الباب » والصواب : « لاتدرك
في هذا الباب » .

ثبت المؤلف في الصفحة نفسها موشحة لابراهيم بن سهل الاشبيلي
لبشير إلى عدم استعمال اللحن (التزني) في الموشحة إلا في الخرجة ،
ويقول : « ومن الغايات التي لاتدرك في هذا الباب ... » ولكن المحقق
أثبت ما هو غير صحيح ومخالف لما قاله المؤلف ، نحو : « مقتلو » والصواب :
« مقتل » ، « ريقو » والصواب « ربق » ، « جدولو » والصواب : « جدول » الخ .
وغير متجانس ، نحو : من الماء ، برد اللمى ، بالإضافة إلى أخطاء
عروضية ، نحو :

« سقى رياض الحفر من خدّها ورد الخجل »
والصواب : « سقى رياض الحفر من خدّها ورد الخجل » ،
وجاء أيضاً : « ماكته إلا ملك » والصواب : « إن هذا إلا ملك » ،
وجاء أيضاً : « حتى تترك في المحن » والصواب : « حُبِّي تركيه الميحن » الخ (٢) .

(١) راجع « النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة » ، القسم الخاص بالقاهرة
من كتاب « المغرب في حلي المغرب » لابن سعيد ، تحقيق د . حسين نصار ، مطبعة دار
الكتب القاهرة (١٩٧٠) ص ٣٦٩

(٢) راجع ديوان إبراهيم بن سهل الاشبيلي ، تحقيق د . احسان عباس ، بيروت
(١٩٦٧) ص ٢٩٢ ، وفوات الوفيات لابن شاکر الکتبي ، تحقيق الشيخ محيي الدين
عبد الحميد ، مصر (١٩٥١) ١ : ٥٣ ، وتوشيح التوشيح لصلاح الدين الصفدي ، تحقيق
د . البير مطلق ، دار الثقافة (١٩٦٦) ص ١٥٧ .. الخ .

كما أورد المؤلف في ص ٦٨ موشحته بعد ذلك ، فافترض المحقق معلقاً في الهامش بقوله :

« وموشح ابن حجة الحموي هذا من الدوبيت الذي يكون فيه الغصن الثالث من المذهب والاقفال مهمل القافية » . إن هذا الموشح ليس من بحر الدوبيت ^(١) وإنما هو من البحر البسيط . وهذا الموشح مضمن ^(٢) أعجازاً من قصيدة المتنبي التي مطلعها ^(٣) :

أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل دعا فتلبيّاه قبل الركب والابل
ويحسن الرجوع إلى ديوان ابن العربي ، طبعة بولاق ، (١٢٧١ هـ)
ص ١١٣ (على سبيل المثال) ، وديوان أبي الحسن الششتري ، تحقيق
د . علي سامي النشار ، مصر (١٩٦٠) ، من أجل التعرف على هياكل
الموشحات المختلفة ونظام تقفيها .

أما الخرجة فقد نظمها أولاً جمال الدين بن نباتة بقوله :

إنسان عيني بتمجيل السهاد بلي عمري لقد خلق الإنسان من عجل
ثم عارضها ابن مقاتل ^(٤) .

وجاء في ص ٧٠ : « التي تفتقر للبارع ، وفي أولك » التي لم تفتقر
للبارع ، والفرق لا يمكن التغاضي عنه .

وجاء في ص ٧١ زجل ابن قزمان . راجع ديوان ابن قزمان زجل
رقم (٩٤) ، والعاطل للحلي ص : ٧١ ، ٥٠

(١) راجع ديوان الدوبيت في الشعر العربي ، د . كامل مصطفى الشبيبي ، بيروت
(١٩٧٢)

(٢) خزانة الأدب للحموي ص ١٩٧

(٣) ديوان المتنبي ، طبعة البازجي ص ٣٨٣

(٤) خزانة الأدب للحموي ص ٦

وجاء في الصفحة نفسها :

« تعرف أسما هنا يقل لك لا ، قلو خذ تملا

منها اذنك ملا هي هي القهوة والمدام والطلا

والحميا والخندريس والراح ، (١)

والصواب ماجاء في اوك وديوان ابن قزمان والعاطل للحلي :

« تعرف أسماها يقل لك لا (٢)

قلو خذ تملا منها اذنك ملا (٣)

هي هي القهوة والمدام والطلا

والحميا والخندريس والراح »

وجاء في الصفحة نفسها : « لم يغتفر ، وفي اوك : « لم يغتفروا » .

وجاء في الصحيفة نفسها : « هي أقبح العيوب ، وفي اوك : « هي

من أقبح العيوب » .

وجاء في ص ٧٢ : « لفظة الشحناء » . وهنا يحسن بالمحقق اثبات

الزجل في الهامش ، راجع العاطل للحلي ص ٧٢

وجاء في الصفحة نفسها :

(١) اثبت المحقق في الهامش : « هذه أَلغاز كان الزجالون يتبارون في حلها بطريقة الاضمار والجواب عنها بالزجل » ، والصواب هو ما قاله ابن حجة في السطر الذي يلي الزجل : « فهذه ست لفظات في أسماء الخمر ... » راجع أيضاً حليلة الكميت لمحمد بن حسن النواجي ، القاهرة (١٢٧٦ هـ) .

(٢) جاء في ديوان ابن قزمان زجل ٩٤ : « تحفظ أسماها سيقلك لا »

وجاء في العاطل للحلي ص ٥٠ ، ٧١ : « تعرف أسماها السّا يقل لك لا »

(٣) جاء في ديوان ابن قزمان زجل ٩٤ : « قل خذ تملا منها أذنك ملا »

« نظر بأهداب عينو وعبس فرج لعمرى كربه وأنس ،
وفي العاقل للحلي ص ٣٢ ، ٧٤ :

« نظر بطرف عينو وعبس للحيط نqlم ا نشكو ونحبس
وفي جملة الكلام الذي قال :

أبن الصدود وقد طال ما طال
اتخيل ات بعد صورة الحال

فرج لعمرى كربه وأنس ،

ما يستحسن إثباته في الهامش .

وجاء في الصفحة نفسها : « لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ بِعَمَمٍ »
وهي آية ٧٢ من سورة الحجر .

وجاء في الصفحة نفسها : « وعابوا عليه أيضاً في بعض أزجاله استعماله
لفظة (الزرد) ، وهي غير موجودة في أولك .

وجاء في الصفحة نفسها : « لفظة (مرحبا) » وهذا يحسن بالمحقق
إثبات الزجل في الهامش ، راجع العاقل للحلي ص ٩٤

وجاء في ص ٧٣ هيكل الزجل « دوني من ليس فعلو يُحمد » .
وجاء في الصفحة نفسها : « ومما ساءحوا في استعماله . . فإنهم عابوها . »
وفي أولك : « ومما ساءحوا في استعماله ... فإنهم عابوها ... » .

وجاء في الصفحة نفسها : « والغ » والصواب « والغ » .
وجاء في ص ٧٤ : « أما من الأعراب بالحروف » وفي أولك : « أما
الإعراب بالحروف » .

وجاء في الصفحة نفسها هيكل الزجل ، راجع العاقل للحلي ص ٧٦ .
وجاء في الصفحة نفسها زجل محمد بن حسون حيث أشار المحقق إلى

مطلع الزجل في الهامش ولم يذكر المصدر الذي نقل عنه ، ربما كان العاطل للجلي ص ٧٦ ، مع أن هناك فرقاً في القراءة .

وجاء في ص ٧٥ : ذكر فاتح كاف الخطاب ، وهنا يحسن إثبات الزجل في الهامش ، راجع العاطل للجلي ص ٧٩

وجاء في الصفحة نفسها : « إن كنت أخطيت في عشقك بيّني » وفي اوك : « ... وفي عشقك بيّني » .

وجاء في الصفحة نفسها : « وأما سوف فكقول أبو الحسن » مصححة من النطبيعات ص ١٥٩ . وفي اوك : « وأما سوف فكقول أبي الحسن (أو : الحسين) » .

وجاء في ص ٧٦ : « حق هو ليس بمزح » وفي اوك : « حق هو ليس بمزح » (١) .

وجاء في الصفحة نفسها : « قفا نبك في القوم » وفي اوك « قفا نبك » في أزجال القوم .

وجاء في الصفحة نفسها ذكر ابن نمارة ، وكان يجدر بالباحث أن يعرف به لأنه كان إمام الزجل قبل ابن قزمان . وفيه يقول ابن قزمان (٢) :
« ومن أسلس طبعاً وأخصب ربعا ، ومن حجوا اليه وطافوا به سبعا ،
أحق بالرياسة في ذلك والإمارة ، من الشيخ اخطل بن نمارة ، فإنه نهج الطريق
واجدي إن أدركته ، لألمت به وما تركته ، ولحكمت له بالتقديم ، وزمرت له
بالقديم ، وقلت له أنت الفني وأنا العديم ... »

(١) العاطل للجلي ص ٨٠

(٢) ديوان ابن قزمان ورقة ٤٠ ، وراجع « المغرب في حلى المغرب »

لابن سعيد ١ : ١٦٧

وجاء في الصفحة نفسها هيكل الزجل (١) .
 وجاء في الصفحة نفسها : « وإثبات السكون في ينكرون أفحش ،
 وفي أولك : « وإثبات التون في ينكرون أفحش » (٢) .
 وجاء في الصفحة نفسها : « فإنهم يجمعون على لفظه » وفي أولك : « فإنهم
 يجمعون على لفظه » .

وجاء في ص ٧٧ : زجل لعلي بن نارة ، ينسبه الحلبي إلى ابن قزمان
 ، مما تنبغي الإشارة إليه . راجع العاطل للحلي ص ٤٤ ، ٨٥ ، ١٨٧
 وجاء في ص ٧٨ : ذكر أزجال ابن قزمان ، راجع ديوان ابن قزمان
 زجل (٥٤) ، زجل (١٤٦) العاطل للحلي ص ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩
 وجاء في ص ٨٠ : « من ذوات الظاء لا يجوز استعمالها » وفي أولك :
 « من ذوات الظاء ولا يجوز استعمالها » .
 وجاء في الصفحة نفسها : « أبي الحسن الشاطبي ، والصواب : « أبي
 الحسن الامشاطي » .

وجاء في ص ص ٨١ - ٨٢ : ذكر زجل ابن مقاتل الحموي ، راجع
 خزانة الأدب لابن حجة الحموي ص ٣٨ ، تحت « ذكر اللفظي المقلوب » للمقارنة
 والتأكد من الأصل ، وراجع الهيكل أيضاً .
 وجاء في ص ٨٣ : « ولكني شد عني يئنه الرابع » وجاء في
 خزانة الأدب للحموي ص ٣٨ البيت الأول : أي البيت الذي بعد المطلع ،
 وليس البيت الرابع ، مما تنبغي الإشارة إليه في الهامش . وراجع هيكل الزجل أيضاً .

(١) راجع العاطل للحلي أيضاً ص ٨٨

(٢) راجع العاطل للحلي ص ٨١ ، ٨٨

نحو : « ما الفراق في الهوى إلا خصمـو ألد »
 على تركـو إذ هو قوي حظي نلق وصلو من كل لذة ألد
 نسأل الله منو يزيد حظي

والصواب :

« ما الفراق في الهوى إلا خصمـو ألد » على تركـو إذ (أو: إن) هو قوي حظي
 نلقى وصلو من كل لذة ألد نسأل الله منو يزيد حظي ،
 لأن القصد هو المجانسة بين الدال المهملة والذال المعجمة والضاد والظاء .
 وجاء في ص ٨٤ : « الأعراض عن هذا الفن » وفي اوك : « الإعراض
 عن المذاكرة بهذا الفن » .

وجاء في ص ٨٧ : « والغصون بحال نداما » والصواب : « ندامى » .
 وجاء في الصفحة نفسها : « لم يغتفرا له من أحد من الزجالة »^(١)
 والصواب : « لم يغتفرهما له أحد من الزجالة » .

وجاء في ص ٨٨ : « ولم يسلم له العيوب (المنهي عنها) غصن ولاخرجة
 وفي اوك : « ولم يسلم فيه غصن ولاخرجة من العيوب المنهي عنها » .
 وجاء في ص ٨٩ : « ذا المليح في الجنة سيبدو » وفي اوك : « ذا
 المليح في الجنة يبدو » .

وجاء في الصفحة نفسها : « وآخره في ذا الغُمَيْمِ » وفي اوك : « وأخرى
 في ذاك الغميم » .

وجاء في ص ٩٠ : « ماك بحال جمالو » وفي اوك : « ملك تُخال جمالو » .
 وجاء في الصفحة نفسها : « ولكن تحريكه ليس من العيوب الفاحشة »
 وفي اوك : « ولكن تحريك (ليس) من العيوب الفاحشة » .

(١) لاداعي لفصل الفقرات : « .. له أحد من الزجالة . إما أن ينون التكاف .. »

وجاء في ص ٩١ : « ذابٌ نقول في عشقا إلحق ، وفي اوك : « ذا
نقول في عشقها آلحق ، .

وجاء في الصفحة نفسها : « بدموع في الحُبِّ تجرا ، وفي اوك : « بدموع
في الخد تجرى ، .

وجاء في ص ٩٣ : « واوردها ، وفي اوك : « واوردوها ، .

وجاء في الصفحة نفسها : « يظهر إليّ أنه ، وفي اوك : « يظهر لي أنه ، .

وجاء في ص ص ٩٣ ٩٦ : اضطرابات كثيرة بين العامة والفصحى ،
نورد على سبيل المثال لا الحصر :

اطفِ بدلاً عن اطفِ ، قلتُ بدلاً عن قلتو ، قم بدلاً عن قوم ،
ومتحلاً بدلاً عن ومتحلى (أي : وما أحلى) ، « تعود يا حبيبي وطيب ،
والصواب : « قعود يا حبيبي وطيب ، ... الخ .

وجاء في ص ٩٦ : « وإلى الرجوع ، [من التطبيعات ص ١٥٩] وفي
اوك : « وآن الرجوع ، .

وجاء في الصفحة نفسها : « يمنع ، وفي اوك « منع ، .

وجاء في ص ٩٧ : « الانتقال من (كلي) إلى (قمرى) وهو الحبن
عند العروضيين كالانتقال من (فاعلن) إلى (فعلين) ... ، ثم ذكر البيت الآتي :

« لو كانت الناس تسجد أو تصوم أبشَرَ لك كنت نسجد على الدوام ونصوم »

المؤلف ، هنا ، يشكك عن العروض والضرب والانتقال من (فاعلن)

(//ه/ه) [أو : فاعلن //ه/ه] إلى (فعلين) (//ه/ه) [أو : فعلن

(//ه/ه)] وهو كالحبن أي حذف الساكن الثاني أي حذف الألف من فاعلن

[أو : فاعلن] فتصبح فعلن أو فعلين الخ ... ولكن جاء في العروض :

مَ ابشَرَ //ه/ه ، وفي الضرب : ونصوم //ه/ه .

وفي هذه الحالة لم يحدث الخبن ولكن لو حرك الضرب : وَنَصُوم ،
 لكان ثمة انتقال من (كالى) إلى (قمري) أي حذف الساكن الثاني كما
 أراد المؤلف .

وجاء في ص ٩٨ : « مطلعاً أو بيتاً ، والصواب : « مطلعاً وبيتاً » .

وجاء في ص ٩٩ : الهياكل : « كم نقا / سي شقا .

والبيت : / ورما / ني رما / ني وما / عاد لقاً / سي بقا ، .

والصواب : « المطلع كم نقا / سي شقا .

والبيت : ورما / ني رما / ني وما .

القفل : عادلقا / سي بقا ، .

وكذلك : « الببح / رآصبح / فرجا / والجا / موس جا / يسبح » .

والصواب : « المطلع : الببح / رآصبح

البيت : فرجا / والجا / موس جا

القفل : يسبح

وكذلك الصواب : زم / زم

حَرَّ / زَرَّ / دَرَّ .

هَتَمَ

وجاء في الصفحة نفسها : « بيت ومطلع ست قواف ، والصواب :

« مطلع وبيت لست قواف » .

وجاء في ص ١٠٠ : « وهم : يخلف بن راشد ، الحبيط البرذعي ، ابن

قزيمان ، مدغلبس ابن المليكة ، الجمال وهو متأخر » .

وفي ا : « يخلف بن راشد ^(١) ، والحبيط ^(٢) ، والبرذعي ، وابن قزمان ، ومدغليس ، وابن المليكة ^(٣) ، والحمال : وهو متأخر ، .
وجاء في الصفحة نفسها : « وأبياتاً محررة ، وفي اوك : « وأبياتاً
مجردة ^(٤) » .

وجاء في الصفحة نفسها : « وعدتها ثلاثون » وفي العاقل للحلي ص ١٨ -
٢٥ : « وعدتها واحد وثلاثون » ، مما تنبغي الإشارة إليه .

وجاء في ص ١٠٢ : « فمن السهل الرقيق لابن قزمان » وفي العاقل
للحلي ص ٩٢ ، ١٣٣ : « فمن السهل الرقيق لمدغليس » ، مما تنبغي الإشارة إليه .
وجاء في الصفحة نفسها : « لولا الشراب واش ^٥ كان ^٥ [بقي نرجع فقي]
وفي اوك والعاقل للحلي ص ١٦ ، ٣٧ :

« لولا الشراب واش كان ^٥ بقي نرجع فقي »
وجاء في ص ١٠٣ :

« يا حبيبي لقيت كثير في الناس بالحكم ينطق »
وفي اوك والعاقل للحلي ص ١٩٩ .

« يا حبيبي لقيت كثير في الناس بالحكم ينطقوا »

(١) جاء في نسخة كمبردج (ك) : خلف بن راشدة ، وجاء في مقدمة ان خلدون
طبعة Quatremère باريس (١٨٥٨ م) ٣ : ٤٠٧ ، بحلف الأسود (وفي الهامش :
(بحلف) .

(٢) جاء في نسخة كمبردج (ك) : « الحبيط » .

(٣) جاء في العاقل للحلي ص ١٧ : « ابن اللمنكة » .

(٤) المصدر نفسه : ١٨

وجاء في الصفحة نفسها : « انهلْ شويْ يا صاح لاتقروب » وفي اوك :
« امهلْ شويْ يا صباح لاتقروب » .

وجاء في ص ١٠٤ :

« يتركوا قومٌ وناالا إنما مذهبي الطيلا
يامنٌ على منثو بينٌ ملا كان يكون أرجلي العقار
« ويكون فمي الدلو »

وفي اوك والعاطل للحلي ص ٣٤^(١) :

« تتركوا قومٌ وناالا »

إنما مذهبي الطيلا

يا على منثو ير ملا

كان يكون أرجلي العقاب ويكون فمي الدلو ،
وجاء في ص ١٠٥ :

« غصنٌ بانٌ أوعدني وخلفٌ » قلتٌ ليه قصته تعطفٌ
دار وقال حين عني انحرف [وقال] من رأى من قبلك انسان
صار عليه معطوفٌ غصين البان بالورق ،
وفي اوك : « غصن بانٌ أوعدني وآخلفٌ »

قلت ليه^(٢) قصة تعطف

دار وقال حين عني أحرف

(١) م . ن : ٣٤ ، مطلع الزجل :

مُرٌ قيل لي عن ذا الشرابٌ ووجدتو أنا حُلُو

ويضيف الحلي قائلاً : « لقد أضاف ابن قزمان مده في (أنا) غير أصلية
لاقامة الوزن » .

(٢) راجع بلوغ الأمل في فن الزجل للحموي ص ١١٣

من رأى من قبلك إنسان صار معطوف عليه غصن البان بالورق^(١)
 وجاء في ص ١٠٦ : « في بيت ومطلع ، والصواب : « في مطلع وبيت » .
 وجاء في ص ١٠٧ : « وفي الأراضي قوم ترى شئ نذهب » ، وفي
 اوك : « وفي الأزاهر قوم ترى شي آتذهب » .
 وجاء في الصفحة نفسها : « وأصفر ويحكى لنا في الأبيض » ، وفي
 اوك : « وأصفر ويحكى لنا في الأبيض » .
 وجاء في الصفحة نفسها : « ولا فصوص كارب في بلاد توجتد » ، وفي
 اوك : « ولا فصوص كارب في بلار^(٢) توجتد » .
 وجاء في ص ١٠٨ : « في بيت زجل الخياط » ، وفي اوك وخزانة الأدب
 للحموي ص ١٤١ ، وبلوغ الأمل في فن الزجل ص ١٣٠ : « في بيت من
 زجل في خياط » .
 وجاء في الصفحة نفسها الزجل « قال فشبه خدي ... » ، والزجل مذكور في
 بلوغ الأمل للحموي ص ١٣٤ ، « كان يحسن بالحق أن يرجع إليه » ، وراجع
 كذلك خزانة الأدب ص ١٤١ .
 وورد في الصفحة نفسها اسم « علي النجار » ، دون أن يعرف به .
 راجع خزانة الأدب ص ٧٣ . فإن علي النجار هذا كان وكيلا لبيت المال بدمشق .
 وجاء في الصفحة نفسها : « وأش قلتو أنه خسر فيه » ، وفي اوك . « وايش
 قلتو انو خسر فيه » .

(١) بشأن الخرجة ذات الردفة الزائدة راجع : ديوان الحلي ، تحقيق البستاني

بيروت (١٩٦٢) ص ١٩٤ ، توشيح الصفدي رقم ٢١ ، وفيات الصفدي : ٢٨٣ ،
 وفيات الكتبي ٢ : ٥٠٨

(٢) البلار : لغة في البلور .

وجاء في ص ١٠٩ : « يابُنِي لانتسُومُ » وفي اوك : « يَبْنِي لانتسوم »
 وورد في الصفحة نفسها اسم « أحمد العطار » دون أن يعرف به . هو
 وهوشاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن العطار الدنيسري ، ولد في دنيسر قرب
 ماردين بالجزيرة سنة ٧٤٦ هـ ، وتوفي بالقاهرة سنة ٧٩٤ هـ . راجع الدرر الكامنة
 لابن حجر العسقلاني حيدر آباد (١٣٤٨ هـ) ١ : ٢٨٧ ، الأعلام لحير الدين
 الزركلي (الطبعة الثانية) (١٩٥٥) ١ : ٢١٦ .

وجاء في ص ١١٠ : « لمصونات التواري حذراً ، والصواب : « خدراً »
 وجاء في الصفحة نفسها : « ماذا ورد سابل دموعي محترُوم » وفي
 اوك : « ما رد سابل دموعي محروم » .

وجاء في ص ١١٢ زجل لابن حجة الحموي « عارضو لما عشق خدو ،
 وقد ذكره محمد بن أحمد الابشهي في المستطرف من كل فن مستظرف ، القاهرة
 (١٣٠٨ هـ) ٢ : ١٩٢ ، وبما ينبغي إثبات الفروق في الهامش .

وجاء في ص ١١٧ : « قدثو مايل » وفي اوك : « قدثو مائل » (١) .
 وجاء في الصفحة نفسها : « موطا خيلقو مليح وما اعلا قدرو » وفي
 اوك : « موطا خلقو ومليح ما أعلاقدرو » .

وجاء في ص ١١٩ : « وأنت غرة بدر [تشرق] لنا في الأصايل ،
 وفي اوك : « وأنت غرة تشرق آئنا في الأصايل » . وهو أكثر انسجاماً
 مع البحر .

وجاء في ص ٢٠ : « ما بلي أحد بما قد بليت من المذاب » وفي اوك :

(١) راجع بشأن القوافي أفعال الزجل نحو : « الشهيل وعمايل ، خمايل وحمائل ،
 ثابل وبابل ، وقابل وقايل ، الغلايل ودلايل » .

« ما بُلِي حد مثل ما بو بليت من العذاب (١)
وجاء في الصفحة نفسها « كم قطعت من جبال » وفي اوك : « كم قطعتمو
من جبال » .

وجاء في الصفحة نفسها : « تقطع البر الطويل » وفي اوك : « ما أقطع
البر الطويل » .

وجاء في الصفحة نفسها : « ونجايبي » وفي اوك : « وجنايبي » .
مع واحد المليح = = = : « امس مع وجه المليح » وفي اوك : « امس
مع واحد المليح » .

وجاء في الصفحة نفسها « وبقيت في عنونا » وفي اوك : « وبقيتو في عنا »
وبلاحظ أن المحقق لا يتخذ موقفاً محدداً من إيراد الألفاظ الجنسية :
فقد جاء في ص ١٢٢ : « من رآه ... رقص » ، ولكنه أثبت الألفاظ
الجنسية في خرجة الزجل نفسه . أو كما جاء في بليق المعمار في فن الزجل
للحموي ص ١٢٤ :

وجاء في ص ١٢٣ :

« دار قلاتي ما عندك حنا أش دي المصيبة فؤوم عننا
دخيلك أولد الحور ناديت لُو اصبر لي سننا ،
وفي اوك :

« دار قلاتي ما عندك حنا اش دي المصيبة فؤوم عننا

(١) وجاء مطلع الزجل في النسختين أيضاً وهو :

في هوى المردان ضنيت وبرى جسمي انحول
وذهب عقلي على من لا ربيت لهم عقول

ناديت "لو اسبر لي سنّا" "دخيلك" "آولد الحسرا" (١)
 وفي ص ١٢٤ : يعتمد الحموي في زجله هذا على التورية بسور القرآن
 والتنبه للتورية يعين على تصحيح بعض القراءات نحو : « رأيت ماعطيت »
 والصواب : « رأيت ما عطيت » ، وأيضاً : « يوم النازعات عمّا » والصواب :
 « يوم النازعات عم » ، « مايقع يوم الواقعة أعداك » والصواب : « مانقع
 يوم الواقعة أعداك » ، وأيضاً : « قاف تراها » والصواب : « ق تراها »
 وكذلك « صاد جوارح » والصواب : « ص جوارح » الخ ..
 وهناك ، أيضاً ، أخطاء مطبعية ، نحو : « بأمر والمين » والصواب :
 « بأمر والمين » ، وأيضاً : « بين آدم » والصواب : « بين آدم » الخ ...
 وجاء في ص ١٢٨ : « شنب الحبيب » والصواب : « شنب الحبيب » .
 وجاء في ص ١٢٩ : « جُعلا » والصواب : « جملا » .
 وجاء في الصفحة نفسها : « لكون ابن الامشاطي » وفي اوك : « لكون
 أن الأمشاطي » .

وجاء في الصفحة نفسها : « عاد مخلّقا » وفي اوك : « فعاد مخلقا » .
 وجاء في الصفحة نفسها :

« أعشّق لك من الأكياس معشوق وأنشقيق الأكياس
 وان أوعد . وانعم . أنهب . وإن صال . إن هان . وأرفع قدر
 فوق العين وفوق الرأس »

والصواب :

« إعشّق لك من الأكياس معشوق وانفق الأكياس
 ون أوعد . وأنعم . أنهب . وإن صال . ان هان . وارفع . قدر » .

(١) في نسخة اكسفورد ١ : « الحسرا » .

فوق العين وفوق الرأس ،

وجاء في ص ١٣١ : « في الياس والرجا عمري ، وفي اوك : « بين
الياس والرجا عمري » .

وجاء في ص ١٣٣ :

« من أحمد . ماجانظم . ولا رتب . زجال . بلسان . يئششد شعرو
ون راح يسكير الجلاس ،

والصواب :

« من أحمد . ماجا آنظم . ولا آرتب . زجال . بلسان . يسمع (١) . شعرو .
دون راح يسحر الجلاس ،

وجاء في الصفحة نفسها : زجل الحاج علي بن مقاتل . راجع تعليقي
على الزجل ص ١٠٨

وجاء في ص ١٣٨ : « ولو طلب ... توارت عنه » والصواب : « ولو
طلب .. لتوارت عنه » .

وجاء في الصفحة نفسها : « بين أهل هذه البلاد » وفي اوك : « بين
أهل البلاد » .

وجاء في الصفحة نفسها : « فالشعر قد شعر الناس بإعرابه » وفي اوك :
« فالشعر قد علم اعرابه » .

وجاء في الصفحة نفسها : « في مدائن » وفي اوك : « في ميدان » .

« ولما قلت سهولتها » وفي اوك : « ولما قلت سهولتها »

« للمنادب طبعها » وفي اوك : « للمنادب طبعاً »

« لم يلق المبلغ على تدبير مصطلحها جابر كان »

(١) ويسمع أرجح لأن القافية تقتضي ذلك ، راجع أقفال الزجل السابقة :
شعشع ، وستع ، رصع ، ضيئع ، يمنع ، وكرفع .

أجنبياً من الصناعة ، وفي أولك : « لم يلق البليغ على تدبير مصطلحها حائزاً
كان أجنبياً من الصناعة » .

وجاء في الصفحة نفسها : « وقد عن أن أنظم » وفي أولك : « وقد عن
لي أن أنظم » .

وجاء في الصفحة نفسها : « وهي المواليا ، والصواب : « وهو المواليا » .

« وإنا اللحن أحسن » وفي أولك : « وإنا اللحن

فيه أحسن » .

وجاء في ص ١٣٩ : « وما قصد بقولهم » وهذا منقول عن الحلبي في
العاطل ص ٨ ، وتنبغي الإشارة إليه (١) .

وجاء في الصفحة نفسها : « وهو التزيم في الزجل » ، فإنما المقصود أن
يكون المعرب منه نوعاً مفرداً ، وفي أولك والعاطل للحلي ص ٨ : « وهو كالتزيم
في الزجل ، وإنما المقصود أن يكون المعرب منه نوعاً مفرداً » .

وجاء في الصفحة نفسها : « وحلت بهذا الألباب » والصواب : « وخلق
بها الألباب » .

وجاء في ص ١٤٠ قول البغاددة من الكان وكان وقد ذكر الحلبي في
العاطل الكان وكان نفسه مع وجود فروق في ص : ١٥٥ - ١٥٧ ، ٢١٧ -
٢٦٨ ، ولم يشر المحقق إلى ذلك . وقد جاء بيت ثان في أولك وهو :

« السفن للسفن (٢) تكلي والطير مع شكلو يطير
وما تطير الفواخت إلا مع الورشان »

(١) راجع العاطل للحلي ص ٨ : وما قصدت بقولي

(٢) في نسخة كمبردج (ك) : « للسفر » .

وجاء في ص ١٤٢ : « ويعجبني أيضاً قول القائل » راجع ثمرات الأوراق للحموي ص ٤٠٥ ، والقائل هو ابن الجوزي .
وجاء في الصفحة نفسها : « والآخر هو الثالث أطول منها » وفي اوك :
« والآخر وهو الفصل الثالث أطول منها » .

وجاء في ص ١٤٣ : « والوزن الثاني منها » وفي اوك : « والوزن الثاني منها »
وجاء في الصفحة نفسها : « بعد غناء الرمل والجزل » وفي اوك : « بعد
غناء الرمل والجزل » .

وجاء في الصفحة نفسها ذكر « ابن نقطة » راجع ترجمته في الاعلام لخير الدين
الزركلي (طبعة ثانية) (١٩٥٥) ٧ : ٨٠ ، وكتاب الدربيت في الشعر
العربي ، د . كامل مصطفى الشبيبي ، بيروت (١٩٧٢) ص ١١٦
وجاء في الصفحة نفسها : « فلما وصل إلى القوما » وفي اوك : « فلما
وصل إلى القوما قال » .

وجاء في ص ١٤٤ : « اليد الطويلة » والصواب . « اليد الطولى » .
وجاء في الصفحة نفسها : « وكذلك إذا نظم » وفي اوك : « وكذلك إذا نظم »
= = = : « منها في آخره » وفي اوك : « منها في الآخر » .
= = = : « القوما » وهي لصفى الدين الحلبي ، راجع العاقل

للحلي ص ١٧٦

وجاء في ص ١٤٥

« كُنَّا مَالِكٌ . مُدُونُ أَخْوَالِكِ . وَآلِكَ . سَلَسْنَا اللَّهَ يُجْعَلُو

أَوَّلُ سُؤَالِكِ . أَقْصَرُ مَقَالِكِ

قَدْ سَمِجٌ . قِيلَكَ وَقَالَكَ . إِنْ بَدَاكَ . فِي الْهَوَى اللَّهُ أَقَالَكَ »

وفي اوك والعاقل للحلي ص ١٧٩ :

« كُنَّا مَالِكٌ . دون اخواك وآلك . سَلَّيْتَنَا اللهُ بِجَعْلِهِ أَوَّلَ سَوَّآلِكَ »
 أقصر مقالك . قد سمع قبلك وقالك . إن كان بدالك في الهوى الله أقالك ،
 وجاء في ص ١٤٦ : « وما قد تقرر حذف الاعراب منها ، وفي اوك :
 » وقد حذف الإعراب منها . »

وجاء في الصفحة نفسها : « قلت : والرسم الذي وضعته في كتابهم
 هو المصطلح عند المخترعين ، فإذا نظر المتأمل إلى الرسم يعلم أن المصطلح
 عليه . » وفي اوك :

« قلت : والرسم الذي وضعته في كتابي هو المصطلح عليه عند المخترعين ،
 وإذا نظر المتأمل إلى الرسم يعلم أنه المصطلح عليه . »

عبد المحسن علي العباس

اكسفورد

آراء وأنباء

الشيخ أبو عبد الله الزنجاني *

الدكتور محمد جواد مشكور

هو العلامة الفقيه أبو عبد الله بن نصر الله الزنجاني ، ولد في ربيع الأول سنة ١٣٠٩ هـ من أسرة عريقة بعلمها وشرفها . خرج منها فريق من العلماء والرجال وخدموا العلم والدين خدمة لا تنسى ، منهم شقيقه الأكبر العلامة الفضال الشيخ فضل الله شيخ الإسلام الزنجاني المتوفى سنة ١٣٧٣ هـ . كان كان نموذج السلف الصالح من العلماء كما تشهد عليه تأليفه القيمة في الفلسفة وتاريخ المذاهب وعلم الكلام ، وخزانة كتبه التي ابتاعها مكتبة مجلس النواب الإيراني من أنفس خزائن إيران لاحتوائها على المخطوطات النادرة وخطوط مشاهير العلماء والمؤلفين .

درس الأستاذ الفقيه اللغة العربية وآدابها ومبادئ الفقه الإسلامي على جماعة من علماء زنجان ثم درس الفلسفة وعلم الفلك على أحد حكهاء إيران

(*) زنجان : مدينة في إيران الشمالية ، قاعدة إقليم خسة . وهي تقع بين طهران وتبريز بعد مدينة قزوین .

الميرزا إبراهيم الزنجاني وهو من كبار تلامذة الفيلسوف الشهير ميرزا أبو الحسن جلوه - ثلاث سنوات من سنة ١٣٢٦ إلى سنة ١٣٢٩ هـ . ثم رحل إلى طهران ودرس العلم هناك فترة من الزمن بأحدى المدارس الفرنسية ورجع إلى زنجان ثم ذهب مع شقيقه الأكبر الشيخ فضل الله في ذي الحجة سنة ١٣٣٠ هـ إلى النجف الأشرف ودرس الفقه والأصول على الإمامين السيد محمد كاظم اليزدي وشيخ الشريعة الأصفهاني كما حضر دروس كبار فقهاء الدين وزعماء المجتهدين كالعلامة السيد أبي الحسن الأصفهاني والآغا ميرزا حسين النائيني والآغا ضياء الدين العراقي الأصولي ، ومكث فيها تسع سنوات حتى نال درجة رفيعة من الاجتهاد ثم رجع في أواخر سنة ١٣٣٨ هـ إلى زنجان واشتغل بتأليف الكتب النافعة ونشر أفكاره الإصلاحية الإسلامية ثم جال في بعض بلاد إيران وسافر إلى سوريا وفلسطين والقاهرة وزار مكة المكرمة وتعرف في هذه الرحلة على كثير من رجال العلم والفكر في الأقطار العربية ثم عاد إلى زنجان وتولى القضاء الشرعي فيها مع تدريس الفقه والفلسفة والتفسير على الأسلوب الحديث واهتم أيضاً بنشر المقالات الأدبية والتاريخية في مجلة لغة العرب البغدادية ومجلة الزهراء المصرية ، وانتخب في ٧ محرم ١٣٤٧ هـ الموافق ٢٥ حزيران سنة ١٩٢٨ عضواً مؤزراً في المجمع العلمي العربي بدمشق وكان أول عالم إيراني اختاره المجمع العلمي لعضويته للقيام بخدمة اللغة العربية وإحياء آدابها . ثم سافر في أواخر سنة ١٣٥٣ هـ مرة ثانية إلى العراق وسوريا ومصر وذلك لطبع تأليفه في تاريخ القرآن والتعرف إلى البلاد الإسلامية واتصل في هذه الرحلة بكثير من رجال العلم والأدب والصحافة في مصر وسوريا وألقى محاضرات في جامعة الأزهر وبعض أندية العلم في القاهرة وكان لأقواله ومحادثاته ومحاضراته التي تدور حول دعوة علماء المذاهب الإسلامية إلى المودة والمحبة والإخاء وقع عظيم في نفوس المستمعين

وأثر في توجيه الانظار إلى ضرورة التعاون بين الأقطار الإسلامية وتجاوز الخلافات المذهبية .

وبعد عودته من هذه الرحلة العلمية انتخبته وزارة المعارف الإيرانية استاذاً في جامعة طهران واشتغل بتدريس علم التفسير والأخلاق وتاريخ الفلسفة في كلية العلوم العقلية والنقلية (كلية التشريع والفلسفة الإسلامية) أربع سنوات من سنة ١٣٥٤ إلى سنة ١٣٥٨ هـ . وبعد انحلال هذه الكلية وضم قسم الفلسفة منها إلى دار العلوم العالية وقسم الشريعة منها إلى كلية الحقوق اشتغل الأستاذ سنة واحدة بالتدريس في دار العلوم العالية ثم أصابته ذبحة قلبية فأشار الأطباء عليه أن يقيم في زنجان لصفاء الجو فيها لكن الأجل لم يمهله فتوفي فيها بعد أشهر في ٧ جمادى الثانية سنة ١٣٦٠ هـ .

للأستاذ الفقيه إجازات اجتهاد عن كثير من الأئمة الأعلام كالسيد أبي الحسن الأصفهاني والآغا ميرزا حسين النائيني والشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي كما يروي بالإجازة على طريقة الفقهاء والمحدثين عن العلامتين العلامة العراقي السيد محمود شكري الآلوسي والعلامة الشامي المحدث السيد محمد بدر الدين بن يوسف الحسني الدمشقي .

مؤلفاته المطبوعة باللغة العربية :

١ - كتاب تاريخ القرآن : كتاب وجيز يبحث في سيرة النبي الأكرم والقرآن الكريم والأدوار التي مرت به من كتابته وجمعه وترتيبه وترجمته إلى سائر اللغات . طبع في مصر سنة ١٣٥٤ هـ وطبع طبعة ثانية في إيران وثالثة في بيروت . وترجمه الأستاذ أبو القاسم سحاب إلى اللغة الفارسية في سنة ١٣٥٧ هـ .

٢ - الفيلسوف الفارسي الكبير صدر الدين الشيرازي : اطروحة

كتبها بمناسبة انتخابه لعضوية المجمع العلمي العربي بدمشق أولاً في مجلة المجمع العلمي العربي ثم طبعت على حدة في مطبعة المفيد بدمشق ثم طبعت طبعة ثالثة وطبعة رابعة في طهران . ترجم هذا الكتاب الأستاذ ابن يوسف الشيرازي إلى اللغة الفارسية وطبع قسمًا منها في جريدة ايران آزاد التي كانت تصدر في طهران سنة ١٣٤٩ هـ .

٣ — شرح رسالة (بقاء النفس بعد فناء الجسد) للفيلسوف الكبير نصير الدين الطوسي . طبع في القاهرة سنة ١٣٤٢ هـ . وترجمه العالم الفاضل زين الدين كياتي نزاد إلى اللغة الفارسية وطبع أولاً في مجلة (جلوه) ثم طبع على حدة في مطبعة اخكر في طهران .

٤ — طهارة أهل الكتاب : محاضرة ألقاها على جماعة من طلبة العلم في أهل الكتاب ونظر الإسلام إليهم . طبع في بغداد سنة ١٣٤٥ هـ وقد ذكر في مقدمتها الدافع لتأليفها .

مؤلفاته المخطوطة باللغة العربية :

١ — أصول القرآن الاجتماعية : رسالة وجيزة تبحث في أصول القرآن العالية كالتوحيد والعدل وكرهية التقليد وغيرها .

٢ — الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد : رسالة تبحث في هذه القاعدة الفلسفية وقد وضع أستاذه الكبير شيخ الشريعة الأصفهاني استدراكات لهذه الرسالة وقرظها .

٣ — الأفكار : رسالة فلسفية إصلاحية إسلامية .

٤ — الوحي : رسالة وجيزة في معنى الوحي .

٥ — التصوف في التاريخ : كتاب ألفه في أواخر أيام حياته يبحث في مذهب وحدة الوجود وسيره من أقدم أزمنة الفكر ومراحل وبرهانه وحل بعض مشكلاته وأثره الخلقى وأشهر أصحابه في الإسلام .

٦ - الإسلام والأوروبيون : رسالة وجيزة يدعو فيها المسلمين إلى التمسك بعروة الاتحاد الإسلامي والكفاح الاقتصادي مع الدول الأوروبية الطامعة وذلك بوسائل منها اجتناب استعمال أمتعتهم وترك تقليد بعض عاداتهم .
مؤلفاته باللغة الفارسية :

١ - سيرة الإمام حسين بن علي عليها السلام : شرح فيها أسباب حدوث واقعة الطف وأسرار شهادة الإمام شرحاً تاريخياً مبنياً على الإنصاف طبع في تبريز مراراً مع حواشي العلم الفقيد الحاج ميرزا عباسقلي جرندي .
٢ - سر انتشار الإسلام : رسالة وجيزة تبحث في حالة العالم عند ظهور الإسلام وأسباب انتشاره في البلاد .

٣ - دين الفطرة : رسالة تبحث في موافقة الأصول الإسلامية مع أحكام العقل والفطرة .

٤ - المعارف في إيران قبل الإسلام : رسالة وجيزة تبحث في حالة العلوم في إيران قبل الإسلام .

مترجماته من اللغة العربية إلى اللغة الفارسية :

١ - سيرة محمد (ﷺ) ترجمها من كتاب (الأبطال وعبادة البطولة) للفيلسوف الانكليزي الكبير توماس كارلايل . طبع في تبريز مراراً مع حواشي العالم الفقيد الحاج ميرزا عباسقلي جرندي .

٢ - وصية أرسطو إلى أسكندر - طبعت في أعداد ٣ و ٤ من السنة ١٧ من مجلة كلية الآداب التي تنشرها جامعة طهران .

نبذة من مقالاته ومحاضراته :

١ - آثار في ضياء آباد إيران مجلة لغة العرب الجزء ٤ السنة ٦

٢ - خزائن زنجان في إيران مجلة لغة العرب الجزء ٢ السنة ٦

- ٣ - خراسان وخزانتها (١) مجلة لغة العرب الجزء ٩ السنة ٦
- ٤ - خراسان وخزانتها (٢) مجلة لغة العرب الجزء ١٠ السنة ٦
- ٥ - مخطوط قديم في غريب الحديث مجلة لغة العرب الجزء ٣ السنة ٦
- ٦ - وصف كتاب تحفة الأزهار في نسب الأئمة الأطهار مجلة لغة العرب الجزء ٥ السنة ٦
- ٧ - من كنوزنا المفقودة مجلة الزهراء سنة ١٣٤٥
- ٨ - دواء المسلمين في الرجوع إلى القرآن (محاضرة ألقاها في جمعية الهداية الإسلامية بالقاهرة) مجلة الهداية الإسلامية الجزء ٨ من المجلد السابع
- ٩ - الإسراء ترجمت دائرة المعارف الإسلامية ذيل هذه الكلمة
- ١٠ - موقع المرأة في الإسلام والشرائع القديمة محاضرة ألقاها في جامعة طهران سنة ١٣٥٤ وطبعت في أعداد من جريدة إطلاعات .

دمشق . لدكتور محمد جواد مشكور

المستشار الثقافي في سفارة إيران
والعضو المراسل في مجمع اللغة العربية

تنويه

تلقت المجلة الكلمة التالية من الدكتور عمر الأسعد :
تعقيباً على المقال الذي نشرته لي مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق في
عددتها الرابع من المجلد ٥٢ ، تحت عنوان « في شعر الخوارج » ، فقد
سقطت في المطبعة الورقة التي نوهت فيها بأن الجانب المتصل بمراجع شعر
الخوارج ومصادره ، مما جاء في المقال ، أفدت فيه بصورة أو بأخرى ،
من معلومات مشتركة متبادلة مع الدكتور نايف معروف ، له فيها فضل
لزم التنويه به والإشارة إليه .

عمر الأسعد

انتخاب الدكتور شاكر الفحام نائباً لرئيس مجمع اللغة العربية

انتخب مجلس المجمع في جلسته السادسة للدورة الجمعية « ٧٧ - ٧٨ » التي عقدها في ١ كانون الأول سنة ١٩٧٧ الأستاذ الدكتور شاكر الفحام نائباً لرئيس المجمع .

وقد صدر عن وزير التعليم العالي في ذلك قرار رقمه ١ / ت ع وتاريخه ١٩٧٨/١/٢٥ ، جاء فيه مايلي :

وزير التعليم العالي

- بناء على أحكام المرسوم التشريعي رقم ١٤٣ لعام ١٩٦٦
- وبناء على القرار الجمهوري ذي الرقم ١١٤٤ لسنة ١٩٦٠ بأحداث مجمع اللغة العربية وبخاصة أحكام المادة الثامنة منه .
- وعلى القرار الجمهوري ذي الرقم ٣١ لسنة ١٩٦١ المتضمن اللائحة الداخلية لمجمع اللغة العربية .
- وعلى محضر الجلسة السادسة لمجلس مجمع اللغة العربية المنعقدة بتاريخ ١ كانون الأول سنة ١٩٧٧

بقرر مايلي :

- مادة ١ - يسمى الأستاذ الدكتور شاكر الفحام العضو العامل في مجمع اللغة العربية بدمشق نائباً لرئيس المجمع اعتباراً من ٣١ / ١٢ / ١٩٧٧
- مادة ٢ - ينشر هذا القرار ويبلغ من يلزم لتنفيذه

دمشق في ٢٥ / ١ / ١٩٧٨

وزير التعليم العالي
الدكتور محمد علي هاشم

حفلة استقبال الأستاذ أحمد راتب النفخ

- ١ - كلمة الأستاذ الدكتور حسني سبع
- ٢ - خطاب الأستاذ عبد الهادي هاشم
- ٣ - خطاب الأستاذ أحمد راتب النفخ

كلمة الأستاذ الدكتور حسني سبيع
في حفل استقبال الأستاذ أحمد راتب النفاخ

الزملاء الأكارم ، سيداتي وسادتي :

إنني وأنا أعلن باسم الله العليم القدير افتتاح هذه الجلسة العلمية التي يعقدها مجمع اللغة العربية لاستقبال عضو عامل جديد ، يطيب لي أن أرحب أحر الترحيب بكم جميعاً شاكراً لكم الاستجابة للدعوة والمشاركة في هذا الحفل .
نستقبل في هذه الأمسية الأستاذ أحمد راتب النفاخ وقد اختير عضواً عاملاً في المجمع في جلسة نظامية عقدت مساء الثامن من رمضان سنة ١٣٩٦ الموافق للثاني من ايلول سنة ١٩٧٦ وأقر الانتخاب رسمياً بصدور المرسوم الجمهوري ذي الرقم ٢٧٩٨ وتاريخ ٣٠ من كانون الأول سنة ١٩٧٦
لقد عرف أعضاء المجمع كما عرف كل متتبع لما ينشر إن في مجلته أو في غيرها من الدوريات التي تعنى بالعربية وما يتصل بها من علوم ، عرف هؤلاء وأوائلك ما للأستاذ النفاخ من خبرة متميزة في تحقيق كتب التراث ، ومن اطلاع واسع على اللغة حتى كثيراً ما اختاره مجتمعنا خبيراً في بعض جوانب مصطلحاته ، وأحال إليه إعادة النظر في بعض ماحقق من كتب التراث تحقيقاً غير واف .

وإن في انضمامه إلى أسرة المجمع ملء شاعر وسداد ثغر ، فهو محل محل المرحوم الشيخ محمد بهجة البيطار فقيه العلم والدين ورجل التقوى والصلاح

وبقية السلف الصالح حقاً : عملاً وعلماً أسكنه الله فسيح جنانه .

فالاستاذ النفاخ سلفي المنبت عصري المنهج ، ويتوسم فيه أن يسد ثمة طالما تراءت منذ افتقاد الجمع الأساتذة الأعلام طيب الله ثراهم من أمثال المغربي والتنوخي وغيرهما . ولا غرو إن عد الأستاذ ثبثاً من الإثبات في علوم اللغة العربية لا في قطرنا فحسب بل في الوطن العربي الكبير أيضاً .

وإنني إذ أهنيء الأستاذ على ما ناله من ثقة زملائه وتقدير الجمع له لأرجو له المزيد من العمل الموفق والانتاج المثمر في رحاب الجمع فأهلاً وسهلاً بك أيها الزميل الكريم .

هذا ويستقبله باسم الجمع الأستاذ عبد الهادي هاشم ، ثم يلقي الأستاذ النفاخ كلمة عن سلفه المرحوم الشيخ محمد بهجة البيطار .

خطاب الأستاذ عبد الهادي هاشم في حفل استقبال الأستاذ أحمد راتب النفاخ

الحمد لله وحده ، والصلاة على من لا نبي بعده ، أمّا بعد :

فقد قارب بجمعنا أن يبلغ الستين من عمره المديد إن شاء الله ، تماقّب فيها على حمل أمانته أفذاذ من أفاضل الرجال يضمن الدهر بأن يجود بأمانتهم ويعجز عن أن يحو ذكراهم ، وقد تخطّفت المنية الرعيل الأول كله منهم ، وانتقل إلى خلفائهم واجب الجهاد الأكبر في نصرة العربية والحفاظ على تراثها ، وقد صدعوا بما أمروا ، وأوفوا بما عاهدوا ، وأعانهم على ذلك ما أوتوا من عزم ، وما مكّن لهم من معرفة ، فهم لا يفتأون يعملون على أن تظلّ راية هذه اللغة الشريفة خفاقة في العلاء ، وأن تبقى شجرة مباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، وأنثى أسينا على فراق من زاملناه في مسيرتنا منهم ، إننا لنسعد بمن ينضم إلينا يشدّ أزرنا ويشدّد عزيمتنا وينضّ بما كلّت سواعدنا عن الاضطلاع به ، ونأثرت قوانا بتحقيقه .

ولئن فارقنا بالأمس علامة الشام وزين رجالانها الأستاذ الكبير الشيخ محمد بهجة البيطار فإنّ لنا في خلفه الأستاذ أحمد راتب النفاخ عزاء وسلوانا فعلى زميلنا الجديد تعقد آمالنا في أن يكون خير خلف لخير سلف ، وأن يحمل الأمانة التي حمّلها من قبله من العلماء العاملين العارفين .

عرفت الأستاذ راتباً منذ لواز ثلاثين عاماً ، واتّصلت بيننا أواصر الودّ منذئذ ، وكنت لا أنفك أسمى للاقائه كلّها قيّض لي ذلك ، وكنت

كلما لقيته أزداد إكباراً لما يتحلى به من خلق رصين وعلم مكين وفكر
نير وإطلاع واسع وإحاطة بهذه اللغة العربية وأدبها وأسرارها وخصائصها ،
إحاطة لا يكاد يجاريه فيها أحد من فرسان المعرفة وأركان العلم في عصرنا
هذا . فما أسعدني اليوم إذ أنوب عن رجالات الجمع في استقباله باسمهم
والترحيب بانضوائه إلى العاملين في هذا الصرح العلمي الممرّد . وقد وُكِّل
إليّ أن أعرف بزميلنا الكريم ، كما جرت بذلك سنة الجمع ، وأن أسرد
طرفاً من سيرته وآثاره ، وما بكم أيها السيّدات والسادة حاجة إلى ذلك ،
ولن أزيدكم علماً بفضله ونبله ، أو إعجاباً بعلمه ومُخلّقه ، أو تقديرًا لآثاره
وتصانيفه ، ومع ذلك فلا بدّ من كلمات يسيرات تترجم لزميلنا الجديد .

ولد رصيفنا الكريم سنة سبع وعشرين وتسعمائة وألف ، أي منذ
خمسین عاماً ، في هذا البلد الطيّب من أسرة هاجرت من بعلبك إلى دمشق
في أوائل القرن الماضي إثر نزاع محليّ قیام بين بعض طوائفها ، وكانت
أسرته قبل ذلك قد جاءت من حوران إلى بعلبك . وقد بدأ الدراسة
وهو في الرابعة أو الخامسة من عمره في (كتّاب) قرب مسجد الشيخ محيي
الدين بن عربي ، ثم التحق بمدرسة (الصاحبة) الابتدائية وبعدها بثانوية
جودة الهاشمي ، وظهر تفوّقه على لداته منذ صباه ، فكان أساتذته يؤثرونه
بالتقدير والتشجيع ، ويتوسّمون فيه النبوغ والبرازة . ونجّلت مواهبه عندما
انتسب إلى جامعة دمشق ، وكان أساتذة كاتّبة الآداب وكلية التربية
يقدرونه قدره ، ويعرفون له منزلته ، فلما نال الإجازة عام ١٩٥٠ عيّن
أستاذاً للعربية في ثانويات درعا ، ثمّ ما لبث أن احتضنته الجامعة أستاذاً في
كلية الآداب منذ سنة ١٩٥٣ ، وهو لا يزال إلى اليوم فيها يتخرّج به مئات
الطلاب كل عام ينهلون من علمه ، ويتأسّسون بمُخلّقه ، ويجهدون في السير
على أثره .

أحب راتب العربية منذ صباه ودرسها وحرثها وجلنى من أسرارها ماخفي عن الأكثرين من المعاصرين . ولم يقنع بتمكثنه من ناصيتها ، وغوصه على لآئها ، بل أراد أن يذيعها ويشيعها في السنة تلامذته وأقلامهم ، وعمل على أن يشركوه فيما علم ، ويفيدوا مما اتقن ، فالتزم الفصحى السليمة السهلة في حديثه اليومي ، وأخذ بها طلابه في الجامعة ، وبث في نفوسهم محبتها واكبارها وتذوق خصائصها ، فطبعوا على غراره وحاولوا تقليده ، والتقليد - كما يقول الغربيون - أعظم دلائل الإعجاب ، وتخرجت به طائفة كريمة منهم هي معقد آمالنا ومحط رجائنا في التمسك بالعربية والحفاظ عليها في المستقبل القريب .

وراتب لا يرضى بعلمه ولا يبخل بعمونه ولا يتمسك بكتبه وهي كثيرة غزيرة ، وبعضها نادر أو مفقود ، يبذل هذا وذاك خدمة للعلم وبثا للحكمة ولعل كتب التي في خزائنه ، على كثرتها ، أقل عدداً من كتبه التي استعارها رفاقه وأصدقائه منه وهي لاتزال عندهم ، وهو إلى ذلك لا يسمع بكتاب ظهر في موضوع يهتم أمره إلا سعى في اجتلابه وقراءته أبالعربية ظهر أم بالفرنسية .

مازرت في داره مرة إلا وجدت عنده زائراً من كبار رجالات البحث والتحقيق المعروفين في الشرق والغرب جاءوا يستفتونه في قضية علمية أو يطرحونه الحديث في مشكلة لغوية ، يجدون عنده مالا يجدون عند الكثيرين من المتخصصين المتمرسين : معرفة واسعة عميقة ، وإحاطة شاملة متمكنة ، وحكما صائباً بريئاً من التعصب والجهل والتخليط . وقد يلقي زائره عنده طائفة من طلابه لم يقنعوا بما قرأوه له أو سمعوه منه في محاضراته فجاءوا يستزيدون النهل من ينبوعه والإفادة من فضله ويتزاحمون على الاستماع إلى حديثه ، وقديماً قال الشاعر : والمورد العذب كثير الزحام .

والأستاذ راتب رضي الخلق لا يستكبر ولا يتعاضم ، وهو القائل في بعض كتبه : « وبعد فما أشك أن بين عملي وبين ما أريده له بونا بعيداً ، وإني لأمل أن أجد من آراء زملاء الدارسين ممن ينظرون في هذا الديوان ما يعين على استكمال أسباب التحقيق من تقويم عوج أو تصحيح خطأ أو تلافي نقص » .

والأستاذ راتب إلى ذلك وفي « لأساتذته حفي » بهم ذاكر لفضلهم متأسر بهم ، وطالما مسمناه يشي على علامة العصر الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي (١) والأستاذ الشاعر محمد البزم والعالم الناقد المعروف الدكتور أجد الطرابلسي . أعضاء مجمننا ، والعلامة الراوية المحقق محمود محمد شاكر والأديب الكبير شوقي ضيف وغيرهم . .

أتقن زميلنا الكريم كثيراً من العلوم التي عرفها السلف أو استحدثها الخلف ، وبز أقرانه في فنون منها انتهت إليه الرياسة فيها في عصرنا هذا في بلدنا هذا : كالقراءات والنحو والبلاغة والعروض واللغة : فقها وعلمها ، وأصبح حجة فيها لا ينازعه منازع ، هذا إلى أسلوب جزل متميز في الكتابة تفرّد به واشتهر ، رأسوق لكم مثلاً منه أختاره من المقدمة التي وطأ بها لديوان ابن الدمينة ... يقول الأستاذ راتب : « وفي حكاية تفاصيل الخبر خلاف بين الروايات يقع مثله في أكثر الأخبار التي تتعدد طرقها ، وهو خلاف لا وجه للقطع فيه برأي ، ولنا بعد فيما اتشفيق فيه وهو لباب

(١) يحتفظ الأستاذ النفاح بإجازتين كتبها له عام ١٩٦٠ بخط يده الأستاذ الميمني وفي إحداها يقول : لقيت الطالب الراغب والشادي الأديب أحمد راتب النفاح في القاهرة المحروسة وبمدينة دمشق الفيحاء ... وأجزت له أن يروي عني الكتب الستة الأمهات وموطأ مالك وسنن الدارمي ... وسنن الدارقطني وبلوغ المرام كما أجازني به شيخني حسين بن محسن بمدينة دهلي سنة ١٣٢٦ هـ .

الخبر مقنع ، وأما ما اختلف فيه فأكثره أهون من ذلك إلا المكان الذي قيل فيه فسنعول بما رجع لدينا من رأي ، وليس من مذهبنا في هذا الموضع أن نتسع في حكاية الخبر ، ونحيط بتفاصيله ... وانمّا سنلمّ بمجمعه استيفاءً لعناصر سيرته .

وزميلنا الكريم مثبتت متمكّن متأنّ في دراساته وكتاباته ، فهو لا يرضى بالحاطرة الأولى ، ولا يطمئن للرأي إلا بعد تقليب وجوهه وتعمق جوانبه ، ولهذا قلّ ما ينشره على الناس إذا قيس بما يعرفه ويتقنه ، ولكن ما ينشره أبقي على الزمن من الكثير الكثير بما يفاخر به المتعجبون المتسرّعون ، ولا غرو فقد قال شاعرنا العربي :

بغاث الطير أكثرها فراخا وأم الصقر مقلات نزور

وأوّل ما نشر من آثار راتب - ولم يكن قد بلغ يومئذ الخامسة والعشرين - نقد موثّق محفّق لطبعة ظهرت سنة ١٩٥١ في مصر له (رسالة الغفران) . وكان بعض إخوان راتب قد اطلع على تعليقاته على تحقيق هذه الطبعة من كتاب المعري ، فأصرّ هؤلاء الإخوان على نشرها وبعثوا بها إلى مجلة (الكتاب) في القاهرة ، ولكنّ المشرفين على المجلة جزأوا هذه التعليقات فنشروا بعضها وأحالوا ما لم ينشروا إلى أصدقاء لهم أفادوا بمّا لم ينشر عند إخراج الطبعة الثانية من (رسالة الغفران) .

ثم أصدر الأستاذ راتب في العام ١٩٥٩ تحقيقه ديوان ابن الدمينّة الشاعر الغزلي المشهور ، وهذا التحقيق شطر من عمل ضخم أحاط بحياة ابن الدمينّة وشعره وعصره كان قد قدّمه الكلية الآداب بجامعة القاهرة لنيل (الماجستير) واختيار زميلنا الكريم في مطلع شبابه لهذا الشاعر بشير إلى منزلة الغزل العذري الجميل في نفسه وإعجابه به . قيل لأبي السائب الخزومي : أترى

رجلاً لا يحب الغزل ؟ قال : أمّا من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا . وراتب يؤمن بالله واليوم الآخر أشد الإيمان ، فلا عجب أن ينصرف إلى دراسة غزل ابن الدمينه وتحقيق ديوانه وتجلية هذا الفن فن الغزل الفاتن البارع من فنون أدبنا القديم الأصيل ، وطأ المحقق لهذا الديوان بمقدمة مختص فيها ذلك البحث المطول الذي كان قد عقده على حياة الشاعر ومآتيه ، وعلى شعر الغزل وأطواره قبل ابن الدمينه وبعده ، ولا سبيل إلى التحدث عن هذا البحث الذي لمّا يطبع ، ولكن في التخليص شذرات منه تجلو ضئيع الزميل فيه ، وتومئ إلى الجهد الذي بذل ، والأمت الذي قوّم ، والحق الذي أظهر . وحسي في الدلالة على بعض ذلك أن أذكر أمرين غمّ على مترجمي ابن الدمينه الأولين والآخرين وجه الحق فيها ، فجاء راتب بالقول الفصل معتمداً حجباً لا يرقى إليها الشك ، فقد خلط الباحثون في تعيين موطن ابن الدمينه ، ولكن زميلنا الكريم ساق النصوص المتضاربة التي أشارت إلى ذلك ووازن بينها وقارنها بنصوص أخرى واستشهد بأبيات من شعر الشاعر حتى توصل إلى حقيقة لم يجعلها باحث قبله فقال : « والرأي الذي صح » عندنا وتضافرت الأدلة والقرائن على نصرته أن موطن ابن الدمينه إنما كان في الاسقاع الواقعة جنوبي الحجاز بمّا يلي اليمن . وادعى إلى الإعجاب والثناء توصل المحقق إلى تعيين العهد الذي عاش فيه ابن الدمينه ، فقد خفي زمنه على المتقدمين والمتأخرين ، فسكت بعضهم عنه ، ورجم آخرون بالظن فيه ، ووم الأكثرون ، فجعله بعضهم شاعراً إسلامياً أو من شعراء الدولة الأموية أو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية أو من رجال القرن الثالث الهجري . ولكن المحقق وقع على نص جليل يقطع باليقين كل شك إذا ما قرئ هذا النص على وجهه لا كما مسخه

الناسخ . أما النص فمن أغاني الأصفهاني وخلاصته : . . . وقال مصعب :
فلما أفلتت من السجن (أي قاتل ابن الدمية) هرب إلى صنعاء ، فقدم
علينا وانثى بها يومئذ وال ، فنزل على كاتب لأبي كان مولى لهم . . هذا
هو النص كما ورد في مطبوعة الأغاني ، والأمر لا يستقيم ، فمصعب الزبيري
لم يل اليمن ... فكيف يقول : وإني بها يومئذ وال ؟ درس المحقق تاريخ
ولاة اليمن وعرف أن "أبا مصعب لا مصعبا هو الذي ولي اليمن سنة ١٨٠ هـ ،
واهتدى إلى خطأ في النسخ قلب كلمة (وأبي) إلى (واني) والصواب انزال
النقطة من فوق الحرف إلى أسفله وجعل النون باء ، ويكون الكلام :
وأبي بها يومئذ وال ، وبذلك تصح العبارة وتتسق ونعرف أن مقتل ابن
الدمينة كان في أواخر سنة ١٨٠ هـ أو أوائل السنة التالية ، وإن الأشبه
بالحق أن يعد ابن الدمينه شاعراً من رجال المائة الثانية . ولا أستطيع في
مقامي هذا أن أسوق حجج المحقق كلها ، ولكن أود أن أنوه بهذا الجهد
الرصين في التحقيق العلمي الذي كان يحسبه بعض المعاصرين وقفاً على الغرباء
عن العربية .

وقد نشر راتب فيما بعد كتاب (الفوافي) للأخفش ، وهو أحب
كتبه المنشورة إليه وآثرها عنده ، ولهذا الكتاب قصة طريفة خلاصتها أننا
لم نعتز إلى اليوم إلا على مخطوطة واحدة منه ، اطلع عليها زميلنا راتب
وشرع في تحقيقها وأزمع نشرها ، ثم علم بنية بعض الباحثين الأفاضل في
نشرها ، فتلبث راتب وتريث . فلما ظهرت مطبوعة الكتاب هاله ما وهم
فيه المحقق وما أسقطه من الكتاب وما أساء قراءته أو فهمه فيه . فنشر
في مجلة مجمعنا مقالة تعقيب فيها هذه المطبوعة وبيّن أن في هذا الكتاب
المنشور على صفحه أربعة وستين موضعاً بجانب الصواب المحقق فيها ،

ويكاد القارئ يسلم للناقد بجلتها ، ثم عكف الأستاذ راتب على الكتاب فنشره نشرأ علمياً موثقاً .

ومن الكتب المفيدة التي نشرها زميلنا كتاب (فهرس شواهد سيبويه) : شواهد القرآن والحديث والشعر ، وقد وطأ بهذا الفهرس المشتغلين بكتاب سيبويه سبل الإفادة من شواهد وقواعده وعلم شدة النحو بما وضع من هوامش وتعليقات كيف يمكن فهم سيبويه .

ولزميلنا الكريم مقالات كثيرة نشرت في مجلة مجمننا وفي مجلة (العرب) ومجلة (معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية) ومجلات أخرى لا يتسع المقام لسرد أسمائها . وموضوع مقالانه في الجملة تصحيح مايقع فيه المحققون والباحثون من خطأ عندما ينشرون شيئاً من تراثنا .

هذا ولراتب فضل مؤازرة إخوانه من كرام المحققين في تصانيفهم ، وما أكثر ما يلجأ إليه هؤلاء لاستشارته في مشكلة ، واستطلاع رأيه في معضلة ، ولولا أن بعضهم يحضه الشكر والثناء في مقدمات كتبه ويشيد بفضله وعلمه لما علمنا بامر هذا العون الذي يسدي والفضل الذي يولي . وإلى جانب ما نشر الزميل من كتب هنالك مسودات مخطوطة كثيرة لكتب استغل بها ولا يزال يتابع النظر فيها . والتماسه الكمال في ماينشر مبرأ من كل غلط أو زال يحجزه عن دفعها إلى المطبعة ، على شدة تطلعننا إليها . ومن هذه التصانيف كتاب (معاني القرآن) للأخفش ، وكتاب (معاني القراءات) للأريري ، وكتاب (طبقات القراء) للحافظ الذهبي ، و (الشيرازيات) و (المسكربات) لأبي علي الفارسي ، و (جمال القراء) للسخاوي ...

هذا وقد يعتب بعض خلصاء راتب عليه أنه يقسو أحياناً في النقد

ويشتد في الرد ، فإذا رأى عوجاً قوّمه بقارص القول ولاذع التعريض وجارح التبكيث لا يترفق في ذلك ولا يتسمّح ، ولعلّ مذهبه في صنيعه هذا أن بعض القسوة على أدعياء المعرفة قد يردّهم عن غيهم ، ويردّهم عن ضلالهم ، ويحفظ للعالم حرمة وللحق منزلته ، ويقصي المتعالمين عن الخوض في مالا يحسنون ، والتجروؤ على ما لا يتقنون ، ولكن هؤلاء الخالصاء لا يرضون هذا المذهب ، ويؤثرون أخذ مخالفيهم بالحكمة والموعظة الحسنة .

أيها السيدات والسادة :

تحدث إليكم بإيجاز عن راتب المحقق والعالم والباحث والكاتب ، ولم أحدثكم عن راتب الشاعر . وزميلنا الكريم عانى الشعر منذ صباه وقرضه وهو لا يزال يافعاً في المدرسة الثانوية ، ومن ذلك أنه كان يقرأ من المقرر في الصف التاسع أو العاشر قصيدة مهيار الديلمي المشهورة التي يفخر فيها بآبائه من الفرس ... والتي مطلعها :

أعجبت بي بين نادى قومها ذات حسن ففدت تسأل بي
فحمي راتب لقومه ولغته وأخذ يرد على مهيار بأبيات على وزن
قصيدته يخاطبه فيها ويقول :

لا تقل : لي في المعالي نسب ليس في المجد كآبائي أب
لغتي الضاد وقومي عرب عزت الضاد وعز العرب
وله قصائد كثيرة ينحو فيها نحو الصوفية ويبدو عليها أثر ديوان إقبال (ضرب الكلم) ولكنّ راتباً زاهداً في نشر شعره ، فإذا نشر شيئاً منه رمز إلى قائله أو عزاه إلى غيره من الشعراء .

وبعدُ فأكرم براتب زميلاً في هذا المجمع الذي عرفه وألفه وشاركه في أعماله منذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً : تحقيقاً للتراث وحفاظاً على العربية وتمكيناً لها ودعمها لجهود العاملين في إعزازها ، والسلام عليكم ورحمة الله .

خطاب الأستاذ أحمد راتب النفاح
في حفل استقباله

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ
تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا
مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزِّلَ مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ *
وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ
الْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا
يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) .

معذرة أيها السادة إذا ما غشيتني الهيبَة ، وعميت عليّ وجوه القول ،
فلم أقو على أن أطالعكم بنحو ما اعتاد المختلفون إلى هذه القاعة سماعه من
تعاقبوا قبلي على هذا المنبر في مثل هذه المناسبة ، فإنني لم أكن أنتظر فيها
غير من أيامي أن يأتي علي يوم أقف فيه موقفني هذا لأستقبل عضواً عاملاً
في هذا الصرح الشامخ من صروح أمتنا المجيدة : مجمع اللغة العربية الذي

قام منذ أن قام ليكون الأمين على موارث هذه الأمة الحضارية والثقافية والذائد عن لسانها العربي المبين الذي هو صورة وجودها المتميز ، والمنار الهادي الذي يرد من جدار إلى سواء السبيل ، ويدل من حار على وضع الطريق ، ثم ليكون بعد هذا كله عاملاً مع سائر مؤسسات الأمة وقواها الخيرة على تحقيق أمانها ومطامحها في المستقبل لتعود كما بدأت خير أمة أخرجت للناس ، وتستأنف أداء الرسالة التي ائتمنت عليها إلى البشر كافة .

أجل أيها السادة ، لم أكن أنتظر أن أقف يوماً هذا الموقف ، ولكن كان ما كان على غير سعي مني إليه ، ولا علم لي به . وسامح الله أستاذي عبد الهادي هاشم الذي مازال منذ أن عرفني وعرفته بفيء علي من ظله ، ويقبل علي بوده ، وبغضي عن معائب في هو من أدري الناس بها ، فإنه لم يقنع بأن حملي بتوشيح إياي لهذا المكان أمانة أخشى أن تكون فوق ما في طوقي ، حتى أضفى علي " ما أضفي من نعوت عظم بهامي ماصفر ، وكثر ماقل . وما كان يقع في وهمي أن ما كنت أعرضه عليه من أعمال أقوم بها في علوم القرآن والعربية - بما سماه درساً وتحقيقاً - لأستهدي فيه بهديه ، وأقبس من علمه ، وأطارحه النظر في بعض ماعن لي من وجوه الرأي ، سيقع منه الموقع الذي يحمله على ماصنم ، وما كنت أظن أن ما أخرج للناس من هذه الأعمال - وهو لا يعدو كتيبات بسيرة ومقالات معدودة - سيحمل أساتذتي وإخواني من أعضاء الجمع - شكر الله لهم - على أن يبادروا في الجلسة التي عقدوها في الثامن من شهر رمضان الماضي فيجمعوا - إلا من تخلف منهم عن شهود تلك الجلسة - على إجابته إلى ما طلب ، فيولوني ثقتهم ، ويرتضوني زميلاً لهم ، ويأبوا علي إلا أن أشاركهم شرف العمل للعربية التي آليت على نفسي ألا أعيش ماعشت إلا لها ولكتابها العربي المبين غير حافل بما نالني وما قد بنالني في سبيلها من أذية .

وما إن وقع إلي النبأ حتى خامرني تهيب لم يزايلني حتى الساعة ، وجعلت تتراءى لي أطراف من الماضي البعيد وأخرى من الماضي القريب ، فتتعاقب على مخيلتي صور من تصدر في هذا المكان من الأئمة الغابرين منذ أن أقامه الملك العادل - رحمه الله - ليكون تربة له ومدرسة تدرس فيها علوم القرآن والعربية . وتبرز من بين هاتيك الصور صورة الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك - وقد آلت إليه مشيختها - يقف في شباك هذه التربة ويهتف مستحثاً الطلبة : « القراءات القراءات » العربية العربية ! » ثم صورته وقد انقضى مجلس درسه وفرغ من صلاته والقاضي شمس الدين ابن خلكان - وكان نازلاً فيها - يشيعه إلى باب داره . ثم تتراءى لي صور من ماضينا القريب في منبج النهضة الحديثة ، صورة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي وصحبه وقد هبوا تحفّق ما بين جوانحهم آمال أمة ، فأحيوا هذه المدرسة ليتخذوها مقراً لجمعهم الذي كان من أبرز معالم تلك النهضة ، وصور من كان يؤازرهم ويسعى مثل مسعاهم على امتداد الوطن العربي والإسلامي ، فيتراءون لي ك مجموعة من الكواكب استوت في فلك أمتي ليكون لكل منهم في حياتها عمل ، وليكون لهم مجتمعين أيضاً فيها عمل ، منهم من هو ككواكب الهداية التي يهتدى بها في الظلمات ، ومنهم من يطلع عليها كالشمس يدها بأسباب الحصب والحياة ، ثم إن منهم من هو ككواكب الرجم التي أعدت للمردة والشرّاطين . وانظر أين أنا من أصغر هؤلاء وما منهم إلا كبير ، فتتضاءل إليّ نفسي حتى أهدم بالاعتذار ، لم يسكني عن ذلك إلا صوت أستاذنا الدكتور أمجد الطرابلسي يوافيني من أقاصي مغربنا العربي يحذرنني الاقدام على ذلك ، وصوت أخوي الدكتور شاكر الفحام ، والدكتور محمد هيثم الحياط يلفتانني إلى أن الاعتذار فرار من الزحف لا يكسب صاحبه إلا خزيًا ، فلا يسعني إلا السكوت .

وبلغ علي* الأستاذ الرئيس الدكتور حسني سبيع غير ما مرة لتعجيل موعد الاستقبال ، فأماطه - تحت وطأة ما أعانيه من التهيّب - المرة تلو المرة ، حتى قطع علي قبل أسبوعين سبيل المذرة بالحجة ، وحدّد هذا اليوم موعداً للاستقبال ، ورغب إلي أن أعد ماتقتضيه سنة الجمع من التعريف بسلفي شيخنا العلامة الكبير الأستاذ محمد بهجة البيطار تغمده الله برضوانه . وما إن هممت بذلك حتى وجدتني نهباً لخواطر وأفكار شتى ينتظمها أمر واحد وهو هذه الحرب الضارية يشنها على أمّتي عدو متغطرس ماكر قد طوى قلبه على غل آكل ، وقد راعه أن يرى اليقظة تدب في أوصال هذه الأمة فهو يخشى أن تتنبه فيها حقيقتها التاريخية فتنشئ حضارة جديدة تناري حضارته وتطفئ عليها ، فجعل همه الأول فتنة العقل العربي واسترقاقه ، لئلا يتلقى الوحي إلا منه ، ولا يعمل إلا وفق ما يريد هـواه دون ما يريد هـو لنفسه . ومن أشد ما يحز في النفس أن يكون من أدواته في حربه هذه نفر من بني جلدتنا ومن يعيشون بين ظهرانينا ، منهم من ينزع إليه بعرق واشج ، ومنهم من تُصيّد من غفلته ، ومنهم من قيد من شهوته ، فأوقعوا في حبال تمسك بها أيد خفية توجههم حين تشاء إلى حيث تشاء ، وتلوي ألسنتهم حين تريد إلى حيث تريد . وقصة هذه الحرب مما تتسع مذاهب القول فيه ، وقد رغبت إلى الأستاذ الرئيس في الاختصار ، فأراني مضطراً الآن إلى أن أكفكف ما يعتلج في النفس من هذه المعاني ولكن إلى حين ، لأقتصر على التعريف بسلفي الراحل رحمه الله .

ذكر الشيخ - رحمه الله - في صدر الترجمة التي كتبها لنفسه أن أصل أسرته القديم من بلدة بليدة من أعمال الجزائر ، هاجر منها جده جده الأدنى الشيخ حسن بن محمد البيطار فاستوطن دمشق منذ أكثر من مئتي

عام . ثم ذكر أنه لم يقع إليه شيء وراء ذلك عن أصل الأسرة ، ولا عن أسباب الهجرة . إلا أن مما يشهد أن هذا الشيخ المهاجر يؤول إلى أصل كريم أنه ما لبث أن كان من ذريته بيت من أشهر بيوت العلم في بلدنا هذا ، أشاد بفضله وترجم لأعلامه غير واحد ممن عنوا بتاريخ دمشق في القرنين الأخيرين . وكان ممن اشتهر من رجاله في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن رجلان كان شيخنا - رحمه الله - وارثهما ، ويحسن بي - وأنا بصدد التعريف به - أن ألم بأطراف من سيرتهما ، وهما الشيخ عبد الرزاق ، وابن أخيه الشيخ بهاء الدين .

كان الشيخ عبد الرزاق البيطار - وهو أشهر الرجلين وأجلهما قدراً وأبعدهما في شيخنا أثراً - عيناً من أعيان دمشق في عصره ، وصدرًا من صدور علمائها الأمثال ، متسعاً في علوم المعقول والمنقول ، صداعاً بالحق ، عزوفاً عن المناصب ؛ إلى وقار وحسن مفاكهة . وأما كرم النفس وطيب الشئائل فكان إليه فيها المنتهى ، وبه كان يضرب فيها المثل . وقد غبر دهرًا على طريقة أهل عصره من الأخذ بالتقليد ، وتلقي الأقوال بالتسليم من غير ما تمحيص ، وإقبال على كتب المتصوفة التي يسمونها « كتب الحقائق » حتى إذا جاوز الخمسين خار الله له ، فعدل إلى ما كان عليه سلف الأمة من الأخذ من الكتاب والسنة ، وألا يقبل من الأقوال إلا ما تنهض به الحاجة ، « فصار يأخذ الأحكام بالدلائل ، ويقبل قول الحق من أي قائل ، ويصدع به ولا يخاف في الله لومة لائم » واشتد نكيره على أصحاب البدع وبمخرقة الطرق ، ومن ينحرفون عن التوحيد الخالص إلى ما لم يأذن به الله ، فيلوذون بالقبور يدعون أصحابها ويستشفعون بهم في قضاء الحاجات . وكان من جراء ذلك أن امتحن سنة ١٣٢٤ بنهضة لفقها له من كان ينكر عليهم من خشوية

المنتسبين إلى العلم والتصوف ، ثم ظهر لوالي سورية إذ ذاك شكري باشا - وكان رجلاً عاقلاً عالماً - براءة الشيخ مما قرف به ، فأقبل عليه بما هو أهل له من الإجلال . وأقام الشيخ على طريقته من الصدع بالحق ، والأمر بالمعروف ، والإكباب على التدريس النافع ، حتى توفاه الله سنة ١٣٣٥ صابراً محتسباً .

وأما ابن أخيه الشيخ بهاء الدين فكان عالماً فاضلاً مشهوداً له بالألمعية وقوة الإدراك . أخذ عن أعلام آله علوم الدين والعربية وتفنن فيها ، وقرأ على علامة عصره الشيخ محمد الطنطاوي الكبير علم الجبر ، والمقابلة ، والحساب والميلقات ، والفلك حتى برع ، وأقبل على الأدب والشعر حتى طار له فيها صيت ، وترك فيها جملة آثار . وكان إلى ذلك مطبوعاً على الكرم ، مسارعاً في الخيرات ، يذكر من مآثره حذبـه على ذوي الفاقة والإنفاق عليهم حتى كان يدعى « أبا الفقراء » : آلت إليه عن والدته - وكان وحيدها - ثروة طائلة أنفقها في وجوه البر ، ومات يوم مات « لم يخلف عقاراً ، ولم يدخر درهما ولا ديناراً » .

وقد استوقفني من آثاره الأدبية « مقامة في المفاخرة بين الشمس والقمر » سلك فيها مسلك الرمز ، وأدارها على معان أخلاقية نبيلة تشف عما كانت تنطوي عليه نفسه من منازع كريمة تجلت فيما بعد في سيرة شيخنا ، رحمه الله ، و « على أعراقها تجري الجياد » . ومن تدبر تلك المقامة لم يخف عليه أنه كان ينظر في المعاني التي أقامها عليها إلى سيرة شيخه وقدمته : عمه الشيخ عبد الرزاق ، وقد جعله فيها حكماً يلجأ إليه المتنافسان ، فيصدع بالقول الفصل ، ويهديها إلى ما يليق بأهل الفضل ، فيستجيبان له بالإذعان .

من هذين الرجلين الفاضلين كان شيخنا رحمه الله ، وفي حجرهما نشأ ، وعلي أعراقها جرى ، وإباهما تقبل ، فهو ولد ثانيها وسبط الأول .

ولد الشيخ في الثاني من شهر رمضان المبارك سنة ١٣١١ (١٨٩٤ م)
ولما بلغ سن التمييز تلقى دروسه الابتدائية في « المدرسة الرحمانية الأدبية » ،
فتعلم فيها القرآن ، والإملاء والحساب ، حتى إذا كان أول سنة ١٣٢٣ -
وهو في الثانية عشرة شرع في الدراسة الثانوية ، فتعلم في المدرسة العثمانية
التي أصبحت تعرف - فيما بعد - بالكاملية مبادئ العلوم العربية والدينية
والمدينة . ودخل في السنة التالية (سنة ١٣٢٤) المدرسة العازارية الميدانية ،
فدرس فيها قواعد العربية واللغة الفرنسية مدة سنتين . ولما وافت سنة ١٣٢٦
ترك المدارس ، وانقطع - على سنة أسلافه - لتلقي علوم الإسلام والعربية
على أهلها من رجال العلم والدين ، فقرأ على والده النحو ، والفرائض ، والفقه
والأدب إلى حين وفاقه منتصف سنة ١٣٢٨ .

وأخذ عن جده الشيخ عبد الرزاق طرفاً من الأصول ، والحديث ،
والتفسير ، والتوحيد . وكان حين توفي أبوه قد حصل من العلم ، وبدا
فيه من مخايل الفضل - ولما يستكمل السابعة عشرة - ما أهله لأن يخلفه
في الإمامة والخطابة والتدريس في جامع محلة القاعة في حي الميدان .

وقد جمع بعد وفاة أبيه إلى الدراسة على جده الدراسة على صفيه ،
وصاحبه في الدعوة إلى الإصلاح وإحياء مذهب السلف ، ونصيره في المحنة
التي سلفت الإشارة إليها : العلامة الشيخ جمال الدين القاسمي ، فلزمه ، وحضر
دروسه الخاصة في التوحيد ، والتفسير ، والحديث ، والمصطلح ، والأصول
والبلاغة ، والمنطق ثلاث سنين إلى حين وفاته - رحمه الله - سنة ١٣٣٢ هـ
وكان القاسمي - كما وصفه السيد رشيد رضا في مناره - « علامة الشام ،
ونادرة الأيام ، والمجدد لعلوم الإسلام ، محيي السنة بالعلم والعمل ، والتعليم
والتهذيب والتأليف » ، وأحد حلقات الاتصال بين هدي السلف والارتقاء

المدني الذي يقتضيه الزمن ، وقد توفي - رحمه الله - ولما يستكمل الحسين عن زهاء مئة مصنف كانت من النفاسة بحيث حملت الأمير شكيب أرسلان على أن قال في تقديمه لبعضها : « وإني لأوصي جميع الناشئة الإسلامية التي تريد أن تفهم الشرع فيها تروح إليه ضمائرهما ، وتنعقد عليه خناصرهما ، ألا تقدم شيئاً على قراءة تصانيف المرحوم الشيخ القاسمي ، » .

وكان أبلغ ما خلفته قراءة الشيخ على أستاذه القاسمي هذا وعلى جده الشيخ عبد الرزاق أن ورث عنهما مشربهما في الإصلاح وتمسكهما بمذاهب السلف . وكانت المحنة التي امتحن بها جده وثباته عليها ، ثم ما كان من جيد شيخه الآخر : القاسمي في نصرته فيها قد بصرت من أول أمره - وكان اذ ذاك في الثالثة عشرة - كيف يكون توخي الحق من وجوهه ثم الثبات عليه ، والصبر على المحنة فيه من غير ما التفات إلى كيد الكائدين ولا إلى إرجاف المرجفين ، واحتساب الأجر في ذلك عند الله .

وعلى يدي القاسمي تدرس الشيخ بالبحث والنظر . وفي أثناء دراسته عليه كان اتصاله بمجلة « المنار » التي على صفحاتها كان يلتقي دعاة الإصلاح على اختلاف آرائهم ويتصاولون ، وبصاحبها السيد محمد رشيد رضا الذي كان الشيخ يحله غاية الإجلال ، ولا يذكر اسمه إلا مقروناً بلقب : « السيد الإمام » .

وفي هذه الفترة ، وبتوجيه شيخه ، كان أيضاً اتصاله بآثار الأئمة الأوائل ، ولا سيما كتب الإمامين شيخ الإسلام أبي العباس بن تيمية الذي كان أمة في رجل ، وصاحبه الفذ الإمام أبي بكر بن القيم ، فكانت موارده الذي ظل طوال حياته ينهل منها ويعمل .

وفي هذه الفترة أيضاً بدأ الشيخ بالكتابة والتأليف ، فأخرج للناس سنة ١٣٣١ رسالته « نقد عين الميزان » . وكان من خبرها أن شيخه القاسمي وضع كتاباً سماه « الميزان في الجرح والتعديل » نصر فيه مذهب كبار المحدثين في التحمّل والرواية عن المبدعين - أي المنسويين إلى البدع - إذا ما ثبت صدقهم وعدالتهم ، فتصدى له علم من أعلام النجف ، وهو الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء ، فنقد بعض أبحاثه في رسالة سماها « عين الميزان » تشف - كما قال الشيخ - عن فضل كتابها وعلمه ، وقوة رسوخه ودقة فهمه ، وأدب زائد في المناظرة ، وإنصاف في البحث والمحاورة ، بيد أنه تطرف في بعض أبحاثه إلى أن وصم بعض الموثقين بالكفر والفسق . وحالت مشاغل الشيخ القاسمي دون أن يتولى مناقشته والرد عليه بنفسه ، فانتدب شيخنا لذلك ووضع رسالته المذكورة ، وهي على صغر حجمها (لا تزيد على ٥٩ صفحة) تقدم مثلاً طيباً في أدب البحث والمناظرة ، وتدل دلالة بينة على طبيعته العقلية والخلقية ، وأنه نشأ من أول أمره متعلقاً بالحق لا يبغي غيره ، متمسكاً بالنصفة لا يعدل عنها ، وتشهد أن في أطواء هذا الفتى الغض الإلهاب الذي لم يتجاوز العشرين عاماً سيبلى في مستقبل أيامه من العلم أبعد غاياته .

وكان من صنع الله تعالى للشيخ وأصحابه من تلامذة القاسمي الذين فجعوا بشيخهم ولما يستوفوا منه كل ما كانوا يأملونه ، أن وجدوا العوض منه في رباني من علماء هذه الأمة ، وفرع زكي من فروع الدوحة النبوية نزل دمشق إذ ذاك ، ذاكم هو الإمام الخبر السيد محمد الخضر حسين ، تغمده الله برضوانه ، وكان قد أزعجه عن وطنه تونس المستعمرون الذين انقضوا على ذلك القطر من وطننا الكبير بحقد حاقد تزيد ذكرى دار ابن

لقمان استعاراً ، وقد ساءم منه أن هب - شأن الربانيين الذين يفون بما
واثقوا الله عليه - يستجيش الغزائم لردّ عدوانهم . فحكموا عليه بالإعدام ،
فكانت دمشق الفئة التي انحاز إليها ليواصل جهاده ومساعيه لتحرير وطنه ،
وأقام فيها سنين لم يصرفه عمله السياسي خلالها عن واجب العالم في الإرشاد
والتعليم ، فأقبل عليه الشيخ وصحبه فقرأوا عليه في الأصول كتاب « المستصفى »
للغزالي ، وفي فن الخلاف « بداية المجتهد » لابن رشد ، وفي الحديث « صحيح
الإمام مسلم » وفي النحو « مغني اللبيب » لابن هشام ، وفي الأدب كتاب
« الكامل » للبرد . وكانت قراءتهم عليه قراءة نظر وتدبر وتحقيق . وكان
وهو يقرئهم « مغني اللبيب » يرجع في تقرير المسائل المتصلة بالسمع والقياس
إلى ما أصابه في كلام المتقدمين من أئمة العربية من أصول في هذا الباب .
وما استظهره منها بنفسه من طريق النظر في مجادلاتهم وأساليب استدلالهم .
فاقترحوا عليه أن يجمع لهم هذه الأصول المتفرقة لتكون مرجعاً لهم في
المطالعة ، فألف « مقالات تشرح حقيقة القياس » وتفصل شروطه ، وتدلّ
على موافقه وأحكامه . ثم أعاد النظر فيها من بعد عندما استقر في القاهرة
فذهبها وزاد فيها ، وعقد فصولاً أخرى لمسائل من أمهات علوم العربية
يتناولها موضوع القياس والسمع ، وألف من ذلك كتابه « القياس في اللغة
العربية » الذي أصبح به عضواً في « هيئة كبار العلماء » وهو - فيما أعلم -
أول كتاب ألف في باب في هذا العصر .

وقد اتفق للشيخ أثناء قراءته على السيد الخضر - رحمه الله - حادثة
كان يقصها على تلامذته لينبههم على ما ينبغي أن يأخذوا به أنفهم من الجدل
في طلب العلم ، وقد حكايها عنه تلميذه ومريده الشيخ مسلم الفيني ،
وبجملها أنه تأخر هو وأصحابه في يوم اشتد البرد فيه عن موعد درس السيد

في المسجد ، فانقلب إلى داره ، ولما لحقوا به إليها استقبلهم بسجل من الماء البارد صبه عليهم من نافذة غرفته وقال : هذا جزاء من يتأخر عن موعد الدرس . وقد جاءت هذه الحادثة منبهة للشيخ أيقظت فيه أصلاً من الأصول الأخلاقية التي انطوت عليها نفسه ، فما عرف عنه - رحمه الله - أنه أخل في مختلف الأعمال التي تقلب فيها أو انتدب إليها أقلّ إخلال ، أو ترخص فيها أدنى ترخص .

وكان الشيخ إلى تلقيه عن هؤلاء الأعلام قد حضر مجالس كثيرة في الحديث رواية ودراية على محدث الديار الشامية الشيخ بدر الدين الحسيني وحرص على استكمال معرفته باللغة الفرنسية فدرسها - لمدة سنة - دراسة خاصة على صديقه موسيو موريس الذي اعتنق الإسلام على يده أثناء دراسته عليه وسمى نفسه عبد الله الريحاني .

وفي سنة ١٣٣٥ خلف الشيخ - وهو يناهز الخامسة والعشرين - خاله الشيخ أحمد الذي توفي في ذلك العام في الخطابة والتدريس في جامع كريم الدين المشهور بالدقاق بعد أن امتحن من قبل لجنة الأوقاف العلمية . وكان تصديبه لذلك بأمر من جده الشيخ عبد الرزاق الذي مالبت أن توفي في ذلك العام أيضاً .

وكان قد اجتمع للشيخ إذ ذاك من أسباب العلم إلى ما وهبه الله له من توقد القويحة ونفاذ البصيرة وحسن التأني لما يحاول ، وما زانه به من كريم الخلق = ما جعل منه خليفة لشيخه العلامة القاسمي يثل إليه أصحاب المنزع السلفي من الشباب المحصل يقرؤون عليه ويقتدون به . وقد مكّن له في نفوسهم وزاد في إقبالهم عليه ما أوتيته من قدرة على الاحتجاج والإقناع ، وحسن إبانة عما يعنّ له من - وائع الفكر ، وما وعاء صدره من أفانين العلم كناية وحديثاً وخطابة .

ولاجتماع هذه الخلال فيه ماوقع عليه الاختيار - وهو في السابعة والعشرين سنة ١٣٣٨ (١٩٢٠ م) - لتناط به مهمة من أثقل المهام . وذلك أنه لما انحسر سلطان الأتراك عن بلاد الشام ، وقامت في دمشق الحكومة العربية الأولى يرأسها الأمير فيصل بن الحسين (قبل أن يكون ملكاً) دعا إليه السيد محمد رشيد رضا من مصر ليكون عوناً له في الشؤون العربية والإسلامية ، فكان منها أن اعتزما إرسال كتابين باسميهما مع رسولين أمينين يبلغان رسالتيهما كتابة ومشافهة إلى الأمير عبد العزيز آل سعود (قبل أن يكون ملكاً أيضاً) وهما يدعوان إلى نصره الإسلام ، وقد عقد اتفاق عام بين جميع أمراء الجزيرة العربية وأئمتها الكرام دفعاً للعدوان الأجنبي . وتم اختيارهما للشيخ لبلغ الرسالة الدينية التي كتبها السيد محمد رشيد رضا ، ولشلاش النجدي الذي كان مؤتمن الأمير فيصل لإيصال الرسالة السياسية فبدأ سفرهما من دمشق يوم السبت الثامن من جمادى الثانية سنة ١٣٣٨ (١٩٢٠ م) وكانت رحلة شاقّة أشرف فيها الشيخ على الهلكة على أيدي أعراب من بني عطية سلبوه ما كان معه من مال وزاد ، ولم يدعوا بما عليه من الثياب إلا اليسير . حتى إذا انتهيا بعد أهوال لقي منها الشيخ أشدّ العنت إلى قرية الحائط - وهي تقع شمال المدينة المنورة على أربع مراحل منها - تبين له تعذرو وصوله إلى نجد لما كان من عيث أعرابها الذين أسحوا أنفسهم « المتديّنة » وأكفروا كل من عداهم ، واستحلّوا دماءهم . فاضطرّ إلى أن ينفذ الرسالة التي اتّمن عليها مردفة برسالة منه إلى الأمير مع رفيقه شلاش الذي كانت تحميه نجدته من فتك الأعراب ، وتحققت للشيخ أمنيته في الوصول إلى المدينة المنورة والحظوة بشرف الزيارة المباركة وأقام فيها مكرماً مرعياً الجانب من قبل الأمير علي بن الحسين - ولي عهد أبيه حينئذ - وكبار الموظفين فيها من الدمشقيين ثلاثة أيام عاد بعدها إلى دمشق.

وقد دوّن الشيخ خبر هذه الرحلة في رسالة سماها « الرحلة النجدية الحجازية » وضمّنها صوراً من حياة البادية إذ ذاك ، وأحوال المدينة المنورة وسائر القرى التي نزلها أو مرّ بها هي غاية في الفائدة لمن يعنى بتاريخ تلك الحقبة ، وألحق بها رسائل كتبها إلى الأمير عبد العزيز والسيد محمد رشيد رضا يظهر منها أنه أصاب نجحاً في التوفيق بين الرجلين بعد خلاف ارتفع فيه السيد محمد رشيد إلى الوعيد بالكتابة في المنار إن لم يلبّ الأمير مطالبه وما أعلم أن الشيخ شارك بعد هذا في شيء من أعمال السياسة ، إلا أنه انعقدت من ذلك الحين بينه وبين الأمير الذي مالبت أن صار ملكاً آصرة أهابت بالملك - فيما بعد - أن يكلفه بغير مهمة من المهام العلمية في مملكته .

وكان الشيخ إلى تواليه الخطابة والتدريس في جامع القاعة فجامع الدقاق قد عمل في التعليم في المدارس الأهلية منذ أن كان في العشرين ، فعلم سنة ١٣٣١ الدين والعربية في « مدرسة التوفيق » التي كان يديرها صديقه الفاضل الأستاذ عبد الحكيم الطراباسي ، ولما ضمت هذه المدرسة إلى « المدرسة الكاملية » التي كان الشيخ قد تعلم فيها في حدائته تولى تدريس الصفوف العالية فيها حتى سنة ١٣٣٧ ، ثم أسس هو وصديقه عبد الحكيم المذكور سنة ١٣٣٨ « مدرسة التوفيق الميدانية » وكان مدرساً فيها أيضاً وملقباً برئيسها . ولما كانت سنة ١٣٤٠ (١٩٢١ م) دعت وزارة المعارف - في عهد وزارة الأستاذ محمد كرد علي - إلى تدريس الدين واللغتين العربية والفرنسية في « مدرسة خالد بن الوليد » في الميدان ، فاستمر فيه خمس سنين .

وفي سنة ١٣٤٢ (١٩٢٣ م) انتخب الشيخ عضواً في الجمع ، وكانت باكورة أعماله فيه أن ألقى في ردهته « بعيد انتخابه » محاضرة في « حياة شيخ

الإسلام ابن تيمية ، وهي من أوائل ما كتب عنه في هذا العصر ، ثم ألقى فيه محاضرة أخرى باسم « الثقافتان الصفراء والبيضاء » ألم فيها بجملة آرائه ومنهجه في الإصلاح ، فجاءت كما قال في وصفها « جامعة للأصول السديدة للثقافتين القديمة والحديثة » وكان من أثرها أن بادر القائمون على « مكتب النشر العربي » إذ ذاك - وهم ثلثة من الشباب المتعلم - إلى نشرها في رسالة مستقلة لتكون دستوراً في العمل للمخلصين الواعين من الشباب المتعلم وعلماء الدين ، وكان رحمه الله شديد اللهج بما جاء فيها من الآراء والتوجيهات ، وقد سمعته يشير إليها ، وبستشدها ، ويقرأ فقراتها في غير ما محاضرة من محاضراته التوجيهية فيما بعد .

وفي عام ١٣٤٤ (١٩٢٦ م) دعي إلى المؤتمر الإسلامي العام الذي عقد في مكة المكرمة ، فلبى الدعوة ، وأدّى فريضة الحج ، وشارك في أعمال المؤتمر . ثم كان أن رغب إليه الملك عبد العزيز أن يبقى في مكة ليقوم بإدارة المعهد العلمي السعودي ، فأجاب وهو يأمل أن يجعل من ذلك المعهد مدرسة لتخريج الدعاة على شاكلة « مدرسة الدعوة والإرشاد » التي أنشأها السيد محمد رشيد رضا في مصر . وأما المنهاج الذي ارتضاه له فكان تطبيقاً عملياً لآرائه في الإصلاح والتعليم ، وقد وصفه في رسالة كتبها إلى الأستاذ الرئيس محمد كرد علي في الثامن من شعبان سنة ١٣٤٥ فقال في ذلك :

« أبشركم بنجاح الحركة العلمية في الحجاز ، فإن طلاب المعهد الإسلامي السعودي في النهار والليل مئة أو يزيدون ، ودروسهم النهارية والليلية من العلوم الدينية المصفاة من الشوائب ، والمدنية التي لا يستغني عنها الطالب ، ومنها الهندسة ، وتقويم البلدان ، وسنن الكائنات ، والانشاء

كتابة وخطابة ، والنشيد العربي ، والدروس الدينية العالية في المسائل الاجتماعية الإسلامية ، تجمع فيها بين الخطابة والمحادثة والمناقشة بحرية تامة ، واللغتان الفرنسية والانكليزية ، والإقبال عليها وعلى سائر الدروس عظيم جداً . وأكتب بعض افتتاحيات « أم القرى » ، الفراء لأحمل التلاميذ على نشر المقالات الإصلاحية المتنوعة فيها بعد إصلاح ما لا بد منه . وقد طلبنا تخصيص عمودين لهم في كل عدد ، وبعض ما أرسل إليها نشر ، والبعض الآخر لم ينشر . وإنا نتوخى في ذلك كله أن يعود لهذه البلاد المقدسة عهدا زاهرا ومركزها السامي في العالم الإسلامي ، وإني أعتقد أن ذلك دين في ذمة المسلمين عموماً والعرب منهم خصوصاً . ونسأل المولى الممونة على وفاء ما ينالني منه بئنه وكرمه .

وقد أقام يدير هذا المعهد ويدرس فيه خمس سنين لم ينقطع خلالها عن قراءة الدروس في المسجد الحرام ، كما درس في الحرم النبوي عندما أقام في المدينة المنورة زهاء شهر أيضاً ، وفي سنة ١٣٤٧ كلف إلى ذلك بجملة أعمال أخرى في التدريس والتفتيش وعضوية مجلس المعارف صدرت بها مراسيم ملكية ، فقام بها جميعاً . وكان مما أريد عليه أن يلي القضاء ، فعين سنة ١٣٤٦ عضواً في محكمة مكة الشرعية الكبرى ونائباً لرئيس هيئة المراقبة القضائية ، فلم يقض خلال توليه ذلك بشيء ، ولا تقاضى عنه أجراً ، ووقع بمرتب التدريس وهو لا يتجاوز نصف مرتب القضاء . ثم لم يزل يصر على الاستعفاء منه تورعاً وخشية حتى أجيب . وكان - رحمه الله - إذا ما قاده الحديث في مجالسائه لإخوانه ، أو مذاكراته لتلامذته إلى ذكر فلك أخذته الحشية ، وخنقته العبوة ، حتى يخفى صوته فلا يكاد يبين ،

وفي سنة ١٣٥٠ (١٩٣١ م) عاد إلى دمشق ليعبد أعماله موزعة ،

وأنه فقد من أعوام التقاعد أكثر من عشر سنين . ولما كانت سنة ١٣٥٣ دعتة جمعية المقاصد الإسلامية في بيروت إلى التدريس في كليتها للبنات والبنين وفي العام نفسه كلفته وزارة المعارف في دمشق التدريس في ثانوية الإناث فكان يقوم بالعملين جميعاً ، يسافر إلى بيروت أحياناً لجمعية ليعود منها إلى دمشق مساء الثلاثاء من كل أسبوع . ثم كان أن ولي حتى عام ١٣٦٣ جملة أعمال تدريسية في ثانويات دمشق ، ودار المعلمين العليا ، وداري المعلمين والمعلمات ، والكلية الشرعية التي أنشأتها مديرية الأوقاف .

وقد قام في هذه الحقبة بمدة أعمال علمية :

عني بتحقيق « مسائل الإمام أحمد » لتلميذه الإمام أبي داود السجستاني عن أصله المخطوط في الظاهرية - وهو أقدم مخطوطاتها والتعليق عليه ، وأنقذه إلى السيد محمد رشيد رضا ، فأضاف إليه جملة تحقيقات ، وطبعه في مطبعة المنار سنة ١٣٥٣

ورقف على طبع كتاب « قواعد التحديث » لشيخه جمال الدين القاسمي وعني بتخريج أحاديثه .

وشارك نقرأ من زملائه في المجمع عنوا بإخراج كتاب البخلاء للجاحظ بأن خرج ما جاء فيه من الأحاديث أيضاً .

ولما توفي السيد محمد رشيد رضا فجاءه عام ١٣٥٤ (١٩٣٥ م) - وكان قد انتهى في تفسيره المشهور إلى قوله تعالى في « سورة يوسف » : (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنْ أَمْلَاكِ وَ عَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الْآخِرَةِ وَ الْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) قام الشيخ بتفسير ما تبقى من هذه السورة على مثل منهج السيد ، وطبع الكتاب في مصر .

وكذلك أكمل كتاباً آخر كان السيد قد بدأ به ، وهو كتاب « المعاملات في الإسلام وتحقيق ماورد في الربا » ووضع له مقدمة وخاتمة ، وطبع في مطبعة المنار .

* * *

وفي عام ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م) عزم الملك عبد العزيز أن ينشئ في الطائف معهداً باسم « دار التوحيد » على غرار المعهد الذي أنشئ من قبل في مكة ، ولم ير فيمن خبرهم من أهل العلم والرأي أقدر على الاضطلاع بأمره من الشيخ ، فرغب إلى الحكومة السورية في النزول له عنه ، فكان ذلك . وأمضى - رحمه الله - في إنشاء ذلك المعهد والقيام عليه ثلاث سنين بذل خلالها أقصى الجهد لا يبغي من وراء ذلك إلا مرضاة ربه حتى استوى على النحو الذي يريد ، وأخذ يؤتي أكله . وقد بلا القوم إذ ذاك - وكان قد أقبل عليهم الثراء وسار فيهم سيرته - من إخلاص الشيخ وصدق دينه وعفة نفسه فوق ما كانوا يعلمون ، فما ازداد عندهم إلا ارتفاعاً على حين تنهوى آخرون .

ولما عاد الشيخ إلى دمشق عام ١٣٦٧ (١٩٤٧ م) استأنف عمله مدرساً للدين في الصفوف العليا من المدارس الثانوية ، وكلف إلى ذلك تدريس التفسير والحديث في كلية الآداب ، واستمر في عمله هذا إلى أن بلغ سن التقاعد عام ١٣٧٤ (آخر عام ١٩٥٣ م) .

وكان من أعماله العلمية في هذه الفترة أن حقق كتاب (الموفى لي النحو الكوفي) لصدر الدين الكنتغراوي ووضع عليه تعليقات تشرح غوامضه ، ونشره تباعاً في مجلة المجمع ما بين سنتي ١٣٦٩ و ١٣٧١ (١٩٤٩ - ١٩٥١ م) ثم أفرد منها في كتاب خاص .

وبإحالة الشيخ على التقاعد فرغ لأعماله العلمية والاجتماعية :

اختير منذ سنة ١٣٧٣ (١٩٥٣ م) عضواً في لجنة « مجلة المجمع » فكان لا يفتر عن الكتابة فيها ، والنظر فيما يحال إليه من المقالات الواردة عليها . ولم يدع المشاركة فيما كان يعقده المجمع أو يدعى إليه من المؤتمرات . واستمر في دروسه العامة في جامع الدقاق والخطابة فيه ، ودروسه الخاصة في بعض حجوره يتدارس فيها مع ثلة من صحبه وخواص تلامذته طائفة من الأمهات في الأصول والتوحيد . هذا إلى تدريسه التفسير في كلية الشريعة سنة ١٣٧٨ (١٩٥٩ م) .

وقام في هذه الفترة بمدة رحلات إلى أقطار شتى في الشرق والغرب لأغراض علمية واجتماعية قص من نبثها في ترجمته التي ألحقها برسائله « الرحلة النجدية الحجازية » . وكان منها رحلته إلى الرياض عام ١٣٨٠ (١٩٦١ م) بدعوة من الملك سعود المذاكرة بشأن إنشاء جامعة إسلامية في المدينة المنورة فوضع لتلك الجامعة منهاجاً لقي الاستحسان ، وعيم من فوره هذا تلقاء مصر ، فشارك في المؤتمر الذي ضم رجال مجمعي القاهرة ودمشق ، وألقى فيه بحثاً في « الاشتقاق والتعريب » . ثم عمد في أواخر رجب من العام التالي (١٣٨١) إلى المدينة المنورة ، فعظي بالزيارة المباركة ، واطلع على سير جامعها التي أنشئت على هدي المنهاج الذي وضعه لها ، وألقى فيها جملة محاضرات . وكانت هذه آخر رحلاته رحمه الله .

وقد كانت فترة ما بعد التقاعد هذه من أحفل فترات حياته بالأعمال العلمية تأليفاً وتحقيقاً . وليس من همي الآن أن أتقصي كل ما أخرجته من ذلك ، وإنما ألمّ بذكر أجل ما قرأته أو وقفت عليه ورجعت إليه منها :

عمد سنة ١٣٧٢ (١٩٥٢ م) إلى محاضراته القديمة في « حياة شيخ

الإسلام ابن تيمية « فنقحها وزاد فيها ، ونشرها في مجلة المجمع ، وأتبعتها مقالات آخر تناول فيها اختياراته وتحقيقاته في موضوعات شتى ، فاجتمع له من جملة ذلك كتاب نشره المكتب الإسلامي عام ١٣٨١ (١٩٦١ م) باسم « حياة شيخ الإسلام ابن تيمية : محاضرات ومقالات ودراسات » ثم أعاد نشره عام ١٣٩٢ (١٩٧٢ م) .

ولما رأى رئيس المجمع الأسبق الأستاذ خليل مردم بك - رحمه الله - أن بوضع بين أيدي الناشئة كتاب في النحو من كتب الأئمة المتقدمين قريب المأخذ سهل العبارة وقع الاختيار على كتاب أبي البركات بن الأنباري « أسرار العربية » الذي نشره بعض المستشرقين في لندن عام ١٣٠٣ (١٨٨٦ م) فرغب إلى الشيخ أن يتولى تحقيقه بالاعتماد على تلك الطبعة وما في الظاهرية من مخطوطاته ، فقام بذلك على الوجه الذي أتاحه له ماتيسر له من أصوله وظهر في مطبوعات المجمع عام ١٣٧٧ (١٩٥٧ م) .

وكان من أجل أعماله في هذه الفترة أن أخرج ما بين سنتي ١٣٨٠ و ١٣٨٣ (١٩٦٠ - ١٩٦٣ م) في مطبوعات المجمع أيضاً كتاب جده الشيخ عبد الرزاق « حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر » في ثلاثة مجلدات كبيرة ، وكان جده « قد كتبه في أدوار من عهود شبابه و كهولته وشيخوخته ، وترجم فيه لطائفة من رجال القرن الرابع عشر وهم أحياء ، ثم ترك الكتابة والتصحيح فيه قبل وفاته بأكثر من عشر سنين لما أضرته بيده اليمنى من الأسى والشلل القليل إلى أن توفاه الله تعالى سنة ١٣٣٥ » وقد جرى فيه أول أمره على نهج المتأخرين من أصحاب التاريخ كالحبي والمرادي فذكر نفرأ من أهل الطرق المعروفة ليست لهم آثار تذكر ، ونقل « بعض ما يثرونه من حكايات غريبة ، أو أمور مبتدعة ليست في كتاب ولا سنة »

وحكى في بعض التراجم أقوالاً من أقوال أصحابها وأشعاراً من أشعارهم فرط منهم في بعضها مالا يخلو من شطط وانحراف عن عقيدة السلف . ثم لم يتح له أن يتناوله بالتنقيح والتهديب والتتيميم ، فأذن للشيخ في اختصاره والتصرف فيه على وفق مايرتثيه ، فاختصره لنفسه فعلاً في ثلاثة مجلدات فرغ منها في آخر سنة ١٣٦٢ (١٩٤٣ م) . ولم يدع - مع ذلك - أن يستشير أفاضل أصدقاء المؤلف - ومنهم علامة العراق في عصره السيد محمود شكري الآلوسي - أي الكتابين ينشر ؟ فكان الرأي الراجع نشر الأصل والتعليق عليه بما لا بد منه . وبهذا الرأي أخذ رجال المجمع عندما قرروا طبع الأصل لأنه « مرآة يتجلى فيها القرن الثالث عشر برجاله وأحواله » . فأبقى الشيخ الأصل على حاله من دون تصرف فيه بزيادة أو نقص أو تغيير ، وذيله بجواش نبه في بعضها على عوار ما تقدم ذكره من الحكايات الغريبة والأقوال المنحرفة ، وأبان عن وجه الحق في ذلك كله ، واستدرك في بعضها « مافات المؤلف ذكره وبعد من تمام تراجم بعض الأعلام ، كنسبية مالم يكن معروفاً من مؤلفاتهم ، أو إضافة سنة وفاة من ترجم لهم في حياتهم » إلى فوائد شتى من هذا القبيل .

ولا يفوتني ههنا أن أقول : إنه على ما لآثار الشيخ التي عدت جملة صالحة منها في ثبايا هذه الكلمة من قيمة علمية ، فالحق الذي لا يخالجنى فيه أدنى ريب أن الرجل في نفسه كان أكبر من هذه الآثار ، وما أظنه إلا كذلك عند كل من عرفه .

وإذا كان لا بد لي أن أعقب على ما قدمت بكلمة في لغة الشيخ وأسلوبه ، فمجمال القول في ذلك أنه جرى في الفصاحة والبيان على عرق من سلفيه : أبيه وجدته ، فكان يصدر في كتابته وخطابته عن طبع مواتٍ

ترفده معرفة بأحكام العربية وأساليبها محكمة . وقد كان في أول أمره يجنح فيما يكتب إلى التزام السجع ، ثم أخذ يتخفف منه إلا ما أطف له من غير ماتعمّل ، وخلص في كتابته وخطابته وأحاديثه إلى أسلوب سهل عذب ، له من إشراق ذهنه إشراق ، وفيه من صفاء نفسه صفاء . وكان رحمه الله - قد راض لسانه على الفصحى منذ حداثة ، حتى صارت له طبعاً فما يحسن الكلام بغيرها ، وكان إذا ما ارتجل - وما كان أكثر ما يرتجل - لا يكاد يتعلق عليه - مهما امتد به نفس الكلام بسقطة ، ولا يطوع لسانه بلحنة ، وهو أمر تفرد به من بين أقرانه أو كاد .

وأما المنزلة التي تبوأها الشيخ في العلم والتحقيق منذ أن كان في فجر الشباب ، ومكانه من حركة الهدي والإصلاح ، والخصائص التي أحلته محله ، وأنهجت له سبله ، فإنه يطيب لي أن أدع الحديث في ذلك كله الكبير من علماء هذه الأمة ، ونادرة من نوادر رجالها ، عرك الدهر وعركه الدهر ، وقارع الخطوب وقارعته الخطوب ، وامتحن الرجال وامتحن بالرجال ، ذلكم هو العلامة الجهبذ ، والمجاهد العلم : الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رجل الجزائر الفذ الذي كان هو وسلفه في مشيخة « جمعية العلماء » في الجزائر : الإمام عبد الحميد بن باديس - أكرم الله مثواه - وصحبها الميامين من أكبر الشواهد في تاريخنا الحديث على أن حقيقة هذه الأمة معقودة أبدا برسالة السماء ، لم تستيقظ فيها هذه الحقيقة إلا أتت بالمعجزات وعنت لها الطواغيت ، ولم تغفل عنها إلا دب إليها الوهن وطمع فيها الطامعون .

وكان البشير رحمه الله - وهو مقيم في المدينة المنورة يدرس في حرمها النبوي قبل سنة ١٣٣٥ - يتوق إلى لقاء الشيخين عبد الرزاق البيطار وجمال الدين القاسمي ، فلم يقدر له ذلك . ثم وقع إليه من نبأ الشيخ ووقع إلى الشيخ من نبأه ما حبيب كلا منهما بالآخر على البعد وشوقه إليه ،

حتى إذا حم لها اللقاء ، واتصلت الأسباب بالأسباب — وكان ذلك عندما قدم البشير إلى دمشق في أخريات عام ١٣٣٥ (١٩١٦ م) — صدق الخبر الخبر . وأقام البشير في دمشق أربع سنين إلا قليلاً كان الرجلين وصحبهما من صفوة العلماء خلالها مجالس المؤانسة والمباحثة والمذاكرة ظل البشير يحن إليها طوال حياته . حتى إذا أتى على الفراق ثلاثون سنة كتب في صحيفته « البصائر » سنة ١٣٦٩ (١٩٤٩ م) مقالاً يعرف فيه بالشيخ ويصف ما بلده — في تلك الحقبة — من علمه وخلقه ، ويذكر تلك المجالس التي كان واسطة العقد فيها السيد محمد الخضر حسين — كما قال ، فكان بما جاء في فاتحته :

« الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار علم من أعلام الإسلام ، وإمام من أئمة السلفية الحقة ، دقيق الفهم لأسرار الكتاب والسنة ، واسع الاطلاع على آراء المفسرين والمحدثين ، سديد البحث في تلك الآراء ، أصولي النزعة في الموازنة والتجميع بينها ، ثم له — بعد — رأيه الخاص ، يوافق ماوافق عن دليل ، ويخالف ما يخالف إلى صواب ، لأنه مستكمل الأدوات المؤهلة لذلك ، ولأنه يفهم القرآن على أنه أصل ترجع إليه الآراء والمذاهب والفهوم وأنه كتاب الكون ودستور الإنسانية ، لا كما يفهمه كثير ممن كتبوا في التفسير ، فجردوا أقلامهم لتسطير أفهام غيرهم ، وجردوا القرآن من خصائصه العليا ، وقيدوا هدايته العامة بمذاهبهم الخاصة .

« والأستاذ البيطار مجموعة فضائل ، ماشئت أن تراه في عالم مسلم من خلق فاضل إلا رأيت فيه . مجاوز للحدود المذهبية والإقليمية ، يزن هذه المذاهب الشائعة بآثارها في الأمة ، لا بأقذار الأئمة ، وبهطي كلاماً يستحق . جريء على قوله الحق في العليات . ولكن الجراءة منه يلطفها

الوقار ، والوقار فيه تزيينه الجرأة ، فيأتي من ذلك مزاج خلقي لطيف ، متساوي الأجزاء ، ملتحم الحلايا ، قل أن تجده في أحد من علمائنا الممدودين .

« والأستاذ البيطار مفكر عميق التفكير ، خصوصاً في أحوال المسلمين بصير بعلمهم وأدوائهم ، طبّ بعلاجهم ودوائهم ، يرى أن ذهاب ربحهم من ذهاب أخلاقهم ، وأن معظم بلائهم آت من كبرائهم وأمرائهم وعلمائهم . وهو يعني كبراء الدعوى ، وأمراء السوء وعلماء التقليد . يرجع في ذلك كله إلى استقلال في الفهم والاستدلال ، ومقارنات في التاريخ والاجتماع ، وتطبيقات مصيبة للحقائق الدينية على السنن الكونية . وله في الإصلاح الديني سلف صدق حققوه علماً ، وطبقوه عملاً . يعتمد في تحصيله وتربيته على طودين شاخين من أطواد العلم والعمل : أحدهما الإمام عبد الرزاق البيطار ، والثاني الإمام المحدث جمال الدين القاسمي ، عنها أخذ ، وفي كنفهما نشأ ، وعلى يدهما تخرج ، فجاء عالماً من ذلك الطراز الذي تقرأه في التراجم ولا نجده فيما تقع عليه العين من هؤلاء العلماء الذين يقرأون ويحفظون وينقلون ، ولكنهم لا يفقهون ... » .

وإذا كان لي ما أعقب به على هذه الشهادة — وأكرم بها من شهادة وبصاحبها من شاهد — فجملة ذلك أني لم أجلس إلى شيخنا البيطار — رحمه الله — وأستمع إليه ، ولا تدبرت سيرته في نفسه ثم سيرته فيمن حوله إلا ألقي في روعي أنه واحد ممن تختارهم عناية الله — جلت قدرته — لتتدارك بهم نقصاً في حياة من حولهم ، وتوجد فيها معنى ما كان ليوجد إلا بهم ، فتهمي لكل منهم أسباباً تعمل فيه عملها ، ثم تهديه إلى موضعه من حياة أمته ليعمل فيها عمله .

وشيخنا رحمه الله — قد نبأ له من المواريث الكريمة ، وأسباب

التنشئة الصالحة ، وهو وارد العلم الصحيح ؛ والدين القويم ما جعل منه الرجل الفاضل الذي لا تقدر في فضله شبهة ، والعالم الحق الذي لا يتطرق إلى علمه زيف ، وقد أورثه الدين القويم خلقاً ثابتاً لا يتزعزع ، وعزماً دائماً لا يفتر وتطلعا إلى الخير لا ينهي ، فما يشك من اتصت أسبابه بأسبابه أنه رجل جعل الله في قلبه نوراً فما يخفق إلا بالإيمان ، وفي لسانه نوراً فما يلهج إلا بالحق ، وبين يديه نوراً فما يسعى إلا إلى الخير .

ظهر - رحمه الله - مفكراً نير الفكر ، وعالمياً مستكملاً أدوات العلم في زمن كان الناس فيه - ولا سيما الشباب منهم - أحوج ما يكونون إلى المعلم الهادي والمصلح الرشيد ، فكان المعلم الذي إليه يتطلعون ، والمصاح الذي إليه يتوقون . وقد تهدي بفطرته التي لم ترغ بها الشبهات ، وبصيرته التي لم تعمها الشهوات إلى حاق موضعه من أمته ، فأعرض عن المناصب والطريق إليها لاحبة ، وزهد في الوجاهة والثراء وأبوابها أمامه مفتحة ، ولم يؤثر على التعليم شيئاً ، لا يكاد يضطر إلى العمل في غيره حتى يؤوب إليه قانعاً برتبة الضئيل الذي جعل فيه لكل من ذوي رحمه نصيباً ، ولكل عمل مما بحث عليه أو يدعى إليه من أعمال الخير نصيباً ، فكان الرجل الذي به هدى الله أفواجاً وأفواجاً ممن أدركتهم الحيرة ، وبه أعاد إلى طريق الحق الكثير الكثير من جار عنه ، وعلى يديه تخرج جماعات تليها جماعات ممن يدعون إلى ربهم ويعملون للنهوض بأممهم على بصيرة .

وقد ظل - رحمه الله - في شيخوخته دائماً على عمله الذي أسلفت ذكره ، لم تفتر له همّة ، ولا كلت له عزيمة ، ولم ينقطع عن ذلك إلا أسابيع معدودة أثقله فيها المرض ، حتى إذا كان ضحى اليوم الأول من

جهاذي الآخرة عام ١٣٩٦ دعي فأجاب ، وسكن القلب الذي لم يخفق إلا بالإيمان ، وسكت اللسان الذي لم يلهج إلا بالحق ، وقبضت اليد التي لم تنبسط إلا بالخير ، وأعلن المعلم أن قد مات محمد بهجة البيطار .

وما أنس لا أنس ساعة هتف بي هاتف من الصحب يؤذني بوفاته ، وما كان للنبأ في نفسي من لدع يزيد في إيلامه الحسرة على أن قعدني المرض عن زيارته قبل ذلك . ووجدتني يومذاك - على ما كنت أقاسيه من آلام التضيق في عروق القلب - أسعى مع الساعين إلى تشييعه وقد تقاطروا ألوفاً من كل حذب وصوب ، لأرى صحبه والكثير الكثير أمثالي من تلامذته وقد انطوى كل على معنى يختلج في ضميره ولا تواتيه العبارة عنه ، حتى إذا طار النبأ في الآفاق انطلق من بغداد الصوت الذي عبر عما كان يختلج في الضائير ، إنه صوت سميّه وصفيه على امتداد أربعة وخمسين عاماً ، بهجة العراق ، بل بهجة العربية ، شيخنا الأثري مد الله في حياته :

أدمشق مانباً لذعت به	قلبي كأن حروفه جمر
أذكرى حشاي واج في كبدي	وقدأ وضج بناره الصدر
إن الذي تنعين خاشعة	علم الهدى والمصلح الخبر
غال على المهجمات حالية	بجهاده الآثار والعصر
فد عزيز المثل جوهرة	ذاك كأنفاس الشذا بر
متفرد بخلائق غرر	بجهاها يتفاخر الفخر
في كل صالحة له خبر	ولكل محمدة له صور
تتبارك الحسنى بخلته	بنا وخلته لها ذخـر
واقعد بلوت خلاله زمنأ	وصهرتها فإذا هي التبر
أربت على التحسين لمتنا	يفو وبطفح فوقها البشر

يغلو وفاء كلما قدمت أيا منّا وكذلك الحرّ
صاف كماء المزن ظاهره كضميره وكبره الجهر
بشر ولكن في هدى ملك صلى على أثوابه الطهر
ياحزن نفسي سوف تصحبني حتى يوارى جسمي القبر

أجل ، لقد مات محمد بهجة البيطار وزال من الدنيا رسمه ، ولكن
ليبقى في القلوب ذكره ، وفي العقول هديه . لقد زال من الدنيا ولكن
ليلحق به (الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن أوائك رفيقاً) .

وما مضى على وفاته - رحمه الله - إلا أشهر قلائل حتى أريد لي أن
أحلّ في هذا المجمع محله ، وقطع علي طريق الاعتذار ، وإني لعلّ يقيّن
من أني أصغر عن أن أسدّ جانباً من المكان الذي كان يسده ، ولكن غاية
ما أطمع إليه - وقد قدر لي ما قدر - أن أحاول السير في الطريق الذي كان يسير
فيه ، وأن أوّم القصد الذي كان يؤم ، وأستهدي النور الذي كان يهتدي
به ، وإما يكتبن لي التوفيق في هذا الذي أحاول فإني إذن لسميد .

والسلام عليكم .

الكتب المضافة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الرابع من عام ١٩٧٧

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
بغداد مدينة السلام	ابن الفقيه الهمداني	بغداد ١٩٧٧
فهرس مخطوطات كلية الآداب في جامعة بغداد	د . حسين علي محفوظ - نبيلة عبد المنعم داود	» ١٩٧٧
قاموس الموسيقى العربية	د . حسين علي محفوظ	» ١٩٧٧
کردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى	محمد الملا عبد الكريم	» ١٩٧٧
عثرات المنجد في الأدب والعلوم والأعلام	إبراهيم القطان	بيروت ١٩٧٢
أصول الهيدروليك الهندسي	ج . م . ك . دك، ترجمة المهندس د . أحمد فيصل أصفري	حلب ١٩٧٧
الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهاجتها	فانيا مبادي عبد الرحيم	» ١٩٧٥

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
شمس الدين الذهبي تحقيق عبد الرحمن المعلمي	تذكرة الحفاظ (١ - ٤)	حيدر آباد - الدكن ١٩٦٨ - ١٩٧٠
محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي	الثقات (١ - ٢)	حيدر آباد - الدكن ١٩٧٣ - ١٩٧٥
عبد الرحمن بن الجوزي	صفوة الصفوة (١ - ٤)	حيدر آباد - الدكن ١٩٦٨ - ١٩٧٢
إبراهيم بن عمر البقاعي	نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١ - ٩)	حيدر آباد - الدكن ١٩٦٩ - ١٩٧٥
عمر بن محمد بن الحضر الملا الموصلي	وسيلة المتعبدين إلى متابعة سيد المرسلين ﷺ	حيدر آباد - الدكن ١٩٧٠
عمر بن محمد بن الحضر الملا الموصلي	القسم الأول من الجزء الرابع وسيلة المتعبدين إلى متابعة سيد المرسلين ﷺ	حيدر آباد - الدكن ١٩٧٢
عمر بن محمد بن الحضر الملا الموصلي	القسم الثاني من الجزء الثاني وسيلة المتعبدين إلى متابعة سيد المرسلين ﷺ	حيدر آباد - الدكن ١٩٧٣
عدد من المؤلفين السوفيات ترجمة هاشم حمادي	القسم الثاني من الجزء الثالث الاخوة الثلاثة (قصص للأطفال)	دمشق ١٩٧٧
نجيب بن شرف النووي تحقيق عبد القادر الأرناؤوط	الأذكار النووية	د ١٩٧١

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
كلود ليفي- ستروس ترجمة	الانثروبولوجيا البغوية	دمشق ١٩٧٧
د . مصطفى صالح		» ١٩٧٧
فرقاند دمون . ترجمة وجيه أسعد	الايدولوجيات	» ١٩٧٧
اشيلي مونتاجو . ترجمة حسن بسام مراجعة أديب شيش	بيان حول العرق	» ١٩٧٧
شوقي بغدادي	بيتها في سفح الجبل (قصص)	» ١٩٧٧
أبو بكر بن أحمد ابن قاضي شهبة الأسدي تحقيق د . عدنان درويش	تاريخ ابن قاضي شهبة (المجلد الأول) الجزء الثالث من المخطوط	» ١٩٧٧
أبو الفرج بن الجوزي تحقيق أسامة عبدالكريم الرفاعي	تاريخ عمر بن الخطاب	» ١٣٩٤
ابن قيم الجوزية تحقيق عبد القادر الأرناؤوط	تحفة المودود بأحكام المولود	» ١٩٧١
د . عبد المنعم زقابي	تطور مفهوم الحياد عبر المؤتمرات الدولية	» ١٩٧٧
د . جميل أحمد	حركة التأليف باللغة العربية في الاقليم الشمالي الهندي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر	» ١٩٧٧

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
سعيد مراد	حوار مع السينما	دمشق ١٩٧٧
عبد عبدالله	الرأس والجدار (رواية)	د ١٩٧٧
مجموعة البحوث التي ألفت في الذكرى المائة لمولده في نطاق أسبوع العلم	ساطع الحصري في كفاحه القومي والتربوي	د ١٩٧٧
أيوب منصور	سلام في مدينة الأحلام (قصص الأطفال)	د ١٩٧٧
ر. م. برودسكي يو. أ. شوايستر ترجمة هاشم حمادي	الصهيونية في خدمة الرجعية (صفحات مجهولة من تاريخ الصهيونية)	د ١٩٧٧
ر. هيمنغ ترجمة د. فوزي دنان	الطرائق العددية للعلميين والمهندسين	د ١٩٧٦
مجموعة من الكتاب. ترجمة عيسى فتوح	الفأس الذهبية (قصص وحكايات الأطفال)	د ١٩٧٧
ابن قدامة المقدسي. تحقيق عبد القادر الأرناؤوط	كتاب التوابين	د ١٩٧٤
جورج كلاوس. ترجمة ميشيل كيلو	لغة السياسة	د ١٩٧٧
ارنولد كيتل. ترجمة هاني الراهب	مدخل إلى الرواية الانكليزية (المجلد الثاني)	د ١٩٧٧

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
المستنقع (الكتاب الثاني من بقايا صور)	حنّا مينه	دمشق ١٩٧٦
النقد الأدبي (الجزء الرابع)	ويليام.ك. وعيزات كلينث بروكس ترجمة د. حسام الخطيب ومحيي الدين صبحي	» ١٩٧٧
هل العالم الثالث في طريق مسدودة	بول بيروك ترجمة مورييس جلال	» ١٩٧٧
الآثار (أم النار)	طارق النعيمي	دولة الامارات المتحدة
» (حفيت)	» »	»
الآثار (قطارة)	» »	»
» (هيلي)	» »	»
محاضرات الموسم الثقافي لعام ١٣٩٣ / ١٣٩٤ هـ	وزارة الاعلام والثقافة	»
محاضرات الموسم الثقافي لعام ١٣٩٤ / ١٣٩٥ هـ	» » »	»
محاضرات الموسم الثقافي لعام ١٣٩٥ / ١٣٩٦ هـ	» » »	»
محاضرات الموسم الثقافي لعام ١٣٩٦ / ١٣٩٧ هـ	» » »	»

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
كيريل وميتودي	فهرس المخطوطات العربية (الجزء الأول - القرآن)	صوفيا ١٩٧٧
عبد الإله محمد الحبشي	فهرس المخطوطات اليمنية في حضرموت « المحافظة الخامسة »	عدن ١٩٧٥
د. السيد عليوه	ادارة الاقتصاد الاسرائيلي	القاهرة ١٩٧٧
د. نعمان محمد خليل جمعة	أركان الظاهر كمصدر للحق	» ١٩٧٧
د. عز الدين الخيرو	الأطباع الصهيونية في مياه الأردن والليطاني	» ١٩٧٧
ج. لو، ن. جرنث ، ت. د. وإيامز ، ترجمة عثمان نويه	التربية وبناء الأمة في العالم الثالث	» ١٩٧٧
معهد البحوث والدراسات العربية	الدراسات الخاصة	» ١٩٧٦
د. محمد علي رضا الجاسم	دراسات في الاقتصاد السعودي	» ١٩٧٧
د. أجيه يونان	دراسة مقارنة بين السد العالي وسد الفرات	» ١٩٧٧
د. نعيمة الشعام	الشخصية النظرية: التقييم ،مناهج البحث	» ١٩٧٧
يوسف السيرافي تحقيق محمد علي الربيع هاشم	شرح أبيات سيوبه (الجزء الثاني)	» ١٩٧٤

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
معهد البحوث والدراسات العربية	العلاقات العربية الافريقية (دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار)	القاهرة ١٩٧٧
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	مشكلات التعليم الابتدائي وانعكاساتها على مشكلة الأمية في الوطن العربي	» ١٩٧٧
محمد خلف الله أحمد	معالم على طريق الكلاسيكية العربية الحديثة: طه حسين ومحمود تيمور	» ١٩٧٧
معهد البحوث والدراسات العربية	ندوة البترول العربي والآفاق المستقبلية لمشكلة الطاقة (١-٢)	» ١٩٧٧
عبد الحبير محمود عطا	الوظيفة الاتصالية لجامعة الدول العربية	» ١٩٧٧
محمد حسين الحسيني الجلاي	شرح الأربعين النبوية	قم ١٩٧٥
لجنة التأبين	ذكرى السيد عبد الرسول الطالقاني	النجف ١٩٧٧

تصويبات في هذا الجزء

الصواب	السطر	الصفحة
reflexe	١٧	١٥
=	١	١٦
		١٧
régle	١٧	١٨
=	٣	١٩
à gaz	١٦	١٩
kidney Wolffian	٢٤	٢٢
ص ١٣٣	٨ -	١٣٧
زبيد	٩	١٣٨
الأبامي	٤ -	-

فهرس الجزء الأول من المجلد الثالث والحسين

المقالات	الصفحة
بقايا الفصاح الأستاذ شفيق جبري	٣
نظرة في معجم المصطلحات الطبية ٣٦ . الدكتور حسني سبح	٧
نظرية النظم النحوي قبل عبد القاهر . د. أحمد نصيف الجناني	٢٣
التذكرة لأبي حيان الأندلسي . . . د. عفيف عبد الرحمن	٥٠
قضية عنوان كتاب البيان للجاحظ . الأستاذ الشاهد البوشيخي	٧٧
تاريخ أبي بشر هارون بن حاتم التميمي . الأستاذة سكيمة الشهابي	١٠٧
التعريف والتقديم	
شعر عبد الله بن معاوية . . . الأستاذ عدنان مردم	١٤٨
حول ديوان مسلم بن الوليد . . . الأستاذ محمد يحيى زين الدين	١٥١
بلوغ الأمل في فن الرجل . . . الأستاذ عبد المحسن علي العباس	١٧٠
آراء وأنباء	
الشيخ أبو عبد الله الزنجاني . . . الدكتور جواد مشكور	٢٠١
توبيه	٢٠٦
انتخاب الدكتور شاكر الفحام نائباً لرئيس الجمع	٢٠٧
حفل استقبال الأستاذ أحمد راتب النفاذ	٢٠٨
كلمة السيد الدكتور حسني سبح رئيس الجمع	٢٠٩
خطاب الأستاذ عبد الهادي هاشم	٢١١
خطاب الأستاذ أحمد راتب النفاذ	٢٢١
الكتب المهداة مكتبة مجمع اللغة العربية خلال الربع الرابع من عام ١٩٧٧	٢٤٦
تصويبات	٢٥٣



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



مركز تحقيق وتطوير علوم عربي



ربيع الثاني من سنة ١٣٩٨ هـ

نيسان هـ أبريل ، من سنة ١٩٧٨ م



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

إحياء الأسلوب القديم

الشدياق

الأستاذ شفيق جبري

في مقدمة كتابه الخالد : أمراء البيان ، تتبّع الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، نظّر الله عظامه ، أساليب البيان في مجامع عصوره ، فلم يغفل عن وصف هذه الأساليب في الجاهلية والإسلام ، ولم يفته الكلام على أسلوب القرآن ، ثمّ انتقل الى الكلام على الأطوار التي تقلّبت فيها الأسلوب حتى انتهى إلى الكلام على إحياء الأسلوب القديم في عصرنا على يد الإمام محمد عبده بمصر وأحمد فارس الشدياق بالشام والآستانة ، ولا يستطيع الخوض في مثل هذا الموضوع الدقيق إلّا من طال نظره في أدبنا ووقف على هذا الأدب وقفة المتبصّر .

إذا لم يكن لي نصيب من دراسة آثار الإمام محمد عبده فقد كان لي نصيب من دراسة آثار أحمد فارس الشدياق ، ولست أدري لماذا لم أطبع كتابي عنه حتى هذا اليوم .

لم يخطئ الذين يرون أن للشدياق فضلاً كبيراً في إحياء الأسلوب العربي الأصيل ، ولا ريب في أن الذي أعانه على هذا الإحياء إنما هو تبحره في اللغة ، ودفاعه عنها ، وولعه بها ، فقد حمل لواء اللغة كل حياته ، فما جاء ذكرها في موطن من مواطن كتاباته إلا أضاف إليها صفة الشرف والجلالة فقال : لغتنا الشريفة ... لغتنا الجليلة ...

وإني أرى أن البحث عن لغة الشدياق يستلزم مقالاً خاصاً ، وحسبي الإشارة في هذا المقام الى تفقّطه في اللغة ؛ فاللغة في رأيه عبارة عن حركات الإنسان وأفعاله وأفكاره ، فقد كان يجد لكل حركة من هذه الحركات ولكل فعل من هذه الأفعال ولكل فكر من هذه الأفكار اللفظة المناسبة التي تعبّر أوضح تعبير ، وإن كان في بعض الأحيان يضع ألفاظاً لم تعش في لغة هذا العصر . من هذا القبيل استعمال المئاعب بدلاً من مجاري الماء ، ولكن لفظة المجاري غلبت على المئاعب ولا نجد في هذا العصر من يستعمل في كتاباته لفظة المئاعب ، وكذلك استعماله للمناصع وهي المواضع التي يتخلّى فيها لبول أو حاجة . والخلاصة ان بعض ألفاظه التي وضعها لمعنى خاص لم تعش كلها ، ولكن هذا قليل جداً ، فقد أحيا الشدياق طائفة من مفردات بقايا الفصح كما أحيا طائفة من الجمل ، كل هذا قد أعانه على إحياء الأسلوب العربي الأصيل . على أنني أرى أن التبحر في اللغة وحده لا يكفي لإحياء الأسلوب العربي الأصيل ، فإننا نعرف بعض علماء اللغة في عصرنا لم يفهم حفظ اللغة ولا فائتهم معاني المفردات لكن الله تعالى حرّمهم حسن الأسلوب ، فقد أنعم عليهم بمعرفة اللغة

وحدها ، أمّا الشدياق فقد أضاف إلى إحاطته باللغة وأسرارها محاسن الأسلوب ، فهو لم يقتصر على معرفة اللغة ولكنه أكمل هذه المعرفة بحسن التصرف فيها وحسن التعبير عما يحول في الخاطر وتقع عليه العين وتسمعه الأذن وتلمسه اليد ، فما غفل الشدياق عن إدراك شأن الأسلوب فإنه يرى أن لكل مؤلف أسلوباً ، وأنه لا يمكن لأحد أن يعجب الناس كلهم إذ الأهواء متفاوتة والآراء مختلفة ، فإذا كان الشدياق قد أحيا أسلوب أدبنا الأصيل فقد أحياء يتمكنه من اللغة وبقوة أسلوبه ، أمّا اللغة فحسبه أن يكون إماماً فيها أعطته أسرارها وخصائصها فأحسن استعمالها في مواضعها ، وأمّا الأسلوب فقد امتاز أسلوبه بالقدرة على الوصف ، فلم يعجز عن وصف شيء مما تقع عليه العين ، وإذا وصف ما يرتبط بعض الارتباط بالعلم فإنه يُخلي أسلوبه من التزويق ويميل إلى الوضوح والدقة والبساطة . والخلاصة أنه برز في الوصف كل التبريز ، وصف الزمان والمكان والهيئات والحركات والبواطن والظواهر .

على أني أرى أنه لا يتم الكلام على إحياء الشدياق الأسلوب العربي الأصيل إلا بالخوض في خصائص أسلوبه نفسه وما اشتمل عليه هذا الأسلوب من التشابيه والألفاظ والتراكيب وتقطيع الجمل والعصية والسرعة والهدوء وغير ذلك من الخصائص ، ولكن هذه الأمور كلها إذا لم توضح أكمل توضيح ولم يؤت باستشهادات عليها فإنها لا تفصح عن عظمة الشدياق أكمل الإفصاح ، إلا أن توضيحها يستلزم مقالاً خاصاً . وإذا كان هذا المقال الوجيز لا يتسع لبيان ما ذكرت فإني أستطيع أن أُلخص قاعدة الشدياق في كتاباته . إن هذه القاعدة تنحصر في هذه العبارة :

لكل مقام مقال ، ومذهبه في هذا الأمر مذهب بلغاء كتابنا في القديم وعلى رأسهم الجاحظ .

فإذا كان الأستاذ الرئيس محمد كرد علي قد أشار الى أحمد فارس الشدياق في مقدمته البليغة وقال إنه أحيى الأسلوب القديم فلم يكن في إشارته شيء من الغلو ، ففي قوله الصواب كله .

شفيق جبري

نظرة في
معجم المصطلحات الطبية
الكثير اللغات

للدكتور أ. ل. كليفيل

نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر
وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

- ٣٧ -

الدكتور حسني سبيع

١١٦٧٣ قَذَفَ ، اُنْتَظِرَ حَذَفَ 11673 Rejeter , v. éliminer

وأرجح طرح وقاء

١١٦٧٤ اِسْتِرخاء ، اِرْخاء ، اِسْتِراحة 11674 relâchement, relaxa

اِسْتِرخاء ، اِسْتِرخاء ، اِسْتِراحة 11674 relâchement, relaxa

اِسْتِرخاء ، اِسْتِرخاء ، اِسْتِراحة 11674 relâchement, relaxa

asystolie باسْتِرخاء القلب (اللفظة ١٢٣٠) وإرخاء أو إنقاص التوتّر

في الثانية، استراحة في الثالثة ، وإرخاء القلب في اللفظة الرابعة

١١٦٧٦ عَلاَقَة ، نِسْبَة ، قَرَابَة 11676 Relation

وصلة وإرتباط أيضاً

11677 relation de compréhension

١١٦٧٧ مُناسَبَاتُ الإدراك أو الفهم

إرتباطات الإدراك ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من

المعجم الاصلي (١)

(١) (comprehensife connexions)

- ٢٦٣ -

11681 releveur des paupières de Desmarres

١١٦٨١ رافِعةُ الأجفانِ للديمار

رافِعةُ دِمارٍ للجَفَفَيْنِ

11682 Reliant les centres nerveux (fibres)

١١٦٨٢ وَاصلةُ المَرَاكزِ العَصَبِيَّةِ

(ألياف)

وأرجح الموصلة بين المراكز العصبية أو بين العصبات^(١)

كما جاء في الترجمة الأصلية من المعجم الأصلي^(٢)

11683 Remèdes galiniques

١١٦٨٣ عِلاجاتٌ جَالِينُوسِيَّةٌ

11684 remèdes à inhaler لِيَلِاسْتِنْشاق ، عِلاجاتٌ لِالِإِنْشاقِ

وأرجح أدوية أو عقارات جالينوسية أو الجالينوسيات^(٣)

في اللفظة الأولى، وأدوية أو عقارات الانشاق أو المستنشقات،

كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي^(٤)

11685 remèdes secrets

١١٦٨٥ أدوية سرية

وأدوية دَجَلٍ وشَعْوَذَةٍ وخَفِيَّةِ التركيب ، كما جاء في

الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي^(٥)

11686 Remédiable

١١٨٨٦ قَابِلُ المِداوَاةِ

يَداوِي ، يَعالِج ، وَقَابِلُ المِداوَاةِ

(١) الصفحة ٥٠٩ من المجلد الثامن والأربعين من هذه المجلة .

(٢) (internunical , connecting the nerve centers)

(٣) (galenicals,galenics)

(٤) (inhalants)

(٥) (Secret , quack , patent remedy , nostrum)

11689 Rémission , relâchement rémittence

١١٦٨٩ خُمُود ، اِرْتِخَاء ، تَرَدُّد ، تَهَادُن

وأرجع هُدوء المترَض وهُمُودُهُ والتَّحْسِن والتَّوَقُّف

11690 Rémittent , ente

١١٦٩٠ مُتَرَدِّد ، ذُو فِتْرَات

مُتَرَدِّد وَمُتَرَدِّدَةٌ (الحمى)

11692 Renaissant , ante

١١٦٩٢ بَاعِث ، مُنْهِيض ، مُجَدِّد

وأفضل مُتَجَدِّد ، عَائِدٌ إِلَى النُّمُو ، كَمَا جَاءَ فِي التَّرْجُمَةِ

الانكليزية من المعجم الاصيل^(١)

11694 rendre incapable , mettre hors de combat ou

hors de service

١١٦٩٤ أَعْجَزَ الْمَرْءَ ، جَعَلَهُ غَيْرَ قَادِرٍ ، عَطَّلَهُ

وأفضل عَطَّلَهُ ، أَقْصَاهُ عَنْ الْعَمَلِ

11696 renflement périostique des os dans la syphilis

١١٦٩٦ اِنْتِثَارٌ سَمْحَاقِ الْعِظَمِ فِي الدَّاءِ الْإِفْرَنْجِيِّ

وَأَرْجَحُ اِلْتِهَابَ اِلْسَمْحَاقِ وَاسْتِثْبَاجَ الْعِظَامِ فِي الدَّاءِ الْإِفْرَنْجِيِّ

كَمَا جَاءَ فِي التَّرْجُمَةِ الْانْكَلِيزِيَّةِ مِنَ الْمَعْجَمِ الْاَصْلِيِّ^(٢)

11697 Renforcement , dépression

١١٦٩٧ تَغْرِيزٌ ، اِنْخِفَاضٌ ، ثَوْنٌ ، سَتَخٌ

وأرجح كَتَبَسَ^(٣) اِدْخَالَ ، اِنْخِفَاضٌ وَمُخَفِّضٌ ، كَمَا

جَاءَ فِي التَّرْجُمَةِ الْانْكَلِيزِيَّةِ مِنَ الْمَعْجَمِ الْاَصْلِيِّ^(٤)

(١) (reviving , growing up again)

(٢) (periostitis , swelling of bones in syphilis)

(٣) لفظة مولدأفرها بجمع اللغة العربية في القاهرة ووردت في المعجم الوسيط

(٤) (depressinng , pitting)

وليس لتعزيز وثوخ وسخ ان تدل على المعنى المطلوب^(١)

11698 Renforcement دَعَم ، تَقْوِيَة

وتشديد ، وتعزيز ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم
الاصلي^(٢)

11701 Renouveler, régénérer جَدَّدَ ، بَعَثَ

وأرجح جدد ، تنشيط ، او استبعاد النشاط

11702 Rénovation , réfection, remise en état

١١٧٠٢ تَجَدُّد ، إِحْدَاث ، تَقْوِيم

وأفضل تَجَدُّد ، إِصْلَاح ، تَسْوِيَة ، وسبق للجنة أن ترجمت
(orthopédie) بتقويم الأعضاء (اللفظة ٩٥٥٢)

11703 Rentrer les genoux قَوَّم الشَّرْكَبَ

وأرجح بَسَط الرُّكْبَتَيْنِ

11706 Réparti finement , divisé finement

١١٧٠٦ مَجْزَأٌ دَقِيقاً ، مُنْقَشِمٌ دَقِيقاً

وأفضل مُوزَعٌ بَدِيقَةٌ ، مُتَجَزَأٌ دَقِيقاً أو مُنْعَمٌ الدَّقِ
(أي مدقوق دقيقاً ناعماً)

(١) في لسان العرب : غرز الإبرة في الشيء غرزاً وغرّزها ادخلها ، وكل

ما سُعِّرَ في شيء فقد غُرِزَ وغرّز

في تاج العروس : ثلثت الاصبع في الشيء الوارم أو الرخو اذا
غاصت وغابت

في تاج العروس : سخت الجراة غرزت ذنبها في الارض لتبيض

11707 Repas

١١٧٠٧ طَعَام ، أَكْلٌ

وأفضل أكلة ، طعام

11709 Répercussif , ve

١١٧٠٩ رَادٌ

وأفضل مُحوِّل وداجيع . ففي المعنى الأول استعملت اللفظة

في بعض وسائل العلاج قديماً كقولهم (remède répercussif)

أي ذو تؤثر مُحوِّل ، كأن يُحوِّل الاحتقان السطحي

مثلاً إلى العمق (كيس الثلج) ، وفي المعنى الثاني كقولهم

لهذا الشيء تأثير راجع أي يخشى حدوثه بعد مدة من الزمن.

11710 Répercussion

١١٧١٠ ارْتِدَاد

وأرجح صدى ، أو رُجوع أو عُقْبَى

11711 Répercussivité

١١٧١١ رَدُودِيَّة (قابِلِيَّةُ الارتداد)

وأفضل قابلية التأثير التالي . وسبق للجنة أن استعملت

رَدُودِيَّة (فتق) ترجمة لـ (réductibilité d'une hernie)

(اللفظة ١١٥٠٨)

11718 repli amniotique

١١٧١٨ اِثْنَاء سَابِيَانِي

اِثْنَاء سَلَوِي كما أقره مجمع اللغة العربية في القاهرة (١)

11719 replis glosso-épiglottiques

١١٧١٩ اِثْنَاء لِسَانِيَّة فُلْكِيَّة

اِثْنَاءَات لِسَانِيَّة فُلْكِيَّة

(١) الصفحتان ٤٦٤ و ٤٦٥ من المجلد الرابع والثلاثين والصفحة ٦٥٢

من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

- 11720 Réponse (= réaction) جواب (تفاعل)
اجابة أو جواب (رد فعل ، تفاعل) وأقر مجمع اللغة العربية
في القاهرة استجابة أيضاً .
- 11721 Réponses à côté , syndrome de Ganser ١١٧٢١ أجوبة جنباء ، تناذر غنسر
وأفضل أجوبة مجانبية أو جانبية
- 11723 repos au lit , repos couché ١١٧٢٣ استراحة في الفراش ، استراحة ، استلقاء
وأفضل التزام السرير فقط ، كما جاء في الترجمة الانكليزية
من المعجم الأصلي (١)
- 11725 Représentatif , ve ١١٧٢٥ قاتيل للعرض ، إلتبيان
وأفضل مماثل ومثيل
- 11726 Représentation , idée ١١٧٢٦ عرض ، بيان ، فكرة
أقول تمثيل ، تصوّر أو تصوير ، رأي
- 11732 représentation d'un tracé, d ' une courbe ١١٧٣٢ بيان مُخطّط ، أو مُنحَن
إرادة مُخطّط أو مُنحَن أو تصويره وتمثيله
- 11733 Reprise inspiratoire dans la coqueluche ١١٧٣٣ استرجاع الشّهيق في الشّهيق
وأفضل عودة الشّهيق في السّعال الديكي (٢) وكذلك

(١) (rest in bed)

(٢) الصفحة ٥٩٢ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة

الشَّهْقَةُ أو الصَّرِيرُ الشَّهْقِيُّ ، كما جاء في الترجمة الانكليزية
من المعجم الاصلی^(١)

11734 Répugnance كُرْهٌ ، مَقْتٌ ، نَفْرَةٌ

وأفضل تَقَرُّزٌ ، إِشْمِيزَازٌ ، كُرْهٌ

11746 réserve de sang humain pour transfusions sanguines
(dépôt) banque de sang

11746 دمٌ بَشَرِيٌّ إِحتِيَاظِيٌّ لنقل الدم (مستودع)
مصرف الدم

أقول دَمٌ بَشَرِيٌّ أو إِنْسَانِيٌّ أو دَمُ الْإِنْسَانِ الْمُدْخَرِ
لنقل الدم (مستودع) مَصْرِفُ الدَّمِ

11747 réservoir à l'air حَوْضٌ لِإِهْمَاءٍ
وأرجح مَخْزَنٌ لِلْهَوَاءِ أو مَدْخَرُهُ^(٢)

11749 Résidu بَقِيَّةٌ ، فُضَالَةٌ ، ثَبَالَةٌ
وأقر بجمع اللغة العربية في القاهرة : مُتَخَلَفٌ - الْفُضَالَةُ
الرَّاسِبُ - الْبَاقِي بَعْدَ التَّرْشِيحِ . وأرجح باقٍ ، فُضَالَةٌ ،
رَاسِبٌ .

11750 residu d'évaporation بَقِيَّةُ التَّبْخِيرِ

وأقر بجمع اللغة العربية في القاهرة : قُرَارَةٌ ، وَجَاءُ فِي
الشرح : مَا يَبْقَى بَعْدَ تَبْخِيرِ السَّائِلِ فِي الْوَعَاءِ .

(١) (whoop , inspiratory stridor)

(٢) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ : حَاضَ الْمَاءَ وَغَيْرَهُ حَوْضًا وَحَوْضَةً حَاطَةً

وَجَعَهُ إِلَى أَنْ قَالَ وَالْحَوْضُ مَجْتَمِعُ الْمَاءِ

11751 résidu de filtrage

١١٧٥١ بقية الترشيح

وأفضل فُضالة الترشيح أو التصفية

11754 Résine

١١٧٥٤ راتينج ، صُغُرور

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : راتين (القاموس)
راتينج ، وعرفها : مجموعة من مواد غير متبلورة قابلة
للالتهاب ، وتكون غالبا من أصل نباتي ويذوب عادة في
الكحول ، وهو ينتج من بلورة التربينات

وفي معجم الالفاظ الزراعية للمرحوم الامير مصطفى
الشهابي : راتينج ، عَرَق الشجر راتين . وجاء في الشرح :
كلمة راتينج من اليونانية ، والاوليان في المفردات والثالثة
اي راتين في القاموس . مواد ثلاثية تتضمنها بعض النباتات
ولا سيما الصنوبريات والبطميات وهي اشكال .

هذا ولم تأت لفظة صُغُرور في المعجم المذكور ولم اعثر
عليها فيما بين يدي من المعجمات وأرجح راتين ، راتينج

11756 Résineux , se

١١٧٥٦ راتينجي ، صُغُروري

وأفضل راتيني وراتينجي

11759 résistance globulaire (épreuve de la)

١١٧٥٩ المثانة الكُـرْيُويَّة (اختبار)

وأرجح مُقاوَمة الكُـرْيُويات الحُر (اختبار)

11763 Résolution

١١٧٦٣ اِنْصِراف ، اِنْخِلال

وأقر مجمع اللغة في القاهرة : البَد - التفريق ، وجاء في
التعريف : هو رد المادة الى قلوباتها . مثال ذلك فصل الخلوطة

الراسيمي (racemic mixture) إلى مكوّنيه النشيطين ،
وجاء بين مصطلحات علم الجراحة ترجمة (resolution
(of abscess) انْصِراف الخراج وعرفه بأنه تحلله

١١٧٦٧ نُضُوب ، غُؤُور ، اِرْتِشَاف 11767 Résorptiom

وأرجح اِرْتِشَاف فقط

١١٧٦٨ نُشُوق ، صَالِحَ لِالتَّنَفُّس 11768 Respirable

وأفضل صالح لِالتَّنَفُّس . وسبق للجنة أن ترجمت

(priser) بِنَشَق (اللفظة ١٠٩٣٩)

11778 Responsabilité , faculté de discernement

١١٧٧٨ تَبِيعَة ، صِيفَة التَّمْيِيز

وأفضل مسؤولية ، مَلَائِكَة التَّمْيِيز

11779 Responsable , capable de discerner

١١٧٧٩ مَسْؤُول ، مُتَمَيِّز

وأفضل مسؤول ، مَيُوز ، يَسْتَطِيع التَّمْيِيز

11780 Ressaut d'une courbe , pointe, clocher d'une courbe

١٧٨٠ قَفْزَة مُنَحَنٍ ، نَشْزَة ذُرْوَة مُنَحَنٍ

وأفضل نُشُوز مُنَحَنٍ أو ارتفاعة ، قمته ، أنْفُ المُنَحَنِي

تشبيهاً بأنف الجَبَل^(١)

(١) في لسان العرب : وأنفُ الجبل قادرٌ يشخص ويندر منه والمؤنّف

المحدد من كل شيء ، النشز والنشر المثنى المرتفع من الأرض ، ونشز الشيء يَنشُز

نُشُوزاً ارتفع .

قَفَزَ يَقْفُزُ قَفْزاً وقَفْزاً وقَفُوزاً وقَفْزَاناً وثَبَّ .

١١٧٨١ قَفْزَةٌ نِهَائِيَّةٌ أو خِتَامِيَّةٌ 11781 ressaut terminal (T)

وأفضل نلشِزة نِهائية أو خِتَامِيَّة (T)

١١٧٨٤ بَقَايا ، فَضَلَات 11784 Restes

وأرجح بَقَايا (وسبق للجنة أن ترجمت résidu

بِفُضَالَة ١١٧٤٩)

11786 Restreint (psychiatrie) isolement des aliénés
dangereux

١١٧٨٦ مَحْجُور (عِلْمُ النفس) عَزَلُ الْمَجَانِينِ الْحَطِيرِينَ

مَحْجُور (طب الأمراض النفسية أو العقلية)

١١٧٨٧ حَاصِلَةٌ 11787 Résultante

وعَاقِبَةٌ أَيْضاً

11795 Rétablissement , réparation restauration

١١٧٩٥ تَجْدِيد ، اصْلَاح ، تَعْمِير

وأفضل اِبْتِلَال ، شِفَاء ، اصْلَاح ، تَرْمِيم

١١٧٩٦ مُؤَخَّر ، مُؤَجَّل 11796 Retardant ,te

مؤخر ومُثَبِّط كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

11798 Retenir sa respiration , son souffle

١١٧٩٨ كَتَمَ نَفْسَهُ ، حَبَسَ نَفْسَهُ

وأفضل أَوْقَفَ تَنَفُّسَهُ أو أَمْسَكَ وَحَبَسَ نَفْسَهُ أو أَنْفَاسَهُ

١١٧٩٩ احْتِبَاس ، حَصْر 11799 Rétension

(١) (postponing inhibiting)

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة إطام ترجمة لاحتباس
الغائط أو البراز (retention of faeces)

١١٨٠٠ احتباس كلُورُوري rétention chlourée 11800

وأرجح احتباس كلُورالصوديوم كما جاء في الترجمة الانكليزية
من المعجم الأصلي (١)

11801 rétention complète de gaz intestinx

١١٨٠١ احتباس الأرباح المعوية التام
وأفضل احتباس غازات الأمعاء كما جاء في الترجمة الانكليزية
من المعجم الأصلي (٢)

١١٨٠٥ كَيْتْمَان (علم النفس) rétience (psych.) 11805
وتكنشم

11808 Réticulocyte ,hématie granuleuse

١١٨٠٨ خلية شبكية أو شايكة كريات حبيبية
خلية شبكية ، كريات حمراء حبيبية

11809 Réticulo - endothéliose, réticulose , histocytose ,
histocytomatose

١١٨٠٩ داءُ شبكي بيطاني ، زيادة الشبكيات
زيادة الخلايا النسيجية ، داء الخلايا النسيجية
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : ترجمة اللفظة الأولى
بالبطان الشبكي ، وجاء في الشرح : وهي مجموعة من

(١) (retention of sodium chloride)

(٢) (retention of intestinal gases)

الأمراض ناتجة عن تغيرات ورمية أو تَكَاثُر في الجهاز
الشبكي البطاني ، وأشهر امثلتها مرض (هو دجكن)

١١٨١٠ مَرَضُ الشَّبَكَةِ البِطَانِيَّةِ 11810 Réticulopathie

وأرجح اعتلال الشبكة البطانية

11811 Réticulo - sarcome, réticulo sarcomatose

١١٨١١ وَرَمٌ عَفَلِي شَبَكِي ، داء شبكي عَفَلِي

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة سرّ كومة شبكية
للفظة الأولى

١١٨١٤ طبقة شبكية (خاصة) , 11814 Rétine (proprement dite)

(١) نَقْرَةٌ مَرَكْزِيَّة (1) fovea centralis

والحفرة المركزية كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم
الأصلي (١)

(٢) حُلَيْمَةٌ عَصَبِيَّة (2) papille optique

حُلَيْمَةٌ بَصَرِيَّة وَالْقِرْصُ البَصَرِيّ وَالْبُقْعَةُ العمياء ، كما جاء
في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة القِرْصُ البَصَرِيّ أيضاً

(٣) قِطْعَةٌ قَرْحِيَّة (3) portion iridienne

وَالْجُزْءُ العَيْنِيّ ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم
الأصلي (٣)

(١) (central pit)

(٢) (optic , blind spot)

(٣) (uveal tract)

- ١١٨١٨ التهاب الشبكية الصبغى 11818 rétinite pigmentaire
وأفر جمع اللغة العربية في القاهرة التهاب شبكي مُخَضَّب،
وجاء في الشرح : ويخرج الحُضَاب من المشيمية ليستقر في
المفاويات المحيطة بالأوعية
وأرجح التهاب الشبكية الصبغى
- ١١٨١٩ مُنْقَبِض ، مُنْكَمِش ، مُنْقَبِض 11819 Rétracté , éc
وأفضل مُنْقَلِص ، مُنْقَبِض ، أو مُتَبَاعِد
- ١١٨٢١ انكماشية (قابلية الانكماش) 11821 Rétractibilité, rétractilité
وأفضل قَلْوصية (قابلة التقلص) وقبوضية (قابلة الانقباض)
وليس للانكماشية أن تؤدي المعنى المطلوب (١)
- ١١٨٢٢ قَلْوص (قابل الانكماش) 11822 Rétractile
وأفضل قَلْوص (قابل التكمش)
- ١١٨٢٣ انقباض ، انكماش 11823 Rétraction
انقباض وتقلص كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم
الأصلي (٢)
- ١١٨٢٤ انكماش الغشاء الراحي ، داء دوبوترين 11824 rétraction de l'aponévrose palmaire , maladie de Dupuytren

(١) في لسان العرب : الكَمْش الرجل الشريع الماضي، رجل كَمْش وكَمْش
عزوم ماضٍ به ربيع في أموره كَمْش كَمْشاً وكَمْش بالضم يكَمْش كَمْاشَةً
وانكَمْش في أمره الأصمعي انكَمْش في أمره وانشمر وجد بمعنى واحد إلى أن
قال : قد تكَمْش جلده أي انقبض واجتمع .
(٢) (retraction , contraction)

- وأرجع تقبُّض الصِّفاق الرِّاحي داء دويترن ، وتقفع
دويترن كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)
- 11825 rétraction musculaire ischémique de Volkmann,
paralysie ischémique
- ١١٨٢٥ اِتْكِياس وَلُكْمان العضلي بفقر الدم الموضعي ، شلل بفقر
الدم الموضعي
- أقول تقبُّض فُلْمان (كما يلفظ بالألمانية) العضلي بالقلة
الدموية ، والشلل بالقلة الدموية الموضعية (٢)
- 11826 Retraite
- ١١٨٢٦ اِتْزواء ، اِتْعِزال ، عَزْلة
- وأفضل تراجع ، تَقْهَر اِتْسِحاب ، وانعزال
- 11828 Rétréci dans le diamètre oblique
- ١١٨٢٨ تَضِيق في القطر المنحرف
- 11829 rétréci dans le diamètre transverse
- ١١٨٢٩ تضيق في القطر المعترض
- وأرجع ضِيقٌ أو ذو تَضِيق في القطر المنحرف في اللفظة
الأولى وضِيق في القطر المعترض في اللفظة الثانية
- 11830 Rétrécissement , resserrement , sténose
- ١١٨٣٠ تَضِيق ، تشدُّد ، ضيق
- وأفضل تضيق ، كَرْب ، أو تَكْرِب ، ضِيق (٣)

(١) (Dupuytren's contracture)

(٢) الصفحة ٤٩٦ من المجلد الثالث والأربعين من هذه المجلة .

(٣) في لسان العرب : وقيد مكروبٌ إذا ضيق وكربت القيد إذا

ضيقته على القيد .

١٨٣٤ : تضيق المثانة 11834 rétrécissement de vessie

وأرجح تقبُّض المثانة أو تقفُّمها ، كما جاء في الترجمة الانكليزية
من المعجم الأصلي ^(١)

١١٨٣٥ قُبوع 11835 Rétrocession

والصحيح التراجع أو التقهقر والميل الخلفي (فيما يخص الرحم
أو غيرها) ^(٢) ولا أرى للفظ القبوع الدلالة المطلوبة ^(٣)

١١٨٣٦ إجل خلفي 11836 Rétrocolis

وأفضل صَعتر خلفي وقُعاس ^(٤) ترجيحاً

١١٨٣٧ انثناء خلفي 11837 Rétroflexion

(١) (contracted bladder)

(٢) لفظة (retrocession) في معجم ستديمان (Stedman's Medical

(Dictionary

(٣) في لسان العرب: قَبَّعَ يَقْبَعُ قَبْعاً وَقُبُوعاً فَخَرَّ والقَبَّع صوت يردّه
الفرَسُ من مَنخريه إلى حلقه. والقَبَّع، الصياح والقُبُوع أن يدخل الانسان رأسه
في قبعه أو ثوبه ويقال يَقْبَعُ قُبُوعاً والقَبَّع ادخل رأسه في ثوبه الخ.

(٤) في لسان العرب : الإجل وجع في العنق .

في لسان العرب : الصَعتر ميل في الوجه وقيل الصَعتر الميل في الحذ خاصة
وربما كان خلقه في الانسان والظلم ، وقيل هو ميل في العنق وانقلاب في الوجه إلى
أحد الشقين، وقد صعر خده وصاعره اماله من الكبر .

في لسان العرب والقُعاس، التواء يأخذ في العنق من ربيع كأنها تمصر إلى
ما وراءه .

وأرجع ارتعاط خلفي وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة انحناء
الرحم إلى خلف ترجمة له (retroflexion of uterus)

١١٨٣٨ تأخر الفك الأسفل 11838 rétrognathie

والصحيح تأخر نمو الفك أحد الفكين أو كلاهما (١)

١١٨٣٩ تَقَرُّقُور 11839 Rétrogression

ونكوص وإرتداد وإدبار

١١٨٤٠ متراجع ، منكفىء إلى الوراء 11840 Rétropulsif , ve

١١٨٤١ تراجع ، اندفاع إلى الوراء 11841 Rétropulsion

وأفضل مندفع إلى الخلف في اللفظة الأولى واندفاع إلى الخلف
في الثانية

١١٨٤١ تراجع ، اندفاع إلى الوراء 11842 Rétsopulsion

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ميل الرحم الى خلف
ترجمة له (version of uterus) . وأرجح انقلاب
الرحم الخلفي

11847 Reveil subit , éclosion subite (d'un foyer de maladie)

١١٨٤٧ يَفْظَةُ فُجائية ، انفجار فُجائي (لبؤرة مرض)

وأفضل سَوْرَة فُجائية أو اندلاع فُجائي ، استيقاظ فُجائي
(لبؤرة مرضية)

(للبحث صلة)

(١) لفظة (rétrognathia) في معجم ستديمان الطبي (Stedman ' S)

(Medical Dictionary)

معبد الجهنني

الاستاذ الدكتور يوسف فان اس

« إن أول من تكلم في القدر : معبد الجهنني » . هذا ما يقوله ابن قتيبة في كتابه « المعارف » (١) ، وكثيرون من بعده عبروا عن رأيهم بمثل هذا الإيجاز (٢) . إلا أن أقوالاً جازمة كهذه لا تؤيدها في الغالب إلا الأخبار المتداولة . وغالباً ما يتكرر ذلك الرأي لأنه يلائم أفضل ملائمة الرغبة الشائعة في البحث عن الأوائل (٣) . فإذا ما أردنا المزيد من الدقة في البحث ، تبينت لنا ضالة المعلومات التي بين يدينا .

كان اسم معبد نفسه موضع شك . فهو معبد بن خالد ، كما يقول خليفة بن خياط في كتابه « الطبقات » (٤) ، أو معبد بن عبد الله بن

(١) ص ٤٨٤ س ٧ (تحقيق عكاشة)

(٢) ابن الأثير « الكامل » ج ٤ ص ٣٦٧ س ١١ (Tornperg) / ج ٤ ص ٤٦٥ س ١١ والذي يليه (بيروت ١٣٨٥ / ١٩٦٥) ؛ الذهبي « الميزان » رقم ٨٦٤٦ ؛ ابن حجر « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٢٢٥ السطر قبل الأخير .

(٣) قارن ما كتبه F. Rosenthal في هذا الفن الأدبي في Ei ط ثانية ، باب Awā'il

(٤) رقم ١٧٣٢ (ص ٥٠٣ زكار) .

عكيم ، كما يقول ابن حزم في « جمهرة أنساب العرب » (١) ، أو معبد ابن عبد الله بن عليم ، كما يقول ابن تغري بردي في « النجوم الزاهرة » (٢) . وهو أيضاً معبد بن خالد أو معبد بن عبد الله بن عويمر ، كما يقول البخاري في « التاريخ الكبير » (٣) أو السمعاني في « الأنساب » (٤) ، ومعبد بن عبد الله بن عكيم أو معبد بن عبد الله بن عويم ، كما يقول ابن حجر في « تهذيب التهذيب » (٥) . وهكذا يبدو أن اسمه ينحصر في شكلين أساسيين يميز اسم الأب بينهما : في الشكل الأول (معبد بن خالد) لا يذكر اسم الجد ؛ وفي الشكل الثاني (معبد بن عبد الله) يبدو اسم الجد نفسه قابلاً للجدل أيضاً ، إما بسبب ارتباك المؤلفين أنفسهم أو بسبب نقص في الروايات المتأخرة .

ويمكن الفصل بينهما بالتنقيب في بعض المصادر . صحيح أن البخاري (توفي عام ٢٥٦/٨٧٠) قد عجز عن تفضيل شكل على آخر في الفقرة المذكورة أعلاه ، وचार ابن أبي حاتم الرازي (توفي عام ٣٢٧/٩٣٠) في أمره (٦) ، إلا أن هذا الأخير قد ميز القديري تمييزاً واضحاً عن شخص آخر من الصحابة يدعى معبد بن خالد ، توفي سنة ٦٩١/٧٢ عن عمر يربو على الثمانين عاماً (٧) . ولقد انضم إلى هذا الرأي ابن عبد البر (٨) وابن

(١) ص ٤٤٥ س ٤ والذي يليه (هارون)

(٢) انظر الصفحات التالية من هذا المقال .

(٣) ج ١ ، ص ٣٩٩ السطر الأخير والذي يليه

(٤) ج ٣ ص ٤٤١ س ٥ وما بعده (المعلي)

(٥) ج ١٠ ص ٢٢٥ س ٩ والذي يليه

(٦) « الجرح والتعديل » ج ٤ ، ص ٢٨٠ رقم ١٢٨٢

(٧) المرجع نفسه ج ٤ ، ص ٢٧٩ رقم ١٢٧٦

(٨) « الاستيعاب » رقم ٢٤٤٢ (س ١٤٢٦ ، بجاري)

الأثير^(١) ، كذلك عبر ابن حجر عن رأي مماثل (٢) . إن هذه الآراء ليست ، والحق يقال ، سوى مجرد استنتاج لباحثين متأخرين . لذا فنحن غير مضطرين للأخذ بها ، إلا أنها تصبح أكيدة إذا ما حاولنا القيام بما قام به مؤرخو القرون الوسطى من تحليلات معتمدين على مراجعهم الأساسية نفسها . فكثيراً ما يردد الواقدي اسم معبد الصحابي . ويقال إنه واحد من الرجال الأربعة الذين حملوا راية جهينة واشتركوا في فتح مكة في عام ٦٣٧/٨ (٣) . أما البخاري فيروي أن مالك بن دينار (توفي عام ١٢٧ / ٧٤٤) الذي كان تلميذا لمعبد القدري في البصرة ، قد اجتمع بمعبد في مكة بعد فتنة ابن الأشعث ، وأن هذا الأخير كان جريحاً لاشتراكه في القتال ضد الحجاج^(٤) . وهذه الرواية لا تتفق وما نعرفه عن الصحابي . ففتنة ابن الأشعث قد وقعت ما بين عامي ٨١ و ٨٣ هـ (٥) ، وأما معبد ابن خالد فكان قد توفي قبل ذلك بعشر سنوات .

(١) « أسد الغابة » ج ٤ ص ٣٩٠ س ١٥ والذي يليه

(٢) « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٢٢٣ س ١

(٣) قارن « المغازي » ص ٨٠٠ السطر الأخير ، و ص ٨٢٠ ص ٥ وص ٨٩٦ س ٥ من تحت (Jones) . من المحتمل أن يكون عمره قد استنتج بمقارنة هذا الخبر وتاريخ وفاته . ومن جهة أخرى فقد جاء في نفس هذا المرجع أن كنيته كانت « أباروعة » وليس أبو رغو ، كما ورد في طبعة « الجرح والتعديل » . (قارن « المغازي » ص ٥٧١ س ١١) . لمعلومات أخرى عنه قارن المرجع نفسه ص ٩٤٠ س ١١ والذي يليه ، وص ١٠٣٨ س ١٢ وما بعده .

(٤) البخاري « التاريخ الكبير » رقم ١٧٤٥ (ج ٤ ، ١ ص ٣٩٩ س ١٤ وما بعده

(٥) قارن E i ط . ثانية تحت اسم Ibn al-Ash' ath

يغلب على الظن بالنظر لما تقدم أنه ليست هويته وحدها هي التي لا تتفق مع هوية الصحابي ، وإنما شكل اسمه لا يتفق إطلاقاً مع اسم معبد بن خالد . فلربما وقع تشويش بين الاسمين لأن الرواة لم يحسنوا الفصل بين الشخصين . وإن ما ورد في رواية متأخرة لابن تغري بردي في كتابه « النجوم الزاهرة » لا يبغي مجالاً للشك . ففي لائحة المتوفين عام ٨٠ ، يذكر المؤرخ اسم سعيد بن عبد الله بن عليم الجهني الذي أمر عبد الملك بصلبه بسبب آرائه القدرية ^(١) . والشخص المشار إليه هو أخ لمعبد ، ولا نعرف شيئاً عنه غير هذا ^(٢) . وهكذا تتأكد هويته ، لأن اسم معبد ذكر في السنة نفسها تحت اسم معبد بن عبد الله بن عليم ، فالاسمان متطابقان تماماً ، وكذلك الإشارة إلى سبب الوفاة . وتقول الرواية إنه قتل على يد الحجاج - أو على يد عبد الملك في الشام ، حسب رواية أخرى ^(٣) - إلا أن معبدا يظهر مرة أخرى ، بأسمائه نفسها ، ولكن في عام ٨٣ ، فتذكر وفاته ، إنما دون الإشارة إلى أسبابها ^(٤) . فيكون ابن تغري بردي قد استقى من مصدرين دون أن يلاحظ التناقض بينهما : المرجع الأول الذي يعود إليه بالنسبة إلى عام ٨٠ هو كتاب « تاريخ مصر »

(١) قارن « النجوم الزاهرة » (ط. القاهرة) ج ١ ص ٢٠٠ س ١٤ وما يليه .

(٢) إن كتب الطبقات لا تشير إليه . ولم يكن من المحدثين . فسعيد بن عبد الله الجهني الذي ورد ذكره عند ابن حجر (« تهذيب التهذيب » ج ٤ ص ٥٢) لا يمكن أن يكون هو نفس الشخص ، لأن عبد الله بن وهب الذي يقال إنه كان يأخذ عنه قد ولد في عام ١٢٥ / ٧٤٣ . (قارن Sezgin , GAS ج ١ ص ٤٦٦)

(٣) المرجع نفسه ج ١ ص ٢٠١ س ٩ والذي يليه

(٤) المرجع نفسه ج ١ ص ٢٠٦ س ١٦ وما بعده .

لسعيد بن كثير بن عفير (١٤٦ / ٧٦٣ - ٢٢٦ / ٨٤٠) أحد أكبر معاصري خليفة بن خياط سنأ^(١) . والمرجع الثاني بالنسبة لعام ٨٣ فمن المرجح أنه المذهبي^(٢) . ومن الواضح أن التاريخ الأخير وحده يمكن أن يكون صحيحاً ، إذا ما كانت « الآراء القدرية » تعني بالفعل الاشتراك في فتنة ابن الأشعث . صحيح أن كثيرين قد اعتمدوا على العام ٨٠ كمرجع في رواياتهم^(٣) ، ولكن يصح تفسير ذلك على أنه استقاء سطحي لمعلومات في آثار تاريخ قديمة ، كتلك التي لخليفة بن خياط ، والتي دوت فيها معبداً في عداد المتوفين ما بين عامي ٨٠ و ٩٠ هـ^(٤) .

يتضح من كل ما تقدم أن كتلاً من اسم معبد وتاريخ وفاته قد حقق بعض التأكيد . ويمكن إضافة بعض القول إلى هذين الأمرين : فكما أسقطنا معبد بن خالد الصحابي من بحثنا ، كذلك يجب إسقاط معبد بن عبد الرحمن الخارجي ، الذي أراد W.M.Watt أن يساويه بمعبد أول القدرين^(٥) . إن أب الثائرين معبد وأخيه قد عاصر النبي ، كما يذكر ابن حزم^(٦) . وانطلاقاً من هذا ، نرى أن عقدة الخطأ

-
- (١) المرجع نفسه ج ١ ص ٢٠٠ س ١٦ . قارن GAS ٣٦١/١ .
 (٢) ابن تغري بردي يأتي بدليل على قصة دومة الجندل التي وردت عند الذهبي (انظر الصفحات التالية من هذا المقال) .
 (٣) كما جاء مثلاً عند الياضي « مرآة الجنان » ج ١ ص ١٢٦ س ١ والذي يليه ، أو ابن العماد « شذرات الذهب » ج ١ ص ٨٨ س ٧ والذي يليه استناداً إلى المصدر نفسه .
 (٤) قارن خليفة « تاريخ ... » ص ٤٠١ س ١
 (٥) قارن W.M.Watt , Free will and Predestinatioin ص ٥٣ والتي تليها .
 (٦) قارن « جبهة أنساب العرب » ص ٤٤٥ س ٤ والذي يليه .

في كتابة اسم الجلد بأشكاله الأربعة ، أخذت تتجائل وتنحصر في شكل واحد هو عكيم . فلم يُذكر بالآثار المتعلقة بالموضوع إلا اسم واحد فقط وهو اسم عبد الله بن عكيم^(١) . وفي الحديث عن الأب لانجبد إشارة مباشرة إلى ابنه هذين . وهذا أمر يكاد لا يكون متوقعاً . ومع ذلك فقد كان يُكنى بأبي معبد . كان يقيم في الكوفة ، بينما كان ابنه يقيم في البصرة والحجاز ، على ما يبدو . أما ابن المرتضى فيعتبر معبدًا من أهل المدينة المنورة^(٢) . وكان بعض أهل السنة المتأخرين يدعون أنهم يعرفون عنه أنه نشر آراءه فيها^(٣) .

من المعلوم أن معبدًا وأخاه لم يكونا وحدهما أبرز ضحايا الحجاج بعد فشل الفتنة . فقد لجأ كثيرون مثلها إلى الحجاز . أمّا مكان إعدامها فقد كان مدينة دمشق^(٤) ، كما رأينا ذلك في تاريخ سعيد بن كثير

(١) قارن ابن سعد « الطبقات » ج ٦ ص ٧٧ وما بعدها ، ابن عبد البر « الاستيعاب » رقم ١٦١٠ ، ابن الأثير « أسد الغابة » ج ٣ ص ٢٢٦ س ٨ من تحت ، ابن حجر « الإصابة » رقم ٤٨٢٢ (وبالطبع أيضاً رقم ٦٣٣١ ثم علم) .

(٢) « طبقات المعتزلة » ص ١٣٣ س ٩ (Diwald - wilzer) .

(٣) قارن الخبر في كتاب الشريعة لأبي بكر الآجري (تحقيق محمد حامد الفقي ، القاهرة ١٣٦٩ / ١٩٥٠ ص ٢٤٣ س ٣ وما بعده) . ينسبها أنس بن عياض من أهل المدينة (عاش ما بين ١٠٤ / ٧٢٢ و ٢٠٠ / ٨١٥) إلى الفقيه عبد الله بن يزيد بن هرمز من أهل المدينة أيضاً ، الذي كان يعتبر مرجعاً في « الأهواء » (قارن الشيرازي « طبقات الفقهاء » تحقيق عباس ، ص ٦٩ س ٨ وما بعده) بالرغم من صغته هذه فإنه من المشكوك فيه جداً أن يكون قد تفوه بما قيل عنه (انظر الحاشية ١٧٥) .

(٤) وأيضاً ابن عساكر ، حسب المصدر نفسه ، في « تاريخ دمشق » ، ترجمة معبد غير المطبوعة ، قارن إلى ذلك ابن حجر « تهذيب التهذيب » ص ٢٢٦ س ٥ من تحت وما يليه .

بن عفير . ويتدعي محمد بن زياد الألحاني من سكان حمص^(١) ، أنه ،
 فيما كان في المسجد ، شاهد معبداً يساق إلى الخليفة^(٢) . وهذا يعني أن
 عبد الملك ربما كان مسؤولاً عن إعدامه . وتأخذ الروايات الدمشقية
 بحراها معتمدة على هذا الافتراض أيضاً^(٣) . ففي الواقع ، كان على عبد
 الملك ان يتدخل في الأمر ، إذا صح ما قيل من أنه قُبِيض على معبد
 في الحجاز . وليس هناك من مبرر معقول أن يُنقل هذا الأخير إلى البصرة

ومع ذلك ، فمسؤولية إعدامه تُلْقَى ، بصورة عامة ، على عاتق
 الحجاج^(٤) . ولقد قيل إنه عاقب معبداً د بأصناف العذاب^(٥) . ولا
 ينبغي أن نرى في هذا القول أكثر من تفسير عن حكم متشرع ،
 فالحجاج كان قد أخذ فتنة ابن الأشعث . وأما ما جاء في الأخبار أنه
 عاقبه د بأصناف العذاب ، فما ذلك إلا جزء من الروايات العديدة التي
 تقول إن معبداً قد تحمّل كل أنواع العذاب دون شكوى ، وإنه لم
 ينهر إلا عندما انتقضت عليه أسراب الذباب . فأدرك عند ذلك أن الله
 قد تحمّل عنه بعد ما نبذته السلطة الدنيوية . وبما لاشك فيه أنه لا ينبغي أن

(١) بالنسبة إليه قارن الذهبي « الميزان » رقم ٧٥٤٤ ، ابن حجر
 « تهذيب .. » ج ٩ ص ١٧٠

(٢) قارن ترجمة معبد في « تاريخ دمشق » .

(٣) قارن ترجمته في « تاريخ دمشق » . إن أصل الخبر يعود إلى يحيى
 ابن يحيى الغساني (توفي عام ١٣٥ / ٧٥٣ ، انظر الصفحات التالية من هذا المقال
 س) .

(٤) قارن مثلاً السمعي « الانساب » ، (حيدر آباد) ج ٣ ص ٤٤١
 س ٨ والذي يليه ، الذهبي « تاريخ الإسلام » ج ٣ ص ٣٠٦ س ٤ وما بعده .
 (٥) الذهبي ، المرجع نفسه حسب خبر في « تاريخ دمشق » .

في الأمر أكثر من قصة متأخرة مختلفة . وليس من باب الصدفة أن تُعزى إلى صدقة بن يزيد الخرماني الذي كان يقيم في الرملة من أعمال فلسطين والذي ربّما لم يشهد هذا الحدث بنفسه^(١) . وتذكر بعض الروايات في مناسبات أخرى أن معبدًا مات مصلوبًا^(٢) . ويروى الشيء نفسه كما رأينا عن أخيه سعيد^(٣) . وفي الواقع ، كثيراً ما يماقّب مشيرو الفتنة بهذه الطريقة استناداً إلى سورة المائدة آية ٣٣^(٤) .

(١) قارن الذهبي « الميزان » رقم ٣٨٨٢ . من المحتمل ألا يكون في الأمر سوى تصور سائد ليس إلا . يقال أيضاً إن غيلان الدمشقي قد سئل عند إعدامه بسخرية قاسية إذا كان الذباب الذي يعذبه ليس مقدراً هو أيضاً . والمقصود ، كما تدعي الروايات ، أنه ظل مصراً على موقفه . (قارن ترجمته في « تاريخ دمشق » ، مخطوطة الظاهرية رقم ٣٣٨٠ ج ١٤ ص ٩٣ ب) . يبدو أنه كان للجبريين حجة ثابتة يرجعون إليها دوماً كما في هذه المناسبة ، وهي أن الذباب نفسه ، على الرغم من قفاهته ، لا يحوم إلا بعلم من الله وإرادته . ويروى عن عمر بن عبد العزيز أنه أكد ذلك في مناقشة مع غيلان الدمشقي (قارن « تاريخ دمشق » ، المرجع نفسه ق ١٩٣ س ١٩ ، وكذلك الآجري في كتاب الشريعة ص ٢٣٢ س ٥ وما بعده) . بشأن التحويلات المختلفة عن هذا التصور ، قارن القصة عند الآجري « الشريعة » ص ٢٠٢ س ٣ وما بعده والسطر الأخير من ص ٢١٢ وما بعده .

(٢) كما عند سعيد بن كثير بن عفير ، قارن الذهبي « تاريخ .. » ج ٣ ص ٣٠٦ س ٩ والذي يليه والمقريري « خطط » ج ٤ ص ١٤١ س ٨ من تحت وما بعده .

(٣) انظر الحاشية ١ ص ٢٨٢ من هذا المقال وما يليها .

(٤) قارن الأمثلة لدى O . Spies , uber die kreuzigung in Islam في Religion und Religionen وهو كتاب تذكاري لـ G . Mensching ، بون ١٩٦٧ ، ص ١٥٠ وما قبلها وما بعدها .

لم تردنا أخبار كافية عن دور معبد أثناء الفتنة . ولكن ما من شك في أنه أيدها تأييداً شديداً - وذلك منذ بدئها حتى نهايتها ، على ما يبدو . لقد كان على اتصال بالحسن البصري وبالزاهد عطاء بن يسار الهلالي المدني (توفي عام ١٠٣ / ٣ - ٧١٢ أو عام ١٠٤ / ٣ - ٧٢٢ عن ٨٤ سنة) . جاء في إحدى الحكايات المشهورة أن هذين الأخيرين كانا متفقين معه في استيائهما من حكم الامويين وشدة الحجاج^(١) . إلا أن الحسن لم يؤيد ، على العكس منه ، قيام فتنة . مسلحة ضد السلطة^(٢) وأما ما رواه الذهبي من أن الحسن كان ، في بادئ الأمر ، يعتبر معبداً صاحب بدعة^(٣) ، فهو بالتأكيد اختلاق متأخر . لقد أحرز معبد سمعة طيبة بسبب دينه وتقواه^(٤) ، أثناء أقامته في البصرة . ولذا فمن الأكيد أنه أقام فيها مدة طويلة حتى قبل وقوع الفتنة .

في هذا الوقت كان معبد قد تقدم في السن . وما يروى عنه أنه كان يقيم في دومة الجندل عام ٣٨ / ٦٥٨^(٥) بحيث اجتمع المحكّمات

(١) قارن ابن قتيبة « المعارف » ص ٤٤١ ، س ٧ وما بعده (عاكشة) .
(٢) كذا وردت في الأخبار المعروفة . إذا استطعنا تصديق ابن النديم فإنه يكون قد قدم البيعة فعلاً لابن الأشعث . (قارن « الفهرست » ، ترجمة Dodge ص ٣٨٢) .

(٣) « تاريخ الإسلام » ج ٣ ص ٣٠٥ س ٥ من تحت وما بعده ، وكذلك كتاب « الشريعة » للأجري ص ٢٤٣ س ١٢ وما بعده وص ٢٤١ س ١٢ وما بعده (حسب الثريائي ، توفي عام ٣٠١ / ٩١٣ في كتابه « القدر » على وجه الاحتمال . قارن GAS ١ / ١٦٦) .

(٤) المرجع نفسه ج ٣ ص ٣٠٥ س ١١ وما بعده ، انظر كذلك الصفحات التالية من هذا المقال .

(٥) قارن Ei ط . ثانية ج ٢ / ٦٢٥ ب تحت اسم (Dumat al - Djandal)
و ج ١ ص ٣٨٤ والتي تليها (تحت اسم Ali b . Abi Talib) .

للتشاور بعد موقعة صفّين . ولربما أنه كان على علاقة « بالقرّاء » في ذلك الوقت ، فيقال إنهم رجوه أن يخاطب ضمير المحكّمين . فتردّد بادية الأمر بقبول المهمة ، لأن قلوب بني قريش « أقفلت بأقفال الحديد » . وعندما بدأ بتنفيذها ، تبّين له أن أبا موسى الأشعري قد تخلى عن سيده عليّ . أما عمرو بن العاص فقد رفضه بتكبر . ولقد وضع هذه الرواية عبد الملك بن عمير اللخمي الكوفي (توفي عن عمر طويل عام ١٣٦ / ٤ - ٧٥٣)^(١) . وليس هنالك من شك في المصدر العراقي لها ، حتى ولو لم تكن على معرفة براويها . إنها ضدّ الأمويّين ولصالح العلويّين ، ففيها ينظر الى القريش على أنهم أشرار . ولم يكن الأشعري أحد المحكّمين ، منهم — . أما عمرو بن العاص ، ممثّل معاوية ، فيوصف بأنه متكبر متعال . وأما عليّ فيخونه أقرب المقربين إليه . إن هذه الرواية واردة في كتاب « تاريخ دمشق » لابن عساكر . وقد أخذها عنه الذهبي على ما يظهر^(٢) . ومن المحتمل أن تكون محرّفة . إلا أن هذا الأمر لا يغيّر شيئاً في بحثنا ، فهي تظهر أن سمعة معبد كانت ما تزال طيّبة في الكوفة — حيث كان قد أقام والده — حتى في النصف الأول من العام الثاني للهجرة . وتُظهر بالإضافة إلى ذلك أن الناس كانوا يقدّرون سنّه تقديرأ كبيرأ لدرجة أنه كان يحقّ له أن يحضر مشاورات دومة الجندل . وهذه الرواية تشترط علماً مسبقاً أن طرفي المشاورات ، عندما التقيا في هذه المرة الأولى^(٣) ، كان متفقين على سرّيّة

(١) قارن الذهبي « الميزان » رقم ٢٣٥ هـ

(٢) « تاريخ الإسلام » ج ٣ ص ٣٠٤ س ٧ من تحت وما بعده .

(٣) قارن E. ط . ثانية ، المرجع نفسه .

المباحثات^(١) . وعليه فينبغي أن تكون ولادة معبد قد حصلت في عام ٦٤٠/٢٠ على أبعد تحديد . ولا صعوبة في أثناء ذلك ، فأبوه كان قد ولد في الجاهلية^(٢) . وما يؤكد ذلك أنه كان يورد عن لسان عثمان (توفي عام ٦٥٦/٣٥) حديثاً مباشراً^(٣) ، بينما كان يورد عن عمر (توفي عام ٦٣٤/١٣) حديثاً مرسلًا^(٤) ، دون الاتصال به شخصياً . ولربما قد يكون قد تجاوز الستين عند وفاته . فتقدمه في السن قد يفسر أثره في البصرة . أما الحسن البصري فقد كان أصغر منه سنّاً بكثير . ليس من المستبعد أن يكون عبد الملك بن عمير قد عانى بروايته معبدًا الآخر ، أي الصحابي ، أو أن يكون هو نفسه قد خاطب بين الرجلين . إلا أن هذا الافتراض يبدو ضعيف التصديق لورود شهادات أخرى تشير إلى شهرة معبد المبكرة ، والتي لا يمكن إلصاقها بمعبد الصحابي الذي يحمل نفس الاسم . فمن الواضح أن علاقته بماوية كانت أوثق مما يظن^(٥) . وما يروى أن عبد الملك استدعاه إلى دمشق ليوفده كمبعوث إلى البلاط البيزنطي ، كما طلب منه في ذلك الوقت أن يقوم بتربية ابنه سعيد^(٦) . ومن المرجح أن ذلك جرى بين عامي ٦٩/٩ -

(١) قارن نصر بن مزاحم ، في كتاب « وقعة صفين » ص ٦١٩ س ٢ (هارون) .

(٢) قارن ابن سعد « الطبقات » ج ٦ ص ٧٧ س ١١ والذي يليه .

(٣) انظر ص ٢٩٧ وما بعدها من هذا المقال .

(٤) كما في « تاريخ دمشق » .

(٥) انظر ص ٢٩٣ و ٢٩٨ من هذا انقال .

(٦) قارن « تاريخ دمشق » ، كذلك أوفد عبد الملك المؤرخ الشعبي (توفي

عام ٧٢١/١٠٣) في مهمة مماثلة إلى بيزنطية . (قارن GAS ١ / ٢٧٧) .

٦٨٨ و ٧٣ / ٣ - ٦٩٢ . ففي عام ٦٩ / ٩ - ٦٨٨ كان الخليفة قد عقد معاهدة صالح لعشر سنوات مع ملك الروم ، ولم تلبث أن نُقضت تلك المعاهدة سنة ٧٣ / ٣ - ٦٩٢ (١) . ومن جهة أخرى فإن عبد الملك لم يستعد نفوذه في العراق إلا في عام ٧٢ / ٦٩١ بعدما انهارت سيادة الزبيريين . وهكذا نستطيع أن نصيِّق فارق الزمن ونجمله بين عامي ٧٢ / ٦٩١ و ٧٣ / ٣ - ٦٩٢ . وإذا سلّمنا أن هناك رواية ثانية (٢) تقول إن عبد الملك قد طلب من الحجاج أن ينصحه بالمرشح المناسب لهذا المنصب ، فهذا لا يفترض أن يكون الحجاج قد أصبح والياً على العراق . (الأمر الذي قد يوصلنا الى العام ٧٥ / ٦٩٤) . وهذا بالتأكيد خطأ محتمل . ومهما كان الأمر ، فإنه قلّما نستطيع أن نفكر هنا بمعبد بن خالد الصحابي . فهو قد توفّي عام ٧٢ / ٦٩١ بعد أن تقدم في السن . وبالإضافة إلى ذلك ، فإننا نجد في الرواية الآتفة الذكر إشارة إلى مسألة خلاف فقهية ، ارتبط حلها ، حيثما وجد ، ارتباطاً وثيقاً باسم معبد القدري أيضاً (٣) .

(١) راجع Gibb (في EI ط. ثانية تحت اسم Abdal - Malik)
 (b . Marwan) ، وذلك بسبب النقد الجديد الذي لم تعترف به بيزنطية إلا أن
 G . Rotter لفت نظري إلى أنه حسب المستندات التي لدى

J . Walker ' Catalogue of The Arab - Byzantine and
 Post - Reform Umayyad Coins . (London 1956)

فإن السبب المذكور أعلاه لم يؤيد بأية أدلة داعمة . (ص ٤٥ والتي تليها
 بالأرقام الرومانية) .

(٢) في « تاريخ دمشق » أيضاً .

(٣) انظر ص ٢٩٣ من هذا المقال فيما يتعلق بالمسكتات .

ونجد شواهد أخرى على اضطلاع بتربية ابن عبد الملك ، في غير هذا المكان . فها البلاذري^(١) والجاحظ^(٢) يشيران إليها مما بدورهما بشكل مقتضب . كذلك يذكرها ابن عساكر مرة أخرى مأخوذة عن كتاب « الدولتين » لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن ربيعة بن زبّر (توفي عام ٣٢٩ / ٩٤٠) ، وهو أحد القضاة الدمشقيين ، وقد أقام في بغداد زمناً طويلاً^(٣) . إلا أن هذا المنصب لم يدم طويلاً . فلا بد لنا أن نخصّص بعض الوقت لنشاط معبد في البصرة قبل أن تمتد إليها فتنة ابن الأشعث . وإذا افترضنا أن معبداً قد كشف عن شخصيته كقدري أثناء إقامته في البلاط الأموي ، فإن ذلك ما كان ليضرّ بسمعته . حقّاً إن زميله إسماعيل بن عبيد الله بن أبي مهاجر الذي توالى تربية باقي أبناء الخليفة قد انتقده على آرائه^(٤) ، حسبما تقول بعض الروايات . إلا أننا لا نعرف هل حصل ذلك الانتقاد أيام قيامه بوظيفته . وإذا ما افترضنا حصول مثل هذا الانتقاد ، فإن الأمر لا يعدو كونه مجرد تعبير عن رأي

(١) « أنساب الأشراف » (قارن Anonyme arabische chronik تحقيق Ahlwardt ص ١٩٦ س ١٢ والذي يليه .

(٢) « البيان والتبيين » ، (هارون) ج ١ ص ٢٥١ س ٥ والذي يليه .

(٣) قارن « تاريخ بغداد » ج ٩ ص ٣٨٦ والتي تليها . وأيضاً F. rosenthal في History of Muslim Historiography ص ٥١٢ . لقد عثر ابن عساكر على كتاب ابن زبّر ، وكان قد نقحه ابنه أبو سليمان محمد بن عبد الله بن زبّر (توفي عام ٣٦٩ / ٩٨٩ . قارن GALS ٢٨٠ / ١) .

(٤) قارن بدران « تهذيب تاريخ دمشق » ج ٣ ص ٢٦ س ٥ والذي يليه .

شخصي . إن المسألة القدرية لم تكن بعد موضوعاً يثير الاهتمام . ولقد اتسمت خلافة عبد الملك آنذاك بمحاولتها تخفيف حدة التناقضات الدينية قدر الإمكان^(١) . وبما يروى أن الخليفة أوعز إلى إسماعيل بن عبيد الله المذكور آنفاً أن يربّي أبناءه تربية خلقية فاضلة^(٢) . ومن المفروض أنه كان يتوقع الشيء نفسه من المناضل الثوري العتيد . وبما يسترعي الانتباه أن سعيد بن عبد الملك ، ذلك الابن الذي ربّاه معبد ، قد أظهر فيما بعد ميلاً واضحاً الى التقشّف . وكان الوحيد بين أبناء عبد الملك الذي سلك هذا المسلك . ولقد عرف باسم سعيد الخير^(٣) .

(١) قارن علاقته بالخوارج القمّعة (راجع R. Rubinacci في AIUON ١٩٥٤/٥ ص ٩٩ وما بعدها) واتفاقه مع حسن بن محمد بن الحنفية العلوي (راجع W. Madelung ' Der Imam el — Qasim B.Ibrahim ص ٢٢٩) الخ .. كما أن الحجاج لم يعلن عداوه للقدرين منذ أول الأمر . فلقد ظل مدة طويلة يكنّ بعض الاحترام للحسن البصري ؛ ووجد عنده معبد ، كما يقال ، القبول والرضى عندما شرح له الدواعي التي أدت به الى اعتناق القدرية (انظر ص ٢٩٨ من هذا المقال) .

(٢) راجع Anonyme Chronik (البلاذري) ص ١٩٦ س ٨ وما بعده . (٣) قارن « تهذيب تاريخ دمشق » ج ٦ ص ١٥٣ وما بعدها . الزبير « نسب قريش » ص ١٦٥ س ٥ والذي يليه . يقرأ الخير (وليس الخير) قارن الذهبي « المشتبه » ص ٢٧٥ س ٤ من تحت (البجاوي) . سقط سعيد في القتال ضد العباسيين في عام ١٣٢/٧٥٠ أي بعد وفاة هشام بسبع سنوات . وكان هشام قد أصبح خليفة مع أنه كان أصغر أخوته سناً . أنشأ سعيد نهر سعيد بالقرب من الرقة في أيام الوليد (فارن باقوت « معجم البلدان » ، انظر تحت اسم نهر سعيد) . ولم تكن تحق له الخلافة لأنه كان ابن جارية .

يبدو أن سمعة معبد كانت تتركز على سمعة علم لا جدل فيها . فقد جاء في كتاب « تاريخ دمشق » أن عبد الملك قد طلب منه رأيه في مسألة خلاف فقهية تتعلق بوضع المكاتب^(١) . ووردت فتواه فيها للمرة الثانية في مكان آخر ، وذلك في كتاب « شرح معاني الآثار » للطحاوي^(٢) . إلا أنها جاءت في صيغة مختلفة : ففي الكتاب المذكور يستشهد معبد بقرار للخليفة عمر يطابق في مضمونه ما أجمع عليه في معالجة مسألة الخلاف الفقهية التي عرضها عبد الملك . أما في « تاريخ دمشق » فإنه ، على عكس ما تقدم ، يرفض ذلك رفضاً قاطعاً لصالح حكم مختلف صادر عن معاوية . وفي هذا تنعكس لنا ، كما في حالات أخرى متعددة ، صورة الخلاف بين المذاهب الفقهية المتأخرة . فليس من السهل في الوقت الحاضر أن نثبت بشكل مقنع كيف أخذت هذه الرواية طريقها إلينا .

هناك بعض القرائن تدل على أن الرواية الأخيرة التي تحتوي الأولى فتدحضها ، قد اطلقت عمداً ضد سابقتها . فهي إذاً قد جاءت بعدها . غير أنه يمكننا القول على عكس ذلك ، أن النصف الثاني من الرواية التي أوردها الطحاوي والتي جاء فيها حكم معاوية ينقض قرار عمر ... نقول ربما يكون هذا النصف من الرواية قد أسقط عمداً . فمن الثابت أن الاستشهاد بمعاوية يعود إلى رواية قديمة . إلا أنه يفترض — على

(١) فارن Das Kitab an - Nakt des Nazzam ص ٦٠ وما يليها .

(٢) ج ٣ ص ١١١ س ٨ من تحت . (تحقيق جواد الحق ، القاهرة

العكس من كل التصورات المتأخرة - تصويراً لمعنى السنة يلائم الزمن . ومن المؤكد أنه لم يمض وقت طويل حتى رأى الناس في هذه الرواية تقدماً لمعاوية على عمر . وإنه لذو مغزى أن تنتهي الرواية في كتاب « تاريخ دمشق » بملاحظة تقول إن عبد الملك نفسه قد دهش من وجهة نظر معبد في المسألة ومن مقامه أيضاً - . وعلاوة على ذلك فإنه لم تقم أية علاقة مباشرة بينه وبين عمر . ولا غرو ، إذا ما راجعنا سيرة حياته ، أن يكون قد عرف الشيء الكثير عن معاوية أو أنه لربما كان من المقربين إليه . لقد حفظت هذه الرواية في البصرة ، ووردت عند الطحاوي في إسنادٍ قديري (١) . ومهما كان الأمر ، فإن الخلاف يعطينا دليلاً واضحاً على مكانة معبد الحقيقية ونفاذ كلمته في الأمور الفقهية حتى في الأزمنة المتأخرة .

عرف معبد بسعة اطلاعه على الحديث . فقد قال عنه يحيى بن معين (عاش ما بين عامي ٧٧٥/١٥٨ و ٨٤٧/٢٣٣) ، أحد الملمين المشهورين بسير المحدثين والذي لم يعرف بصداقته للقديريين ، إنه جدير بكل ثقة (٢) . ومثل هذا الكلام قاله إبراهيم بن يعقوب السعدي الجوزجاني الدمشقي

(١) قتادة (توفي عام ٧٣٥/١١٧ أو ٧٣٦/١١٨) < سعيد بن أبي عروبة

مهران العدوي (توفي عام ٧٧٦/١٥٠ . قارن بحثي Zwischen Hadit und Theologie

(برلين ١٩٧٤) ، ص ٦٣

(٢) قارن ابن حجر « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٢٢٥ السطر الثاني

ما قبل الأخير والذي يليه .

(توفي عام ٢٥٩/٨٧٣) (١) . أما الحسن البصري (توفي عام ١١٠ / ٧٢٩) وتلميذه قتادة (توفي عام ١١٧/٧٣٥ أو عام ١١٨/٧٣٦) فكانا يأخذان عنه . كذلك فعل سعيد بن إبراهيم حفيد عبد الرحمن بن عوف ، قاضي المدينة (توفي عام ١٢٥ / ٧٤٣ وربما بعد هذا التاريخ) .

ونذكر بالإضافة إلى ذلك زيد (٢) بن ربيع (٣) ومعاوية بن قرة (٤) (البصري توفي عام ١١٣/٧٣١) وعبد الله بن فيروز الداناج (٥) ، وعوف ابن أبي جميلة الأعرابي (توفي عام ١٤٦/٧٦٣ أو عام ١٤٧/٧٦٤) (٦) . وأخيراً نذكر النحوي يحيى بن يعمر الليثي (٧) . ويظهر أن يحيى بن دينار قد جمع أحاديثه (٨) . وحسب المصادر التي بين أيدينا ، يمكن أن نعتبر ثلاثة من هؤلاء ، أي الاثنين الأولين وعوفاً الأعرابي ، من القديسين .

(١) قارن GAS ١/١٣٥ . فيما يتعلق بهذا الرأي راجع الذهبي « تاريخ الاسلام » ج ٣ ص ٣٠٥ س ١١ ومابعده (حسب « تاريخ دمشق ») .

(٢) في الطبع خطأ : يزيد .

(٣) قارن ابن أبي حاتم « الجرح والتعديل » ج ١ ، ص ٢٠١ ، ص ٥٦٣ . ابن حجر « لسان الميزان » ج ٢ ص ٥٠٦ والتي تليها .

(٤) قارن ابن حجر « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٢١٦ ومايليها .

(٥) قارن ابن حجر ، المرجع نفسه ج ٥ ص ٣٥٩ .

(٦) قارن الذهبي « الميزان » رقم ٦٥٣٠ . بخصوص أسماء الرواية قارن ابن حجر « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٢٢٥ س ١٣ ومابعده .

(٧) انظر الصفحات التالية من هذا المقال .

(٨) قارن الذهبي « تاريخ الاسلام » ج ٣ ص ٣٠٤ س ١١ ومابعده . ابن

المرئضي « طبقات المعتزلة » ص ١٣٧ س ٣ والذي يليه (Diwald - Wilzer)

ولربما أيضاً سعد بن إبراهيم^(١) ويحيى بن يعمر . ففي هذا الجيل وبين معاصري عمرو بن عبيد كان تفكير الناس بمقاطعة القدرية أضعف بكثير مما يعرف عن يحيى بن معين . حتى أن سليمان بن طرخان التيمي ، أحد أصحاب الحديث المعروفين بخصوصيتهم^(٢) لعمرو بن عبيد ، روى عن معبد بواسطة رجل مجهول^(٣) .

إلا أن الحال تبدلت فيما بعد . ومن الأكيد أن أحاديث كثيرة قد اضمحلت وتلاشت تحت تأثير التكفير . فإننا لا نجد عند أحد من رواة معبد الذين عرفناهم إشارة إلى هذه العلاقة في ترجمته الخاصة . ومع ذلك فما زال بإمكاننا أن نقع على بعض منها الآن أيضاً . فهناك حديث مصدره مجموعة مالك بن دينار ، ينسبه معبد إلى عثمان بن عفان ويذكر فيه الحمى على أنها حظ المؤمنين من النار ، أي كعقاب زمني لهم على ذنوبهم^(٤) ويظهر هذا الموضوع أيضاً في مكان آخر^(٥) . لكن صحيفة عثمان في مسند ابن حنبل^(٦) لا تشتمل على هذا الحديث . كما لا نقع على أثر له في المجموعات

(١) قارن تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٤٦٥ س ٩ والذي يليه .

(٢) قارن دراستي Traditionistische Polemik gegen Amr b. Ubaid (بيروت ١٩٦٧) ص ٣٩ وما بعدها .

(٣) قارن « السنن » للبيهقي ج ١٠ ص ٣٣٢ س ٩ والذي يليه . (راجع Raddatz في Welt des Islams ١٣/١٩٧١ ، ص ٥٥) .

(٤) قارن ترجمة معبد في « تاريخ دمشق »

(٥) قارن Concordance ج ١ ص ٥٠٧ ب إلى ٨ ٥١ .

(٦) مسند ابن حنبل ج ١ ص ٥٧ وما بعدها تحقيق أحمد محمد شاكر ج ١ ص ٣٢٩ وما بعدها .

الست* المعترف بها^(١) و بروي مالك بن دينار ، بالإضافة إلى ذلك ،خبرين من الاسرائيليات يدعي معبد أنه أخذها عن كعب الأخبار^(٢) بواسطة شخص يدعى أبو العوام ، كان سادناً لبيت المقدس . ويتذكر سعد بن إبراهيم حديثاً نقله معبد عن معاوية^(٣) . وبسبب معبد في مطلع إحدى الروايات مشدداً على أن الخليفة نادراً ما كان يرغب في نقل الأحاديث ، وفي ذلك تلميح ضمني إلى منصبه الجدير بالثقة^(٤) . ونجد عند زيد بن رفيع فتوى تتعلق بمسألة من مسائل الطهارة^(٥) . وهناك حديث آخر عن الطهارة نقله عوف الأعرابي عن معبد ، وقد جاء على لسان حمران بن أبلت ، وكان معبد ينسبه إلى مولاة عثمان^(٦) : ومفاد هذا الحديث أن من يقوم

(١) إنما يمكن مقارنة هذه الرواية برواية مماثلة « في الجامع الصغير » للسيوطي ج ١ ص ١٥٢ س ١١ تحت اسم : الحمى .

(٢) قارن ابن قدامة « كتاب التوابع » ص ٧٩ س ١٠ وما بعده (Makdisi)

(٣) قارن ابن ماجه « الأدب » ٣٦ رقم ٣٧٤٣ (عبد الباقي) .

(٤) قارن مسند ابن حنبل ، الطبعة الأولى ج ٤ ص ٩٢ س ٧ من تحت وما بعده وص ٩٣ س ١٧ وما بعده .

(٥) قارن « تفسير » الطبري (تحقيق محمد وأحمد محمد شاكر) ج ٤ ص ٥٠٥ السطر قبل الأخير وما يليه ، رقم ٦٩٦٦ .

(٦) قارن الذهبي « الميزان » رقم ٢٢٩١ ، ابن حجر « تهذيب التهذيب » ج ٣ ص ٢٤ والتي تليها . لقد كان مؤذن عثمان . (قارن الذهبي « التاريخ » ج ٣ ص ٢٤٦ س ١ والذي يليه)

بالوضوء على الوجه الصحيح ثم يصلي تغفر له جميع ذنوبه (١) . ولم يكن معبد الشخص الوحيد الذي أورد هذا الحديث . فلقد تداوله الناس بأشكال متعددة ، إذ كانوا يسندونه في أكثر الأحيان إلى حمران (٢) . وأحياناً إلى غيره من الثقات (٣) . وبما يسترعي اهتمامنا ، أن معبداً قد استشهد بعثمان للمرة الثانية ، مع أن هذا الأخير لم يكن مرجعاً معروفاً في شؤون الحديث . ففي هذا المجال تتجلى لنا مكانته المرموقة كما تجلت في أخذ الأحاديث عن معاوية ، بالإضافة إلى التزامه السياسي على ما يبدو . ويقال إنه علّل للحجاج اعتناقه للقدرية بحجة أن فساد أهل العراق ، كانوا

(١) قارن « مسند ابن حنبل » الطبعة الأولى ج ١ ص ٦١ س ٣ ومابعده ، تحقيق أحمد ومحمد شاكر وج ١ ص ٣٤٥

(٢) قارن في مسند عثمان عند ابن حنبل الفقرات التالية : ج ١ ص ٥٧ س ١٣ ومابعده / ج ١ ص ٣٣١ رقم ٤٠٠ ، ج ١ ص ٥٧ س ٢٩ ومابعده / ج ١ ص ٣٣٣ رقم ٤٠٦ ، ج ١ ص ٥٨ س ٢٦ ومابعده / ج ١ ص ٤١٥ رقم ٤١٥ ، ج ١ ص ٥٩ س ١١ ومابعده / ج ١ ص ٣٣٩ رقم ٤١٨ ومابعده ، ج ١ ص ٥٩ س ٢٦ ومابعده / ج ١ ص ٣٤١ رقم ٤٢١ ، ج ١ ص ٦٠ س ٢٧ ومابعده / ج ١ ص ٣٤٤ رقم ٤٢٨ ، ج ١ ص ٦٦ س ٤ ومابعده / ج ١ ص ٣٦٥ رقم ٤٧٣ ، ج ١ ص ٦٦ س ١٣ ومابعده / ج ١ ص ٣٦٦ رقم ٤٧٦ ، ج ١ ص ٦٦ س ٢٠ ومابعده / ج ١ ص ٣٦٧ رقم ٤٧٨ ، ج ١ ص ٧٦ س ١٢ ومابعده / ج ١ ص ٣٧٠ رقم ٤٨٣ والذي يليه ، ج ١ ص ٦٨ س ٢ ومابعده / ج ١ ص ٣٧٢ رقم ٤٨٩ ، ج ١ ص ٦٨ س ٢٣ ومابعده / ج ١ ص ٣٧٤ رقم ٤٩٣ ، ج ١ ص ٧١ س ٢٢ ومابعده / ج ١ ص ٣٨٣ رقم ٥١٦

(٣) قارن على سبيل المثال المرجع نفسه ج ١ ص ٧١ س ٣٣ ومابعده وج ١ ص ٣٨٥

يزعمون أن مقتل عثمان كان أمراً مقدراً (١) . وكذلك كان أبوه يُكنى لعثمان محبة كبرى (٢) . وهذا أمر يستوعب الانتباه في الكوفة .

أما في البصرة حيث كان ينزل معبد فإن المدينة كانت تعتبر على كل حال عثمانية (٣) .

ويذكر ابن عساكر وابن الأثير (٤) وابن تغري بردي (٥) عن معبد أنه أورد حديثاً يعرف بحديث الدبّاغ . والمقصود هو المبدأ الفقهي القائل إن الجلود تصبح طاهرة إذا تمّ دبّاغها حسب الأصول الشرعية ، حتى ولو كانت لحيوانات ميتة لم تذبّح حسب تلك الأصول (دبّاغها طهورها) (٦) . إننا لا نقع ، والحق يقال ، في أي مكان من المجموعات المعروفة القديمة على هذا الحديث مرتبطاً باسم معبد . إلا أنه يظهر أحياناً في إسناد ذي طابع بصري محض : فعن سلمة بن محبّق (٧) روى جَوْن

(١) قارن البلاذري « انساب الأشراف » ، مخطوطة استنبول ، رئيس الكتاب رقم ٥٣٨ ج ٢ ص ٢٥٦ س ٢٢ حسب المدائني .

(٢) قارن ابن سعد « الطبقات » ج ٦ ص ٨٧ س ٩ والذي يليه .

(٣) قارن ابن قتيبة « عيون الأخبار » ج ١ ص ٢٠٤ س ١٣ وما بعده ، حسب ملاحظة محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

(٤) قارن « الكامل » ج ٤ ص ٣٦٧ س ١١ (Tornberg) وج ٤ ص ٤٥٦ س ١١ (طبعة بيروت) .

(٥) « النجوم الزاهرة » ج ١ ص ٢٠١ س ٩ والذي يليه .

(٦) قارن Concordance ج ٢ ص ١١٠ ، وكذلك Juynboll ، (Handbuch Des Isl . Gesetzes (Leiden - Leipzig 1910) ص ١٧٣ .

(٧) قارن ابن عبد البر « الاستيعاب » رقم ١٠٢٦

ابن قتادة (١) ، وعن هذا الأخير الحسن البصري ، وعن الحسن قتادة ابن دعامة (٢) . إن جون بن قتادة ، ثقة الحسن البصري ، لم يكن معروفاً لدى الاجيال المتأخرة ، ولم يرد اسمه إلا مع هذا الحديث الوحيد (٣) . فليس من المستبعد أن يكون قد أحيل^٤ محل معبد في وقت لاحق ، أو أن يكون قد دُفِعَ به إلى الصدارة على الأقل عندما أخذت سمعة معبد المحيرة تسيء حتى إلى أحاديثه . إلا أن رواية ابن عساكر وابن تغري بردي توضح لنا على الأقل أن الحديث قد تميز بذكر اسم معبد في المصادر التي استقيا منها (٤) . من الواضح أن هذا الحديث لم يحفظ بتصديق كافٍ في تلك الأيام (٥) . إن محتواه يتلاءم والروايات الأخرى التي توصلنا إلى العثور عليها .

(١) قارن الذهبي «الميزان» رقم ١٥٩٢

(٢) قارن مسند ابن حنبل ج ٣ ص ٤٧٦ س ١٢ وما بعده ، وجه ص ٦ س ١٧ وما بعده ، وجه ٥ ص ٧ س ٢ وما بعده ، «السنن» للنسائي ، باب الفرع ص ٢٢ ، «السنن» لأبي داود ، باب اللباس ٣٨ رقم ٦

(٣) قارن الذهبي «الميزان» رقم ١٥٩٢

(٤) يظهر أن ابن تغري بردي أخذ عن سعيد بن كثير بن عفير (راجع الصفحات التالية من هذا المقال) .

(٥) تذكره المراجع في صيغتين أخريين مختلفان عن بعضها بعض الاختلاف:

أولاً بدون «توطئة القصة» المميزة للصيغة البصرية وحسب إسناد كوفي : عائشة > أسود (بن يزيد النخعي توفي عام ٦٩٣/٧٤ ، قارن «تهذيب التهذيب» ج ١ ص ٣٤٢ وما يليها) > عمارة بن عمير الكوفي (توفي عام ٧١٧/٩٨ ؟ قارن «تهذيب التهذيب» ج ٧ ص ٤٢١ وما يليها) وإبراهيم (بن يزيد النخعي الكوفي توفي عام ٧١٥/٩٦ قارن «تهذيب التهذيب» ج ١ ص ١٧٧ وما بعدها) > الأعمش (سليمان =

لقد كان معبد فقيهاً بالدرجة الأولى . وكان معروفاً في أيام حياته وفي

= ابن مهران الأسدي توفي عام ٧٦٥/١٤٧ أو عام ٧٦٥/١٤٨ ، قارن « تهذيب التهذيب » ج ٤ ص ٢٢٢ وما يليها) . ثانياً الحديث في « توطئة قصة » مختلفة يجري في المغرب وإسناد مصري : ابن عباس < عبد الرحمن بن وعلة المصري (قارن « تهذيب التهذيب » ج ٦ ص ٢٩٣ وما يليها) < أبو الخير اليزني (مرثد بن عبد الله المصري ، مفتي مصر في أيامه ، قارن « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٨٢) < يزيد بن أبي حبيب المصري (توفي عام ٧٤٦/١٣٨ ، قارن تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٣١٨ وما يليها . بالنسبة للصيغة الأولى راجع النسائي ، باب الفرع ٢٣ - ٢٦ ، وابن حنبل ج ٦ ص ١٥٤ السطر قبل الأخير وما بعده . وبالنسبة للصيغة الثانية راجع « صحيح مسلم » ، باب الحيض ص ١٠٦ وما يليها وكذلك أيضاً النسائي ، الفرع ٢٠ وأبي داود اللباس ٣٨ رقم ٤ حيث يعرج الإسناد عن عبد الرحمن بن وعلة إلى المدينة إلى زيد بن أسلم العدوي المدني (توفي عام ٧٥٤/١٣٦ قارن تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣٩٥ وما بعدها) . ولا يمكن البت بالعهد الذي تعود إليه هذه الصيغة دون تحقيق شامل ودقيق في مجمل المسألة الفقهية . وكل ما يجب الركون إليه في الوقت الحاضر هو أن ابن حنبل يعتبر الراوي الرئيسي في الصيغة المصرية المدنية المشتركة عبد الرحمن بن وعلة ضعيفاً وذلك على الأخص فيما يتعلق بموضوع حديث الدباغ (قارن « تهذيب التهذيب » ج ٦ ص ٦٩٤ س ٤ وما يليه) بالإضافة إلى ذلك هناك رواية أخرى عن الموضوع (النسائي « الفرع » ٢١) تقول إن ابن وعلة سأل ابن العباس إذا كان الحل الذي أتى به هو رأي شخصي أم إذا كان بالفعل قولاً من أقوال الرسول . وهذا معناه أن الناس ظلوا بعض الوقت يشكون في الركون إلى هذا القول . ويظهر أن الرجوع إلى مكانة الرسول قد زكت في أكثر من مكان إحدى الحكم الفقهية الدائمة - قارن بحثي Zwischen Hadit und Theologie بشأن تبدل التوطئة القصصية في الأحاديث ص ٣٩ وما يليها .

الجيل الذي أتى بعده ، ولم يتلاش اسمه من ذاكرة الأجيال المتأخرة إلا شيئاً فشيئاً . فبقدر ما كانت القدرية تضطهد في البصرة ، بقدر ذلك كان يتحوّل الناس عنه . لكن هذا التحول لم يبدأ فعلاً إلا في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة . ويمكن الآن التحقق من هذا التاريخ^(١) بالاستناد إلى السؤال التالي : متى أعلن معبد جداً للقدرية ؟

* * *

إن تحول الأفكار في هذا الاتجاه لم يسر على خط واحد : باعتبار الحال ، ليس هناك أدنى شك في أنه لم يكن هو المتكلم باسم القدرية البصرية وإنما كان الحسن البصري . وتعتبر الرسالة التي وجهها هذا الأخير إلى الخليفة عبد الملك الوثيقة الأولى لهذه الحركة . ففيها شرح واضح لكل معالم القدرية وحججها^(٢) . ولقد كانت المعتزلة تنظر إلى هذه الرسالة نفس النظرة : فابن المرتضى يستشهد بفقرات مسهبة منها^(٣) ، بينما تكتم أمرها روايات أهل السنة . ويذكر الشريف المرتضى الحسن البصري في المرتبة الأولى عندما يتكلم في رسالته « إنقاذ البشر من الجبر والقدر » عن التطور التاريخي لمذهب الاختيار . فيقول عنه إنه قد تصدّى لأولئك الذين يريدون إلصاق ذنوبهم بالله ، وإن كثيرين آخرين - يذكروهم بأسمائهم - يوافقونه

(١) قارن دراسي Traditionistische polemik ص ٣٩ وما بعدها
وتجد بعض المواد الأخرى في بحثي Zwischen Hadit und Theologie ص ٦١ وما يليها

(٢) قارن لذلك ما كتبه M. Schwarz في Oriens ٢٠/١٩٦٧ ص ١٥ وما بعدها

(٣) « طبقات المعتزلة » ص ١٩ س ٣ وما بعدها .

على ذلك ^(١) . وإذا ما أردنا فعلاً أن نتقصى الماضي ، فإننا لا نقع مطلقاً على اسم معبد ، وإنما على أبي الاسود الدؤلي (توفي عام ٦٨٨/٦٩) وعلى كل حال الذي يعتبره ابن المرتضى « أول من تكلم بالقدر » ^(٢) أما الجهة الأخرى فقد نسبت إلى أبي الأسود « رسالة في ذم القدرية » وذلك قصد كسبه إليها ^(٣) .

إن هذا الأمر يطلعنا على ما كان يقصد من ذلك . لقد كان البعض يحاول أن يكسب لوجهة نظره شخصيات مرموقة من الأوائل وأن يجعلها تتخلى عن معتقدها الخاطيء . فلم يتقدم معبد إلى مركز الصدارة إلا عندما أراد الناس ألا يسمعوا بعد الآن أن الحسن البصري كان قدرياً - وهذا ما يفسر أيضاً ظهور معبد في روايات أهل السنة فقط - وهنا تبرز بعض الاقاويل السائرة كتلك التي يحذر فيها الحسن من معبد ^(٤) أو كتلك التي يؤكد فيها أصحابها على الاقل أن الحسن شعر بنفور تجاه معبد في أول الامر

(١) تحقيق علي الخاقاني النجفي ، النجف ١٩٣٥ ص ٢٥ ، السطر الأخير وما بعده = رسائل الشريف المرتضى تحقيق احمد الحسيني (بغداد ١٣٨٦/١٩٦٧) ص ٥٤ السطر الثاني قبل الأخير وما بعده .

(٢) « طبقات المعتزلة » ص ١٣٤ س ٤ وما يليه .

(٣) قارن عبد القادر البغدادي « أصول الدين » ص ٣١٦ س ١٢ وقارن بحثي Zwischen Hadit und Theologie للتحقق من أصالتها ص ٥٤ وما يليها .

(٤) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٢٦٦ س ٤

ولكن هذا الأخير لم يلبث أن استماله إليه (١) . وجاء عن مالك بن دينار قوله إنه عندما التقى به معبد في مكة لم يُخَفِ هذا الأخير إعجابه بالحسن البصري في ذلك الوقت - كان الحسن يصغره بكثير - وأسف لأنه لم يتبع نصيحته . فلقد نصحه الحسن أن يبتعد عن فتنة ابن الأشعث (٢) كما فعل هو نفسه ، على العكس من معبد . ومن هنا نستشف السبب الذي دفع بمعبد إلى مركز الصدارة : فلقد رأى الناس في مصيره صورة واضحة للمواقب الوخيمة التي تصيب كل من ناضل في سبيل القدرية . لذا فلم يقع الاختيار عليه نظراً لتقدمه في السن . إن هذا الأمر لم يلعب إلا دوراً ثانوياً فقط . كذلك لم يكن مذهبه سبباً في اختياره . فهو لم يخلف عنه إلا صورة غير واضحة المعالم . فلو رأت الروايات أهميته ، لكانت احتفظت به . وكل ما استقر عنه في ذاكرة الأجيال كان نشاطه السياسي . إن التحول عن الحسن إلى معبد ، هذا التحول الذي يظهر فيه معبد يظهر سابي على الدوام ، إنما له مغزى مهدي . أو بالأحرى مغزى معادي للثورة .

(١) قارن الذهبي « تاريخ الاسلام » ج ٣ ص ٣٠٥ السطر الثاني قبل الأخير وما يليه (حسب تاريخ دمشق) : تلاحظ له معبد .

(٢) قارن « تاريخ دمشق » و « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٢٢٦ س ٩ وما بعده : روى جعفر بن سليمان الضبعي (شيعي توفي عام ١٧٨/٧٩٤ قارن الذهبي « الميزان » رقم ١٥٠٥) هذا الحديث عن موسى بن إسماعيل التبوذكي (توفي عام ٢٢٣/٨٣٨) وهو الذي نشر اقوالاً ضد عمرو بن عبيد (قارن دراسقي Traditionistische Polemik ص ١٨ وما يليها وص ٢١) .

إن اتجاهاً مهدتاً كهذا ليس له معنى إلا إذا كانت هناك امكانيات واقعية للالتزام النضالي أو ألا يكون قد مضى عليها زمن طويل . وهذا يوصلنا إلى عهد يزيد بن الوليد (١٢٦ / ٧٤٤) حيث تمتعت القدرية بالشام بنفوذ سياسي لبعض الوقت ^(١) ، امتد إلى سنوات انتقال الحكم إلى العباسيين . فالظاهر أن البصرة لم تستجب آنذاك لمطامع يزيد ^(٢) . إلا أن هذا الأمر يستوجب مزيداً من الأدلة . ويمكننا ذلك بمقارنة الاسانيد التي بموجبها تثبت الرواية القائلة أن معبداً كان أول القدريين . إن أحدهم الأسانيد ، وقد حفظه ابن حجر ^(٣) ، يسوق حديثاً عن إبراهيم ابن هشام الغساني الذي توفي إما في عام ٢٣٨ / ٣ - ٨٥٢ أو في عام ٢٤٥ / ٨٥٩ ^(٤) ، والذي لا يحظى بتقدير كبير لدى خبراء الجرح والتعديل ، بسبب أساليبه غير الرصينة في نقل الروايات .. هذا الحديث رواه الغساني عن أبيه ورواه الأب عن الجد يحيى بن يحيى الغساني . فهذا الأخير كان قد أشار إلى مقتل معبد على يد عبد الملك ^(٥) - في مناسبة مماثلة ؟ - وقد اشتهر الغساني في دمشق كفقيه رفيع الشأن ، وكانت له علاقة وثيقة بالعائلة المرموقة التي حكمت ما قبل الاسلام . وتوفي

(١) قارن مقالتي في Stud Isl ١٩٧٠/٣١ ص ٢٧٠ وما بعدها .

(٢) قارن المرجع نفسه ص ٢٨٣

(٣) « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٢٢٦ س ٥ من تحت وما يليه .

(٤) قارن الذهبي « الميزان » رقم ٢٤٤ ، ابن حجر « لسان الميزان »

رقم ٣٧٢

(٥) انظر الصحيفة السابقة من هذا المقال « ص ٢٨٥ » والملاحظة ٣

م (٤)

في عام ١٣٥ / ٧٥٣ (١) . ولقد نصبه عمر بن عبد العزيز قاضياً على الموصل وكان أبوه مفوضاً للشرطة في عهد مروان (٢) . ويحملنا مركزه الحساس على الظن أنه كان له ضلع في الاضطرابات التي وقعت في عهد يزيد بن الوليد . وإذا اعتبرنا أنه ورث عن أبيه ميلاً إلى المروانيين ، فلا بد إذاً من أن يقف من الخليفة القدرى موقفاً معادياً لا سيما وأن مروان قد وجه انتقاداً إلى الخليفة المذكور .

يقال إن الأوزاعي قد عبّر هو أيضاً عن رأي مماثل في هذا المجال . لقد عاصر الفسافي وكان أصغر منه سنّاً وتوفي عام ١٥٧/٧٧٤ . فهو يطلعنا بشكل أدق على ما كان عليه موقفه من التطور السياسي في ذلك العهد . لقد تنصّل من أوائلك الذين كانوا يؤيدون يزيد بن الوليد (٣) . ويتجلى موقفه المؤيد للأمويين في أنه عاتب أول الحكام العباسيين في الشام ، وهو عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس ، على المجزرة التي حصلت بعد انهزام السلالة الأموية ، فاستنزل عليه بذلك سخطه وغضبه (٤) . أما نظراته إلى نشأة القدرية فأكثر تعقيداً مما سواها . فلقد أنشأ لها شجرة

(١) قارن خليفة بن خياط « الطبقات » رقم ٢٩٨٩ ، ابن سعد « الطبقات »

ج ٧ ، ص ٢٠١٦٩ س ١٤ وما يليه ، الذهبي « الميزان » رقم ٩٦٤٩

(٢) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١١ ص ٢٩٩

(٣) قارن Stud. Isl ٣١/١٩٧٠ ص ٢٧٤

(٤) قارن يعقوب بن شيبه « مسند عمر » (بيروت ١٩٦٩) ص ٥٨

س ٢ وما بعده ، الذهبي « تذكرة الحفاظ » ص ١٨٠ س ٤ من تحت وما بعده

Barthold في Der Islam ١٨/١٩٢٩ ص ٢٤٤

قائمة . فهو يروي أن شخصاً نصرانياً يدعى سوسن (أو ستوسن في الصيغة العربية) وقد اعتنق الاسلام وحمل معه إلى الدين الجديد نظراته في حرية الإرادة . إلا أنه ما لبث أن تخلّى عن الإسلام فيما بعد . ولقد أخذ عنه معبد هذه النظرات ، وأخذها غيلان الدمشقي بدوره عن معبد (١) . فهذا الأخير لم يكن إذاً إلا وسيطاً . أما التهجمات فكانت موجهة مباشرة ضد غيلان الدمشقي الذي كان يتمتع بنصيب كبير من الأهمية بالنسبة لبلاد الشام والاضطرابات السياسية التي جرت هناك . إن حزب يزيد بن الوليد كان يدعى الفيلاية (٢) . أما غيلان فكان قبطياً ، وككل الأقباط نصراني الأصل أيضاً . لذا فقد حظي سوسن النصراني ، الذي انكشفت صورته السلبية بسبب تقلباته وردّته ، بأهمية مثلية .

وإذا أردنا أن نثق بصحة هذه الروايات الشامية ، وعلى الأخص بالأخيرة منها ، فلا بد من أن تكون لها أصول في المصادر البصرية . وبالفعل فإننا نقع هناك على روايات مماثلة . فمنذ أزمان بعيدة استرعت انتباه المؤرخين ملاحظتان تتعلقان بالموضوع ، وردت إحداها عن ابن سعد والأخرى عند المقرئ (٣) . جاء في ملاحظة ابن سعد أن عبد الله بن

(١) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٢٢٦ س ٢ وما بعده ، الذهبي « تاريخ الاسلام » ج ٣ ص ٣٠٥ س ١٤ وما بعده ، ربما أخذ الاثنان عن ابن عساكر . هناك رواية أقدم للأجري « الشريعة » ص ٢٤٣ س ١ وما بعده . (عن الفرياني) توفي عام ٩١٣/٣٠١ في كتابه « القدر » حسب تقديرنا ، قارن GAS ١٦٦/١

(٢) قارن Stad. Isl ١٩٧٠/٣١ ص ٢٨١

(٣) راجع مثلاً A. S. Tritton, Muslim Theology ص ١٨ وما يليها .

عون ، تلميذ الحسن البصري والذي توفي عام ١٥١ / ٧٦٨ ، ما زال يتذكر ذلك الزمن إذ كان معبد وسنهويه زوج أم موسى وحدهما يتناقشان في موضوع القدر (١) . أما المقرئ فيجمع كذلك بين معبد ومولى من أصل فارسي ، إلا أنه لا يذكر أم موسى ، والمولى لا يدعى سنهويه ، وإنما أبايونس سنهويه الاسواري ، نسبة إلى « الأساورة » - وهم فرقة مختارة من الحيلة الفرس في عهد الساسانيين ، وكانوا قد تحالفوا مع بني تميم في البصرة بعد مجيء الاسلام (٢) .

هاتان الروايتان كانتا إلى الآن موجودتين جنباً إلى جنب في آثار متشتتة . وكانتا على الرغم من تشابههما مختلفتين فيما بينهما . وكان من العسير إيجاد قاعدة مشتركة لهما . إلا أننا أصبحنا نملك الآن مواد أكثر للبحث . من المحتمل أن يكون المقرئ يستقي أخباره من الفهرست . ففي هذا المؤلف أورد أبو القاسم البلخي الخبر الذي أشرنا إليه سابقاً . ولربما أخذ عن كتابه « مقالات الاسلاميين » (٣) . ففي أيام البلخي ، أي في نهاية القرن الثالث ، كان أتباع المعتزلة أنفسهم لا يجدون ما يعترضون عليه في هذا الخبر ، لقد كان مصدره أوساط البصرة شأن الملاحظة التي وردت

(١) قارن ابن سعد « الطبقات » ج ٧ ، ص ٢٧ س ١ وما بعده .

(٢) قارن « الخطط المقرئ (القادرة ٢٦ - ١٣٢٤) ج ٤ ص ١٨١ س ٦ من تحت وما يليه . فيما يتعلق بالأساورة راجع Le Milieu Basrien Ch. pellat ص ٣٥ أما كيف تقرا نسبة اسواري واشتقاقها من اساورة فقارن الذهبي « المشتبه » ص ٢٣ س ٤ (البجاوي) .

(٣) قارن ابن النديم « الفهرست » ، تحقيق رضا نجدد (طهران ١٣٩٣ / ١٩٧٣) ص ٢٠١ السطر الأول قبل الأخير وما يليه .

عند ابن سعد . ويصبح ذلك واضحاً إذا ما استشهدنا بأربع روايات أخرى لابن عساكر ، تطابق كلها نقطة البحث ذات الطابع المميز التي نحن بصددنا ، وذلك بالرغم من التباعد الشديد فيما بينها في الوقت الحاضر . فهذه الروايات لا تتحدث عن أم موسى وإنما عن الأساورة ، وهي إلى هذا تدرج كنية أبي يونس . ويسند ابن عساكر هذه الروايات إلى ابن عون تماماً كما يفعل ابن سعد . ومن ناحية أخرى فإن كل راوية يليهم لا بد أن يكون بصرياً . فعند ابن سعد نجد بكار بن محمد بن عبد الله السيريني (توفي عام ٢١٤ / ٨٢٩) ومن الظاهر أنه حفيد أحد أحفاد محمد بن سيرين ، الزاهد البصري المتقدم (توفي عام ١١٠ / ٧٢٩) (١) . كما أننا نجد حميد بن الأسود (٢) وحماد بن زيد (توفي عام ١٧٩ / ٧٩٥) (٣) وعبد الله بن مسلم (٤) عند ابن عساكر (٥) . ويدون ابن عساكر بالإضافة إلى ذلك أن يونس بن عبيد العبدي (توفي عام ١٣٩ / ٧٥٦ أو عام ١٤٠ / ٧٥٧) ، وهو أحد معاصري ابن عون ، قد قال قولاً مشابهاً . فهذا الأخير يضيف إلى الشريرين الآخرين شخصاً

(١) قارن الذهبي « الميزان » رقم ١٢٦٣

(٢) قارن « الميزان » رقم ٢٣١٩

(٣) قارن الذهبي « تذكرة الحفاظ » ص ٢٢٨ وما يليها رقم ٢١٣

(٤) قارن « الميزان » رقم ٤٦٠٧

(٥) عند الآجري (= الشريعة ص ٢٤٣ س ٩ وما بعده) يضاف إلى ذلك

تلميذه معاذ بن معاذ البصري (عاش بين عامي ٧٣٧/١١٩ و ٨١٢/١٩٦ ، قارن

دراساتي Trad . Polemik ص ١٦ و ٤٠) .

ثالثاً لا يذكر اسمه ويقول عنه : « ملعون من بني عوانة » . وفي كتاب « الشريعة » للآجري يروي مرحوم بن عبد العزيز العطار البصري (عاش بين عامي ١١٧ / ٧٣٥ - ١٨٧ / ٨٠٣) (١) عن أبيه عبد العزيز بن مهران البصري وعن عمه عبد الحميد بن مهران (٢) ، خبراً مماثلاً بصدد ذكر الأساورة (٣) .

إن الأمر يبدو وكأن هؤلاء الرواة قد تذكروا قولاً لابن عون ردّده بأشكال مختلفة (٤) . وإذا اعتبرنا أن أقاويل يونس بن عبيد ومرحوم بن عبد العزيز لم تكن مجرد ترديد لاحق له فقط ، فإنه يصبح من المحتمل أن نرى بعض الوقائع متسترة خلف هذه الأقوال . إلا أنه يجب علينا ألاّ نتمادى في تصديق كل ذلك . فما لا شك فيه قبل كل

(١) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٨٥

(٢) قارن فيما يتعلق بالاثنيين « تهذيب التهذيب » ج ٦ ص ٣٦١

(٣) الآجري ص ٢٤١ س ١٢ ومابعده .

(٤) يصعب التأكد من أصالة الرواية لأن كل واحد من الرواة كان له موقف مختلف منها . فعبد الله بن مسلم ينقلها بشيء من الريبة إذ يقول « زعم ابن عون » وحماد بن يزيد يضيف إليها ملاحظة تنم عن عدم الرضى . ومن جهة أخرى فإن ابن عون قد عُرف بدعابته ضد معبد . فقد كان يزعم أن أبا السوار قد ابتعد عن معبد وقد كان أبو السوار (حسان بن حريث العدوي البصري توفي بعد عام ٦٩٩/٨٠ قارن « الطبقات » لخليفة بن خياط ص ٤٨٢ رقم ١٦٣٢ و « الطبقات » لابن سعد ج ٧ ، ص ١١٠) شخصاً معروفاً في أيامه على ما يظهر (قارن « تاريخ دمشق ») فلو قصد التزوير لكان وقع الاختيار على شخص لم يعيش في زمن بعيد عن زمن معبد .

شيء أنه لا ابن عون ولا يونس بن عبيد قد عرقا بتجوردهما . فها من
 ألد خصوم عمرو بن عبيد^(١) ومن الجبريين المتمسكين بمقيدتهم .
 وهما يحاولان تفسير تعاليم الحسن البصري حسب معتقدهما ، فيسكتان عن
 التزام الحسن بالقدرية ، هذا الالتزام الذي لم يتأخر زمنياً عن التزام
 معبد . يضاف إلى ذلك أنه كان يفصل بينهما وبين معبد زمن طويل .
 أما إذا كانا يعتمدان على خبرتهما الشخصية فيجب ألا نأخذ كلامهما على
 حرفيته . لقد توفي ابن عون بعد مقتل معبد بأقل من سبعين سنة تقريباً .
 ويقال إنه ولد قبل طاعون البصرة بثلاثة أعوام^(٢) (الطاعون الجارف) ، أي بين
 عامي ٦٢ و ٦٦^(٣) . أما يونس بن عبيد فقد توفي قبل ذلك بقليل ،

(١) قارن دراسي Trad . Polemik ص ٣٩ وما بعدها والمصادر التي
 اشرت إليها هناك .

(٢) قارن ابن سعد « الطبقات » ج ٧ ، ٢ ص ٢٥ س ٢ وما يليه .

(٣) إن وباء طاعون يحمل نفس هذا الاسم قد ورد ذكره في سنوات

مختلفة : في سنة ٦٥ و ٦٧ و ٦٩ (قارن Caetani ,Chronographie

ص ٧٣٥ و ٧٨٤ و ٨٠٩) . أما الطبري (ج ٢ ص ٥٧٩ س ١٨ وما بعده)

وقسم من الروايات التي ربما تكون قد حذت حذوه (قارن مثلاً ابن تفرج

بردي ج ١ ص ١٩٩ س ١١) فقد اعتمدت أقدم التواريخ مرجعاً .

وهذا التاريخ تعتبره المصادر غير الإسلامية مرجعاً ايضاً . ومع ذلك فإن

مؤلفاً قديماً كخليفة بن خياط يحدد حصول هذا الحدث بعام ٦٩ / ٦٨٩

(قارن تاريخه ج ١ ص ٣٣١ س ١٢) كذلك يحدده أبو اليقظان بالعام نفسه =

إلا أنه كان أكبر من ابن عون بسنة واحدة فقط (١) .

وبعد ، فلا بد لنا من الاقرار بوجود بعض الاضطرابات في الروايات المتأخرة . لذا فعلينا أن نطيل الوقوف عندهما بعض الشيء :

— للبحث صلة في العدد التالي — يوسف فان اس

= (توفي عام ٨٠٦/١٩٠ ، قارن GAS ١٦٦/١ والتي تليها) كما ورد عند الذهبي « تاريخ الإسلام » ج ٣ ص ٣٤٣ . ويظهر أن الوباء قد جرى على موجات متعددة . ولقد عمد المؤرخون إلى تحديده تاريخياً بالاستناد إلى بدء تفشيه أو إلى زواله .

(١) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١١ ص ٤٤٥ س ١

ابن رشد العالم بالبصيراث

والفلك خاصة

الدكتور عمر فروخ

هذا المقال مبني على عدد من المصادر لابن رشد نفسه وعلى عدد من المراجع المتأخرة وخصوصاً المعاصرة لنا. وليس في هذه المصادر والمراجع ما يثير تساؤلاً إلا «رسائل» ابن رشد في رأي نفر من الناس.

هذه الرسائل (١)، في الحقيقة شروح على عدد من كتب أرسطو، فكيف يجوز عدّها ما فيها من الآراء آراء لابن رشد نفسه؟

إذا نحن اعتبرنا هذه الرسائل (وهي شروح على كتب أرسطو) لم نجد ابن رشد قد شرحها شرحاً فقط، بل بان لنا وشيكاً أننا أمام تأليف لابن رشد:

(١) رسائل ابن رشد (ت ٥٩٥ هـ = ١١٩٨ م)، وهي تفسير (شرح) لكتب أرسطو: السماع (بالفتح) الطبيعي - السماء والعالم - الكون والفساد - الآثار العلوية - كتاب النفس - ما بعد الطبيعة. الطبعة الأولى (مطبعة دائرة المعارف العثمانية) حيدرآبار الدكن (الهند) ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م.

أولاً - إن مقارنة عاجلة لرسائل ابن رشد برسائل أرسطو تبين أن ابن رشد كان في الحقيقة يعلق على آراء أرسطو مدافعاً في الأكثر ومفنداً في الأقل .

ثانياً - إن ابن رشد كان يأتي بآراء نقر من المفكرين فيدافع عنها أو يفندها أيضاً ، وهؤلاء المفكرون جاؤوا بعد أرسطو كالاسكندر الأفروديسي (تلميذ أرسطو والشارح الأشهر لكتبه) وبطليموس القلوزي (الذي جاء بعد أرسطو بنحو خمسمئة عام) وابن النقاش المشهور بولد الزرقال وبالزرقالي أيضاً (وهو معاصر لابن رشد) . ويرد في هذا المقال تراجم موجزة لهؤلاء جميعاً (في الحواشي) .

ثالثاً - إذا أخذ أديب معنى من أديب آخر قلنا إن الأول سرق من الثاني . أما إذا تبني مفكر رأياً من آراء مفكر آخر 'عد' المفكر الأول متبنياً لرأي المفكر الآخر وعد الرأي المتبني كأنه رأي المتبني له . رابعاً - هنالك مواضع كثيرة في رسائل ابن رشد في شرح عدد من كتب أرسطو يقول ابن رشد فيها : فنقول (ص ٣ ، ٧ ، ١٩ ، الخ) بما يدل على أن ابن رشد كثيراً ما يترك الشرح على آراء أرسطو ويورد آراء هي له .

من أجل ذلك كله ومن أجل أشباه ذلك جعلت عدداً من الآراء الواردة في هذه الرسائل معبرة عن مقاصد ابن رشد نفسه .

جرت عادة الدارسين منّا ، إذا هم تناولوا نقرأ من بناء حضارتنا وثقافتنا - من أمثال الكندي والفارابي وإخوان الصفا وابن سينا وابن حزم وابن طفيل وابن رشد وغيرهم - أن يتناولوا نشاطهم الفكري النظري ، كبحث هؤلاء في سبب وجود العالم أو في أحوال النفس أو في

نخبيل بناء للدولة . وقد ماتوا توفرو أوئك الدارسون على جانب علوم التعاليم (العلوم الرياضيّة والطبيعية) هؤلاء الأعلام في تاريخ حضارتنا وثقافتنا ، مع أن الفلسفة عند الكندي وابن سينا مثلاً ، وعند ابن حزم الفقيه أيضاً ، ليست أبرز جوانب المعرفة التي كانت لهم .

ولم يكن حظ ابن رشد ، عندنا ، من عناية الدارسين بالجوانب العلمية البحتة أكبر من حظ ابن سينا وغيره ومع أن دائرة المعارف الإسلامية قد خصت ابن رشد بعدد وافر من الصفحات (راجع الجزء الثالث من الطبعة الجديدة ، النسخة الانكليزية ص ٩٠٩ - ٩٢٠ ، والنسخة الفرنسية ٩٣٤ - ٩٤٤) ، فإنها قد اقتصرت على جانبي الفقه والفلسفة (فلسفة ما بعد الطبيعة) من جوانب تفكيره .

لا شك في أن ابن رشد كان ذا اتجاه علمي واضح . قال في مطلع تفسير كتاب « السماع الطبيعي » ، لأرسطو (رسائل : السماع الطبيعي ٣) :

« فلنبداً بأوّل كتاب من كتبه - وهو المعروف بالسماع الطبيعي* - ونلخص ما في مقالة مقالة من الأقاويل العلمية بعد أن نحذف منها الأقاويل الجدلية لأنها إما كانت مضطراً إليها^(١) عندهم في الفحص عن المطالب الفلسفية قبل أن يُوقع^(٢) عليها بالأقاويل العلمية . فأمّا أنّه

(١) إذ كانت مضطراً إليها (بالبناء للمجهول) : إذ كان هنالك اضطرار إليها .

(٢) أوقع عليها بالأقاويل العلمية : بنى عليها ؛ أقام عليها الأدلة الفلسفية .

أوقع عليها فلا مدخل لها في التعليم (١) إلا على جهة الارتياض . ويكفي في ذلك الاختصار على مسائل محدودة العدد .

وبما يدلنا على الاتجاه العلمي لابن رشد أنه يأخذ بالاستقراء . أي بالوصول إلى قاعدة عامة من ملاحظة مفردات الأشياء — غير أنه يعتقد أن الاستقراء الناقص لا نفع منه لأنه لا يفيد اليقين (تهافت التهافت ٥٦٥) ويقول ابن رشد (مثله ، ص ٥٦٦) (٢) فإذا قال قائل : إن كل حيوان يحرك فكأنه الأسفل فإن استقراءه هذا ناقص لأن صاحب هذا القول لم يستقرئ جميع أنواع الحيوانات .

ثم إن ابن رشد يحسن استعراض العلوم (راجع مثلاً تهافت التهافت ٥١١) ، ذلك لأن الإحاطة بمعرفة عدد من العلوم تساعد على حسن المعرفة بالموضوع المعالج .

ثم لا شك في أن ابن رشد كان ذا عقل مبدع من الطبقة الأولى (سارطون ٢ : ٢٧٩) (٣) ، وكان يرى مكانة العقل في النظر إلى كل

(١) فلا مدخل لها (بعدئذ) في التعليم (في اللجوء إلى البراهين الهندسية) إلا على جهة الارتياض (في سبيل التمرن على المسائل الحسابية) .
(٢) تهافت التهافت (تحرير الأب موريس بويج) بيروت (المطبعة الكاثوليكية)

١٩٣٠ م .

(٣) جورج سارطون (١٨٨٤ - ١٩٥٦ م) بلجيكي الأصل أميركي الجنسية تخرج في بلده الأصلي برتبة دكتور في الرياضيات (عام ١٩١١ م) . وهو مؤلف مكثر في تاريخ الحضارة وتاريخ الثقافة أشهر كتبه وأعظمها مقدمة إلى تاريخ العلم (ثلاثة أجزاء في خمسة أقسام) :

George Sarton ' Introduction to the History of Science ' 1927 - 48

وجورج سارطون مؤرخ العلم منذ أقدم عصوره وفي جميع بلاده وفي كل لغاته . ولا شك في أنه كان لجورج سارطون مساعدون من علماء الأقطار =

أمر من الأمور وفي كل مدرك من المدارك . ومع أن الشرع قد أوجب النظر بالعقل في الموجودات ، فإن ابن رشد يذهب أيضاً إلى أن هذا النظر بالعقل يصدق في الأمور الشرعية نفسها (فصل المقال ٣ وما بعد) . من أجل ذلك كان ابن رشد مستحقاً لشكرنا الدائم على أنه أكد قيمة العقل في زمن كانت معظم الناس يخشى أن يفعل ذلك (راجع سارطون ٢ : ٣٢٢) .

ومن دلائل العبقرية في ابن رشد أنه كان يدرك مدارك أرسطو من خلال النقول الخاطئة التي كانت لعدد من كتب أرسطو في اللغة العربية (١) : إن ابن رشد كان يرى أن عبارات الذين يفسرون كتب أرسطو (ينقلونها إلى اللغة العربية) كانت أحياناً تقصّر عن أداء أغراض أرسطو ومعانيه ثم يقول صراحة (رسائل : الآثار العلوية ٧٦) : « فإن كان من تأدّت إلينا كتبهم من المفسّرين قد أرادوا هذا المعنى فقصّرت عبارتهم عن ذلك ، إما بسبب الترجمة أو غير ذلك ، فهو صحيح . وإن كانوا أرادوا المعنى الآخر فقد أخطأوا غرض أرسطو في التفسير » .

==المختلفة واللغات المختلفة يقدمون إليه الحقائق العلمية فيؤلف هو منها « كلا عاقلاً » . وهو من الذين أنصفوا الثقافة العربية والاسلام إنصافاً صالحاً ، ثم هو من المعجبين بابن خلدون . ولكتاب هذا المقال تعريف بالجزء الثالث من كتاب جورج سارطون (٢٢٠٠ صفحة) في « مجلة الجمع العلمي العربي » في دمشق (المجلد السادس والعشرون الجزء الأول ، ص ١٠١ - ١١٣) . وله أيضاً ترجمة لجورج سارطون في مجلة العرفان (صيدا - لبنان) المجلد ٤٤ ، الجزء الثاني ، ص (١٢٩ - ١٣٥) والجزء الثالث ص (٢٥٣ - ٢٥٨) من عام ١٩٥٦ م .

(١) هذا يقتضي أن يكون مستوى التفكير عند ابن رشد مساوياً لمستوى التفكير عند أرسطو حتى يمكن أن يكون تفكيرهما في مجرى واحد .

ومن الأدلة المادية على هذه العبقرية التي كانت تدرك مقاصد أرسطو - إذا كان تعبير شارحي كتب أرسطو غامضاً أو خاطئاً ، مع أن نقرأ من هؤلاء الشارحين كانوا من ذري المكانة السامية في الفلسفة كالاسكندر الأفروديسي (١) مثلاً - أن ابن رشد كان يفهم المقصود الصحيح من قول أرسطو ، ولو مرة ذلك المقصود الصحيح من خلال الشرح اليوناني الخاطئ ، ومن خلال النقل الخاطئ إلى اللغة العربية . من ذلك أن أرسطو زعم أن المجرة دخان ملتهب (رسائل : الآثار العلوية ، ص ١٥ وما بعد) . والمجرة ، في الحقيقة ، تتألف من نجوم كثيرة تظهر في رأى العين - لبعدها عنا - كأن بعضها متصل ببعض . فانظر إلى تعليق ابن رشد عند تصحيحه هذا الخطأ (ص ١٩) :

« وهذا هو الظاهر من كلامه في النسخة التي وقعت إلينا . وإن كان الاسكندر أراد هذا المعنى فهو صحيح ، إلا أنه لا يقتضيه ظاهر لفظه مع هذا فكان يكون قد بقي عليه جزء من القول ليس بالدون (٢) . ولعله تركه على جهة الإيجاز وذلك من أجل خلل وقع في الترجمة ، فإن كثيراً ما تنقلب مفهومات المعاني عند المترجمين ، فيلزم عن ذلك تغيير في العبارة ، والاسكندر أعظم مكاناً من أن يظن به القول المتقدم مع ما نجد في كتب أرسطو خلافه . ويحسن أن نعلم أن ابن رشد فترغ من تلخيص هذه الرسالة في أوائل سنة ٥٥٤ هـ (أوائل ١١٥٩ م) وعمره يومذاك نحو أربع وثلاثين سنة هجرية (راجع ص ١٠٢) .

(١) الاسكندر الافروديسي (أي الذي من بلدة افروديسيا في مقاطعة قاريا - في الجنوب الغربي من آسية الصغرى) كان بين ١٩٨ و ٢١١ م أستاذاً لمذهب المشائين (أتباع أرسطو) في أثينا . وهو أشهر شارحين (المفسرين) لكتب أرسطو وأهمهم وأصحهم شرحاً . وكان مفكراً أيضاً .
(٢) ليس بالدون : ليس خطأ أو قليل الأهمية والأثر .

وابن رشد أكبر فلاسفة العصور الوسطى بلا ريب . أمّا أنّه أكبر فلاسفة المسلمين فلا يحتاج إلى براهين كثيرة . وأمّا أنّه أكبر فلاسفة العصور الوسطى بإطلاق فقول يقوم على دليلين :

أن موسى بن ميمون^(١) ، أكبر فلاسفة اليهود ، والقديس توما^(٢) وأستاذه ألبرت الكبير^(٣) ثم نقرا (كثيرين جداً) من فلاسفة

(١) موسى بن ميمون : ولد في قرطبة ، ولما استولى الموحدون على الأندلس انتقل مع أسرته إلى مصر . ثم أخذ يعلّم علومه الفلسفية في القسطنطينية (مصر القديمة) . وهو أشهر مفكر يهودي ، ولكنه مفكر على الطراز الأرسطوطاليسي المتأثر بشرح ابن رشد . له كتاب « دلالة الحائرين » ألفه باللغة العربية ولكن دونه بالحرف العبري . وتأثر موسى بن ميمون بابن طفيل وقال بأن الفلسفة للطبقة المختارة لأن جمهور الناس لا يستطيعون فهم الأمور على ما هي عليه .

(٢) القديس توما إيطالي الأصل وتلميذ ألبرت الكبير توفي عام ١٢٧٤م (٦٧٢ هـ) قبل أستاذه بست سنوات . له المجموعة اللاهوتية (في الفقه المسيحي) وله « الرد على الأميين » وغير المسيحيين ، وخصوصاً على فلسفة ابن رشد وفلسفة موسى بن ميمون . وبلغ القديس توما بالفلسفة الغربية (الدينية : المسيحية) ذروة البحث من حيث الشكل (الأسلوب المنطقي) ومن حيث الموضوعات ، ولكنه كان يرى الفلسفة في نطاق الدين المسيحي وحده . ولكننا نستطيع أن نقول إن فلسفة القديس توما كانت رد فعل ضعيفاً على فلسفة ابن رشد لم يمنع فلسفة ابن رشد من الاستمرار في التأثير على العالم الغربي .

(٣) ألبرت الكبير ، ألماني الأصل ولد ١١٩٣ (٥٩١ هـ) وتوفي ١٢٨٠م (٦٧٩ هـ) علّم اللاهوت في ستراسبورج وكولن (كولونيا) وباريس . وهو أول من أشاع الاتجاه العلمي والفلسفي في أوروبا بعد أن تأثر بالمفكرين العرب (من خلال النقل من العربية إلى اللاتينية) . ورأت الكنيسة خطر =

أوروبية لم يشتهروا إلا^١ لأنهم كانوا رشديين (من أتباع ابن رشد في آرائه المختلفة في الفقه والفلسفة والعلوم) أو كانوا من خصومه ومن الذين نصبتهم الكنيسة الرد^٢ عليه . تلك الحركة الرشدية ، في الذهاب مذهب ابن رشد ثم في مقاومة آراء ابن رشد ، دامت أربعة قرون كوامل . وبكفينا هنا أن نقول مع جورج سارطون (٢ : ٩٣٦) : إن المؤلفات العلمية التي وضعها ألبرت الكبير (ت ١٢٨٠ م = ٦٨٠ هـ) قد صنع بها ، أو حاول أن يصنع بها ، للنصرانية ما صنعه ابن رشيد الإسلام ، ولكن ألبرت الكبير كان من الناحية الفكرية أدنى كثيراً من سلفه المسلم .

إن ابن رشد كان سبب السيادة التي نعم بها أرسطو في الغرب (سارطون ٣ : ٥٠٨) . إن فلسفة أرسطو لم تصل إلى الغرب المسيحي إلا^٣ مع شروح ابن رشد عليها . ولقد كان الأوروبيون يخشون فلسفة أرسطو فيتركون منها جوانب لا توافق النصرانية في رأيهم ، ولكنهم كانوا يأخذون بفلسفة ابن رشد جملة ، سواء أكانت تلك الفلسفة لابن رشد خالصة أو كانت لابن رشد في التعبير عنها فقط .

وتفوذ آراء ابن رشد إلى الغرب المسيحي لم يكن قاصراً على حمل آراء ابن رشد إلى الفكر الأوروبي ، ولا على حمل آراء ابن رشد وآراء أرسطو وحدها إلى الفكر الأوروبي ، بل حمل معها أيضاً اتجاه الفكر الإسلامي ، فلعل شروح ابن رشد على كتب أرسطو كانت من أثر تفسير القرآن في الإسلام

= الفلسفة اليونانية والفلسفة العربية على سلطتها ، ولم تنجح الحرمانات التي كانت البابوية تلقياها على المهتمين بهاتين الفلسفتين ، فأوعزت الكنيسة إلى ألبرت الكبير (القديس ألبرت) بأن يدرس الفلسفة ولكن من خلال تعاليم الكنيسة ، فعكف ألبرت على « تنصير » فلسفة أرسطو بشيء من الحذف وشيء من التشويه .

(سارطون ٢ : ٣٥٦) . ويحسن ألا ننسى أن الاتجاه العام في التفكير يكون أبعد تأثيراً - إذا انتقل من جماعة إلى جماعة أخرى - من تسرب الآراء المفردة في الحين بعد الحين . إن شروح ابن رشد على كتب أرسطو لم تحمل إلى الفكر الأوروبي آراء جديدة فحسب ، بل حملت إليه أيضاً منهجاً في التفكير وأسلوباً في التعبير .

ومع هذا كله فإن فلسفة ابن رشد ظلت تنوء بعدد من المعوقات : أول تلك المعوقات أن ابن رشد لم يقرأ كتب أرسطو في نصوصها اليونانية بل في النقول العربية . وقد كان في تلك النقول العربية لكتب أرسطو - سواء أكان النقل نقلاً مباشراً من اللغة اليونانية نفسها أو كان بتوسط اللغة السريانية (أي من اليونانية إلى السريانية ثم من السريانية إلى العربية) - كثير من الحذف والتشويه والإضافة . وقد مر بنا شيء من تألم ابن رشد من هذا المعوق .

ومن تلك المعوقات المبالغة في الإعجاب بأرسطو ، فقد كان ابن رشد شديد الإعجاب بأرسطو في كل شيء ، ولا حاجة إلى الاستشهاد على ذلك الإعجاب ، ولكن ربما توقف ابن رشد في قبول شيء من آراء أرسطو . يقول ابن رشد مثلاً (رسائل : الآثار العلوية ٧١ - ٧٢) فيما يتعلق في شأن قوس قزح :

« يظهر أصغر من نصف دائرة . فهذا هو الذي أدت إليه الأصول التعاليمية (العلوم القائمة على الحساب) . وأرسطو يخبر أن المشاهد خلاف ذلك . وقد ينبغي أن ننظر في ذلك ، » .

وإن رشد يخالف أرسطو في سبب حدوث اللون الأخضر في قوس

قزح ، وابن رشد مصيب في تخطيطه أرسطو ، ولكن تصحيح ابن رشد لقول أرسطو ليس صحيحاً (الآثار العلوية ٧٥ - ٧٦) .

وربما جانب ابن رشد نفسه صواب العلم في مواقف كثيرة له من الأمور المادية . ذلك لأنه يصر على أن يفسر طبيعة كل شيء بتفريعاتها من طبيعة العناصر الأربعة . إن ابن رشد كان يرى - مع النفر الحاطئين من مفكري اليونان - أن الأجسام التي في عالمنا ، كالخشب والحديد والذهب ، تتكون من نسب معينة من العناصر الأربعة . إن في الخشب مثلاً نسبة من الماء أكبر من النسبة التي فيه من التراب ، بينما في الحديد نسبة من التراب أكبر من النسبة التي فيه من الماء أو الهواء . ثم يعتقد ابن رشد هذه القضية حينما ينسب اجتماع النسب المختلفة في جسم إلى القوة المحركة في هذا العالم ، لا إلى خواص وعوامل في الأجسام نفسها . إن هذا النظر الذي أصر عليه ابن رشد بعيد عن العلم لأن ابن رشد يحاول به تفسير الموجودات المادية تفسيراً غير مادي (راجع أماكن متفرقة في كتاب الكون والفساد ومتابعة ابن رشد لأرسطو في أمور كان أرسطو أيضاً مخطئاً فيها) . ولكن الغريب في ذلك كله أن ابن رشد قد ردّ (فيما بعد ، في كتابه « تهافت التهافت ») على الأشعرية الذين أنكروا أثر الأسباب غير المحسوسة في الموجودات المحسوسة فقال (ص ٤١٦ - ٤١٧) :

« وأما الأشعرية فإنهم جحدوا الأسباب المحسوسة ، أي لم يقولوا بكون بعضها أسباباً لبعض ، وجعلوا علة الموجود المحسوس موجوداً غير محسوس بنوع من الكون غير مشاهد ولا محسوس (يقصد ابن رشد : أن الله يخلق الأشياء خلقاً مباشراً) وأنكروا الأسباب والمسببات ، وهو نظر خارج عن الإنسان بما هو إنسان » .

ومن خروج ابن رشد هنا عن نطاق العلم استخدامه الجدل في إثبات مظاهر الوجود ، كقوله مثلاً (رسائل : كتاب النفس ٧٩ - ٨٠) :
 « إن كل صورة معقولة (يمكن ادراكها أو تخيلها) فهي إما هيولانية (مادية) أو غير هيولانية وكل صورة تكون معقولة بأن تُعقل فهي هيولانية . وإن كل صورة تكون في نفسها عقلاً - وإن لم تُعقل - فهي غير هيولانية . فإذا تقررت لنا هذه المقدمات ، وهي بيئة من طبيعة العقل والمعقول - قلنا : هذه الصورة التي هي صورة المعقولات النظرية واجب أن تكون غير هيولانية لأنها عقل في نفسها سواء عقلناها نحن أو لم نعقلها ، إذ كانت صورة الشيء هو في وجوده عقل . ولو أنزلناها معقولة بالفعل من جهة وبالقوة من جهة يلزم أن يكون هناك عقل آخر متكون فاسد ، وهو الشيء الذي صارت به معقولة بالفعل (أي موجودة فعلاً) بعد أن كانت بالقوة (أي مدركة بالتخيل) فنقول : أما من يضع هذه المعقولات موجودة بالفعل دائمة وأزلية فليس لها (أي لا يكون لها) هيولى (مادة أولى غير متحيزة) إلا على التشبيه والتجوّز ، إذ كانت الهيولى هي أخص أسباب الحدوث ، وذلك أن معنى الهيولى على هذا الرأي ليس يكون شيئاً أكثر من الاستعداد الحادث الذي به يمكن أن نتصور (نتخيل) هذه المعقولات ونذكرها لا على أن الاستعداد هو أحد ما تقوم به هذه المعقولات إذن قبلها كالحال في الاستعداد الهيولاني الحقيقي » .

وعندي أن هذا الميل إلى الجدل كان عند ابن رشد حينما كان يفسر كتب أرسطو في إبان فتوته . أما موقفه الآخر في السببية المادية فيعود إلي طور متأخر من حياته أكثر نضجاً .

وما دمنا في حديث الاستفسات (العناصر) فلنعطف عليها وعلى المذهب الذري قليلاً بما يحتاج إليه البحث هنا .

قال قدماء اليونانيين بأن الأجسام في عالمنا متكوّنة من الاستفسات (العناصر) الأربعة : الماء والهواء والتراب والنار (وهو رأى خاطيء بلا ريب ، فإن التراب مثلاً ليس عنصراً بل هو خزان للعناصر . وكذلك الماء والهواء والنار ليست عناصر) . ثم جاء علماء طبيعيون (١) من اليونانيين فقالوا إن الأجسام في عالمنا متكوّنة من الذرات . والذرة كانت عندهم وحدة مادية بالغة في الصغر وليس لها خاصية معينة . والأجسام في عالمنا تتألف من هذه الذرات ، ويختلف كل جسم من كل جسم آخر (كالخشب والحديد والذهب النخ) باختلاف عدد الذرات فيه كثرة وقلة وترتيباً . وقد قال هؤلاء إن الذرات تختلف في أحجامها ، والكبيرة منها أثقل من الصغيرة ، كما قالوا إن هذه الذرات متحركة في أماكنها . ومع أن هذا المذهب الذري لم يكن صحيحاً كل الصحة ، كما نعرف نحن اليوم من البناء الذري للعناصر المختلفة ، فإنه كان على كل حال أصح من نظرية العناصر الأربعة .

غير أن أرسطو رفض القول بالمذهب الذري وتمسك بنظرية العناصر

(١) العلماء الطبيعيون هم المفكرون اليونانيون الذين اهتموا بدراسة عالم الطبيعة ، ومنهم ذيوقريطوس (٤٦٠ - ٣٧٠ ق.م) الذي من أبديرا (على شاطئ تراقية الغربية من بحر ايجه) . وهو صاحب المذهب الذري على الحصر . وأرسطو أيضاً معدود في الطبيعيين (في مقابل الرياضييين : افلاطون واقلیدس وبطلیموس) .

الأربعة (وكان ذلك من خطيئاته) . وجاء ابن رشد فأخذ برأي أرسطو بالقول بالماء والهواء والتراب والنار . وهو يسمي « التراب » الأرض (راجع رسائل : السماع الطبيعي ١٢ ، ٢٤ ، ٣٣ ، ٤١ ؛ السماء والعالم ٨ ، ٧٥ - ٧٦ ؛ ما بعد الطبيعة ٤١) .

ولم يجهل ابن رشد القائلين بالجزء الذي لا يتجزأ (بالمذهب الذري) ، فقد أشار إليهم إشارة عارضة (راجع رسائل : الكون والفساد ٤ ، ١٣ ، مثلاً) ، ولكنه ظل متابعاً لأرسطو في هذا الموضوع .

* * *

وفيما يلي استعراض يسير لمكانة ابن رشد في علوم التعاليم (العلوم التي تجري في الأرقام والاعداد والحساب والهندسة والفيزياء) ثم في العلوم الطبيعية ما أمكن ، سوى الطب فإن ابن رشد من الأطباء الكبار المشهورين والمؤلفين في هذا الفن من فنون المعرفة (وتبيان مكانته في الطب يحتاج إلى مقال خاص) .

(١) لم نعرف كتاباً لابن رشد في الرياضيات ، ولكن له تلخيصاً لكتاب المجسطي (سارطون ٢ : ٣٥٦ ، ٣ : ٥٢١) . والمجسطي كتاب لبطليموس القلوذي يدور على الفلك وما يتصل بالفلك من الرياضيات . ويقول منصور جرداق (١) إن ابن رشد « عرف بواسطة الحساب الفلكي وقت عبور

(١) منصور حنا جرداق ولد في بلدة الشوير (لبنان) سنة ١٨٨١ م ، تخرج في جامعة بيروت الاميركية برتبة بكالوريوس علوم (١٩٠١ م) ثم برتبة أستاذ علوم (١٩٠٧ م) . علّم الرياضيات وتولى مرصد الجامعة وكشف نجما جديداً (عام ١٩١٨ م) في صورة (فنو ، مجموع) الجائي =

عطارده على قرص الشمس فرصده وشاهده بقعة سوداء على قرصها في الوقت المعين . وهذا أمر لا يتصدى له في وقتنا الحاضر سوى الراسخين في الرياضيات الفلكية ، (١) . هاتان قرينتان على الأقل تدلان على براعة ابن رشد في الرياضيات . وهنالك قرائن أخرى تدل على اهتمامه بالرياضيات . من ذلك قوله (تمافت التهافت ٧٧) : « النقطة نهاية الخط وتوجد معه لأن الخط ساكن فيمكن أن تتوهم نقطة هي مبدأ الخط وليست نهاية لآخر » . هذه القرينة تدل على أنه كان يعرف « علم العدد » كما وضعه الفيثاغوريون من أن النقطة مبدأ للخط وليست خطأ . وكذلك قوله (رسائل : السماع الطبيعي ٢٦ - ٢٧) : « فنقول : إن كل عدد يفرض بالفعل فيمكن أن يزداد عليه عدد آخر وأيضاً فإن كل عدد فهو إما فرد وإما زوج ، وكل واحد من هذين متناه . وكل عدد فهو متناه » . وهذا أيضاً من وضع الفيثاغوريين .

وفي مثل ذلك يقول ابن رشد أيضاً (فصل المقال - في الكشف عن مناهج الأدلة ٣٩) إنه لا يجوز وضع مبدأ ونهاية ثم وضع شيء بينهما لا نهاية له . وهذا صحيح لأن مافرض متناهماً من جانب يجب أن يكون متناهماً من الجانب الآخر . وفي رسالة الكشف عن مناهج الأدلة في

= (هرقليس) . له عدد من الكتب المدرسية (بالعربية والانكليزية) ثم عدد آخر من كتب العلم منها : الكون العجيب وظواهره - عجائب السماء والفلك (١٩٤٩) - القاموس الفلكي والأبراج وصور النجوم (١٩٤٧ م) - مآثر العرب في الرياضيات والفلك (خطبة ، عام ١٩٣٧ مطبوعة) . وكانت وفاته في السادس من نيسان ١٩٦٤

(١) مآثر العرب في الرياضيات والفلك ، ص ٢٢

عقائد الملة (فصل المقال ٣٥ - ٣٦) كلام على العدد المنقسم والعدد غير المنقسم وعلى الكم المتصل وعلى الكثرة من الأعداد التي تؤلف وحدة . وكل هذه المدارك ومصطلحاتها من وضع الفيشاغوريين ، ولا يمكن أن يعرفها أحد إلا إذا كان مطلعاً على كتب هؤلاء . وليس المهم هنا معرفة هذه المدارك والمصطلحات ، ولكن المهم أن ابن رشد يستشهد بها في كتاب فيه شيء من الجمع بين الحكمة والشريعة توجه به ابن رشد إلى القارئ العادي . إن هذا يدل على أن الرياضيات كانت نازلة في نفسه نزولاً بعيداً ورأسخة في تفكيره رسوخاً مكيناً فلم يستطع الانفلات منها وهو يتوجه بكتاب له إلى جماعة لا ينتظر منهم أن يدركوا « علم العدد الفيشاغوري » إدراكاً يقنعهم بأدلة ابن رشد الفقهية والفلسفية .

ويكاد يكون ابن رشد مغرماً بضرب الأمثلة من الرياضيات ، فهو يقول مثلاً (رسائل : السماع الطيبي ٥٢) قولاً مفصلاً دقيقاً :

« ومن هنا يظهر أزلية الزمان وأنه تابع لحركة أزلية مستديرة . وكما أن النقطة هي التي تفعل الخط وتحدده وبها يكون المتصل ذا أجزاء ، كذلك الآن (أي الوقت أو الجزء منه) هو الذي يفعل الزمان ويحدده . ولولاه لم يكن متقدماً ولا متأخراً أصلاً ولا عدداً ، إذ كانت الحركة من الأشياء المتصلة . وكذلك تصدق على الزمان خواص الكم المتصل وهما الطويل والقصير وخواص المنفصل وهما القليل والكثير . فلو كان الخط يأتلف من نقط لكان يلزم أن يكون الزمان يأتلف من آئات (جمع آن) ، ولكان هو عددها . وبالجملة فكان يعد في الكم المنفصل . لكن منبين أن كل نقطتين فينبها خط ، وأن كل آئين فينبها زمان ، .

وابن رشد يقول (تهافت التهافت ٢٤) : إن النفس لا تتصور (تتخيل) ما هو غير متناه في وجوده . ثم يقول بعد ذلك (تهافت التهافت ٢٧ ، راجع ٢٣٣) : « وأيضاً فامتناع ما لا نهاية له على ما هو موجود بالفعل أصل معروف من مذهب القوم^(١) ، سواء كان أجساماً أو غير أجسام و (هذا القول) لا يلائم أصلاً من أصولهم فهو خرافة ، لأن القوم ينكرون وجود ما لا نهاية له بالفعل ، سواء كان جسماً أو غير جسم لأنه يلزم عنه أن ماله نهاية^(٢) أكثر مما لا نهاية له . »

ومن ملاحظات ابن رشد (فصل المقال : الكشف عن مناهج الأدلة ٣٥) تفريقه بين الكم المنفصل الذي هو علم العدد (علم خواص الأعداد) والكم المتصل الذي هو الهندسة . وتحسن قراءة هذا المقطع بالتفصيل في رسالة الكشف عن مناهج الأدلة . ثم له أيضاً ملاحظة (رسائل : ما بعد الطبيعة ٩٨ - ٩٩) في الهندسة هي « أن الزوايا المعادلة لقائمتين إنما تلقى أبداً مركبة من المثلث ، والمثلث ضرورة في الشكل وأما الزوايا المعادلة لثلاث قوائم فتلقى أبداً منفصلة عن المثلث ، . أما القسم الأول من هذه الملاحظة فيعني أن زوايا المثلث

(١) القوم : الفلاسفة اليونانيون .

(٢) إن الأب موريس بويج اليسوعي (ت ١٩٥١/١٢/٢٢) محر كتاب (تهافت التهافت) لابن رشد أثبت جملة بنص هو : « ... لأنه يلزم عندهم أن يكون ما لا نهاية له أكثر مما لا نهاية له » . والجملة هذه خطأ طبعاً . غير أن الأب بويج ذكر في الحاشية ٧ ص ٢٧ أن المخطوط ب فيه « ما له نهاية » ، وهو الصحيح فيكون نص الجملة الصحيح حينئذ ما أثبتته أنا في المتن فوق .

(الثالث) تمدل زاويتين قائمتين (وهذا صحيح) . وأما القسم الثاني من الملاحظة والمتعلقة بشكل هندسي (مستو) مجموع زواياه يمدل ثلاث زوايا قائمة فلا أدري وجهه ، ولابن رشد عدد من الملاحظات في الطبيعيات في الثقل وجذب الأجسام وفي الزنجار (التأكسد) ثم في الندى وملوحة ماء البحر والزلازل والبخار والغيم والسمع والصوت ثم في علم الحياة من النبات والحيوان ومن الطب خاصة ، هذه المعارف تحتاج إلى دراسة خاصة لم ألحها حينما بدأت كتابة هذا المقال ، ولكنني سأفصل الكلام على « الضوء » عند ابن رشد لأن للضوء صلة بالفلك ومقصدي الأول من هذا المقال الكلام على الفلك عند ابن رشد .

* * *

يحسن أن نبدأ الكلام على الضوء والبصر عند ابن رشد بالنص الطويل الموجود في تفسير كتاب الآثار العلوية (رسائل : الآثار العلوية ٥٩ — ٦٥) .

يرى ابن رشد أن المعتبر في قوانين البصر إنما هو نظر الرجل الطبيعي (أي النظر الطبيعي في الإنسان ، حينما لا تكون العين كاليلة ضعيفة من تعب أو حينما لا تكون مريضة) .

يورد ابن رشد رأي القدماء من اليونانيين في الإبصار فيقول (ص ١٦) : « وكان الأقدمون من الطبيعيين ^(١) يرون أن الإبصار إنما يكون بأشعة تخرج من العين ، (أعلى الصفحة) ثم يرد (ينكر)

(١) الأقدمون من الطبيعيين : لعله يعني بهم قدماء المفكرين ابتداءً بثاليس الملطي (ت ٥٤٥ ق.م) وأتباعه ، قدماء فلاسفة الطبيعة .

هذا الرأي فيقول (أواسط الصفحة) : « وكان قد تبين في علم النفس أن البصر ليس يكون بشعاع يخرج من العين . فالأولى أن نعمل في علم المناظر (في البصريّات) على هذا الرأي ، ولكن الرؤية عنده انتقال (شبح) المُبْصَر إلى العين (راجع ص ٥٩) . والسبب في لقاء المُبْصَر بالعين (انتقال شبح الشيء المنظور إلى العين) الانعكاس والانعطاف ، كما أن هذا الانتقال يتم بمرور شعاع مستقيم إلى العين (ص ٦٠) . ويرى ابن رشد أن موضوع البصر يدرس من جانبين ، فمن جهة هو طبيعي (تابع لعلم الفيزياء) ومن جهة أخرى هو تعليمي (تابع لعلم الحساب) . والصحة البصر شروط منها قرب الجسم من العين أو بعده عنها ، ومنها كبر الجسم نفسه وصغره وإضاءته ولونه (ص ٥٩) . ثم من ذلك حال المجال الواقع بين العين والجسم المنظور إذا كان شفيفاً غير ملون كالهواء المطلق أو إذا كان ذلك المجال مملوءاً بالهواء الرطب أو بالماء أو بأجسام كثيفة (ص ٥٩ و ٦٠) .

ومع أن ابن رشد يذكر علم المناظر (ص ٦٠) وأصحاب علم المناظر (ص ٦١) - وأغلب الظن أنه يقصد أفلاطون وأقليدس وبطليموس - فيبدو أنه لم يكن له معرفة بكتاب المناظر لابن الهيثم (ت ٤٣٠ هـ = ١٠٣٩ م) . ولو عرفه لكان عرضه للحقائق التي أوردها في هذا الباب أكثر دقة ووضوحاً .

وسبب الرؤية هو الانعكاس (انعكاس شبح عن الجسم المنظور إلى العين) والانعطاف (ص ٦١) ، وهو يذكر انكسار الشعاع وانعطافه على أنها يؤديان معنى واحداً (ص ٦٠) . ويشترط ابن رشد في

الانعكاس أن يكون عن سطح متصل أملس . وبما أنه يذكر ذلك في عرض انعكاس الأشعة عن السحاب (ص ٦٢) فإنه يفضل أن يكون ذلك السطح مقعراً لأن سطح الغمامة يكون محدباً (راجع ص ٦٢) . والغريب أن ابن رشد يعود فيجعل الشعاع المنعطف غير الشعاع المنكسر (ص ٦٢ ، السطر الأخير) . ثم يتابع القول فيقول (ص ٦٣) : ولما كانت خاصية الشعاع المنكسر (المنعطف) أن يكون (تكون) زوايا الانكسار منه من جميع الجهات متساوية ، وجب أن لا يكون بُعد نقطة الإبصار عن مركز الغمامة والسحاب (أو السحاب ؟) أي بُعد البصير ، بل بعداً محدوداً ، وذلك بحسب بعد (الجسم) المنير عن السحاب و (بعد) السحاب عن أبصارنا . وتبين هنالك أن ذلك يتم بأن تكون نقطة أبصارنا أقرب إلى السحاب منها إلى أبصارنا ، ثم يورد ابن رشد لانعكاس الشعاع عن السحاب كي تتشكل الهالة (راجع تحت) شكلاً هندسياً مبرهنًا بتفصيل (ص ٦٣ - ٦٥) .

ومن توابع البصريات انتقال الحرارة مع الشعاع من الشمس إلى الأرض وإلى جو الأرض . وقد وفي ابن طفيل (ت ٥٨١ هـ = ١١٨٥ م) حق هذا الموضوع من الوضوح لما قال في قصته الرمزية البارة « حي بن يقظان » (دمشق ، الطبعة الرابعة ١٣٣٩ هـ = ١٩٤٠ م ، ص ٧٦ - ٧٨) :

.... قد تهرهن في العلوم الطبيعية أنه لا سبب لتكون الحرارة إلا الحركة أو ملاقات الأجسام (احتكاك الأجسام) أو الإضاءة وأن الشمس لا تسخن الأرض كما تسخن الأجسام الحارة أجساماً أخرى

تماسّها ولا الشمس أيضاً تسخن الهواء أولاً ثم تسخن بعد ذلك الأرض بتوسط سخونة الهواء . وكيف يكون ذلك ونحن نجد أن ما قرب من الهواء من الأرض في وقت الحر أسخن كثيراً من الهواء الذي يبعد عنا علواً ؟ فبقي أن تسخين الشمس للأرض إنما هو على سبيل الإضاءة لا غير ، فإن الحرارة تتبع الضوء أبداً ، حتى أن الضوء إذا أفرط في المرآة المقعرة أشعل ما حاذها .

وابن رشد كان تلميذاً لابن طفيل على الحصر ، ومع ذلك فإن كلامه في تسخين الشمس للهواء والأرض يلتقي قليلاً بقول ابن طفيل ويفترق عنه كثيراً حتى كأن ابن رشد لم يقرأ كتاب شيخه (أستاذه) ابن طفيل . يقول ابن رشد في هذا الموضوع (رسائل : كتاب السماء والعالم ٤٨ - ٥٠ ثم الآثار العلوية ٢٠ ، ٣٩ ، ٤٦) :

فنقول : إن الشمس يوجد لها (فعل) التسخين من جهتين : إحداها من قبل الحركة والثانية من قبل الإضاءة وأما الأمر الخاص بتسخين الكواكب والشمس فهو الإضاءة . فإنه يظهر أن الضوء - بما هو ضوء - عندما ينعكس يسخن الأجسام التي لدينا بقوة إلهية ، وبخاصة إذا كانت الخطوط الشعاعية منه واقعة على الجرم المتسخن على زوايا قائمة ، لأنه حينئذ يكون أكثر ما يكون الانعكاس (= يكون الانعكاس على أشده) . وإذا كان الانعكاس أكثر كانت الإضاءة أكثر على ما نشاهده في المرايا المحرقة وفي الزجاج التي يحرق بها الفطن وبخاصة إذا كان الجسم الذي ينعكس فيه الضوء صقيلاً وأما ما يمكن أن يتشكك به على هذا من أن كل فعل وانفعال يكون في

الأجسام إما يكون بمثابة إن كان (من) الفاعل القريب . فإن لم يكن (من الفاعل القريب) فيتوسط جسم آخر ، إذ أنه لا يمكن أن يكون بتوسط الخلاء فعل وانفعال . وإذا وضع هذا هكذا ، فكيف يمكن أن تسخن الشمس الهواء بتوسط ما دونها من الأفلاك من غير أن ينفعل ذلك المتوسط وكذلك الأمر في الأجرام السماوية فإنها تقبل الإضاءة وتؤديها إلى الهواء فتفعل فيه تسخيناً وإن لم تفعله في الأجرام السماوية :

إذا نحن قارنا كلام ابن رشد بالقول الصواب الذي سبق لابن طفيل بأن لنا أن الصواب والخطأ في قول ابن رشد يختلط بعضها ببعض . وسبب ذلك ، فيما أرى ، أن ابن رشد يجب أن يلتزم بآراء أرسطو — أو بالآراء التي نسبت في النقول العربية إلى أرسطو — وهذه الآراء ، سواء أكانت لأرسطو أو كانت منسوبة إليه ، تدور في جدال نظري ثم هي ليست ، في آراء ابن رشد وفي آراء أرسطو ، مقصودة لذاتها بل وسيلة إلى أن تكون أدلة على آراء فلسفية .

ولا أحسب أن العرب قد عرفوا طبيعة الضوء ولا سبب ظهور الألوان . وقد ظلوا إلى أيام ابن رشد (ت ٥٩٥ هـ - ١١٩٨ م) يذهبون إلى أن هنالك لونين : الأبيض والأسود ، وإلى أن من اختلاط الأبيض والأسود (أو النور والظلمة) تنشأ سائر الألوان . وهذا رأى خطأ فالأبيض هو مزيج من جميع الألوان ، والأسود ليس لوناً بل غياب لجميع الألوان . ولقد كان ابن رشد قد وقع على كلمة تخدم البحث في رأيه الخاطيء هي الصريم (فصل المقال ١١) وعرفها بأنها المقبول

على الضوء والظلمة . والصريم في القاموس هو الصبح والليل (من الأضداد) ، وهو القطعة من الليل . والأصرمان هما الليل والنهار ثم على المجاز الذئب (الأغبر) والغزال (الأبيض ؟) أو الصرد (بضم ففتح) والغراب فالغراب أسود والصرد أخطب أو أبقع (في لونه غبرة أو صفرة) ، وقيل الصرد طائر نصفه أبيض ونصفه أسود (راجع تاج العروس ، الكويت ٨ : ٢٧٣) .

يرى ابن رشد أن للون وجوداً ذاتياً (نهفت النهفت ٢٢٨ ، ٥٥٠ ثم راجع ٢٩٠ - ٢٩١ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥) فهو يقول (ص ٢٢٨): فإن اللون نجد له مراتب في الوجود بعضها أشرف من بعض ، وذلك أن أخس مراتبه هو وجوده في الهیولی ، وله وجود أشرف من هذا وهو وجوده في البصر ، وذلك أن هذا الوجود هو وجود اللون مُمدّرك لذاته ...

ومع أن ابن رشد يجادل في ذلك جدالاً نظرياً فإنه يقترب من العلم حينما يؤكد الصلة بين اللون والضوء وإن كان تعليقه لهذه الصلة بعيداً عن العلم . فلنستعرض شيئاً من الآراء التي قبلها في هذا الموضوع والتي وردت في رسائله (رسائل ابن رشد) . يقول ابن رشد : وأما الأجسام ذوات الألوان التي ليس لها أشعة (أي التي ليست مضيئة بنفسها أو بالانعكاس) فإنها إنما تحرك الإبصار (بكسر الهمزة) على سمت (اتجاه) خطوط بهذه الصفة (ورود شبح الأجسام الملونة الى العين ؟) (الآثار العلوية ٦١) . وقوة الإبصار (بكسر الهمزة) تقبل معاني الألوان مجردة من الهیولی (كتاب النفس ٢٤) . إن

الجسم الذي من شأنه أن يقبل اللون من جهة ما هو غير ذي لون هـ و الجسم المشف من جهة ما هو مشف ... ولكن هذه الأجسام المشفة يظهر من أمرها أنها إنما تقبل الألوان حين هي مشفة بالفعل ، أي مستضيئة ، ولذلك لا يمكن أن تبصر (تبصر : بالبناء للمجهول مع التأنيث) في الظلام . وإنما تكون مشفة بالفعل حين حضور المضيء . فإذاً ، إنما يتفق الإبصار بهذين الأسطقيين (المنصرين : الماء والهواء وهما الغالبان في تكوين أجزاء العين) وبالضوء فقد يظهر من أمر هذه (الأجسام المضيئة أو المستضيئة) أنها بخلاف (الأجسام ذوات) الألوان إذ كانت إنما تبصر (أقرأ : تبصر بالبناء للمجهول) في الظلمة و (الأجسام ذوات) الألوان (إنما تبصر) في الضوء فقط ، حتى قيل إن خاصة اللون أن يحرك للمشف (أقرأ : المشف ؟) بالفعل . والأولى بهذه (الأجسام ذوات الألوان) أن يظن أنها تضيء من جهة أنها تقبل الانعكاس (أي : ينعكس اللون عنها) لأنها في طبيعة المرئي ، وإن كان ليس يمكن أن تضيء غيرها (كتاب النفس ٢٦ - ٢٨) ؛ ذلك أنه لا تحدث رؤية إلا عن انعكاس الشعاع (كتاب النفس ٣٢ ، السطر ١١) .

وبينما يرى ابن رشد أن اللون موجود بذاته ، أي أن له وجوداً حقيقياً ، ولعله جسم ، نجده يقول في الضوء إنه غير جسم أصلاً (كتاب النفس ٢٨) .

وللتون عند الإنسان مدارك مختلفة يراها ابن رشد في الأوجه

التالية (تهافت التهافت ٢٦٢) :

• ومثال الاختلاف الذي يكون من قبيل اختلاف القوابل

استعداد الأجسام لتقبل الآثار الطارئة) ، وكون المختلفات بعضها أسباباً لبعض ، اللون . فإن اللون الذي يحدث في الهواء غير الذي يحدث في الجسم ، والذي يحدث في البصر — أعني في العين — غير الذي يحدث في الهواء ، والذي يحدث في الهواء والذي يحدث في الحس المشترك غير الذي يحدث في العين ، الخ .

وكلام ابن رشد في الهالة (وهي الطفاوة أو الدائرة المنيرة التي ترى حول الشمس أو القمر أو السراج إذا اعترض بين هذه وعين الرائي رطوبة على درجة معينة من الكثافة) قريب من الصواب المقبول، أعني الصواب الذي يألفه الملاحظ لهذه الظاهرة ولو لم يكن عالماً بالبصريّات . ويصيب ابن رشد حينما يجعل الهالة من باب التخيل (لأن الهالة لا تكون في الحقيقة حول الشمس أو حول القمر — لأن جو القمر وجو الشمس ليس فيها هواء رطب ولا هواء البتة ، ولكن الهالة تكون في الحقيقة حول عين الرائي) . وابن رشد على حق في قوله (رسائل : الآثار العلوية ٦٠) إن أثر هذه الظاهرة في نفس الرائي يختلف قوة وضعفاً بعوامل كثيرة منها طبيعة الأشياء المنظورة وكبرها وصغرها وقربها من الناظر وبعدها ومركز الرائي بالإضافة إليها (ص ٥٩) . ثم هنالك الأجسام التي تقوم بيننا وبين تلك المُبْصَرَّات (أي أنواع تلك الأجسام : هواء رطب على كثافة معينة أو قطعة من نسيج رقيق ، الخ) . وربما كان الجو بيننا وبين الجسم المنير صافياً لا يقتضي ظهور الهالة ، ولكن هذه الهالة قد تظهر الرائي (على درجات مختلفة من البروز) إذا كانت في بصره ضعف (ص ٦٠ ، السطر ٦) . وسبب ظهور الهالة (ص ٦٠ السطر ١٥ وما بعد) مايلي :

.... » إن سبب هذا كله هو انعكاس (كذا) الشعاع أو انعطافه ، والنظر الحقيقي إنما يكون بشعاع مستقيم . وإن مثل هذه التخاييل (كالهالة) إنما تعرض بانكسار الشعاع أو انعطافه ، وإن الشعاع إنما ينعكس^(١) أو ينعطف من (أثر) الأجسام المشفة الكثيفة كالماء والهواء الرطب المائي ، وهي التي تنفذ الأضواء فيها وليس لها لون خاص .

وبعد هذا الكلام الذي هو شبه المقدمة ينتقل ابن رشد إلى الكلام على الهالة مباشرة فيقول (ص ٦١) :

« فنقول : أما الهالة فإنه (كذا) أثر مستدير يرى حول القمر أو بعض الكواكب ، وفي الأقل حول الشمس . ولما كان هذا الأثر يعرض إذا قام السحاب بيننا وبين (الجسم) المنير في السحاب (يقصد : من خلال السحاب الرقيق) إلى أبصارنا أو انعطافه ، ويكون اللون الذي يُرى لذلك الأثر كالمتزج من لون الغمام ومن ضوء (الجسم) المنير لضعف البصر عن أن يفرق بينهما ، كالحال في سائر التخاييل التي تعرض هنالك .

هنا موضع ملاحظات . الهالة في الواقع تُرى كأنها دائرة والأليق أن يقال : كرة . ويقصد ابن رشد بالسحاب مرور النور من الجسم إلى

(١) ترد كلمتا انعكاس وانعطاف في هذا النص بلا تمييز بينهما . الانعكاس هو ارتداد الضوء عن السطح الصقيل . والانعطاف (ويقال له اليوم انكسار الضوء) هو أن يعاني الضوء في أثناء امتداده انحرافاً عند خروجه من مجال على كثافة معينة إلى مجال آخر ذي كثافة مختلفة (أرق أو أغلظ) . والهالة تحدث لعين الراي حينما يمر شعاع الضوء من جسم منير إلى عين الراي خلال جو مشبع برطوبة معينة ، فينعطف (ينكسر) .

أبصارنا في جسم كروي يتيح للنور المارّ أن ينعطف أو ينكسر - وقد أدرك ابن رشد وسيلة ظهور الألوان ولم يدرك طبيعته (. ثم إن ابن رشد يستعمل الانعكاس والانكسار بلا تمييز بينهما في المعنى .

« وقوس قُزَح ترى أبداً (رسائل : الآثار العلوية ٦٥) قبالة (أي مقابلة) للشمس ، إذا كانت الشمس قريباً من آفاق الطلوع والغروب ، وكان هنالك سحاب مشف متكاثف » . ويتابع ابن رشد الكلام فيقول : « وبخاصة في الأيام الطوال . وأما في الأيام القصار فقد ترى النهار كله » .

ولست أدري المقصود من ذكر الأيام الطوال والأيام القصار هنا . وسبب ظهور قوس قزح (رسائل : الآثار العلوية ٦٦) « انعكاس (يقصد : انكسار أو انعطاف) شعاع الشمس من ذلك الغمام إلى الأبصار » . ويلاحظ ابن رشد أن ظاهرة قوس قزح (أي ظهور ألوان مختلفة في جو مشمس) تتكرر إذا اتفق انتشار شيء من رشاش الماء في نور الشمس ، في بر أو بحر . وذكر ابن رشد أن ابن سينا قد رأى مثل هذه الظاهرة في الحمام (لأن جو الحمام يكون عادة مشبعاً ببخار الماء . فإذا اتفق أن نفذ إليه شيء من شعاع الشمس من كوة أو نحوها ، انعطف شعاع الشمس في بخار الماء ذلك وظهرت الألوان المألوفة في قوس قزح ، ولكن على غير ترتيب) .

ولم يجد ابن رشد إظهار الألوان في قوس قزح سبباً فتخيل أن هذه الألوان تتولد من امتزاج نور الشمس بكثرة الغمام - وهو التعليل الذي كان عند اليونانيين من قبل (راجع الآثار العلوية ٧٤ - ٧٦) .

وتعليل الشفق عند ابن رشد ليس مختلفاً من تعليل ظهور الألوان في قوس قزح . ففي « الآثار العلوية » (ص ١٣ - ١٤) : « فنقول :

أما الألوان الدموية التي تظهر ليلاً ، فإن السبب في ظهورها إشراق الضوء في الغيم الكثيف الأسود ، وذلك أن من شأن الضوء إذا لاقى جسماً كثيفاً مشافاً أن يشع (يشيع ؟) فيه فيحدث من ذلك المنظر لون متوسط بين بياض الضوء وسواد الغمام والدليل على ذلك أن الشمس والكواكب إذا طلعت في هواء كثيف رؤيت حمراء ومن هذا الجنس الحمرة التي تظهر عند غروب الشمس ، وهي المعروفة بالشفق . ويصيب ابن رشد في تفسير شدة الحمرة في الشفق حيناً يقول : « فأما السبب في اختلاف هذه الألوان (ظلال الألوان) في شدة الحمرة وضعفها فهو من قبيل اختلاف الغيم في قلة السواد وكثرته ورقته أيضاً وغلظه ، ومن قبل كثرة الضوء وقلة والقرب والبعد وضعف الأبصار وقوتها . ولهذا يظهر بعض هذه الألوان حمراء قانية وبعضها شقراء وبعضها صفراء .

- للبحث صلة -

بيروت

عمر فروخ

وقفنة مع ديوان بشار بن برد

تحقيق الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور

أنا المرعث لا أخفى على أحد ذرّيت بي الشمس' للداني وللنائي
(بشار)

الدكتور شاكر الفحام

١

نعمت بصحبة الشاعر العظيم أبي معاذ بشار بن برد عامي ١٩٥٨ و ١٩٥٩ . كنت أعدّ حينذاك رسالة التبريز (الماجستير) التي اخترتُ موضوعاً لها : دراسة شعر بشار بن برد ، وكانت الأجزاء الثلاثة التي ظهرت من ديوان بشار بتحقيق الأستاذ العالم محمد الطاهر بن عاشور شيخ جامع الزيتونة الأعظم بتونس (١) ، خير مؤنس لي في رحلتي الممتعة مع

(١) اشتملت خزانة كتب الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور على مخطوطة =

أشعر المحدثين ، ورأس المطبوعين ، وإن لم تخل تلك الرحلة من تنغيص قليل مردّه إلى ما حفلت به مخطوطة الديوان اليتيمة من التصحيف والتحريف . وعلى ما بذل الشيخ الطاهر - طيب الله ثراه - من جهد بلغ الغاية ، وما قام به أصحابه الأستاذان محمد رفعت فتح الله ومحمد شوقي أمين من مراجعة وتهذيب ، فما زال الديوان يفتقر إلى تضافر العلماء ليضطلعوا بتصحيحه ، ويمسحوا الهنات عن وجهه ، ذلك بأن التركة ثقيلة ، والعبء مرهق ، ينوء بالعصبة أولى القوة .

ولقد وقفتُ بأبواب القوافي ، وأنا أطلع الديوان ، فأطلت الوقوف ، وأتاحت لي الصحبة الحبيبة أن أرجع قراءة في الأبيات تخالف ما اتجه إليه المحقق والمراجعان ، وأن أوثر تفسيراً أراه أقرب إلى مراد الشاعر ،

= الجزء الأول من ديوان بشار ، وقد رتبته فيها القصائد على حروف المعجم ، وهي تبدأ بحرف الهمزة ، وتنتهي في أثناء حرف الراء . أوراقها (٢٧٥) ورقة ، وعدد أبياتها (٦٦٢٨) بيت . وقد قام الأستاذ محمد الطاهر بتصحيح الديوان وشرحه ، فخرج في ثلاثة أجزاء ، طبعت في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة بين عامي (١٩٥٠ - ١٩٥٧ م) ، وأعان الشيخ في مراجعة الجزأين : الأول والثاني ، والاشراف على طبعها الأستاذان محمد رفعت فتح الله ، ومحمد شوقي أمين ، وانفرد الأستاذ محمد شوقي أمين ، بمراجعة الجزء الثالث والاشراف على طبعه (انظر ديوان بشار ١ : ٩٠ - ٩٣ ، وكلفي « بيان » في مطلع الجزأين : الأول والثالث من الديوان) ، ثم أخرج الشيخ الطاهر ملحقات الديوان في جزء رابع صدر في القاهرة عام ١٩٦٦ ، وهو يضم ما تناثر من شعر بشار في كتب الأدب ، مما لم تحوّه قطعة الديوان المخطوطة .

وألصق بمذهبه ، واخترت من ذلك شواهد وأمثلة ضمنتها رسالتي حين أعددتها للمناقشة ، ثم صرفتني شواغل عن طبع الرسالة ، فوددت أن أفرد ماترجيح لي من تصحيحات الديوان في مقالة أنشرها في إحدى مجلات التراث ، فكان « شهر ربيع كجهادى البوس » (١) ، فسدت دونها ثوباً ، ومرت الأيام حافلة بأحداثها ، وضربت بيني وبين عملي في بشار بسور ، وطويت تلك الصفحة ، وانقضى تسعة عشر عاماً لم يخطر لي ما كان من أمري وأمر الديوان ببال . وإذا قادم يقدم إليّ منذ أيام ، من أرض الجزائر الحبيبة ، جزائر العرب والعربية ، يحمل إليّ طبعة جديدة من ديوان بشار ، صدرت بأجزائها الأربعة في النصف الأول من عام ١٩٧٦ (كانون الثاني — أيار ١٩٧٦) ، وشاركت في إخراجها تونس والجزائر ، وتصفحتهما على عجل ، فإذا هي إعادة طبعة الشيخ الطاهر الأولى ، احتفظت باسمه وتحقيقه وشروحه ، وفاءً لجهوده المشكورة في خدمة العربية ، وخدمة الديوان . ولئن لم تلتزم الطبعة الجديدة شروح الطبعة الأولى التزاماً تاماً دقيقاً ، إنها التزمت قراءات النصوص كما جاءت في الطبعة الأولى أشد التزام ، لم تحذف عنها قيد أنملة ، فذكرت ما نسيت ، وهاجت ما سكن ، « حرك لها حوارها نحن » (٢) ، وصح مني العزم أن أعود لما كتبت ، « والعود أحمد » (٣) ، فانفض عنه غبار النسيان ، وأجلوه للناظرين .

(١) من أمثالهم ، وهو يضرب لمن يشكو حاله في جميع الأوقات : أخصب أم أجذب (أمثال الميداني ١ : ٣٨٦) .

(٢) من أمثالهم ، ومعناه : ذكره بعض أشجانه يهيج له (أمثال الميداني ١ : ٢٠٠)

(٣) من أمثالهم ، ومعناه : ان الابتداء محمود ، والعود أحق بأن يحمد منه (أمثال الميداني ١ : ٤٩٥) .

وقد رأيت أن أتخير جملة صالحة مما كتبت ، تكون شاهد ما وراءها ، ولم أقصد إلى الاستقصاء . ثم اني لا أزعم أن ما ذهبت إليه ورجحته من قراءة أو تفسير هو الراجح ، وإنما هو ما أداني إليه اجتهادي أعرضه العرض الرفيق ، لا أقطع فيه بيقين ، وأنا أعلم أنه جهد المقل ، وأن بضاعتي في العربية مزجاة . وليست كلمتي في معرض التعقب على الشيخ الطاهر - غفر الله له وأجزل ثوابه - فقد قدّم من العمل ما يوسع العذر ، وإنما هي خدمة العربية الخالدة ، التي راعت بفصاحتها ، وسحرت بحسن بيانها ، فإن أصبت فبنعمة الله ، وإلا فغاية ما أرجو أن أنتفع بما يرشدني إليه علماء اللغة الأبيناء ، وفرسان الكلام المجلّثون في ميدانه ، و«علمان خير من علم»^(١) و«إن العصا قرعت لذي الحلم»^(٢) .



٢

الجزء الأول من الديوان :

١ - قال بشار يذكر قطعه فلاة واسعة (١ : ١٠٩) :

قد تجشمتمها وللجندب الجو ن نداء في الصبح أو كالنداء
حين قال اليعفور وارتكض الآ لُ بريعانه ارتكض النّـاء

ويبدو لي أن كلمة «الصبح» في البيت الأول مصحفة ، صوابها :

(١) من أمثالهم ، يضرب في مدح المشاورة والبحث (أمثال الميداني ١ : ٤٨٣ - ٤٨٤)

(٢) من أمثالهم ، يضرب لمن إذا نبتة انتبه (أمثال الميداني ١ : ٣٩ - ٤١)

« الضحى » ، بالضاد المعجمة ، والحاء المهملة المشددة ، وهو ضوء الشمس إذا استمكن من الأرض . وفي حديث أبي خيثمة : « يكون رسول الله ﷺ في الضحى والريح » ، وأنا في الظل ، أي يكون بارزاً لحر الشمس وهبوب الرياح . وبذلك يزول التناقض في الزمن بين البيت الأول وتاليه : « حين قال يعفور » ، وارتكض الآل ، ولا يقلل يعفور (١) إلا في الهاجرة ، لأن القيلولة عند العرب : الاستراحة نصف النهار ، وإن لم يكن معها نوم (لسان العرب) . فبشار قد تجشم قطع الفلاة في الهاجرة والحر ، يحتمل المشقة ، فعل ذي العزم ، طلباً للقاء الممدوح . ومن أقوال الشعراء في صرير الجندب ونزوه ، يستغيث من شدة الحر المفرطة قول الأعشى (د : ٩٧) :

وبيداء يلعب فيها السرا ب' ، لاهتدي القوم فيها مسيرا
قطعت' إذا سمع السامعو ن للجندب الجون فيها صريرا

وقال ذو الرمة :

وهاجرة من دون مية لم تكيل' قلوصي بها ، والجندب الجون يرمح'
وقال بشار نفسه في مديح يزيد بن حاتم يصف الهاجرة وحر الصحراء ،
ويذكر صرير الجندب (٣ : ١٨٦ - ١٨٧) :

ومصفيات وقعها تقدير'
قود براها النص والتسير'
والوخد حين احترق الهجير'

(١) يعفور : الظبي الذي لونه كلون التراب ، وقيل : هو الظبي عامة ، وقيل :
اليعفور ، الخشف ، سمي بذلك لصغره ، وكثرة لزوقه بالأرض (لسان العرب)

وقد تردى بالسراب القـور

والجنـدب الجـون له صرير

٢ - وقال بشار يمدح عقبة بن سلم الهنائي الأزدي بالسقاء (١: ١١١):

كخراج السماء سيبٌ يديه لقريب ونازح الدار نساء

وضبطت لفظة « خراج » بفتح الحاء المعجمة ولم تفسر . والصواب كسر الحاء . فالخرج : بفتح فسكون ، السحاب أول ما ينشأ، وقال الأنخفش : يقال الماء الذي يخرج من السحاب : خرج . وتجمع خرج على خراج بكسر الحاء . يصف بشار عطاء عقبة وفيض يديه للقريب والبعيد من قاصديه ، فيشبهه بسحاب السماء .

٣ - وقال يمدحه بالشجاعة والسقاء (١ : ١١٣) :

أسد يقضم الرجال ، وإن شئت ت ، فغيث أجش ثر السماء

و « السماء » في البيت محرفة عن « الماء » فبشار يصف الغيث بأنه غزير الماء ، يشبه به ممدوحه عقبة ليدل على تدفق عطائه لسائليه .

٤ - وقال يتغزل (١ : ١١٥) :

فاذكري حلفتي : أفارف أخرى يوم زكّيتك اليمين البكاء

يوم لا تحسبي يميني خلايا يميني توقّر الأحشاء

ولعل الصواب : « يوم لم تحسبي » ، والخلاب والخلابة ، بكسر الحاء : الخداع . وفي حديث رسول الله ﷺ : لا خيابة .

٥ - قال بشار في هجاء أبي هشام عمرو بن عبد الرحمن بن الحلق

الظالم الباهلي (١ : ١٢١) :

أبوك ، إذا غدا ، خنزير وحش وأمك كلبة فيها بذاء
والصحيح : « خنزير حش » . والحش : المتوضأ ، سمي به لأنهم
كانوا يذهبون عند قضاء الحاجة إلى البساتين . وقد ردّد بشار هذا المعنى
في أمّاجيه . قال (١ : ٣٦٩) :

لح الله أبناء الخلق فإنهم — خنازير حش — ، سخرت لسروب
وقال (٣ : ١٩٧) :

للملك عباس وأبنائه قدما ، وللحش الخنازير
٦ ويقول بشار يتغزل (١ : ١٢٦) :

تحمل والي « أم بكر » من اللوى وفارق من هوى ، وبئت رجاء
وصحة البيت : « وفارق من تهوى » ، بالتاء المثناة من فوق ،
أي : وفارقك من تهواه ، حين ارتحلت أم بكر وظعنت بتحمل واليها
من اللوى .

٧ — وقال بشار (١ : ١٢٦) :

إذا أسفرت طاب النعيم بوجهها وشبه لي أن المضيق فضاء
ضبطها الشارح : « أسفرت » بالهمزة ، والصحيح : « سفرت »
(فعل ثلاثي مجرد) ، وهي رواية المختار من شعر بشار ، قال في المختار
(ص : ٩٠) : « يقال : سفرت المرأة عن وجهها : إذا كشفتها ،
وأسفر وجهها : أضاء » . قال في اللسان : « وإذا ألفت المرأة نقابها قيل :
سفرت فهي مافر ... » . قال بشار (٣ : ١٥) :

مشهورة الجمال بعارضها إذا سفرت لها نظر جديد

وقال ذو الرمة :

ولو أن لقمان الحكيم تعرضت لعينيه مي سافراً كاد يبرق

وقال بشار يتغزل بهند (١ : ٢٧٣) :

أملح الناس جميعاً سافراً أو في نقاب

٨ - ورد في الديوان (١ : ١٣٢ - ١٣٣) قصيدة رويها على الألف

المقصورة ، وإن القراءة المتأنية لتوجب أن يكون رويها الألف الممدودة ، إذ لم ترد في القوافي كلمة واحدة مقصورة . ولا يعقل أن يبلغ العجز بشار أن يقصر جميع الكلمات الممدودة ، ليجعل روي قصيدته الألف المقصورة . ولعل الشارح الفاضل قد تورط ببعض الخطأ حين أراد أن يقصر المعاني ، وخرج إلى أقوال وتفسير غريبة . قال في المطلع :

ذهب الدهر بسـمـط وبرأ وجري دمعي سحاً في الردا

« السـمـط : الحيط المنظوم فيه الدر ، والمراد أن الدهر نثر سلك

صاحبه ، وبرأ جمع برة ، وهي الحلقة التي تلبسها المرأة » ويتجلى معنى البيت صحيحاً بديناً إذا مدت القافية :

ذهب الدهر بسـمـط وبرأ وجري دمعي سحاً في الردا

وفد ضبطت كلمة « برأ » في المخطوطة بفتح الباء ، لا كما أرادها

الشارح مضمومة . فبشار يرثي صديقه : سمطاً وبرأ ، حين غلبته المنية عليها ، فبكاهما أحراً بكاء وأوجعه ، وأكثر من ذكرهما . قال (٢ : ٢٩٧) : تبكي نديمك راحاً في حنوطها ما أقرب الراح المبقى من الغادي

وقال (٣ : ١٥٥) :

فقلت : هم عراني من أخ سبقت به المنايا ، كـرـيـم المهد مودود

كان الدنيء فغال الدهر ألفته والدهر يحدث وهناً في الجلاميد
وجار دجلة حلّت بي مصيبتها وفاتني سيد من معشر سود
قد كنت أرجو مع الراجي إياها حتى أقامها على رغمي بلحود
وقال (أمالي الشريف المرتضى ٢ : ١٣٣) :

غمض الحديد بصاحبيك فغمضاً وبقيت تطلب في الحباله منهضاً
وقد جاء اسم « البراء » صديق بشار في خبر أورده صاحب الأغاني
قال (الأغاني ٣ : ٢٣٤) : « كان ابشار خمسة ندماء ، فمات منهم أربعة ،
وبقي واحد يقال له البراء ، فركب في زورق يريد عبور دجلة الموراء
فغرق ... فكان بشار يقول : ما خير في الدنيا بعد الأصدقاء ، ثم رثى
أصدقاءه بقوله :

كان لي صاحباً فأودى به الدهر - ر ، وفارقت عليه السلام
بقي الناس بعد هلك نداماً ي وقوعاً ، لم يشعروا ما الكلام
كيف يصفو لي النعيم وحيداً والأخلاء في المقابر هام
نفسهم عليّ أم المنايا فأنامتهم بعنف فناموا
لا يفيض انسجام عيني عليهم إنما غاية الحزين السجام .

٩ - قال بشار (١ : ١٣٣) :

ادنّ مني تلقني ذا مرّة ناصح الحب ، كرمياً في الاخاء
وصحيع الرواية : ناصح الجيب . قال في اللسان (نصيح ، جيب) :
ورجل ناصح الجيب ، نقي الصدر ، ناصح القلب ، لا غش فيه . كقولهم :
طاهر الثوب ، وكله على المثل ، قال النابغة :

أبلغ الحارث بن هند بأني ناصع الجيب ، باذل للشواب
 وقال : وخشنت صدرأ جيبه لك ناصع
 ومن أمثالهم : رب غريب ناصع الجيب (العقد الفريد ٣ : ٧٦) ،
 وجاء في أساس البلاغة : ومن المجاز : هو ناصع الجيب .

١٠ - قال بشار (١ : ١٣٣) :

ما أراك الدهر إلا شاخصا دائب الرحلة في غير غناء
 والمعنى لا يستقيم ، أن يدأب الانسان في السعي ، ولا يصيبه الغناء
 (بالعين المهملة) ، رصحة الكلام : « دائب الرحلة في غير غناء »
 (بالغين المعجمة المفتوحة) ، إذ أن بشاراً يحقر من أمر الدنيا ، ويقلل من شأنها ،
 ويرى ألا يندفع الانسان في طلبها « فدع الدنيا وعش في ظلها » (١ : ١٣٣)
 فكل ما يجنيه من الدأب والعمل لا نفع له ، ولا غنية فيه .

١١ - قال بشار (١ : ١٣٣) :

ترجع النفس إذا وقترتها ودواء الهم من خمر وماء
 وصحة الكلام : « ودواء الهم في خمر وماء » ، وقد ورد البيت
 صحيحاً في كتاب الفصول لابن المعتز .

١٢ - قال بشار (١ : ١٣٩) :

يا صاح قد كنت زللاً عذباً
 ثم انقلبت بمسد ابن صعبا

 يا صاح قد بلغت عني ذنباً

وهل علمت خلقي منكبا ؟

وهل رأيت في خلطي عتبا ؟

والسياق يقتضي أن يقال : « يا صاح ، هل بلغت عني ذنباً ؟ »
بصيغة الاستفهام ، لا بصيغة التقرير التي وردت .

١٣ - وقال في مديح عقبة بن سلم الهنائي (١ : ١٤٣ - ١٤٤) :

يلقاك ذو الغصة للشراب

بلج المحيا ، محصد الاسباب

يجري على العلات غير كاب

ولعل الصواب : تجري ، بالتاء المثناة من فوق ، والحملة حال من
الكاف في يلقاك .

١٤ - وقال في وصف نحوه (١ : ١٤٦) :

يا صاح ، لاتسأل بجي لها وانظر إلى جسمي ثم اعجب

من ناحل الألواح لو كتبه في قلبها مرة ولم ينشـب

ضبطت « قلبها » بفتح القاف ، والصواب ضمها . قال في القاموس :

القلب ، بالضم ، سوار المرأة . وقال في اللسان : القلب من الأسورة ما كان

قلدا واحداً . وأظن ضبط القاف مفتوحة من خطأ المطبعة ، لأن الشارح

أحسن ضبطها وتفسيرها في قول بشار (١ : ١٧٠) :

سقط النقاب ، فراقني — إذ زاح — قُرطاه وقلْبُه

١٥ - وقال من قصيدة يمدح بها يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري في

صفة خيله المغيرة على أعدائه (١ : ١٥٢) :

يتبعن مخذولاً وأشياءه بالعين فالروحاء فالمرقب

فقال الشارح : أراد بالخذول : المثنى بن عمران العائذي عامل الخوارج على العراق ، إذ لاقاه ابن هبيرة بعين التمر فهزمه ، ثم لحق به وبجمعه في جهات متعددة لعلمها هي التي أرادها بشار بقوله : فالروحاء فالمرقب . ويقول الطبري (٩ : ٦٥ - ٦٦) : فاستعمل [الضحاك بن قيس الشيباني ، رأس الخوارج] على الكوفة المثنى بن عمران من بني عائدة . . وانحط [يزيد بن عمر] بن هبيرة من نهر سميد [بن عبد الملك ، وهو دون الرقة من ديار مضر] حتى نزل غزة من عين التمر ، وبلغ ذلك المثنى بن عمران العائذي عامل الضحاك على الكوفة ، فسار إليه فيمن معه من الثرابة ، ومعه منصور بن جمهور [الكلبي] ، وكان صار إليه حين بايع الضحاك ، خلافاً على مروان [بن محمد ، آخر خلفاء بني أمية] ، فالتقوا بغزة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً أياماً متتالية ، فقتل المثنى ، وعزير ، وعمرو ، وكانوا من رؤساء أصحاب الضحاك ، وهرب منصور ، وانخرمت الخوارج . . . فلما قتل منهم من قتل في يوم العين [عين التمر] ، وهرب منصور بن جمهور أقبل لايولي حتى دخل الكوفة ، فجمع جمعاً من اليمانية والصفرية . . . فجمعهم منصور جميعاً ثم سار بهم حتى نزل الروحاء ، وأقبل ابن هبيرة في أجناده حتى لقيهم فقاتلهم أياماً ، ثم هزمهم وهرب منصور فنص الطبري يدل على أن المراد بالخذول في بيت بشار ، منصور بن جمهور الكلبي الذي حلت به الهزيمة في العين والروحاء ، وأنجابه الفرار (١) وهو أشبه بطريقة العرب في سبها وتشفيها بأعدائها ،

(١) مضى منصور بن جمهور الكلبي ، بعد هزيمته في العين والروحاء والمرقب ، إلى السند ، فغلب عليها . ولما كانت سنة ١٣٤ هـ وجه أبو العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين موسى بن كعب لقتال منصور ، فقاتله وهزمه ، فهام على وجهه ومات عطشاً في الرمال (الطبري ٩ : ١٥٠ - ١٥١) .

فقدعوهم بأضداد أسمائهم ، كما قال الحجاج لسعيد بن جبير : يا شقي بن كسير (العقد الفريد ٥ : ٥٥) ، وسب مروان بن محمد يزيد بن الوليد فقال : الناقص بن الوليد (الطبري ٩ : ٤٦) ، فلا غرو أن ينهج بشار ذلك النهج فيدعو منصور بن جمهور ، مخذولاً ، وأعاد بشار تسميته بقوله (٢٥٣ : ٣) :

وقد راحت تروحنا المنابا لمخذول ، وأحرزه الفرار

١٦ - وقال بشار يتحدث عن نفسه (١ : ١٥٩) :

زَوَّرُ ملوك ، عليه أبهة تعرف من شعره ومن خطبه
وأرجح أن تكون الرواية (تعرف) بالغين المعجمة .

١٧ - وقال في النسيب بأم محمد (١ : ١٦٨) :

سَقِيّاً لأم محمد ، سقيّاً لها إذ نحن في لعب الشباب اللاعب

ضُبُطت « سقيّاً » بضم السين ، والصواب فتحها ، لأن « سقيّاً » مصدر سقيت ، فهي بفتح السين ، وهي تقال في الدعاء للإنسان ، وتنصب على أنها مفعول مطلق ، واللام التي تأتي بعدها هي لام التبيين (انظر معني اللبيب - اللام المفردة العاملة للجذر ، المعنى الثاني والعشرون) . أما السقيا بضم السين والالف المقصورة ، فهي الاسم .

ولعل الخطأ في الضبط قد وقع من فعل الطباعة . فقد جاءت الكلمة صحيحة بفتح السين في قول بشار (١ : ٢٨٠) :

سَقِيّاً له ، ولمدخل أذخاته يوم الخميس عليه في أترابه

١٨ - وقال بشار (١ : ١٧١) :

أنكرت عيشك بعده والدهر ضاق عليك رحبه°
 ضبطت « رحبه » بفتح الراء ، والصواب ضمها . قال في اللسان :
 الرحب ، بالضم ، السعة ، وطريق رحب (بفتح الراء) : أي واسع .
 ١٩ - قال بشار (١ : ١٧٥) :

طرب الحمام فهاج لي طرباً وبما يكون تذكري نصباً
 وقال متغزلاً (٢ : ٣٢٦) :

وصر من حبلك بعد أول نظرة وبما يكنّ إلى حديثك صيدا
 وقال (٣ : ١٤) :

أعادك طيفها وبما يعود وحب الغانيات جوى يؤود°

وقد جعل الشارح كلمة « وبما » في الأبيات الثلاثة محرفة عن « ربما » ،
 ولا موجب لذلك . إن رواية النسخة عربية فصيحة ، جارية على طريقة
 العرب العرباء في كلامها وأشعارها . وسنورد نماذج وشواهد من أقوالهم تمضي
 على هذا السين ، نشفع طائفة منها بأقوال الشراح الأقدمين .

ذكر الميداني في مجمع الأمثال (١ : ١٠٤) : « بما تجوعين ويعرى
 حرك » ، وقال في شرحه : « يضرب لمن يغنى بعد فقر » ، ثم يفخر
 بغناه ، فيقال له هذا القول ، أي هذا الغنى بدل جوعك وعريك قبل » .

وذكر الميداني أيضاً (مجمع الأمثال ١ : ٣١٩) : « ربما أصاب
 الأعمى رشده » ، وقال في شرحه : « أي ربما صادف الشيء وفقه من
 غير طلب منه وقصد . وكثيراً ما يقولون : بما أصاب الأعمى رشده » ،
 مكان ربما ، قال حسان [بن ثابت الأنصاري] :

إن يكن غث من رقاش حديث فبما تأكل الحديث السمين

قالوا : أراد ربما (١) . قلت : [أي الميداني المؤلف] : يجوز أن تكون الباء في قوله : فبما تأكل ، باء البدل كما يقال : هذا بذاك ، أي ببدله ، يقول : إن غث حديثها الآن فيبدل ما كنت تسمع السمين من حديثها قبل هذا . ومثله قول ابن أخت تأبط شرأ يرثي خاله :

فلئن فلتت هذيل شباه لبا كنت هذيلاً يفل

وبما أبركهم في مناخ جمع جمع ، ينقب فيه الأطل ،

ويقول المرزوقي في شرحه على حماسة أبي تمام حين يعرض لتفسير أبيات تأبط شرأ ، أو ابن أخته (٢ : ٨٣٥) : « إن كان هذيل قد تمكنت منه فكسرت حدده ، وأتعست جدده ، فهو بما كان يؤثر من قبل في هذيل فيطأ حريمها ، ويكثر قتلها . والعرب تقول : هذا بذاك ، أي هو عوض منه .. »

وقال الأعشى على لسان امرأة راعها عشا بصره (٥ : ٩٥) :

على أنهما إذ رأني أقفا دُ قالت : « بما قد أراه بصيرا »

رأت رجلاً غائب الوافدي ن ، مختلف الخلق ، أعشى ضريرا

وقال عبيد بن الأبرص يتحدث إلى امرأته (البيان والتبيين ١ : ٢٣٦) :

إن تربني تغير الرأس مني وعلا الشيب مفرقي وقذالي

(١) وهذا قول ابن الأعرابي في تفسير « بما » في بيت حسان هذا ، حكاة في لسان العرب (ما) وجاء فيه بعده : « قال أبو منصور [يعني الأزهري] : وهو معروف في كلامهم ، قد جاء في شعر الأعشى وغيره » .

فبما أدخل الخبياء على مـ - ضومة الكشح، طفلة، كالغزال
 فتعاطيت جيدها ثم ماتت - ميلان القضيب بين الرمال
 ثم قالت : فدى لنفسك نفسي - وفداء لمال أهلك مسالي
 وقال انفرزدق (الديوان ١ : ٢٥٦) :

خلا بعد حيّ صالحين ، وحلّه - نعام الحمى، بعد الجميع ، وباقره
 بما قد نرى ليلي ، وليلى مقيمة - به في خليط لائقائى حرائره
 قال محمد بن حبيب في شرحه : « أراد : ذلك بما قد نرى » .

وظل هذا النمط العربي في التعبير حياً في زمن العباسيين . قال علي
 ابن جبلة المكي (طبقات ابن المعتز : ١٨٠) :

وبما أعتسف اليب - د - أسدي وأنير

ويعرض ابن هشام في معني اللبيب لحديث الباء الجارة ، وأنها ترد
 لأربعة عشر معنى . ثم يجعل الثامن من معانيها معنى المقابلة ، وهي الداخلة
 على الأعواض ، نحو اشتريته بألف ، وكافأت إحسانه بضعف ، وقولهم :
 هذا بذاك . ومنه : (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) [سورة النحل ، آ : ٣٢]
 ولم يقدرها باء السببية .

ثم يعود ابن هشام في معني اللبيب لهذا المعنى حين حديثه عن « ما » :
 الاسمية ، والحرفية ، وأوجه كل منها ، وكان الوجه الثالث من أوجه
 الحرفية أن تكون زائدة ، وهي نوعان : كافة وغير كافة ، والكافة
 ثلاثة أنواع : الكافة عن عمل الرفع ، والكافة عن عمل النصب والرفع ،
 والكافة عن عمل الجر . ويتابع ابن هشام لذكر أن « ما » الكافة
 عن عمل الجر تتصل بأحرف وظروف ، وأن أحد هذه الأحرف التي تتصل
 بها الكافة عن عمل الجر هو الباء . كقول الشاعر :

فلئن صرتَ لا تُخِير جواباً لبا قد ترى وأنت خطيبٌ (١)

ذكره ابن مالك ، وأن « ما » الكافة أحدثت مع الباء معنى التقليل ، كما أحدثت مع الكاف معنى التعايل في نحر (واذكروه كما هداكم) [سورة البقرة ، آ : ١٩٨] . ثم يعقب ابن هشام برأيه فيقول : « والظاهر أن الباء والكاف للتعليل ، وأن « ما » معها مصدرية.. ثم المناسب في البيت معنى التكثير لا التقليل » .

وقال عبد القادر البغدادي في شرح شواهد المغني تعليقاً على الشاهد (المخطوطة — الانشاد الحادي عشر بعد الخمسائة) : « قال أبو حيان في شرح التسهيل : قال المصنف [أي ابن مالك] في الشرح : ونحدث « ما » الكافة في الباء معنى ربما ، فمعنى « لبا قد ترى وأنت خطيبٌ » : ربما قد ترى . ومثله قول كثير :

مغانٍ يهتجن الحليم إلى الهوى وهنٌ قديماتُ العهود دوائرُهُ
لما قد أرى تلك الديار وأهلها وهن جميعاتُ الأنيس عوامرُهُ

(١) هذا البيت من مقطوعة تنسب لمطيع بن إياس الكوفي يرثي بها يحيى ابن زياد الحارثي ، ونسبها بعضهم لصالح بن عبد القدوس وهي :

وينادونه وقد صمَّ عنهم ثم قالوا ، وللتساء نجيبٌ :
ما الذي عاق أن ترد جواباً أيها المقول الخطيب الأريب
فلئن صرت لا تُخِير جواباً لبا قد ترى وأنت خطيب
ذو عظمت وما وعظت بشيء مثل وعظ السكوت إذ لا نجيب

(انظر الأماي للقيالي ١ : ٢٧٠ - ٢٧١ ، سبط اللآلي ١ : ٥٩٩ - ٦٠١ ، خزانة الأدب ٤ : ٢٨٥ - ٢٨٦ ، شرح شواهد المغني للبغدادي - الإنشاد الحادي عشر بعد الخمسائة) .

أراد : بما أرى ، وقد مع المضارع يفيد هذا المعنى ، ولكن اجتماعنا
توكيداً . كما اجتمعت عن والباء التي بمعناها في قول الشاعر :

فأصبحن لا يسألنه عن بما به (١) ، انتهى [كلام ابن مالك] .

وما ذهب إليه من أن « ما » ، فيما ذكر ، كافة ، وأنها أحدثت
معنى التقليل ، غير صحيح . بل « ما » في ذلك مصدرية ، والباء
للسببية المجازية ، والمعنى على الكثير لا على التقليل ، ونظيره قول الآخر :

فلئن فلت هذيل شباه لبا كان هذيلاً بفلاً

والفعل الذي تعلق به الباء مقدر قبلها . والتقدير : لانتفاء إحارتك
جواباً برؤيتك وأنت خطيب ، وهن قديمت اليهود دوائر برؤيتي تلك
الديار ، لفلته بما كان يفلسها ، والسببية ظاهرة في هذا البيت ، وأما في
البيتين قبله : فسبب خرسه بالموت كونه كان خطيباً في الحياة ، إذ ينشأ
عن الحياة الموت ، إذ مصير كل حي إلى الممات ، وكذلك البيت الثاني :
سبب دثور الديار كونها كانت عامرة بأهلها ، إذ مصير العمران للخراب ،
ولذلك جاء :

(١) البيت بتمامه :

فأصبحن لا يسألنه عن بما به أصعد في علو الهوى أم تصوباً

أنشده الفراء في معاني القرآن ٣: ٢٢١ ، وابن جني في سر الصناعة ١: ١٥٣ ،
وابن هشام في مغني اللبيب ، في آخر حديثه عن « هل » ، والرضي في شرح
المكافية ، وشرحه البغدادي في الخزانة ٤: ١٦٢ - ١٦٣ ، وشرح شواهد المغني
(اللوح : ٣٩٨) ، وقال فيها : « وهذا البيت لم أقف على قائله ولا قمتنه » . غير
ان العيني نسبه في المقاصد النحوية ٤: ١٠٣ (هامش الخزانة) إلى الأسود بن يعفر .

لدوا للموت وابنوا للخراب (١) هذا آخر كلام ابن حيان .

وقال تلميذه ناظر الجيش : ولا يخفى أن ما قرره بعيد أن يكون مراد الشاعر ، ولكن قول المصنف أن المراد التقليل غير ظاهر . انتهى [كلام ناظر الجيش] .

ومن شواهد هذا النمط من البيان قول طرفة بن العبد :

فغيترون آبات الديار مع البلى وليس على رب الزمان كفيل
بما قد أرى الحيّ الجميع بغبطة إذ الحيّ حيّ والحلول حلول

وشرحه الأعلام الشنتمري بقوله : « يقول : هذا التغير والبلى بما كان الجميع فيه من الغبطة والسرور ، أي : هذا بذلك . وقيل : معنى بما : ربما » .

٢٠ — يقول بشار على لسان حبيته عبدة من كلام طويل تعاتبه

فيه ، وتشترط عليه ، لتعود إلى مودته (١ : ١٧٨) :

واجهد يمينك لا تخالفني فيما هويت وكنت لي أربا
وإذا بكيت فلا عدمت شفا وأكلت لحك جنة كلبا

ويبدو لي أن في البيت الثاني تصحيفاً لا يستقيم به معنى . ولعل صحة البيت :

وإذا نكثت فلا عدمت شفا وأكلت لحك جنة كلبا

(الجنة ، بكسر الجيم : الجنون . وفي التنزيل العزيز : أم به جنة (٢) ، والكلب ، بفتح الكاف واللام : داء يعرض للإنسان من عض الكلب الكلب ، فيصيبه شبه الجنون ، ويعرض له أعراض رديئة) .

(١) البيت بتمامه :

لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير إلى ذهاب
وهو مطلع قصيدة لشاعر الزهد أبي العتاهية .

(٢) سورة سبأ ، آ : ٨

فعبدة تأخذ على بشار الموائيق ألا يشرك في مودتها خلة أخرى ، وتبالغ في التأكيد ، وتختتم قولها بالدعاء عليه أن يلقي الشقاء والعسر ، وأن يعتريه جنون من عضه الكلب الكلب ، فيأكل لحمه إن نكت عهدا ، وخالف ما أقسم عليه من اتباع رضاها . فليس في البيت بكاء ولا دعاء له بالشفاء (بالفاء) ، بل دعاء على الشاعر أن تحل به المصائب ، ويعتريه الجنون إن نكت وبدل .

٢١ - ويقول بشار في حكاية حاله ، وقد سمع مقالة عبدة (١٧٨:١):

سألت لأعتبها وأطلبها مما تخاف ، فقلت : قد وجبا

وضبطت كلمة « أطلبها » بضم اللام ، مضارع طلب الثلاثي ، ولعل الصواب أن يكون الفعل المضارع مأخوذاً من « أطلب » الرباعي . قال في اللسان : أطلبه ، أعطاه ما طلب ، وطلب إليّ فأطلبته ، أي أسعفته بما طلب . وهكذا يتجلى معنى بشار ، فقد سأله صاحبه أن يرضاها ، ويرجع إلى مسرتها ، ويستجيب لمطالبها بما يطمئنها من مخاوفها ، فلبّى ، ورآه حقاً يجب عليه إنفاذه ، والتمسك به . وتقف بذلك كلمة « أطلبها » إلى جانب أختها « أعتبها » .

٢٢ - قال بشار يتحدث عن ناصحة له تريد له أن يرعوي عن صباه

(١ : ١٨٠) :

تكلف إرشادي ، وقد شاب مفرقي وحملني أهلي فليس أريب
ولم يتضح للشارح معنى « وحملني أهلي » ولكن المراجعين تكلفا ما تكلفا لينجدا معنى مقبولا . والصحيح أن كلمة « وحملني » محرفة ، صوابها « وحلّمني » بتقديم اللام على الميم ، من الحلم . وهو تعبير شائع في كلام العرب ، وأشعار السابقين المتقدمين . قال في اللسان : حلّمه تحليماً ، جملة حلماً ، وتحلّمْ : تكلف الحلم . قال ذو الرمة :

أفي الدار تبكي أن تفرق أهلها وأنت امرؤ قد حلّمتك العشائر

وقال الشاعر (الكامل ٢ : ٦١) :

فعدت عن شتمي ، فإني امرؤ حلّمتني قلة أكفائي

وقال بشار (٢ : ١٠) :

وثبتت نسوانا كرهن تحلمي والله أبلي ، أكثرت أم أقلت

وقال أبو تمام :

حلّمتني - زعمتم - وأراني قبل هذا التحليم كنت حلما

٢٣ - قال بشار يخاطب محبوبته سلمى (١ : ١٩١) :

يا سلم ، جودي بما رأيت لنا ما عند أخرى سواك لي أرب

وكلمة « رأيت » محرفة ، صحتها : « وأيت » بالواو بدل الراء .

وفي اللسان : وأى له : وعده . ومن وأى لامرىء بوأي فليف به .

وقال في الفائق : (٣ : ١٤٠) : الوأي ، الوعد الذي يوثقه الرجل

على نفسه ، ويمزم على الوفاء به . وقد ترددت كلمة الوأي ومشتقاه في

شعر بشار مراراً . من ذلك قوله (١ : ٢٧٧) :

دع قول واء ، وانتظر فعله يئني على اللفحة ما في العلاب

وقال بشار (١ : ٣٠٤) :

أنجز حرث وأيه طائعاً والعبد مكدود ومضروب

وقال (٢ : ٢٢) :

وبالمنهي يوم راح العدا ذكرتها وأياً فقالت : نسيت

وقال (٢ : ٢٦) :

لا بل وفيت ولم أضع عهداً ولا وأياً وأيته

وعلى فعل « وأى » بمعنى وعد ، يتخرج لفر النحاة الشهير :
 إنَّ هَندُ المليحةُ الحسناءَ وأي من أضمرت حلَّ وفاء
 (انظر كتاب : مغني اللبيب - فقرة تنبيه من مبحث حرف الألف ،
 وفقرة تنبيه من مبحث إنَّ المكسورة المشددة) .

٢٤ - وقال يصف ديار الأحبة بعد الترحل (١ : ٢٢٩) :
 كأنها ، بعدما جرَّ العفاء بها ذيلًا من الصيف ، لم يمدد له طنبُ
 كانت معانًا من الأحباب فانقلبت عن عهدهما بهم الأيامُ فانقلبوا
 وصحة البيت الأول :
 كأنها ، ، لم يمدد بها طنبُ
 وجلة : « لم يمدد بها طنب » ، خبر كأن ، وبذلك يكمل المعنى
 في البيت ويتضح ، وهو على الرواية الأولى ناقص ، لا خبر فيه .

٢٥ - وقال في صفة الصحراء (١ : ٢٣١) :
 في كل هتافة الأضواء موحشة يستركض الآل في مجهولها الحذبُ
 ولعل صحة الشطر الأول : في كل هتافة الأصداء موحشة .
 ٢٦ - وقال يصف مسيره إلى المدوح يقطع الصحراء على ناقته
 (١ : ٢٣٢) :

جرداء ، حواء ، مخشي متالفها جشمتها العيس ، والخرباء منتصبُ
 عشرا وعشرًا إلى عشرين يرقبها ظهر ، ويخفضها في بطنه صيبُ
 وكلمة « يرقبها » قلقة في مكانها ، لا تلائم المعنى ، ولعلها محرفة
 عن « يرفعها » على ما بين رسم الكامتين من بعد ، فقد عودنا الناسخ

مثل هذا التحريف . قال في اللسان : « رفعتَه فارتفع ، فهو نقيض الخفض في كل شيء » . وبذلك يلتئم معنى بشار ، ويتم له الطباق بين الرفع والخفض .

٢٧ - وقال في وصف ناقته ، والمياه الأواجن التي تردها في الفلاة (١ : ٢٣٢) :

ورادة كل طامي الحم ، عرمضه في ظل عقبانِه مستأسد نشب
رويت في الديوان « الحم » بالخاء المهملة ، وصحتها : « الجم »
بالجيم . وفي اللسان : جمّ الماء ، معظمه إذا ثاب ... وكذلك جمته ،
وجمعها : جمام وجوم . واللفظ بما تعاوره الشعراء في صفة مياه الصحاري
والفلوات . قال عبدة بن الطبيب (المفضليات ١ : ١٣٩) :

ومنهل آجن ، في جمّه بعرّ مما تسوق إليه الريح مجلول .
أوردته القوم قد ران النعاس بهم فقلت إذ نهلوا من جمّه : قيلول
وقال كعب الغنوي (الأصمعيات : ٧٤) :

وعافي الجبا ، طامي الجمام وردته بذى خصل ضافي السيب رجيل
وقال ربعة بن مقروم (المفضليات ١ : ١٨٥) :

وماء آجن الجمّات ، قفر تمقّم في جوانبه السباع
وقال ذو الرمة :

ومنهل آجن : قفر محاضرة تئذري الرباح على جمّاته البعرا
وبشار نفسه يقول (٧٩ : ٣) :

وماء صرى الجمّات ، طام ، كأنه غنيّة طالي متليات صعائد

٢٨ - وقال من قصيدة في رثاء ابنه محمد (٢٥٥:١) :

لعمرى لقد دافعتُ موت محمد لو ان المنايا ترعوي لطيب
وما جزعي من زائل عم فجعه ومن ورد آباري وقصد شعبي ؟
ولا مورد لكلمة (زائل) في البيت ، وصحتها : زائر ، فالشاعر
يتحدث عن الموت ، والموت لا يوصف بأنه زائل ، ولكنه زائر يزور
الجماعات فيتنقصهم ، ويمهم بالمصيبة والفجيعة ، لا يوقفه شيء ، « إن المنايا
بجنبي كل انسان » فلا يجدي الجزع منه شيئاً .

٢٩ - وقال على لسان فتاة اتهمته بالخداع (٢٦٤:١) :

قالت : أكل فتاة أنت خادعها بشعرك الساحر الخلاب للعرب
كم قد نشبت بغيري ثم زغت بها فاستحي من كذب ، لا خير في الكذب
ولا معنى للنشوب في البيت ، وصحته :

كم قد نسبت بغيري ... (بالسين المهملة) من النسب . قال في
اللسان : نسب بالنساء : شَبَّبَ بهن في الشعر وتغزل . فالمرأة تتحدث عن
براعة بشار في الغزل ، وخداعه النساء يسحرهن بقوله الجميل ، ويتغنى بجهن :
شعراً تصلي له العواتق والثَّـيبُ صلاة الغواة للوثن (١)

ثم يتخلى ويمدل ، وتنصرف نفسه عنهن .

٣٠ - وقال بشار (٢٧٤ : ١) :

قلت لما برّحت بي لم يكن هذا احتسابي
حيث أرجوكم فسمتم زوّركم سوط عذاب
وصحتها : جئت أرجوكم ...

٣١ - تحدث الشارح عن الخليفة المهدي (١ : ٢٧٥) فذكر أنه تولى الخلافة سنة ١٥٨ هـ ، وتوفي سنة ١٦٧ هـ ، والصحيح أن وفاة المهدي كانت سنة ١٦٩ هـ (الطبري ١٠ : ١١) .

٣٢ - قال بشار (١ : ٢٧٦) :

يا مجلساً ، أكرم به مجلساً حفّ بريجان وعيش عجاب
بت به أسقى رهاويةً لعيب ست خلقت للعاب

وشرح الشارح الرهاوية بأنها الخمر التي تأتي من الرهاء ، وهم حي من مذحج من اليمن . والذي ذكره ياقوت في معجم البلدان (الرهاء) أن الخمر الرهاوية منسوبة إلى الرهاء : مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام ، واستشهد لذلك ببني أبي مقبل :

سقتني بصهباء درياقة متى ما تلين عظامي تلن
رُهاوية مترع دنشها ترجع من عود وعش مرّ

٣٣ - وقال بشار في مطلع قصيدة يمدح بها داود بن حاتم (١ : ٢٧٨)

ما ردّ سلوته إلى أطرابه ؟ حين ارعوى ، وحدا الصبا بركابه

ومعناه واضح بيّن ، فقد استهلّ الشاعر قصيدته بالغزل ، وهو يتساءل عما ألمّ به ، فردّ سلوته إلى الطرب ، وصحوه إلى الصبا ، بعد أن أفلح عن المشق ، ونزع عن الغواية ، وودّع الجهل الذي فارقه وارتحل ، يجدو بركابه . يقال في اللغة : ردّه إلى منزله ، وردّ إليه جواباً ، أي رجّع إليه جواباً (لسان العرب) . وهذا المعنى حام حوله بشار ، وأكثر من طرقه ، كقوله (١ : ٣٥٢) :

أصبح القلب بالبخيلة صبا بعدما قد صحا وراجع البنا

وقوله (٢ : ١٢٧) :

فتن المرعّثُ بعد طول تصاح فصبا ، وملّ مقالة النصّاح
ويبدو لنا أن معنى البيت قد نُغمّ على الشارح ، فجعل « ما ، التي
أتى بها الشاعر للاستفهام ، نافية وغير لفظ « حين ، إلى « حتى ،
ولا حاجة لذلك .

٣٤ - وقال بشار يصف بغيره الذي مضى به إلى الممدوح

(١ : ٢٨٢) :

غول البلاد ، إذا المقل تحرقت آرامه ، وجرت بماء سرابه
(المقل : الموضع . الآرام : حجارة تجمع وتنصب في المفازة
يهتدى بها ، واحدها ارم) .

قوله : « وجرت بماء سرابه » لا يتسق مع سائر البيت في صناعة الشعر ،
والصحيح : « وجرت نهاء سرابه » ، أي أن الصحراء لشدة حرها ، احترقت
حجارتها ، وتراكضت فيها غدران السراب التي لا تتراهى إلا في شدة الهاجرة ،
وصخذ النهار . قال في اللسان : النهي ، بالكسر والفتح ، الغدير ، وكل
موضع يجتمع فيه الماء ، والجمع : النهاء . وهذا التصحيح أقرب إلى رسم
المخطوطة ، وهو رسم عدّه الشارح تحريفاً ، وعدل عنه . وفي قريب
من هذا المعنى يقول بشار (١ : ١٠٩) :

حين قال اليمفور وارتكض الآ لُ بربعانه ارتكض النهار

٣٥ - وقال بشار يصف الثور الوحشي وقد فجأه المطر (١ : ٢٨٥) :

حق إذا طلع الزمان بعيشة فيها ، وسال عليه بعض شعابه
حنف المبيت له بأوجس ليلة من صوت راعده ، ومن تسكابه
ولعل صحة الكلام : « حتى إذا طلع الزمان بغيبه » ، قال في

اللسان : الغيبة : اللدغة من المطر . والزمان : يقع على الفصل من فصول السنة . ويجوز أن تكون : هـ حتى إذا طلع الزمان ببغشة هـ ، والبغشة : السحابة التي تدفع مطرها دفعة . وبذلك يلتقي سقوط المطر ، وسيل بعض الشعاب في البيت . وقد أكثر شعراء العرب في قصائدهم من وصف الثور الوحشي ، وقد فجأه المطر في ظلمة الليل البهيم ، فعاذ بالأرطى والألاء ، خوفاً وإشفافاً . قال أبو ذؤيب (المفضليات ٢ : ٢٢٦) :

ويعوذ بالأرطى إذا ما شفه قطره ، وراحته بلبيل زعزع
وقال ذو الرمة :

فبمات ضيف ألاء يستغيث به من قطقط في سواد الليل محدود
(القِطْطِيطُ : المطر الخفيف ، وقال الليث : القطقط ، المطر المتفرق المتتابع المتحاتن) .

وقال النابغة الذبياني :

وبات ضيفاً لأرطاة ، وأجأه مع الظلام إليها وابل ساري

٣٦ - وقال يشبه بغيره بالثور الوحشي (١ : ٢٨٧) :

فكذلك ذلك إذ رفعت قيوده أصلاً ، وميثرني على أصلابه

والصواب : إذ رفعت قتوده (بالتاء المثناة من فوق) ، قال في اللسان : القتد : خشب الرجل ، ... والجمع : أقتاد ، وقنود . قال النابغة الذبياني :

فعدى عما ترى إذ لا ارتجاع له وانم القنود على عيرانة أجود

وقال المثقب العبدى (المفضليات ١ : ١٢٨) :

فبت وباتت كالنعامة ناقتي وباتت عليهما صفتي وقنودهما

وقال الخطيئة (د : ٤٣) :

عذافرة ، حرف ، كأن قتودها على هقلة ، بالشیطان ، جفول
وإذا كان الشارح قد سها عن تصحيح الكلمة في هذا الموضع ،
فقد ردّها إلى الصواب حين وردت مرة ثانية مصحفة في قول بشار
(١ : ٣١٠) :

أموه ، غريي ، كأن قتوده على مثلث يدمسى من الحقب حاجبه
وأطال هو والمراجعان في تفسيرها ، وتعداد شواهدا ، وبيان طريقة
العرب التي سلكوها في مثل هذا التشبيه .

٣٧ - وقال بشار (١ : ٢٨٧) :

هجر المقامة أن تكون مناخه بأغر تزدهم الوفود ببابه
وإمل الصواب : د هجر المقامة أن يكون مناخه ، وأن مصدرية وقبلها
لام الع - لمة مقدرة (انظر مغني اللبيب - بحث أن) . ورواية البيت
في كتاب المختار من شعر بشار (ص : ٦٤) :

هجر المقامة لو يكون مناخه بأغر تزدهم الوفود ببابه

٣٨ - وقال في مديح داود بن حاتم المهلبی الأزدي (١ : ٢٩٠) :

سهم اللقاء ، إذا غدا في درعه رأبت مشاهدته الثأى برثابه
وكلمة : د سهم ، ، مصحفة ، صحتها : د سهم ، ، بالشين المعجمة .
وفي اللسان : قال الفراء : الشهم ، في كلام العرب ، الحمول ، الجيد
القيام بما حمل ، لذي لا تلقاه إلا حمولا ، طيب النفس بما حمل . قال بشار
في مديح المهدي (١ : ٣٢٧) :

شهم ، وقور ، يزبن غرته حلم ، وزان الوقار ما اجتنبها

وقال في مديح عبد الله بن عمر بن عبد العزيز (١٧٤ : ٣) :

شهم اللقاء ، حلیم عند قدرته سيان معروفه في الناس والمطر
وللحارث بن حلزة اليشكري (المفضليات ١ : ١٣١) :

أولا تعديها إلى ملك شهم المقادة ، ماجد النفس

٣٩ - وقال بشار يتحدث عن نشاط ناقلته التي تتقدم الإبل (٢٩٧ : ١) :

سقين بجذاء النجاء ، شملة إذا قال يعفور الفلاة تؤوب

وأشككت كلمة (سقين) على الشارح والمراجعين ، ويبدو لي أن الكلمة مصحفة عن (شقين) بالشين المعجمة ، فبشار يتحدث عن نشاط ناقلته ، وقدرتها على السير في الهواجر ، حين يقلل اليعفور توقياً للحر ، ويذكر الشاعر أن النوق قد شقين بها ، فهن لا يستطعن اللحاق بها ، إذ لا يبلغن مبلغها ، قوة وإسراعاً .

٤٠ - وقال في صفة سليمان بن هشام بن عبد الملك (٣٠١ : ١) :

رزين حصة العلم ، لا يستخفه أحاديث يستوعي عليها المعيب
والعلم في البيت محرفة عن الحلم ، والحلم ، بالحاء المهملة المكسورة
وسكون اللام : الأناة والتثبت في الأمور ، وذلك من شعار العقلاء ،
والرزانة تكون في الأحلام . ويقابل الحلم الجهل والسفه ، قال الفرزدق :
أحلامنا تزن الجبال رزانة وتخالنا جنا إذا مانجهل

وقال جرير (د : ٤١٩) :

الأثقلون حصة في نديهم والأرزنون إذا خف المجاهيل

والحصة تضاف إلى الحلم لأنها منه بسبب ، لا إلى العلم . قال في

اللسان : الحصة : العقل والرزانة ، يقال : هو ثابت الحصة ، إذا كان عاقلاً ، وفلان ذو حصة وأصاة ، أي عقل ورأي .

٤١ - وقال في مديح سليمان (٣٠١ : ١) :

له كل عمام غزوة بمسوّم يقود المنايا رأيه حين يذهب

وأرى أن الصواب : حيث يذهب .

٤٢ - وقال في مديح سليمان (٣٠٣ : ١) :

يزين سرير الملك زيناً ، وينتهي به المنبر المنصوب في يوم يخطب

ولا معنى لكلمة : « وينتهي » في البيت ، وأعلّ صحتها : « ويزدهي » ،

أو « وينتهي » ، جاء في اللسان (بها ، بها) : قال أبو سعيد : انتهت

بالشيء : إذا أنست به وأحببت قربه . قال الأعشى (٢٠١ : ٥) :

وفي الحيّ من يهوى هوأنا وينتهي وآخر قد أبدى الكآبة ، مفضّب

وقال الزمخشري في الأساس (يهي) : وفلان يفتخر بكذا ، وينتهي

به ، ولى به افتخار وابتغاء . قال أبو النجم :

ليس المحاذر أن يعدّ قديمه والمبتهى بقديمه بسواءٍ

٤٣ - وقال في صفة صديق له (٣٠٣ : ١) :

عزّني المعروف حتى علقت كل كفّ لي منه بسبب

روى الشارح : « عزّني المعروف » : فعل ومفعول به وفاعل ، وقال

في تفسيره : أي غلبني المعروف . ويبدو لي أن الصواب : « عزّني

المعروف » ، عزّني ، بالغين المعجمة والراء المهملة ، والمعروف ، بالنصب .

قال في اللسان : غرّ الطائر فرخه : زقته وفي حديث معاوية :
كان النبي ﷺ يغر علياً بالعلم ، أي يلقيه إياه . والحسن والحسين كانا
يغرّان العلم غرا . وقد أعاد بشار استعمال هذه اللفظة في قوله :

ولما التقينا بالجنيّة غرني بمروفه حتى خرجتُ فوق

قال في الأغاني (٣ : ٢١٣) : غرّني ، أوجرني ، كما يغرّ الصبي - أي
يوجر - اللبن .

٤٤ - وقال بشار في بائيته الشهيرة ، يتغزل في مطلعها (١ : ٣٠٧) :

فأقصر عرّامُ الفؤاد ، وإنّما يميل به أمس الهوى فيطالبه

وصواب البيت ما ورد في طبقات ابن المعتز (ص : ٢٧) : فأقصر
عن داعي الفؤاد ، والعجب أن المراجعين قد عادوا إلى طبقات ابن المعتز ،
ولكنهم ذكروا أن الرواية فيه : فأقصر عن رامي الفؤاد ، ولم يتضح
لي وجه هذه الرواية التي رويها . وداعي الفؤاد : الشوق والصبابة والهوى .

٤٥ - وقال بشار في بائيته ، يصف ماءً ورده في الفلاة (١ : ٣١٠) :

قريب من التغوير ، ناء عن القرى سقاني به مستعمل الليل دائبه
ويبدو لي أن الصواب : « قريب من التغوير » ، وإنّما يوصف
ماء الصحراء بالتغوير ، والذهب في الأرض . يقال : غار الماء وغوّر :
ذهب في الأرض وسفل فيها . فالشاعر يصف قلة الماء وخفائه ، وأنه على
شفا النضوب .

٤٦ - يسمي الشاعر العتابي : عمرو بن كلثوم (١ : ٤٦) ،

٧١ ، ٣١٩) وقد نبه المراجعان إلى صوابه في الصفحة ٧١ فقط ، حين
ذكروا أن اسمه الصحيح : كلثوم بن عمرو .

٤٧ - قال بشار يصف روضاً (١ : ٣٣٥) :

متناهي الرياح يسجد للشمس مينا ، وما عليه اثاب
ولعل الصواب (يسجد للشمس منياً) ، قال في اللسان : اُثاب إليه
إنابة فهو منيب ، أقبل وثاب ورجع إلى الطاعة . واتَّاب الرجل :
استجيا ، قال الأعشى :

من يلق هودة يسجد غير متنب إذا تعمم فوق التاج أو وضعها
ويقول بشار في شبه معناه السابق (١ : ٢٨٥) :

للشمس يسجد طائعاً ربحائه ويبيت يارق ضيفه بذبابه
ويقول في أرجوزته التي مدح بها عقبة بن سلم (٢ : ٢٢١) :

يلقى الضحى ربحائه بسجود

٤٨ - قال بشار يتحدث عن شجاعة المهلب بن أبي صفرة وانتصاره
على قطري بن الفجاءة (١ : ٣٤٦) :

حدا بأبي أم الرئال فأجفلت نعمته عن عارض يتهلج
وقد قوته المراجعان ، وفسراه ، ورأيت تعزيزاً لما ذهباً إليه
أن أذكر أن هذه الرواية الصحيحة قد جاءت في نهاية الأرب (٧ : ٩٧)
حين مثل النويري بيت بشار شاهداً لتجنيس المعنى .

٤٩ - وقال في النسيب (١ : ٣٤٨) :

فأرتني ثم شطت شطة تركت قلبي إليها يضطرب
وببدو لي أن صحة الشطر الأول : « قاربني ثم شطت شطة » ، وبذلك
يتضح معنى البيت ، ويتأق فيه الطباق بين المقاربة والشط (وهو
البعد) . ومثله قول بشار (١ : ١٧٦) :

خلقت مباءة مقاربة حربا ، وتمت صورة عجبا

٥٠ — قال بشار في مطلع قصيدة له (٣٥٢:١) :

أصبح القلب بالنجيلة صببا بعدما قد صحا وراجع لبا

ولعل « النجيلة » محرفة عن « البخيلة » بالباء الموحدة والحاء المعجمة ، وهي صفة ألف بشار أن يصف بها محبوبته على طريقة العرب في التغزل ، قال (١٢٣:٢) :

من هوى عبدة البخيلة إني لا أرى غيرها لقلي رواحا

وقال (١٢٧:٢) :

وأصابه سحر البخيلة بعدما ألف الصلاة وعماذ بالمسباح

٥١ — وقال (٣٥٢:١) :

تلك عبادة التي لم تنله غير ما أصبحت لعينيه نصبا

وضبطت كلمة « تنله » ضبطاً يجعلها مأخوذة من « نال » الثلاثي ، وصحتها أن تكون مضارع الفعل الرباعي « أنال » .

٥٢ — وقال (٣٥٣:١) :

يوم قامت مختالة في حقاب ليتني كنت بعض تلك الحقاب

والحقاب (بوزن كتاب) : شيء تعلق به المرأة الحلي ، وتشده في وسطها ، وجمعه حقب (بوزن كتب) . فالحقاب مذكر ، وبذلك يصح شطر البيت : « ليتني كنت بعض ذاك الحقاب » .

٥٣ — وقال (٣٥٧:١) :

لا ينخش قتلي حين شبت ، وهل يخاف الأشيب

ولعل الصواب : « لا ينخش مني » ، بالميم والهاء المثنية .

٥٤ - وقال (١ : ٣٦١)

يا ليت لي قلباً بقلب يثيب أو ليت لي حباً بحبي ينيب
مللت قلبي ، لا يمل الهوى يا طول إغرامي بمن لا يوجب

ضبط « قلبي » في البيت الثاني ، مضافاً إلى ياء المتكلم ، وضبط
« لا يمل » بالبناء المجهول ، وسياق الكلام يقتضي أن يقال : « مللت
قلباً لا يمل الهوى » ، (بتجريد قلب من ياء المتكلم ، وبناء يمل للمعلوم) .
فالشاعر في البيت السابق يتمنى أن يستبدل بقلبه وبجبه لما كبراه من
المشاق ، فضايق ذراعاً بهما ، ومل قلباً لا ينفك متعلقاً بالحب ، فازعاً
إلى العشق .

٥٥ - وقال في هجاء أبي هشام الباهلي (١ : ٣٦٨) :

فقلت له : قد فارقت وحمدتها
ولعل الصواب : « قد قارفت » بتقديم القاف ، أي أن أم المهجـو
قد قارفت المعصية ، وارتكبت الاثم مع الشاعر . وفي هذا ما فيه من
لاذع الهجاء ، وتأكيد الشتم .

٥٦ - وقال في النسيب بعبد (١ : ٣٨٠) :

قلت : كلا ، لا بل صفالك حتى زادك الله يا عبيدة حباً
و « حتى » في البيت لا معنى لها ، وهي مصحفة ، صوابها : « حبي » ،
بالحاء المهملة والباء الموحدة ، وبذلك يتم المعنى ويتضح في الشطر الأول .
ويأتي الشطر الثاني دعاء لها .



تحقيقات وتصحيحات لكتاب الأعلام

للمرحوم الأستاذ خير الدين الزركلي

الأستاذ محمد أحمد دهمان

يزورني الأرق في بعض الليالي فأخذ بعض الكتب أرشف من معينها حتى يغلبني النوم ؛ وبما كنت أنهل من فوائده وفرائده كتاب الأعلام للعلامة المحقق الأستاذ خير الدين الزركلي ، هذا الكتاب الذي سد فراغاً كبيراً في اللغة العربية وأجمع الباحثون والعلماء على إطرانه وتقدير جهود مؤلفه .

في أثناء المطالعة فيه كان يقع نظري على ما يجعل في نفسي شكاً فيه فكنت أخط على هامش بعض صفحاته خطأً بالقلم الرصاص حتى لا يضيع موضع الشك لأرجع إلى تحقيقه في وقت آخر ، وكان بعض ما أشك به أبقيه في حافظتي حين لا يكون لدي قلم قريب مني أشير به . وطال الأمد على ما كتبه على الهامش وفر مني بعض ما كان في الحافظة فرأيت من الأفضل أن أسجل هذه الملاحظات خوفاً فرارها وضياعها وشرعت بالكتابة في هذا الموضوع لأقدمها إلى المؤلف .

ولم أكد أشرع في العمل حتى فوجئت بوفاة المؤلف رحمه الله رحمة واسعة فوقفت عن العمل لمرض عرض لي . وقد تجمع لدي ما أقدمه الآن ليبقى كتاب الأعلام خالداً خالصاً من الشوائب ، وقد قال مؤلفه في آخر مقدمة الطبعة الثانية ص ١٦ :

« أما وقد مضيت فيما شرعت فيه ، فما علي لتكون الخدمة خالصة للعلم إلا أن التمس ممن حذقوا التاريخ ومازوا لبابه من قشوره وكان لهم من الغيرة عليه ما يحفزهم إلى الأخذ بيده أن يتناولوا الكتاب ، منعمين ، مفضلين ، بنقد خطاه ، وعدل عوجه ، وبيان ما يبدو لهم من مواطن ضعفه . وقدماً قال إبراهيم الصولي : « المتصفح للكتاب أبصر بمواقع الخلل فيه من منشئه ، وهذا ما أقدمه :

في الجزء الأول

ج ١ / ص ٢٥

● ذكر في ترجمة ابن الأجدابي أنه توفي نحو سنة ٦٥٠ هـ

— الصواب : في معجم المؤلفين أنه توفي قبل سنة ٦٠٠ هـ وهو أقرب للصواب لأن ياقوت الحموي ترجمه في معجم البلدان (مادة أجدابية) ولم يذكر وفاته ، وياقوت توفي سنة ٦٢٦ .

ج ١ / ص ١٠٥

● جاء في ترجمة أحمد بن حبيب الحافظ المؤرخ أنه ألف كتاباً في

التاريخ ذكره تلميذه ابن شقدة ، وقال : إنه ابتداء بحوادث سنة

(٧٦١) وختمه سنة وفاته [أي سنة ٨١٦] ثم أكمله ابن شقدة إلى سنة (٨٤٠)

— الصواب : هذا ما جاء في ترجمة أحمد بن حجي ولكن المؤلف ترجم ابن شقدة في ج ٤ / ١٢٣ وقال : إن وفاة ابن شقدة سنة ١١٦٠ فإذا أسقطنا من هذا العدد سنة وفاة أحمد بن حجي التي هي سنة ٨١٦ فإنه يبقى ٣٤٤ سنة ، فهل عاش ابن شقدة أكثر من (٣٤٤) سنة حتى تتلمذ لابن حجي ؟ مع أن المؤلف يقول عن ابن شقدة توفي عن ٩٠ سنة . ولذلك فإن تلمذة ابن شقدة لأحمد بن حجي خطأ واضح يجب حذفها والمؤلف ذكر في ترجمة ابن شقدة أنه ألف « المنتخب » اختصر به شذرات الذهب لابن العماد ، ولم يذكر أنه ذيل على تاريخ ابن حجي .

ج ١ / ١٧٤

● ورد في ترجمة ابن زنبيل اسم كتاب : سيرة السلطان سليم (خ)
— الصواب : هذا الكتاب طبع قبل ٨٠ عاماً طبعة حجرية وأعيد طبعه منذ بضع سنين وهذا الكتاب روائي لا علمي ألفه بعض الممتهنين بالقصص وقد اتخذ بعض المؤلفين المعاصرين فجعلوا من المصادر التي يرجع إليها ، مع أنه كتاب روائي قصصي نسب إلى ابن زنبيل كما نسبت قصة عنيزة إلى الأصمعي .

أثبتنا هذه الملاحظة هنا كيلا ينخدع أحد بالنقل عنه ظناً منه أنه

مصدر صحيح .

ج ١ / ٢٤١

● جاء في ترجمة نصر الدولة أنه ملك ٥١ سنة .

- والصواب : أنه ملك ٥٣ سنة . انظر تاريخ ميفارقين للأزرق

ج ١ / ٢٤٢

● جاء في ترجمة أحمد المكتبي : له كتب منها حاشية على شرح الخضري

على شرح ابن عقيل .

- الصواب : من المعلوم أن للخضري حاشية على شرح ابن عقيل

وليس له عليها شرح . وصواب العبارة أن تكون حاشية على حاشية الخضري ، وهذا غريب ونادر ولما يضع العلماء حاشية على حاشية .

في الجزء الثاني

ج ٢ / ١٨

● ورد في ترجمة الملك الظاهر برقوق أنه خلع سنة ٧٩١ وأعيد الصالح

فخرج خلعة إلى الكرك فامتلكها وزحف على دمشق فدخلها فزحف عليه الصالح بجيش فظفر برقوق وعاد إلى مصر سلطاناً .

- الصواب هذا ما جاء في الأعلام ، والحقيقة أنه أُلقي القبض على الظاهر

برقوق في القاهرة واعتقل ثم أرسل إلى الكرك فسيجن بها ثم ظهر له أنصار في الكرك ساعدوا على نجاته من السجن والاعتقال ، وقدم مدينة دمشق بجيش صغير فدخلها وقد فتحت له أبوابها ولكن بعض جنوده اعتدوا على بعض الباعة فقام إليهم العوام بالحجارة والمقاييع فطردوهم من دمشق إلى خيمة السلطان برقوق ونهبوا خيامهم فاخفق السلطان بهذا العمل وفشلت سياسته وانسحب إلى مرج الصفر (شقحب) وهناك التقى بالجيش المصري الذي حضر للقضاء على حركته فانتصر عليه .

انظر النجوم الزاهرة ، وولاية دمشق في عهد المماليك لمحمد أحمد دهمان .

ج ٢ / ٣٥

● جاء في ترجمة ابن قاضي شُهبة أن له من المؤلفات : مدارس دمشق وحماتها ، وقد جاء في أسفل الصفحة في تعداد مصادر هذا البحث مجلة المجمع العلمي (٢٣٢/٢٢) فرجعت إليها وإذا فيها مقال لمحمد أحمد دهمان كاتب هذه التصحيحات الذي أثبت في مقاله أن مؤلف هذه الرسالة هو الحسن بن أحمد بن زفر الأربلي وهو الذي حقق هذه الرسالة ونشرها في مجلة المجمع ثم نشرها مستقلة وقد ترجمه مؤلف الأعلام في ج ٢ ص ١٩٥ وقال عنه : له كتاب مدارس دمشق وربطها وجوامعها وحماتها (ط) .

ج ٢ / ٨٤

● الشريف ثَقْبَة بضم الثاء

— الصواب : ثَقْبَة بالفتح انظر : المنهل الصافي ١ / ٢٤٣ والضوء

اللامع ١ / ٢٦٦

ج ٢ / ٩٥

جاء في ترجمة الأشرف جان بلاط ما يلي :

● جان بلاط بن يشبك الأشرفي أبو النصر ، من ملوك الشراكسة المماليك بمصر والشام ، اشتراه الأمير يشبك بن مهدي الشركسي .

— الصواب : جان بلاط بن يشبك ، ويشبك بن مهدي اسمان من أسماء المماليك الشراكسة ، والمملوك عادة يكون مجهول الأب ولذلك يقال فلان بن عبد الله لكل مملوك مجهول الأب . وفي العهد المملوكي لما كثرت المماليك في مصر والشام وصاروا بالآلوف صاروا ينسبون إلى من لهم علاقة كبرى بهم وخصوصاً أسيادهم الذين دخلوا تحت رقبهم

فيقال : جان بلاط من يشبك الأشرفي ، يعني جان بلاط من بماليك يشبك الأشرفي ؛ وكذلك يشبك من مهدي ولا يقال يشبك بن مهدي لأنه ليس أباً له وإنما هو من بماليكه . وهذه ناحية هامة قل من انتبه إليها ممن ينتسب إلى التاريخ .

ج ٢ / ١٠٩

● جاء في ترجمة جرم بن ربان بن حلوان ، من بني الحافي .
- تكررت في الكتب العربية القديمة وفي كتاب الأعلام كلمة الحافي فتارة تكتب الحافي بالياء وتارة تحذف منها الياء فتكتب : الحاف . انظر ج ٢ / ٣٧٢ من الأعلام . وبما أن كتاب الأعلام كتاب عصري فيجب أن توحد فيه هذه الكتابة فتكتب حينما وردت بالياء أو بحذفها . والأولى الحذف . انظر باب الوقف في آخر شرح قطر الندى لابن هشام .

ج ٢ / ١٤٩

● حبش بن محمد الكتاني المغربي . ورد لفظ الكتاني مرتين -
- الصواب : الكتامي بالميم قبل الياء وهو حبش بن محمد بن صمصامة الكتامي نسبة إلى قبيلة كتامة من البربر . انظر تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٣ / ٤١٨ ، وأمراء دمشق في الإسلام للصالح الصفدي وفيه : « حبش بن محمد بن الصمصامة القائد ابن اخت أبي محمود الكتامي المغربي » وتاريخ أبي يعلى حمزة بن القلانسي ٩ و ١٠ ، والكامل لابن الأثير ٨ / ٦٤٢ و ٩ / ٧ و ١٢٠ و ١٢١

ج ٢ / ١٧٥

● ورد في ترجمة الحجاج الثقفي أنه انصرف إلى بغداد في ٨ أو ٩ رجال الخ

- الذي يلفت النظر أن بغداد لم تكن بنيت حينئذ .

ج ٢ / ٢٠١

● قبل هذه الصفحة صفحة مصورة رقم الصورة ٣٤١ فيها خط ملك النجاة وأسفل هذه الصفحة ما يلي : لمحمد بن أبي القاسم النفوسي .
والذي بخط ملك النجاة رقم اللوحة ٣٤١ النفوسي (السطر الرابع) والذي في معجم باقوت (النفوسي) وهي جبال في المغرب بعد افريقيا عالية .

- وملاحظتنا هنا أن الموجود بخط ملك النجاة (النفوسي) لا (النفوسي)

ج ٢ / ٢١٢

● ورد فيها : ابن أبي حُصَيْنَة ضبطها المؤلف بضم الحاء بالشكل .
- الصواب : صححها الأستاذ الميمني بأنها بفتح الحاء وأن صوابها حصينة كجميلة . انظر مجلة المجمع العلمي العربي مجلد ٣٥ ص ٦٩٧ .

ج ٢ / ٢٤٥

● جاء في ترجمة حسني الزعيم ما يلي : وسار الراكب إلى قلعة المزة التي تبعد حوالي عشرة كيلو مترات عن دمشق .
- صوابها خمسة كيلو مترات .

ج ٢ / ٣١٠

● في ترجمة حمزة بن علي . فاضطر حمزة إلى الرحيل ولحق به بعض اتباعه إلى بلاد الشام واستقر أكثرهم في المقاطعة التي سميت بعد ذلك جبل الدروز في سورية ، وقال في تعليقات ص ١١٣ قريباً من ذلك .

- الصواب : أن الدروز كان استقرارهم أولاً في لبنان كجبال كسروان ولم يتديروا في حوران إلا من عهد غير بعيد ، ففي سنة ١١٢١ هـ = ١٧١٠ م عظم أمر اليمنية في لبنان فجاروا على القيسية وآذوهم ولم يبقوا لهم حرمة فأنفذ الأمير حيدر الشهابي إلى القيسية أن يتجمعوا في رأس المتن ثم انتقلوا إلى عين دارة . واستعان اليمنيون بوالي صيدا بشير باشا ووالي دمشق نصوح باشا واتفقوا معها على الإيقاع بالقيسية ، ولكن القيسية باغتوا اليمنيين بقيادة الأمير حيدر في عين دارة واعملوا فيهم السيف وأبادوا أمراء آل علم الدين رؤساء اليمنيين ، فنزح اليمنيون على أثرها إلى جبل بني هلال في حوران المسمى الآن بجبل الدروز أو جبل العرب بعد أن خربت ديارهم وأبيدت امراؤهم وكان هذا الجبل يكاد يكون خالياً فسكنوه وتديروه إلى الآن وطرّدوا سكانه الأصليين الضعفاء وتعرف هذه الحادثة بوقعة عين دارة وكانت سنة ١١٢٢ هـ = ١٧١١ م يراجع في تفصيل ما ذكر في خطط الشام ٢ / ٢٨٨ الطبعة الأولى

ج ١٣٣/٣

● جاء في ترجمة سعد الدين الجباوي بأنه توفي سنة ٦٢١

- الصواب أن أسرة سعد الدين الجباوي أصبحت أسرة صوفية شهيرة في دمشق منذ القرن العاشر الهجري ، وحسب ماورد في الكواكب السائرة ج ١٧٥/١ أن وفاة حسن بن محمد بن سعد الدين الجباوي كانت سنة عشر وتسعمائة ولذلك يظن بأن جده سعد الدين كان قبل سبعين سنة تقريباً لا كما ورد في الأعلام . ولم يترجم صاحب الكواكب السائرة لسعد الدين هذا ترجمة مستقلة بل ذكره في ج ١٧٥/١ مع ترجمة حفيده حسن بن محمد بن سعد الدين ولم يذكر سنة وفاته . ولم يذكر مؤلف الأعلام مصادره

في هذا البحث . وجاء في ترجمة المذكور ص ١٣٤ من الأعلام أنه من أهل جبا من قرى دمشق . والصحيح أن جبا من قرى حوران .

في الجزء الثالث

ج ١٦٤/٣

● جاء في ترجمة سلطان بن أحمد المزاخي : له مؤلف في القراءات الأربع الزائدة على العشرة ، لعله رسالة التجويد .

- الصواب : ينبغي حذف كلمة « لعله » ووضع واو مكانها لأن علم التجويد غير علم القراءات وإن كان بينها ملابسة كعلمي النحو والصرف ، وكتاب يبحث في القراءات الأربع الزائدة على العشر لا يكون رسالة .

ج ٢٥٠/٣

● ذكر قرية يلد ، وقد أثبتتها ياقوت يلد بالآف في مادة « يلدان » .

في الجزء الرابع

ج ٥٤/٤

● عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمادة ، وفاته ٦١٤ هـ ١٢١٧ م

- الصواب في معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي المستشرق زانباور أن وفاته سنة ٥٩٢ هـ كما ورد في صفحة ١٢٢ ، وفي كتاب الدول الإسلامية تأليف ستانلي لين بول أن وفاته سنة ٥٩١ هـ كما في الصفحة ١٠٧ من الجزء الأول .

ج ٧٠/٤

● جاء في ترجمة أبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل أن له كتابين في

تاريخ دمشق أحدهما كبير في خمسة عشر جزءاً والثاني في خمسة أجزاء .
- الصواب أنه اختصر تاريخ دمشق لابن عساكر اختصارين أحدهما
كبير والاختصار الآخر صغير وقد ذكر أحدهما قبل ثلاثة أسطر .

وذكر أن له كتاب أبرز المعاني - خ

والصواب إبراز المعاني كما في كشف الظنون وقد طبع هذا الشرح

ج ٩٤/٤

● جاء في ترجمة الأوزاعي مابلي : كتاب محاسن المساعي في مناقب
الإمام أبي عمرو الأوزاعي . نشره الأمير شكيب أرسلان ولم يعرف مؤلفه
ولعله لصالح بن يحيى .

- والصواب أن هذا الكتاب تأليف : أحمد بن محمد ... بن زيد
الموصلي الدمشقي كما حققت ذلك في مقالة نشرتها في مجلة الجمع العلمي
ج ٢٢ ص ١٨٧

ج ١١٩/٤

● جاء في ترجمة عبد الرحيم الأسنوي : من كتبه «المبهات على الروضة» .
- الصواب : «المهات على الروضة» ، ويوجد كتاب آخر للعراقي
اسمه مهات المهات ولابن الوكيل كتاب مختصر المهات . انظر كشف الظنون ١/ ٩٣٠

ج ١٢٤/٤

● جاء في ترجمة ابن الفوطي ج ١٢٤/٤ ما يلي : له (مجمع الآداب
في معجم الأسماء والألقاب - خ) المجلد الرابع منه وهو كبير جداً قيل
في خمسين مجلداً .

٠ الصواب : لقد طبع هذا المجلد في أربعة مجلدات ، طبعته وزارة

الثقافة والارشاد في دمشق ، وأمامنا الآن القسم الثالث من الجزء الرابع طبع سنة ١٩٦٥ والقسم الرابع من الجزء الرابع طبع سنة ١٩٦٧ .

ج ١٦٢/٤

● وجاء في ترجمة عبد القادر بدران أنه ولي إفتاء الحنابلة .

- والصحيح : انه لم يتول هذا الإفتاء وكان المفتي في عصره الشيخ مصطفى الشطي كما في مختصر طبقات الحنابلة للشيخ جميل الشطي ص ١٧٦ و ١٧٧ الطبعة الأولى سنة ١٣٣٩ هـ مطبعة الترقى .

ج ١٦٣/٤

● وجاء في ترجمة عبد القادر بدران المذكور أن من مؤلفاته : الآثار الدمشقية والمعاهد العلمية خ تاريخ . ومنادمة الأطلال ومسامرة الحيال خ . في معاهد الشام الدينية القديمة طبع منه كراسان .

- والحقيقة أن كلا الاسمين لمسمى واحد ، وكنت اتفقت معه رحمه الله على نشر منادمة الأطلال فغير اسمه وسماه الآثار الدمشقية والمعاهد العلمية وعملت له « كليشة » للطبع ففاجأه الفالج ولم تتمكن من طبع شيء منه ولكن هذا الكتاب طبعه في سنة ١٣٧٥ هـ الشيخ على آل ثاني حاكم قطر سابقاً وجعله وقفاً لله تعالى .

ج ١٦٨/٤

● جاء في ترجمة عبد القادر بن محمد النعيمي أن من كتبه المدارس في تاريخ المدارس - ط - مجلدان .

- الصواب أن كتاب النعيمي اسمه : تنبيه الطالب وإرشاد الدارس ، كما أثبت المؤلف ذلك في أول كتابه ص ٥ وليس لأحد أن يسميه بالدارس ، أما كتاب الدارس فهو تأليف شهاب الدين بن حنبل كما ورد في تنبيه الطالب (الدارس) . طبع المجمع العلمي ص ١٤٣ .

في الجزء الخامس

ج ١٧٩/٥

● جاء في ترجمة علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي المدلجي .

- الصواب : « المذحجي » ، نبه على ذلك الدكتور عدنان الخطيب في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مجلد ٤٥ ص ٣٨٣ مستنداً في ذلك إلى جهرة أنساب العرب .

ج ٣٧٠/٥

● جاء في ترجمة فوزي المعلوف أنه ابن اسكندر عيسى المعلوف .
- وهذا سبق قلم والصواب : هو ابن عيسى اسكندر المعلوف ،
أحد قدامى أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق .

ج ١٧/٦

● جاء في ترجمة علم الدين البرزالي أنه تولى مشيخة النورية ومشيخة دار الحديث بدمشق .

- الصواب : تولى مشيخة دار الحديث النورية بدمشق

ج ٢٤/٦

● جاء في ترجمة الظاهر قانصوه : قانصوه بن قانصوه الأشرفي .
- الصواب: قانصوه من قانصوه الأشرفي ، كما مر معنا سابقاً في ص ٣٧٩

ج ١٠٠/٦

● جاء في ترجمة المنصور لاشين : لاشين (المنصور) حسام الدين

ابن عبد الله المنصوري من ملوك المماليك البحريةية بمصر والشام وهو الحادي عشر من ملوك الترك ويسمى (الروك الحسامي) .

ـ الصواب : هذه العبارة توهم بأن لاشين المنصوري يسمى أيضاً الروك ، والحقيقة أن الروك عملية إدارية وهي أن تمسح الأراضي وتقسم الضريبة عليها بحسب مساحة كل أرض منها وكان الناس قديماً ينتهجون بهذه الطريقة لانصافها وعدالتها . ومن كلام العامة في دمشق حتى اليوم : الحمل على الروك خفيف . وقوله لاشين (المنصور) صوابها (المنصوري) لأنه كان مملوكاً للملك المنصور قلاوون لا أنه هو المنصور .

ج ١٠١/٦

● أسفل الصفحة التعليقة رقم ١ : وانظر معظم قبائل العرب .

ـ خطأ مطبعي والصواب معجم قبائل العرب .

ج ٢١٤/٦

● جاء في ترجمة ابن جبير في تعداد كتبه : « وجد الجوانح في تأيين القرن الصالح ، مجموع ما رثى به زوجته أم المجد .

ـ الصواب : في تأيين القرن الصالح .

ج ٢١٧/٦

● ترجمة محمد بن أحمد بن محمد الموصلي الحنبلي أبو عبد الله معروف بشعلة المتوفى [٥٥٦ هـ] ويقال له ابن الموقع ، فاضل له علم بالقراءات وغيرها ، كان أبوه موقماً عند (خير بك) كافل حلب وهاجر محمد إلى القاهرة بعد زوال الدولة الجركسية وتوفي بالموصل من كتبه (الشمعة المضية لنشر القراءات السبعة المرضية) منظومة رائية في نحو نصف الشاطئية ،

وشرح تصحيح المنهاج لابن قاضي عجلون ، والتلويح بمعاني أسماء الله الحسنى الواردة في الصحيح ، والفتح لمغلق حزب الفتح وهو شرح لحزب أستاذه أبي الحسن البكري ، وكثر المعاني في شرح حرز الأمانى - خ - وشرح للشاطبية في القراءات و (المنقود - خ) قصيدة في النحو .

- الصواب : هذا ما جاء في كتاب الأعلام ولكن هذه الترجمة فيها كثير من الأغلاط والاختباط فقد جمع لشخصين مختلفين في الزمن والمصر وجعلها ترجمة واحدة ونسب إليها مؤلفات ليست المترجم ونحن نترجم كل واحد على حدة ليتضح الفرق بينها وتظهر على الصحة أسماء كتب كل منها ولتخلص من هاتين الترجمتين ما يتناسب مع أسلوب الأعلام .

ترجمة شعلة الموصلي الحنبلي

من شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٨١ سنة ٦٥٦ :

وفيها : الإمام شعلة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسين الموصلي الحنبلي المقرئ العلامة شارح الشاطبية ، قرأ القرآن على أبي الحسن علي بن عبد العزيز الأربلي وغيره وتقفه وقرأ العربية وبرع في الأدب والقراءات وصنف تصانيف كثيرة ونظم الشعر الحسن قال الذهبي : كان شاباً فاضلاً ومقرئاً محققاً ذا ذكاء مفرط وفهم ثاقب ومعرفة تامة بالعربية واللغة وشعره في غاية الجودة ، نظم في الفقه وفي التاريخ وغيره ونظم كتاب الشمعة في القراءات السبعة وكان مع فرط ذكائه صالحاً زاهداً متواضعاً كان شيخنا التقى المقصاتي يصف شمائله وفضائله ويثني عليه وكان قد حضر بحوثه . وقال ابن رجب له تصانيف كثيرة أكثرها في القراءات منها شرح الشاطبية وكتاب الناسخ والمنسوخ ، وكلامه فيه يدل على تحقيقه

وعلمه وله كتاب فضائل الأئمة الأربعة - قال الذهبي : توفي بالموصل وله ثلاث وثلاثون سنة رحمه الله . انتهى كلام صاحب الشذرات .

وإليك ترجمة ابن الموقع الذي اختلطت ترجمته ومؤلفاته بترجمة شعلة الموصل لتظهر صحة نسبة مؤلفاته وترجمته منقولة من در الحبيب ج ٢ ص ١٦١ .

محمد بن أبي الوفاء

الشيخ كمال الدين المصري الأصل ، الحلبي المولد ، الشافعي الصوفي المقرئ المعروف بابن الموقع ، لأن أباه ، وكان أساميا ، كان موقعا عند (خير بك) كافل حلب ، ولما انهدمت الدولة الجركسية هاجر الشيخ كمال الدين إلى القاهرة وجد في طلب العلم النقلي والعقلي حتى وجد فأخذه رواية ودراية عن جماعة ، منهم من علماء الطريق صاحب الكرامات أبو السعود الجارحي ، وأزهده أهل زمانه سيدي محمد بن عراق الدمشقي ثم المكي ، وصاحب الحال ابن مرزوق اليمني .

وممنهم : القاضي زكريا الأنصاري ، والشرف عبد الحق السنباطي والسيد الشريف كمال الدين محمد [ابن حمزة الحسيني الدمشقي ، والشيخ كمال الدين الطويل والمسند المقرئ أمين الدين محمد] بن أحمد إمام وخطيب جامع الفخري بالقاهرة ، والدلجي ، والصاني ، وأبو الحسن البكري .

وألف كتباً منها : (شرح تصحيح المنهاج لابن قاضي عجلون) وقد شهد له أبناء عصره في مذهبه بأنه عالي الذروة في التحقيق ، ومنها : (الشمعة المضية بنشر قراءات السبعة المرضية) و (النلويح بمعاني أسماء الله الحسنى الواردة في الصحيح) و (الفتح لمغلق حزب الفتح) وهو

شرح وضعه على حزب أستاذ أبي الحسن البكري ، وله رسالة سماها
(الهام الفتح بحكمة انزال الأرواح من عالمها العلوي وبثها في الأشباح)
وله (الحكم الدنية والمنازلات الصديقية الصديقة) .

ج ٦ / ٢٦٠

● قال نقلاً عن كتاب « حل الرموز في عقائد الدروز » ، إن الحاكم
أرسل محمد بن إسماعيل إلى بلاد الشام لنشر دعوته ، فنزل بوادي التيم
بالقرب من جبل الشيخ وقتل في وقعة مع التتر سنة ٤١١ هـ .

— الصواب : الحقيقة ان التتر لم يكن لهم وجود في بلاد الشام
قبل سنة ٦٥٨ هـ وفي كتاب « ذيل تاريخ دمشق » للقلانسي سنة ٥٢٢ هـ
أن بهرام الباطني حدثه نفسه بقتل برق بن جندل ص ٢٢١ أحمد مقدمي
وادي التيم بغير سبب بل حباً بسفك دمه فخدعه إلى أن حصل في يده
فاعتقله وقتله صبراً ولكن أهل وادي التيم ثأروا لمقدمهم جندل وأوقعوا
ببهرام الإسماعيلي في التاريخ المذكور وفلوا جيشه . وبظهر أن في الأمر
اختلاطاً وعدم تمييز بين الدروز وبين الإسماعلية .

ج ٦ / ٢٧٥

● جاء في ترجمة محمد بن بدر الدين بن عبد القادر بن بلبان « أن
له كتاباً اسمه المختصرات - خ »

— الصواب : أن هذا الكتاب طبعه في دمشق وعلق عليه
الأستاذ المرحوم الشيخ عبد القادر بدران سنة (١٣٣٩ هـ)

ج ٦ / ٢٧٣

● ورد في ترجمة ابن جابر التبانى اسم بطليموس العالم اليوناني الشهير

وكتابه بهذه الصورة مما عم الخطأ بها من أكثر الكتاب والأدباء المعاصرين
 - الصواب : كتابتها بتقديم الميم على الياء وقد راجعت عدداً من
 الكتب العربية المطبوعة قبل ستين عاماً كعيون الأنباء لابن أبي أصيبعة
 وكتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء لابن القفطي فلم أجدها إلا بتقديم
 الميم على الياء . وإن الأستاذ نلينو العالم الإيطالي الشهير كرر هذا الاسم
 كثيراً في محاضراته في علم الفلك ولم يثبتته إلا كما صححناه . وقال الأستاذ
 محمد كرد علي في تعليقه على أخبار حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي
 ص ٥٣ نقلاً عن تحقيق نلينو عن المعجم الفلكي قال : الميم في
 « بطلمیوس » قبل الياء .

ج ٦ / ٣٣٥

● وجاء في ترجمة عين الملك أنه ولي نيابات المحاكم في الصاحية
 والميدان وجبة عسال (من أحياء دمشق)

- والصواب : انها ليست من أحياء دمشق وإنما هي قرية نائية في
 جبل قلمون تبعد عن دمشق (٧٠) كم ويسمونها أيضاً جبة العسال ،
 ورد ذكرها كثيراً في كتب التاريخ بأنها كانت مركز قضاء ؛ أي كان
 فيها قاض يحكم بين الناس ويجري العقود من بيع وشراء وزواج
 وأمثال ذلك .

أما الجبة التي في دمشق فهي تسمية جديدة منذ عشرين سنة فقط
 وأصلها أن رجلاً من الجبة يملك بستاناً قرب مسجد الشيخ محيي الدين
 ابن عربي فسمى الناس هذا البستان بستان الجبة ثم قسم أقساماً وجعل
 دوراً فصار الناس يسمون تلك الجهة بالجبة .

ج ٦ / ٣٤٥

● جاء في ترجمة محمد الخالدي : ونصب شيخاً للمولوية

— الصواب : انه لم ينصب شيخاً للمولوية وإنما زاحمهم على هذه المشيخة لأمر مادية (وكان شديد الفقر) وانضم إليه جماعة من المولوية رأسوه عليهم ثم ضايقه المولويون الذين زاحمهم وخطفوا كلامه عن رأسه وهو ماش في الطريق والزموه تركها .

ج ٦ / ٣٥٨

● جاء في ترجمة محمد راغب باشا بأنه عين والياً في الشام وأميراً للحج .

— الصواب : انه لم تتم هاتان الوظيفتان فقد استدعي وهو في الطريق إلى الآستانة قبل وصوله إلى الشام وعين صدرأ أعظم في الآستانة (قاموس الأعلام لشمس الدين سامي ، وأعلام النبلاء للطباخ ٣ / ٣٣٢)

ج ٦ / ٣٦١

● جاء في ترجمة محمد رشيد رضا أنه زار بلاد الشام واعترضه في

دمشق وهو يخطب على منبر الجامع الأموي أحمد أعداء الإصلاح فكانت فتنة .

— الصواب : انه لم يكن يخطب على منبر دمشق وإنما كان يتكلم

في الإصلاح على كرسي ككرسي الوعاظ ، ومثل هذه التهمة نسبت إلى الإمام أحمد بن تيمية بأنه كان يخطب على المنبر والحقيقة أنه كان يتكلم في مسائل دينية على كرسي ككرسي الوعاظ الذي يكون عادة في المساجد .

في الجزء السابع

ج ٧ / ١٩٥

● جاء في ترجمة محمد علي حشيشو أنه ذهب إلى القصير على مقربة من حماة فتوفي فيها .

— والصحيح أن تكون على مقربة من حمص لأن القصير على مقربة منها من جهة دمشق . وسألت بعض العارفين من أهل حماة هل يوجد قريها مكان يدعى بالقصير ؟ فأجابوا بالنفي .

ج ٧ / ٧٥

● جاء في ترجمة محمد بن علي الحكيم أنه أنشأ المدرسة الريحانية بدمشق — والصواب : ان الذي أنشأها هو الشيخ عبد الجليل الدرا — وَضَعَ لَهَا مَدِيرًا فخرًا الشيخ الطيب ، أما محمد بن علي الحكيم فكان معلماً في هذه المدرسة .

ج ٧ / ٢٤٣

● جاء في ترجمة الفارابي : لا يحفل بأمر مسكن أو مكسب . — والصواب : لا يحفل بأمر مسكن أو ملبس .

في الجزء الثامن

ج ٨ / ٤٣

● جاء في ترجمة كشاجم مايلي : ... ومن أجل كتابه الأخير — والصواب : ومن أجل كتبه الأخير . وهذا خطأ مطبعي .

ج ٨ / ٣٨

● وجاء في ترجمة محمود بن أحمد العيني مايلي :

وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون

– والصواب : ونظر الأوقاف ولعل المؤلف نقل عن قرأ في ترجمته
و « نظر الاحباس » والمراد بها الأوقاف فظن أنها السجون

ج ٨ / ١٦١

● وقبلها بصفحتين أعلى رسم فوق رسم معروف الرصافي :

اللهم العن بني عبيد أعداءك وأعداء بيتك

– والصواب : واعداء نبيك ولا معنى لبيتك هنا . ورقم هـ ذا

الرسم (١٣٩٢)

في الجزء التاسع

ج ٩ / ١٨٥

● جاء في ترجمة يحيى بن شرف النووي أن من تأليفه كتاب منار
الهدى في الوقف والابتدا – نجويد – (مطبوع) .

– والصحيح أن كتاب منار الهدى هو من تصانيف أحمد بن محمد

الأشموني كما في معجم المؤلفين لکحالة ٢ / ١٢١

ج ٩ / ٣١١

● وجاء في ترجمة يوسف بن طاهر الخُوَيْي نقلًا عن الانساب للسمعاني :

« وظني أنه قتل في وقعة العرب بطوس سنة ٥٤٩ هـ أو قبلها ببسیر »

– الصواب : الغُزْ لأنه لم يكن في طوس عرب حتى يعملوا

فتنة ؛ والغُزْ نوع من الترك خرجوا في هذا العصر فخرّبوا البلاد

وقتلوا العباد وفعلوا نحواً بما فعله التتار . قال ياقوت في معجم البلدان في

مادة نيسابور: « أصابها الغُزْ في سنة ٥٤٨ هـ بصيبة عظيمة حيث أسروا الملك

سَنَجَر وَمَلَكُوا أَكْثَرَ خِرَاسَانَ وَقَدِمُوا نَيْسَابُورَ وَقَتَلُوا كُلَّ مَنْ وَجَدُوهُ
وَأَسْتَصَفَّوْا أَمْوَالَهُمْ حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِيهَا مَنْ يُعْرَفُ وَخَرَّبُوهَا وَأَحْرَقُوهَا ، ا هـ .
- يَقُولُ صَاحِبُ التَّصْحِيحَاتِ :

إِنَّهُمْ دَخَلُوا إِلَى بِلَادٍ عَدِيدَةٍ مِنْ إِيْرَانٍ وَوَصَلُوا إِلَى الْجَزِيرَةِ وَكَادُوا
يَدْخُلُونَ الشَّامَ لَوْلَا أَنْ تَجَمَّعَتْ مَلُوكُ الشَّامِ وَرَدُّوهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ وَقَدْ قُتِلَ
فِي فَتْنَتِهِمْ عَدَدٌ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَكَانُوا تَبَشِيرًا وَارْهَاصًا بِظَهْرِ النَّتَارِ .

ح ١٠٦/٩

● وَجَاءَ فِي تَرْجُمَةِ هَنْرِي سُوْفِرٍ أَنَّهُ عَيْنٌ قَنْصَلًا فِي بَيْرُوتَ ، لَهُ كِتَابَاتٌ
عَنِ الشَّرْقِ مِنْهَا طَرَفَةٌ فِي خَطِّ الشَّامِ وَوَصَفَ أَبْنِيَتَهَا .

- وَالصَّوَابُ : أَنَّهُ تَرَجَمَ كِتَابٌ مَخْتَصَرٌ تَنْبِيهِ الطَّالِبِ لِلْعِلْمِ
وَأُضِيفَ إِلَيْهِ مَخْتَارَاتٌ مِنْ كِتَابِ عَيُونِ التَّوَارِيخِ لِابْنِ شَاكِرِ الْكُتُبِيِّ .
وَهَذَا يَنْتَهِي مَا تَمَّ لَنَا مِنَ التَّصْحِيحَاتِ رَاجِيًا مِنْ ذَوِي الْفَضْلِ التَّعْلِيْقُ
عَلَيْهَا فِيمَا اتَّوَى بِهِ الْقَلَمُ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ .

مُحَمَّدُ أَحْمَدُ دَهْمَانُ

دَمَشَقُ

الكنى والألقاب والأسماء عند العرب

وما انفردت به اليمن

القاضي إسماعيل بن علي الأكوع

شاع عند العرب استعمال الكنى^(١) وكادوا ينفردون بها دون غيرهم ، ويستأثرون باستعمالها في أحاديثهم ومخاطبتهم بعضهم بعضاً حتى صار من دواعي الفخر والإعجاب ومايزال في بعض الأقطار العربية أن يكنى الرجل بولده فيقال مثلاً لمن له ولده اسمه عبد الله ، يا أبا عبد الله ، وللمرأة : يا أم عبد الله . وإذا لم يكن الرجل ولد يُكنى به فإنه يُكنى بأخيه ، وكذلك المرأة ، كما حكى الله تعالى في كتابه الكريم ما قاله قوم مريم

(١) الكنى : جمع كنية ، قال نشوان بن سعيد الحميري في شمس العلوم : كنية الإنسان ما يكنى به نحو أبي سعيد ، وأبي بكر ، وأم عمرو ، والمراد بالكنية التنبيه والتعظيم ، وأصل الكنى للعرب تحفة أسمائهم ، وسهولة كلامهم ، فإن نسبوا إلى الكنية نسبوا إلى الاسم الثاني ، فقالوا في النسب إلى أبي بكر : بكري ونحو ذلك ، وكذلك نسب كل مضاف يتعرف بالثاني نحو ابن الزبير ينسب إليه زبيرى ، فإن كان غير متعرف بالثاني نسبوا إلى الأول نحو عبد مناف وعبد شمس فقالوا : عبدي وربما قالوا : منافي ، وشمي خشية الالتباس ، وربما بنوا من الاسمين اسماً واحداً فقالوا : عبشمى في عبد شمس ، وعبقسى في عبد القيس ، فإن نسبوا إلى اسمين جعلوا اسماً واحداً نسبوا إلى الأخير منها نحو عبد يغوث فقالوا يغوثى .

لها حينما اتهم بابنها عيسى بن مريم : بأخت هارون .. الآية (١) وكانت الكنية مشهورة الاستعمال في اليمن ، ولكنها الآن لم تعد مستعملة إلا في منطقة (إب) وللنساء فقط .

وقد اشتهرت في التاريخ الاسلامي أسماء اقترنت بكنى معينة ثم صارت تلك الكنى تطاق على من يتسمى بتلك الأسماء ، وإن لم يكن لهم أولاد يحملون الأسماء التي كانت سبباً للتكني بها ، فمن اسمه محمد يُكنى عادة : أبا القاسم ، وإن لم يكن له ولد اسمه القاسم (٢) ، وإبراهيم يُكنى أبا إسحاق أو أبا اسماعيل ، وإسحاق : أبا يعقوب ، وعبد الملك : أبا الوليد ، وزيد : أبا اسامة ، وهلم جرا .

وهناك أسماء تُكنى أحياناً بأسماء آبائها ، فمن اسمه محمد يُكنى أبا عبد الله ، وعمر يُكنى : أبا الخطاب ، وعثمان : أبا عفان ، والحسن والحسين : أبا علي ، وموسى : أبا عمران ، ويوسف : أبا يعقوب ، وأبا الحجاج .

وتوجد أسماء اقترنت بكنى لا تعرف أسباب التكني بها ، وهى جاءت من قبل الآباء أم من قبل الأبناء ؟ أو أن هناك أسباباً أخرى غير معروفة ؟ مثل أحمد فإنه يُكنى : أبا العباس ، وأسمد ونصر : أبا الفتح أو أبا عمر ، وأيوب : أبا الخير ، والحسن : أبا محمد أو أبا السعد ، وسليمان : أبا الربيع ، وطاهر : أبا الطيب ، ومسلم :

(١) سورة مريم ٢٨

(٢) الألف واللام التي تدخل على بعض أسماء الأعلام كالحسن والحسين والعباس والقاسم والحسن والمطهر ، وكذلك السيدة - كالسيدة بنت أحمد الصليحي زوج الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي - تسمى آل التَّحْلِييَّة .

أبا الغمر ، ونجيب : أبا الهيجاء ، ونشوان : أبا سعيد ، والنعمان :
أبا عبد الله .

وثمة أسماء تكنى بأسماء القبيلة أو العشيرة أو الرهط مثل شعيب
فانه يكنى : أبا مدين . وبعض الأسماء تُكنى بصفات مثل أبي بكر
فانه يُكنى : أبا العتيق ، وإبراهيم : أبا خليل ، وإسماعيل : أبا القدي ،
وعلي : أبا تراب ، وعمر : أبا حفص .

أما الألقاب فلم يكن للعرب بها اهتمام أو التفات ، ولم تظهر فيهم
الا منذ بداية الدولة العباسية بعد اختلاطهم بالفرس وغيرهم من الأمم
التي كانت تمجد السلطان وتعدّه ظل الله في أرضه ، فكان خلفاء بني
العباس ألقاب أطلقوها على أنفسهم مثل السفاح ، والمنصور ، والهادي ،
والمهدي ، والرشيد ، والأمين ، والمأمون ، والمعتصم ، والواثق ، والمتوكل ،
والمستنصر ، الى غير ذلك من الألقاب التي يطول ذكرها . وسار على
نهجهم الامويون في الأندلس ومن أتى بعدهم من ملوك الطوائف ، حتى
انتهى أمر الألقاب في عهد ملوك الطوائف الى أن صارت موضع سخريّة
ومجال استهزاء على حد قول شاعرهم ، الحسن بن رشيد القيرواني :

مما يزهدني في أرض أندلس أسماء معتضد فيما ومعتمد
أسماء مملكة في غير موضعها كاهر بحكي انتفاخاً صولة الاسد

وكان أكثر من استعمل الألقاب في الممالك الاسلامية هم ملوك
بني بويه ، والفاطميون ، والأيوبيون ، والمماليك ، وسلاطين آل عثمان .
وكذلك أمراؤهم ووزراؤهم ورجال دولتهم ، فقد أسرف هؤلاء جميعاً
في حمل الألقاب حتي غدت لهم كالأغلال لا ينفكون عنها .

وإذا ألقينا نظرة على ما استعمل من الألقاب في اليمن لوجدنا أن ملوكها وائمتها كانوا مقتصدين في استعمال الألقاب ، ففي عهود ما قبل الاسلام كان لملوك اليمن كما هو مذكور في كتب التاريخ ألقاب تطلق عليهم بحسب مدى نفوذهم وسعة ملكهم ؛ فالملوك الذين كانوا يحكمون ما يعرف باليمن تاريخياً وجغرافياً يلقبون بالتبابعة (جمع تبّع) ، والملوك الذين كانوا يحكمون أقاليم من اليمن أو مخاليف منه يلقبون بالأقيال وقبول (جمع قبيل) أو (عباهل) جمع عتبهل - وكان هذا اللقب الأخير خاصاً بملوك مخلاف حضرموت - وكان مَن دون هؤلاء وأولئك في المنزلة والرتبة وسعة النفوذ يلقبون بالأذواء (جمع ذو) مثل (ذو سَحَر) و (ذو يَمَر) و (ذو جَدَن) و (ذو يَزَن) الى آخر هذه الأذواء^(١) المعروفة .

وكان الأئمة - وحكمهم في اليمن أطول من حكم غيرهم -- غير مهتمين بالألقاب ، فقد كان الإمام إذا ما بويع إماماً يختار لنفسه لقباً واحداً فقط ليضاف إلى لقب (أمير المؤمنين) الذي كان في اليمن مقصوراً على الأئمة وحدهم تقريباً . والألقاب المشهورة فيهم^(٢) هي الهادي ، والناصر ، والمنصور ، والداعي^(٣) والمهدي ، والمتوكل ، والمؤيد . ولم

(١) ومنهم الأذواء الماثمة من حمير ، قال نشوات الحميري : ولا يصلح الملك لمن ملك من ملوك حمير إلا بهم حتى يقيمه هؤلاء الثانية وإن اجتمعوا على عزله عزلوه . (ملوك حمير وأقيال اليمن - ١٥٧) .

(٢) وهناك القاب غير مشهورة تلقب بها بعض الأئمة مثل المرتضى ، والمختار ، والمعتصد ، والمنتصر ، والمحتسب ، والواثق .

(٣) ويلقب بالداعي أيضاً من يقوم بأمر الإمامة احتساباً إذا خلت البلاد من إمام حتى يتم اختيار إمام تتوفر فيه شروط الإمامة المعتبرة في الإمام الواجب اتباعه .

يكن لقب (صاحب الجلالة) معروفاً عند أئمة اليمن وملوكها إلا منذ عهد الإمام يحيى بن محمد حميد الدين حينما أخذ بعض اليمنيين في تقليد بعض الأساليب الحديثة التي أخذها العرب عن الغربيين ، ثم أخذناها منهم بغير تدبر لمعناها ، ولا فهم لمدلولها ، وكان الإمام يحيى بن محمد حميد الدين أول أمام في اليمن أطلق عليه هذا اللقب .

لم يكن لأبناء الأئمة ألقاب خاصة بهم يعرفون بها غير أنه منذ المائة الحادية عشرة بدأ يطلق على من يقود منهم الجيوش لقب (سيف الاسلام) ، ثم أخذ استعمال هذا اللقب في الاتساع حتى صار يطلق على كل من بلغ الحلم من أولاد الأئمة المذكور ، على أنه كان يلقب به نادراً من لم يكن من أولاد الإمام^(١)

وظهر في السنوات الأخيرة من حكم الإمامة في اليمن استعمال لقب (صاحب السمو) لأبناء الإمام يحيى ، ثم لقب (أمير) مع أن لقب أمير كان يطلق على قادة الجيوش ، كما كان يطلق أيضاً على الموالي^(٢) . كذلك فإن مذهب الزيدية في اليمن ، وهو مذهب الأئمة ، لا يقر نظام ولاية العهد ، ولا يأخذ به مطلقاً ، وكان الأئمة يتحاشون أن يؤثر عنهم ذلك لأن من أعظم الأشياء التي تقوموا من معاوية بن أبي سفيان سنة ولاية العهد في الاسلام وأخذ البيعة لولده يزيد بن معاوية ، وجعل الخلافة والإمامة العظمى وراثية حتى صارت الخلافة ملكاً عضوضاً ، مع أن بعض

(١) مثل سيف الإسلام أحمد بن قاسم حميد الدين (١٢٧٧ - ١٣٥٣ هـ) .

(٢) مثل الأمير الماس المتوفى سنة ١١٧٣ مملوك للإمام المهدي العباس ،

والأمير صمصام والأمير عنبر ، وهما مملوكان للإمام يحيى حميد الدين .

الأئمة كانوا يورثون الإمامة في أعقابهم ، وكان يتم ذلك بصفة غير معان عنها بأن يتفق بعض من العلماء أو كثير منهم مع أعيان البلاد على اختيار ابن الإمام ليكون خلفاً لأبيه الإمام بعد وفاته تحقيقاً لرغبة الإمام في انتقال الإمامة إلى ابنه وذلك بأن يلزم ابنه بالتقرب إلى العلماء ووجهاء البلد ويتودد إليهم ويغدق عليهم العطايا حتى يستميلهم إليه فيقفوا إلى صفه بعد وفاة والده ، ويقطعوا على الطامعين في الإمامة المتربصين لوفاة الإمام القائم الطريق فلا يكون هناك خيار أمامهم إلا الاعتراف بالأمر الواقع .

وظلت الأمور تسير على تلك القاعدة المتبعة في المذهب الزيدي حتى عهد الإمام المتوكل يحيى بن محمد حميد الدين فأطلق الناس ، لا سيما رجال الدولة وأعيان البلاد ، على ابنه الأكبر الإمام أحمد لقب (ولي العهد) للمرة الأولى في تاريخ الأئمة في اليمن ، وكان الإمام يحيى يظهر امتعاضاً في الظاهر من إطلاق هذا اللقب على ابنه ، ويمحوه من الأوراق التي تقدم إليه حتى لا يتهم بأنه نقض القاعدة الزيدية وخالف طريقة آبائه ، ولكنه كان راضياً في قرارة نفسه بأن يكون ابنه إماماً بعده ، حتى أنه لم يعترض ولم ينكر على بعض من قام من رجال دولته بمبايعة ابنه أحمد ليكون بعد وفاة والده إماماً .

فلهذا ولي الإمام الناصر أحمد بن يحيى حميد الدين الأمر بعد مقتل أبيه سنة ١٣٦٧ هـ خرج عن القاعدة المتبعة ووافق على طلب من بعض العلماء وأعيان البلاد بأن يجعل ابنه محمداً البدر ولياً لعهد ، كما وافق على أخذ البيعة له من علماء اليمن ورؤسائها نكايته باخوته الذين كانوا غير راضين عن الإمام أحمد نفسه في أن يكون إماماً - لولا مقتل الإمام يحيى سنة ١٣٦٧ هـ . وقيام الإمام الهادي عبد الله بن أحمد الوزير إماماً ، الأمر الذي جعل

إخوته يضعون أيديهم في يده مبايعين له بالإمامة خوفاً من خروج الإمامة من أيديهم لو استمروا في منازعتهم ومنافستهم له .

أما بالنسبة للبدر فقد كان إخوة الإمام أحمد بجمعين على عدم صلاحه للإمامة . ولكن قوة نفوذ الإمام أحمد في القبائل والجيش وبين العلماء أفسح المجال أمام ابنه وقضى على معارضيهِ من إخوته فخلاله الجو .

وكان البدر أول إمام يتم مبايعته إماماً في عهد والده ليخلفه بعد وفاته وآخر إمام في تاريخ الإمامة في اليمن ، إذ لم يدم حكمه إماماً بعد موت والده سوى بضعة أيام فقط . ثم قامت حركة الجيش صبيحة يوم الخميس ٢٨ ربيع الآخر سنة ١٣٨٢ الموافق ٢٦ أيلول سنة ١٩٦٢ فاطاحت بالنظام الملكي وأحلت محله النظام الجمهوري .

وأما الملوك الصليحيون فكان لقبهم الشائع فيهم والذي يطلق على كل قائم منهم هو (الداعي) بيد أن الرسائل التي كانت توجه إليهم من المستنصر الفاطمي كان يتصدرها عدد كبير من الألقاب الفخيمة (١) كما أنهم كانوا يكتبون رسائلهم إلى المستنصر فيغدقون عليه الألقاب الكثيرة .

وفي عهد بني أبي أيوب كانت ألقاب توران شاه حينما قدم إلى اليمن حاكماً لها (السلطان المعظم شمس الدين) ثم خلفه في ولاية اليمن أخوه طُغْتُكَيْن بن أيوب فكان يطلق عليه (الملك العزيز سيف الإسلام) ، وفي معجم الألقاب لابن الفوطي : سيف الإسلام العزيز أبو الفوارس طُغْتُكَيْن بن أيوب بن شاذل دويني ملك اليمن (٢) .

(١) يمكن الرجوع إلى كتاب «الصليحيون والحركة الفاطمية» للدكتور حسين الهمداني ففيه عدد من الرسائل ذكرت في ملاحق الكتاب .

(٢) الجزء الرابع القسم الأول ص ١٦٤ .

وكان ملوك بني رسول يلقبون أولادهم بالألقاب تطغى على أسمائهم وتقرن بلقب (الملك) فإذا ما ولي أحدهم الملك أضيف إليه لقب (السلطان). والألقاب المتداولة فيهم هي : المنصور ، المظفر ، الأشرف ، المؤيد ، المجاهد ، الأفضل ، الناصر ، الظاهر ، المفضل ، الفائز ، المسعود . وكان يطلق على كبار رجال دولتهم (الأمير) مثل الأمير شمس الدين علي بن مجيب العنسي والأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن رسول .

وفي عهد ملوك بني طاهر كان يقال لهم السلطان . والألقاب التي تلقبوا بها هي : المنصور ، والمجاهد ، والظافر .

وإذا تجاوزنا حدود ذوي الشأن من الأئمة والملوك والسلاطين والأمراء والوزراء الذين كانوا يرفلون في سراويل الألقاب السابغة الفضفاضة إلى من عداهم من الفقهاء والعلماء ورجال الفكر والأدب نجد أن لكل اسم لقباً يعرف به ، وقد يشترك في اللقب الواحد اسمان فأكثر . وقد تنبعت ماورد من الألقاب المستعملة عند اليابانيين في كتب الطبقات والتراجم والأسماء التي تطلق عليها فرأيت أنها لا تخرج عن دائرة ما هو مذكور هنا :

بدر الدين : يطلق على إبراهيم .

بهاء الدين : يطلق على محمد .

تاج الدين : يطلق على زيد .

نقي الدين : يطلق على عمر ، وعلي ، وعمران .

جمال الدين : يطلق على محمد ، وطاهر ، وشعبان .

حسام الدين : يطلق على حميد ، كما يطلق على حميد أيضاً محيي الدين .

رضي الدين : يطلق على أبي بكر .

شهاب الدين : يطلق على أحمد .
 صارم الدين : يطلق على داود .
 ضياء الدين : يطلق على بشر .
 عز الدين : يطلق على عبد العزيز .
 عفيف الدين : يطلق على عبد الله ، وعبد الرحيم ، وعبد اللطيف ، ومسمود
 غياث الدين : يطلق على أحمد ، لطف .
 نظام الدين : يطلق على من اسمه علي .
 وجيه الدين : يطلق على من اسمه عبد الرحمن ، وهبة الله .
 ولي الدين : يطلق على من اسمه عبد الولي .
 ومنذ المائة الحادية عشرة تحدد في اليمن إطلاق بعض الألقاب على
 أسماء بعضها فصار استعمالها مقصوراً عليها ، فكان يطلق جمال الدين أو جمال
 الإسلام على من اسمه علي ، وحسام الدين أو حسام الإسلام على من اسمه
 محسن ، وشرف الدين أو شرف الإسلام على حسن أو حسين ، وصارم الدين أو صارم
 الإسلام على إبراهيم ، وصفي الدين أو صفي الإسلام على أحمد ، وضياء الدين أو ضياء
 الإسلام على إدريس وإسحاق وإسماعيل ويعقوب ويوسف وغيرهم من
 أسماء الأنبياء ماعدا إبراهيم ومحمد . وعز الدين أو عز الإسلام (١) على
 من اسمه محمد (٢) ، وعلم الدين أو علم الإسلام يطلق على من اسمه القاسم ،
 وفخر الدين أو فخر الإسلام على من اسمه عبد الله .

(١) يطلق أحياناً العز من دون إضافة (الدين أو الإسلام) على من
 اسمه محمد ولو لم يكن من طبقة العلماء أو الفقهاء أو من طبقة السراة . وقد يصبح
 كالعالم فلا يعرف إلا به . وكذلك الصفّي لأحمد .

(٢) يلقب محمد بالبدر إذا كان من العلماء الكبار كالبدر محمد بن إسماعيل الأمير .

كان العلويون منذ مجيئهم إلى اليمن يلقبون بالأشراف حتى المائة الحادية عشرة أي إلى زمن الامام القاسم بن محمد ، ثم استبدل السيد بالشريف في جميع مخاليف اليمن ما عدا مناطق الجوف ومأرب وبيحان وحضرموت فإن لقب (الشريف) ظل استعماله شائعاً فيها حتى اليوم .

ويقال : إن أول من سَنَّ استعمال (السيد) أو (سيدي) ^(١) هو القاضي أحمد بن سعد المسوري ^(٢) . ومنذ زوال النظام الملكي سنة ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م الذي كان حريصاً على بقاء الفوارق الطبقية بدأت هذه الألقاب تختفي شيئاً فشيئاً لاسيما في صفوف الشباب الذين صار يدعوا بعضهم بعضاً بالأسماء المجردة من جميع الألقاب .

كان يطلق لقب الفقيه على العلماء المبرزين في الفقه ، ثم اختص به العلماء من غير العلويين ، ثم انحدر مستوى هذا اللقب حتى صار يطلق على فقهاء البوادي الذين لا يعرفون من الفقه إلا المسألة والمسألين وكان القاضي يطلق على من يتولى القضاء ، ثم اختص به من يتولى القضاء من غير العلويين ، ثم صار يتوارث في أولادهم إذا كانوا فقهاء وعلماء وإن لم يتولوا القضاء . ثم انحدر إلى أن صار يتلقب به من بلغ الحلم من أولادهم وإن لم يكن لهم أي صلة بالعلم ^(٣) . ولكن هذا العرف بدأ يزول ويختفي .

(١) جاء في سيرة الإمام الهادي يحيى بن الحسين صفحة ٣٥ هـ ان رجلاً قال له : جعلت فداء للسيد ، فقال له الهادي : لا تعد تقول هذا مرة أخرى وإنما السيد الله وإنما انا عبد ذليل ، فقال له رجل ممن حضر المجلس : جعلت فداك قال الله : وسيداً وحصوراً ، فقال : نعم ولكن لا أحب ان يقال لي هكذا .
(٢) ويقال انه هو الذي حصر اطلاق لقب سيف الإسلام على اولاد الإمام فقط .

(٣) ذكر ابن سيرة في ترجمة عمر بن عبد الله المعروف بابن عقبة أنه كان يعرف بالقاضي استصحاباً لبقاء الاسم على عادة الناس يسمون القاضي بأهله ، وكذلك الفقيه وإن كانوا عواماً . «العقد الفاخر الحسن» .

ألقاب رؤساء القبائل والعشائر

يدعى رؤساء قبائل اليمن وزعماء عشائرها بالشيخ في جميع مناطق اليمن ما عدا رؤساء قبائل بكيل ، مثل زعماء قبائل خولان ونههم والجوف وبرط فإنهم يدعون بالنقيب ، وكذلك يدعى بالنقيب بيت (أبو مفلح) من بيت (زؤد) من الكتبيين من خارف ، وبيت الجشمي عشار من الثلاث الضحاني من خارف من قبيلة حاشد .

ويطلق (العاقل) على من دون ذلك مثل كبير القرية . كما يقال لمن يتراأس مجموعة من أفراد القبائل تقوم بالخدمة العسكرية في غير منطقتها (عريفة) .

ديباجة الرسائل

كانت الرسائل التي توجه من شخص إلى مثله في الدرجة والسن تبدأ بلقب الصنو أو الأخ ، وإذا كان المرسل إليه أصغر سناً فيكتب إليه : الولد ، وإن كان أكبر فيكتب إليه : الوالد ، ثم يأتي بعدهم موضوع الرسالة . فإذا كانت موجهة إلى عالم فيكتب إليه : الصنو العلامة ، البدر الفهامة ، علامة نجد ونهامة ، فلان ابن فلان حفظه الله وأبقاه وشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وحفظ الله مولانا أمير المؤمنين وأيد به الدين . وأحياناً يقال : والله يحفظ الإمام ، ويشد أزره بأنجاله الكرام . صدورها ... الخ .

ثم يأخذ في كتابة موضوع الرسالة ، وفي نهاية الرسالة يكتب : والسلام مسك الختام . ثم : التوقيع وهو مكوّن عادة من اسم المرسل واسم أبيه وأحياناً اسم الجد . ويكتب قبله : من الحقير إلى الله أو من المملوك ، بحسب

درجة المرسل إليه ، ثم يعقب التوقيع بالدعاء لنفسه بأن يكتب : عفا الله عنه أو سامحه الله أو وفقه الله .

وهناك نموذج آخر : الصنو العلامة عز* الهدى ، وبدر الدجى ، الأخ ضياء الاسلام ، وبدر الليالي والأيام . ونموذج آخر : الأخ العلامة الفهامة بدر سماء الكمال نبراس النبلاء الفخام ، وزينة الاجلاء الكرام .
وكان يكتب إلى الأمام :

مولانا أمير المؤمنين ، أيّد الله بكم الدين ، وأعز* بكم الاسلام والمسلمين . أو نصركم الله ونصر بكم الدين . ثم يكتب الموضوع .

وكان يكتب لأولاد الامام : مولانا سيف الاسلام فلان ابن أمير المؤمنين . ثم صار يكتب إليهم في آخر الأمر : صاحب السمو الملكي سيف الاسلام . وكان يكتب قبل التوقيع : خادمكم المملوك أو عبدكم .
أسماء الأعلام الشائع استعمالها في اليمن :

كثيرة فمنها للرجال : عبد الله ، عبد الرحمن ، عبد الرحيم ، إلى آخر الأسماء الحسنى . محمد ، أحمد ، يحيى ، علي ، حسن ، حسين ، قاسم ، زيد ، إبراهيم ، إسماعيل ، لطف ، غالب ، مطهر .

وللنساء : آمنة ، خديجة ، فاطمة ، أمة الله ، أمة الرحمن ، أمة الرحيم ، أمة اللطيف ، حسناء ، أسماء ، زينب ، عائشة ، ميمونة ، سوكينة ، تقوى ، نقيّة ، زبيدة ، آسية ، بلقيس ، أروى .

ولكن توجد في بعض المناطق أسماء يكثر استعمالها فيها ولا تستعمل في غيرها إلا نادراً سندكرها فيما يلي :

في تهامة :

داود ، سليمان ، أبكر ، عمر ، مقبول ، مدني ، مكّي ، شامي ،
هارون ، مكثرم ، مُنَوَّر ، مُوَفَّق ، جُنَيْد .

في لواء تعز ولاسيما الحُجَرِيَّة :

أنعم ، بجاش ؛ ثابت ، جازم ، دَبَّوَان (يكثر استعماله في العدّين
وشرّعب) ، سلطان ، سعيد ، سلام ، سيف ، شاهر ، شايف ، شمسان ، صائل ،
عبد التواب ، عبد الجبار ، طاهر ، عبد الحق ، عبد الرؤوف ، عبد
الماجد ، عبد الولي ، غيلان ، غالب ، فارح ، مقبل ، مكرد ، مهيوب
ناشر ، هائل ، هزاع ، عون ، طارش ، طربوش .

في مدينة (أب) وتختص بتصغير أسماء الاعلام للذكور والإناث :

فـ : حسن يصغرونه حُسَّانِي ، وعليّ عُلَّايَة ، وقاسم قُسَّامِي ، ومحمد
تحييميد ، وأحمد مُحَمَّادِي ، وعبد الله عِبَادِي ، وفاطمة فطامِي ، وزينب
زُنَابَة ، ولطفية لطافة .

في يافع وأبين ولحج :

قحطان ، شَعْنَفَل ، نصّر ، مُعَوَّض ، عَيْدُروس ، سالمين ،
فضل ، عوض .

في لواء البيضاء والمشرق :

عبد ربه ، عبد القوى ، سالم ، مبارك ، عامر .

في حضرموت وبافع :

يَسْلَمَ ومحفوظ ، كما أن الحضارمة يضيفون إلى أسماء القاهم (با) مثل
باسلامه ، باعلوي ، باسندوه ، باحبيشي ، باوزير ، بازعة ، باشنفر ، بامطرف .

في بوادي دمار ويريم ورداع :

للذكور :

جُبُرَان ، حِزَام ، سَعْد ، صَالِح ، صَلاح ، عَايِض ، عَتِيق ، قَالِد ،
مِثْنَسِي ، مِسْعِيد ، مُحَمَّد ، مَصْلَح ، مِيقَبَل ، نَاجِي ، نَاصِر .

والإناث :

بَحْيِيَّة ، بَدْرَة ، حِيسْن ، دِرَّة ، زَبْنَة ، زَهْرَة ، سَابِرَة ،
سَعْدَة ، سَعْدِيَّة ، شَلْعَة ، ضَمِينَة ، عَتِيقَة ، غَالِيَة ، غِزَال ،
مُحْصَنَة ، مَسْعُودَة ، خَيْرِيَّة .

أسماء المذكور الشائعة في مدينة دمار ويريم ورداع وصنعاء وغيرها

من مدن الجبال :

حَسَن ، حَسِين ، لَطْف ، مَطْهَر ، يَحْيَى ، مَحْسَن .

أسماء الإناث :

أَمَنَة ، أَمَة الخَالِق ، أَمَة الرَّحْمَن ، أَمَة الرِّزَاق ، أَمَة اللَّهِ ، تَقْوَى ،
تَقِيَّة ، حَسِيْبَة ، حَسَنَة ، حَظِيَّة ، حَفِيْظَة ، حُورِيَّة ، زَكِيَّة ، سَيِّدَة ،
عُزْبَة ، لَطْفِيَّة ، مَرِيْم ، مَهْدِيَّة ويكثر استعماله في دمار ، ميمونة ، نورية ،

بلاد حاشد ويكيل :

أسماء الذكور :

دَحْثَان ، دِرْهَم ، رَاجِح ، سِرْحَان ، صَادِق ، عَزِيز ، عَسْكَر ،
قَنَاف ، مانع ، مَبْخُوت ، مجاهد ، مُحَمَّد ، مَطِيْع ، مِشْلِي ،
مِفْلِيْع ، مِلْهَبِي ، مِئَصَّر ، مَهْدِي ، نَاف ، هَادِي .

أسماء الإناث :

زهراء ، ضاحلة ، عزيزة ، غالية ، مقبيلة .

الأسماء الشائعة في بلاد صعدة وفي حولان بن عامر ورازخ بصورة

خاصة المذكور :

بجنان ، بومى ، ترابى ، جبيح ، جبير ، جدم ، جربشع ،
جرشاب ، جعبور ، جعدار ، جيمرى ، جمنور ، جمناخ ، حامس ،
حجى ، حيدبور ، حمامى ، حيمباس ، حنين ، دحوة ، دردخ ،
دغيم ، دعبوش ، دندل ، دبان ، زعطوط ، شفلوت ، ضبعان ،
عبسى ، علوقوس ، علوط ، عملوس ، عميش ، عناص ، عنجرة ،
عوض ، عيضة ، فقوع ، قاشى ، قرب ، قرحوش ، قشبي ، قصوع ،
قمفي ، كبج ، كرات ، كزمان ، ميرباق ، مسيب ، مشيب ،
مشكاع ، مغيش ، مكواس ، ميكيال ، ميافي ، موجه ، نشتوري ،
وري ، وكيب .

أسماء الإناث :

جمنة ، حامسة ، حنيشة ، دشنة ، دوشة ، رادعة ، سابة ،
شابة ، صافية ، ضيفة ، عنصبة ، عجية ، غبرة ، حبة ، حنيقة ،
مخافة ، مسرعة ، مسفرة ، معجلة ، مغيشة .

أسماء ما بعد ثورة سنة ١٣٨٢ (١٩٦٢)

وقد ظهرت أخيراً أسماء غير عربية الاستعمال وإن كانت عربية الألفاظ
انتشر استعمالها في اليمن منذ سنوات وهي من الأسماء الشائعة في مصر والشام

فإذا استحسن الأب أو الأم أو كلاهما اسماً من الأسماء لاسياً إذا كان اسم ممثل أو ممثلة أو مطرب أو مطربة ورزقا مولوداً سميها باسم مطربها أو مطربتها المفضلة .

فمنها للذكور مثلاً :

فريد ، فؤاد ، نبيل ، فائز ، عادل ، سمير

والإناث :

منى ، سلوى ، سهام ، نبيلة ، إلهام ، آمال ، فائزة ، فوزية ،
سعاد ، حنان ، سميرة ، فيروز ، نجاة ، سامية ، صباح ، أسمهان .

صنعاء

إسماعيل الأكوع

التعريف والتقد

شرح أبيات سيبويه

المنسوب إلى أبي جعفر النحاس

- ١ -

الدكتور محمد خير الحلواني

لم تعرف المكتبة النحوية المعاصرة من تراث أبي جعفر غير كتيب صغير هو (التفاحة) وكتاب جليل هو (شرح القصائد التسع المشهورات) ، على الرغم من غزارة ما تركه في تاريخ هذا العلم وتوفر بعض كتبه في مكتبات العالم أهمها : إعراب القرآن ، ومعاني القرآن ، والوقف والائتلاف ، وشرح أبيات سيبويه ، وهو غير هذا الكتاب الذي نتحدث عنه .

على أن المطبعة العربية قد دفعت منذ أربع سنوات كتاباً جديداً موسوماً بالعنوان : (شرح أبيات سيبويه) ، منسوباً إلى أبي جعفر النحاس وما أشك في أن أبا جعفر بريء منه ، لأسباب كثيرة سأعرضها في بحث آخر ، وأكاد أقطع بأنه ملفق من مصدرين قديمين ، أولها مصدر كوفي قديم أرجح أن يكون مختصر الكسائي أو حدوده ، والثاني بصري يلتصق

بكتاب سيويه ويتابعه في إستطاراته التوضيحية ، لعله كتاب المختصر لأبي عمر الجرمي .

وإذن ، ليس الكتاب شرحاً لأبيات سيويه كما يوهم عنوانه ، وليس لأبي جعفر النحاس ، ولكنه في بدايته كتاب نحوي مستقل ، ينحو في مصطلحاته ومذاهبه نحواً كوفياً صيرفاً ، ويختصر في قسمه الثاني كتاب سيويه اختصاراً مشوهاً رديئاً ، ويعنى بشواهد ولكنه لا يلتزم في شرحها ما يلتزم عادة في كتب الشواهد .

لقد طبع الكتاب في مدينة حلب سنة ١٩٧٤ ، بتحقيق الدكتور أحمد خطاب التكريتي ، رئيس قسم اللغة العربية في جامعة الموصل ، وهو ممن عُنُوا بأبي جعفر النحاس ، وتوفروا على تحقيق كتبه ودراستها ، فقد أخرج له كتابه الثمين (شرح القوائد التسع المشهورات) ، كما حقق كتابه (القطع والائتناف) ، وهذا لم يطبع بعد .

غير أن الدكتور الخطاب لم يُنَّحَ له أن يشرف على طباعة الكتاب ، ومن أجل ذلك وقع فيه من الزلات ما شوه نصه في كثير من المواضع ، وأضاف إلى ما ارتكبه الناسخ أو الملقق له اضطراباً في العبارة يحسن بنا أن ننبه إليه ، في هذه المقالة الموجزة ، حفظاً لنصوص التراث ، وحرصاً على صحته .

١ — جاء في الصفحة ٦ ما يلي : « وقال آخر :

مالي إذا ذو أرمي من وراء حجاب كما توقى من ذي العزة الحرب »

وصواب الرواية :

مالي أذا ذو وأرمني من وراء حجاب كما توقى من ذي العزة الجرب

٢ - وجاء في الصفحة ٧ « وقال آخر :

وأيقن أن الخيل إن تنتبس به يكن لفسيل النخل بعده ' آبر' ،

والصواب : يكن لفسيل النخل .

٣ . وجاء في الصفحة (٩) : « وقال :

أقول إذا خرت على الكلكال يافاقتي ما جلت من مجال ،

والصواب : أقول إذ خرت ...

٤ - وجاء في الصفحة ١٥ : « وقال زهير :

ومن بعض أطراف الزجاج فإنه مطيع العوالي ' ركبته كل لهذم' ،

والصواب : يطيع' العوالي . لأن الشاهد إنما هو جواز تسكين

ياء المنقوص في حال النصب في ضرورة الشعر ، وعلى هذا لا تصح (مطيع) هنا ، لأنها تحيل ما بعدها إلى أن يكون مجروراً بالإضافة ، وتسكين ياء المنقوص في حال الجر هو وجه الكلام وقياسه ، فإذا صحت رواية ، لم تصح شأهداً .

٥ - وجاء في الصفحة ١٦ : « وقراءة ابن مسعود : لا تخفف

دركاً ولا تخش » .

والصواب : ولا تخشى . وهي موضع الشاهد ، لأن الحديث عن

الممثل الذي يجري في الضرورة الشعرية مجرى الصحيح ، وعن لهجات العرب فيه ، وقد حشد المؤلف شواهد كثيرة على هذا ، مثل : « ألم يأتك والأنباء تنمي ... » ومثل : « من هيجو زبان لم نهجو ولم تدع ... » ثم

احتج بقراءة ابن مسعود : ولا تخشي .

٦ - وجاء في الصفحة ٢٢ : وحد آخر من (كان) قال الأسود ابن يعفر أبو الأسود .

والصواب : قال أبو الأسود ، بإسقاط (الاسود بن يعفر)

٧ - وجاء في الصفحة ٢٢ البيت التالي :

دع الخمر يشربها الغواة فإني رأيت أخاها مجرماً من مكانها

والصواب : مجزئاً ، لا مجرماً ، لأن الشاعر - وهو أبو الأسود - يتحدث عن الزبيب ، وينهى غلامه عن شرب الخمر ، ويريه أن الزبيب يغني عن الخمر ويجزئ عنها ، أما (مجرماً) فتحريف وقع من الناسخ ، والغريب أن المحقق أشار في الحاشية إلى الرواية الصحيحة ، ولكنه لم يثبت في المتن اللفظ الصحيح الذي يؤدي المعنى المعقول .

٨ - وجاء في الصفحة ٢٣ شرح المؤلف لقول الشاعر :

فدى ابني ذهل بن شيبان ناقتي إذا كان يوم ذو كواكب أشهب

وهو قوله : « ومعنى البيت أنه أخبر أن اليوم الشديد في الحرب تفدي بني ذهل بن شيبان أي يدفعون معاوية » .

والعبارة كما ترى مضطربة غير تامة ولا مفيدة ، ولم يشر المحقق إلى هذا ، ولعلها كما يلي . « إنه أخبر أنه في اليوم الشديد في الحرب تفدي ناقتي بني ذهل بن شيبان » .

٩ - وجاء في الصفحة ٢٦ :

« ومنا الذي اختير الرجال سماحةً وجوداً إذا هب الرياحُ الزعزع »

فقال اختير الرجال . على معنى : اختير من الرجال ، فلما حذف

(من) نصب سماحة على التمييز .

ولاشك أن في العبارة نقصاً ، وهي على صورتها هذه مشوهة مضطربة ، لأن نصب (ساحة) على التمييز لا يتوقف على حذف حرف الجر (من) ، والذي يريده المؤلف أن (من) لما حذف انتصب (الرجال) على نزع الخافض . وهذا هو موضع الشاهد ، أما نصب (ساحة) فعلى التمييز ، سواء أ حذف (من) أم لم تحذف .

١٠ - وجاء في الصفحة ٣١ : « كما قال سبحانه : كذبت قوم لوط بالنذر . والقوم مذكر ، ولكن ذهب قبيلة » .

والصواب : ولكن ذهب بهم مذهب قبيلة . أو ذهب بهم إلى أنهم قبيلة

١١ - وجاء في الصفحة ٣٥

« فلو أن نصفاً لو سببت وسبني بنو عبد شمس من مناف وهاتم »
ولا معنى لهذه الرواية ، لأن (لو) بقيت بلا جواب ، والرواية الصحيحة : ولكن نصفاً ..

١٢ - وجاء في الصفحة ٣٥ : « وقال آخر :
فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال
فقال : كفاني ، ولم أطلب ، قليل ، ومعناه : كفاني قليل من
المال ، ولم أطلب الملك . فأعمل الثاني » .

وعلى الرغم من خطأ العبارة الواضح لم يشر المحقق إلى الصواب ، وهو : فأعمل الأول . إذ كيف يكون الثاني عاملاً وقليل فاعل للفعل كفاني ومعمول الفعل الثاني محذوف ، وهو الملك .

١٣ - وجاء في الصفحة ٤١ :

« وخلب يجمع أصحابه بالحق ، لا يحمده بالباطل »

والصواب : وخالد يحمد أصحابه . وفي حاشية الصفحة ذكر الدكتور خطاب أن البيت من الرجز ، والصواب أنه من السريع لا من الرجز

١٥ - وجاء في الصفحة ٥٠ :

« لابرة عندهم فأطلبها ولاهم نُهْزَة مختلس »

والصواب لا ترة عندهم فتطلبها .

١٥ - وجاء في الصفحتين ٥٠ - ٥١ :

« وبنو تميم يجعلون الفاء في (ما ، ولا ، وليس) ثم جاءت الفاء جواباً ، وهم يرفعون بها وينصبون ، . . . »

وعلى الرغم من اضطراب العبارة لم يشر المحقق إليها ، وإنما لكذلك في المخطوطة المعتمدة ، ولعلها صوابها : « وبنو تميم قد يملون الفاء في (ما ، ولا ، وليس) إذا جاءت جواباً ، فهم يرفعون بها وينصبون ، وإذا لم تكن كذلك لفظاً فهي كذلك معنى . »

١٦ - وجاء في الصفحة ٦٢ :

« إن علياً وعميراً قزمين . والصواب : قزمين . »

١٧ - وجاء في الصفحة ٦٣ :

« تقول : أنت أحسنُ الناسِ وجهاً ، بنية التنوين ، وقد ضبط المحقق (الناس) بالكسر على الإضافة ، والصواب ضبطها بالفتح ، لأنها منصوبة على الشبه بالمفعول به ، لأنها وضعتها تحت عنوان « باب ما ينصب على نية التنوين ، ، وعلى هذا يكون نصب (الناس) هو موضع الشاهد وعليه ساق شواهد الباب كله . »

١٨ - وجاء في الصفحة (٦٤) :

« والحافظو عورة المشيرة لا تأتيهم من ورائهم نطّف ،
والصواب : لا يأتهم .. بالياء لا بالياء ، لأن الفاعل مذكر ، وهو
النطّف ، أي العيب .

١٩ - وجاء في الصفحة ٧٥ :

« ورأي عينيّ الفتى أخاكا يعطي جزيلاً فعليك ذاكا ،
« نصيب : عيني ، برأي ، لأنه مصدر ، وكأنه قال : رأت عينايا
الفتى أخاكا ، .

ولم بشر المحقق إلى الخطأ الصريح في كلام المؤلف ، لأن المنصوب
بالمصدر (رأي) هو (الفتى) لا (عيني) ، وهذا من عمل المصدر المضاف
إلى فاعله ، كقولك أعجبني فهم التلميذ الكلام ، أي أن يفهم التلميذ
الكلام . وإذن ، فإن (عيني) مجرورة بالإضافة لفظاً ، وهي في المعنى
فاعل للمصدر ، والمفعول به هو (الفتى) .

٢٠ - وجاء في الصفحة ١١٤ :

« وهو امتلك الإبل جار ، أنشئ يركبه صاحبه ، فيمنع إبله عليه
من العدو ، .

ولا معنى لـ (أنشئ) هنا ، ثم لا تستقيم بها العبارة إعراباً ، إذا
صحّ لنا أن نلتزم وجهاً من المعنى ، لأن الفاء في قوله (فيمنع)
لا يصح أن تكون رابطة لجواب الشرط ، وهذا واضح ، وصواب العبارة
هو : « أي يركبه فيمنع .. » لأنه يفسر معنى أن يكون جاراً
لمتلك الإبل .

٢١ - وجاء في الصفحة ١١٩ : « وقال آخر :

ظَلَّ عَدُوًّا نَاجِزًا لَطَاطٍ مُرْبَعَةً بِمِفْرَصِ الْخِرَاطِ

المفرص : مفراص الصائغ ، والخراط ، وصاح بالناقة هي لَطَاطٍ
فقال : لَطَاطٍ ، أي تبدي وتقطع ، ثم قال : لَطَاطٍ ، أي التطيء .

وذكر المحقق أنه لم يوفق إلى معرفة القائل ، ولا إلى مرجع يلتمس
فيه البيت ، وأن الرواية في المتن : « ناجزاً قَطَاطٍ » . وليس لَطَاطٍ .

والحق أن النص بالغ الاضطراب ، ويصعب تصويبه ، ولكنني أرجح
أن البيت الأول من الرجز على هذه الصورة :

« تظل عدوًّا ناجزًا قَطَاطٍ »

لأن (ظل) 'تخل بالوزن ، وتخل (بالمطابقة) بين الفاعل المؤنث
وهو الناقة وفعله . وأرجح أن (لَطَاطٍ) في الشرح تحريف ، والأصل :
قَطَاطٍ . لأنه يصف الناقة بالسرعة ، والقَطَطُ : القطع ، أي أنها تقطع
الصحارى . أما (اللط) فهو الستر ، يقال : لَطَتِ الناقة بذنبها إذا سترت
فرجها ، ولا معنى لهذا في البيت .

٢٢ - وجاء في الصفحة ١٣٠ :

« قد سالم الحياتُ منه القَدَمَا

الأَفْعَوَانَ والشَّجَاعُ الشَّجْعَمَا

وَذَاتُ قَرْنَيْنِ ضَمُوزًا خَيْرِزِمَا ،

ضبط المحقق (ذات) بالضم ، والصواب بالفتح ، للعطف على المنصوب
قبلها ، ولإتباعها بالنصب ، بقوله (ضموزاً) .

٢٣ - وجاء في الصفحة ١٤٤ :

« عذرك من متوًلى إذا نيمتَ لم ينم يقول الخناسا أو يعتريك زنايره
لم يرد : اعذرني ، إنما أراد : عذرك إياي هذا ، ولو أراد :
اعذرني لنصب ، .

ضبط المحقق : عذرك ، بالنصب ، والصواب ضمها ، لأنها مبتدأ ،
والرفع هو موضع الشاهد .

٢٤ - وجاء في الصفحتين (١٤٥ - ١٤٦) :

« هذا حجة بأن قول العرب : فاها لفيك ، يريدون : الداهية .
يقول : إنما نصبت فاها لفيك ، لأنها بمنزلة الداهية ، .

وصواب العبارة : « هذا حجة بأن قول العرب : فاها لفيك يريدون
به فا الداهية ، يقول : إنما نصبت : فاها لفيك ، لأنها بمنزلة دهاك الله ، .
(انظر سيبويه ١/١٥٩ بولاق) ولا معنى لما أثبتته المحقق .

٢٥ - وجاء في الصفحة ١٥٣ :

« والدأل : مشي يثقله .. ، وأرجح أن يكون الصواب : مشي
بثاقل ، ولا معنى لـ (يثقله) .

٢٦ - وجاء في الصفحة ١٥٤ :

« لها بعد إسناد الكريم وتعييه ورنه من يبكي إذا كان باكيا ،
وجاء في الشرح : « ترن على رجل كبير أسندوه .. ، .

هكذا وردت الكلمة الواحدة في الشعر : الكريم ، وفي الشرح :
الكبير . وماهي هذا ولا ذاك ، وإنما هي في الموضعين : الكلم . ولا
معنى للكريم ولا للكبير .

٢٧ - وجاء في الصفحة ١٧٢ :

« أقل به ركب أتوه تَثِينَةً وأخوف إلا ما وقى الله سارياً »

والصواب : تثية . من الفعل : أبَيَّ ، مثل : حيي . إذا تلبث في المكان وتوقف فيه .

٢٨ - وجاء في الصفحة ١٧٣ :

« ولا يشعر الرمح الأصم كعوبه بثروة رهط الأعيط المتظم »

هذه حجة بأنه قال : الأصم . ولم يقل : الصم . كقوالك : مرت برجل آباؤه كرام .

وفي هذا الكلام خطأ واضح ، إذ اختل القياس بين : الأصم كعوبه ، وآباؤه كرام . والصواب : مرت برجل كرام آباؤه . وذلك على حمل (الأصم) التي لا تجمع جمع السلامة ، على كريم التي تجمع جمع السلامة .

٢٩ - وجاء في الصفحة ١٧٤ :

« بعيد الفتاة فما إن يزا ل مضطراً طرثاه طليحاً »

حجة في أنه ذكر الفعل ، وكان حقه أن يقول : فما إن تزال . لأن الفعل للطرتين ، وهما مؤنثتان .

وعلى الرغم مما في هذا الكلام من خطأ واضح لا نرى المحقق يشير إليه ، فالمؤلف بخطيء فهم عبارة سيبويه ، ويرجه الشاهد توجيهاً بعيداً جداً عن الصواب ، فيظن أن الفعل (لا يزال) يعمل في (طرثاه) رفعاً ، على حين يستتر فيه ضمير يرجع إلى الممدوح وهو عبد الله بن الزبير ولا علاقة لتذكير الفعل بتأنيث (طرثاه) ، وإنما موضع الشاهد - وهو ما ذكره سيبويه - قوله : مضطراً طرثاه . إذ لم يطابق بين اسم الفاعل

ومعموله في التأنيث ، وهو كقولك : أذهب نساؤك ؟ (انظر :
سيوبه ٢٣٨/١) .

٣٠ - وجاء في الصفحة (١٨٤) :

« شفارة تقذ الفصيل برجلها فطارة لقوادم الأبقار ،
والصواب : شغارة . أي التي ترفع رجلها ضاربة للفصيل لتمنعه من
الرضاع عند الحلب ، يقال : شغر الكلب ، إذا رفع رجله ليبول .
(انظر : الخزانة ١٣٠/٣) .

٣١ - وجاء في الصفحة ١٩٢ :

« والبر : معرفة ، والحتي : سويق المقتل » .
وصواب النص : والبر : معروف ، والحتي ، سويق المقتل ، بضم
الميم ، وهو حمل شجر الدَّوْم .

٣٢ - وجاء في الصفحة ١٩٦ :

« ربما تكره النفوس من الأم ر له فرجة كحل المقال ،
والصواب : رب ما تكره .. أي بفصل (ما) عن (رب) ،
لأن (ما) هنا ليسب زائدة كافة حتى توصل بـ (رب) بل هي مبهمة
مفسرة بشبه الجملة (من الأمر) ويعود إليها الضمير في (له) .

٣٣ - وجاء في الصفحة (٢٠٠) :

« يا ليت أيام الصبا وارجعها
كأنه قال : يا ليت أيام الصبا أقبلت رواجعها ،
والصواب : أقبلت رواجع ، بلا ألف ، لأن هذه الألف لا تثبت
إلا في الشعر أو في النثر ذي الفواصل .

٣٤ - وجاء في الصفحة ٢١٨ :

« والأصرام : البيوت من الأخيصة ..

والصواب : البيوت من الأخينة ، جمع خيلاء .

٣٥ - وجاء في الصفحة ٢٣٢ :

« وقد رأى الراؤون غير البطل أنك يا معاير ابن الأفضل ،

والصواب : أنك يا معاير ابن الأفضل . وفي رواية المحقق يختل

وزن الرجز .

٣٦ - وجاء في الصفحة ٢٣٢ :

« حجة أن العرب لما أكثر ترخيم الحارت لكثرت في الكلام ،

وكذلك (مالك) قال ، ..

وهذا الكلام غير مستقيم ، لأن جواب (لما) لم يظهر ، والصواب :

حجة أن العرب إنما أكثرت ... ،

٣٧ - وجاء في الصفحة ٢٣٩ :

« ومنهل ليست به خوازيق وللضفادي جمّة نقائق ،

والصواب : وللضفادي جمّة نقائق . والجم : جمع جمّة ، وهو معظم

الماء ومجتمعه ، وبهذا تبدو رواية المخطوطة لا معنى لها .

٣٨ - وجاء في الصفحة ٢٥٢ :

« مالك من شيخك إلا عمله » إلا رسيمة ، وإلا رملته

ضربان من السير ، إلا رسيمة ، بدل من : إلا عمله ، وحمله على

الموضع ، كما قال : فلسنا بالجبال ولا الحديد .

وهذا الكلام مشوه مضطرب ، فكيف يكون (إلا رسيمة)

محمولاً على موضع (إلا عمله) ؟ فالبدلية هنا على اللفظ والموضع معاً ، لأن المبدل منه مرفوع لفظاً ومحلاً ، والاستثناء مفرغ .

ويغلب على الظن أن الناسخ أسقط شيئاً غير قليل من كلام المؤلف ، فقد جاء في سيبويه في هذا الموضع : « زعم الخليل رحمه الله ويونس جميعاً أنه يجوز : ما أثنى غير زيد وعمرو ، فالوجه الجر ، وذلك أن (غير زيد) في موضع (إلا زيد) وفي معناه ، فحملوه على الموضع كما قال : فلسنا بالجبال ولا الحديد » (٣/٣٤٤ هارون) .

وعلى هذا أرجح أن يكون المؤلف أتى على ما سماه سيبويه (باب غير) ثم أسقط الناسخ الكلام ، فجميع في النسخة هذا الجمع المشوه .
٣٩ - وجاء في الصفحة ٢٥٤ :

« بعد اللتيا والتي واللاتي

حجة أنه حذف صلة (التي) كأنه أراد : التي من أمرها كذا وكذا . قال : وحذف المضاف ليس بأشد من حذف صلة (التي) . والصواب : « وحذف المضاف إليه ليس بأشد من حذف صلة (التي) » . لأن حذف المضاف لا يمكن أن يقاس على حذف صلة الموصول لأنه كثير جداً في العربية ، ولأنه لا يخرج على أعرافها وقوانينها اللغوية أما حذف الصلة فنادر ، وليس بمرف لغوي ، وعلى هذا يتباعد طرقات القياس .

ثم إن الكلام على (ليس غير) وقد حذف المضاف إليه فيها لا المضاف ، وهذا بيّن واضح . أضف إلى ذلك أن الكلام منقول من سيبويه ، قال في هذا الموضع : « فليس حذف المضاف إليه في كلامهم بأشد من حذف تمام الاسم » . (٣/٣٤٧ هارون)

٤٠ - وجاء في الصفحة ٢٥٩ :

«قدني من نصر الحُبَيْبِينَ قَدِي»

حذف النون الأخيرة من (قدني) الأخيرة ، وشبهه بخبيين .

ما وجه الشبه بين (قدي) التي حذف منها النون و (خبيين) ؟
أليس هذا عبثاً من الناسخ ؟

والصواب ما جاء في سيبويه في هذا الموضع : « شَبَّهَ بِـ (حسبي)
لان المعنى واحد » . (٣٧١/٢ هارون) .

٤١ - وجاء في الصفحة ٢٦٢ عند الكلام على البيت :

قلت إذ أقبلت وزُهرٌ تهادى

ما يلي : « فمطف : زهر ، وهي أسماء ظاهرة ، على التاء ، وهي
اسم مضمّر » .

والصواب : وهي اسم ظاهر . ولا معنى للجمع هنا .

٤٢ - وجاء في الصفحة ٢٨٤ :

« إذ ما أتيت على الرسول فقل له حقاً عليك إذا اطمأن المجلس

حجة أنه جازي بـ (إذا ما) وبـ (إذا) ، ولولا أنه جزاء لما
أدخل الفاء » .

والصواب أن يحذف قوله (وبـ : إذا) لأنه لا موضع له هنا .

٤٣ - وجاء في الصفحة ٢٨٥ :

« تصفي إذا شدها بالرحل جانحةً حتى إذا ما استوى في غرورها تثب

حجة أن العرب لا تجازي إلا أن تضطر ، ألا تراه رفع تثب » .

أي كلام هذا ؟ إن الصواب : لا تجازي بـ (إذا) إلا أن تضطر .

٤٤ - وجاء في الصفحة ٣٢٠ :

« بالخير خيرات وإن شراً فإلا أريد الشر إلا أنت تأ
يريد : إن خير فخير ، ولا أريد الشر إلا أن أتى ، .
والصواب : ولا أريد الشر إلا أن تشاء . كما ورد في سيبويه .
(٣٢١/٣ هارون) .

* * *

هذا ما وقفت عليه ، ولقد تركت ما يعادله كثرة ، لأن وجه الصواب
فيه بيّن واضح ويرتد معظمه إلى أخطاء مطبعية تسهل معرفتها ، ولا بد لي
هنا من أن أذكر في نهاية هذه الملاحظات أن الأستاذ المحقق اعتمد نسخة
واحدة لم يجد غيرها ، وهي - كما وضع لنا - سقيمة جداً ، تدل على
جهل الفاسخ ، وبعده عن حقل النحو .

محمد خير الحلواني

ذيل مشتببه النسبة للذهبي

تأليف : محمد بن رافع السلامي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

تحقيق : الدكتور صلاح الدين المنجد

طبع : بيروت - دار الكتاب الجديد - الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

الأستاذ عبد الجبار زكار

فرحتُ بظهور هذا الكتاب وسعدتُ بقراءته من أوله إلى آخره
وشكرت الأستاذ صلاح الدين المنجد جهده في إخراجه ضمن جهوده الكثيرة
المرموقة في إحياء التراث .

وكنتُ قد حصلتُ على مصورة له اضطرني إليها عملي ، هي إحدى
نسختين اعتمد عليهما الأستاذ المحقق في إخراجه . فلما مضيت أقابل بين
المصور والمطبوع ظهرت لي جملة من الملاحظات لا أشك في أنها أثر من
آثار السهو أو السرعة التي لا تلتقي مع مانعهد من الدكتور المنجد ، فهو
من كبار المهتمين بتحقيق التراث ونشره والمؤصلين لقواعده^(١) فيما نشر من
كتب كبيرة ورسائل صغيرة .

ويمكن أن ترد جملة هذه الملاحظات إلى :

أ - تصحيقات محمولة على الخطأ الطباعي .

ب - سقط في المطبوع يبدو كثيراً إذا قورن بضالة صفحات المخطوط .

ج - أمور كان يحسن ذكرها ولم تذكر أو ذكرت دون أن تنال

حظها من العناية .

(١) انظر كتابه : قواعد تحقيق المخطوطات ، في طبعته الثانية .

د - وأكثر هذه الملاحظات مردّها إلى أن الأستاذ الدكتور المنجد اتخذ من مخطوطة مكتبة خراجي أوغلي في بروسة أصلاً (رأس الصفحة ٨) ، ولكنه في إخراج الكتاب لم يتقيد بذلك . فقد وضع إضافات ليست في الأصل ولم يشر إلى المصدر الذي أضاف منه ^(١) كما أنه لم يضع هذه الزيادات ضمن أقواس خاصة تعارف عليها العاملون في التراث ، لتشير القارئ بأنها ليست من الأصل وأنها ربما كانت من النسخة الثانية مثلاً أو من مصدر آخر . وأرجو أن يتقبل الأستاذ المنجد هذه الملاحظات إذا ارتضاها حين يعيد طباعة الكتاب حرصاً على الحقيقة العلمية .

وبهذه المناسبة أقترح أن يقوم القادرون على النشر بإلحاق صور للمخطوط المعتمد في نهاية الكتاب المحقق والمطبوع وخاصة إذا كان الأمر يتعلق برسائل صغيرة كرسالتنا هذه .

يتكون الكتاب المطبوع من خمس وخمسين صفحة وزعت على الشكل التالي : ثماني صفحات للمقدمة وأربعون صفحة للأصل والباقي للفهارس .

ضمت المقدمة تعريفاً بالمؤلف وهو : محمد بن رافع السلامي .

يذكر المحقق في الصفحة الخامسة (السطر ١٥ - ١٦) عن المؤلف أنه : « توفي في سنة ٧٧٤ هـ في دار الحديث النورية ، ودفن بباب الصغير . . » ولعل المحقق استقى معلوماته هذه من رواية منقولة عن ابن حجي وهو أحد تلاميذ ابن رافع ، ولكن ابن الجزري ذكر في طبقات القراء أن ابن رافع توفي : « . . . يوم الثلاثاء الثامن عشر من جمادى الأولى سنة أربع وسبعين وسبعمئة بالمدرسة الشامية ظاهر دمشق ، ودفن بالمقابر الصوفية قريباً من الحافظ ابن الصلاح » . وابن الجزري هذا دمشقي عاصر المؤلف

(١) لا يصح هذا القول على إطلاقه لأن نظرة سريعة إلى الهوامش في مطبوعة الأستاذ

المنجد تشير إلى إضافات من النسخة الثانية ومقارنات ومقابلات كثيرة عليها .

وأخذ عنه ، كما أن ابن قاضي شبة ذكر في تاريخه : « الإعلام بتاريخ أهل الإسلام » في وفيات سنة ٧٧٤ هـ أن ابن رافع دفن بمقبرة باب الفراءيس بدمشق . وعلى هذا لا يمكننا أن نجزم بتحديد اسم المقبرة التي دفن فيها ابن رافع . وورد في الصفحة نفسها (السطر ١٦) : « ... كان ابن نافع .. » والصواب : « كان ابن رافع » ويبدو أن هذا خطأ مطبعي .

كما أنه في الصفحة نفسها (السطر ٤ و ٥) قال الأستاذ المنجد : « ... وتبين لي بعد مقابلة التبصير بذيل ابن رافع أن ابن حجر لم يطلع عليه .. » .

لعل المقابلة لم تكن متأنية لأنه تين لي لدى التدقيق في مقابلة نص ابن رافع بكتاب تبصير المنتبه أن ابن حجر قد اطلع عليه واستفاد منه وقد صرح بذلك في الجزء الرابع في صفحة : ١٥١٢ - ١٥١٣ في الفصل الذي عقده بعنوان : « ذكر الكتب التي طالعها على هذا المختصر اللطيف » فقال : « ... وقد ذيل عليه الحافظ تقي الدين بن رافع تلميذه في هذا المختصر جزءاً قدره عشرة أوراق غالبه لا يرد عليه ، لأنه إما أن يكون قد ذكره أو يكون لا يشتبه على بعد ، ولو تصدى أحد لتجريد ما استدرسته عليه في هذا المختصر لقضى العجب من كثرتة ، بل لا شك أن مجرد ذكر الأسماء من غير ضبط ولا تسمية لو جمع لكان أزيد مما استدركه ابن رافع » .

وفي الصفحة السادسة (السطر ٩ - ١٠) قال المحقق : « وقد وصل إلينا من تأليفه - يعني ابن رافع - الذيل على تاريخ ابن كثير .. » والصواب على تاريخ البرزالي ، .

وقال : « ومنه مخطوطة بدار الكتب ١٢٩ تاريخ م كتبت سنة ٩٩٩ هـ والصواب أن سنة ٩٩٩ هـ ما هي إلا تاريخ تملك هذه النسخة »

من قبل الأكل بن مفلح . أما المخطوطة فقد نسخت قبل هذا التاريخ ولكن على كل حال بعد عام : ٨٤٢ هـ . فقد وردت في نهايتها العبارة التالية : « نقلت هذه النسخة من أولها إلى هنا من خط الحافظ الشهير بابن ناصر الدين رحمه الله تعالى وقوبلت عليه والله الحمد والمنة ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم » . والمعروف أن ابن ناصر الدين توفي في سنة ٨٤٢ هـ . وفي السطر الحادي عشر قال الأستاذ المحقق : « ووصل إلينا مختار من ذيله على تاريخ ابن النجار انتخبه تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي .. » سماه : « المختار المذيل به على تاريخ ابن النجار .. » ، والصواب : « تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار » . هكذا ورد اسمه على الأصل المطبوع والمحقق من قبل الأستاذ المرحوم عباس العزاوي .

وبهذه المناسبة فإننا نضيف إلى المؤلفات التي ذكر المحقق أنها وصلتنا : ترجمة « الإمام أبي القاسم عبد الكريم بن محمد القزويني » . ويوجد منها نسخة في مكتبة الدولة للمحفوظات الثقافية البروسية في برلين الغربية برقم / ١٠١٢٤ / .

ولقد عدد الأستاذ المحقق مؤلفات ابن رافع فذكر منها خمسة مؤلفات فقط ، والواقع أن لابن رافع أربعة أضعاف هذا العدد ما بين كتاب ومشخة وغيره وقد بينت ذلك في مقدمة كتابه « الوفيات » .

في الصفحة السابعة والثامنة قال الأستاذ المحقق : « اعتمدنا في نشر هذا الذيل على نسختين مخطوطتين الأولى مخطوطة في مكتبة خراجي أوغلي في بروسة بتركيا رقم ٢/٣٢١ تبدأ في الورقة : ١٨٣ ب وتنتهي بالورقة : ١٨٨ ب كتبها بخطه إبراهيم بن محمد بن خليل الحلبي المعروف بسبط ابن المعجمي

في عاشر شوال سنة خمس وثمانين وسبعمئة وهي نسخة صحيحة مضبوطة فكاتبها عالم معروف مشهور كان من كبار المحدثين في عصره وقد اتخذنا هذه المخطوطة أصلاً .

وبهذه المناسبة فإننا نضيف ، لوضوح التعريف ، إلى ما ذكره الأستاذ المحقق ان المخطوطة المذكورة هي ضمن مجموع يتكون من ثلاثة مؤلفات هي : كتاب المشتبه من الأسماء والأنساب للحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي وهي نسخة جيدة وتامة منقولة عن نسخة لها صلة بنسخة الذهبي وعليها تعليقات هامة ومفيدة جداً بخط سبط ابن العجمي ، وتقع هذه النسخة في : / ١٨٣ / ورقة ولم يرجع إليها الأستاذ علي محمد البجاوي أثناء تحقيقه كتاب المشتبه ، وفي نهاية كتاب الذهبي الحق سبط ابن العجمي وبخطه كتاب ابن رافع هذا والذي يتكون من ست أوراق في إحدى عشرة صفحة تضم الصفحة الواحدة من « ٢٦ - ٢٩ » سطراً ، ثم الكتاب الثالث وهو : كتاب التبيين لأسماء المدلسين وهو من تأليف سبط ابن العجمي والنسخة بخطه أيضاً وأعتقد أنها مسودة الكتاب .

في الصفحة الحادية عشرة من مطبوعة المنجد يبدأ نص كتاب الذيل على مشتبه النسبة للذهبي دون الإشارة إلى الهامش الوارد في رأس الصفحة الأولى من المخطوطة ونصه : « توفي الحافظ أبو المعالي محمد بن رافع بن أبي محمد السلامي يوم الثلاثاء ثامن عشر جمادى الأولى سنة أربع وسبعين وسبعمائة وصلي عليه من غده ، كذا رأته بخط أحمد بن القرشي فنقلته » . وهو بخط سبط ابن العجمي . وسنبين فيما يلي بعض الاختلافات بين الأصل وبين مطبوعة المنجد .

الصفحة الحادية عشرة

الأصل المخطوط

مطبوعة المنجد

س ١١ = قال الإمام الحافظ تقي الدين قال الإمام الحافظ العمدة تقي الدين
محمد ... أبو المعالي محمد ...

س ٨ - ٩ = وعلى الله المتكفل في القول وعلى الله التوكل

الصفحة الثالثة عشرة

س ٥ = علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن علي بن محمد بن عبد الرحمن
س ١١ = يوسف بن علي بن محمد بن علي يوسف بن علي بن محمد بن عبد الله
ابن عبد الله

س ١٢ = المعروف بالقفال لجمه إياها بيده المعروف بالقفال لعمله إياها بيده
ولقد كتب الناسخ فوق كلمة « لجمه » كلمة « كذا » وفي الهامش
عبارة : « لعله لعمله » ولكن الأستاذ المحقق لم يشر إلى شيء من هذا .

الصفحة السادسة عشرة

س ١ - ٢ = وفاته في هذا الحرف حرمة وفاته في هذا الحرف في : حرمة
س ٧ = الأول بفتح الحاء المهملة وسكون الأول بفتح الحاء المهملة وسكون
الشين المعجمة ، وفتح الراء الشين وفتح الراء المهملة : أبو ...
المهملة هو أبو ...

س ٨ = زنبور بن يعسوب الحشرمي زنبور بن يعسوب الحشرمي الأندلسي ..
الأندلسي النحوي تلميذ الإمام تلميذ الإمام أبي الحسن علي ..
أبي الحسن علي ..

هكذا ترك الأستاذ المحقق مكان كلمة « النحوي » فراغاً مما يوحي
أنه من الأصول المعتمدة دون الإشارة إلى وجود كلمة لم يتمكن من
قراءتها على الرغم من وضوحها .

الأصل المخطوطمطبوعة المنجد

س ١١ = عن أبيه ، ومخرمة بن بكير . روى عن أبيه ، ومخرمة بن بكير
وعنه سلمة بن شبيب وسلمة بن شبيب

س ١٢ = أضاف المحقق العبارة التالية : « قلت : وقال أبو حاتم ليس به
به بأس » ولم يشر إلى مصدر هذه الزيادة كما أنه لم يضعها ضمن قوس .
الصفحة السابعة عشرة

س ٣ = أما الأول : بفتح الأول : بفتح

الصفحة التاسعة عشرة

س ١٠ = وفاته في وفاته فيه

الصفحة العشرون

س ١ = الحسين بن يوسف بن الحسن بن الحسين بن يوسف اللخمي
يوسف اللخمي

س ٦ = جاء في مطبوعة المنجد البيت التالي :

ومن يدعو الله أم يقصده فقد صلت آماله ومآله

وقد علق عليه الأستاذ المحقق بقوله : إن هذا البيت غير مستقيم^(١) .
والحقيقة أن التصحيف الذي طرأ على البيت أضعاف وزنه علماً بأنه صحيح
ومستقيم في الأصل وهو :

ومن يك نحو الله أم يقصده فقد صلت آماله ومآله

الصفحة الثانية والعشرون

س ٨ = وابن سامة والذهبي وأبو سامة والذهبي

(١) ليس هذا التعليق في النسخة التي بين أيدينا . وهي ذات النسخة التي

ذكرها الكاتب (الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م) . (لجنة المجلد)

مطبوعة المنجدالأصل المخطوط

الصفحة الثالثة والعشرون

س ١٣ = ابن القاضي الفاضل . وذكره	ابن القاضي . وذكره
س ١٦ = وفي آخرها خاء معجمة ، فهو	وفي آخرها خاء معجمة فهو أبو محمد
أبو عبد الله	عبد الله
س ١٨ = محمد بن إبراهيم الفارسي	محمد بن إبراهيم القاري

الصفحة الرابعة والعشرون

س ٨ = محمد بن إبراهيم بن جماعة	محمد بن إبراهيم جماعة
س ٩ = أبي الحسن بن المفضل	أبي الحسن المفضل
س ١٠ = وتولى الحسبة بالقاهرة في الأيام	وتولى الحسبة في الأيام الكاملة
الكاملية	
س ١١ = وانتفع الناس به	وانتفع به الناس
س ١٢ = من أعمال قليوب	من قليوب

الصفحة الخامسة والعشرون

س ٣ = وتوفي في تاسع شعبان سنة	وتوفي في تاسع شعبان خمس وثلاثين
س ٩ = محمد بن النصير بن أمين الدولة	محمد بن النصير بن علي بن أمين الدولة
س ١٤ = مولده في سنة ثلاث وثمانين	مولده سنة ثلاث وثمانين
س ١٩ = وستمئة ، ذكره الشريف	وسبعمئة ، وذكره الشريف عز الدين
عز الدين	

مطبوعة المنجدالأصل المخطوط

الصفحة السابعة والعشرون

س ٦ - ٧ = محمد بن حسين السببي وحدث
 عنها
 محمد بن حسين السببي من قرى الرملة
 وحدث عنها

إن عبارة « من قرى الرملة » ليست في الأصل وإنما هي تعلية
 وضعها الناسخ في الهامش فأدخلها الأستاذ المحقق وجعلها أصلاً دون الإشارة
 إليها أو وضعها ضمن قوس .

الصفحة التاسعة والعشرون

س ١١ = وفاته فيه :
 وفاته :
 س ١٣ = أما الأول بفتح العين والراء
 أما الأول بفتح العين وسكون الراء
 المهملتين فكثير . وأما الثاني
 المهملتين فكثير . أما الثاني

الصفحة الثلاثون

س ٥ = ابن أبي بكر الحاراني
 ابن محمد أبي بكر الحاراني
 س ٨ = عبد الله بن عبد الواحد بن علاق
 عبد الله بن عبد الواحد بن أحمد بن علاق
 س ٩ = لابن الأخضر
 لأبي الأخضر

الصفحة الحادية والثلاثون

س ١٢ = وفاته فيه :
 وفاته :

الصفحة الثانية والثلاثون

أضاف الأستاذ المحقق البيت التالي ولم يشر الى مصدر هذه الزيادة
 كما أنه لم يضمه ضمن قوس وهو :

الأصل المخطوط

مطبوعة المنجد

من أين أرسل للفـؤا د وأنت لم تنظره سها

الصفحة الثالثة والثلاثون

س ٥ = الخضر بن محمد الفرحي الخضر بن محمد الفرحي

الصفحة الرابعة والثلاثون

س ٤ = بعدها ألف ثم راء بعدها ألف ثم راء

وفي السطر الثامن وما يليه ذكر المؤلف ترجمة الإمام ه علي بن داود ابن يحيى بن كامل القحفازي ه فقال : ه مولده في سنة ثمان وستين وستمئة ه وفي الصفحة الخامسة والثلاثين صحف الأستاذ المحقق تاريخ وفاته فجعله سنة خمس وأربعين وستمئة علماً بأنه في الأصل ه سنة خمس وأربعين وسبعمئة ه كتابة لارقماً ه وكان يمكن للأستاذ المحقق الاستعانة بكتب الذين ترجموا لهذا العلم أمثال : ابن كثير ه وابن الوردي ه والحسيني ه والكتبي ه والنعمي ه والسيوطي ه والقرشي ه واللكنوي ه وابن رافع في وفاته ..

الصفحة الخامسة والثلاثون

س ٣ = بجامع نائب السلطنة بجامع باب السلطنة

س ٦ = أما الأول بفتح القاف والفاء فهو : أما الأول بفتح القاف فهو

الصفحة السادسة والثلاثون

س ٧ = وأعاد ببعض المدارس بالقاهرة وأعاد ببعض المدارس بالقاهرة وتولى

وتولى مشيخة الرباط الركني بيبرس مشيخة الرباط الركبي بقبرص

الأصل المخطوطمطبوعة المنجد

وقد علق الأستاذ المحقق على كلمة بيبرس بقوله في الأصل « بلسرس » وما أثبتنا من ح - يعني النسخة الثانية - مع العلم أن كلمة بيبرس واضحة جداً ، وأن هذا الرباط معروف ومشهور بالقاهرة ، ومكانه اليوم الجامع المعروف بجامع بيبرس ولا يوجد بقبرص أي رباط يحمل هذا الاسم . كما أنه لا توجد أية علاقة بين مدارس وأربطة القاهرة وقبرص .

الصفحة السابعة والثلاثون

س ٢ = وبكة من أبي عمرو وبكة عن أبي عمرو
س ٨ = وأقام أيضاً بالقدس وأقام بالقدس

الصفحة الثامنة والثلاثون

س ٦ = وفاته في حرف الميم في : وفاته في حرف الميم :

الصفحة التاسعة والثلاثون

س ١١ = وفاته في : وفاته فيه :

علق الأستاذ المحقق في الحاشية رقم : ٣ / على كلمة « الدمشقي » الواردة في السطر الرابع عشر بأنها ساقط (ساقطة) من ح - أي النسخة الثانية - والحقيقة أنها ليست في الأصل والزيادة ربما تكون من ح .

الصفحة الأربعون

س ١٠ = ابن يزيد بن جارية ، ومجمع بن جارية ابن يزيد بن حارثة ، ومجمع بن حارثة
س ١٣ = مجمع بن جارية بفتح الميم مجمع بن حارثة بفتح الميم الثانية في قصي
الثانية ، ومجمع بكسر الميم
الثانية في قصي

مطبوعة المنجدالأصل المخطوط

الصفحة الحادية والأربعون

س ٢ = ابن محمد المقرئ . سمع من
 أبي المعالي أحمد بن إسحاق
 الأبرقوهي
 ابن محمد المقرئ . سمع من
 أحمد بن إسحق الأبرهوقي

س ٩ = محمد بن مكي بن عبد الصمد
 س ١٥ = العلماء المقتنين
 محمد بن عمر بن مكي بن عبد الصمد
 العلماء المفتين

س ١٨ = بالديار المصرية وبالديار الشامية
 بالديار المصرية والبلاد الشامية

الصفحة الثانية والأربعون

س ١ = بفتح الحاء المهملة فهو أبو
 بفتح الحاء المهملة أبو

الصفحة الثالثة والأربعون

س ٤ = فهو أبو أحمد نصر الله
 س ١٢ = ابن عبد الكريم بن علي البليسي
 فهو أبو محمد نصر الله
 ابن عبد الكريم البليسي

الصفحة الرابعة والأربعون

س ٧ = أبو عبد الله محمد بن يحيى بن
 س ١١ = فهو أبو حرب لؤي بن محمد
 علي بن محمد بن يحيى بن محمد
 أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن
 يحيى بن محمد
 فهو أبو حرب لؤي بن أبي حرب
 ابن أبي حرب

الصفحة الخامسة والأربعون

س ٩ = فبقي أياماً ومات
 س ١٢ = وفاته فيه في هام
 فبقي أياماً . ومات
 وفاته في هام

مطبوعة المنجد

الأصل المخطوط

الصفحة السادسة والأربعون

س ٨ = وسافر منه في سنة	وسار منه في سنة
س ١٠ = والشريف يونس	والشريف يوسف
س ١٢ = وعبد الصمد بن محمد الحرساني	وعبد الصمد بن الحرساني
س ١٤ = ثم سافر إلى بلاد العجم	ثم سار إلى بلاد العجم
س ١٥ = فسمع بنيسابور من منصور	فسمع بنيسابور من موسى بن عبد
ابن عبد المنعم الفراوي ،	المنعم الفراوي ، والمؤيد بن الطوسي
والمؤيد بن علي الطوسي	

الصفحة السابعة والأربعون

س ١ - ٢ = من أبي روح عبد المعز	من أبي الروح عبد العزيز
س ١٤ - ١٥ = سبط ابن العجمي والله	سبط ابن العجمي
الحمد والمنة سبحانه	

وقد أغفل كذلك الأستاذ المحقق ذكر العبارة التالية التي وردت داخل شكل مستطيل على يسار الصفحة الأخيرة من المخطوط وهي : « علقه داعياً للمالكه أحمد بن السمسار » .

الصفحة الثامنة والأربعون

س ٢ = الحمد لله قرأته أجمع - يعني	قرأته أجمع في مجلس واحد
الذيل - في مجلس واحد	
س ٨ = وأجاز بشوال	وأجاز سؤالي
س ١٢ = سمعه أجمع	سمع أجمع
س ١٧ = وكاتبه محمد بن إبراهيم بن محمد السلامي	وكاتبه محمد بن إبراهيم بن محمد الشلالي

ولنأت الآن على عمل الأستاذ المحقق وتعليقاته في الهوامش : فهو مثلاً كان يحيل بعض الأنساب والأعلام الذين ترجم لهم المؤلف على كتاب تبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر العسقلاني . ففي الصفحة الرابعة عشرة الهامش الأول علق الأستاذ المحقق على : « أبي إسحق إبراهيم بن علي المعروف بابن بقا » بقوله : لم يذكره ابن حجر في التبصير . في الحقيقة أن ابن حجر ذكره في صفحة : / ٢٠٢ / في السطر الأول .

وفي الصفحة الخامسة والعشرين علق الأستاذ المحقق على نسبة « ستبك و بسيل » في الهامش الثالث بقوله : « لم يذكرهما ابن حجر في التبصير » . ولكن ابن حجر ذكرهما في الصفحة : / ٦٧٤ / السطر / ٢٠ / وفي الصفحة / ٧٧٢ / السطر / ١٤ .

وفي الصفحة السادسة والعشرين الهامش الثاني علق الأستاذ المحقق على : « أبي السلم » بقوله : « لم يذكره في التبصير » . ولقد ذكره ابن حجر في صفحة : / ٦٨٨ / السطر / ١١ .

كما علق على ابن شهدة في الصفحة السابعة والعشرين الهامش الأول بقوله : « لم يذكره في التبصير » . والحقيقة أن ابن حجر ذكره في الصفحة : / ٧٩٣ / السطر الخامس :

الفهارس

ألقى الأستاذ المحقق في نهاية الكتاب عدة فهارس منها : فهرس عنوانه : الأعلام الذين ترجم لهم ابن رافع . ولكنه أغفل في هذا الفهرس الأعلام التالية أسماءهم :

علي بن أبي المعالي بن خضر بن جباه المعري . الوارد ذكره في الصفحة الثامنة عشرة السطر التاسع .

محمد بن محمد بن الحسين المالكي . الوارد ذكره في الصفحة الثانية والعشرين السطر السادس .

المؤمل بن إهاب . الوارد ذكره في الصفحة الخامسة والثلاثين السطر السادس .

عبد الملك بن قفل . الوارد ذكره في الصفحة الخامسة والثلاثين السطر السادس .

* * *

وفي الختام لا يسعني إلا أن أشيد بالجهود الذي بذله الأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد في تحقيق هذا الكتاب وإخراجه على الرغم مما ورد في تحقيقه من هنات ، ولعل مرده كما ذكرت إلى السرعة في العمل .

عبد الجبار زكار

كلية الآداب - مكتبة الدراسات العليا

أعلام الإصلاح في الجزائر (١٩٢١ - ١٩٧٥)

تأليف الأستاذ محمد علي دبوز

مطبعة البعث - قسنطينة - الجزائر - ١٩٧٦ - عدة الكتاب : ٢٧١ صفحة

الدكتور صفاء خلوصي

إنه لما يملؤني سروراً أن يكون هذا الكتاب أول كتاب من الجزائر أقوم بمراجعته ، ولعله من أوائل الكتب المطبوعة في الجزائر طبعاً جيداً أنيقاً ، فاقرؤه بلذة وشغف . إنه كتاب (أعلام الإصلاح في الجزائر خلال سني ١٩٢١ - ١٩٧٥) ويضم سير نخبة ممتازة من الأعلام المصلحين من أمثال الشيخ العربي بلقاسم التبسي ، وإبراهيم بن عمر بيّوض ، وإبراهيم الأبريكي وعبد الله بن إبراهيم أبو الملاء ، والشيخ بابا يوسف ، وعمر بن يحيى ، وقاسم بن الحاج عيسى ، وعمر بن مسعود ، وعدّثون بن الحاج ، وأبو اليقظان إبراهيم ، ومحمد إطفيش ، مزداناً بنيف وستين صورة ضوئية .

ومؤلف الكتاب هو الأستاذ المحقق والأديب الأريب محمد علي دبوز وقد سبق له أن أنحف المكتبة العربية بكتب لها أهميتها وخطورتها في عالم البحث والتأليف منها تاريخ المغرب الكبير في ثلاثة أجزاء ضخمة تضم ألفاً وستمائة وثلاثاً وثمانين صفحة من القطع الكبير ، ويتناول بالبحث والاستقصاء تاريخ ليبيا وتونس والجزائر والمغرب أي تاريخ المغرب بأكمله

بأقطاره الأربعة ، وقد خصّص الجزء الأول منه لتاريخ المغرب من العصر الحجري إلى الفتح الاسلامي ، والثاني للفتح الاسلامي وعهد بني أمية ، والثالث للعهد العباسي والدول المغربية المستقلة .

أما كتابه الثاني ، وهو (نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة) فهو الآخر في ثلاثة أجزاء تضم تسعمائة وستاً وتسعين صفحة من القطع الكبير أيضاً ، شرح فيه المؤلف عوامل النهضة الاسلامية في الجزائر وأدوارها ونتائجها الخطيرة في كل دور من هذه الأدوار وقادتها وتاريخهم وما قدموه للشعب الجزائري من أسباب العزة والتمعة ، وتطرق كذلك إلى عوامل ضعف الجزائر وقهرها من لدن الاستعمار الغربي ، ثم انبعاثها من جديد واستقلالها ، والكتاب مثل كل كتب الأستاذ ديبوز موشّح بصور ضوئية تاريخية لزعماء النهضة الجزائرية المباركة ومظاهرها ومصادرها .

وكتابه الثالث (أعلام الإصلاح في الجزائر) والذي نحن بصددده لا يقل خطورة عن الكتابين السالفين ، وهو كما ينبغي عنه عنوانه يبحث في أعلام الإصلاح بين عامي ١٩٢١ و ١٩٧٥ وقد أهداه مؤلفه بكل جدارة واستحقاق إلى الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش ، وباعتقادنا أن الكتاب جهد محمود مشكور ، وذلك لأن تاريخ الجزائر الحديث — كما يقول المؤلف الفاضل نفسه — من الاحتلال الفرنسي إلى الاستقلال ، ولا سيما تاريخ الإصلاح في الجزائر وأعلامه ، لم يدوّن قبل أن يتصدى المؤلف له ، إذ كان محفوفاً بمصاعب البحث والتقصي ، وأكثره ، إن لم يكن كله ، في ذاكرة المعاصرين وهم في أمصار نائية شتّى .

وقد روى الأستاذ البجاجة ديبوز تاريخ أعلام الإصلاح في الجنوب ،

ثم عرّج على أعلام الاصلاح وتاريخهم في الشمال معتمداً في الدرجة الأولى على أقربائهم وأصدقائهم وتلامذتهم ، وإن ما وقع فيه من تناقض إنما كان نتيجة تقدم السن ببعضهم واختلاط الأحداث والأخبار لديهم ، وإنما لنؤيد الباحث الفاضل فيما ذهب إليه من أن تاريخ الجزائر الحديث من الاحتلال الفرنسي إلى الاستقلال إذا لم يكتب فيما بقي من العقد الذي نحن فيه للقرن العشرين ، فمآله مع الأسف الشديد ، إلى الضياع لا محالة ، وذلك بوفاة مصادره أو عجزهم وتقدمهم في السن .

ومن يتحدث عنهم الأستاذ محمد علي دبّوز في سلسلة أعلام الاصلاح الشيخ العربي بن بلقاسم التبستي ، ويهتمّ بتبيل الفرصة السانحة للنظر إلى مآثر الغرب الجزائري ومزاياه الكثيرة فيقول : « إن الغرب الجزائري في مطلع القرن الرابع عشر للهجرة لم يكن مستعداً للنهضة كشرقه ، ولئن ازدهرت النهضة في مدينة قسنطينة وأطرافها أكثر فسبقت الغرب ببعض أمور ، فإن ذلك لأسباب تورث الغرب الجزائري فخراً وتومئاً إلى مزاياه ، ولقد كانت الأعباء التي نهض بها الغرب الجزائري من القرن الثاني حتى آخر الثالث عشر أكثر مما حمله الشرق فكان إعياءه أكثر ونومه أطول ، وقيود المستعمرين عليه أشد » .

لقد قامت في الغرب الجزائري ثورات كبرى على مراكز الخلافة الأموية والعباسية بدوافع مختلفة واجتهادات بما أدى إلى قيام عدد من الدول : الدولة الرستمية العظيمة التي سارت سيرة الخلفاء الراشدين ، وذلك في القرن الثاني للهجرة ، وحمل جزء من هذه المنطقة أعباء الدولة الإدريسية ، وصار في القرن الخامس الهجري جزءاً من دولة المرابطين ثم من دولة الموحدين ثم نشأت

فيه دولة بني عبد الواد وبني زيان في القرن السابع للهجرة ، فكانت عاصمتها تلمسان ، ودخلت في صراع مع دولة بني آمين ، وفي القرن العاشر الهجري أصيبت الجزائر والمغرب بالاسبان فاستهدفوا « وهران » وشواطئه واحتلوا المرسى الكبير في « وهران » فقارعتهم الجزائر والمغرب أعنف قراع وجالدهم أشد جلاذ ، ثم حصل جهاد الأمير عبد القادر الجزائري فكانت قواعده في الغرب الجزائري ، ثم وقعت ثورة أولاد سيدي الشيخ الكبرى على المستعمرين وكانت قاعدتها في الغرب الجزائري ، وبعد أن استولى عليه الاستعمار الغربي الغاثم نكل بعلمائه وقادته وزعمائه وهاجر الكثير منهم إلى المشرق العربي ، فغط في نوم عميق ردىاً من الزمن إلى أن قبض الله له من أيقظه من سباته وأعاده سيرته الأولى إلى صراعه وجهاده وجلاذه .

وتطغى على الكتاب كله نزعة إسلامية قوية مباركة ، ويشير الأستاذ دبّوز إلى ثورة الجزائر الجبارة العارمة التي غيرت وجه التاريخ ، وكيف أن مدينة قسنطينة أصبحت سنة ١٩٥٦ من مراكزها العظيمة الكبرى .

ويعتبر الأستاذ المؤلف أعلام الإصلاح في الجزائر كلهم أبناء القرآن في خلقهم وألسنتهم وأقلامهم فالقرآن والحديث الشريف هما اللذان قوّمَا ألسنتهم وأورثاهم العبقرية وغاية النبوغ .

وبما يذكره عن الشيخ العربي أنه كان ، كأكثر دعاة الإصلاح في العالم العربي ، مسجدياً تربّى في حِجر المسجد في مراحل دراسته وكان ميدان عمله في عهد جهاده .

ومن رائع ما يروى عن الشيخ العربي أن القائد الشهيد عميروش

أرسل إليه رسوله وهو في الجزائر العاصمة يسأله وصية يتبناها في جهاده ، فلم يجد الشيخ العربي وقتاً لكتابة الوصية وخاف التفتيش الشديد فسلم لرسول القائد عميروش مصحفاً صغيراً قائلاً له : د بلغه سلامي ودعواني وابتهاجي العظيم بجهادهم وانتصارهم ، وفل له : هذا المصحف الشريف هو وصيتي له .

ويذكر العلامة الفاضل ديبوز في كتابه شيئاً من أدب الطلبة مع مشايخهم والعامّة من العلماء والعزّابة وإجلالهم ، فإذا تحدثوا إليهم بدؤوا كلامهم بالدعاء لهم ، ويزوجون به حديثهم إليهم فمن ذلك قولهم باللهجة الجزائرية (ابارك فيك) أي بارك الله فيك .

ويحدثنا كذلك عن تنافس طلبة العلم في حفظ القرآن واستظهاره ، وعن الشعار الرائع : « إن العلم سلاح لا يجوز أن يكون إلا في أيدي الطاهرة والنفوس التي تنفّس به ولا تضر ، ويكون بها نوراً لا ناراً » . ويذكرنا هؤلاء العلماء الذين يسعدنا أن نعاصرهم بالأوائل من علمائنا الذين كانوا إلى جنب عكوفهم على العلم يعتمدون على أنفسهم في المعاش ، فالتعليم عندهم عبادة ، ولم لا يكون كذلك وقد جاء في التعاليم الإسلامية أنك كلما ازددت علماً ازددت قرباً من الجنة ، ولذلك كان علمائنا يحرصون على فهم مغاليق العلم حتّى وهم على فراش الموت وفي ساعات الاحتضار ، وقد روي العديده من القصص عمّن شُرحت له قضية نحوية أو فقهية وهو قارب قوسين من الموت أو أدنى ، ولا يكاد الشارح ينهي شرحه حتّى يلفظ عاشق العلم المحتضر أنفاسه .

لذلك نجد العزّابة والمعلمين في وادي (ميزاب) بالجزائر يقومون

بعلمهم الجاد الدائب في المساجد والكتاتيب والمعاهد الحرة ويرون ذلك عبادة عظمى وأجرهم فيها على الله ، لا يتقاضون أي أجر مادي بل يرفضونه لأن ما يقومون به عبادة خالصة لوجه الله ، فالعزابة والمعلمون كلهم يعتمدون على أنفسهم في المعاش ، إذ يخرجون بعد أداء أعمالهم التعليمية إلى أعمالهم الأخرى المعاشية ، يمنحونها ما يستطيعون من وقتهم فيخرج العزابي إلى حقله أو متجره ، فيعمل بكل جد ونشاط إلى أن يحين وقت المسجد فيهرع إليه بلذّة وشوق .

ويطلع القارئ من خلال دراسته لكتاب على المعاهد والمؤسسات الثقافية في الجزائر ، فهو له تعددها وكثرة انتشارها رغم طول أمد الاستعمار الفرنسي لهذه الديار ، وهي تحت أسماء شتى ، فهناك فضلاً عن المساجد التي هي قواعد راسخة للعلم والبحث والثقافة في مختلف أقطار العالم الاسلامي وأمصاره منذ نشأة الاسلام الأولى ، أقول هناك عدا المساجد جمعية العلماء ومعهد الشيخ إبراهيم الأبريكي ومعهد الحياة وغير ذلك كثير ، ومعهد الشيخ الأبريكي لتحفيظ القرآن وتدرّيس العلوم لا يقبل فيه المبتدئون ، بل الذين يعرفون القراءة ، وتقدموا في حفظ القرآن ، ولهم استعداد عقلي خاص . أما معهد الحياة فقد انشئ عام ١٩٢٥ فأقبلت إليه البحوث العلمية من مدن (ميزاب) وسواها ، وهو معهد عظيم حقاً كونه للجزائر والمغرب بل وللعالم الاسلامي أجيالاً من المثقفين المصلحين من بناء النهضة وجنود الثورة الجزائرية وكان قطب الرّحى فيه العلامة الجليل الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض .

وبعد فالأستاذ البهائ محمد علي دّبوز أفضل الشكر وأسناه على جهده ومسمعه لما ضمن كتابه الفذ (أعلام الإصلاح في الجزائر) من قيم المعلومات بما يجعل كل عربي يتوق شوقاً إلى إخوان له في الجزائر يفيضون علماً وموهبة .

اكسفورد د . صفاء خلوصي

آراء وأنباء

كتاب الأزمنة والأنواء

« لابن الأجدابي »

الأستاذ علي الفقيه حسن

منذ سنوات أهدتني وزارة الثقافة والارشاد القومي بسورية كتاب الأزمنة والأنواء لأبي إسحق إبراهيم بن الأجدابي ، وهذا الكتاب من خيرة ما ألف في هذا الموضوع كما ذكره محققه الدكتور عزة حسن . وما لا شك فيه أن مؤلفات أبي إسحق إبراهيم بن الأجدابي جميعها قيمة وأمنَ فيها مؤلفها من التصحيف والتحريف ورُزق فيها حسن التصنيف . وابن الأجدابي مكانته العلمية مرموقة لدى علماء اللغة وغيرها من العلوم ، غير أن الدكتور عزة حسن استعظم الثروة العلمية التي كان يتحلى بها العلامة الكبير أبو إسحق بن الأجدابي ، وما كان يظن أن طرابلس الغرب ينشأ فيها مثل صاحب كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ وغيره من المؤلفات . والأغرب من ذلك ما صرح به قائلًا : « ما كنا نعلم أن طرابلس الغرب كانت مركزاً من مراكز الفكر والعلم وما كنا رأينا كذلك علماء كباراً لهم شأن في علم من العلوم ينشؤون فيها ، ولكن نشأة أبي إسحق بن الأجدابي

في طرابلس الغرب ، واشتهاره بالعلم والتعليم فيها ، واشتغاله بالتصنيف في اللغة وغيرها من الفنون ، يدل دلالة قاطعة على أن طرابلس الغرب كانت حقاً مركزاً من مراكز العلم ، وإن لم تبلغ في ذلك مبلغ حواضر الحضارة والعمران الكبرى في المشرق والمغرب من مثل بغداد ودمشق وحلب والقاهرة والقيروان وقرطبة .

إن ما ذكره محقق الكتاب من أن طرابلس الغرب لم تكن في يوم من الأيام موطناً لكبار العلماء والمؤمنين ، كلام يحتاج إلى تمحيص ومراجعة ، إذ لا يخفى على أقطاب المؤرخين الذين دونوا سير علماء الفقه واللغة والتاريخ ، أن من كبار العلماء الذين نشؤوا في طرابلس الغرب جمال الدين ابن منظور صاحب لسان العرب ، وهو المعجم الكبير الذي يحتوي على ثمانين ألف مادة لغوية ، فضلاً عن بحوثه في التفسير وغريب الحديث والأمثال والأدب وأسماء البلدان مع ذكر الشواهد . فهذا المعجم الكبير خزانة كبرى جمعت شتات العلم المنفرق ، ومؤلفه ابن منظور من طرابلس الغرب وكان قاضياً بها ، وهو من رجال القرن الثامن ووفاته كانت في سنة ٧١١ هـ . وجده الأعلى الصحابي الجليل رويفع بن ثابت دفين مدينة البيضاء بطرابلس كما ذكره ابن منظور صاحب اللسان في مادة ج ر ب ، وقد رفع نسبه إلى رويفع بن ثابت الصحابي المذكور ، ولسان العرب هو أكبر معجم عربي برز للوجود وليس له نظير مماثل .

ومن العلماء الكبار الذين نشؤوا في طرابلس الغرب الفقيه الكبير محمد بن محمد الخطاب من رجال القرن العاشر صاحب المؤلفات الكثيرة التي منها منح الجليل في شرح مختصر خليل في ستة أسفار ، وهو مطبوع ومتداول بين العلماء ومرجع الفقهاء . وله غير ذلك من المصنفات في الحديث

والتفسير واللغة وعلوم العربية ، وهو من رجال القرن العاشر .
 ومن رجال طرابلس العلامة ابن المنير من علماء القرن السادس ،
 وقد ذكره ابن خلدون في المقدمة وأثنى عليه وخصوصاً في علم الفرائض .
 هؤلاء أفراد من كبار العلماء ذكرتهم على سبيل المثال . على أن
 طرابلس الغرب كان فيها رجال خدموا وتركوا مصنفات ليس لها مثيل ،
 وقد بينت هذه الحقائق حتى يقتنع السيد عزة حسن أن البلاد الطرابلسية
 أنتجت هؤلاء العلماء ، وأمثالهم قليل في المشرق والمغرب ، وليس من الانصاف
 أن ننكر وجود النهضة العلمية عبر التاريخ في طرابلس .

وقد ذكر محقق الأرمنية والأنواء أن وفاة أبي إسحاق إبراهيم بن
 الأجدابي كانت حوالي سنة ٦٥٠ ، وهذا غير صحيح فابن الأجدابي من
 رجال القرن السادس لأن ياقوت الحموي ترجم له ، وياقوت كانت وفاته في
 سنة ٦٢٦ ، فكيف يمكن أن يترجم لأبي إسحاق بن الأجدابي الذي توفي
 بعده حسبما ذكره الدكتور عزة حسن ؟ . ورحم الله ولي الدين ابن خلدون الذي
 قال : « التاريخ مزلة أفهام ومزلة أقدام » .

وأختم هذه الكلمة بما قاله أحد الشعراء :

وما عبّر الإنسان عن فضل نفسه بثل اعتقاد الفضل في كل فاضل

علي الفقيه حسن

طرابلس الغرب

مخطوطات يتيمة في مكتبة شيلستر بيتي بدبلن^(١)

Unique Mss at Chester Beatty Library
Dublin (Irish Republic)

- ٢ -

الدكتور صفاء خاوصي

رقم المخطوط

٣٠٦٠ - « كشف الإبهام » لبدر الدين محمد بن عبد الله بن قيسم الشبلي، الشبلي الحنفي (ت ٧٠٩ هـ / ١٣٦٨ م) . والمخطوط مستند في أصوله ومعلوماته على « الإلهام في أحاديث الأحكام » لابن دقيق العيد (المتوفى سنة ٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م) . عدد أوراقه : ١٦٧ ورقة مقاسها ٢٦١٤ × ١٨١٩ سم ، وهو بخط المؤلف نفسه ، وتاريخه ٢٥ رجب ٧٣٨ هـ / ٢٨ شباط (فبراير) ١٣٣٨ م .

٣٠٧٠ - « تحفة العالم في سيرة سيّد العوالم » لنصر الدين أبي عبد الله محمد بن أبيبك بن عبد الله بن الفخفاء (عاش حوالي سنة ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م) .

[سيرة النبي ﷺ مستقاة من سيرة ابن هشام المتوفى سنة ٢١٨ هـ / ٨٣٤ م] .

(١) نشر القسم الأول من هذا المقال في العدد الرابع من المجلد ٥١ ص ٩٠٤

عدد أوراقه : ٣٠٧ مقاسها ٢٦٥ × ١٩ سم بخط نسخ واضح ،
وناسخه أحمد بن عبد ربّ النبيّ الشرايبيّ "الناسخ القرطبيّ" الأنصاري ، وتاريخه
٢٢ رجب ٥٧٨٢ / ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٣٨٠ م ؛ وتحتوي
الورقة ٣٠٦ / ١ على ملاحظة تشير إلى قراءة المخطوط على مؤلفه في خانقاه
بيبرس بتاريخ ٢ ذي الحجة ٥٧٨٢ / ٢٨ كانون الثاني (يناير) ١٣٨١ م .
٣٠٨١ - « الابتهاج في انتخاب المينهاج » لعلاء الدين أبي الحسن
علي بن إسماعيل بن يوسف القونويّ الشافعيّ (ت ٧٣٨ هـ / ١٣٣٨ م) .
والمخطوط تلخيص « لشعّب الإيمان » (أو المينهاج) وهو رسالة شافعيّة
في أصول الدين لأبي عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد الحلبيّ الشافعيّ
(المتوفى سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م) عدد أوراقه ١٧٩ ورقة مقاسها :
٣٠٦ × ٢٠٣ بخط نسخ واضح ، وبلا تاريخ (ولعله من القرن
١٢ هـ / ١٨ م) .

٣٠٨٧ - « دلائل المنهاج » لزين الدين أبي المعالي عبد الملك بن علي
ابن أبي المنى الشافعي الحلبيّ البابي (المتوفى سنة ٨٣٩ هـ / ١٤٣٥ م) .
[وهو تلخيص وتنقيح « لمنهاج الطالبين » للحبيّ الدين النووي]
عدد أوراقه : ٢١٥ ورقة مقاسها ٢٧٦ × ١٨٣ بخط نسخ واضح ،
وناسخه محمد بن أحمد بن حسن البابي الشافعي (المتوفى سنة ٨٨٧ هـ /
١٤٨٢ م) وتاريخه : ٢٦ رمضان ٨٣٩ هـ / ١٣ نيسان (إبريل) ١٤٣٦ م ،
وقد قوبلت النسخة على نسخة بخط المؤلف لانعرف أنها موجودة .

٣٠٩٥ - « مرسل السائل إلى تسهيل المسائل » لشمس الدين محمد
ابن محمد بن أحمد الحجازي الأنصاري (عاش حوالي سنة ٨٣٥ هـ / ١٤٣٢ م)

[دراسة نقدية للأحكام الشرعية الواردة في « روضات الطالبين » وهو شرح محيي الدين النووي (المتوفى سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٨ م) على « الوجيز » للإمام الغزالي ؛ عدد أوراقه : ٢٩١ ورقة مقاسها ٢٧,٥ × ١٨,٢ سم بخط نسخ واضح ، وناسخه محمد بن حسن الرمزي ، وتاريخه : ٢٦ شعبان ٨٩٤ هـ / ١٤ آب (أغسطس) ١٤٨٩ م .

٣١٠٠ - « القسطاس المستقيم في الحديث والبرهان القويم » للإمام المهدي لدين الله المرتضى (المتوفى سنة ٨٤٠ هـ / ١٤٣٧ م) [رسالة موجزة في المنطق ، الورقة ٥٦ - ٥٩ / ١] .

٣١٠١ - (١) « كتاب الأحاديث » لمحمد بن علي بن محمد بن طوئون الصالحى الدمشقي الحنفى (المتوفى سنة ٩٥٥ هـ / ١٥٤٨ م) [ويتضمن عشرة أحاديث مختارة رويت في مساجد دمشق الورقة ١ - ٤ / ١] .

(٢) « كتاب الأحاديث » لابن طولون [خمسة وأربعون حديثاً مما روي في مساجد دمشق ، الورقة ٥ - ١٧ / ١] .

(٣) « كتاب الأحاديث » لابن طولون [أحاديث وقصص وأقوال مأثورة وأشعار مما روي في معاهد دمشق الشرعية ، الورقة ١٧ / ب - ١٦٤ / ب] .

(٤) « السفينة الطولونية في الأحاديث النبوية » لابن طولون [٣٦٠ حديثاً مختاراً من ٣٦٠ مصدراً ، الأوراق : ١٦٧ - ٢٧١] .

(٥) « الملتقط من التذكرة » لابن طولون [مقتبسات لعلها مماثلة « للفوائد القدسية والفرائد العظيمة » لبرهان الدين بن عبد الرحيم بن محمد ابن جماعة الكيناني الشافعي (المتوفى سنة ٧٩٠ هـ / ١٣٨٨ م) وهو مجموعة

أحاديث وأقوال فقهية وأشمار . الأوراق : ٢٧٤ - ٣٠٧ .

ومجموع الأوراق في المجلد كله ٣٠٧ ورقة مقاسها ١٨ × ١٣١ سم ،
بخط نسخ واضح ، بلا تأريخ ، وأعله من القرن ١٠ هـ / ١٦ م .

٣١٢٢ - (١) « تعليقات على كتاب الشفاء » لمحمد باقر بن محمد داماد
الحسيني (المتوفى سنة ١٠٤٠ هـ / ١٦٣٠ م) [وهو ملاحظات على قسم
من كتاب « الشفاء » لابن سينا (المتوفى سنة ٤٢٨ هـ / ١٠٣٧ م)] .

(٢) « شرح من لا يحضره الفقيه » لبديع الزمان القهبالي (كذا)
[وهو ملاحظات على كتاب « من لا يحضره الفقيه » الذي يُعدّ من
كتب الشيعة المعروفة لأبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي
الصدوق (المتوفى سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١ م) الأوراق : ٤٣ - ٦٠]

(٣) « الأحاديث » لأبي عمر محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي
[وهو ملاحظات على مجموعة أحاديث ، الأوراق : ٦١ - ١٣٢] .

(للبحث صلات) اكسفورد : د . صفاء خلوصي

حول شعر الصنوبري ملاحظات على استدراك في مجلة المورد

الأستاذ مصباح غلاونجي

اطلعت على مقال الأديب المحقق الأستاذ هلال ناجي منشور في العدد الأول من المجلد السادس من مجلة المورد بعنوان « تعقيب على مقالات في المورد ». شمل المقال ، فيما شمل ، استدراكاً على ديوان أبي بكر الصنوبري الذي نشره الدكتور إحسان عباس ، وعلى تمة الديوان للأستاذين لطفي الصقال ودربة الخطيب ، وعلى ما نشره الأستاذ ضياء الدين الحيدري في العدد الرابع من المجلد الرابع من مجلة المورد من مقطوعات شعرية للصنوبري لم ترد في المصدرين المذكورين .

ضمّ مستدرك الأستاذ هلال ناجي ستاً وعشرين مقطوعة . وقد رأيت ، استكمالاً للعمل الجليل الذي نهض به وتتميماً للفائدة ، أن أبدي هذه الملاحظات :

١ - اعتمد الكاتب الأديب في بحثه ثلاث مخطوطات سُمّي اثنتين منها وهما : مخطوطة كتاب « حقائق الأنوار » ومخطوطة كتاب « التشبيه »

ولم بسم الثالثة ، بل اكتفى في تعقيبه على كل مقطوعة أخذها عنها ،
بقوله : مخطوطة ليدن ... وكان من المستحسن أن يعرف بها أيضاً .
وهي مخطوطة كتاب « الحب والمحجوب والمشموم والمشروب » للسري الرفاء .
٢- المقطوعة الأولى : ١ - جاء في الشطر الخامس منها لفظة « قُضِلَتْ »
ونصه : « قد قُضِلَتْ بدرة بيضاء » .

وهذه اللفظة مصحفة وصوابها « قُضِلَتْ » أي زينت بدرة بيضاء .
وهو المعنى الذي يناسب ما تقدم من اشطار القصيدة وهي :

أما ترى جواهر الأنواء
ألفها مؤلف الأنداء
ما شئت من ياقوته حمراء
فيها ، ومن ياقوتة صفراء
زهراء مثل الزهرة الزهراء

حيث شبه الشاعر مظاهر أنواء الطبيعة بعقد من الجواهر نُظِمَتْ
حباته وألفت وجعلت بينها حبة متميزة منها وهي « درة بيضاء » .

ب - ذكر الكاتب في الهامش ، تعقيباً على الشطر السادس من
هذه المقطوعة ونصه :

فإن لحظت زاهر الصحراء .

أن روايته في مخطوطة الحدائق مخالفة لرواية مخطوطة ليدن ، ونصها
في الحدائق :

فإن لحظت زاهر الشجر

مع أن هذا الشطر قد ورد أيضاً ، على مثل رواية الحدائق ، بالورقة ١٠٢ من مخطوطة الحب والمحجوب .

٣ - المقطوعة الثالثة :

١ - وردت كلمة « راسية » في البيت الثاني منها ونصه :

كأننا الأعين في قعرها (راسية) إثر القذى الراسب

ونرجح أنها مصحفة . وصوابها (راسية) . لأن الرسو هو الاستقرار والثبات . أما الرسوب فهو الهبوط سفلًا إلى قعر الماء . وهو ما قصده الشاعر ، في رأينا ، ودلت عليه كلمة « قعرها » . هذا إلى ما في اجتماع كلمتي « راسية » و « الراسب » في البيت من محسن لفظي .

ب - وردت كلمة « صارخ » في البيت السابع من هذه المقطوعة ، ونصه :

(وصارخ) أنساً إلى حاضر وهاتف شوقاً إلى غائب

ونعتقد أنها مصحفة وأن صوابها : « صادح » . ذلك لأن الصراخ لا يرتفع إلا في حال الاستغاثة أو عند الألم أو الفزع أو المصيبة . وهذا لا ينسجم مع كلمات القصيدة ومعانيها التي تفيض ابتهاجاً واستبشاراً ، ولا مع تلاقي الطيور المتحابّة ، ذلك التلاقي الذي يبعث على التغريد أنساً وطرباً ونشوة ، وليس على الصراخ فزعاً أو ألماً أو استغاثة .

٤ - المقطوعة الرابعة :

ورد البيت الثاني منها على هذا النحو :

تحييها من طول ترجيعها (دائمة) تنشد أو تُخطب

ونرجح أن تكون كلمة (دائمة) مصحفة . وصوابها (دائمة)

هـ - المقطوعة السادسة ونصها .

ما زال يقبض روح الدنّ مبزله كما (تغلغل) سلك الدر في الثقب
وأمطر الكأس ماءً من أبارقه فأنبث الدر في أرض من الذهب
وسبّح القوم لما أن رأوا عجباً نوراً من الماء في نار من العنب

ا - ترك الكاتب مكان كلمة (تغلغل) فارغاً . وقد استدركناها من المصادر التي سنذكرها .

ب - ورد البيتان الثاني والثالث في تمة ديوان الصنوبري ٣٣ وفي الروضيات ٦٠ وفي حلبة الكميت . ويبدو أن الكاتب لم يتنبه عليها

ج - ورويت الأبيات الثلاثة في ديوان ابن المعتز ٢١٠ في قصيدة تنتظم أحد عشر بيتاً (١) كما ورد البيتان الثاني والثالث منها في كتاب أحسن ما سمعت للثعالبي ٥١ معزوين إلى ابن المعتز وكذلك البيت الثالث في قطب السرور ٥٣١ . ونرى أنها لابن المعتز وأن عجز بيت الصنوبري :
ناهيك من فضة تجري على ذهب نور من الماء في نار من العنب (٢)

(١) مطلعها :

يا من يفندني في اللهو والطرب دع ما تراه وخذ رأيي فحسبك لي

(٢) البيت من قصيدة للصنوبري في ٦ أبيات وردت في قطب السرور ٥٣٢ - ٥٣٣ ونقلها عنه الدكتور إحسان عباس إلى تكملة ديوان الصنوبري ٥٥٥ ومطلعها :

ومجلس لا ترى فيمن يطوف به إلا فتى صبيغ من ظرف ومن أدب

المطابق لفظاً ومعنى لعجز البيت الثالث من هذه المقطعة — إما تضميناً أو اتفاقاً — هو الذي أوقع الرواة في هذا التخليط في نسبة الأبيات .

٦ - المقطوعة التاسعة : أورد الكاتب البيت الثاني منها ونصه :

ما للهـدى بيننا مكان ما أمكن (الكوب) والكتاب

تاركاً مكان كلمة (الكوب) بياضاً ، ومشيراً إلى أنها كلمة غير مقروءة — ونرجح أنها كما ذكرنا .

٧ - المقطوعة الثامنة عشرة : استبدل بكلمة (وخلعت) كلمة

(وأطعت) في البيت الأول منها ونصه في المورد :

إن الذي استحسننت فيه خلاعتي (وأطعت) فيه تنسكي وتخرجي

مع أنها وردت في مخطوطة الحب والمحجوب (وخلعت) وهو الصواب لان كلمة (وأطعت) تؤدي عكس المعنى الذي توخاه الشاعر وهو : خروجه وتمرده على تنسكه وتخرجه ووقاره في سبيل محبوبه .

٨ - المقطوعة العشرون : وردت كلمة (نضيج) في البيت الأول

منها ونصه :

شكوت إليك من قلب قريب بدمع في شكايته (نضيج)

ونعتقد أن كلمة (نضيج) مصحفة ، وصوابها (فصيح) . أي بدمع يفصح عن ألم قلبي القريب ،

٩ - المقطوعة الحادية والعشرون : ورد في جملة أبياتها البيتان التاليان

على هذا النحو :

هذا (طراز) عليك أم سبيع ذاك صدغان أم هما زرد

مالي بخديك يا غلام يد (ولا بخديك للميوت يد)

ا - البيت الأول وارد في ديوان المعاني ١ : ٢٤٨ ، ونقله عنه الدكتور إحسان عباس إلى تكملة ديوان الصنوبري : ٤٧٧ ولم يُنبه الكاتب على ذلك .

ب - كلمة (طراز) - وهو علم الثوب - ترجح أنها مصحفة وصوابها (طرار) بجمع طرة : وطرة الجارية هي ما تطره من الشعر الموفي على جبهتها وتصففه وتجعله كالخلق . وقد وردت كلمة (خلق) بدل كلمة (مبيع) في ديوان المعاني بما يؤكد التصحيف .

ج - ورد الشطر الثاني من البيت الثاني في مخطوطة الحب والمحجوب على هذا النحو : « وما لحديك بالعيون يد » .

وقد أورده الكاتب بالصيغة التي ذكرنا : « ولا بخديك للعيون يد » دون أن يعلل ذلك . مع أننا نرجح رواية الأصل .

١٠ - المقطوعة الخامسة والعشرون ونصها :

انظر إلى نرجس تصدى ينشر منه الصباح طاقه (١)
(واذكر) أباطيل واصفيه بالحسن في دفتر الجماعه (٢)

(١) ورد هذا البيت في مخطوطة الحب والمحجوب وحلقة الكميت واللائف والظرائف على هذا النحو :

انظر إلى نرجس تبسدت صبحاً لعينيك منه طاقه

(٢) في حلقة الكميت : واكتب أسامي مشبيه - وفي المصادر الأخرى : واذكر أسامي مشبيه -

وأبي حسن (لعين) صب من يركات يحل ماقه (١)

كراية ركبت عليها صفرة بيض على رفاقه (٢)

أ - رويت هذه الأبيات منسوبة إلى أبي العلاء السروي في كل من :
مخطوطة الحب والمحجوب بالورقة ١٠٢ ، وفي حلبة الكميت : ٢٣٥ ،
واللطائف والظرائف ٩١ ، ووردت الأبيات (١ و ٢ و ٤) في مطالع
البدور ١ : ١٠٢ .

ولا أظنها للصنوبري ، إذ لا تتسم بطابع شعره ، ولا تتفق مع
روحه التي افتتنت بالطبيعة وبجمالها ، وكانت ترى كل ما فيها زاهياً وجميلاً .
ولو تصفحنا ما بين أيدينا من شعره لما وجدنا فيه ذمّاً لزهرة -

ب - ترك الكاتب فراغاً مكان كلمة (واذكر) في البيت الثاني
لأنها غير مقروءة في المخطوطة . وقد استدر كناها من المصادر التي ذكرناها .
ج - وردت ، في البيت الثالث كلمة (لغير) بدل (لعين) وهو
تصحيف صححناه أيضاً من المصادر المشار إليها .

١١ - فات الكاتب الاطلاع على بعض الأبيات المنسوبة إلى الصنوبري
في مخطوطة كتاب « الحب والمحجوب » وهي :

أ - سماؤه من فضة وأرضه من ذهبه

(١) ورد الشطر الأول منه في الحب والمحجوب كآتي : وأي حسن يرى
لطرف - وفي حلبة الكميت : وأي حسن لعين صب .

(٢) روي الشطر الأول من هذا البيت في كل من اللطائف والظرائف
وحلبة الكميت : « كروثة ركبت عليها » .

وكأسها مخضوبة أوتارها مصطخبة

والبيتان مستدركان على المقطوعة ١٢ في تكملة ديوانه ٤٥٣ - ٤٥٤
ويليان البيت الأول منها في الترتيب وهو :

يوم ذبول مسجبه على الثرى منسجبه

ب - بدر بدا بالضياء معتجراً غصن أتى بالهاء متشحا

وهو مستدرك على بيته المروي في نهاية الأرب ٢ : ٢٧١ والروضيات
٦٩ ويتقدمه في الترتيب :

رق فلو كافته أعيننا أن يرشح الخرخده رشحا

مصباح غلاونجي

دمشق

من معجم عثرات الأدباء *

الأستاذ محمد العدناني

١ - الوِشاح ، الوِشاح ، الإشاح ، الأَشاح

يطلقون على النسيج العريض ، الذي تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها ،
اسمه الفرنسي المعرَّب : الإشارب . والصواب هو : الوِشاح ، أو الوِشاح ،
أو الإشاح على الإبدال ، أو الأشاح كما جاء في الصِّحاح .

وجاء في النهاية لابن الأثير : [وفي الحديث « أنه كان يتوشَّح
بنوبه » أي بتغشَّى به . والأصل فيه من الوشاح . ويقال فيه إشاحٌ أيضاً] .
ومن المعجمات التي ذكرت الوِشاح : الصِّحاح ، والمحكم ، والأساس ،
والختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ،
وأقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

٢ - إصْطَبَلَاتٌ ، إصْطَبَلَاتٌ ، أصاطيبٌ

* هذه نماذج من « معجم عثرات الأدباء » الذي أرجو إعطائه قريباً
لناشر البدء بطبعه ، وأملني عظيم في أن يزودني أعلام الضاد بملاحظاتهم على
صفحات مجلة مجتمعنا الخالد ، أو يرسلوها إلي ، وعنواني : بيروت ، شارع الجامعة
العربية ، بناية الاسكندراني رقم ٣

يقول النحو الوافي : لا يجمع إصطبلٌ إلا على إصطبلاتٍ ؛ لأنه خماسيٌ لم يُسمع له عن العرب جمع تكسير .

والكن : جمعه تاج العروس ، والمد من القاموس ، والمثن من اللغة على : أصاطب ، وجمعه المصباح المنير ودوزي على : إصطبلات ؛ وجمعه محيط المحيط وأقرب الموارد على : إصطبلاتٍ وأصابيل ؛ وجمعه المعجم الكبير الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة وعلى : إصطبلاتٍ وأصاطيب ؛ وجمعه الوسيط على : إصطبلاتٍ ، وذكر المعجم الكبير والوسيط أن المفرد هو : إصطبل أو إصطبل .

ولم يضع له المختار جمعاً ، وروى أن أبا عمرو قال : الإصطبل ليس من كلام العرب . وقال القاموس : إن كلمة الإصطبل شامية ، ولم يذكر لها جمعاً . وقال المعجم الكبير إنها يونانية الأصل^(١) .

وقد عثر محيط المحيط حين أجاز جمع الإصطبل على : أصابيل ، فنقلها عنه أقرب الموارد - كعادته - وعشر مثله .

أما تصغيره فهو : أصيطيب ، وأرى أن نجيز (أصيطيب) أيضاً ، مادام المعجم الكبير والوسيط أجاز استعمال كلمة الإصطبل .

والإصطبل هو : موقف الدواب ، ويطلق على حظيرة الخيل والبغال . قال أبو نخيلة السعدي يمدح أبا الفضل الربيع :

لولا أبو الفضل ، ولولا فضله

(١) ربما كان مصدر هذا القول محيط المحيط فقد جاء فيه أن الإصطبل من اليونانية والصواب أنه من اللاتينية . وهو بالفرنسية *étable* وبالانكليزية *stable* . وجاء في معجمي وبستر الأميركي واكسفورد الانكليزي أن الكلمة الانكليزية الحديثة استعملت في الانكليزية المتأخرة وأنها من الفرنسية القديمة *estable* وهذه من اللاتينية *stabulum* المشتقة من الفعل *stare* أي وقت . يتبين من هذا المعنى للفعل اللاتيني صحة التعريف العربي للإصطبل وهو موقف الدواب أو مربوطها . (لجنة المجلة)

ما سَطِيعَ بابٍ لا يُسْتَسَى^(١) قَفْلُهُ ، وَمِنْ صَلاحٍ رَاشِدٍ إِصْطَبَلُهُ
نِعْمَ الْفَتَى ، وَخَيْرُ فِعْلٍ فِعْلُهُ ، يَسْمُنُ مِنْهُ طِرْفُهُ ، وَبَغْلُهُ
لِذَا قُلْ :

(أ) إِسْطَبَلُ أَوْ إِصْطَبَلُ .

(ب) وَاجْعَهُ عَلَى : إِسْطَبَلَاتٍ ، أَوْ إِصْطَبَلَاتٍ ، أَوْ أَصَاطِبَ .

(ج) وَصَغِيرَهُ عَلَى : أَصِيطِبٍ أَوْ أَسِيطِبٍ .

٣ - الْأَقْتُ ، الْوَقْتُ ، الْمُؤَقَّتُ ، الْمُؤَقَّتُ

وَيُخَطِّثُونَ مَنْ يَقُولُ : الْأَقْتُ وَالْمُؤَقَّتُ ، وَيَقُولُونَ إِنَّ الصَّوَابَ
هُوَ : الْوَقْتُ وَالْمُؤَقَّتُ ، اعْتِمَاداً عَلَى مَا جَاءَ فِي الْأَسَاسِ ، وَالْمَصْبَاحِ ، وَالْوَسِيطِ .
وَلَكِنْ :

(١) أَجَازَ : أَقْتَهُ ، فَهُوَ مُؤَقَّتٌ ، وَوَقَّتَهُ فَهُوَ مُؤَقَّتٌ كُلُّ
مَنْ مَعْجَمُ الْفَافِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ، الَّذِي ذَكَرَ الْآيَةَ ١١ مِنْ سُورَةِ الْمُرْسَلَاتِ :
(وَإِذَا الرُّسُلُ أُنْفِثَتْ) ، وَقَالَ إِنَّ مَعْنَاهَا : حُدِّدَ وَقْتُهَا الَّذِي يَحْضُرُونَ
فِيهِ لِلشَّهَادَةِ عَلَى أَمْرِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَأَجَازَهَا أَيْضاً : الصَّحَاحُ ، وَالرَّاعِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ ، وَالْمُخْتَارُ ، وَاللَّسَانُ ،
وَالْقَامُوسُ ، وَالتَّاجُ ، وَالْمَدُّ ، وَمَحِيطُ الْمَحِيطِ ، وَالْمِثْنُ ، وَالْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ .

(٢) وَذَكَرَ الْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ وَالْوَسِيطُ : أَقْتَهُ ، بِأَقْتِهِ ، أَقْتاً : قَدَرَهُ
حِيناً ، وَحَدَّدَ وَقْتَهُ ، يُقَالُ : أَقْتَتَ الصَّلَاةَ وَأَقْتَتَ لَهَا . وَأَقْتَتَ الْعَمَلَ
وَنَحْوَهُ : أَقْتَهُ ، وَيُقَالُ : أَقْتَتَ الصَّلَاةَ ، وَأَقْتَتَ لَهَا .

(٣) وَقَالَ إِنَّ الْأَقْتَّ هُوَ الْوَقْتُ كُلُّهُ مِنَ الْقَامُوسِ ، وَالتَّاجِ ،
وَمَحِيطُ الْمَحِيطِ ، وَالْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ .

(٤) وذكر وَقْتَهُ يَفْقِهُهُ وَقْتُهُ فهو مَوْقُوتٌ كُلُّهُ من معجم ألفاظ القرآن الكريم ، الذي قال إن معنى وَقْتَهُ : جعل له زمناً يقع فيه ، واستشهد بالآية ١٠٣ من سورة النساء : (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) ، والصباح ، والأساس ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، والمثنى ، والوسيط .

(٥) وفي حديث ابن عباس : لم يَفْقِهُ رسول الله ﷺ في الحمر حدثاً ، أي : لم يُقَدِّرْ ، ولم يحُدِّثْ بعدد مخصوص .

وهناك الميقاتُ ، ويعني الوقت أيضاً . وجمعه مَوَاقِيتُ .
لِذَا قُلْ :

(١) الوقتُ ، والأَقْتُ ، والميقاتُ .

(٢) وَقْتَهُ فهو مَوْقُوتٌ ، وَأَقْتَهُ فهو مأْفُوتٌ .

(٣) وَقْتَهُ فهو مَوْقُوتٌ ، وَأَقْتَهُ فهو مُوقَّتٌ .

٤ - الأَكْمُ ، الأَكَمَاتُ ، الإكَامُ ، الآكُمُ ،

الأَكْمُ ، الأَكْمُ ، الآكَمُ ، الأكَمِيمُ .

ويختلفون اختلافاً كبيراً في جموع الأَكَمَةِ ، إذ يتراوح عددها بين جمعين وسبعة جموع . فمن جمعها على أَكْمٍ وَأَكَمَاتٍ : الصباح ، واللسان ، (أجاز جمعها على أَكْمٍ وإكَامٍ أيضاً) ، وابن هشام الأنصاري في شرح قصيدة كعب بن زهير (اكتفى بذكر الجمع أَكْمٍ) ، والمصباح ، والقاموس (اكتفى بذكر الجمع أَكْمٍ أيضاً) ، والتاج (ضم إليهما الجمع آكُمُ) ، والمد ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والمثنى ، والمعجم الكبير .

ومن جمع الآ كم على إكام : عمر بن أبي ربيعة في قوله :

إنما أنت ظبية من إكام عشائب

(عشائب : معشبة)

والصباح ، واللسان ، وابن هشام الأنصاري ، والمصباح ، وأقرب الموارد ، والمثنى .

ومن جمع الآ كم على إكام وآكم : التاج (ضم إليها آكام) ، والمد ، والمعجم الكبير .

ومن جمع الإكام على أكم : الصباح ، وهامش النهاية ، واللسان ، وابن هشام الأنصاري ، والمصباح ، والتاج ، والمد ، وأقرب الموارد ، والمثنى .

وانفرد المعجم الكبير بجمع الإكام على : أكم وأكم .

ومن جمع الأكم على آكام : في حديث الاستسقاء ، حين اشتد المطر ، دعا النبي ﷺ ، فقال : « اللهم حوالينا ولا علينا ، على الآكام والظُّراب ، وبطون الأودية ، ومنابت الشجر » . الظُّراب : الروابي الصغيرة .

وحين روى النهاية واللسان حديث الاستسقاء ذكرا (الإكام) بدلاً من (الآكام) التي ذكرها المعجم الكبير .

ومن جمع الأكم على آكام أيضاً : الصباح ، وهامش النهاية ، واللسان (الذي يجيز أيضاً جمع الآكم على آكام) ، وابن هشام الأنصاري والمصباح ، والتاج ، والمد ، وأقرب الموارد ، والمثنى ، والمعجم الكبير .

وانفرد ابن هشام الأنصاري بجمع الآكام على أكاميم .

وما يزيد طين التشویش بِلثة :

(أ) أن معجم مقاييس اللغة يجمع الأكمة على : آكام ، وأكتم ، وإكام .

(ب) وأن ابن سيده يجمعها على : أكتم ، وأكتم ، وأكتم ، وإكام ، وآكام ، وآكتم (والجمع الأخير عن ابن جني) .

(ج) ويجمع النهاية الأكمة على إكام ، والإكام على أكتم ، والأكتم على آكام .

(د) وزاد القاموس : الأكتم ، والآكتم ، والإكام ، والآكام ، ويقول إنها جميعها جمع : أكمة .

(هـ) ويجمع التاج الأكمة كما جمعها ابن هشام الأنصاري .

(و) ويزيد محيط المحيط على جمعي الأكمة المذكورين آنفاً : الأكتم ، والأكتم ، والأكؤم ، والآكام ، والإكام .

(ز) ويزيد المتن على الجمعين الأولين الجموع الآتية : الإكام ، والأكتم ، والأكؤم ، والآكام ، والآكتم . ثم يوزع الجموع وجموع الجموع كما ذكرت في صدر هذه المادة .

(ح) ويجمع الوسيط الأكمة على : أكتم ، وإكام ، وآكام .

وأنا أرى إما :

(١) أن نجمع الأكمة والجموع الأخر كما جاء في المعجم الكبير .

(٢) أو نجعل الجموع الثمانية كلها جموعاً لـ (أكمة) ، دفعاً لهذه

الفوضى في المعاجم ، فما رأي مجامعنا الأربعة ؟

٥ - إ*لا ، إ*لا* ، الانسان* ، الانسان*

ويخطئون من يضع الشدة (*) على الساق الأولى من (لا) ،
نحو : ما سافر إ*لا أحمد ، ومن يضع الهمزة على الساق الثانية (لأ) ،
نحو : الانسان* كثير النسيان . ويقولون إن الساق الأولى لـ (لا)
هي الألف ، والثانية هي اللام ؛ لأننا حين نكتبها نخط لامها أولاً (لـ) ،
ثم نكتب الألف (لا) . لذا يروون أن نكتبها هكذا : إ*لا* ، الانسان* .
حكى عن الخليل بن أحمد الفراهيدي أنه قال : « الطرف الأول في
(لا) هو الألف .

ويقولون أيضاً إن من أتقن صناعة الخط من الكتّاب المتقدمين ،
إنما يبتدئ برسم الطرف الأيسر قبل الطرف الأيمن . وهذا جعلهم يقولون
إن الطرف الأيسر هو اللام ، أي الأول ؛ لأننا نقول : (لام ألف) .

وقال الأخفش سعيد بن مسعدة عكس ذلك ، وزعم أن الطرف
الأول هو اللام ، واستدل على صحة ما ذهب إليه من ذلك ، بأن الملفوظ
به من حروف الكلام أولاً ، هو المرسوم في الكتابة أولاً ، وأن الملفوظ
به من حروفهن آخراً هو المرسوم آخيراً .

وأبو عمرو الداني يخالف رأي الأخفش ، وأنا أخالف الداني وأؤيد
الأخفش للأسباب الآتية :

(أ) نطلق على (لا) اسم : لام ألف ، وليس ألف لام .

(ب) عندما نكتب (لا) اليوم بيدنا (لا بالآلة الكاتبة أو المطبعة) ،
نكتبها هكذا : (لا) ، وهي طريقة تفرض علينا كتابة اللام أولاً (لـ) ،
ثم نضع الألف في حضي اللام (لا) .

(ج) إن ما يُكتب باليد من الحروف العربية اليوم ، هو عشرات أضعاف ما يطبع في كتب ، أو مجلات ، أو صحف .

(د) أما في القرآن الكريم ، فقد اعتبرت اللامُ هي الحرف الأول (الأخرى ، الآيات ، الإنسان ، الأرض ، الأنثى) . أما (إلا) فقد وضعت الشدة بين سافيتها .

(هـ) وفي معجم ألفاظ القرآن الكريم : الأفق ، الآفاق ، الأمي ، الإنسان ، الأشهاد .

(و) وفي التاج الجامع الأصول في حديث الرسول : إلا ، الأنبياء ، الأربعة ، الإمام ، الأسقية ، الأزر .

(ز) وفي النهاية لابن الأثير : الأزر ، الإزرة ، الإمعة ، إلا ، الإناث ، الأثس .

وقد اعتُبرت الساقُ الأولى من (لا) هي اللام ، ووضعت الهمزة على الساق الثانية ، في المعجمات وكتب الأدب واللغة الآتية : الألفاظ لابن السكيت ، وأدب الكاتب ، والكامل للمبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ ، والألفاظ الكتابية ، والعقد الفريد ، وأمالى القالي ، والأغاني ، والصحاح ، ومقاييس اللغة ، ومتخير الألفاظ ، ومعرفة علوم الحديث للنيسابوري ، وشرح ديوان الحماسة للهرزوقي ، وفقه اللغة للثعالبي ، ومفردات الراغب الأصفهاني ، ومقامات الحريري ، ودرة الغواص ، والأساس ، ومعجم الأدباء ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، وشروح التلخيص (مختصر التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني) ، والقاموس ، والمزهر ، ومعجم الهوامع ، والتساج ، والمد ، ومحيط المحيط ، ودوزي ، وأقرب الموارد ، والإفصاح في فقه اللغة للصعدي وموسى ، وهداية الباري إلى

أحاديث البخاري ، والمثنى ، وبادجر ، والمعجم الكبير ، والنحو الوافي ،
والوسيط ، وجليتي مجمعي اللغة العربية بدمشق والقاهرة ، ومجلة اللسان
العربي ، التي تصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الرباط .

وأنا أرى أن نحذو حذو هذه الأكثرية الساحقة من الأدباء والعلماء ،
وإن كنت لا أستطيع تخطئة أمثال الخليل بن أحمد ، وأبي عمرو الداني ،
وكثير من الخطاطين المتقدمين ، وبعض الأدباء الذين يرون أن الساق
الثانية من (لا) هي اللام . وأقترح على سباكي حروف الطباعة أن
يسبكوا هذين الحرفين كما نكتبهما (لا) .

٦ - الأمين

ويخطئون من يستعمل (الأمين) بمعنى الفاعل : المؤتمن ، ويقولون
إنها لا تأتي إلا بمعنى المفعول : المؤتمن ، اعتماداً على قول ابن السكيت ،
والتنذيب ، والقاموس .

ولكن :

(١) فسّر الأخفش قوله تعالى في الآية الثالثة من سورة التين :
(وهذا البلد الأمين) بقوله : يريد الآمن ، وهو من الأمن . وقد
يقال : الأمين : المأمون ، كما قال الشاعر :

ألم تعلمي يا أمّهم ويحك أنني حلفتُ مينا لا أخونُ أمني
أي مأموني .

(٢) وقال ابن الأنباري في كتابه الأضداد : الأمين من حروف
الأضداد ، يقال : فلان أمني ، أي مؤتمني ، وفلان أمني : مؤتمني الذي
أؤتمنه على أمري .

(٣) وقال أبو الطيّب اللغوي* في أضداده ، وابن فارس في معجم مقاييس اللغة : تستعمل الأمين بمعنى الفاعل ، وبمعنى المفعول . ثم استشهدا بقول حسان :

وَأَمِينٍ حَدَّثْتُهُ مَرَّةً نَفْسِي فَوَعَاهِ حِفْظَ الْأَمِينِ الْأَمِينَا

وقالا : الأول بمعنى المفعول ، والثاني بمعنى الفاعل ، كأنه قال : كما حفظ المؤتمن مؤتمنه . وعلق مؤلف (التضاد) على ذلك بقوله : « ويلاحظ أن الأمين الأولى هي « فمیل » بمعنى « مفعول » مشتقة من « أمين » المتعدي ، كقتيل بمعنى مقتول ، وأن الأمين الثانية هي صفة مشبهة باسم الفاعل ، مشتقة من « أمين » اللازم ، يقال : أمين يتأمن فهو : آمين وأمين وأمين » .

(٤) وقال الصحاح والمحكم : إن الأمين تعني المأمون والمؤتمن كليهما .

(٥) وقال متن اللغة : الأمين : حافظ الأمانة ، ج : أمناء و - : القوي المؤتمن : المؤتمن (ضد) .

(٦) وقال المعجم الكبير : الأمين : من يتولى رعاية الشيء والمحافظة عليه ، واستشهد بيت حسان . والأمين : الأمين ، واستشهد بالآية الكريمة المذكورة في رقم (١) . والأمين : القوي . والجمع : أمناء وأمنة . وفي الحديث : النجوم أمنة السماء .

لذا استعمل الأمين بمعنى :

(أ) الأمين أو المؤتمن .

(ب) المأمون أو المؤتمن .

٧ - الأُمّهاتُ و الأُمّاتُ

ويخطئون من يجمع أم من يعقل على : أممات ، ويقولون إن الصواب هو : أممات . فالقرآن الكريم ذكرت فيه الأممات وحدها إحدى عشرة مرة ؛ منها قوله تعالى في الآية السادسة من سورة الأحزاب : (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وأزواجه أمماتهم) .

ومن قال إن الأممات لمن يعقل ، والأممات للبهائم : معجم ألفاظ القرآن الكريم ، والتهديب ، والشيخ ناصيف اليازجي في شرح بيت المتنبي ، الذي وصف به الخيل ، من قصيدته التي مدح بها أبا أيوب أحمد بن عمران :
العارفين بها كما عرف قسائمهم^(١) والراكين جندودهم أمماتها (١)
ودقائق العربية .
ولكن :

أجاز الأممات والأممات لمن يعقل وما لا يعقل كل من : أبي حنيفة الدينوري ، الذي أنشد في كتاب النبات لبعض ملوك اليمن :
وأمماتنا أكرم بهن عجائزاً ورثن العلاء عن كبر بعد كبر

وابن درستويه الذي قال إن أممات لغة ضعيفة ، وابن جني الذي قال في مخطوطة قونية للفسر ، في شرح بيت المتنبي المذكور آنفاً : « ولم يقل (أمماتها) ؛ لأن الأممات إنما تطلق على من يعقل ، فإن كانت من لا يعقل ، قلت (أممات) ... وقد يجوز (أممات) فيما لا يعقل ... ويجوز (أممات) فيمن يعقل » .

والصحيح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمحكم ، ومفردات الراغب

(١) وقال مثل ذلك في شرح قصيدة المتنبي التي مدح بها سيف الدولة :

تظن فراخ الفستخ أنك زرتها بأمتاتها وهي العتاق الصلادم

« لجنة المحلة »

الأصفهاني ، وابن برمي ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ،
والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والمان ، وعبد الرحمن
البرقوقي ، في شرح بيت المتنبي المذكور آنفاً ، والمعجم الكبير الذي استشهد
بقول السفاح ابن بكير البربوعي ، في الأُمّهات لغير الآدميين :

قِيَّوَالُ مَعْرُوفٍ وَفَعَالُهُ عَقَّارُ مَشْنَى أُمّهَاتِ الرِّبَاعِ

(الرِّبَاع جمع رُبْع ، وهو الفصيل يُنْتَجَجُ في الربيع) .

والمعجم الوسيط .

والإِمُّ ، والأُمّهة ، والأُمّة كالأُمِّ ، أما مصغرها فهو : أُمَيْمَة ،
وأُمَيْهَة ، وأُمَيْمِيَة .

وقالت جلّة المعجمات : « وقيل الأُمّهاتُ فيمن يعقل ، والأُمّاتُ
فيما لا يعقل » .

المخطوطات العربية في جامع بكين

الأستاذ هادي العلوي

يقع مسجد بكين الجامع وسط العاصمة الصينية ويرجع بناؤه إلى أواسط أسرة مينغ (١٣٦٨ - ١٦٤٤ م) وقد جدد مرات عديدة آخرها سنة ١٩٧٢ . وطراز هذا الجامع لا يشبه طراز الجوامع المعروفة في العالمين العربي والإسلامي ، فهو مكون من عدة أقسام بنيت على طراز العمارة الصينية تضم المدخل يليه رحبة مربعة تقوم حولها غرف مخصصة للإدارة والمكتبة والمطعم ، ويؤدي هذا القسم إلى رحبة أوسع تصدرها قاعة الصلاة الكبرى . والقاعة مستطيلة ذات سقوف عالية نسبياً تقوم على أعمدة مغلقة بالخشب ومطعمة بزخارف متعددة الألوان تتخللها قطع متفاوتة المساحات مكسوة بغلاف رقيق من الذهب . وليس في الجامع مئذنة أو قبة ، ما عدا جناحاً صغيراً متفرعاً من قاعة الصلاة تعلوه قبة صغيرة من الوسط . ويبدو أن هذا الجناح أضيف إلى الجامع للتشبه بالطراز الإسلامي المألوف إذ أنه يقع خارج القاعة وقلماً يكون مشغولاً لغرض ما .

ألحقت بالجامع مكتبة صغيرة تسمى مكتبة فؤاد الأول (أنشئت بمساعدة من مصر أيام الملك المذكور) وهي مقسمة إلى قاعتين : واحدة للكتب المطبوعة ، وتضم أمهات المصادر الإسلامية من التفاسير والصحاح

وموسوعات الفقه ، مع مجموعة نفيسة من كتب الأدب القديم . والأخرى
مخصصة للمخطوطات التي تضم مجموعات من كتب اللغة والأدب والفقه
والعقائد باللغتين العربية والفارسية . ويتميز القسم العربي بتعدد النسخ
ويبدو أن معظمها كتب في الصين وبغلب على كتابتها الأصل الفارسي أو المعرفة
باللغة الفارسية إذ تتخلل الكثير منها شروح بهذه اللغة أو عبارات تأتي في
آخرها من قبيل كلمة الختام (تمام شد) . وتحتوي المخطوطات في الغالب
على أوراق زائدة كتبت فيها أمور لا علاقة لها بموضوع الكتاب . والغالب
على خطها الوضوح والخشونة ويميل أكثره إلى نمط الخط الفارسي وتجذ فيه
أحياناً النسخي والرقعة .

وفما يلي قائمة أولية بهذه المخطوطات التي لم تمتد إليها يد في السابق
حاولت أن تكون شاملة ، لولا عدد محدود من كتب الفقه والمواظظ لم
أتوصل إلى نفض الغبار عنها ، وآمل أن يتيسر لي ذلك إذا طالت إقامتي
في هذه الربوع .

١ - مجموع يضم :

- (أ) الرسالة الكافية لابن الحاجب (نحو) . أولها : الكلمة لفظ
وضع لمعنى مجرد .
- (ب) أوراق شتى تحتوي أذكراً وكلمات دينية .
- (ج) مقالة في ست صفحات تتحدث عن الوضع في الصين وتشير
إلى حوادث معينة تخص المسلمين الصينيين .
- المجموع كله بخط : يار محمد بن أيوب الخانبافي الصيني . تاريخه :
١١٠٥ هـ . أبعاده ١٦ × ٢١ .

- ٢ - الفوائد الضيائية في شرح كافية ابن الحاجب . لم يذكر اسم المؤلف . أوله : الحمد لوليه ، والصلاة على نبيه ، وعلى آله وأصحابه المتأدبين بآدابه . تاريخ الخط : ورد في آخره بالصينية : « السنة الحادية والخمسون من كانغ شي ٢ أيار يوم الاثنين ، . . . والمشار إليه من أباطرة أسرة تشينغ وتصادف هذه السنة من حكمه ١٧١٣ م . الأبعاد ٢٨ × ٢٠ »
- ٣ - إحدى عشرة نسخة أخرى كاملة من الفوائد الضيائية ، وواحدة ناقصة من الآخر ، تخلو كلها من اسم المؤلف وتاريخ الخط . . .
- ٤ - تلخيص المفتاح . (موجز مفتاح العلوم للسكاكي) . لم يذكر مؤلفه . أوله : نحمدك يا من شرح صدورنا لتلخيص البيان في إيضاح المعاني . غير مؤرخ . أبعاده ٢٩٥ × ٢١

٥ - سبع نسخ أخرى كاملة من تلخيص المفتاح ونسخة ناقصة الأول وأخرى ناقصة الآخر .

٦ - مجموع يضم :

(أ) المصباح في النحو . أوله : أما بعد حمد الله تعالى ذي الإنعام ، جاعل النحو في الكلام كالملح في الطعام . تاريخ الخط ٩٩٧ هـ

(ب) العوامل في النحو . أوله : العوامل في النحو على ما ألفه الشيخ عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي رحمه الله . غير مؤرخ . أبعاده ٢٨٥ × ١٩٥

٧ - ضوء المصباح . شرح للمصباح لم يذكر مؤلفه . أوله : وإن أحق ما يتوشح بذكره صدور الكتب والدفاتر . تاريخه : سنة ٢٠ من توكونغ . والمشار إليه أحد أباطرة أسرة تشينغ ، وتصادف هذه السنة من حكمه ١٢٩١ هـ . أبعاده ٢٥ × ٢٠

- ٨ - إحدى عشرة نسخة كاملة من ضوء المصباح ، كلها غير مؤرخة .
- ٩ - مراح الأرواح (نحو). أوله : قال المفتقر إلى الله الودود ، أحمد بن علي بن سعود . غير مؤرخ . أبعاده ٢٦×١٩
- ١٠ - مقامات الحريري . أوله : اللهم إنا نحمدك على ما علمت من البيان . تاريخ الخط ١١٣٠ هـ . الأبعاد ٣٠×٢١
- ١١ - أربع نسخ أخرى كاملة من مقامات الحريري^١ ، غير مؤرخة
- ١٢ - مجموع لغوي يضم :
- (أ) جزءاً في الحروف والأسماء .
- (ب) باباً بعنوان التركيب ، رتب فيه نزول السور والآيات القرآنية زماناً ومكاناً .
- (ج) جزء في تعليم النحو العربي للفرس .
- (د) الرسالة البرهانية . شرح لكتاب الصـرف المعربي لم يذكر صاحبه . أولها : والحمد لله الذي خلق الأشياء بقدرته ، ورزق الأحياء بحكمته .
- أبعاد المجموع ٢٧٥٠×١٧٥٠
- ١٣ - مقدمة في اللغة والأدب . وضعه مصنفه - الذي لم يذكر اسمه - لأبي المظفر اتسز بن خوارزم شاه . ناقص من آخره . غير مؤرخ .
- أبعاده ٣٤×٢٥,٥
- ١٤ - جواهر اللغات . مختصر لصحاح الجوهري حذف منه الشواهد الشعرية ، مع شروح فارسية للمفردات . مصنفه : أبو محمد بن عمرو بن خالد المدعو جمال القرشي . أوله : قال الفقير إلى مولاه ، الفتي عن سواه .
- غير مؤرخ . أبعاده ٢٩,٥×٢١

١٥ - نسخة أخرى من جواهر اللغات في مجلدين ، يبدأ أولها بفصل اللام من باب الهمزة .

١٦ - شرح العقائد للسعد التفتازاني . وهو شرح لعقائد النسفي .
(فلسفة عقائد) . أوله : الحمد لله المتوحد بجلال ذاته . تاريخ الخط ١٠٥٧ هـ
أبعاده ٣٠ × ٢٢,٥

١٧ - ثلاث نسخ أخرى كاملة من شرح العقائد ، غير مؤرخة .

١٨ - شرح خطب الأربعين . (حديث) . لم يذكر مصنفه . أوله :
الحمد لله على ميثجه الفيزار ، ومينته الكبار . تاريخ الخط ٩٥٣ هـ . أبعاده
٢٤ × ٣٢

١٩ - نسختان كاملتان من شرح خطب الأربعين ، بدون تاريخ .

٢٠ - مشكاة المصابيح . مجلدان (حديث) . ألف سنة ٧٣٧ هـ
لتسديد كتاب المصابيح للبغوي . لم يذكر المؤلف . أوله : الحمد لله نحمده
ونستعينه . غير مؤرخ . أبعاده ٣٨,٥ × ٢٩

٢١ - أدلة الشرع والسنن (علوم قرآن) . لم يذكر مؤلفه .
أوله : الحمد لله الذي جعل الدنيا ديار الدعجاء . غير مؤرخ . أبعاده
٢٥ × ٣٣,٥

٢٢ - مجموع يضم :

(أ) خير المفاتيح . (فلسفة عقائد) . عربي وفارسي . لم يذكر مؤلفه .
أوله بعد البسملة : أما اللعان ، مصدر لمع ، فهو الذات .

(ب) مجمع الخمسة (فلسفة عقائد) . مترجم عن الصينية لعالم صيني
مسلم لم يذكر اسمه ولا اسم المترجم . أوله : أما بعد فهذه خمسة فصول

جمعها مولانا علامة الصين ، بديع الزمان من سابق الدهر إلى الحين . .

(ج) منبه الغافلين (مواظ) .

(د) نوادر الاسلام (أدبيات دينية منتقاة) . غير مؤرخ . أبعاده

٢٤,٥ × ٣٧

٢٣ - نسختان أخريان من مجمع الحنسة - انظر ب أعلاه - إحداهما

ناقصة من الآخر .

٢٤ - مجموع يضم :

(ا) كتاب في الحروف (لغة) . لم يذكر مؤلفه .

(ب) كراسة في الشرح على شرح المحقق الرازي الرسالة الشمسية

في المنطق . تأليف برهان بن كمال الدين بن حميد .

(ج) شذرات منطقية بالفارسية . غير مؤرخ . أبعاده ٢٢ × ١٨

٢٥ - مجموع يضم :

(ا) إيساغوجي (منطق) . لم يذكر مؤلفه . أوله : الحمد لله

واهب التوفيق ، ونشكره بهداية الطريق .

(ب) رسالة في العقائد بالفارسية . غير مؤرخ . أبعاده

٢٩,٥ × ٢٠

٢٦ - الوظائف (مقدمات منطقية) . لم يذكر مؤلفه . أوله :

الحمد لله الهادي إلى أقوم السبب . غير مؤرخ . أبعاده ٢٠ × ١٥

٢٧ - معالم التنزيل للبغوي . الجزء الرابع . غير مؤرخ . وعلى

الغلاف آية بخط مختلف عن خط الكتاب كتب تحتها بالأرقام ٦٢٣ مصطفوية.

وفي موضع آخر من الغلاف تملك مؤرخ في ٦٣٧ هـ باسم سعد بن أمين خان أبعاده ١٧,٥ × ٢٦

٢٨ - تفسير البيضاوي . بخط الهادي بن نظر (؟) أبي الحسن الازدوبادي . تاريخه ١٠١٧ هـ . أبعاده ١٧ × ٢٥

ملاحظة : كتب على المخطوطتين ٢٧ و ٢٨ أنها هدية من الدكتور التيجاني الماحي من السودان عند زيارته للصين عام ١٩٦٦ .

٢٩ - نسخة أخرى من تفسير البيضاوي في أربعة مجلدات . مؤرخة في ١٠٤٠ هـ . أبعادها ٢٧ × ٣٥

٣٠ - نسخة ثالثة من تفسير البيضاوي في مجلدين كتب في آخرها : « السنة الثانية والخمسون من كين لون » . وهو الامبراطور تشين لونغ من أسرة تشينغ . وتصادف هذه السنة من حكمه ١١٩٣ هـ . أبعادها ٣٠ × ٤٠

٣١ - مشكل القرآن . تأليف طاهر بن علي بن سعيد . غير مؤرخ . أبعاده ١٦ × ٢٣

٣٢ - مشكل إعراب القرآن . تأليف أبي محمد مكّي بن أبي طالب القيسي . أوله : قال الفقيه المقري أبو محمد غير مؤرخ . أبعاده ٢٢,٥ × ٢٨,٥

٣٣ - مجموع يضم :

(أ) الناسخ والمنسوخ . تأليف أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن علي العابدي الاسفراييني أوله : الحمد لله مستحق الحمد لذاته وصفاته . غير مؤرخ .

(ب) رسالة في رسوم خط المصحف .

(ج) رسالة بالفارسية تجري هذا المجري . أبعاده ٣٧,٥ × ٣٤

٣٤ - نسخة أخرى كاملة .

٣٥ - لغات القرآن .

شروح لغوية وفلسفية لبعض الآيات والسور لم يذكر مؤلفه. ناقص أوله
بعد البسملة : في طفيانهم يعمهون . غير مؤرخ . أبعاده ٢٢,٥ × ٣١

٣٦ - نسخة من القرآن .

كتبت هذه النسخة سنة ٧١٨ هـ بيد محمد بن أحمد بن عبد الرحمن
السرايبي ، وتقع في مجلدين قياس ٣٢ × ٤٧,٥ . وهي مكتوبة بخط نسخي غاية
في الجمال وحروفها كبار ، ما بين ١ سم و ٢,٥ سم للحرف الواحد ،
وقد كتبت الرموز بخط أحمر . والصفحات غير مؤطرة وتخلو فواتح السور
من الزخارف . وثمة ثلاث صفحات من المجلد الأول مكتوبة بخط مغاير
للأصل . ومن الواضح أنها أضيفت في وقت لاحق بعد أن تمزقت أو بليت
الصفحات الأصلية .

هذا وفي المكتبة مخطوطات قرآنية أخرى أحدث من هذه النسخة ،
علاوة على عدد كبير من أجزاء القرآن مجلدة على حدة .

هادي العلوي

بكين - الصين

من تاريخ الألفاظ العلمية :

منشأ لفظة الموثة^(١)

الأستاذ علي حيدر النجاري

توالي مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق نشر النظرية القوية التي يسدها الأستاذ الدكتور حسني سبيح إلى المعجم الطبي الكثير اللغات للعالم الفرنسي الدكتور أ ل كليرفيل والذي نقله إلى العربية الأساتذة : خاطر وخياط وكواكبي . وأنا منذ سنين أتابع نظراته لهوى كان قد تكون عندي لهذه المصطلحات العلمية منذ نحو ثلاثين عاماً . ولذا لم يكن غريباً أن أتوقف في مقاله الثالث والثلاثين (ج ٢ مج ٥٢) عند الكلمة ذات الرقم ١١٠٣٤ وهي : موثة (بروسات) ثم مشتقاتها في الأرقام الثلاثة التالية لها ، لما كان لي من سابقة جهد في هذا الموضوع .

لقد لفتني مقاله الأستاذ سبيح في نهاية هذه الكلمات ؛ ونصه : « ولم أعر على منشأ لفظة الموثة » . وبسرتني أن أشير إلى أني كنت توقفت عند هذه اللفظة في مقال لي نشرته مجلة المعرفة الدمشقية « تصدرها وزارة الثقافة

(١) هي بالفرنسية والانكليزية Prostité ومعناها الأمامي من اللاتينية Prostatia وهذه من اليونانية Prostaes .

والإرشاد ، منذ أكثر من عشر سنوات في العدد ٥٨ كانون الأول ١٩٦٦
 واضع الكلمة هو العلامة الأب أنستاس ماري الكرملي (١٨٦٨ -
 ١٩٤٧) وهو يذكر قصة هذه الكلمة في مقال نشره في مجلة المعهد الطبي
 العربي « نيسان عام ١٩٢٦ » والقصة معقدة متداخلة لا بد من مناقشتها
 ليتضح وجه الحقيقة منها .

وخلاصة القصة أن العلامة نعمان الآلوسي - عم شكري الآلوسي
 صاحب كتاب « بلوغ الأرب » ونجل محمود الآلوسي صاحب التفسير المشهور
 (روح المعاني) - هو الذي اقترح هذه الكلمة على الكرملي حين زاره
 وسأله ماذا يسمى العضو « بروستاتا » (١) و (٢) .

(١) يجيز العلامة الأب الراحل كتابة بعض الكلمات العلمية منتهية بتاء مربوطة دون
 أن تكون من الكلمات التي نقف عليها بالهاء ، وأذكر أنني قرأت له في مجلة المعهد الطبي
 العربي رأياً بجواز كتابة سلفاة وفوسفاة ونحوهما بالتاء المربوطة والوقوف عليها كالتاء
 المفتوحة واستدل بأحد أصنام الجاهلية « مناة » الوارد ذكره في القرآن الكريم
 إذ لا يوقف عليه بالهاء .

(٢) تنظر القصة بتمامها - ليكون القارئ على بينة وتفصيل - في مجلة المعهد الطبي .
 وتتجدد القصة عند الكرملي مرة أخرى في المقتطف (أغسطس ١٩٤٥) . أي
 إنه يعيدها بعد نحو من عشرين سنة ، ولكن في هذه المرة مع الإوز العراقي
 لامع البروستات إذ قال له الآلوسي حين أراه الكرملي صورة الطائر إن هذا
 يسمى « الغبراق » وخطأً تسميته بالأوز العراقي .

وكان العلامة الأب يذهب إلى حدّ التزمّت في اللغة العربية ، فحيثما رأى
 لفظة أجنبية ورأى في بطون معاجم اللغة العربية ما يقاربها من لفظة عويصة
 ذهب إلى أن الأصل الأجنبي عربي . وقد أرقعه هذا في مآزق ما كانت أغناه
 عنها لو أنه تجنبها .

وبعد بضعة أشهر وعلى صفحات المجلة نفسها - مجلة المعهد الطبي العربي - أبدى العلامة المرحوم الطبيب جميل الحاني عدم اقتناعه بما ذكره الأب ، وذلك في حاشية على مقال له حول تأثير البروستات ببعض الحميات ، ورجع الاستمرار باستعمال لفظة بروصطات راجياً الظفر باسم فصيح وضمته

= مثال ذلك أن الباحثين في التاريخ الطبي يعلمون أن للتاسيح أنواعاً ثلاثة تعيش في قارات ثلاث ، الأول : التمساح المعروف في أعالي وأواسط النيل ، والثاني : الأليغاتور Alligator في أمريكا الجنوبية في الأمازون . وينذهب الأب إلى أن الكلمة من أصل عربي « القاطور » صيغة مبالغة من (قطره) أي (صرعه) . وفي جملة أدلة لغوية كهذه ، يستدل الأب على اكتشاف العرب أمريكا قبل كريستوف كولومبس « المقتطف فبراير ١٩٤٥ من مقال للأب الكرمللي عنوانه : هل عرف العرب أميركة وللحقيقة الكاملة نذكر أن الأب استدل أيضاً ببعض الشواهد التاريخية » . والنوع الثالث الكافياي Gavial في الهند على شاطئ الغانج وقد ادّعى الأب أن الكلمة من أصل عربي « جبار » - [المقتطف مارس ١٩٤٢] وهنا انبرى له على الفور عالم هندي ضليع هو الأستاذ أبو النصر أحمد الحسيني الهندي فأعلمه « أن الكلمة في الحقيقة هندية الأصل ، وأصلها بالهندية (كتهريال) وهذه الراء مضخمة في اللغة الهندية ليس لها شبيه في غيرها من اللغات وكتابتها في بعض القواميس الأجنبية Garial أقرب إلى الصواب من Gavial [المقتطف أبريل ١٩٤٢]

دلى أن هذا كله لا يمنعنا من القول : إنه كان نادرة هذا العصر في سعة الاطلاع ووفرة التحقيق وكان عضواً بارزاً في الجامعات اللغوية الثلاثة في بغداد والقاهرة ودمشق ، وكانت وفاته في السابع من كانون الثاني عام ١٩٤٧ خسارة فادحة للغة العربية .

العرب (١) وذلك « خير من استعمال لفظ يحيق بمورده غموض وشبهات (٢) » .

على أنه رغم هذا عم استعمال لفظة « الموثة » وأخذ بها أساتذة الطب في الجامعة السورية رغم كل الملاحظات التي أحاطت بوضع الكلمة المذكورة ورغم أنه ليس لها ذكر في معاجم اللغة العربية (٣) .

(١) استغرب المرحوم الدكتور الخاني كيف رأى العرب القنائة الدافقة Canal Déferant وسموها بالأسهر وهي أخفى وأدق من البروستات ، ولم يلحوا هذه الأخيرة ، مما يدل على أن لها اسماً لم يكشف بعد .

(٢) مجلة المعهد الطبي العربي ص ٤٤١ لعام ١٩٢٦

(٣) ورد في المعاجم : ماث ، أي اختلط وذاب .

هدية قيمة

تفضل الأستاذ الدكتور حسني سبيع رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق
فأهدى مكتبة المجمع المجلدات التسع التالية من الصحف والمجلات النادرة التالية :
آ - جريدة المقتبس لصاحبها الأستاذ المرحوم محمد كرد علي :

العدد	السنة الهجرية	الميلادية
١ - ٤٢٩ - ٥٦٢	١٣٢٨ هـ	١٩١٠ - ١٩١١ م
٢ - ٥٦٣ - ٧٣٥	١٣٢٩ هـ	١٩١١ م
٣ - ٧٣٦ - ٨٥٧	١٣٢٩ هـ	١٩١١ م
٤ - ٨٥٨ - ١٠٥٨	١٣٣٠ هـ	١٩١١ - ١٩١٢ م
٥ - ١٠٥٩ - ١٢٦١	١٣٣١ هـ	١٩١٢ - ١٩١٣ م
٦ - ١٢٦٢ - ١٤٦٤	١٣٣١ - ١٣٣٢ هـ	١٩١٣ - ١٩١٤ م

ب - مجلة الميزان لصاحبها الأستاذ المرحوم أحمد شاكر الكرمي

٧ - من العدد ١ - ٨٨ السنة الأولى عام ١٩٢٥ - ١٩٢٦

ج - جريدة السياسة الأسبوعية المصرية لصاحبها الأستاذ المرحوم محمد حسين هيكل

العدد	عام
٨ - ٩٥ - ١٢٠	١٩٢٧ - ١٩٢٨ م
٩ - ١٢١ - ١٤٧	١٩٢٨ م

فالمسيد الدكتور حسني سبيع أجزل الشكر على هذا الصنيع وأطيب التقدير
لهذه البادرة الكريمة في إغناء قسم المجلات في مكتبة المجمع ، وهو القسم
الذي يتنامى أثره في الدراسات الحديثة .

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الأول من عام ١٩٧٨

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
المحامي باقر أمين الورد مراجعة الدكتور ناجي معروف	أعلام العراق الحديث قاموس تراجم ١٨٦٩ - ١٩٦٩ الجزء الأول	بغداد ١٩٧٨
عبد الكريم السمعاني. تحقيق منيرة سالم	التعبير في المعجم الكبير ١ - ٢	» ١٩٧٥
د. كامل مصطفى الشبيبي	الحلاج موضوعاً للآداب والفنون العربية والشرقية قديماً وحديثاً	» ١٩٧٦
الحسن الصفاني. تحقيق محمد حسن آل ياسين	العباب الزاخر واللباب الفاخر الجزء الأول : حرف الهمزة	» ١٩٧٧
عمر الشهير بابن القره داغي	الفتح الوامض على المنع الفائض في علم الفرائض	» »
د. كامل مصطفى الشبيبي	الفلك المحملة بأصداف بحر السلسلة مجموع من الأشعار من فن السلسلة	» »

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
مسلم عبد الرزاق أحمد	فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل ١ - ٨	بغداد ١٩٧٥
وزارة الثقافة والفنون	الفهرس الوطني للمطبوعات العراقية عام ١٩٧٧	»
يعقوب بن سفيان الفسوي تحقيق الدكتور أكرم العمري	المعرفة والتاريخ ١ - ٣	بغداد ١٩٧٤-١٩٧٦
الدكتور صبحي محصاني	الأوزاعي وتعاليمه الانسانية والقانونية	بيروت ١٩٧٨
عمر رضا كحالة	الحب	»
أنور العسكر السباهي	حياة المرحوم دهم الهادي رئيس عشائر شمر العربية	» ١٩٧٧
عدنان مردم بك	دير ياسين (مسرحية شعرية)	» ١٩٧٨
خليل مردم بك . شرحه وقدم له عدنان مردم بك	شعراء الأعراب	» ١٩٧٨
خليل مردم بك تحقيق عدنان مردم بك	الشعراء الشاميون	»
علي المصري	المسرح المردمي	»
تعريب د . إحسان حقي	المسلمون في الاتحاد السوفيتي	» ١٩٧٧
شارل جوليان تعريب محمد مزالي - البشير بن سلامة	تاريخ افريقيا الشمالية	تونس ١٩٦٩

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
رسائل أحمد القليبي بين طرابلس وتونس	علي مصطفى المصري	تونس ١٩٧٦
تاريخ الجزائر في القديم والحديث ١ - ٣	مبارك بن محمد الهلالي الميلي	الجزائر ١٩٦٤
تعلم ليتكئون	أيد جارفور ترجمة د. حنفي بن عيسى	د ١٩٧٦
الجواهر الحسان في تنظيم أولياء تلمسان	أبو مدين شعيب تحقيق عبد الحميد حاجيات	د
محاضرات في علم النفس اللغوي	د. حنفي بن عيسى	د
محاضرات الملتقى الخامس للتعرف على الفكر الاسلامي	وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية	د ١٩٧١
المرآة	حمدان بن عثمان خوجة تع. د. محمد العربي الزبيري	د
المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون	جلول بلس ، أمقران الحفناوي	د
الموشحات والأزجال ١ - ٢	جلول بلس ، أمقران الحفناوي	د
أبحاث الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب ، الجزء الأول: الأبحاث باللغة العربية	معهد التراث العربي جامعة حلب	حلب ١٩٧٧

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
ابن شداد . تحقيق مجيى عبارة	الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة الجزء الثالث - القسم الأول	دمشق ١٩٧٨
الياس قنصل	ألحان الغروب « شعر » الرياضيات العامة :	دمشق ١٩٧٨
ش . بيزو ، م زمانسكي ترجمة . عدنان الحموي	الجبر والتحليل القسم الثاني : التحليل	» »
رنيه هوبغ ترجمة صلاح برمدا	الفن تأويله وسيله . الجزء الأول من عهد النشأة إلى الفن الروماني	» »
جان الكسان	مسرح المعركة	» »
القيادة القومية	نضال حزب البعث العربي الاشتراكي ١٩٤٣ - ١٩٧٥	» »
القادري . تحقيق د. نورمان يسيكار . تقديم د . عبد الهادي التازي	نشر حوليات المثاني	الرباط ١٩٧٨
وحيد الدين بهاء الدين	فيليب لطف الله : شاعر أو إنساناً	سان باولو ١٩٧٧
علي مصطفى المصراطي	جمال الدين الميلادي : المعلم ، الاقتصادي ، الموسيقي	طرابلس ١٩٧٧
علي مصطفى المصراطي	مؤرخون في ليبيا (مؤلفاتهم ومناهجهم)	» »
حسني فريز	هياكل الحب : الجزء الأول « شعر »	عمان

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
د . السيد عليوه د . المهندس السعيد شابي	إدارة الاقتصاد الاسرائيلي استخدام التقنيات الحديثة في مجال المعلومات	القاهرة ١٩٧٧ »
المنظمة العربية لترجمة والثقافة والعلوم	استخدامات عوائد النفط العربي حتى نهاية السبعينات	القاهرة ١٩٧٧
شمس الدين محمد بن علي ابن طولون الصالحي الدمشقي تحقيق عبد العظيم خطاب	إعلام الوري بن ولي ثاباً من الأثر الكبدمشق الشام الكبرى. أوتاريخ الشام من قيام دولة المماليك في مصر إلى صدر العهد العثماني	» ١٩٧٣
سليمان حميد المنذري	التعاون النقدي العربي : مجالاته وإمكانياته	» ١٩٧٨
محمود توفيق محمود	الجغرافيا السياسية لاسرائيل	» ١٩٧٧
د . جميل الشرقاوي	دراسات حول ضمانات الاستثمار في قوانين البلاد العربية	» ١٩٧٨
د . قدري حفني	دراسة في الشخصية الاسرائيلية « الاشكنازيم »	» ١٩٧٥
جامعة عين شمس	دليل البحوث ١٩٦٦ - ١٩٧٦	» ١٩٦٧
د . عبد الرحيم عبدالرحمن عبد الرحيم	الريف المصري في القرن الثامن عشر	» ١٩٧٤
د . عواطف عبد الرحمن	الصحافة العربية في الجزائر ١٩٥٤ - ١٩٦٢	» ١٩٧٨

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
د. السيد محمد المزاي	فرقة النزارية : تعاليمها ورجالها على ضوء المراجع الفارسية الفلستينيون في الوطن العربي	القاهرة ١٩٧٠
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	قائمة ببلوغرافية بالرسائل الجامعية حتى عام ١٩٦٩	» ١٩٧٨
فاطمة حسن الخضراوي نادية محمود وادي مراجعة: مايسة محمد عبد المنعم معوض	» » حتى عام ١٩٧٠	» ١٩٧٧
إشراف د. مفيد شهاب	قانون البحار الجديد والمصالح العربية	» ١٩٧٨
د. عبد المهيمن بكر سالم	القصد الجنائي في القانون المصري والمقارن	» ١٩٧٧
د. عمر الفاروق سيد رجب	المدينة المنورة: التركيب الوظيفي النمو والتغيرات	» ١٩٥٩
د. أحمد بدري ، د. هرمن كيس	المعجم الصغير في مفردات اللغة المصرية القديمة	» ١٩٧٧
جامعة عين شمس	ملخصات رسائل الماجستير والدكتوراة التي منحتها الجامعة من سنة ١٩٥٠ - ١٩٦٠	» ١٩٥٨
»	ملخصات رسائل الماجستير والدكتوراة من سنة ١٩٦٠ - ١٩٧٠ (الجزء الاول)	» ١٩٦١
»		» ١٩٧٢

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
لجنة إحياء ذكرى علماء الاسلام، الندوة الأولى ١٩٧٥	ندوة أبي الحسن الماوردي	القاهرة ١٩٧٥
د . وليد قصاب	يوميات من رحلة البحار «شعر»	» ١٩٧٨
محمد علي دبوز	أعلام الاصلاح في الجزائر ٢-٣	قسطنطينة ١٩٧٨
أحمد توفيق المدني	حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا	»
أحمد الدرجيني تحقيق إبراهيم طلاي	طبقات المشايخ في المغرب الجزء الثاني	»
د . إحسان عباس	اتجاهات الشعر العربي المعاصر	الكويت ١٩٧٨
بكر محمد أحمد شعيب	بليوجرافيا الكويت والخليج (كشاف بعنوانين المقالات الصادرة في المجلات الكويتية عام ١٩٧٧)	»
بكر محمد أحمد شعيب	تصنيف القصاصات الصحفية في مراكز المعلومات والمؤسسات الصحفية	» ١٩٧٨

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثالث والحسين

المقالات	الصفحة
إحياء الأسلوب القديم الأستاذ شفيق جبري	٢٥٩
نظرة في معجم المصطلحات الطبية ٣٧ . الدكتور حسني سبع	٢٦٣
معبد الجهني الدكتور يوسف فان اس	٢٧٩
ابن رشد العالم بالبصرىات الدكتور عمر فروخ	٣١٣
وقفه مع ديوان بشار بن برد الدكتور شاكر الفحام	٣٤٠
تحقيقات وتصحيحات لكتاب الأعلام الأستاذ محمد أحمد دهان	٣٧٤
الكنى والألقاب والأسماء عند العرب القاضي إسماعيل بن علي الأكوخ	٣٩٥

التعريف والنقد

شرح أبيات بيدييه الدكتور محمد خير حلواني	٤١١
ذيل مشتببه النسبة الأستاذ عبد الجبار زكار	٤٢٦
أعلام الاصلاح في الجزائر الدكتور صفاء خلوصي	٤٤١

آراء وأنباء

كتاب الأزمة والأغواء لابن الأجداني الأستاذ علي الفقيه حسن	٤٤٧
مخطوطات بتيمة في مكتبة شيبترقي بديلان الدكتور صفاء خلوصي	٤٥٠
حول شعر الصنوبري الأستاذ مصباح غلاونجي	٤٥٤
من معجم عثرات الأدباء الأستاذ محمد العدناني	٤٦٢
المخطوطات العربية في جامع بكين الأستاذ هادي العلوي	٤٧٤
مذشأ لفظة المثة الأستاذ علي حيدر البخاري	٤٨٢
هدية قيمة	٤٨٦
الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية خلال الربع الأول من عام ١٩٧٨	٤٨٧



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

مجلة

مَجْمَعُ الْبَحْثِ الْعَرَبِيِّ بِمَشْرِقِ

« مجلّة المجمع العلمي العربي سابقاً »



مركز تحقيق وتطوير علوم إيسدي



رجب الفرد من سنة ١٣٩٨ هـ

تموز « يوليو » من سنة ١٩٧٨ م



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

ما وراء البيان

الأستاذ شفيق جبري

إذا كنا نلجأ إلى تقليب النظر في محاسن البيان في قديم عصورنا فلا نفعل هذا لمجرد الاهتمام إلى ألفاظ حلوة وتراكيب تشتمل على مثل هذه الحلوة ، إذا كان هذا هو غرضنا من المحافظة على أدبنا فلا خير في محافظتنا . إنا لا نستحسن ما يستحسن من بياننا القديم لمجرد الصيغة وحدها ، فإن وراء هذا البيان الذي يبلغ منا كل مبلغ عقولاً راجحة ، وفطناً ثاقبة ومداخل ومخارج في أمور الحياة تعلمنا وترشدنا أبلغ تعليم وإرشاد . فإذا وقع نظرنا في مطالعاتنا على جمل لبلغاء كتبنا فلا ينبغي لنا أن تشغلنا بلاغة هذه الجمل عن التدقيق في الذي تنطوي عليه ، فلا ينبغي لنا أن تصرفنا حلوة الألفاظ عن حلوة ما تعبر عنه هذه الألفاظ ، ولنا نحافظ على أصالة أدبنا القديم للأصالة وحدها ولكننا نعتقد أن هذا الأدب يتضمن كنوزاً من عظمة القول بما لا سبيل إلى إحصائه ، فإن أكثر كتبنا المتقدمين لم تكن بلاغتهم قائمة على اختيار الألفاظ وحدها والتأنق في تنسيقها والجهد في رصفها وإنما جمعوا بين بلاغة اللفظ وبلاغة المعنى الذي يفصح عنه هذا اللفظ ،

ولا ريب في أن الألفاظ وحدها إذا لم تدل دلالة صحيحة على المعاني كانت باطلة لا عمل لها في النفوس ، وأن المعاني إذا لم تصورها ألفاظ تدل عليها دلالة قوية ضاعت فلا نحس لها بأثر ، فالكتّاب البلغاء الذين اشتهروا في قديم عصورنا إنما اشتهروا لحسن تنسيقهم بين الألفاظ والمعاني ، ولذلك إذا مررنا بقطعة كان لألفاظها وقع في نفوسنا فجدير بنا أن نبحث عن محاسن ما وراء هذه الألفاظ . والناج من هذا الشكل كثيرة في أدبنا :

تأخرت أرزاق الجند وتراخت أعطياتهم على أيام المأمون ، وقد يدل هذا التأخر على اختلال النظام في الدولة ولا يستحسن أن لا يعلم خليفة مثل المأمون بأمر من هذا النوع لأن كتابه قد يؤدي إلى شيء من الفساد ، فما هي السبيل إلى إطلاع المأمون على حالة الجند ؟ لقد اهتمى عمرو بن مسعدة إلى هذه السبيل ، وكان يُعدّ من بلغاء الكتّاب في دولة العباسيين ، قال في كتابه إلى المأمون :

« كتابي إلى أمير المؤمنين ، ومن قبلي من قواد ورؤساء أجناده في الانقياد والطاعة على أحسن ما تكون طاعة جند تأخرت أرزاقهم ، وانقياد كفاة تراخت أعطياتهم ، فاختلت لذلك أحوالهم والتأثت معه أمورهم . »

لا حاجة بنا إلى التنبيه على البراعة في هذه السطور القليلة فإن صاحبها قد فطن إلى ما يقال وإلى ما لا يقال في مسألة مثل هذه المسألة الدقيقة ، فإذا اقتصر عمرو بن مسعدة على مجرد إعلام المأمون بتأخر الأرزاق وتراخي الأعطيات كان في هذا الاقتصار ما قد يغضب المأمون ، أو قد يسوؤه إذا لم يغضبه ، وإذا لم يشر في كتابه إلا إلى انقياد القواد ورؤساء الأجناد وإلى طاعتهم وأغفل ذكر حقوق الجند فقد يكون في هذه الإشارة ما يخل بحقوق الذين يدافعون عن الدولة بأرواحهم . ولكن عمرو بن مسعدة جمع

بين ذكر الأمرين : أمر الانقياد والطاعة وأمر تأخر الأرزاق ، فأرضى بهذا الجمع المأمون والجند في وقت واحد .

إن المأمون لم يهتم ببيان عمرو بقدر ما اهتم بما عبّر عنه هذا البيان ، فليس في كلام عمرو شيء من التأنق وإنما استعمل الألفاظ البسيطة للدلالة على ما يريد الدلالة عليه كالانقياد والطاعة والتأخر والتراخي والاختلال وغير ذلك . ولكن الذي أعجب المأمون إنما هو ما انطوت عليه الألفاظ البسيطة من فهم صحيح في مكتوبة خليفة مثل المأمون . فقد استعمل عمرو كل الأدب في كتابه فحرص على إعطاء المأمون ما يستحقه من الإجلال والتعظيم وحرص على حقوق الجند والقواد . وقد أدى وقع الكتاب في نفس المأمون إلى أن أمر للجند بإعطياتهم لسبعة أشهر وأمر لعمرو بن مسعدة برزق ثمانية أشهر . وبلغ من حسن أثر هذا الكتاب إلى أن قال المأمون لأحمد بن يوسف : لله دره عمرو ما أبلغه ! ألا ترى إلى إدماجه المسألة في الإخبار ، وإعفائه سلطانه من الإكثار من التحقيق كما يتصور علوم ردي

ونجد في كتاب : أمراء البيان ، الأستاذ الرئيس محمد كرد علي فصلاً يتصل بعصر ابن الزيت ونشأته ووزارته ونماذج من إنشائه ، منها هذا الكلام القليل : فقد أمر الواثق ابن الزيت أن يتلطف بعبد الله بن طاهر ويعلمه أنه صرفه عن أمر الجزائر والعواصم وفوض ذلك لابن عمه إسحق ابن إبراهيم ، فكتب ابن الزيت :

« أما بعد فإن أمير المؤمنين رأى أن يخلع ما في يمينك من أمر الجزائر والعواصم فيجعلها في شمالك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » .

قال الأستاذ الرئيس كرد علي في خاتمة هذا الكتاب : وليس في الوصول إلى الغرض مع مراعاة المكتوب إليه أوجز ولا أطف من هذا .

لا نظن أن من الهين أن يُعلمَ صاحب عمل في الدولة بصرفه عن عمله ، فقد يكون هذا العمل جزءاً من نفسه ، من حياته ، لا يعيش دونه إلا في كدرٍ وتنغيص ، كما أنه ليس من الهين أن يُعلمَ بخلفه في العمل الذي صُرف عنه ، فإن هذا الخلف قد يكون أبغض الناس إليه لا يصفو له قلبه ، ولا يخلص له حبه ، فكيف السبيل في مثل هذه الحال إلى حلٍّ وسـ.ط كما نقول ؟ كيف السبيل إلى إعلام المصروف عن العمل بخلفه في هذا العمل دون أن يثور غضبه ويهيج غيظه ؟ السبيل إلى ذلك ما فعله ابن الزيات في سطر واحد ، فلم يترك لعبد الله بن طاهر عذراً في العتاب ، فإن الذي خلفه إنما هو ابن عمه . ولا شك في أن ابن طاهر لا يسره صرفه عن العمل ولكنه لا يجد سبيلاً إلى الإفصاح عن ذلك ، فلم يأت الواثق بعدو له ، وإنما أتى بابن عمه فقطع عليه كل طريق إلى العتاب



إذا أردنا أن نستشهد بنماذج من البيان الذي يختفي وراءه عقل كبير فإننا نجد أن أدبنا القديم حافل بأمثال هذه النماذج ، وقد يكون كتاب عمرو بن مسعدة إلى المأمون وكتاب ابن الزيات إلى عبد الله بن طاهر لا شهرة لهما في أدبنا ولا ذكر لهما في هذا الأدب ، ولكنها على الرغم من قلة شهرتهما أو من عدم هذه الشهرة يدلان على براعة في بيان وراءه فهم ثاقب وفطنة نافذة . وإذا كانت كتب الجاحظ تعلّم العقل أولاً والأدب ثانياً فما أجدرنا بالتفتيش عن الكتب القريبة من هذا النمط وإن كان الجاحظ في هذا الباب السماء التي لا تطاولها سماء .

شفيق جبوري

ابن رشد العالم بالبصريات والفلك خاصة

- ٢ - *

الدكتور عمر فروخ

ألف ابن رشد كتابين عنوان أحدهما « كتاب حركات الفلك »
وعنوان الثاني منها « موجز المجسطي » (سارطون ٢ : ٣٥٦) . راجع في
المجسطي ما تقدم « الجزء السابق ص ٣٢٥ » .

ولكن بروكلمان^(١) لم يذكرهما (١ : ٦٠٤ - ٦٠٦ ، الملحق ١ :
٨٣٤ - ٨٣٦) . ويقول كارمودي (ص ٥٥٩) (٢) إنه لم ير كتاب
« موجز المجسطي » . ففعل الكتابين قد ضاعا . ولكن بروكلمان ذكر
لابن رشد (الملحق ١ : ٨٣٦ ، السطر الثالث من أسفل) كتاباً في
الأنساب الكرية (علم المثلثات الكروية) ، ونفع هذا العلم إنما هو في

(*) نشر القسم الأول من هذا المقال في العدد الماضي « مج ٥٣ ج ٢ ص ٣١٣ » .

(1) Brockelman, Geschichte der Arabischen Litteratur.

(2) Francis James Carmody, The Planetary Theory of
Ibn Rushd in OSIRIS, 1952, 556 - 586 .

الفلك . وفي كتبه الموجودة بين أيدينا إشارات كثيرة إلى علم الفلك . ويقول سارطون (٢ : ٢٩٥) إن ابن رشد كان كثير الاهتمام بعلم الفلك . وحينما يمر القارئ المطالع بملاحظات ابن رشد في الفلك - في كتبه المختلفة - يدرك وشيكاً أن الرجل كان أعلم بالفلك مما تدل عليه تلك الملاحظات لما تضمنته ملاحظاته من الاشارات إلى مدارك وقواعد في علم الفلك يمكن أن تكون أجزاء من معرفة واسعة جداً .

ولكن لا بد هنا من الإشارة أولاً إلى المدرك القديم لهذا العالم الذي نحيا نحن فيه والذي أكثر ابن رشد من الكلام عليه في خلال بحثه في مسائل الفلسفة . لقد كان هذا « الموقف القديم » في الفلك موافقاً للموضوع الذي كان ابن رشد يعالجه في كل مكان : « دلالة العقل وسياق المنطق » عند النظر في الحقائق الفلسفية النظرية وفي الحقائق الدينية العملية . ولا شك في أن المبالغة في حب ابن رشد لفلسفة أرسطو قد حملته على أن يتقبل من فلسفة أرسطو كل شيء وما كان في الفلك مخالفاً للعقل : غير أننا - مع حبنا لابن رشد - لانستطيع إلاّ لومه على متابعة أرسطو فيما كان أرسطو غير ملموم في اتباعه : إن أرسطو كان ابن بيثة وثنية تعتقد أن الشمس والقمر والكواكب وسائر النجوم الكبار الظاهرة للعين آلهة أو مساكن للآلهة ، وأنها - من أجل ذلك - يجب أن تكون كائنات حية ذوات نفوس تحركها وذوات عقول تجعلها قادرة على معرفة أحوال الناس ثم تكون مخالفة في مادتها لمادة هذا العالم الذي نعيش نحن فيه ، ذلك لأن طبيعة الآلهة المسيطرة يجب أن تكون مختلفة من طبائع الناس الذين تقع عليهم سيطرة الآلهة . ولكن ابن رشد لم يكن معذوراً في الميل إلى أشياء من رأي أرسطو في

ذلك ، فإنه ابن بيثة مؤمنة موحدة توحيداً صحيحاً . وأشد ما يمكن أن نحمله على ابن رشد من اللوم أن العلماء المسلمين كانوا قد فندوا كثيراً من آراء أرسطو . ونذكر في هذا المجال ابن حزم الاندلسي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦١ م) - قبل ابن رشد بخمسة أجيال - فقد قال إن هذه النجوم أجسام حجرية لا تعقل ولا صلة لها بحياة الناس وأنها هي نفسها « مدبّرة » (بالبناء لاسم المفعول) تخضع لقوانين طبيعية عادية . ويقول ابن حزم : إن هذه النجوم إذا كان لها أثر فينا ، فإن أثرها هذا لا يعدو أن يكون طبيعياً كأثر الريح والمطر والبرد والحر ، أو ما يشبه ذلك .

وافق ابن رشد الأقدمين في أن عالمنا الفلكي الذي تعد أرضنا جزءاً منه مؤلف من أفلاك (مدارات مادية مكوكبة - أي مثبت فيها كواكب مفردة أو متعددة ، ولا يرى ابن رشد مبرراً لفلك لا نجوم فيه) وأن هذه الأفلاك مستديرة ومتركة كتب بعضها في بعض كطبقات البصلة المذكورة . وقبيل ابن رشد رأى أرسطو في أن عالم ما فوق فلك القمر (أي القمر والشمس وجميع الأجرام السماوية الأخرى - لأن جميع هذه الأجرام السماوية تدور حول أرضنا في رأيهم) جسم بسيط ، يقصد أن ذلك الجسم مؤلف من عنصر غير العناصر الأربعة (الماء والهواء والتراب والنار) ، ذلك لأن العناصر الأربعة في رأيهم يستحيل بعضها إلى بعض ولذلك تكون خاضعة للكون والفساد ، تتبدل الأجسام التي تتألف منها ثم تخضع تلك الأجسام للنشوء والفناء مرة بعد مرة . أما الأجرام السماوية فلا تتبدل ولا تتغير ولا تنشأ ولا تنعدم ولا تختلف في طبائعها وأفعالها . وإذا كان ذلك كذلك - كما يقول ابن رشد - فإن الأجرام السماوية أجسام حية عاقلة مدركة :

حياة كاملة خالدة وعاقلة عقلاً تاماً ومدركة إدراكاً صحيحاً ، والجيرم السماوي (أي مجموع هذا العالم الذي نراه فوقنا) تبدى للفلاسفة القدماء بشابة حيوان يسلك في حركته سلوكاً واحداً صحيحاً كما يسلك الحيوان السليم المزاج . (راجع في ذلك كله تهافت التهافت ١٨٤ ، ٢١٦ ، ٢٥١ ، ٢٨٩ ، ٢٩٩ ، ٤٨٠ ، رسائل : ما بعد الطبيعة ١٤١ ، ١٥٧ ، الخ) .

ويكفي أن نستشهد هنا بهذه الجمل من أقوال ابن رشد (تهافت ١٩٠ - ١٩٢) :

هذه الكواكب « موجودات مدركة حية ذوات اختيار وإرادة .. لعظم أجرامها وشرف وجودها وكثرة أنوارها ... فإذا تأمل الانسان هذه الأجسام العظيمة الحية الناطقة (أي العاقلة) المختارة المحيطة بنا (ثم) نظر إلى أصل ثالث وهو أنها مع عنايتها بما هنا (أي بتأثيرها في الكائنات التي في أرضنا من النبات والحيوان ...) هي غير محتاجة إليها (أي إلى هذه الكائنات التي على أرضنا) في وجودها ، علم أنها مأمورة (من الله تعالى) بهذه الحركات ومسخرة (للعناية) بما دونها من الحيوان والنبات والجمادات ، وأن الأمر لها غيرها ، وهو غير جسم ضرورة (أي بالضرورة : الضرورة تقضي ألا تكون جسماً) لأنه لو كان جسماً لكان واحداً منها ... وأنه لولا مكان هذا الأمر لما اعتنت (تلك الأجرام السماوية) بما هاهنا على الدوام والاتصال ... والأمر هو الله سبحانه .

لا شك في أن هذا النص الواضح الصريح مخالف للإسلام برغم الآيات الكريمة التي حاول ابن رشد الامتسهاد بها على ما أراده . وتلك - بلا ريب -

من زلات ابن رشد حمله عليها حبه البالغ لأرسطو ودفاعه عن عدد من آراء أرسطو التي قال بها تأثراً قومه الوثنيين .

* * *

وإذ وفينا خضوع ابن رشد للأثر الوثني الذي كان لأرسطو شيئاً من حقه فإننا ننتقل إلى جانب إيجابي من الآراء العلمية الصحيحة التي تفتحت عنها عبقرية ابن رشد .

أخذ ابن رشد عن الأقدمين عموماً وعن أرسطو أن هذا الوجود الذي نحن جزء منه هو الوجود الممكن بحجمه ، فليس في الامكان أن يكون هذا الوجود أكبر مما هو عليه ولا أصغر مما هو عليه . لأنه لو جاز أن يكون هذا الوجود أوسع مدى مما هو لكان أوسع مدى بالفعل (راجع تهافت التهافت ٧٩ - ٩١ ، ٢٤١) . ولقد التفت ابن رشد في أثناء هذا النقاش الطويل الذي ملأ بضع عشرة صفحة في محاولة إثبات قضية لا يمكن أن يكون عليها برهان مادي : هل كان بالإمكان أن يكون هذا الوجود أوسع مدى مما هو عليه الآن أو أصغر مدى ، وهل بالإمكان أن يكون معه وجود آخر أكبر منه أو بقدره أو أصغر منه ؟ إن هذا الافتراض ليس جائزاً عند أرسطو ولا عند ابن رشد ، لأنه لو كان في الوجود عالمان أو ثلاثة عوالم أو أكثر منفصلة أو متصلة لما كانت سوى عالم واحد . غير أن لفظة ابن رشد كانت في جانب آخر . إنها كانت رداً على عناد المتكلمين (أي على اعتراض لهم منتظر) : ذلك الاعتراض من المتكلمين هو : أليس الله قادراً على أن يخلق عالماً آخر ؟ أما كان بالإمكان أن يكون الله تعالى قد خلق هذا الوجود أكبر مما عليه الآن أو أصغر لو شاء ؟

ورد ابن رشد على ذلك (ص ٨٩ ، السطر الأول وما بعد) بقوله إن هذا الاعتراض يكون حينئذٍ عقلياً (مفارقاً : يتعلق بالإمكان النظري ولا يتصل بالواقع المادي) الذي هو الوجود الفعلي لهذا العالم . وأحب أن أضرب مثلاً من عندي : لو تناول رجل بيده حبة عدس وسأل : ألا يمكن أن تكون « هذه الحبة من العدس أكبر مما هي عليه أو أصغر » ، لكن الجواب العقلي المجرد : أن هذا ممكن بلا ريب . ولكن « هذه الحبة » التي في يد الرجل هي لا يمكن أن تكون أكبر ولا أصغر ، إذ لو كان ذلك بالإمكان (فيما يتعلق بهذه الحبة نفسها) لوجب أن تكون من قبل الآن كذلك .

ومع أن ابن رشد قد ذكر أن الأجرام السماوية حية وذات عقول تدبّر أجناس النبات والحيوان والجماد مما نجده على أرضنا فإنه كان لا يعتقد صواب التنجيم ، بمعنى أن الإنسان يعرف من مواقع الكواكب وحركاتها مستقبل الإنسان على الأرض (راجع سارطون ٣ : ١٤٩٠ ، السطر ٧ وما بعد من أسفل) . ولكن هذا لا يمنع أثر الشمس والقمر (وسائر الأجرام السماوية في رأي ابن رشد ، في المد والجزر مثلاً) .

وابن رشد يقسم علم الهيئة أو علم الفلك قسمين : صناعة النجوم التعاليمية (أي الحساب الفلكي أو علم الفلك النظري) ثم صناعة النجوم التجريبية (المستمدة من الرصد ، أي علم الفلك العملي) وهذا مدخل العلم الفلكي (راجع علم الفلك للمستشرق كارلو نلينو ٢٢) .

وابن رشد ينتقد نظام بطليموس انتقاداً شديداً . ولكن الكلام في ذلك يحتاج إلى شيء من التفصيل .

كان أرسطو (ت ٣٢٢ قبل الميلاد) يرى أن الأفلاك في نظامنا الشمسي متمركزة أي ذات مركز واحد (أي أنها دوائر بعضها أكبر من بعض ولكنها كلها تحيط بمركز واحد) . ولكننا لا نستطيع مع أن نفهم الخطأ في نظام بطليموس إلا إذا نحن أوردنا الملاحظات التالية على نظام أرسطو :
 - أصاب أرسطو في جعل الأفلاك متمركزة .

- لم يصب أرسطو في جعل الأفلاك دوائر (إن الأفلاك إهليلجية ، أي بيضوية الشكل) .

- أخطأ أرسطو لما جعل الأرض مركز النظام الشمسي ثم قبل أن تكون الشمس في الفلك الرابع تدور حول الأرض . ولم يكن أرسطو في ذلك معذوراً ، لقد عرف أرسطو أن الفيثاغوريين كانوا يقولون بأن الأرض تدور حول النار الوسطى ، (لا حول الشمس ، لأن الشمس كانت في رأيهم تدور أيضاً حول تلك النار الوسطى) وأن الأرض كانت تدور على محورها (وذكر ذلك أفلاطون أستاذ أرسطو) . وكان أرسطو يصر على أن الأرض ثابتة لا يجوز لها أن تتحرك (١) .

وتبع ابن رشد آراء أرسطو ، إعجاباً بأرسطو من جانب ثم انتصاراً لرأيه هو في تخريب مظاهر الوجود كلها تخريباً عقلياً ونظرياً ، من جانب آخر .

(١) لم يكن أرسطو وابن رشد معذرين في جعل الأرض ثابتة لا تتحرك . ومادام ابن رشد يقول : إن الشمس أكبر من الأرض (وهذا صحيح) مائة وخمسين أو مائة وستين أو مائة وسبعين مرة ، فإنه كان يجب أن يعرف من علم الحيل (الميكانيك) في الفيزياء أن الجسم الأصغر لا يمكن أن يكون مركزاً يدور حوله الجسم الأكبر .

ومن المظاهر التي لفتت نظر الفلاسفة القدماء اختلاف حركات
النجوم : رؤية الزهرة مثلاً مرة في الغرب متأخرة عن الشمس ومرة
في الشرق متقدمة على الشمس ، كما أن القمر يسلك هذا المسلك بالإضافة
إلى الشمس وبالإضافة إلى الزهرة أيضاً .

وجهد كثيرون في تفسير هذه الظاهرة التي سميت « تحيراً » وسميت
الكواكب التي تفعل ذلك (كمطارد والزهرة مثلاً) : الكواكب المتحيرة .
فاقترح أفلاطون مثلاً أن يكون في تلك النجوم قوتان تحركها : قوة موافقة
لحركة الشمس (من الشرق إلى الغرب) وقوة « مضادة » لحركة الشمس
(من الغرب إلى الشرق) ومنهم من اقترح أن يكون لعدد من الكواكب
حركة لولبية (كالصعود والنزول على سلم ، مثل تلك التي تكون في المآدن
عادة) ثم اقترح بطليموس ^(١) القلوزي ته مدد الأفلاك (المدارات حول
الأرض) لهذه الكواكب التي سُميت متحيرة . لقد جعل بطليموس لهذه
الكواكب أفلاكاً متعددة متداخلة (ذات مراكز مختلفة في سطح واحد)
فكان بعضها خارجاً عن بعض (بعض الأفلاك متطرف عن الأرض ذات
اليمن وبعضها متطرف ذات الشمال) .

ولم يرض علماء الفلك العرب هذه الأوجه من التفسير لاختلاف

(١) بطليموس القلوزي (كلودبوس بطليموس) ولد في صعيد مصر ونشأ
في الاسكندرية (وليس له صلة قرابة بالبطالسة ملوك مصر اليونانيين) ، من
علماء الرياضيات والفلك والجغرافية والطبيعات ، له كتاب ضخيم اسمه باليونانية
« التصنيف العظيم في الحساب » ويعرف بعنوان « المجسطي » . والمجسطي كتاب
في الفلك وفي الحساب الفلكي . وكانت وفاة بطليموس سنة ١٧٠ م

حركات النجوم في رأي العين . حاول جابر بن أفلح الأندلسي (ت ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م) إصلاح نظام بطليموس . ثم اقترح ابن طفيل الأندلسي (ت ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) على تلميذه نور الدين البطروجي أن يحاول ذلك (ولا نعلم إذا كان ابن طفيل قد اقترح مثل ذلك على تلميذه الآخر ابن رشد) . ومع ذلك فنحن لا نعلم مدى تينك المحاولتين (محاولة جابر بن أفلح ثم محاولة البطروجي بإشارة من ابن طفيل) . غير أن ابن رشد لم يرض نظام بطليموس ، فيما يبدو ، ولم يكن انتقاده هذا واضحاً . قال ابن رشد (رسائل : السماء والعالم ٥ - ٦) :

« ... ليس للجسم المتحرك بها (بالحركة المستديرة ، وهي الحركة الطبيعية) مبدأ مضاد للمحرك (في الاتجاه الذي يقتضيه المحرك الطبيعي المادي) كالحال في الحيوان (الذي يتحرك بإرادة منه) . وإذا كانت هذا هكذا ، فظاهر أنه يلزم أن يكون للحركة المستديرة - بما هي مستديرة - مراكز وأقطاب ، وما هو بهذه الصفة فهو كرة ضرورة . فأما الأكر المحروقة (؟) الأقطاب التي يصفها بطليموس في كتابه « في الاقتصاص » فشيء لا يصح على هذه التحركات دوراً حركة طبيعية . وأيضاً لو كانت الكواكب تتحرك بذاتها - كما يظن قوم - لم تكن حركاتها طبيعية أصلاً ... » .

ومثل ذلك ، أو قريب منه ، قول ابن رشد أيضاً (رسائل : السماء والعالم ٤٧) في الحركات المختلفة للكواكب (الحركة المستقيمة والحركات المتغيرة) :

« ولم يكن ظهر مثل هذه الاستقامة والرجوع (الحركات المستديرة

المستقيمة على وتيرة واحدة إلى جانب الحركات المتحيرة (المتقدمين من اليونانيين (الفلاسفة قبل أرسطو) إلا في الكواكب المتحيرة . وكذلك لم يكن ظهر للبابليين كثير من الحركات التي أثبتها بطليموس مثل حركات أقطار (أقطاب ؟) أفلاك التداوير إلى الشمال والجنوب ، وكحركة الفلكين الخارجيّين المركز الذين لمطارِد والزُهيرة مرة إلى الجنوب ومرة إلى الشمال .

ولابن رشد رد على بطليموس في سبب الحركة التي للكواكب والتي كانت تتم في رأي القدماء بوساطة فلك محيط يحركها كلها بقوة مستمدة من الأول (الله) لأن ذلك الفلك المحيط قريب من الأول ، قال (رسائل : ما بعد الطبيعة ١٣٥) :

« وأما وجود فلك قاسع ففيه شك ، فإن بطليموس ظن أن هاهنا حركة بطيئة لفلك البروج ، غير الحركة اليومية ، يتم دورها في آلاف السنين . وآخرون رأوا أنها حركة إقبال وإدبار ، وهو الرجل المعروف بالزرقال^(١) من أهل بلادنا هذه وهي جزيرة الأندلس ومن تبعه منهم ، ووضعوا لذلك هيئة تلزم عنها هذه الحركة . والذي دعاهم إلى إثبات هذه الحركة أنهم رصدوا عودات الشمس إلى نقط معلومة من فلك البروج فوجدوها (أي عودات الشمس) تختلف . وآخرون رأوا أن هذا

(١) من أكابر الرياضيين والفلكيين في الأندلس أبو إسحاق إبراهيم النقشاش المعروف بالزرقالي أو بولد الزرقال (ت ٩٣٤ هـ = ١٠٩٩ م) ، كان بارعاً جداً في الرصد وفي استخدام الاسطرلاب ، وهو أول من جاء بدليل على أن حركة (مثيل) أوج الشمس (أبعد نقطة لها عن الأرض) بالنسبة إلى النجوم (الثوابت) تبلغ بالشواني ١٢٦٠٤ (بينما الرقم الحقيقي ١١٦٨) .

الاختلاف قد يكون لمزيد حركة أو حركات في فلك الشمس . وآخرون رأوا أن ذلك لحل في الآلات أو لتقصير في الآلات أنفسها عن درك ذلك على كُنهه فيها .

والذي دعا فلاسفة اليونان المتقدمين والمتأخرين ثم علماء العرب حتى أيام ابن رشد إلى هذا التعقيد أنهم فرضوا أن الأرض ساكنة وأن الكواكب والنجوم (والشمس فيها) تدور حول الأرض - وهذا بلا ريب هو الذي أدنى بهم إلى الخطأ . ولو أنهم أدركوا ما أدركه زكريا بن محمد القزويني (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) حين قال (عجائب المخلوقات ١: ٢٤٨) : « والأرض متحركة دائماً على الاستدارة . والذي نراه من دوران الفلك (الشمس والكواكب والنجوم) إنما هو من دوران الأرض (على نفسها) لا من دور (لا من دوران) الكواكب ، لما احتاجوا إلى كل ذلك التعقيد وإلى الوقوع في الأخطاء الكثيرة .

وذكر كارمودي (ص ٥٦٢) أن ابن رشد ينكر إمكان الحركات المتضادة للكواكب لأنها ليست جزءاً من النظر (التفكير) العقلي . ولكن ابن رشد نفسه يجعل هذا الحركات المتضادة التي للكواكب دليلاً على أن تلك الكواكب حية مدركة ذات اختيار وإرادة (نهفت التهافت ١٨٩ ، السطر ١٠ - ١٣) .

وكان ابن طفيل قد جعل العالم بجملته كروياً ومحدوداً متناهِياً (حي بن يقظان ١٢٧ وما بعد) فأخذ ابن رشد عنه ذلك وقال (نهفت التهافت ٤٥ - ٤٧) :

« ... وأن العالم إنما يتناهي من جهة الجسم الكروي ، وذلك أن

الجسم الكروي متناه بذاته وطبعه ، إذ كان يحيط به سطح واحد مستدير ،
وجسم العالم لا يمكن فيه زيادة ولا نقصان ، ولذلك كان متناهياً بذاته ،
وأنه لمكان هذا لم يصح أن يكون الجرم المحيط بالعالم إلا كريباً .

ويبدو أن ابن رشد قد استفاد من محاولة البطروجي أيضاً ، ولكنه
لم يذكر البطروجي ولا ذكر ابن طفيل (راجع أيضاً كارمودي
٥٥٩ ، ٥٨٥) .

وابن رشد من الذين يرون أن للأجرام السماوية أقداراً (أحجاماً)
مختلفة . قال (فصل المقال ٥) :
« لو ٠٠٠ رام إنسان واحد من تلقاء نفسه أن يدرك مقادير الأجرام السماوية
وأشكالها وأبعاد بعضها عن بعض لما أمكنه ذلك — ولو كان أذكى الناس ،
إلا بوحى أو شيء يشبه الوحي — بل لو قيل له إن الشمس أعظم من
الأرض بنحو مائة وخمسين ضعفاً أو ستين ، لعدّ هذا القول جنوناً من
قائله . وهذا شيء قد قام عليه البرهان في علم الهيئة قياماً لا يشك فيه من
هو من أصحاب ذلك العلم » .

ويأتي هذا المعنى مكروراً في تهافت التهافت (ص ٢٠٧) ليوازن
ابن رشد بينه وبين العلوم الإلهية ، كعلم الفقه والأصول — وبالجملة العلوم
الدينية — فإن الفقيه أيضاً محتاج إلى علم البرهان من المنطق وغيره . يقول
ابن رشد في حجم الشمس :

« لو قيل للجمهور — ولأن هو أرفع رتبة في الكلام^(١) منهم — إن

(١) الكلام (علم الكلام) غايته الدفاع عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية .

الشمس التي تظهر للعين في قدر قدم (في قُطرها) هي نحو من مائة وسبعين ضعفاً من الأرض لغالوا هذا من المستحيل ، ولـكان من بتخيل ذلك عندهم كالتائم ، ولعسر علينا إقناعهم في هذا المعنى بمقدمات يقع لهم التصديق بها من قرب في زمان يسير ، بل لا سبيل (إلى) أن يتحصل مثل هذا العلم إلا بطريق البرهان ان سلك طريق البرهان .

وعِظَمُ جِرمِ الشمس بالاضافة إلى كثافة مادتها ونلزتها (تلاصق أجزائها) هو - عند ابن رشد واستناداً إلى قول أرسطو - سبب شدة حرارتها (رسائل : السماء والعالم ٤٩) . ويرى كارمودي (ص ٥٧٤) أن كلمة شرف في وصف الشمس تدل على حجم الشمس وقلة حركاتها (١)، لأن حجمها الكبير يقاوم التأثيرات الخارجية عليها .

ويعرض ابن رشد لذبول الشمس (أي لنقص حجمها وحرارتها بما يتحلل من جرمها بالإشعاع) . وينكر ابن رشد ذلك فيقول (تهافت التهافت ١٢٩) :

« ولو كانت الشمس تذبل - وكانت ما يتحلل (٢) منها في مدة

(١) الشرف في الفلك يعزى في الأكثر إلى الارتفاع (عن الأرض في فلك البروج) أيضاً .

(٢) أول من أشار إلى خسران الشمس شيئاً من مادتها بالتحلل الإمام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ = ١١١١ م) . قال الغزالي (تهافت الفلاسفة - بيروت ، المطبعة الكاثوليكية - ص ٨٣) : « . . . فمن أين عرف (جالينوس) أنه لا يعترها الذبول ؟ وأما التفاته إلى الأرصاد (اعتماده الأرصاد : مراقبة الشمس) فمجهال لأنها لا تعرف مقاديرها إلا بالتقريب . والشمس التي يقال إنها كالأرض =

الإرصاد (أي في المدة القصيرة التي اشتغل العلماء فيها برصد الشمس) غير محسوس ، لعظم جرمها - لكان ما يحدث من ذبولها فيما ههنا من الأجرام له قدر محسوس . وذلك أن ذبول كل ذابل إنما يكون بفساد أجزاء منه تتحلل . ولا بد في تلك الأجسام المتحللة من الذابل أن تبقى بأسرها في العالم أو تتحلل إلى أجزاء أخر . وأي ذلك كان يوجب في العالم تغيراً بيّناً إما في عدد أجزائه وإما في كـيفيتها . ولو تغيرت كميات الأجرام لتغيرت أفعالها وانفعالاتها . ولو تغيرت أفعالها وانفعالاتها - وبخاصة الكواكب - لتغير ما ههنا من العالم . فتوهم (أعلها بصيغة الأمر) أن الاضمحلال على الأجرام السماوية محل بالنظام الإلهي الذي ههنا عند الفلاسفة . و (مع ذلك فإن) هذا القول لا يبلغ إلى مرتبة البرهان .

لا شك في صحة ما يقوله ابن رشد هنا . إن حجم الشمس يجب أن ينقص لما يتحلل من أجزائها عند صدور النور (والحرارة) منها . ثم لا شك في أن ابن رشد قد أصاب لما قال أن هذا النقص في الحجم لا يجوز

= مائة وسبعين (كذا) مرة أو ما يقرب منه ، لو نقص منها مقدار جبال مثلاً - لكان لايبين للحس . فلعلها في الذبول وإلى الآن قد نقص مقدار جبال وأكثر ، والحس لا يقدر على أن يدرك ذلك ... » (ولقد أصاب الغزالي في هذا القول) . ويقدر العلماء المعاصرون لنا أن الأرصاد الفلكية قد دلت على أن الشمس قد خسرت من مادتها - في مدى خمسين عاماً - مقداراً ضئيلاً ، ذلك لأن الشمس تشع في كل دقيقة خمسة وعشرين سعراً (بالضم : كالوري) ، وهو يساوي نحو اثنين من البليون (غير أن هذا كله لا يمنع من أن الشمس تستعيد ما تخسره من طرق مختلفة) .

أن يحدث ، ولكن تعليله لما أراد لم يكن تعليلاً مادياً ، بل هو تعليل «عقلي» من من جانب وفقهي من جانب آخر . وقد وقف العلماء المعاصرون لنا أمام هذه المشكلة ، ويرجى أن يكون تعليلهم أصح حين قالوا : إن المادة (من الشمس) تتحول إلى طاقة ثم تعود تلك الطاقة فتتحول (في الفضاء الأرحب) إلى مادة من جديد (ينشأ منها أجرام جديدة) فتظل النسبة في بناء هذا العالم الفسيح واحدة ، أو كذلك قالوا أو مثل ذلك .

ويقول ابن رشد (تهافت التهافت ١٨٨) إن حدوث الفصول الأربعة في الأرض راجع إلى بعد الشمس وقربها من الأرض عند مسيرها في فلكها المائل (وكان الأمثل أن يقول إن ذلك راجع إلى ميل الأرض على محورها نحو الشمال - شمال الساكنين فيها - ونحو اليمين ، فينتج من ذلك أن يصبح في قطب الأرض القريب من الشمس صيف وفي القطب الآخر شتاء ، ويكون الخريف والربيع بينهما) . قال ابن رشد :

« فإنه لولا قرب الشمس وبعدها في فلكها المائل لم يكن ههنا فصول أربعة . ولو لم يكن ههنا فصول أربعة لما كان نبات ولا حيوان .. مثال ذلك إذا بعدت الشمس إلى جهة الجنوب (تخيل ميل القطب الشمالي من الأرض بعيداً عن الشمس) برد الهواء من جهة الشمال فكثر الأمطار .. وفي الصيف بالعكس ، (راجع رسائل : الآثار العلوية ٤٦ ؛ ما بعد الطبيعة ١٦٨) .

والمألوف عندنا أن يكون للجرم السماوي قطبان أحدهما يقال له شمالي ويكون في أعلى الجرم (بالإضافة إلى تخيلنا لاستواء هذا الجسم في فلكه) والآخر يقال له جنوبي . غير أن ابن رشد يرى (من الناحية النظرية)

أن كل نقطتين متقابلتين في الكرة (عند طرفي القطر المفروض - وللكرة أقطار غير متناهية) تصلحان لأن تكونا قطبين شمالياً وجنوبياً . ولكن المعقول (عند ابن رشد) أن يكون القطبان في كل جرم سماوي في موضعها المخصوص بهما في ذلك الجرم . قال ابن رشد (تهافت التهافت ٤٨) :
 « فالأجسام السماوية فيها مواضع هي أقطاب بالطبع لا يصح أن تكون الأقطاب منها في غير ذلك الموضع . . . وقد ظن . . . في بادئ الرأي أنه يمكن أن يكون القطبان في فلك أي نقطتين اتفقتا » .

ويتكلم ابن رشد على اختلاف موقع النجوم باختلاف موقع الانسان على الأرض ، فإن النسر الطائر (١) مثلاً يرى من الأندلس في موقع من السماء غير الموقع الذي يراه فيه إنسان آخر في غير الأندلس — في بلد على غير خط العرض الذي تقع عليه الأندلس (رسائل : الآثار العلوية ١٧) . والصحيح أن النجم يكون دائماً في موضعه ولكن اختلاف المنظر (٢) يتبدل باختلاف موقف الناظر على سطح الأرض . والمقصود من التعبيرين واحد ، ذلك لأن القدماء كانوا يعتقدون أن الأجرام السماوية هي التي تدور حول الأرض ، فوضعوا تعبيرهم في قالب مخالف للقلاب الذي نضع نحن اليوم تعبيرنا عن هذا الأمر فيه .

(١) النسر الطائر ، ويقال له أيضاً العقاب (بالضم) وفي الأفرنجية : الطير ، أكليل ، صورة من صور السماء .

(٢) اختلاف المنظر هو (من الناحية العملية) تبدل موقع النجم بالإضافة إلى انتقال الواقف على الأرض من مكان إلى آخر (اختلاف زاوية النظر بسبب دوران الأرض على محورها ودورانها حول الشمس) .

وكلام ابن رشد في الكواكب المنقضة (الشهب) وذوات الأذئاب والمجرة يختلط فيه الصواب القليل بالخطأ الكثير . وهو في هذه يعتمد أقوالاً سابقة ولا يتبناها كما يفعل في عدد من الأمور .

يروى^(١) ابن رشد (رسائل : الآثار العلوية ١٢) أن ذوات الأذئاب شهب ثابتة ، وأن الشهب كواكب (صغيرة) منقضة . وتحدث ذوات الأذئاب إذا كان البخار الممتد (تحتها) له ثبات ، وليست ذوات الأذئاب رؤية (من خداع البصر) تعرض من ضياء الكواكب (كالهالة التي ترى حول الشمس مثلاً - أو بالأصح حول العين - راجع فوق ، عند الكلام على الهالة في قسم البصريات) . وكل ما يرويه ابن رشد عن ذوات الأذئاب وعن الشهب يسنده إلى القدماء وإلى أرسطو خاصة (ص ١٢ - ١٣) .

أما المجرة فيحاول ابن رشد أن يقول فيها قولاً أكثر وضوحاً : فهي ليست دخاناً ملتهباً كما قيل ، ولكنهم تتألف من نجوم كثيرة متقاربة . وبؤكد ابن رشد أن المجرة مؤلفة من كواكب (الآثار العلوية ١٨) .

وشكل الأرض عند ابن رشد أيضاً كروي ، وهو يورد على كروية الأرض دليلاً بارعاً ، قال (رسائل : السماء والعالم ٦٢ - ٦٣) إن البدر يُخْتَسَفُ بظلِّ الأرض يرى خسوفه (الجزئي) هلالياً . وهناك عند سبب آخر (ص ٦٣) هو أنه إذا سار الانسان في الأرض أدنى (أقل) مسير ظهرت له في السماء كواكب لم تكن ظاهرة له من قبل .

* * *

(١) إن ابن رشد يستند في ذلك إلى أقوال الذين سبقوا .

وينسب إلى ابن رشد ملاحظتان في الفلك على غاية من البراعة : أولاهما رؤية الكلف على وجه الشمس والثانية منها مشاعدة عبور الكوكب عطارد على قرص الشمس بالبرهان الحسابي .

(١) نقل العالم الرياضي الفلكي منصور جرداق (١) عن صناجة الطرب (٢) و « حضارة العرب » (٣) هذه الجملة : « وهو (ابن رشد) أول من رأى كُلفَ الشمس وكتب عنها » . والجملة في « صناجة الطرب » (ص ٤١٣) : « وابن رشد .. رأى كُلفَ الشمس وكتب عنها قبل أن عرفها أهل أوروبا » . ولم أعثَر على كتاب « حضارة العرب » .

وكُلف (٤) الشمس بقع غير منتظمة (٥) تظهر مظلمة على وجه الشمس

(١) مآثر العرب ٢٢

(٢) نوفل بن نعمة الله نوفل (١٨١٢ - ١٨٨٧ م) من أهل طرابلس الشام أديب مثقف يحسن العربية والتركية والفرنسية ويهتم بالجانب الحضاري والثقافي من تاريخ الأمم . له عدد من الكتب منها « صناجة الطرب في تقدمات العرب » .

(٣) « حضارة العرب » كتاب من تأليف أسعد مفلح داغر (١٨٨٦ - ١٩٥٨ م) كان من دعاة القومية العربية والعاملين على تحقيق الوحدة العربية والناشطين في المطالبة باستقلال العرب ، اشتغل بالصحافة مدة طويلة . له من الكتب « ثورة العرب » (١٩١٦ م) - « حضارة العرب » (١٩١٨ م) - مذكرات على هامش القضية العربية (١٩٥٨ م) . ومع أن كتاب « حضارة العرب » قد أعيد طبعه (١٩١٩ م) فأنا لم أستطع أن أقع على نسخة منه .

(٤) الكلف (بضم ففتح) جمع كلفة (بالضم) : بقعة ترى مظلمة على وجه الشمس لأنها فجوة أو رقعة أكثر برودة مما حولها .

(٥) غير منتظمة : متعرجة المحيط ، ليست دائرة مثلاً ولا هي مستقيمة الأضلاع .

وهي - فيما يبدو - فجوات واسعة في جرم الشمس لا يصدر منها نور . من أجل ذلك تبدو قائمة . وإذا كانت ابن رشد فعلاً أول من رأى الكُلفَ وعرفها فتكون براءته في الفلك العملي (الرصد) عظيمة جداً . وخصوصاً لأن الأدوات التي تُعرَف تلك الكُلف بها لم تكن في أيام ابن رشد وافية ولا كافية .

ب (وينسب إلى ابن رشد أنه شاهد مرور الكوكب عطارد على قرص الشمس بعد حسابان حركة عطارد . وهذا يقتضي براءة أعظم من البراعة في رؤية الكُلف . يقول منصور جرداق : (مآثر العرب ٢٢) : « وعرف (ابن رشد) بواسطة الحساب الفلكي وقت عبور عطارد على قرص الشمس فرصده وشاهده بقعة سوداء على قرصها في الوقت المعين . وهذا الأمر لا يتصدى له في وقتنا سوى الراسخين في الرياضيات الفلكية » . ويذكر جرداق أنه أخذ ذلك من كتاب « خلاصة تاريخ العرب » ، من الصفحة ٢١٥ . وبالرجوع إلى هذا الكتاب ، وهو في الحقيقة تهذيب (مختصر) لكتاب العالم الفرنسي سيديو نقله إلى العربية محمد بن أحمد عبد الرزاق (١) أحد المترجمين في ديوان الترجمة في القاهرة ومعلم اللغة الفرنسية بالمدارس الملكية المصرية ، وكان قد أمره بذلك علي باشا مبارك (٢) .

(١) محمد أحمد عبد الرزاق موظف في قلم الترجمة في وزارة المعارف المصرية ومعلم اللغة الفرنسية ، كانت وفاته سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣ م) .

(٢) علي مبارك عالم مصري ولد سنة ١٢٣٩ (١٨٢٤ م) وذهب في بعثة إلى باريس فتعلم العلوم الرياضية والطبيعية والعلوم الحربية وتولى عدداً من الوزارات وله آثار عمرانية وثقافية منها دار الكتب المصرية . وله مؤلفات منها « الخطط (بكسر الخاء) التوفيقية » وغيرها . وقد أشرف على نقل كتاب « خلاصة تاريخ العرب » للعالم الفرنسي سيديو (انظر هامش الصفحة التالية) وقد كانت وفاته سنة ١٣١١ (١٨٩٣ م) .

ولكن يبدو أن الترجمة لم تكن دقيقة فعمد علي مبارك نفسه إلى نقل الكتاب من جديد أو إلى تنقيحه تنقيحاً كبيراً ، فقد قال علي باشا مبارك : « فوجدت به (في الكتاب المنقول) أبواباً لم تترجم وأخرى لم تستوف حقها في الترجمة . فترجمنا ذلك وصححنا الكتاب وقابلناه على الأصل كلمة كلمة . ثم كلفنا به العالم النحرير الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ السيد الشرفاوي الشرشيمي وأمرناه أن ينشئه إنشاء عربياً فصيحاً . فأخذ ينشئ ويقرأ علينا ما كتبه بخطه . ثم صححنا أسماء البقاع والرجال وقابلناه على أصلها الفرنجي وسميناه « خلاصة تاريخ العرب » (ص ٥ - ٦) . والجملة موضع الاستشهاد هي ، في كتاب « خلاصة تاريخ العرب » (ص ٢١٥) ، التي تلي :

« وعزي إليه (إلى ابن رشد) شرح على المجسطي ظن إحصاره بقعة سوداء في قرص الشمس يوم عرف من الحساب الفلكي زمن مرور كوكب عطارد »

ثم بالرجوع إلى كتاب سيديو^(١) (٢ : ٢٩) قرأنا :

« وكان (ابن رشد) يجب أن يرصد (الكواكب) وكان قد اعتقد أنه بَصُرَ بنقطة مرداء على (قرص) الشمس في يوم دله (فيه) الحساب على (أن ذلك كان) عبوراً لـ (كوكب) عطارد » .

(1) Louis Pierre Sédillot, Histoire générale des Arabes, Paris 1877 .

وسيديو مستشرق فرنسي (١٨٠٨ - ١٨٧٥ م) كان أبوه أيضاً مستشرقاً يعنى بالفلك . واتجاهه في دراسة التاريخ العربي اتجاه سليم .

ولم يذكر سيديو من أين أخذ ذلك . وقد لفت نظري أن ما قاله منصور جرداق كان أقرب إلى الأصل الفرنسي من قول الترجمة المباشرة عن اللغة الفرنسية ، مع اعتقادي بأن منصور جرداق لم يعرف في الأغلب كتاب سيديو في أصله الفرنسي .

ولا أعلم إذا كان منصور جرداق قد اطلع على كتاب سيديو في أصله الفرنسي ، مع أنه قد عدّ في كتابه « المعجم الفلكي » بضعة كتب باللغة الفرنسية منها كتاب سيديو نفسه . وفيما يلي كلمة في عبور عطارد على وجه الشمس ندرك منها حقيقة المهمة التي نصب ابن رشد لها نفسه .

عطارد أصغر الكواكب في نظامنا الشمسي - وحجمه أكبر قليلاً من حجم القمر الذي يدور حول الأرض ثم هو أقرب هذه الكواكب إلى الشمس . وعطارد يدور على محوره في نحو ستين يوماً من أيام الأرض ويدور حول الشمس في نحو ثمانية وثمانين يوماً . والمفروض أنه في كل دورة من دوراته حول الشمس يعترض مرة واحدة بين الأرض والشمس ، ولكن هذا الاعتراض بين الأرض والشمس مكانياً لا ينشأ منه « اقتران » (أي اجتماع الأرض وعطارد والشمس في خط نظر واحد) إلا قليلاً . إن عطارد يمر أحياناً فوق قرص الشمس (بالإضافة إلى الناظر إليه من أرضنا) ويمر أحياناً فوق قرص الشمس .

وفي بعض الأحيان يرى عطارد ماراً على قرص الشمس ، فهذا المرور على قرص الشمس يسمى عبوراً . إلا أن هذا العبور قد يكون جزئياً فيمس عطارد قرص الشمس مساً في أعلاه أو في أدناه وبدوم بضع ثوان ويكون هذا العبور أحياناً على قطر الشمس مثلاً ويدرم بضع ساعات .

وفي رصد عطارد وهو ماراً على قرص الشمس عدد من المصاعب :

١ - إن العبور الطويل لعطارد على قرص الشمس نادر فيجب أن يتسقط الراصد هذا العبور طويلاً .

٢ - إن هذا العبور يكون في النهار فيمر الكوكب الصغير الضئيل النور على قرص الشمس الكبير المضيء ويرى جسماً صغيراً ضئيلاً يتحرك على وجهها .

٣ - يدخل في معادلة العبور هذه حركة عطارد حول الشمس وحركة الأرض على محورها وحول الشمس أيضاً .

٤ - إن معظم الأوقات التي يحدث فيها هذا العبور يكون بعد الضحى (بعد ارتفاع الشمس عن الأفق الشرقي للأرض في رأي العين) حين يكون نور الشمس على أشده .

٥ - وأكثر ما يحدث هذا العبور في أيار (مايو) أو تشرين الثاني (نوفمبر) ، وربما كان الجو غائماً فتتعدى الرؤية .

ولقد كان من الأيسر على ابن رشد (من الناحية العملية) أن يرصد عبور عطارد في الوقت الذي يكون عبور عطارد فيه في الصباح الباكر (بعد قليل من شروق الشمس) .

١ (يرصد ابن رشد عطارد قبل طلوع الشمس ويعين موقعه في السماء بالاضافة إلى أفق الأرض وإلى نقطة شروق الشمس على الأفق .

ب) بحسب ابن رشد سرعة عطارد في فلكه وسرعة الأرض حول نفسها (على محورها) ، مع حسابان سرعة الشمس (لأن ابن رشد كان يعتقد أن الأرض ثابتة وأن الشمس هي التي تدور حول الأرض - ولكن

هذا لا يبدل شيئاً ، لأن حسابان حركة الشمس حول الأرض في رأي العين هو حسابان حركة الأرض حول نفسها (.

ج (وحينما يصح حسابان ابن رشد يبصر نقطة صغيرة تدخل قرص الشمس من الشرق (عن يسار ابن رشد) ثم تتقدم ببطء نحو الغرب .
د (وإذا كان حسابان ابن رشد دقيقاً فإنه يرى هذه النقطة السوداء تغادر قرص الشمس من جانبها الغربي (على يمين ابن رشد) .

هـ (ويكون من حظ ابن رشد أن يحدث عبور عطارد بعيداً عن كلف الشمس أو حينما لا تكون تلك الكلف مواجهة للأرض . وربما كان من غير العسير على ابن رشد أن يميز عطارد من كلف الشمس ، فعطارد جرم صغير منتظم (دائرة قائمة) وكلف الشمس كبيرة في الأغلب وغير منتظمة .

و (ولا اعتقد أن ابن رشد كان باستطاعته (في التفريق بين الكلف الصغيرة على وجه الشمس وعطارد) أن يدخل في حسابانه دوران الشمس على محورها (في كل خمسة وعشرين يوماً مرة واحدة) ليعرف الفرق بين سرعة عطارد على وجه الشمس وسرعة الكلف على وجه الشمس أيضاً .
ز (وبما أن عطارد يكون أثبت في رأي العين من الشمس (بالإضافة إلى الواقف على سطح الأرض) ، فلهذا كان من المعقول أن يرى ابن رشد عطارد يقطع قرص الشمس من الشرق الشمالي إلى الغرب الجنوبي (لأن الشمس في طلوعها ترتفع — في رأي العين — من الجنوب إلى الشمال : من أدنى إلى أعلى) .

هذه كلمة في ابن رشد الفقيه الفيلسوف ، ولكنها في العلم الطبيعي والرياضي : في علم المناظر (البصريات) والهيئة (الفلك) . وقد بدا أن ابن رشد كان عالماً طبيعياً كما كان فلكياً أيضاً ، مع أن معظم الدارسين — وأكاد أقول جميع الدارسين ، منا على الأقل — قد وجهوا اهتمامهم كله إلى ابن رشد الفيلسوف النظري وأهملوا آراء ابن رشد الرياضية والطبيعية . فحبذا أن يقوم منا نفر ينصفون جميع علمائنا بالالتفات إلى آرائهم العلمية البحت (حينما يكون مثل هذا الالتفات ممكناً) .

بقيت كلمة اعتذار^(١) :

لا يبعد أن يرى الزملاء الكرام — من علماء الرياضيات والطبيعات — أخطاء قليلة أو كثيرة في هذا المقال ، فأرجو أن يحمل الذنب عليهم هم لا عليّ أنا . لقد كان من الأوجب أن يقوموا هم بمثل هذه الدراسات العلمية (وإن كنت أنا لا أسمي مقالتي هذا دراسة علمية ، بل أسميه عرضاً بسيراً لفكرة علمية معينة) . فحبذا أن يكون لهذا المقال — برغم ما يمكن أن يكون فيه من الأخطاء — صواب واحد : حث البارعين منا في علوم التمهيم (العلوم الدقيقة من الرياضيات والطبيعات) على الاهتمام بالآثار العلمية عند علمائنا وعند فلاسفتنا على السواء . والله من وراء القصد .

بيروت : عاشر ربيع الأول ١٣٩٨

عمر فروخ

١٩٧٨/٢/١٨

(١) كان للجنة المجلة بعض الملاحظات التي تتناول بعض الحقائق العلمية الخاطئة في المقال ، ولكنها طوتها أمام كلمة الاعتذار هذه مقدرة جهود الزميل الدكتور عمر فروخ وغيرته على التراث العربي العلمي والانساني وحرصه على إحيائه وجلائه .

معبداً بحسني

الدكتور يوسف فان اس

- ٢ (*) -

إن هذا الاضطراب قلما يمس الفرق بين زوج « أم موسى » من جهة « وفرد » من الأساورة ، من جهة أخرى . فأحد الأمرين لا يتعارض مع الآخر . فهناك نساء كثيرات يسمين أم موسى ورد ذكرهن عند ابن سعد . وعلى كل حال ، فإن واحدة منهن تستحق اهتمامنا (١) ، وهي تلك التي قيل عنها (٢) إنها كانت تروي عن علي ، وكان ينقل عنها مغيرة ابن مقسم الضبي (الكوفي توفي عام ٧٥١/١٣٣ أو بعد ذلك بقليل) . لقد كانت تلك المرأة ، كما رأينا في مكان آخر (٣) ، زوجة علي ، وعادت فتزوجت بعد وفاته (في عام ٦٦٠/٤٠) . وزوجها لم يكن غير أبي يونس الآنف الذكر . وهو من مواليد الأوساط الفارسية الرفيعة . وكان قد انضم من قبل إلى بني تميم في البصرة (٤) . ومن المحتمل أن يكون

(*) نشر القسم الأول من هذا المقال في الجزء السابق (مج ٥٣ ج ٢ ص ٢٧٩)

(١) كل الآخرين كانوا يعيشون بالحجاز (قارت ابن سعد ج ٥ ص ٤٠ س ١٠ ، و ص ٥٢ س ٢٣ ، و س ٢٣٨ س ٢٤) .

(٢) ابن سعد ج ٨ ص ٣٥٦ س ٢٠

(٣) الذهبي « الميزان » رقم ١١٠٣٦

(٤) حتى إن المؤرخين العرب قد أخذوا بهذه العلاقة . فعند الذهبي (الميزان =

ذلك « الملعون من بني عوانة » قد عاش في نفس هذه البيئة ، وهو

= رقم ٣٦٣٤) وابن حجر الذي مشى على إثره (لسان الميزان ج ٣ ص ١٣١) يذكر شخصاً يدعى سيسويه (كما جاء عند ابن حجر وفي مخطوطة للميزان) (أو سستويه) كما جاء في مخطوطة أخرى « للميزان » صدرت عن سبط ابن العجمي ، (توفي عام ١٤٣٨/٨٤ وبكلمة أخرى ، عن معاصر لابن حجر) ، ويوصف بأنه زوج والدة موسى الأسواري . إن هذين الاسمين جاءا عن الأخبار التي كانت متداولة في بيئة الرواية التي كان البلخي والمقرزي على اتصال بها . أما لفظة « والدة موسى الأسواري » فقد استنتجت من عبارة أم موسى عند ابن سعد . وإنه لمن المشكوك فيه أن يكون هذا الاستنتاج صحيحاً . إنه في حادثة ذاته يبدو معقولاً : فموسى الأسواري كان قدرياً وكان معروفاً كذلك عند المعتزلة (قارن « الميزان » رقم ٨٨٧٤ و ٨٩٤٣ ، ابن المرتضى « الطبقات » ص ٦٠ س ١٣ وما بعده) . إلا أنه توفي في أواسط القرن الثاني ولربما فيما بعد وكان يأخذ عن قتادة (توفي عام ٧٣٥/١١٧ أو ٧٣٦/١١٨) ، وكان معاصراً لعوف الأعرابي (توفي عام ٧٦٣/١٤٦ أو ٧٦٤/١٤٧) . ويعد ابن المرتضى في طبقة أبي الهذيل وبشر بن المعتمر والنظام وجميعهم توفوا في القرن الثالث . ففارق الزمن بينهم وبين معبد كبير . بالإضافة إلى ذلك ينبغي أن نعتبر أن ليس من دعي « زوج أم موسى » يكون له من زوجته صبي يدعى موسى ، — ولا بد أن يكون هذا الأمر ما افترضه الذهبي ، إذا اعتبر أن نسبة موسى الأسواري تعود إلى أبيه أي يونس الأسواري ، بل قد تكون الزوجة كنيته بأم موسى لأسباب أخرى . فهذا الاحتمال ينطبق بشكل أفضل على تلك التي كانت زوجة لعلي سابقاً . ومما يجعلنا نحسب حساب الوقوع في الخطأ في هذه المرحلة المتأخرة من الروايات هو أن ابن حجر قد سمى أبا يونس الأسواري باسم يونس الأسواري فقط لاغير في مكان آخر (« لسان الميزان » ج ٦ ص ٣٣٥) ، فالترتيب حسب الحروف الأبجدية يدل على أن ابن حجر نفسه قد وقع في الخطأ وليس الناسخ أو مصنف حروف الطباعة في وقت لاحق . ومن جهة أخرى فإن الشهرستاني قد وقع في هذا السهو أيضاً (قارن « الملل والنحل » ص ٣٥ س ٥ من تحت ، تحقيق Cureton) وفي مكان آخر فإن يونس هذا قد ساواه ابن حجر بـ سيسويه / سستويه . وقد اخطأ في كتابة الاسم فأصبح سيسويه .

الشخص الذي وصفه يونس بن عبيد بأنه الثالث في الرابطة . فبنو عوانة هم أيضاً إحدى قبائل بني تميم (١) . والمسألة الأصعب هي في التحقق من الاسم : فهو سنهويه عند ابن سعد وسنسويه عند البلخي والمقريزي . والمستندات الجديدة لا تساعد في تفسير هذه المسألة : فبدلاً من الشككين السابقين يطالعنا ابن عساكر بشكل ثالث هو سنسويه . ويمكن قراءة الاسم على هذا الشكل بقدر ما يسمح بذلك الخط غير المنقط تنقيطاً كاملاً - أو غير الواضح التنقيط على الأقل - . إلا أن ابن عساكر يشير إلى أن أبا داود (توفي عام ٢٧٥ / ٨٨٨) ، صاحب مجموعة الأحاديث المشهورة ، لم يشأ إلا أن يتلو الاسم بالتاء أي سنسويه . ومرة أخرى نجد الشكل الذي استعمله المقريزي في كتاب « خلاق الأفعال » للبخاري (٢) . ويأتينا الذهبي وابن حجر ، كما رأينا (٣) ، بالأشكال الثلاثة التالية : سيسويه وسنويه وسيدويه . وفي طبعة كتاب « الشريعة » للأجري نقرأ الشكل الكامل المتفرخ وهو سيسفوه . أما في المخطوطة فنقرأ سيسفويه ، وهذا أقرب إلى الحقيقة إذا ما قيس بالشكل الآخر (٤) .

ولإيجاد الحل لا بد لنا من أن نثبت أولاً من تصغيرات التجبب هذه يمكن توضيحه توضيحاً لغوياً ، أو على أي منها يمكن العثور ، مرة

(١) قارن كحالة « معجم قبائل العرب » ص ٨٥٣

(٢) قارن علي سامي النشار وعمار جمعي الطالبي « عقائد السلف » ص ١٦٧ س ٨

(٣) انظر الحاشية ٤ من الصفحة ٥٢٧

(٤) قارن ص ٢٤١ س ٦ من تحت والحاشية .

أخرى ، في غير هذه الروايات . وهنا يتضح لنا أن تلاوة أبي داود لها ما يبررها . فهي تعطي الاسم مدلوله : فكلمة سنسويه تعني إلى حد ما « المستضعف الصغير » . ومن المؤكد أن أبا داود كان ملماً بالفارسية ، باعتباره من مواليد سجستان . ومع ذلك فإن شهادة الذهبي في كتابه « المشتبه » تناقض ذلك . فهو لا يعرف إلا اسمي سنسويه وسنوييه^(١) . ولم يزد ابن حجر في كتابه « تبصير المنتبه » شيئاً إلى ذلك^(٢) . كما أن المعلومات في « القاموس »^(٣) وفي « تاج العروس »^(٤) تقتصر على هذه المواد فقط . ولم يتوصل Noldeke إلى تفسير للاسمين يطمئن إليه ، وهو الذي عالج هذه الأشكال في دراسة لا تزال تعتبر مرجعاً إلى الآن^(٥) . فهو يرى ، بالنسبة لسنسويه ، أنه مشتق من سنفروه أو سنخره . ويستبعد صلاته بـ « ساسان » لأنه من الأصح في هذه الحال أن يكون الشكل المشتق منه سامسويه وليس سنسويه^(٦) . أما بالنسبة لسنوييه ، فهو يرى له صلة بـ « دوتوست » أي خامل^(٧) . وهكذا

(١) « المشتبه » ص ٣٥٨ س ١١ وما بعده (البجاوي) ، هنا مع الحركات اللازمة

(٢) « تبصير المنتبه » ص ٦٨ س ١ وما بعده .

(٣) ج ٤ ص ٢٣٤ س ١٠ والذي يليه ، وج ٢ ص ٢٢١ السطر الثاني قبل الأخير وما يليه .

(٤) ج ٩ ص ٢٣٤ س ٢٢ وما يليه ، وج ٤ ص ١٦٧ س ٨ وما بعده .

(٥) Persische Studien فصل ١ في Sitzungsberichte, Wiener Akademie ١٨٨٨/١١٦ ص ٣٨٨ وما بعدها . قارن أيضاً W.Eilers في Acta Orientalia ١٩٥٦/٢ ص ٢٠٧ والتي تليها وص ٢١١ والتي تليها .

(٦) المرجع نفسه ص ٤٠٣ والتي تليها .

(٧) المرجع نفسه ص ٤٠٤

يبدو أن هذا الشكل ليس إلا وجهاً آخر لـ « سستويه » الوارد عند أبي داوود . ولم يقف Nöldeke على الأشكال الأخرى مع أنه مختص مراجع أدبية عديدة ، كجادة لمجموعته . أما يوستي (Justi) فلم يتعدّه بحثاً في مؤلفه (كتاب الأسماء الفارسي) « Iranisches Namenbuch » .

بهذا نكون قد حصلنا على بعض المقاييس التي تسمح لنا بإلقاء نظرة أولى على مواد البحث . إن « رسم » الاسم ينطوي على كثير من التأويلات . وبالإضافة إلى ذلك يجب أن ننطلق من الواقع التالي ، وهو أن نساخ تلك النصوص المعنية لم يكونوا على معرفة جيدة بأشكال الأسماء الفارسية . فالوقوع في أخطاء نسخية كان أمراً غير مستبعد . ويمكننا أن نرى بالتأكيد في شكلي سيسفويه وسيسفوه المتفرخين خطأً من هذه الأخطاء . وهذا أكيد بالنسبة لشكل سيسويه الذي ظهر فيما بعد ، بل وأكثر تأكيداً بالنسبة لـ سيسويه الذي لم يقرأ (أو بطبع) إلا بهذا الشكل عند ابن حجر . ويبدو الأمر صحيحاً أيضاً بالنسبة لسنسويه ، مع أن هذا الشكل ورد في زمن مبكر عند البخاري والبخاري . إن مخطوطات هذه المؤلفات لم تكن بأية حال قديمة كقدم تلك المؤلفات . ومن ناحية أخرى ينبغي أن ندخل في حسابنا أن الناشر الذي كان على علم بالشكل الوارد عند المقرئ فقط ... نقول إن ذلك الناشر بالذات قد علّل الشكل الذي اعتمده ، مستنداً عن قصد أو غير قصد ، إلى ما عرفه عند المقرئ . وهكذا فإن شكل سنهويه الوارد عند ابن سعد يبقى معزولاً . ويسهل علينا الآن الفصل بين شكل سنسويه أو شكل سيسويه / سستويه ، إذا ما رجعنا إلى قول الأوزاعي . يبدو لنا أن مؤلف

« القاموس » قد فهم سنو به على أنه تصغير تحبب لاسم سوسن أو سوسن (١) . ونجد في « تاج العروس » ، علاوة على ذلك ، ملاحظة ساخرة تقول إن الاسم لا يقرأ مسنويه فحسب ، وإذا أيضاً سُسْنويه (٢) . وهذا يمكن تماماً من الناحية اللغوية البحث . إن اختصار الصيغة المجردة في التصغير أمر شائع . من الحق أن المسألة بالنسبة للأمثلة التي عرفناها إلى الآن تتعلق بتشويه أول الاسم أكثر مما تتعلق بإدغامه (٣) . ولكن لا ننسى أنه قد ورد اسم أبّويه كاسم تحبب لعبد الله (٤) ، وحمّويه (كصيغة أخرى لحدويه) ل محمد (٥) . وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار ما سبق فيكون الأوزاعي قد فعل ما فعله مؤرخ العراق بنقله الاسم على هذا الشكل . لقد كان يقدر ابن عون حق قدره (٦) . ويُظن أنه اتصل به بطريقة أو بأخرى . ومن المحتمل أن ينظر إلى قوله على أنه جاء

من تحقيق الدكتور عبد الحميد

(١) ج ٤ ص ٢٣٤ س ١٠٠ والذي يليه .

(٢) ج ٩ ص ٢٣٤ س ٢٢ تحت اسم سوسن .

(٣) قارن Noldeke المرجع نفسه ص ٤٠٨ والتي تليها .

(٤) قارن « الديوان » للصنوبري رقم ٣٥١ = ٣٩٤ السطر قبل الأخير

(إحسان عباس) . إنني لا أرى أن يقرأ الاسم أبّويه حسبما يقول الناشر ، فهذا

تركيب نحوي ولفظة أبّويه لها نفس الوزن . فيما يتعلق بالاسماء المشتقة من عبد الله

قارن لفظة عبو الكردية لدى Noldeke ص ٤٠٧

(٥) قارن Noldeke ص ٤٠٩ وللتشديد قارن الذهبي « المشتبه » ص

٢٥٠ س ٩ (البجاوي) . قارن أيضاً اسم سنّويه المشتق من إسماعيل لدى Noldeke ص ٤٠٨

(٦) قارن يعقوب بن شيبه « مسند عمر » (بيروت ١٣٨٩/١٩٦٩) ص ٥٦ س ٤

متأخراً ، لأنه - أي الأوزاعي - كان أصغر سنّاً من ابن عون وأصغر من يونس بن عبيد أيضاً (١) بالإضافة إلى أنه لم يكن من أصل عراقي. لقد نقل الاسم في صيغته المجردة ، تلك الصيغة التي كانت أقرب إليه (٢) من التصغير الفارسي نظراً لنشأته في بيئة آرامية . وعليه ، فإن شكل سنويه يبدو كأنه الصيغة الصحيحة . وبالرغم من مكانة أبي داود الأدبية فإن شكل سنويه يبقى ، حسب تقديرنا ، اقتراحاً للقراءة ينم عن ذكاء وتبصر ليس إلا .

ويكمل الأوزاعي الروايات العراقية في نقطة واحدة : إنه يعرف الدوافع الدينية للماجد الفارسي . ومع ذلك فإنه عندما يعلن عنه أنه نصراني ، فإنما يفعل ذلك عن غاية في نفسه . وقصده لم يكن معبداً بقدر ما كان غيلان الدمشقي . فلا عجب إذاً ، أن يخالفه البخاري في ذلك : ففي الفقرة المذكورة من كتاب «خلق الأفعال» ، (٣) يرى هذا الأخير في سنويه / سنويه مجوسياً اعتنق الاسلام . ويقول إن أهل البصرة قد انضموا إليه ، بينما لم يجذب الحسن البصري حذوهم . والغاية هي نفسها هنا وهناك : إن الإلحاد في الاسلام مردّه إلى التأثيرات

(١) توفي عام ١٥٧/٧٧٤ عن عمر يناهز السبعين عاماً (قارن EI ط . ثانية ، تحت الاسم المذكور) .

(٢) قارن لفظة شوشنتا السريانية «زنبقة» وهذا هو معنى الاسم المقصود هنا ، مع أنه يعطى بصفة عامة للنساء .

(٣) انظر الحاشية ٢ من الصفحة ٣١٤

الخارجية (١) . ومن الصعب البتّ في أي منها على حق . فرواية البخاري هي أيضاً منقولة عن غيره . ولعله استنتج الانتماء الديني باستناده إلى تفسير الاسم : فصِلَةُ الأساورة بالمجوسية كانت صلة قريبة للعقل . لكنّ بني تميم الذين انضم الأساورة إليهم كانت بعض جماعاتهم تدين بالنصرانية (٢) . وكانت الديانتان تُتخذان كوسيلة للتنفير والترهيب في الدعايات الدينية . وجاء في حديث واسع الانتشار أن القدرين هم « مجوس هذه الأمة » (٣) كما جاء في حديث أقل انتشاراً من الأول « اتقوا القدر ، فإنه شعبة من النصرانية » (٤) . وتشير إحدى الملاحظات التي يؤكد أصحابها أنها

(١) من المعروف أن ذلك كان تصوراً سائداً . كذلك يرى الجاحظ أن معتنقي الإسلام الجدد هم الذين يدخلون الهرطقات فيه (قارن « الرد على النصاري » Finekel ١٧) . ولربما يكون الجاحظ قد قصد بدعاً أخرى غير هذه . وحسب روايات المعتزلة فإن يوسف السمني قد أخذ نظرية « التكليف بما لا يطاق » عن زنديق من واسط يدعى ضرير (قارن القاضي عبد الجبار « المغني » ج ٨ ص ٤ س ٨ والذي يليه) .

(٢) قارن EI ط . أولى في باب Tamīm

(٣) قارن بالاضافة إلى ذلك بحثي Zwischen Hadīt Und Theologie ص ١٣٧ وما يليها .

(٤) قارن الذهبي « الميزان » ٩٠٢١ . وكذلك بحثي المشار اليه في الحاشية السابقة ، ص ١٢٩ . للحصول على مواد أخرى المرجع نفسه ص ١٣٩ الحاشية رقم ٣١ (وكذلك Muslim Theology A. S. Tritton ص ١٨ وما بعدها .

نقلت عن الناسك والفقير البصري مسلم بن يسار (توفي عام ١٠٠ / ٧١٩) (١) أن أي عراقي لم يكن قط يفكر بتأثير الزرادشتية أكثر مما يفكر بتأثير النصرانية . فلقد جاء في تلك الملاحظة أن معبداً يتكلم كالنصارى (٢) . إذاً فقد يجوز لنا ، والحالة هذه ، أن نرجع قول الأوزاعي على غيره .

أما بالنسبة لابن عون ويونس بن عبيد ، فمسألة الدين لم تكن بعد واردة عندهما . وكل منهما كان أن ينالا من معبد بالتعرض لعلاقته بالأعاجم وبالموالي . ويظهر ذلك تماماً في اختيار العبارات التي استعملها ابن عون ولم تكن تلك العلاقات أمراً مستحيلاً على الإطلاق . فلقد شارك الأساورة بني تميم في الثورة ضد الحجاج (٣) . وكانوا يُعتبرون مفاوضين لامعين بحسب لهم حساب (٤) . إنما لم تكن تلك العلاقات أيضاً غير مألوفة في البصرة آنذاك . ففي أيام معبد ، أي بعد تأسيس المدينة بستين عاماً تقريباً ، كان الذين اعتنقوا الاسلام جديداً يشكلون بالتأكيد أكنية فيها . ولذا فإن حملة القدح والذم التي شنها ابن عون وزميله في أيامها لم تعط

(١) قارن « الميزان » رقم ٨٥١٠

(٢) قارن كتاب « العلل » لابن حنبل (انقرة ١٩٦٣) ص ١٧٥ رقم ١٠٨٤ ، و « تاريخ دمشق » ، كذلك « تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٢٢٦ س ٦ وما بعده : ربيعة بن كلثوم بن جبر البصري عن ابيه (توفي عام ٧٤٨/١٣٠ ، قارن « الميزان » رقم ٦٩٦٧ « تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٤٤٢)

(٣) قارن A . Abd Discon , the Umayyad Caliphate لندن ١٩٧١

ص ١٦٧

(٤) قارن وكيع « اخبار القضاة » ج ١ ص ٣٤٥ س ١ وما بعده .

نتيجة تذكر . فأغلبية سكان المدينة كانت آنذاك تقول بالقدرية (١) . كما أن مكانة معبد كانت لا تزال صامدة بعض الشيء . وفي النصف الأول من القرن الثاني ، عندما طُردَ الإباضي حمزة الكوفي من الجماعة البصرية لهذا المذهب بسبب ميوله القدرية ، وُصِفَ بأنه من أتباع غيلان الدمشقي (٢) . ولم يرد اسم معبد ولا حتى اسم سنسويه على الإطلاق (٣) .

* * *

وها نحن نؤيد قولنا بدليل آخر . من الواضح أنه يمكننا أن نعود إلى البصرة ، إلى تلك المرحلة من تاريخها ، حيث نجد معبدًا وقد كوّن لنفسه فيها مكانة طيبة . إلا أننا لا نعثر على أثرٍ للفارسي الذي ضلله . يروي بعضهم ، وهو يحيى بن يعمر ، حديثاً معروفاً ، فيقول فيه : « كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني . فانطلقت أنا وحميد بن عبد

(١) أيضاً Zwischen Hadit und Theologie ص ٦١ وما يليها .

(٢) قارن كتاب « السير » للشماخي (القاهرة ١٨٨٦) ص ٨٤ السطر قبل الأخير وما بعده ، و EI ط . ثانية ، باب Ibadiyya

(٣) لقد صرف النظر هنا عن الرواية المدنية التي لمخنا إليها بصورة عابرة فيما سبق ، وفيها يوصف معبد بأنه أول القدريين في المدينة (قارن الحاشية ٣ ص ٢٨٤ من هذا المقال) . ويظهر أنها تأثرت بالطريقة التي صاغ بها ابن عون قوله فأصبحت بالتالي ثانوية . ومن المحتمل أن يكون أبو خزيمة أنس بن عياض من أهل المدينة والمذكور في الإسناد مسؤولاً عنها ، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الزمن الذي عاش فيه (ما بين ٧٢٢/١٠٤ و ٨١٥/٢٠٠) . لقد لعب هذا الرجل أيضاً دوراً لا يستهان به في نشر الأخبار المعادية للقدرية في مسقط رأسه (قارن Zwischen Hadit und Theologie في الفهارس تحت الاسم المذكور) .

الرحمن الحميري حاجئين - أو معتمرين - فقلنا : لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر . فوقى لنا عبد الله ابن عمر بن الخطاب داخلًا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحمدنا عن يمينه والآخر عن شماله ، فظننت أن صاحبي سيكيل الكلام إليّ ، فقلت : أبا عبد الرحمن ، إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفّرون العلم . وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف (١) . قال فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني . والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر (٢) ، ثم قال : حدثني أبي عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر للسفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه (٣) ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام

ويمكننا أن نتوقف عند هذا الحد : يجب النبي فيسترد في تفسير

(١) ملاحظة لأحد الرواة المتأخرين . قارن Zwischen Hadit und Theologie ص ٤٨ فيما يتعلق بوصف مذهب القدرية المذكور هنا .

(٢) إن هذه الجملة ليست سوى تصور سائد ، وكثيراً ما استعملت في أمكنة أخرى ضد القدرين (قارن الأجرى « الشريعة » ص ١٨٧ س ٤ من تحت ، و ص ٢٠٣ س ٧ وما قبل الأخير) . لقد كانت الناس يشعرون بالخروج من تقوأم .

(٣) حركة تدل على الإصغاء والتعلم .

تعاليم الإيمان موضعاً مفاهيم الإسلام والإيمان والإحسان ومحددات كلاً منها ومعلنات في جملة ما يعلنه أن الإيمان بالقدر خيره وشره هو من عقيدة الإسلام (١). ويؤكد الرسول أنه تبين له فيما بعد أن ذلك الزائر الغامض لم يكن غير جبرائيل (٢).

يشتمل هذا الحديث على شطرين : الشطر الرئيسي ، والتوطئة التي تروي الحكاية (وهي التي أدرجت هنا بالدرجة الأولى) ، هذه الحكاية التي يتداخل فيها اسم الراوي الأول عبد الله بن عمر والراوي الثاني يحيى ابن يعمر . وبوصلنا الإسناد إلى عبد الله بن بريدة ، أحد القضاة في مرو ، وقد توفي في عام ٧٣٣/١١٥ (٣). ومن ثم يؤدي بنا إلى البصرة حيث تقع عليه عند اثنين من الحفاظ ، دون اختلاف جوهري في متنه . هذان الاثنان هما الناسك كهس بن الحسن (توفي عام ١٤٩ / ٧٦٦) (٤) ، ومطر الوراق (توفي عام ١٣٠ / ٧٣٧) ، أحد خصوم عمرو بن عبيد (٥).

(١) « أن تؤمنوا بالقدر خيره وشره » . قارن Zwischen Hadit

Und Theologie ص ١١٩ فيما يتعلق بهذه العبارة .

(٢) قارن « صحيح مسلم » ، كتاب الإيمان ١

(٣) قارن الذهبي « تذكرة الحفاظ » ص ١٠٢ رقم ٩٥ ، وكيع

« أخبار القضاة » ج ٣ ص ٣٠٦

(٤) كما عند مسلم « الإيمان ١ » ، وفيما يتعلق بكهس قارن الذهبي

« الميزان » رقم ٦٩٨١

(٥) كما جاء عند مسلم « الإيمان ٢ » ، مع مقدمة مختلفة بعض الشيء ،

قارن أيضاً الآجري « الشريعة » ص ٢٠٤ س ٥ من تحت ، بالنسبة لمطر

قارن « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ١٧٦ وما بعدها .

ولربما جاز لنا أن نفترض ، ولو إلى حين ، أن تاريخ وفاة الورّاق هو بمثابة نقطة بداية : فإن الرواية القائلة أن معبداً هو مؤسس القدرية كانت قد أطلقت في البصرة قبل عام ٧٤٧/١٣٠ ، وذلك بعد فتنة ابن الأشعث بزمان بعيد ، ولربما أيضاً بعد وفاة الحسن البصري (٧٢٨/١١٠) . ومرة أخرى نرانا نقرب من عهد يزيد بن الوليد . إلا أن هذا التاريخ يتجاوز ذلك الماضي الذي رويت فيه حكاية مسنويه المرتد . وهكذا فإن ما كان ظناً واحتمالاً لدى معالجتنا شكل الرواية يصبح أكيداً لدى مراجعتنا الإسناد . ويمكننا توضيح ذلك توضيحاً أتم وأكمل .

إن هذا لا يعني أن الحديث كله قد زُيِّف في البصرة في ذلك الزمن . فبصورة عامة تتطور الأحاديث بشكل أكثر تعقيداً مما نتصور (١) . والظاهر أن التوطئة التي يُذكر فيها معبد ، إنما أضيفت إلى الحديث فيما بعد . ويمكن التدليل على ذلك بتحليل مضمونه . فليس المقصود من الحديث بحد ذاته التشديد على تعاليم القضاء والقدر بالدرجة الأولى . صحيح أن الحديث يذكر تقدير الخير والشر ، ولكنه يذكره مع غيره من العقائد الإسلامية ولا يأتي مطلقاً في نقطة تسترعي الانتباه بصورة خاصة . فالناس لم يقفوا هذا الحديث نظراً إلى إشارته إلى هذه المسألة الدينية ، وإنما وجدوا فيه في وقت لاحق وسيلة مفيدة لطرح هذه المسألة على بساط

(١) أعود هنا إلى بعض مذكرته في بحثي Zwischen Hadit und Theologie في معالجة موضوع آخر (ص ٧ ؛ وما يليها) . بالنسبة للطريقة المتبعة هنا التي تبدو بديهية بعض الشيء والتي تنقصها الأمثلة لتصبح أكيدة ، أرجو الاطلاع على ما قلته في البحث المذكور .

البحث . ويتأكد ذلك إذا ما قارنا بين المصادر . لقد ورد هذا الحديث مراراً وتكراراً ، وذلك لتميزه بطابع تعليمي ديني ، على ما يظهر . إلا أن التوطئة قد سقطت من أكثر الروايات ، وإذا ظهرت فإنما دون الإشارة إلى معبد . وهذا ما لدينا من المصادر نعرضه بإيجاز لأخذ نظرة عامة عنه :

هناك أولاً صيغ الرواية التي وردت دون الإشارة إلى التوطئة المذكورة أعلاه . وإحداها (١) تعود بنا إلى كهس ، كتلك التي عالجناها إلى الآن ، وعليه فقد كانت معروفة في البصرة . نقلت عن محمد بن جعفر البصري المعروف باسم غندر (توفي عام ٨٠٨/١٩٢ أو ٨١٠/١٩٤) (٢) ، وعن يزيد بن هارون الواسطي (عاش بين عامي ٧٣٥/١١٧ أو ٧٣٦/١١٨ و ٨٢١/٢٠٦) (٣) وكذلك نقلت عن وكيع بن الجراح (عاش بين عامي ٧٤٦/١٢٩ و ٨١٢/١٩٧) (٤) والذي يرد عند مسلم كثقة للصيغة الموسعة . وإلى جانب هذا ، فقد وردت أسانيد مختلفة تمام الاختلاف ليس لها أصول في البصرة . كتلك الذي ذكرها البخاري (٥) وابن ماجه (٦) والنسائي (٧) ، وهي على

(١) « مسند » ابن حنبل ج ١ ص ٥١ س ٩ من تحت وما بعده ، وج ١ ص ٣١١ والتي تليها رقم ٣٦٧ وما بعده ، ابن ماجه « المقدمة » ٩ رقم ٦٣

(٢) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٩ ص ٩٦ وما بعدها

(٣) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١١ ص ٣٦٨

(٤) قارن Sezgin GAS ٩٦/١ والتي تليها .

(٥) « الإيمان » ٣٧ وتفسير سورة لقمان ٢

(٦) « المقدمة » ٩ رقم ٦٤

(٧) « الإيمان » ٣ (= ج ٢ ص ٢٦٩ س ٣ وما بعده) .

الوجه التالي : أبو هريرة (توفي عام ٦٧٩/٥٩) < أبو زرعة (ابن عمرو
ابن جرير الكوفي) (١) < أبو حيان التيمي (يحيى بن سعيد الكوفي ،
توفي عام ٧٦٢/١٤٥) (٢) وكذلك أبو فروة (عروة بن الحارث الكوفي) (٣) <
إسماعيل بن عليّة (= إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم البصري ، عاش بين
عامي ٧٣٤/١١٦ و ٨٠٩/١٩٣) (٤) وكذلك جرير (ابن عبد الحميد
الرازي ، من مواليد الكوفة ، توفي عام ٨٠٤/ ١٨٨) (٥) .

وهناك إسناد آخر عند ابن حنبل (٦) : ابن عباس (توفي ٦٨٧/٦٨) < شهر
ابن حوشب (الشامي ، توفي عام ٧٢٩/١١١ أو عام ٧٣٠/١١٢ ، وبعضهم
يقول بالاستناد إلى روايات مشوهة ؟ - إنه توفي عام ٧١٨/١٠٠) (٧) <
عبد الحميد (ابن بهرام الفزاري المدائني) (٨) < أبو النضر (هاشم بن القاسم

مركز تحقيق تراثنا في علوم الحديث

(١) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١٢ ص ٩٩ والتي تليها .

(٢) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١١ ص ٢١٤ والتي تليها .

(٣) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٧ ص ١٧٨ والتي تليها .

(٤) قارن ابن النديم « الفهرست » ص ٢٢٧ س ١٤ وما بعدها (Flügel) .

(٥) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٢ ص ٧٥ وما بعدها .

(٦) « المسند » ج ١ ص ٣١٨ س ٤ من تحت ، وج ٤ ص ٣٣٣ والتي

تليها رقم ٢٩٢٦ م

(٧) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٤ ص ٣٦٩ وما بعدها ، « الميزان »

رقم ٣٧٥٦

(٨) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٦ ص ١٠٩ والتي تليها .

الخرساني ، عاش بين عامي ١٣٤/٧٥٢ و ٢٠٧/٨٢٣ (١) .
وهناك إسناد آخر نجده عند ابن حنبل (٢) يعود بنا إلى شهر بن حوشب
الذي كان له بعض الشأن عند أهل البصرة خاصة ، ويعتبره غيرهم ضعيفاً (٣) .
لقد جاء هذا الاسناد مشوهاً في مطالعه : عامر أو أبو عامر أو أبو
مالك < شهر بن حوشب > عبد الله بن (عبد الرحمن) أبي حسين
(المكي) (٤) < شعيب (بن أبي حمزة الحمصي ، توفي عام ١٦٢/٧٧٩
أو ١٦٣/٧٨٠) (٥) . وأخيراً نجد عند ابن حنبل (٦) جزءاً من حديث
فيه تفسير لمفهوم الايمان فقط ، مقرون ببعض الأمثلة . وهو يعتمد كذلك
على إسناد كهمس الذي كان نقطة انطلاقنا .
إلى جانب ذلك نقع على نص يقتصر على تحديد مفهوم الايمان أيضاً ،
ولكنه يختلف في صياغته ؛ وقد اشتمل على توطئة للقصة تختلف أيضاً
تماماً عن تلك التي نعرفها . أما الأسانيد فتختلف هي أيضاً بدورها عن
تلك التي رأيناها ، وهي على الوجه التالي : ابن عباس < أبو غمرة (نصر

(١) قارن الذهبي « تذكرة الحفاظ » ص ٣٥٩ رقم ٣٥٠

(٢) « المسند » ج ٤ ص ١٢٩ س ١٥ وما بعده ، وكذلك ج ٤ ص ١٦٤ س ٥ وما بعده .

(٣) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٦ ص ١١٠ س ٦ من تحت والذي يليه .

(٤) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٥ ص ٢٩٣

(٥) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٤ ص ٣٥١ والتي تليها .

(٦) « المسند » ج ١ ص ٢٨ س ٩ من تحت والذي يليه ، ورج ١

ابن عمران الضبي البصري ، توفي عام ٧٤٦/١٢٨ (١) < شعبة بن الحجاج (من مواليد البصرة ، توفي عام ٧٧٦/١٦٠) (٢) . وفي مكان آخر نجد الإسناد التالي : جوير بن عبد الله (البجلي ، نزيل الكوفة ، توفي عام ٦٧٤/٥٤) (٣) < زاذان (أبو عبد الله الكوفي ، توفي عام ٧٠١/٨٢) (٤) < أبو جناب (يحيى بن أبي حبة الكوفي توفي عام ١٥٠/٧٧٦) (٥) .

وأخيراً نقع على حديث ليس له قرابة مباشرة بجديتنا ، وهو يضيف إلى كل من مفهومي الايمان والإسلام ملاحظة عن سبل تحقيقها أفضل تحقيق (أي " الإيماء أفضل ؟) . وهذا الحديث يظهر بظهورين مختلفين ، أحدهما طويل والآخر قصير . وليس الأسانيد التي يرتبط بها من صفات مشتركة إلا أولها فقط : عمرو بن عبسة (السلمي ، وهو من أهل الشام (٦)) < أبو قلابة (عبد الله بن زبد الجرمي ، توفي عام ١٠٤/

(١) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٤٣١ والتي تليها .

(٢) قارن GAS ٩٢/١ . إن الإسناد المذكور موجود عند ابن حنبل ج ١ ص ٢٨٨ س ١٠ من تحت وما بعده ، وج ٣ ص ٣١٨ والتي تليها رقم ٢٠٢٠ ، وعند أبي داود « السنّة » ١٥ (= ج ٢ ص ٢٦٩ س ١٢ وما بعده) .

(٣) قارن ابن عبد البر « الاستيعاب » رقم ٣٢٢

(٤) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٣ ص ٣٠٢ والتي تليها .

(٥) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١١ ص ٢٠١ وما بعدها . إن الإسناد المذكور موجود عند ابن حنبل ج ٤ ص ٣٥٩ س ١٠ وما بعده .

(٦) قارن ابن عبد البر « الاستيعاب » رقم ١٩٣٧

(٧٢٢) (١) < أيوب (ابن أبي تيممة السخيتاني البصري ، توفي عام ٧٤٨/١٣١) (٢) < معمر (بن راشد ، توفي عام ٧٧٠/١٥٤) (٣) . والإسناد الثاني هو على الوجه التالي : عمرو بن عبسة < شهر بن حوشب (٤) < محمد بن ذكوان (البصري) (٥) < الحجاج بن دينار (الواسطي) (٦) . وهذا يعني أن المواد التي بين أيدينا هي في معظمها عراقية المصدر وغالباً ما تلتقي الأسانيد في البصرة أو في الكوفة ، وذلك على الرغم من التباين الشديد فيما بينها . إلا أن أحدها ، وقد ورد وفي مطلعه تشويه يستعصي تصحيحه ، فقد ضل عن طريقه وحلّ في مكة ومن ثمّ توجه إلى حمص . وهكذا نرى كيف كان الرواة يختلفون في هذه الرواية . وهي لم تتخذ صيغتها النهائية إلا بعد مرور ردهج من الزمن .

ويختلف الأمر بالنسبة لتلك الروايات التي تبدأ بمقدمة معادية للقدرية . فالشطر الرئيسي قد استقر على تلك الصيغة التي انطلقنا منها . وفيها يبرز اسم يحيى بن يعمر على الدوام في كل إسناد . أما التباين فلا يظهر إلا في

(١) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٥ ص ٢٢٤ وما بعدها .

(٢) قارن GAS ٨٧/١ والتي تليها .

(٣) قارن GAS ٢٩٠/١ والتي تليها . إن الإسناد المذكور موجود عند ابن حنبل ج ٤ ص ١١٤ س ٨ وما بعده .

(٤) انظر الحاشية ١ ص ٢٩٧ والحاشية ٧ ص ٥٤١ والحاشية ١ ص ٥٤٢ الحواشي ٦٩ و ١٩٨ و ٢٠١

(٥) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٩ ص ١٥٦ والتي تليها .

(٦) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٢ ص ٢٠٠ والتي تليها . إن الإسناد المذكور موجود عند ابن حنبل ج ٤ ص ٣٨٥ س ١٩ وما بعده .

المقدمة نفسها . لقد رأينا أن اسم معبد كان قد ذكر في اثنتين من صيغها .
وأما في الأخرى فلا يؤتى على ذكره . وفي كلٍّ من الصيغتين يأتي الكلام
عن القدرين بصورة عامة فقط . فلقد وردت في إحدى الجمل عبارة
مقتضبة جداً مفادها أن الحديث مع عبد الله بن عمر أتى على ذكر القدر .
فيحيى بن يعمر ورفيقه قد أوردنا خلاصة الحديث (١) ، تماماً كما فعل أحد
الرواة بشأن صيغة النص (٢) التي أوردناها . ويسوق الإسناد الرواية من
يحيى إلى عبد الله بن بريدة ، ومنه إلى أحد أبناء بلده عثمان بن غياث
الراسبي من المرجئين (٣) ، وليس إلى كهس . وفي مكان آخر يخبر
يحيى عبد الله بن عمر أنه هو ورفيقه التقيا ببعض القدرين أثناء سفرهما (٤) .
والسند في هذه الرواية ليس عبد الله بن بريدة ، وإنما أخوه التوأم سليمان
(توفي عام ١٠٥ / ٤ - ٧٢٣) ، وكان يعتبر موضع ثقة أكثر من أخيه (٥) ،

(١) قارن ابن حنبل ج ١ ص ٢٧ س ٥ وما بعده ، وج ١ ص ٢٢٣
والتي تليها رقم ١٨٤ ، « سنن » أبي داود ، « كتاب السنة » ، باب في
القدر رقم ٦ (= ج ٢ ص ٢٧١ س ٨ من تحت وما بعده) . وربما كانت
هذه الرواية هي نفس رواية مسلم في « كتاب الإيمان ٣ » .

(٢) انظر الحاشية ١ ص ٥٣٧

(٣) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٧ ص ١٤٦ والتي تليها ، والميزان
رقم ٥٥٥١

(٤) قارن ابن حنبل ج ١ ص ٥٢ س ٨ من تحت وما بعده ، وج ١
ص ٣١٤ رقم ٣٧٤ ، الصيغة نفسها مع بعض التوسيع ج ١ ص ٥٣ س ٦
وما بعده ، وج ١ ص ٣١٥ رقم ٣٧٥

(٥) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٤ ص ١٧٤

م (٤)

وقد نقل الخبر إلى علقمة بن مرثد ، معلم أبي حنيفة (توفي قبل عام ٧٣٨/١٢٠ بقليل) (١) . لذا فلا عجب إذا ما عثرنا على الرواية في المسند لأبي حنيفة أيضاً (٢) . وهي هنا تعرض الوقائع بشكل أوسع بعض الشيء . زد على ذلك ميزة ثانية لهذا النص وهي أن يحيى بن يعمر قد سلمه مباشرة إلى علقمة بن مرثد .

ونعثر أخيراً على نص فيه تلميح إلى البصرة ، إلا أنه لا يشير إلى مذهب معبد وإنما إلى مذهب آخر ، وأغلب الظن أنه لا يت إلى معبد بصلة . وفيه يقول يحيى بن يعمر : « إن عندنا رجالاً يزعمون أن الأمر بأيديهم ، فإن شاؤوا عملوا وإن شاؤوا لم يعملوا » (٣) . وهذا موقف لم يكن معروفاً إلا في عهد عمر بن عبد العزيز (٤) ، وقد أخذته المعتزلة فيما بعد . فالحسن البصري - ولربما أيضاً معبد الجهني - لم يكن بعد قد

در تحقيق تهذيب كرام الدين

(١) عند نهاية حكم خالد القسري . قارن « تهذيب التهذيب » ج ٧ ص ٢٧٨ والتي تليها .

(٢) تحقيق صفوت السقاء (حلب ١٣٨٢/١٩٦٢) رقم ١ . ذكر هذا الخبر في كتاب « الآثار » للشَّيباني . (طباعة حجرية لكنو ١٨٨٣) ص ٦٧ س ٥ وما بعده .

(٣) قارن ابن حنبل « المسند » ج ٢ ص ١٠٧ س ١٤ وما بعده ، وج ٨ ص ١٦٦ رقم ٥٨٥٦ .

(٤) قارن مقالي في Abr Nahraia ١٩٧١/١٢ ص ١٩ وما بعدها وكتابي Anfänge Muslimischer Theologie (بـيروت ١٩٧٧) ص ١١٣ وما يليها .

فكّر مثل هذا التفكير (١) . وإن الإسناد ينتقل من يحيى إلى علي بن زيد (البصري ، توفي عام ٧٤٧/١٢٩ أو عام ٧٤٩/١٣١) (٢) ، ومن هذا الأخير إلى حمّاد بن سلمة (توفي عام ٧٨٦ / ١٦٩) ، أحد أسس أهل السنة في البصرة (٣) . لقد كان دور علي بن زيد كمحدث موضع خلاف ، ويقال عنه إنه حرّف بعض الأحاديث ، أضف إلى ذلك أنه كان شيعياً متطرفاً . وقد عرف عنه أنه ينقل الأحاديث عن ابن عمر مباشرة ، وهذا بتلاهم تماماً مع ما نحن بصده ، ويذهب ابن عساكر المذهب نفسه في نقله الخبر على هذه الصيغة دون غيرها في كتابه « تاريخ دمشق » ، إنما مع فارق واحد وهو أنه ينسب إلى معبد مباشرة تلك النظرة التي وردت أعلاه ، فيقول عنه : « يزعم أن العمل أنف ، من شاء أحسن ومن شاء أساء » (٤) . ومسؤولية ذلك تقع على سليمان بن طرخان التيمي ، وهو أيضاً أحد خصوم عيمرو بن عبيد المعروفين (٥) . فلقد أبلغ الخبر إلى ابنه معتمر بن سليمان (توفي عام ٨٠٣/١٨٧) الذي عرف بإيراده أحاديث معادية للقدرية (٦) . وهكذا يتبين لنا أن التوطئة لم تستقر في صيغة ثابتة

(١) قارن M. Schwarz في Oriens ١٩٦٧/٢٠ ص ٦٣

(٢) قارن « تهذيب التهذيب » ج ٧ ص ٣٢٢ وما بعدها .

(٣) قارن Zwischen Hadit und Theologie ، فيما يتعلق بدوره في الخلاف حول القدر (ص ١١٢ - ١١٤)

(٤) بالنسبة لهذه العبارة راجع ما تقدم من هذا المقال .

(٥) قارن Trad. Polemik ص ٣٩ وما بعدها .

(٦) قارن Zwischen Hadit und Theologie في الفهارس تحت الاسم المذكور .

مطلقاً ، ومن الواضح أن كل مخبر كان يشعر بحرية في سرد الخبر ، فكان ينوعه حسب الظروف والمقاصد منتجاً في ذلك نهج « رواية بالمعنى » ، أو يسرده مقتضباً كما جاء في صيغة عثمان بن غياث .

ولكن مهما كانت صيغة تلك الرواية في تفاصيلها ، فإن مصدرها كان يحيى بن يعمر في جميع الحالات ، فهو إنما يروي حادثة وقعت له . وترانا مضطرين إلى التساؤل عن مدى الحقيقة التاريخية التي تختبئ وراءها . يزعم البغدادي (١) أن يحيى بن يعمر قد وضع « رسالة في ذم القدرية » . أما يصح ، والحالة هذه ، أن نرى في المقدمة التي نعالجها هنا مدخلاً إلى تلك الرسالة ؟ — وذلك طبعاً في صيغتها الأقل اتساماً بصيغة معينة — إن الأمر لا يبدو مستحيلاً . غير أن هذا لا يعني أن تلك الرسالة كانت أصلية . ولكي نبت في أصالتها لا بد لنا من أن نتفحص عن كتب الشخصين الآخرين اللذين لعبا دوراً في الرواية . والأمر يستدعي لذلك نشوء سلسلة من المعضلات .

إن عبد الله بن عمر الذي يدّعي يحيى بن يعمر أنه تكلم معه ، قد توفي في عام ٦٩٢/٧٣ ، أي قبل إعدام معبد الجهني بعشر سنوات . وقد وردت عنه في أكثر من مكان أقوال معادية للقدرية (٢) . ومن غير

(١) « أصول الدين » ص ٣١٦ س ١٢ والذي يليه .

(٢) قارن Zwischen Hadit und Theologie في الفهارس تحت الاسم المذكور . يروي عنه أنه نبه معبداً أيضاً إلى عدم الشرود في دقائق دينية وعندما سأله معبد مرة عما يحدث لإنسان يفعل كل ما يتصوره العقل من شر ولكنه ينطق بالشهادة ، نصحه ابن عمر ألا ينزلق هذا المنزلق الخطر (بالمثلي =

المستبعد أن تكون تلك الروايات قد جاءت متأخرة ، إلا أنها نسبت إلى جيل سابق . فمن الثابت ان بعض القدرين كانوا قد ظهوروا في تلك الأيام أي في منتصف خلافة عبد الملك ، ولكن ليس من الواضح إذا كانت الناس قد أدركوا جيدة تعاليمهم . وبما يحملنا على عدم الأخذ بهذا هو مركز معبد المرموق لدى بلاط الخليفة الذي يوافق في تاريخه الحقبة التي نحن بصدددها . كما أن القدرين أنفسهم كانوا لا يزالون يؤكدون أنهم لا يريدون أن يأتوا بأمور تغير مجرى الأحداث : فلقد جاء في رسالة الحسن البصري إلى عبد الملك - والتي كتبها بعد وفاة ابن عمر (١) - ، أنه لا يعبر إلا عن مبادئ متعارف عليها (٢) . إلا أنه من الممكن أن نستشف من هذا القول تلك الحقيقة السائدة ، وهو أن الصراع من أجل شهادة الأقدمين كان قد بدأ بالفعل . فأحد المثل العليا كان إذاك ، ألا يقال قول جديد . وهكذا نرى أنه من غير الممكن لنا أن نصل إلى برهان قاطع من هذه الناحية .

= القائل : عش ولا تغتر . قارن الميداني « الأمثال » ، تحقيق Freytag ج ٢ ص ٩٢ ، الزنجشري « المستقصى » ج ٢ ص ١٦٢ رقم ٥٥٠ . إن النتيجة الحتمية التي يمكن أن تلحق بالقدرين - أو بالمعتزلي على الأقل - هي أن مثل هذا الإنسان نصيبه النار ، إلا أنه لم يوت على ذكرها هنا عن قصد . وفي هذا يجب أن نرى مغزى الحكاية (قارن « تاريخ دمشق ») .

(١) إنما كتبت بتدبير من الحجاج ، لكن هذا الأخير لم يصبح حاكماً

للعراق إلا في عام ٦٩٤/٧٥

(٢) قارن Der Islam ١٩٣٣/٢١ ص ٦٨ س ٩ ومابعده .

ومن ناحية أخرى فإن حميد بن عبد الرحمن الحميري ، رفيق يحيى ، لا يجديننا نفعاً هو الآخر . ففي بعض الصيغ لا يعطى اسمه أو لا يؤتى على ذكره قط . ومع ذلك فلا يمكن اعتباره مجرد اختلاق . فهذا الأمر يبدو غير معقول ، حتى ولو كانت الرواية مزورة . فما نحن نجده في مقطع للطبري نخبرنا فيه عن الأحداث التي جرت عند موت النبي ^(١) . ويذكره النظام بصدد قصة يقال إنها جرت أثناء خلافة علي ^(٢) . وفي « التاريخ » خليفة بن خياط يرد اسمه كمحدث لأحد الصحابة ^(٣) ، عندما تولى يزيد ابن معاوية الخلافة في عام ٦٨٠ / ٦٠ ؛ إلا أنه لم يكن هو نفسه من الصحابة . ويعدّه ابن سعد في عداد التابعين من أهل البصرة ^(٤) . ولقد توفي في الوقت الذي توفي فيه معبد تقريباً ، أي بعد عام ٦٩٩ / ٨٠ ^(٥) . لذا فروايتي التي جاءت عند الطبري لا تعتمد على شهود عيان . فلا غرابة ، إذا ما اعتبرنا ما تقدم ، أن يظهر في محيط الحسن البصري ^(٦) . لقد كان فقيهاً بالدرجة الأولى ، ويقال إنه لم يكن في البصرة أفضل منه في السنوات

(١) « تاريخ » الطبري ج ١ ص ١٨١٨ س ٩ وما بعده .

(٢) قارن بحثي في كتاب النكت للنظام ص ٧٨

(٣) « التاريخ » ص ٢٥٧ س ٥ (زكّار) .

(٤) « الطبقات » ج ٧ ، ١ ص ١٠٧ س ١ وما بعده .

(٥) قارن خليفة بن خياط « التاريخ » ص ٤٠١ س ٢ ، « الطبقات »

٤٨٧ رقم ١٦٦٢

(٦) قارن الحكاية عند حمزة الأصفهاني « التنبيه على حدوث التصحيف »

ص ١٢٣ س ٣ (طلس) .

العشر الأخيرة من حياته^(١) . ويحفظ وكيع في « أخبار القضاة » حكماً من أحكامه^(٢) . وكانت ابنته أم أبي بكر الهذلي ، النحوي البصري^(٣) . وينسب مبرّد أحد أحفاد يحيى إلى يحيى هذا بعينه^(٤) . وهكذا يبدو أنه كان لا يزال معروفاً معرفة جيدة حتى في الأزمان المتأخرة ، غير أننا لا نعرف شيئاً عن آرائه في علم الكلام .

لا يبقى لنا ، والحالة هذه ، إلا يحيى بن يعمر نفسه . لكن الصعوبات لا تلبث أن تبدأ بتاريخ وفاته . فالمرزباني يحدده في عام ٨٣ / ٧٠٢^(٥) . أما خليفة بن خياط فلا يحدده بالضبط ، وإنما يجعله في السنوات العشر ما بين عامي ٨٠ / ٦٩٩ و ٩٠ / ٧٠٢^(٦) ، تماماً كما يفعل بتاريخ وفاة كل من معبد وحميد بن عبد الرحمن . أما « طبقات النحويين » فإنها تعتمد على العام ١٢٩ / ٧٤٧^(٧) ، بصرف النظر عن المرزباني . ويبدو لنا

(١) قارن ابن سعد « الطبقات » ج ٧ ، ص ١٠٧ س ٤ ، الشيرازي « طبقات الفقهاء » ص ٨٨ س ٥ من تحت (عباس) حسب رأي ابن سيرين (توفي عام ١١٠ / ٧٢٩)

(٢) « أخبار القضاة » ج ١ ص ٣٠٧ س ١٠ وما بعده .

(٣) قارن المرزباني « نور القبس » ص ٤٠ س ٢ والذي يليه (Sellheim)

(٤) « الكامل » ص ٨٨١ س ٥ والذي يليه (مبارك) .

(٥) « نور القبس » ص ٢٢ السطر الأخير .

(٦) « تاريخ » خليفة ص ٤٠١

(٧) قارن الزبيدي « طبقات النحويين » ص ٢٣ السطر الأخير (أبو الفضل) ،

ياقوت « الإرشاد » ج ٧ ص ٢٩٧ س ٣ (Margoliouth) ، ابن خلكان

« الوفيات » ج ٥ ص ٢٢٤ س ١٢ (عبد الحميد) .

أن هذا التاريخ خطأ متوارث ، فجميع الذين خلفوا يحيى والمذكورين في الأسانيد التي اطلعنا عليها حتى الآن قد توفوا قبل هذا التاريخ أو بعده بزمان قصير لا يكاد يذكر : فعبد الله بن بريدة توفي عام ٧٣٣/١١٥ ، وأخوه سليمان عام ٧٢٣ - ٤/١٠٥ ، وعلقمة بن مرثد حوالي عام ١٢٠/٧٣٨ ، وعلي بن زيد الذي نقل الصيغة « الحديثة » توفي عام ٧٤٧/١٢٩ أو عام ٧٤٩/١٣١ . وفي عام ٧٤٩/١٣١ توفي منافسه إسحاق بن سويد . وفي مكان آخر نفع على قتادة الذي يستشهد يحيى (١) ، وقد توفي عام ٧٣٥/١١٧ أو عام ٧٣٦/١١٨ . ويقول خبر جاء عند الطبري أن يحيى قدم إلى خراسان مع سلم بن زياد في عام ٦٨١/٦١ (٢) . فالتاريخ المتأخر المذكور أعلاه يبدو مستحيلاً كلياً ، إذا ما علمنا أن يحيى كان يأخذ بالفعل عن أبي ذر (توفي عام ٦٥٢/٣٢) وعن عمار بن ياسر (توفي عام ٣٧/٦٥٧) وعن عائشة (توفيت عام ٦٧٨/٥٨) كما يزعم الذهبي (٣) . وأما التاريخ الذي حدده المرزباني فيضعف الأخذ به ، وذلك إستناداً إلى ماورد عند ابن الجوزي من أن الحجاج قد نفاه للمرة الثانية إلى خراسان في عام ٧٠٣/٨٤ (٤) . وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنه ، علاوة على ذلك ،

(١) قارن المحاسبي « فهم القرآن » ص ٣٩ ، السطر الثاني قبل الأخير (القوتلي) .

(٢) « التاريخ » ج ٢ ص ٣٩٣ س ٣ ، كذلك H. A. R. Gibb, The Arab Conquests in Central Asia ص ٢١ .

(٣) « تذكرة الحفاظ » ص ٧٥ س ٦ من تحت .

(٤) قارن ابن خلكان ص ٢٢٣ س ١٦ وما بعده .

ق- كتب إلى قتيبة بن مسلم (١) الذي لم يقدم إلى مرو إلا في نهاية عام ٧٠٤/٨٥ (٢) ، فإننا نرى أنفسنا مضطرين إلى أن نرجع إلى ما بعد هذا التاريخ . إن كل هذه المؤشرات التاريخية ليست ، والحق يقال ، جديدة بكل ثقة . إلا أنه من الأفضل أن نلتزم بذلك التاريخ العام الذي ذكره خليفة بن خياط .

أما السبب الذي من أجله نفاه الحجاج ، فهو عبارة عن زعم سائد ليس إلا : فلقد قيل إنه لفت نظر ذلك الحاكم إلى معلوماته الضعيفة في اللغة الفصحى (٣) . وهنا جاز لنا أن نتساءل : أليس من الأحرى بنا أن نرى في تاريخ وفاته عند المرزباني - الذي يطابق تماماً تاريخ وفاة معبد - ونفيه إلى خراسان إشارة إلى نوع التعاطف مع ابن الأشعث ؟ وبمرض الذهبي لحكم مفاده أن يحيى قد كشف عن بدعة في مسألة القدر بقوله هذا: « نحن أقدر من الله » (٤) . وبما لا ريب فيه أن الرواية قد طبعت بطابع الجدل الحاد . ولكننا لا معنى لها بحجة ذاتها إلا إذا نسبت إلى أحد القدرين . وعلى كل حال ، فإن يحيى كان يروي حديثاً عن معبد الجهني (٥) . وما عدا ذلك فقد وصف بين الحين والآخر بأنه شيعي (٦) ، ربما لأنه كان

(١) قارن المرزباني ص ٢٢ س ٧ والذي يليه .

(٢) قارن Gibb, Arab Conquests ص ٢٨

(٣) قارن أيضاً المرزباني ص ٢١ س ١٥ وما بعده ، وعلى كل حال فهناك أيضاً تعليل مختلف س ١٩ وما بعده .

(٤) « الميزان » رقم ٩٦٦٠

(٥) قارن السمعاني « الأنساب » ج ٣ ص ٤٤١ السطر الأخير .

(٦) قارن ابن خلدون « الوفيات » ج ٥ ص ٢٢٢ س ١١ وما بعده .

ينقل عن أبي ذر وعن عمار بن ياسر - وكذلك أيضاً عن عائشة - ،
أو لربما ، وذلك هو الأرجح ، بسبب رواية رواها المرزباني ^(١) . لقد
كان يحبي من النحويين والقراء ^(٢) ، وكان نزيل البصرة ، إلا أنه أقام
في خراسان مدة طويلة وكان فيها قاضياً لمرو ^(٣) . ويقال إن يزيد بن
المهلب قد عزله عن هذا المنصب ^(٤) ، في بداية عهده على وجه الاحتمال -
(عام ٧٠٢/٨٢ ومطلع عام ٧٠٤/٨٥) ^(٥) . ولا يمكن تصور مثل هذا
إلا إذا كان الحجاج قد أعاده فعلاً إلى خراسان من جديد في عام ٧٠٣/٨٤
لقد كان يحبي كمعبد الجهني من أصل عربي قحج^٦ ، وكان يوصف بأنه
حكيم العرب ^(٦) .

الأخبار عنه غير واضحة ، ولا يعرف عن مكانته في علم الكلام
أكثر مما تقدم . وهذا الواقع لا يتفق وما قيل عنه من أنه وضع « رسالة

من تحقيق قاسم بن عيسى

- (١) « نور القبس » ص ٢١ س ١٩٧ وما بعده .
- (٢) قارن ابن الجوزي « طبقات القراء » رقم ٣٨٧٣ (Bergstrasser) .
- (٣) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١١ ص ٣٠٥ س ٢
- (٤) قارن المرزباني ص ٢٢ س ٩ وما بعده .
- (٥) قارن Gibb, Arab Conquests ... ص ٢٥ وما بعدها .
- (٦) قارن ابن حزم « جمهرة أنساب العرب » ص ٢٤٣ س ٥ من تحت ،
هذا يذكر بوصف الكندي بفيلسوف العرب . راجع أيضاً وكيع « أخبار
القضاة » ج ٣ ص ٣٠٥ والتي تليها ، ابن سعد « الطبقات » ج ٧ ، ص ٢
١٠١ ، ابن الأثير « إعتاب الكتاب » ص ٥٣ وما بعدها (اشتر) ، « الأعلام »
الزركلي ج ٩ ص ٢٢٥

في ذم القدرية . فلو صح هذا القول ، لكان من المفروض أن نعتز على موافقه الجبرية في المراجع التي لدينا . أما إذا كان الأمر مختلفاً ، بل وإذا كان يحیی ، على العكس من ذلك ، فقد تعرض لبعض الجهات بسبب موافقه القدرية المتطرفة ، فهذا يعني أحد أمرين : إما أن يكون البغدادي قد خلط بينه وبين شخص آخر ، وإما أن يكون قد نُظِرَ إلى تلك الرسالة على أنها مزورة - وهذا أقرب الاحتمالين - . غير أن ابن النديم - الذي كان يعتبر معتزلياً ثاقب البصر في مثل هذه المستندات المشكوك في صحة أصحابها - لم يأت على ذكرها في هداد تلك المستندات . ومن جهة أخرى فإن الحديث الذي نحن بصدد معالجته ، بما فيه التوطئة ، يصح تماماً أن يدخل في رسالة ، كبحث الرسالة الآتفة الذكر ، فيُكوّن عند ذلك مدخلها ، ثم تليه روايات ابن عمر المعادية للقدرية - أو التي فهمها الناس على أنها معادية للقدرية - . وعليه فقد تكون التوطئة غير صادرة عن يحيى بن يعمر نفسه ، غير أنه ليس من المستبعد أن يكون الشطر الرئيسي في الحديث قد أخذ عنه بالفعل . ولا نزال نجد هذا المقطع أيضاً مع ذكر أسانيد أخرى . فمن الممكن إذاً أن تكون الرسالة قد استخدمت لب الحديث الأكثر قدماً ، ليس في المتن فحسب ، وإنما في الإسناد أيضاً . ومن المحتمل أن يكون المحدثون قد وجدوا في ذلك تلميحاً لاذعاً من نوع خاص : ففي توطئة الحديث ذكر " لشخصين عاصراً معبداً ، أحدهما ، وهو يحيى ، كان وإياه على اتفاق تام في المذهب على ما يبدو ، وأما الآخر فأقل ما يقال عنه أنه كان فقيهاً كمعبد . . . نقول إنه لتلميح لاذع أن يلجأ هذان الشخصان إلى الاذعان للهداية على يد أحد الصحابة البارزين .

فإذا ما أطلقت يد يحيى في عرض المذهب البصري ونشره (١) بكل إيجابية ، كما جاء في بعض الروايات ، فإنما قد يكون ذلك من باب التشديد على مفعول تلك الهداية .

بما لا شك فيه أن المستند قد نشأ في البصرة . لقد انتشرت منه نسخات عديدة ، كل منها تعرض آخر ما وصلت إليه المناقشات حول القدر . ونعتقد أن أقدم تلك النسخات يعود عهدا إلى ما قبل عام ١٢٠ / ٧٣٨ . ففي هذا العام توفي علقمة بن مرثد الذي سلم النص إلى أبي حنيفة في الكوفة . ومن الممكن أن تكون قد ظهرت في السنوات العشر التي تفصل عام وفاة الحسن البصري عن هذا التاريخ . إن صيغة النسخة التي لمعبد فيها نصيب ، تُنسب إلى عبد الله بن بريدة ، إلا أن ذلك خدعة ، على ما يظن . فقد كان ابن بريدة قاضياً في مرو . وحتى لو سلمنا أن خراسان كانت في ذلك الوقت على ارتباط وثيق بالبصرة ، فإنه من غير المحتمل أن يسلك المستند هذا الطريق الملتوي . لقد كان القصد من ذلك على الأرجح ، التعريف بمعبد على أهون سبيل . ولا يخفى أن ذكر معبد كان في ذلك الوقت موضع انتقاد عند كل أولئك الذين كانوا يتذكرون الوضع على حقيقته : فعبد الله بن بريدة كان بحكم منصبه كخلف ليحيى في مرو الوسيط المطلوب . وكان من الصعب التحقق من رواياته بسبب المسافة البعيدة . ولا شك أن نسبة إحدى الصيغ الغامضة إلى أخيه سليمان قد فعلت فعلها هي أيضاً . فربما يكون الاسناد قد أشار فيها ، في الأصل ،

(١) قارن مع النص الذي تقدم من هذا المقال .

إشارة عامة فقط إلى المسمى ابن بريدة . لذا فمن الصعب التثبت في نهاية الأمر من واضيع هذا المستند ومن محوره . وقد يجوز أن ننظر إليه على أنه تعبير جماعي للأقلية الجبرية في البصرة . وعلى ما يظهر ، فقد وضع مطر الوراق (توفي قبل عام ١٣٠ / ٧٤٧) في التداول صيغة نص نحيلنا بشكل قاطع على معبد الجهني .

* * *

ويمكننا الآن أن نوجز ما تقدم . من الظاهر أن مذهب القدرية لم يكن ليشكل بعدُ خطراً على الدولة قبل فتنة ابن الأشعث . فلم يعد معبد بسبب مذهبه - ذلك المذهب الذي نادى به الحسن البصري أيضاً - وإنما بسبب نشاطه السياسي ، شأنه في ذلك شأن أخيه . فبعد إعدامه بسنوات ، بل وبشيء من التأكيد ، بعد وفاة الحسن البصري (١١٠ / ٧٢٨) ، حاول الناس أن يجدوا في هذا الحدث سبيلاً إلى النيل من تعاليم القدرية أيضاً . من أجل ذلك بدؤوا يصورون معبداً « كأول القدرين » ولقد تم ذلك في مكانين : في البصرة وفي الشام التي كانت تابعة لها بعض التبعية . ففي البصرة استطاعت هذه الأفكار أن تنضم إلى أفكار معادية للقدرية ، قد أضيفت - على ما يبدو - بين عامي ١١٠ / ٧٢٨ و ١٢٠ / ٧٣٨ كمقدمة إلى حديث متداول . وفي السنوات العشر التي تلت ذلك ، أي قبل عام ١٣٠ / ٧٤٨ على كل حال ، ما كان ذلك الحديث بحاجة إلا إلى اسم يلصق به . أما في الشام فإن هذه الامكانية لم تكن ميسرة فالناس كانوا قد شهدوا فيها إعدام معبد . ومثل هذه الاعدامات التي يرتبط طابعها السيامي باعتبارات دينية ، كان لها ولا شك وقع مروع على الجماهير ، بل وأيضاً تأثير

مقبض للنفوس من بعض الوجوه . يضاف إلى ذلك كله أن معبداً لم يكن نكرة من النكرات ، وإنما شخصية سامية المقام حملت عبد الملك نفسه على تقديم الاحترام لها . ومن المحتمل أن الوضع الذي سبب الرجوع إلى مصير معبد ، إنما كان تجدد نشاط القدرية في عهد يزيد بن الوايد (في عام ٧٤٤/١٢٦) . فالشام كانت مهتأة لذلك ففيها كان الحديث يتناول بصفة خاصة غيلان الدمشقي الذي تم إعدامه على الشكل نفسه ليكون عبرة لمن اعتبر . ويغلب على الظن أيضاً أن الوضع كان شبيهاً في البصرة : فمطار الوراق كان معروفاً بمداوته لعمر بن عبيد ، ومن المعروف أيضاً أن هذا الأخير كان من مؤيدي يزيد بن الوايد ^(١) .

وفي مجموعة ثانية من الأحاديث يطالعنا موضوع آخر بالاضافة إلى ما تقدم . ففيها يقال إن أحد الموالى قد ضلّ معبداً . ولا حاجة بنا إلى إثبات أن هذه الرواية بصرية المصدر ، ويبدو من الواضح أن عبد الله بن عون هو الذي قد وضعها ، وذلك بعد عام ٧٤٨/١٣٠ . ويظهر أن الأوزاعي قد أخذها عنه ونقلها إلى الشام . وقد كان إشاع ، من باب الاطمئنان النفسي ، أن البدعة أقل ما يقال عنها ، أنه لم يأت بها شخص لم يتنكر لأصله الاسلامي والعربي القح . ولو افترضنا أن بصرياً لا يتفق مع الفريق القدري من سكان مدينته — ذلك الفريق الذي كان لا يزال يحسب له حساب في ذلك الوقت — نقول لو أن هذا البصري لم ينكر

(١) قارن ابن المرتضى « طبقات المعتزلة » ص ١٢٠ س ١٢ وما بعده

(Diwald Wilzer) ، الش-هرستاني « الملل والنحل » ص ١٧ س ١٥

(Cureton) .

أن فساداً قد قام في تلك المدينة عينها ، فإن أقل ما يمكن قوله في هذا السبيل هو أن ذلك الفساد لم يصدر عن أعيان تلك المدينة ، وإنما عن حطاط شعبها . وهل كان متوقعاً ، على كل حال ، أن يصدر عن الحطاط غير هذا (١) ؟ .. إن الذين كان لهم ضاع كبير في تزوير التاريخ هذا والذين تقع عليهم مسؤوليته أيضاً ، لم يكونوا إلا بعض تلامذة الحسن البصري ، أولئك الذين قرروا تفسير تراثه تفسيراً جبرياً ، في الوقت الذي أخذت فيه مشكلة القدر تستقطب الأفكار ودخلت فيه المعتزلة ميدان الصراع . فلقد تسلم مطر الوراق حلقة قتادة بعد وفاة هذا الأخير في عام ٧٣٥/١١٧ أو في عام ٧٣٦/١١٨ (٢) ، كما كان قد تسلمها قتادة من الحسن البصري . ويرجح أن الوراق كان مهتماً بنوع خاص بأن يضيف على الحلقة طابعاً شخصياً حسب مفهومه لها . ولقد سارت الأمور في البصرة على غير ما سارت عليه في الشام ، فحدث تفاعل بين أمرين : فبالإضافة

(١) انظر ما تقدم من هذا المقال . إن ابن عساكر ينعت أبا يونس الأسواري بلفظة حقير في أحد أخباره . وعندما كان يُذكر اسمه مقروناً بذكر اللاحق في نفس الفقرة فإنما كان يُقصد شيء من هذا القبيل . وفي أيام عثمان كانت تطلق لفظة لواحق أو روادف على الرعاع أتباع بعض الثائرين (قارن الطبري ج ١ ص ٢٨٥٢) . غير أن تلك اللفظة كانت تعني في هذا المكان عرباً أو بالأحرى أعارب .

(٢) قارن أبو زرعة الدمشقي « التاريخ » (مخطوطة استنبول ، فاتح

رقم ٢١٠ ، ٣٢ ب س ١٣ والذي يليه .

إلى الالتزام بموقف معاد للقدرية ؛ قامت محاولة لحماية الحسن البصري من التهجمات ولاستغلاله لمآرب أهل السنة . ولقد كان معروفاً في هذه الحلقات أنه بقدر ما تصبح صورة معبد قائمة ، بقدر ذلك تتجلى شخصية الحسن وتتلأأ نوراً . فإلى هذه الحلقات يعود الفضل في أن المعتزلة نفسها ليست هي وحدها التي اتخذت الحسن كمثال يحتذى ، وإنما أهل السنة أيضاً . . أجل ، لقد اتخذ الحسن مثلاً يحتذى ، وذلك على الرغم من التزامه بالقدرية .

يوسف فان اس



جمهورية ألمانيا الاتحادية

توبنجن

مركز تحقيقات كاسيتور علوم رندى

الحكيم الترمذي

عارف من القرن الثالث الهجري

بارانت وادكه (١)

شهد القرنان الثالث والرابع الهجريان جماعة من المفكرين المسلمين حاولوا تشكيل تجربتهم الروحية في منظومات نفسية وكلامية وفلكية . كان من هؤلاء الجُنَيْد بن مُحَمَّد ، وأبو سعيد الخُرَّازي ، وأبو بكر الواسطي ، وكان منهم المحدث والفقيه محمد بن علي الترمذي العارف الملقَّب بالحكيم .

خَلَّف الترمذي لنفسه ترجمة - هي الترجمة الأولى الواسعة لمفكر مسلم فيما أعلم - تمكنا من التعرف على مجرى حياته بشكل يُطمأن إليه . يذكر الترمذي أنه قضى عشرين عاماً في دراسة الحديث والفقه ثم مضى إلى مكة لأداء فريضة الحج ، وله من العمر ثمان وعشرون سنة . وقد

(١) Bernd Radtke . دراسة قصيرة أُلقيت في المؤتمر العشرين للمستشرقين الألمان الذي انعقد في « إرلانغن » بين ٣ و ٨ تشرين الأول ١٩٧٧ . ترجمها إلى العربية الدكتور رضوان السيد المدرس بالجامعة اللبنانية .

دفعته تجربته الروحية خلال الرحلة - خصوصاً في مكة بالذات - إلى انتهاج الطريق العرفاني . وعندما عاد إلى وطنه أكبّ على أعمال الزهد والورع، وقضى أيامه مصليةً وقارئاً للقرآن ومتجولاً بين المقابر المهجورة والخرائب المحيطة بالمدينة . وذهب بحثّه عن إمام يقتدي به عبثاً ؛ لكنه وجد بعض ما أمّله في كتاب لأحمد بن عاصم الأنطاكي تلميذ المحاسبي (- ٢٤٣ هـ) . تعلم من الكتاب المذكور أشياء عن رياضة النفس ، ثم بدأ بتكوين حلقة من المريدين من حوله ؛ لكن الفقهاء والمحدثين لم يصبروا عليه طويلاً فبدؤوا يسمون به لدى السلطة الحاكمة ويتهمون به بالحدّث عن حب الله بطريقة غير مألوفة وبإدعاء أنه نبي . واستدعاه أمير بلخ للتحقيق معه فاستطاع أن يبرئ نفسه مما نسب إليه . لم تنل هذه الأحداث على أي حال من هدوئه الداخلي إذ تابع انقطاعه وتزهدّه وكانت الأحلام والرؤى هي التي تسدّد خطاه وتعطيه الثقة بصواب الطريق الذي اختاره لنفسه ، وبأن الله اختاره من بين الناس . وقد جاءت ترجمته لنفسه ، للأسف ، خالية من تحديد تاريخي لأحداث حياته باستثناء حالة واحدة . لكن الثابت أنه عاش إلى ما بعد ٨٨٣ م ، وأنه نيّف على الخامسة والستين . ويفيد تحليل كل ما بين أيدينا من أخبار في كتب التراجم المتأخرة أن الترمذي توفي سنة ٩٠٠ م . أما العام ٨٩٨ م الذي يتكرر ذكره في المراجع تاريخاً لوفاته فلا سند له في المصادر التي نعرفها .

معلوماتنا عن مؤلفات الترمذي أدق من معلوماتنا عن حياته ؛ ففؤاد سزگين يذكر في مصنفه « تاريخ التراث العربي » (١) ما لا يقل عن ثمانين

(١) Geschichte des Arabischen Schrifttums I, 653 Fb.

كتاباً من كتب الترمذي ؛ هذا فضلاً على مجموعة جوتنجن رقم ٢٥٦ التي تحتوي على عدة مؤلفات معروفة ورسائل كثيرة جديدة ؛ وهي بما لم يعرف بوجوده سزگين . صحيح أن بعض ما ذكره سزگين ليس دقيقاً ؛ لكن الباقي بعد التصحيح والشطب وافر حقاً . وعلى سبيل المثال فإن رسالة « المسائل الغضة » التي يذكرها سزگين بوصفها عملاً مستقلاً هي في الحقيقة جزء من كتابه « الأكياس والمغترين » ، ورسالته بعنوان « غور الأمور » هي غالباً الكتاب نفسه الذي يرد باسم « الأعضاء والنفس » . ومع أن وفرة مصنفات الترمذي أمر يبعث على السرور إلا أن الوفرة هذه لم تقلل من الصعوبات التي تقف في طريق فهم عالمه الفكري . وهو يكرر نفسه غالباً ويستطرد وينسى موضوعه الأصلي ، ونادراً ما يعالج موضوعاً بشكل منطقي ومنظم حتى النهاية . أما مصطلحاته فهي غير ثابتة ؛ وربما كانت متمتعاً بالنسبة لدارسي الإيرانية أن يعلموا أن مصنفات الترمذي كانت مصدراً مبكراً للترجمات الكلامية والصوفية من العربية إلى الفارسية .

هناك حتى الآن نشرات وطبعات عديدة لكتب من كتب الترمذي بيد أنها جميعاً لا تستند إلى الأسس العلمية النقدية للتحقيق . وأعيد الآن لنشرة جديدة من كتاب « ختم الأولياء » الذي كان عنوانه الأصلي غالباً « سيرة الأولياء » ، كما أنني أخطط لنشر عدة من آثار الترمذي .

لا بد قبل البدء بعرض الخطوط الكبرى لمنظومة الترمذي الفكرية من التنبيه إلى أنني لن أعرض لمصادر عرفانه وبيئتها هنا ؛ سواء كانت تلك المصادر إسلامية أو أجنبية . ولكي يكون فهم عالمه الفكري ممكناً لا بد من الإلمام بمفهومه الأنثروبولوجي عن الإنسان . يتضمن هذا المفهوم

باختصار تقسيماً لمصادر الطاقة الإنسانية إلى قسمين اثنين : النفس والقلب .
 أما مكان النفس فهو فيما تحت السرة ؛ وتحكمه سبع خصائص أخلاقية
 سيئة أعظمها سوءاً الشهوة ومصدر الشهوة هو الهوى المنبعث من الجحيم ؛
 يتغلغل في الإنسان عن طريق الشيطان . إن الغريزة الحاكمة — أو كما
 يسميها الترمذي « الجوهر » — تشد الإنسان إلى الجحيم ، ويعني ذلك أنها
 تدفعه للقيام بأعمال تؤدي به إلى جهنم . والنفس الغريزية هذه لا تدرك
 العالم إدراكاً مباشراً ملتذاً ، بل يجوز أن تصل إلى أغراضها الشهوانية
 هذه بواسطة أداة تستخدمها لذلك . هذه الأداة هي الذهن الذي
 مكانه الصدر .

أما المصدر الثاني للقوة الإنسانية فيكمن في القلب . والقلب هنا هو مكان
 المعرفة . وأريد هنا أن أحدد المعرفة المقصودة مبدئياً بأنها « الإدراك الفطري
 لله » أو كما اقترح هلموت ريتز « العرفان السابق لله » . وهي لا تعني
 عند الترمذي تعريفاً فاعلاً بل معرفة بملكية .

لكن ؛ ما هو مضمون هذه المعرفة ؟

لكي تمكن الإجابة على هذا التساؤل لا بد من عرض موجز لمفهوم
 الترمذي العقيدي ؛ فالترمذي يفرق — كما هو معروف عند آخرين — بين
 الله وصفاته . إنه يسمي الذات الإلهية في كتاباته بالباطن والهوية . أما
 الصفات فيشير إليها بشكل عام بالظاهر . صفات الله هذه الصادرة عنه ، بطريقة
 تركها الترمذي غامضة ، تتجمع حول ذاته في شكل مجالات نورانية . وبفضل
 من الله ورحمة يتلقى كل إنسان جزئيات من نورانية الصفات المبثوثة في
 مجالاتها النورانية . هذا النور الفطري هو الذي يجعل كل إنسان يدرك

بالفطرة أن الله موجود . المعرفة الأولية هذه يسميها الترمذي معرفة الفطرة أو الجبلية ؛ وهي تحدث في النفس قدرة على التدبُّر والتبصُّر بدعوها الترمذي « بصيرة » أخذاً من الآية اقرآنية الكريمة : « كلا بل الإنسان على نفسه بصيرة » . بهذه البصيرة يستطيع الإنسان أن يدرك آثار فعل الله في العالم الخارجي المدرك .

لكن ؛ كيف يمكن تعليل الواقع المشاهد الذي يُظهر أن هناك مؤمنين وكفاراً رغم أن الإنسان يعرف بفطرته وجود الله ؟ . ويجب الترمذي على ذلك بأن الانسان لا ينكر في الحقيقة وجود الله إلا إذا لم تكن طبيعته أو فطرته سليمة ؛ لكن المسلم وحده يتحقق تماماً أن الله واحد ؛ ويعني هذا أن المسلم يمتلك نوعاً أعلى من المعرفة ؛ تلك التي يسميها الترمذي معرفة التوحيد ، المعرفة الفطرية بوحداية الله .

إن الإدراك العرفاني يعني بالنسبة للترمذي أن يحوّل الإنسان معرفته الفطرية بوجود الله إلى معرفة واعية . وهو يصف النهج الذي ينبغي اتخاذه للوصول إلى ذلك على النحو التالي : إن نور المعرفة المنبعث من القلب يضيء حنايا الصدر . وهنا يصل النور إلى مركز الإدراك الداخلي ؛ الفؤاد . عند هذا يتدخل الإدراك العقلي (العقل) مضافاً إلى الفؤاد ؛ والعقل الذي يتدخل مركزه في الرأس . وتدخله يكون بإضاءته لمضامين المعرفة من خلال خاصته الخاصة به وهي التمييز . والعقل هذا يمتلكه المسلم فقط في حين يظل الذهن شاتعاً في الناس جميعاً .

عملية الإدراك هذه التي يصحبها التمييز تتم بشكل تدريجي . هذه العملية هي عند الترمذي سريان المجالات النورانية لصفات الله ، لكن ليس

بمعنى أن العارف يصعد ليرى الله أو ليتحد به . إن الترمذي ، شأنه في ذلك شأن الدارفين القدامى ، لا يعرف بعد تلك التصورات التي تستبق رؤية الله يوم القيامة برؤية معراجية حياتية . ويعني هذا أن النور الإلهي الفطري لن يرى في هذا العالم معاناة ، بل بعين الفؤاد وتمييز العقل . إن أعلى الدرجات التي يبلغها العارف هي درجة الإدراك الواعي للوحدانية والإدراك الواعي للفردية ، وبعبارة أخرى فإن المعرفة الواعية بالله ممكنة من جانب العقل المميز . أما ما وراء ذلك فلا يستطيع العقل أن يدركه . إن إدراك ذات الله ليس متاحاً للعقل .

خلال عملية المعرفة تتدخل النفس محاولة إعاقته ذلك . إنها تتدخل آتية بما تحت الشرة صاعدة في اتجاه الصدر فتثير ضباباً في الفؤاد وتعطل عمل العقل ، وتمنع الإنسان بذلك من إدراك الله بعين فؤاده . لذا فإن واجب العارف أن يبطل التأثير السيئ للنفس . إن عليه أن يواجهها في عملية كفاح روحي . الوسيلة الأولية لذلك هي الانصراف إلى أعمال زهدية . وليس معنى ذلك أن تصوِّف القرن الثالث وقف عند الطرق البدائية للزهاد القدماء . لقد صارت النظرة أهدى ، كما ساد اعتقاد مؤداه أن الزهد لا يعني الكثير إن لم يكن موجهاً من الداخل . لقد حاولوا أن يواجهوا النفس مباشرة ؛ فيتصدوا لحبشها وحبائلها ورغباتها المستورة حتى أعمق أعماقها بالتحذير والمحاسبة تارة وبمحاولة تحريرها من صفاتها السيئة تارة أخرى . هذه الطريقة الملحة في التربية الذاتية وضع أسسها وطبقها المحاسبي . وقد أدت الخبرة الذاتية وطرائق تربية النفس هذه إلى نشأة ما يسمى بعلم الباطن الذي وضعه هؤلاء في مواجهة علوم الحديث والفقه التقليدية ؛ تلك

العلوم التي سموها علوم الظاهر . ويسمي الترمذي علماء الباطن : حكماء .
 إنه يصفهم على النحو التالي : « والحكماء عن تدبير الله ينطقون (?) كيف
 دبّر شأن الآدميين وكيف ركبهم .. ويصفون تركيب أجسامهم ، ومكان
 العدو منها وسلطان الشهوات فيها ، ويميزون بين عمل القلوب وعمل
 النفوس ، وخدع النفس وخدع العدو ، فإن للنفس وسواساً تدق في جنبه
 وسوس العدو .. ويصفون طريق أهل الإرادة ، ويعرّفون المريد
 مكان النفس لإنشاد العطايا الواردة على السالكين لذلك الطريق إلى الله ،
 وينقلون المريد إلى درجات العطايا قولاً وهداية ؛ فإن التقوى في هذا
 الطريق أصعب وأدق وأغمض .. » (١) .

والصدق عند الترمذي هو أبرز جوانب السعي في مجاهدة النفس .
 ويكاد يكون العارف الوحيد الذي وقف ضد السعي للوصول إلى منزلة
 الصدق ! إنه يلاحظ في هذا المجال أن مجاهدة النفس سعيًا للوصول إلى
 الصدق تشكل انشغالاتها لا تؤدي إلى إضعافها بل إلى تقويتها . وهو يصف
 هذه العملية بهذه الكلمات : « ... لأن النفس تتبجح وتزين للخلق به
 وتباهي الأشكال من العمال ... » (٢) .

إن السالك يعيش أحياناً خلال انشغاله التام بمجاهدة النفس عطايا
 ربانية تعطيه إحساساً بالراحة والانبساط . لكن يبقى هناك خطر كامن .
 إن النفس التي تدعمت خلال الصراع معها ، والتي ما تزال ملوثة بالهوى
 والجشع ، يمكن أن تنقض على ثمرات هذه العطايا لتلهي السالك عن هدفه

(١) الأكياس والمفترين (مخ إسماعيل صائب بأنقرة / ١٥٧١) ق ١٢٥ أ

(٢) مخطوطة لايبزغ رقم ٢١٢ / ق ١ ب

الأول الذي هو الله . في مثل هذه الحالة على السالك أن يدرك عبثية سعيه نحو الصدق ، وأن يوقف كل مساعيه وإحساساته في هذا الاتجاه ؛ حتى تلك التي تتصل بمساعيه الوصول إلى الله . إن عليه أن يعود لإنزال نفسه في منزلة انعدام الحيلة والاضطوار ؛ لأنه عند ذلك وعند ذلك فقط تنزل رحمة الله . وبرحمة الله وفضله يبلغ السالك ما لم يستطع أن يبلغه بمجاهداته من أجل الصدق : يبلغ منزلة طمس النفس . عندها تتابع عملية الإدراك سيرها في طريقها الصحيح : طريق التحول إلى معرفة واعية دون التأثيرات الضارة للنفس .

وقد حاول الترمذي إثارة اهتمام معاصريه بنقده للنهج الذي يسعى إلى منزلة الصدق . وقد تبادل الرسائل مع أبي عثمان الخيري (ت ٩١٠ م) بنيسابور ، ومع محمد بن الفضل البلخي (ت ٩٣١ م) ، ويبدو أن البلخي هذا غادر بلخ إلى سمرقند بسبب مجادلات كلامية . أما الخيري فقد كان تلميذاً لأبي حفص الحداد (ت ٨٨٠ م) الذي حاول للمرة الأولى ، مستنداً إلى علم الباطن ، رسم منهج تربوي للمريدين . وكان البلخي صديقاً للخيري وأحد المعجبين بطريقته . يكتب الترمذي إلى الخيري : « .. ورد عليّ كتابك يا أخي ، وكتابٌ بعد كتاب ؛ وولدت في ذكر عيوب النفس في باب المعرفة ؛ فان قدرت يا أخي ألاّ تشتغل بذكر العيوب — وكل هذا سوى الله تعالى فافعل ! فإن الله تعالى عباداً عرفوه معرفة .. واتقوا من ذكر النفس .. » (١) .

(١) مخطوطة إسماعيل صائب بأنقرة ١٥٧١ / ق ٦١ ب

ويتفق الترمذي في نقده للخيري مع أبي بكر الواسطي (ت ٩٣٢م) الذي كان يعتبر طريقة الخيري فيما ينصل بالتركيز على نواحي ضعف النفس شيراً كآ .

ولنعد مرة ثانية إلى القلب الإنساني . إن عملية «حضور» المعرفة الفطرية لله في القلب تحدث عند أفراد الناس بدرجات متفاوتة عمقاً . هذا العمق يختلف من إنسان إلى آخر باختلاف قدر المعرفة المعطاة له في عالم الذر . والترمذي يقسم العمق المتحقق إلى ثلاث درجات : أدنى هذه الدرجات مقدار الإيمان الذي يشيع في أعماق عامة المسلمين . ويدخل ضمن نطاق هذه الدرجة المحدثون والفقهاء والمتكلمون . إن مداركهم مكتسبة من خلال حواسهم الظاهرة ؛ وعقولهم المشدودة إلى نفوسهم الأمارة ؛ ذلك أنهم بحكم الطبيعة الدنيا المعطاة لهم يستطيعون فقط امتلاك معارف محدودة القيمة والمضامين . هذا التقييم لطبيعة معارف هؤلاء لا ينبغي أن يدفع السالك إلى إهمالها ؛ ذلك أنها تحدد له الطريق الصحيح لسلوكه الظاهر .

وبيلغ الحضور والعمق درجة عالية عند جماعة الحكماء . لكنهم رغم ذلك لا يصلون إلى وعي النور المحض مباشرة ؛ ذلك أنهم لا يستطيعون التخلص تماماً من إفسار النفس . علماء الباطن هؤلاء الذين يسميهم الترمذي حكماء كانوا يدعون في القرن التاسع الميلادي صوفية .

وهنا يشار تساؤل : لماذا يسميهم الترمذي إذن حكماء ولا يسميهم صوفية ؟! والجواب بإيجاز :

١ - كلمة صوفي واشتقاقاتها مثل تصوف ، متصوفة ، صوفية ؛ لا تظهر في كتابات الترمذي على الإطلاق .

٢ - ربما لم تكن هذه الكلمة قد شاعت عندما كتب الترمذي أعماله . وهنا لا بد أن نلاحظ أنه يتعذر ترتيب مؤلفاته تاريخياً . والأمر الجدير بالذكر أن كثيراً من عارفي القرن الثالث الهجري ممن جاؤوا من شرقي العالم الإسلامي ؛ ممن مسمّوا في المصادر المتأخرة صوفية - كانوا في حياتهم يحملون لقب حكيم ، من هؤلاء على سبيل المثال صديق الترمذي يحيى بن معاذ الرازي ، وأبو بكر الورّاق البلخي ؛ الذي جعلته المصادر اللاحقة تلميذاً للترمذي ، ومحمد بن الفضل البلخي الذي تبادل الترمذي معه الرسائل .

٣ - هناك احتمالات أخرى لا يتسع المجال هنا لمناقشتها بالتفصيل . فربما كان هؤلاء الحكماء جماعة خاصة إلى جانب المتصوفين ولم يكونوا منهم . وربما كانت كلمة حكيم استعمالاً خاصاً بشرقي العالم الإسلامي ؛ لأن كلمة صوفي لم تكن شائعة هناك إذ ذاك ، أو لأنهم أرادوا اجتنابها لسبب من الأسباب . وفي هذه الحالة فإن السؤال الذي يعرض هو : كيف يمكن فهم كلمة الحكيم كلقب للترمذي استناداً إلى ما سبق ؟ . هذا التساؤل أيضاً لا تسهل الإجابة عليه في هذه العجالة . إن جعفر الخليدي الذي جمع كثيراً من كتابات الصوفية لا يعتبر الترمذي واحداً منهم . ولا بأس هنا أن نذكر أن الترمذي حمل على السماع والرقص اللذين كانا معروفين في أوساط الصوفية آنذاك ؛ بيد أن هذا لا ينقض دليلاً على عدم انتمائه إليهم لأن صوفية آخرين فعلوا الشيء نفسه .

يضع الترمذي فوق الحكماء طائفة ثالثة هي طائفة العارفين الحقيقيين الذين يسميهم هو العلماء بالله . إن التعبدية الداخلية لهؤلاء لا يميزها العالم

الخارجي كما لا تؤثر فيها وساوس النفس . إنهم لا يرون أمام أعينهم غير الله . لقد انتهت الأنا عندهم ؛ وفي مكانها حلّ الله . معرفتهم تفوق كيفاً معارف الطائفتين بخاصية مميزة هي اليقين . واليقين هذا ليس أمراً يمكن أن يكتسبه الإنسان بمجاهداته الخاصة ، بل هو نور يقذفه الله في الصدر مباشرة ، ويمكن أن يعرض للإنسان كلمح البرق . إناس كهؤلاء يحظون بنعم الله وعطاياه . إنهم يتلقون حديثاً ، ويطلعون على أسرار الكون ، ويعرفون الإنسان الشقي أو السعيد ، وهم ذوو بصيرة نفاذة ولهم كرامات . هؤلاء أيضاً ينقسمون إلى فئات عليا ودنيا بدورهم . أعلام جميعاً الأولياء ، ولا شك أن الترمذي اعتبر نفسه ذلك الولي المصطفى من الله .

بارنت رادكہ

مركز تحقیقات کاپتور علوم اسلامی

وقفه مع ديوان بشار بن برد

- (*) -

الدكتور شاكر الفحام

٥٧ - كان بشار بن برد مولى بني عذيل بن كعب (كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة) ، وقد فخر بشار بهذا الولاء وتبجح :
إني من بني عذيل بن كعب ، موضع السيف من طلى الأعناق
وسارت له قصائد يشيد فيها بوقائع مواليه العامريين ، ومن خلفهم
من قبائل قيس عيلان عامة :

أمنت مصرة الفُحَّشاء ، اني أرى قيساً تضره ولا تُضارُ (١)
وفي عداد هذه القصائد تأتي قصيدته التالية (٢ : ٨ - ١٤) ،

(*) نشر القسم الأول من هذا المقال في الجزء السابق (مج ٥٣ ج ٢ ص ٣٤٠)
(١) الأغاني (ط . دار الكتب) ٣ : ١٣٩ ، ديوان بشار ١ : ٤ - ٦ .
ورواية الشطر الثاني في ديوان بشار (٣ : ٢٥٠) : أرى قيساً يُشَبُّ ولا يُضارُ
ولعل الصواب : أرى قيساً تُسَبُّ ولا تُضارُ .

التي ذكر فيها انتصارات قومه من بني عامر بن صعصعة على أعدائهم من بني حنيفة ، في الوقائع التي دارت بينهم ، إثر مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ١٢٦ هـ (١) .

— بدأ بشار قصيدته متغزلاً ، وتوحي هذه المقدمة الغزائية بأن القصيدة قيلت في أيام العباسيين ، بعد أن حرّم الإمام المهدي على بشار طريقته في تصبي النساء ومقاربتهن (٢) :

ولو لا أمير المؤمنين سقيتهم — أوماً ينجيها بنا حيث حلّت ..
لقد كنتُ في ظل العذارى مرفلاً — أحب وأعطى حاجتي حيث حلتِ
فغير ذاك العيش تاجٌ لبسته — وطاعة والٍ حرّمت وأحلّتِ
ونبت نسواناً كرهن تحلّمي — والله أبلي أكثر أم أقلّ
إذا أنا لم أعط الخليفة طائماً — يعني فلا قامت لكأسٍ وشدّتِ
ولذلك اضطرب الشارح في تعليقه على الأبيات :

أ — ذكر في مفتتح القصيدة (٢ : ٨) أن بشاراً قالها « يتغزل ويفتخر بأيام بني عامر مواليه في الهمامة سنة ١٢٦ هـ » .

ب — ثم عرض لقول بشار في القصيدة (٢ : ١٠) :
فمن مبلغ عني قربش رسالةً — وأفناء قيسٍ حيث سارت وحدث

(١) الكامل لابن الاثير ٥ : ١٤١ - ١٤٢ ، الأغاني (ط . السامي)
٧ : ١١٥ - ١١٦ ، ٢٠ : ١٤١ - ١٤٢ (ترجمتا يزيد بن الطثيرة القشيري ،
والقحيف العقيلي) ، أنساب الأشراف للبلاذري (مخطوط) ٨ : ٣٦٢ - ٣٧١

(٢) الأغاني (ط . دار الكتب) ٣ : ١٨٢ - ١٨٤

فذكر أن بشاراً د خص " قريشاً وقيساً ، لأن قريشاً قوم بني العباس ،
وقيساً أنصارهم ، وكذلك غير ، وسيدكر عقيباً بعد هذا ، وهم
قومه أهل ولاته ، ... أشار إلى قتال الحارثيين عن الدعوة العباسية من
ضبيعة وبكر .

وهذا القول بجانب الواقع ، ولا تؤيده روايات المؤرخين والخباريين ،
لأن بشاراً يفخر في هذه القصيدة بوقائع العامريين وانتصاراتهم على أعدائهم
من بني حنيفة ، أيام بني أمية ، بعد مقتل الوليد بن يزيد ، وهي وقائع
حركتها الحمية ، حمية الجاهلية ، وغذتها العصبية القبلية .

ج - وعلق الشارح على بيت بشار التالي (٢ : ١٠) :

بأنا تداركنما ضبيعة بعدما أغارت على أهل الحمى ثم ولت

فقال : د وذلك أنه لما قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ١٢٧ هـ
(الصواب : ١٢٦ هـ ، وأظنه من خطأ المطبعة) ثار أهل اليمامة على
عاملهم علي بن المهاجر ... وانقسم سكان اليمامة فريقين ... وتقاتل
الفريقان في فلج من قرى اليمامة ، فكان لهم فيه يومان : يوم فلج الأول ،
ويوم فلج الثاني ، وكان النصر فيها لبني عامر وقيس وعقيل ومن معهم ،
ثم أراد عمر بن الوازع الحنفي الثار لقومه ، فجمع خيله وأغار على الأعداء ،
وأتى النشاش ، فأقبلت إليه بنو عامر واقتتلوا ، فهزموه ، وفر عمر بن
الوازع فلاحق باليمامة ، فكان هذا يوم النشاش ، ولم يكن لحنيفة بعده جمع .

ولكن العودة إلى المراجع التاريخية تبين أن يوم الفلاج الأول كان
لعامر على بني حنيفة ، وأن يوم الفلاج الثاني كان لحنيفة على بني عامر ،

وأن يوم النشاش كان لعامر على حنيفة (١).

- ويلوح لي أن كلمة « ضيعة » الواردة في بيت بشار محرفة عن كلمة « حنيفة » ، وبذلك يستقيم معنى البيت ، ويلتقي مع ما جاءت به الرواية التاريخية .

٥٨ - ورد في قصيدة بشار التائية (٢ : ٨ - ١٤) أبيات عزاها الرواة للقحيف العقيلي . ولم أظفر بقصيدة العقيلي تامة ، فرأيت أن أذكر ما عثرت عليه من أبياتها ، لأقرنه بما يماثل من أبيات بشار في القصيدة التائية المذكورة .

أ - قال القحيف العقيلي :

لقد أرسلت خرقاء نحوي جريهاً اتجعلني خرقاء ممن أضلّت
وخرقاء لا تزداد إلا ملاحه ولو عثرت تعمير نوح وجلّت

..... مركز تحقيق بيتورم رندى

فمن مبلغ عني قريشاً رسالة وأفناء قيس حيث سارت وحلّت
بأنا تلافينا حنيفة بعدما أغارت على أهل الحمى ثم ولّت (٢)

(١) الكامل لابن الأثير ٥ : ١٤١ - ١٤٢ ، أنساب الأشراف (مخطوط)
٨ : ٣٦٢ - ٣٧١ ، الأغاني (ط . السامي) ٧ : ١١٥ - ١١٦ ، ٢٠ :
١٤١ - ١٤٢ ، وفلج ، بفتح الفاء واللام : مدينة قيس عيلان بن مضر بن
نزار باليامة ، وهي لبني جعدة وقشير وكعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، كما
أن حجر ، بفتح الحاء المهملة وسكوت الجيم ، أم قرى اليامة ، مدينة بني
ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، إلا أن الأصل فيها لبني حنيفة (معجمه
البلدان - حجر ، فلج) .

(٢) تلافاه ، بالفاء : تداركه .

لقد نزلت في معدن البرم نزلة فلاباً بلأبي من أضاخ استقلت
تشككٌ نَميرٌ بالقنما صفحاتهم فكم ثمٌّ من نذر لها قد أحلت
تركنا على النشاش بكر بن وائل وقد نهلت منها السيوف وعلت
وبالفلج العادي قتل إذا التقت عليها ضباع الغنيل بانت وظلت^(١)

ب - وقال بشار العقيلي (٢ : ١٠ - ١٤) :

لقد أرسلت صفراء نحوي رسولها لتجعلني صفراء بمن أضلت
فمن مبلغ عني قريشاً رسالة وأفناء قيس حيث سارت وحلت
بأننا تداركنا ضبيعة بعدما أغارت على أهل الحمى ثم ولت
وقد نزلوا يوماً بأوضح كامل ولأباً بلأبي من أضاخ استقلت
فشككٌ نَميرٌ بالقنما صفحاتهم وكم ثمٌّ من نذر لها قد أحلت
تركنا على النشاش بكر بن وائل وقد نهلت منها السيوف وعلت
وبالفلج العادي قتل إذا التقت عليها ضباع الجر بانت وضلت

٥٩ - أصلح الشارح بيت بشار (٢ : ١١) المحرف في المخطوطة،
وقوّمه على النحو التالي :

فشككٌ نَميرٌ بالقنما صفحاتهم وكم ثمٌّ من نذر لها قد أحلت

ثم عقب على ذلك فقال : « والأحسن أن يقال : فشككت ، لقوله
بعده : قد أحلت » . ونرجح أن تكون الرواية : تشككٌ نَميرٌ ، بصيغة
المضارع ، كما وردت في أنساب الأشراف (٨ : ٣٦٩) .

(١) الأغاني (ط . الساسي) ١٦ : ١١٩ ، ٢٠ : ١٤١ ، طبقات

فحول الشعراء : ٤٧٩ - ٤٨٠ ، معجم البلدان : (فلج ، معدن البرم ،

النشاش) ، أنساب الأشراف ٨ : ٣٦٩

٦٠ - قال بشار (١٢ : ٢) :

تركنا على النشاش بكر بن وائل وقد نهلت منها السيوفُ وعلتُ
فعلتُ الشارح بأن ياقوتاً الحموي قد أنشد هذا البيت (معجم البلدان -
فلج ، النشاش) ، إلا أنه نسبه إلى القحيف العقيلي غلطاً . وما ذكرناه
آنفاً (الرم : ٥٨) لا يجوز نسبة الغلط إلى ياقوت .

٦١ - قال بشار (١٤ : ٢) :

وبالفلج العادي قتل إذا التقت عليها ضباع الجرء بانت وضلت
وذكر المراجعان أن كلمة : « ضلت » قد وردت في المخطوطة :
« ظلت » ، بالطاء المشالة ، دون أن يعقبا على ذلك بشيء . والذي يبدو
لي أن رواية المخطوطة : « ظلت » ، بالطاء المشالة هو الرواية الصحيحة ،
وينبغي أن تصحح معها جارتها ، كلمة « بانت » لتصبح « باتت » ، بالتاء
المثناة من فوق بدل النون . وبذلك تلتقى رواية الديوان برواية معجم
البلدان : (فلج) ، ويتضح مراد الشاعر الذي رمى من وراء تعبيره :
« بانت وظلت » ، أن يظهر كثرة القتل من أعدائه ، وقد غودروا في
أرض المعركة طعاماً للضباع ، فهي تنهش من لحومهم ليل نهار .

- ثم فسّر الشارح : « ضباع الجرء » أنها « التي تجر لحم الميت
إلى وجارها لشدة حرصها » . ولا أظن اللغة تساند مثل هذا التفسير ،
والأولى ، فيما أراه ، أن تكون : « الجر » اسم موضع . وقد جاءت
رواية معجم البلدان : « ضباع الغنيل » ، والغنيل : بالفتح ثم
السكون ، واد لبني جعدة في جوف العارض ، يسير في الفلج (معجم
البلدان - الغيل) . وقد تكون « الجر » آتية بمعناها اللغوي ، قال في
اللسان (جر) : « والجرء : أصل الجبل وسفحه » .

٦٢ - أنشد ياقوت في معجم البلدان : (بيروت) ، الأبيات الثلاثة التالية منسوبة إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان :

إذا شئت تصابرت ولا أصبر إن شئت
ولا والله لا يصب رُ في البرية الحوت
ألا يا حبذا شخص حمت لقياه بيروت

والبيتان الأولان من الأبيات الثلاثة قد وردا ضمن قصيدة بشار التي مطلعها (٢ : ١٨) :

أحببني فم خلّيت ؟ وفيم الحبل مبتوت

٦٣ - قال بشار (٢ : ٢٢) :

إن تجفني سلمى فإني امرؤ أصبو وأصبي ، ربما قد جفيت

وجملة : « ربما قد جفيت » قلقة في موضعها ، لا تستقيم عربية ، وقد أراد الشارح أن يحتمل لها ، فيجعل « أصبو وأصبي » جملتين معترضتين . ويلوح لي أن كلمة « ربما » قد تكون محرفة عن « وبما » ، وقد بدتنا طريقة استعمالها فيما سلف ، (رقم ١٩) .

٦٤ - وقال (٢ : ٢٧) :

فلم أبق على النفس ولو استطيع أبقيت

وقال الشارح في تعليقه : « كتب في الديوان : ولو استطعت ، وهو غير متزن ، ولعل صوابه : ولو استطيع » . وأرى أن ما في الديوان صحيح سليم ، يتزن به البيت ، ولا حاجة لتغييره . قال في اللسان (طوع) : « وأما قوله تعالى : (فما استطاعوا أن يظهروه) [سورة الكهف ، آ : ٩٧] فإن أصله : استطاعوا ، بالطاء ... ومنهم من يقول :

أسطاءوا ، بألف مقطوعة ... قال ابن سيده : واستطاءه ، واسطاءه ،
(بهمزة وصل) وأسطاءه ، (بهمزة قطع) ... أطاقه ، . فرواية
الديوان : « أسطعت » (بهمزة قطع) ، صحيحة ، لالة فيها .

٦٥ - وقال بشار في هجاء أبي هشام الباهلي (٤٧ : ٢)

وعلى وجهك المحنت سيم

وسياق البيت يقتضي أن يقال : وعلى وجهه المحنت سيم ، بضمير الغائب .

٦٦ - قال بشار (٥٠ : ٢) :

يا صاح قل في حاجتي أذكرتها فيما ذكرنا

وذكر الشارح أن القصيدة من مجزوء الرجز ، والصحيح أنها من مجزوء
الكامل المرفل .

٦٧ - قال بشار متغزلاً بعبدة (٥٤ : ٢) :

عظني فيها رويدا رويدا قد ملأت الواعظات

وفسر الشارح (عظني) بأنها مصدر مضاف إلى مفعوله . والذي أراه في
رواية البيت :

عظني فيها رويدا رويدا قد ملأت الواعظات

فبشار يخاطب العاذلات القائلات (٥٢ : ٢) :

اسل عن عبدة قد أن زفت فيها العبترات

بأن يخففن من عذلهن ، لأن حبه لعبدة مقيم لا يبرح ، وإن يستجيب في
هواها لنصح ، ولن يطيع واعظة .

٦٨ - ولبشار أبيات في هجاء آل سليمان بن علي (٥٦ : ٢) -

(٥٧) ، وقد ذكر الشارح عدة أبناء لسليمان بن علي ، نقلًا عن جمهرة

ابن حزم ، ثم ضمّ إليهم داود بن سليمان ممدوح بشار (الديوان - الورقة ٢٤١) ، ولكنه عاد وهو يشرح المدحة المذكورة (٣ : ١٩٢) فرجح أن يكون ناسخ الديوان قد سها ، وأن ممدوح بشار هو سليمان بن داود ابن علي . وهو ترجيح نوافقه عليه ونراه يبلغ مرتبة اليقين ، إذ تؤكد أبيات بشار في قصيدته المذكورة (٣ : ١٩٢ - ١٩٩ ، الأبيات : ٣٢ ، ٣٨ ، ٤٩) .

٦٩ - وقال بشار يصف المهالبة قوم الممدوح خدّاش بن يزيد (٢ : ٦٠) :

ركب لعيدان الملو ك ، عن المكارم غير راثه^١
وضبطت « ركب » بالفتح ثم السكون . وأرجح عليا : « ركب » بضم الراء والكاف ، جمع ركوب ، قال في اللسان (ركب) : « رجل ركوب وركتاب : كثير الركوب » ، وعيدان الملوك : المنابر ، كما ذكر الشارح . وقد ركزت بشار معناه في مدائحه ، قال في مديح سليمان ابن داود الهاشمي (١ : ٢٣٦) :

ركتاب هول وأعواد لمملكة ضراب أسباب هم حين يلتهب^٢
وقال في مديح روح بن حاتم (٢ : ٢٥٣) :

ركتاب أعواد الملو ك ، مباريا سبيل الرواعد^(١)
وقال في صفة صاحب له (٣ : ٩٥) :

وصاحب يعطي وييدي العلا ركتاب أهوال وأعواد
وقال في مديح سفيح بن عمرو (٣ : ١٣٢) :

وركتاب أعواد المنابر لايني خليفة ملك للصعاليك أوحدا

(١) انظر تعليقنا الآتي على هذا البيت برقم ٨٢

٧٠ — وقال بشار في مديح أحد أصحابه (٢ : ٦٤) :

صحبته في الملك أو سوقة

وضبط « سوقة » بالجر ، والصواب ضبطها بالنصب . فبشار قد خبر صاحبه : ملكاً وسوقة ، فحمده في حاله ، لم ينكر من أمره شيئاً . جاء في اللسان (سوق) : « السُّوقَة : خلاف الملك ، ... يستري فيه الواحد والجمع والمؤنث والمذكر ، ... وربما جمع على سُوق ، السُّوقَة من الناس : الرعية ، ومن دون الملك ، وكثير من الناس يظنون أن السُّوقَة أهل الأسواق . والسوقَة من الناس : من لم يكن ذا سلطان ، الذكر والأنثى في ذلك سواء ، والجمع السُّوق ... قال زهير : يطلب شأو امرأين قدما حسنا نالا الملوك ، وبذا هذه السُّوقا .

وجاء في الأساس (سوق) : « وهو من السُّوقَة ، والسُّوق : وهم غير الملوك » . وقال شرحبيل لأبي حنبل التغلبي : « أملكاً بسوقة ؟ » أي أنقتل ملكاً بدل سوقة ؟ (أمثال الميداني ١ : ٤٥ ، في شرح المثل : إن أخي كان ملكي) . فالإنسان ملك أو سوقة . وعلى هذا جرى العرب في كلامهم ^(١) . وردده بشار في شعره . قال في صفة صاحب له (٣ : ٩٥) :

(١) انظر أقوال اللغويين في تفسير السُّوقَة والسوق ، وشواهدهم من كلام العرب في : التكملة للجواليقي : ١١ - ١٢ ، ودرة الغواص للحريزي : ١٩٨ ، ولسان العرب ونتاج العروس (سوق) .

صحبتـه في الملك أو سوقـة^١ فزاد في عددة حسّادي (١)
 وقال في مديح سلم بن قتيبة الباهلي (٣ : ٢١٩) :
 سيد^٢ ، سوقـة^٣ وفي الملك ، فيتا^٤ ض^٥ ، يحامي عن عرضه بالبدور^٦
 وقال دعل الخزاعي في كافيته المشهورة (أمالي الشريف المرتضى
 ١ : ٤٣٧) :

يا سلم ، ما بالشيب منقصـة لا سوقـة^٧ يـقي ولا ملكا
 ٧١ - وقال بشار يصف صاحبتـه بالجـمال والنعمة (٢ : ٨٠) :
 لبـاخيتـة الأرداف ، لم ترع ثلـة^٨ بـقي^٩ ، ولم تركب بعيراً بهودج^{١٠}
 ضبطت « ثلـة^{١١} » بضم الـثاء المثلثة ، والصواب فتحها . جاء في اللسان
 والقاموس : الـثـلـة ، بفتح الـثاء ، جماعة الغنم ، والـثـلـة ، بضم الـثاء ، الجماعة
 من الناس (وانظر المختار من شعر بشار : ٢٥٦) .

(١) استشهد الواحدي والعكبري بهذا البيت حين عرضا لشرح بيت
 أبي الطيب المتنبي :

أزل حسد الحساد عني بكبتهم فأنت الذي صيرتهم لي حسداً
 (٢) قال في اللسان (بدر) : « والبـدرة^{١٢} : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف .
 سميت ببـدرة السخلة ، والجمع : البـدور ، وثلاث بدرات » .
 (٣) كرر بشار هذا المعنى في شعره ، من ذلك قوله (الديوان ٢ : ١٦٠ ،
 أمالي الشريف المرتضى ٢ : ١٣٨ ، المختار من شعر بشار : ٢٥٥) :
 من البيض لم تسرح على أهل ثلـة^{١٣} سواماً ، ولم ترفع حداج قعود
 وقوله (أمالي الشريف المرتضى ٢ : ١٣٩ ، المختار : ٢٦٠) :
 وصفراء مثل الخيزرانة لم تعش^{١٤} بيؤس ، ولم تتبع مطية راع

٧٢ - وقال في صفة جارية (٢ : ١٠٩) :

مبتلةٌ ، فخمةٌ ، فمّمةٌ هضم الكشح ، بوصها أرجحُ

والشطر الثاني لا يستقيم وزناً ، ولعل صوابه : هضم الحشا ، بوصها أرجح .
والبيت من البحر المتقارب .

٧٣ - وقال يصف محبوبته عبدة (٢ : ١٣٩) :

مكربٌ فوق معقد المرط منها واحتشى المرط من أناة رباح

وفسر الشارح المكرب بأنه العضو الممتلئ لحماً وعصباً ، ورأى ، تبعاً
لذلك ، أن الصواب في البيت : « تحت معقد المرط » بدل : « فوق
معقد المرط » ، لأنهم يستحسنون خصوصية الردف والفخذين ، وفسر الأناة :
بالقصة ، وأن الشاعر قصر الأناة تخفيفاً ، ورباح : بلد بالهند يجلب
منه الكافور .

ويبدو لي أن صحة البيت :

مكربٌ فوق معقد المرط منها واحتشى المرط من أناة رباح

قال في تاج العروس (كرب) : « المكرب ، بضم الميم ، وفتح
الراء ، من المفاصل : الممتلئ عصباً ، ووظيفٌ مكرب : امتلأ عصباً » .
وقال الزنجشيري في الأساس : « ومن الحجاز : هو مكرب المفاصل :
موثقها » . والأناة من النساء : التي فيها فتور عن القيام وتأنٍ . وامرأة
رباح : عجزاء ، ثقيلة الأوراك ، تامة الخلق ، وقال الأزهري : ضخمة
العجيزة والمآكم (لسان العرب) . ويشار في ذلك جاز على مذاهب
العرب في أوصاف النساء . قال الموار بن منقذ (المفضليات ١ : ٨٨) :
فهي هيفاء ، هضم كشحها فخمسة حيث يشد المؤتزر

وقال الحكم الحصري (حماسة أبي تمام ٢ : ١٠٦) :

تساهم ثوبها ، ففي اللرع رادة وفي الموط لفتاوان ، ردفها عبل

ومن شعر بشار في هذا المعنى قوله (١ : ١١٨) :

أزرت دعصة ، وتمت عسيبا مثل أيم الغضا دعاه الأباء

وقال (٢ : ٢٨٠) :

عبل مسورها ، وعث مؤزرها مثل المماة ، رداح ، فبتها رودة

وقال (٣ : ٣٠) :

عسيبا كأيمن الجن ما فات مرطها ومثل النقا في الموط منها ملبدا

وقال (٣ : ٢٤٥) :

قد جل ما بين حجليها ومزرها واهتز كالأيم ما على عن الأثر

٧٤ - وقال في المديح (٢ : ١٤٧) :

من المتحرفين بدأ وجوداً على مديحه ، وعليه 'نبح'

وكلمة « المتحرفين » بالحاء المهملة والفاء ، لا معنى لها في البيت ، وقد جهد الشارح ليفسرهما . وأرجح أن الكلمة مصحفة صوابها :

من المتخرفين بدأ وجوداً

قال في اللسان : « تخرق في الكرم : اتسع . والخرق » بالكسر ، الكرم المتخرق في الكرم . . . ويقال : هو يتخرق في السخاء : إذا توسع فيه . وأنشد ابن بري الأبيرد اليربوعي :

فتى ، إن هو استغنى تخرق في الغنى وإن عض دهر لم يضع متنه الفقر^(١)

(١) البيت من حماسة رواها أبو تمام في باب المراثي (الحماسة ١ : ٥٤)

... قال ابن الأعرابي : رجل مخراق ، وخيرق ، ومتخرق :
 أي سخي ، وجاء في الأساس (خرق) : « وفلان خيرق » : يتخرق في
 السخاء ، يتسع فيه . وهو منخرق الكف بالنوال ، ومنخروق الكف : لا يليق شيئاً .
 ٧٥ - وقال بشار يذكر سعدى وما أثارته في نفسه (١٥٩ : ٢) :

أهبت بنات الصدر بعد رقادها فأصبحن قد وافين غير رقود
 جعل الشارح « أهبت » بمعنى زجرت الإبل ، من الفعل « أهاب » ،
 وفستر بنات الصدر بعزائم النفس . وهو تفسير لا تؤيده كتب اللغة .
 ولعل الصحيح أن الفعل إنما هو « أهب » ، بمعنى أيقظ ، لحقت به تاء
 التأنيث . لأن الشاعر يتحدث عن سعدى التي أثارت في نفسه الهموم ،
 وبعثت الأشواق والأفكار ، بعد أن كانت نائمة . وهو معنى مألوف طوره
 الشعراء ، وقد تأتي له بشار واصطنع له هذا الطباق الجميل بين الإهباب
 والرقاد . قال في الأساس (بنى) : غلبتني بنات الصدر ، وهي الهموم ،
 وقال في اللسان : هب من نومه : انتبه ، وأهبت : نبهه .

٧٦ - قال بشار (١٧٣ : ٢ - ١٧٤) :

يقول إذ أبصرني مقبلاً في القوم معتمئاً ولم أرند
 لفارغ مما به شغله لم يشج بالحب ولم يشهد

وأرى أن « لم يشهد » محرفة ، صوابها : « لم يسهد » بالسين المهملة .
 قال في اللسان : « سهد » بالكسر ، يسهد سهداً وسهداً وسهداً :
 لم ينم . . . وقد سهده الهم والوجع ، ولبشار أبيات عدة يصف فيها
 ما يعترى المحب من الهم والسهد كقوله (١٩٢ : ٢) :

فالقلب صبٌّ معنًى حين يذكرها والعين عبرى تقاسي الهم والسهدا^(١)

٧٧ - وقال يتحدث عن عبادة وما تلقاه من حسد جاراتها « وقديماً

كان في الناس الحسد » (٢ : ١٧٥ - ١٧٦) :

يحسدن منها فصلاً مائلاً للقلب والخلخال والمعضد^(٢)

والدر والياقوت يحسدنها منطقة في الأوضح الأجل

وقال المراجعان في التعليق : « منطقة : معلقة » ، وهو تفسير

لا تميزه العربية ، فناطق فعل ثلاثي . قال في اللسان : « ناط الشيء ينوطه

نوطاً : علقه . . . ويقال : نيط عليه الشيء : علق عليه . قال رفاع

ابن قيس الأسدي :

بلادهم نيطت عليّ تمائي وأول أرض مس جلدي ترابها

... ونيط به الشيء أيضاً : وُصل به . . . يقال : نطت هذا الأمر

به أنوطه ، وقد نيط به ، فهو منوط . . . ورجل منوط بالقوم : ليس

من مصاصهم . قال جسيان :

وأنت دعي نيط في آل تهاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد .

وقد لاح لي في تصحيح البيت وجهان :

الأول ، وهو الراجح : مناطه في الأوضح الأجل ،

ومناطق ، بفتح الميم ، اسم مكان ، أي موضع تعليق الدر والياقوت .

ولا ضير في أفراد الضمير العائد على « الدر والياقوت » ، فإن المعنى « بها مفرد » ،

وهو العقد . وعلى هذا التقدير يجوز في « الدر والياقوت » الرفع على

الابتداء ، وأرجح منه النصب على الاشتغال .

(١) وانظر ديوان بشار ٢ : ٢٩١ ، ٢٩٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٩ ، ٣ : ٣

(٢) انظر ما علق به المراجعان على تفسير الشارح لهذا البيت (٢ : ١٧٥ -

١٧٩) ، وما سبق أن علقنا به في الرقم (١٤) .

الوجه الثاني ، وهو مرجوح : مُنتاطة في الأوضح الأجد
يقال : انتاط به : تعلق . وعلى هذا التقدير يجب في : « الدر
والياقوت » ، النصب ، والتقدير : بحسبها الدر والياقوت . قال في
اللسان : « حسده على الشيء ، وحسده إياه ، قال يصف الجن مستشهداً
على حسدك الشيء بإسقاط على :
أتوا ناري فقلت : منون أنتم ؟ فقالوا : الجن ، قلت : عموا ظلاماً
فقلت : إلى الطعام ، فقال منهم زعيم : نحسد الإنس الطعام
وقد يجوز أن يكون أراد : على الطعام ، فحذف وأوصل . »

٧٨ - قال بشار (٢ : ١٨٤) :

يا ويحها طفلة خلوت بها ليست ذنوبي فيها من العدد
فأعهدت من الظنون على تبليغ واش من قول ذي حسد
ضبطت « طفلة » بكسر الطاء المهملة ، والصواب أن تضبط بفتح الطاء
المهملة . قال في اللسان : « الطفل ، بالفتح : الرخص الناعم . . والأنثى :
طفلة ، قال الأعشى :

رخصة ، طفلة الأنامل ترتب سبخاً تكفه بخلال (١)

... ويقال : جارية طفلة : إذا كانت رخصة ... والطفيل والطفلة
[بكسر الطاء المهملة] : الصغيران . .

- وفصلت كلمة « تبليغ » في البيت الثاني ، فأثبت التاء والباء
في صدر البيت ، وبقية الكلمة في عجزه ، والقصيدة من المنسرح ، وحق
كلمة « تبليغ » أن تقع كلها في مطلع العجز .

(١) الشاهد من قصيدة الأعشى الشهيرة في مديح الأسود بن المنذر اللخمي

والتي مطلعها :

ما بكاء الكبير بالاطلال وسؤالي ، وهل ترد سؤالي ؟

- بقي قوله : « من قول ذي حسد » ، وكلمة « من » لا محل لها ، وهي محرفة عن واو العطف . وطالما تحدث الشعراء عن الوشاة والحاسدين . قال بشار (٢ : ١٦٤) :

فلما ذكرت عين وأشرفت العدا وجاهرنا واش ، ودب حسود
وقال أبو نواس (د : ١٩٧) :

حتى إذا ما أتت صدرت به عن كل واش ، وعن ذوي الحسد
وقد جاء بيت بشار على وجهه الصحيح ، عروضاً ورواية ، في الديوان (٣ : ٧) .

٧٩ - قال بشار (٢ : ٢٠٣) :

وعناق خلال ذا ك تدأوي به الصدى
ضبطت « تدأوي » بتاء المضارعة المثناة من فوق ، وأظنها من خطأ المطبعة ، والصواب : « تدأوي » بنون المضارعة ، لأن الشاعر يخاطب حباة ، ويتحدث إليها .

٨٠ - قال بشار (٢ : ٢٠٣) :

قد كنت آمل من نعيم مودتها فما وأت لي ، وما جاءت بموعود
ورد « جاءت » بالهمزة ، وهي محرفة عن « جاءت » بالدال المهملة . وأظنها من خطأ المطبعة . قال في اللسان : « الموعود : من المصادر التي جاءت على مفعول » . ومن قول بشار (٢ : ٢٧١) :

إن لم تجودي بموعود فلا تعدي ما أقبح الوعد حتى زانه الجود

٨١ - وقال في مديح روح بن حاتم المهلي الأزدي (٢ : ٢٥٢) :

سام لزلزلة الحـرو ب ، يظه خرق المطارد

وضبط الشارح « خرق » بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء ،
وفسرها بالأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح ، والمطارد جمع مطردة ،
بحجة الطريق .

- ويلوح لي أن الصواب « خرق » بكسر الخاء المعجمة وفتح
الراء ، جمع خِرقة بكسر فسكون . والمطارد : الرماح ، (وقد نبّه
المراجعان إلى تفسير المطارد بالرمح تعقيباً على تفسير الشارح) . قال في
اللسان : « والمِطْرَد : رمح قصير يطرد به . قال ابن سيده : والمطرد
من الرمح : ما بين الجُبَّة والعالية . وجبة الرمح : ما دخل من السنان
فيه . » وخرق المطارد : الرابات . فالممدوح ملك عظيم تظلمه الرايات ،
وتخفق فوقه . وهو معنى تداوله الشعراء ، وأكثروا من ذكره في مديح
السادة الرؤساء . قال الفرزدق (النقائض ١ : ١٨٤) :

ومعصب بالتمكاج يخفق فوقه خرق الملوك ، له خميس جحفل
قال شارح النقائض : خرق الملوك ، يعني الرايات . وقال جرير
(د : ٣٩٩) :

وتيم تمشيها الكلاب إذا غدوا ولم تمس تيم في ظلال الخوافق

وقال بشار في مديح سليمان بن داود الهاشمي (١ : ٢٣٥) :

إذا أقيت أبا أيوب في قعد أو غازياً فوقه الرايات تضطرب

٨٢ وقال بشار في مديح روح (٢ : ٢٥٣) :

ركّاب أهوال الملو ك ، مندوباً سبل الرواعد

وركب الهول : من استعارات العرب الجميلة . قال تأبط شراً (شرح

الجماسة المرزوقي ٢ : ٨٣٣) :

يركبُ الهول وحيداً ولا يصـ . يحبه إلا اليامي الأفلـ (١)
ولكني توقفت عند قوله : « ركتاب أهوال الملوك » ، وقوله : « مناوباً » ،
ورجحت أن تكون الرواية :

ركتاب أعواد الملوك ، مبارياً سبيل الرواعيد
وصفه بالإمارة ، والسخاء . وأعواد الملوك : هي المنابر . وهذا المعنى
ردده بشار في شعره ، قال يمدح سليمان بن داود الهاشمي (١ : ٢٣٦) :
ركتاب هول ، وأعواد لمملكة ضراب أسباب هم حين يلتهب
وقال في مديح خدش وآل بيته من المهالبة (٢ : ٦٠) :
رُكْبُ لعيذان الملوك ، عن المكارم غير رائه
وقال في مديح سفيح بن عمرو (٣ : ١٣٢) :

وركتاب أعواد المنابر لا ينـي خليفة ملك للصعاليك أوحداً
٨٣ - وقال بشار في مديح روح وتغلبه على قلعة ورزن (٢ : ٢٥٤) :
وتركت قلعة ورزن كسارب البقر الروائد

قال الشارح : « قلعة ورزن » ، ويقال : ورزن ، من أكبر قرى
الري . وكان المدوح قد فتح الري كما علمت من ترجمته . وكان بشار

(١) وقريب من هذه الاستعارة قولهم : ركب الكره ، وركب الموت ،
وركب حد السيف . قال الحماسي :
ونركب الكره أحياناً فيفرجه
وقال :

إذا المرء لم تغضب له حين يغضب فوارس إن قيل أركبوا الموت يركبوا
وقال :

ويركب حد السيف من أن تضيمه إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحلاً

(انظر شرح الحماسة للمرزوقي ١ : ١٠٩ ، ٢ : ٦٦٩ ، ٣ : ١١٢٩)

قد عرض لقلعة ورزن في قصيدة له أخرى يمدح بها روح بن حاتم . قال
(١ : ٣٣٨) :

وعلى ورزن هجمت المنايا والمنايا في دورهم أسراب^(١)

وعلق الشارح على ذلك بقوله : « ورزن : اسم مكان ، ولعله هو المسمى :
أرزن ، فأبدلت الهمزة واواً للتخفيف » . قلت :

أ - الذي رأيت في معجم البلدان لياقوت الحموي : « ورزنين
[بنونين ، على صيغة جمع ورزن جمعاً سالماً] : من أعيان قري الري ،
كالمدينة » . ولعل كلمة « ورزنين » التي وردت في قول الشارح من
خطأ المطبعة .

ب - ورزن موضع غير أرزن .

ج - ذكر الشارح أن الممدوح قد فتح الري ، وأنه قد ذكر
ذلك في ترجمته . ولدى العودة إلى ترجمة الممدوح روح بن حاتم في الديوان
(١ : ٣٣٢) لا نجد إشارة لفتحه الري والذي ذكرته كتب التاريخ
والأخبار أن الممدوح شارك في فتح طبرستان حين عصت في أيام المنصور^(٢) .

(١) قال في اللسان (هجم) : « هجم على القوم : انتهى اليهم بغتة ، وهجم عليهم
الخيال وهجم بها يتعدى ولا يتعدى » .

(٢) انظر أخبار روح بن حاتم في كتب التاريخ العامة - كالطبري ١٧٨ : ٩
(سنة ١٤٢ هـ ، فتح طبرستان) ، ٩ : ٣٢٧ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ (سنة
١٥٩ هـ وسنة ١٦٠ هـ ، ولايته السند) ، ٩ : ٣٤٧ (سنة ١٦٥ هـ ، ولايته
البصرة) ، ١٠ : ٩ (سنة ١٦٧ هـ ، كان على صلاة الكوفة واحداً) ،
١٠ : ٣٣ ، ٥١ (سنة ١٧٠ هـ ، وسنة ١٧١ هـ ، ولايته إفريقية) ، ١٠ : ٥٢
(سنة ١٧٤ هـ ، وفاته) ، وانظر معجم البلدان - (طبرستان) ، وفتوح
البلدان للبلاذري ٣٣٠ - ٣٣٤ (فتح جرجان وطبرستان ونواحها) ، ومختصر =

٨٤ - وقال بشار في مديح روح (٢ : ٢٥٥) :

بجؤولة قرعوا الملا وبفضل أعمام ووالد

جاءت الكلمة « قرعوا » بالقاف ، وأرجح أن تكون « فرعوا »
بالفاء . قال في الأساس : « وفرع [الرجل] قومه ، وتفرعهم :
علاهم شرفاً ، مثل تذرأهم » . وقال في اللسان : « فرع فلان فلاناً :
علاه . وفرع القوم وتفرعهم : فاقهم ، وفرعت قومي : أي علوتهم
بالشرف أو بالجمال » . وقال بشار في مديح محمد بن أبي العباس السفاح
(٣ : ٣٩) :

فرعت قريشاً في أرومتها التي يد يديه دونها كل أصيدا

٨٥ - وقال بشار (٢ : ٢٦٠) :

وثقيلة الأرداف ، مخيطة الحشايا ^{عن} مثل الغزالة مقلتين وجيـدا

قال الشارح : « أنت الغزالة التي هي الحيوان ، ولا يعرف تأنيثه في
كلام العرب ، إذ الغزالة بالتأنيث هي الشمس ... » . ولكن النقول عن
اللغويين تخالف ما أورده الشارح . قال ابن سيده في الخصاص (٨ : ٢٢)
وهو يتحدث عن أسنان الأطباء : « فأما أبو زيد [الأنصاري]
فقال : يقال لولد الطي حين تلده أمه : غزال ، والأنثى : غزالة ، وجماعه :

= البلدان لابن الفقيه : ٣٠٨ ، ونجد ترجمته وأخباره في تهذيب ابن عساكر
٥ : ٣٢٦ ، والبيان المغرب ١ : ٨٤ - ٨٥ ، والحلة السيرة لابن الأبار ،
وفيات الاعيان لابن خلكان ، والإعلام للزركلي ٣ : ٦٣ .

الغِزْلان ، (١) . وقال في اللسان (غزل) : « والغزال من الظباء : الشادن قبل الإثناء حين يتحرك ويمشي . وتشبه به الجارية في التشبيب فيذكر النعت والفعل على تذكير التشبيه . . . والجمع : غزاة وغزلان مثل غامة وغلمان ، والأنثى بالهاء [أي : غزاة] . . . » . ومن كلمات الزمخشري في الأساس (جدي) : « ولها جيد جداية : وهي الغزاة » . وذكر الخفاجي في شرح درة الغواص : ٢٩ ، أن الصفدي أنكر في شرح لامية العجم أن تكون الغزاة مؤنث الغزال ، وقال : لم يسمع إلا بمعنى الشمس ، وردّه الدماميني ، وأورد له شواهد .

٨٦ - قال بشار (٢ : ٢٦١) :

ألا من لصبٍّ عازب التوم ساهد ومن لحبٍّ مُثَبَّتٍ للموائد
قال الشارح : « مثبت ، بفتح الباء الموحدة : اسم مفعول من : أثبتّه إذا قتله » . وهذا التفسير لا يلائم معنى بيت بشار ، ولا تساعد عليه كتب اللغة . ولعله سهو من الشارح . قال في اللسان (ثبت) : « وأثبتّه السقم : إذا لم يفارقه ، . . . والمُثَبَّتُ : الذي ثقل فلم يبرح الفراش ، والثبات : سير يشدّ به الرجل ، . . . ورجلٌ مُثَبَّتٌ : مشدود بالثبات ، . . . وفي حديث مشورة قريش في أمر النبي ﷺ ، قال بعضهم : إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق ، وفي حديث أبي قتادة : قطعته

(١) كنت اطالع بأخرة كتاب الفرق لثابت بن أبي ثابت (ط . الرباط ، بتحقيق الأستاذ محمد الفاسي ، ١٩٧٣) فوجدت فيه (ص : ٨٩) : « ويقال له : غزال ، والأنثى : غزاة ، من حين تلده أمه إلى أن يبيع بوعا . وبوعه : سعيه » .

فأثبتته : أي حبسته وجعلته ثابتاً في مكانه لا يفارقه . وأثبت فلان (بالبناء لما لم يسم فاعله) ، فهو مثبت : إذا اشتدت به غلته . أو أثبتته جراحة فلم يتحرك . وقوله تعالى : (ليشبوك) [سورة الأنفال ، آ : ٣٠] : أي يجرحوك جراحة لا تقوم معها .

وترددت كلمة : « مثبت » في أشعار بشار بما يلائم هذه المعاني التي أوردها اللغويون . قال بشار ينسب بعبدة (١ : ٢٢٠) :

أعبيد ، قد أثبتته بهوى في مضمير الأحشاء لاهبه

وقال بشار يخاطب فؤاده (٣ : ٢٣) :

أقول مثبت وبه حرالك بهم ولا يسمّح بانقياد

وقال يخاطب كاعباً وخريداً (٣ : ١٤٣) :

أطلقا ، يا هديتا ، عن تحتيتي فابتو مثبت من هواكما في قيود

وكان تفسير الشارح لمعنى : « أثبت » و « مثبت » في البيتين الأول والثاني صحيحاً ، يطابق ما أجمع عليه اللغويون . فسبحان من لا يسهو !

٨٧ - وقال بشار (٢ : ٢٧٠) :

يادام ، كنت لحاجاتي وصاحبتي حتى اشتكيت وغال النوم تسهيد

قال الشارح : « دام : اسم امرأة ، سميت بالفعل ، كما سموا : جلا ، . ولعل كلمة « دام » محرفة عن « رام » بالراء المهملة ، منادى مرخم رامة . وهو اسم معروف ، مسمّى به العرب ، وورد في شعر بشار ، قال (٣ : ١٥٣) :

يا رام ، قومي اصبحينا غير تصريد لا تبخلي ، ليس ذاك البخل كالجود

٨٨ - قال بشار في صفة حاله (٢ : ٢٨٢) :

أقام في بلد حتى بكى خجرا من بعضها ، وبكت من بعضه بلد

ضبط : « بعضها ... بعضه » بالعين المهملة ، ولعل الصواب أن تكونا بالغين المعجمة . ومثل هذا المعنى أوحى للشاعر الأندلسي أن يقول :

مللت حمص وملتني فلو نطقت كما نطقت تلاحينا على قدر

٨٩ - قال بشار من قصيدة يمدح بها المهدي وابنه موسى (٢ : ٢٨٨) :

وأنت يا سيد الإسلام سيدهم وكل دين له من أهله سند

ولعل رواية البيت : وأنت يا سند الإسلام ، بالنون ، ليتسق البيت ويتلاءم صدره وقافيته .

٩٠ - وقال في ذكر جند خراسان (٢ : ٣٠٣) :

لا يفشلون ولا ترجى سقاطتهم إذا زار آساد لآساد

والسقاطه ، لا مورد لها في البيت ، ولا توافق نسقه . والصحيح :

ولا ترجى سقاطهم ، قال اللغويون : السقاط (بوزن كتاب) : العثرة

والزلة ، ويقال : فلان قليل العثار ، ومثله : قليل السقاط . ويقال :

ساقط فلان : إذا لم يلحق ملحق الكرام . قال سويد بن أبي كاهل

الشكري (المفضليات ١ : ١٩٧) :

كيف يرجون سقاطي بعدما جلت الرأس مشيب وصلع

وقال يزيد بن الجهم الهلالي (شرح المرزوقي على حماسة أبي تمام

٤ : ١٧٣٠) :

رجوت سقاطي واعتلالي ونبوتي وراك عني طالقاً ، وارجلي غدا

وقال جرير (١٧١ : ٥) :

أَبْنُو قَفِيرَةَ يَبْتَغُونَ سِقَاطَنَا حُشِرَتْ وَجْوهُ بَنِي قَفِيرَةَ سُودَا

وقال ذو الرمة في رجز له :

لا يُتَشَكَّى مِنْهُ السَّقَاطُ

٩١ — قال بشار في فتنه المقنع ، وغلبة المهدي عليه (٣٠٦ : ٢) :

مثل المقنع في ضرب له ملفوا أذباح أصيد الأبطال صياد

وذكر الشارح أن المقنع ظهر بخراسان في سنة ١٩٥ هـ ، وهو ،
لا شك ، خطأ مطبعي صحته : ١٥٩ هـ ، تبعاً لما أورده ابن الأثير
في الكامل .

٩٢ - قال بشار يمدح المهدي ويشيد بما قام به أبوه المنصور وعمه

السفاح من توطيد الملك لبني العباس . (٢ : ٣٠٩) :

قاما بما بين يعبور إلى مسبل مستضعين بتبباع وقو اد

واستظهر الشارح أن تكون كلمة « يعبور » ، بياء تحتية ، وعين
مهملة ، اسم بلد من أقصى بلاد الاسلام في تلك الأزمان . وقد رأيت
أن أعرض الشواهد التي جاء بها الشارح ، وأضف إليها شواهد أخرى ،
وأضع ذلك كله أمام القارئ الكريم ، لأنني لم يتسع لي أن أقطع برأي .

قال بشار يهجو حماداً في بيت اعتوره التحريف (٢٩٩:٣) :

ضعضت حبة جلده بقصيدة وردت قریش درخما عبور

وقال بشار ينوه بشعره (الأغاني ٣ : ٢٤١) :

وقد ملأت البلاد ما بين يغي - هور إلى القيروان فاليمين

وقد أصلح محقق الأغاني كلمة « يغبور » فجعلها « فغفور » . وقال
هارون مولى الأزد شاعر المولتان (الحيوان ٧ : ١٨٠) :

قد كنتُ صعُدتُ عن بُغْبُور مغترباً حتى لقيت بها حلف الندى حكماً
وذكر المحقق أن مخطوطي : ط ، ه روتا الكلمة « يعبور » بالياء المثناة
التحتية والعين المهملة . وقال الفرزدق يهجو عبد الرحمن بن الأشعث
الذي فر عقيب الثورة على الحجاج ، إلى بلاد الترك ، هزأ منه ومن زوجه
(الديوان ١ : ٢٩٩) :

تؤامرهما في الهند أن تلحقا بهم وبالصين صين استان أو ترك بغبرا
وضبطت « بغبرا » في مخطوطة أبا صوفيا بفتح الباء الموحدة الأولى
وسكون الغين المعجمة وضم الباء الموحدة الثانية ولم يعقب عليها شارح
الديوان بشيء . وجاء في معجم البلدان لياقوت الحموي وهو يتحدث عن
الصين : « قال ابن الكلبي عن الشرقي : سميت الصين بصين ، وصين وبغر
ابنا بغبر بن كاد بن يافث ، ومنه المثل : ما يدري شغل من بغر ، وهما
بالمشرق ، وأهلها بين الترك والهند . قال أبو القاسم الزجاجي : سميت بذلك
لأن صين بن بغبر بن كاد أول من حلها وسكنها » . وجاء في معجم
البلدان (قزميسين) : « وبقرميسين الدكان الذي اجتمع عليه ملوك الأرض ،
منهم : فغفور ملك الصين ، وخاقان ملك الترك ، وداهر ملك الهند ،
وقيصر ملك الروم ، عند كسرى ابرويز » . وجاء في تاج العروس
(بغبر) : « وبُغْبُور ، بالضم ، لقب ملك الصين ، ويقال له : فغفور
أيضاً . وجاء في الآثار الباقية للبيروني : ١٠١ ، « ملوك الصين : بغبور » .

وجاء في كتاب نخبة الدهر لشيخ الرتبة : ١٤٩ ، « والقامرون : اسم ملك الملوك ، كما يسمى ملك الصين : بغبور ، وملك الصنف : مهراج ، وملك الهند : قندهار ، وملك الفرس : كسرى ، وملك اليمن : تبّع ، وملك الروم : قيصر ، وملك مصر : فرعون ، وملك الحبشة : نجاشي ، وملك الشام : هرقل ، وملك الفرنج : الباب ، وملك الساحل : البربر ، وملك التتر : الخان » . وجاء في النخبة أيضاً : ٢٤٠ ، « وغانة : اسم علم على كل من يملك هذا الصقع ، كما يطلق البغبور : على من يملك الصين ، وقاقان : على من يملك الترك » . وقال المعري في رسالة الغفران (ص: ٢٠٢) على لسان الجني أبي هدرش الخيضور ، أحد بني الشيصبان :

وكنّت آلف من أتراب قرطبة خوداً ، وبالصين أخرى بنت بغبورا

هذه جملة النصوص والشواهد ، ولعلنا لا نبعد عن الصواب إذا قلنا أن الكلمة « بغير ، أو بغبور » تعني الأرض المتوامية الأطراف فيما وراء النهر ، التي تضم سمرقند وبخارى حتى تبلغ تخوم الصين ، ومن هنا جاز للشعراء أن يضيفوها إلى الترك تارة وإلى الصين تارة أخرى . بل إن هذه الكلمة تتضمن الدلالة على الأرض تارة ، وعلى ملكها تارة أخرى .

٩٣ - وقال يهجو أبا هشام الباهلي (٢ : ٣٢١) :

يا عبد باهلة ابتليت بحية فتوكت طاعتنا ، ورحت تهدد

وكان يصح قوله : « ابتليت بحية » لو كان مراد الشاعر أن يصف نفسه بالحية التي لا يقام لها ، والتي تنال بأذاها أبا هشام المهجو . وهو معني مألوف طرقة القدماء ، ووصفوا به أنفسهم مفاخرين ، مدلسين ،

وأضفوه على مدوحهم يشيدون بشجاعتهم ، وقهرهم الأعداء ، وردده بشار نفسه في شعره . قال جرير (١٤٠ : ٥) :

ما ظنكم ببني ميثاء أن فزعوا ليلاً ، وسدت عليهم حية الوادي
وقال بشار يمدح المهدي وولي عهده موسى فشبه أحدهما بالأسد والثاني بالحية
(٣٠٨ : ٢) :

بين الإمام وموسى لامرئ شرف هذا الهام وهذا حية الوادي
وقال (٩٦ : ٣) :

تخدم أقواماً وخليتني وقد تراني حية الوادي

ولكن سياق البيت وما يليه يدل على أن الشاعر يتعجب لاقدام أبي هشام على هجائه ، ولجراته أن يتعرض له ، وهو لا يصدق أن يقدم على ما أقدم عليه ، وهو بتمام عقله ، ولذلك فهو يقول له : « ابتليت بجنة »
(بالجيم المكسورة والنون المشددة) .

٩٤ - وقال في هجاء أبي هشام (٣٢١ : ٢) :

وكذاك عبد سوء يشتم ربه سفهاً ، ولكن هل نجاب الأعبد ؟
ضبط « السوء » بضم السين ، والصواب فتحها . جاء في التاج :
« ورجل سوء بالفتح (فتح السين) ، أي يعمل عمل سوء ، وإذا عرفته
وصفت به ، تقول : هذا رجل سوء ، بالإضافة ، وتدخل عليه الألف
واللام فتقول : هذا رجل السوء ، بالفتح والاضافة ... ولا يقال :
هذا رجل السوء بضم السين ... وإذا عرفت قلت : هذا الرجل
السوء ، ولم تصف » .

٩٥ - قال بشار يفتخر (٣٢١ : ٢) :

تجري من الذهب المصنم راحتي كرمأ ، وناري باليفاع توقد

ويفسر الشارح « المصنم » بالنون ، بأنه المرسوم عليه صورة الصنم .
وأميل إلى أن تكون الكلمة : « المصنم » بالتاء المثناة من فوق . قال
في اللسان : « ألف مصنم : متمم ، وألف صنم : أي تام . ومال صنم :
تام ، وأموال صنم وأعطيته ألفاً صنمًا ومصنمًا . قال زهير :
. صحيحات ألف بعد ألف مصنم^(١) .

وقال ذو الرمة :

يعرضه الألف مصنماتٍ مع البيض الكواكب والحللا

وقال بشار (١ : ٣٣٠) :

أعطى من الصنم والولائد والعبدان حتى حسبته لعبا
وهذا الذي اخترته هو أحد وجهين اقترحهما المراجعان .

٩٦ - قال بشار في هجاء الباهلي (٢ : ٣٢٢) :

مولاك أرقب من ربيعة عامر

فذكر الشارح أن ربيعة عامر هم بنو ربيعة بن عامر بن عقيل ، وهو
حصر لا دليل عليه ، فقد يكون المقصود :

ربيعة بن عامر بن صعصعة . (وهو مانرجحه لولاء بشار فيهم) . .

أو ربيعة البكاء بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

إلى جانب ما ذكره الشارح نفسه (انظر جمهرة أنساب العرب
لابن حزم) .

٩٧ - وقال في الهجاء (٢ : ٣٢٢) :

(١) البيت بتمامه في معلقة زهير :

فكلاً أراهم أصبحوا يعقلونه صحيحات ألف بعد ألف مصنم

فتركت عقر قناتكم عند امرئ . . . جمع الشبابُ به الأنثى الأغيذُ
وقال (٢ : ٣٢٣) :

يا عبد باهلة الذي لزم الحنا . . . وأضاع عقر قناته لا تسعدُ
ضبطت « القناة » ، بالقف والنون في البيتين ، وأجهـد الشارح نفسه
في تفسيرها . وأرى أن صحتها في الموضعين : « الفتاة » ، بالفاء والتاء
المثناة من فوق : عقر قناتكم . . . عقر قناته .

إن بشاراً يرميهم بالفاحشة والذل ، وأن نساءهم تغتصب ، قال في
اللسان : « العُقْر » ، بالضم : ما تعطاه المرأة على وطء الشبهة ، . . .
وقال أحمد بن حنبل : العقر : المهر ، وقال ابن المظفر : عقر المرأة :
دية فرجها إذا غصبت فرجها . . . وقال الجوهري : هو مهر المرأة
إذا وطئت على شبهة ، فسماه مهراً . . . فبشار يهجوهم هجاءً بذيئاً يذكر
يهجاء جرير الفرزدق في مثل قوله (النقائض : ٣٤١) :

ثم الفرزدق عن نوار كنومه . . . عن عُقْرِ جِيْعَشَيْنَ ليلة الإخفار
وقوله (النقائض : ٥٩٣) :

وما قصَدَتْ في عُقْرِ جَعْنٍ منقر . . . ولكن تعدوا في النكاح وأسرفوا
فضيَّعَ فيها عُقْرَهَا المتردِّفُ . . .

وقوله (النقائض : ٥٩٦) :

وما منع الأقيانُ عُقْرَ فتاتهم . . .

وقوله (النقائض : ٧٠٨) :

أتمدح سعداً بعد أسلاب جاركم . . . وجرّ فتاة عُقْرُهَا لم يحلّل

وقوله (النقائض : ٧٧٨) :

نسيت عُقر جعثن واحتببتم ألا تبتاً لفخرك بالحباءة

وقوله (النقائض : ٨٤٥) :

هلا طلبت بعُقر جعثن منقراً وبجرها ، وتركتَ ذكر الأبلق

وقوله (النقائض : ٩٣٦) :

أخزى بني وقبان عُقرُ فتاتهم واغترَّ جارهم بحبل غرور

وقد أعاد بشار القول في هجاء باهلة وبني زيد فقال (٨٦ : ٣) .

بل افترعتْ منهم فتاةٌ وسيطةٌ فما قدحوا في عُقرها بزناد

٩٨ - يذكر الشارح أن قصيدة بشار التي مطلعها (٣٢٦ : ٢) :

أنسى شبابك قد مضى محموداً ودع الغواني إن اردن صدوداً

هي في مديح قتيبة بن مسلم الباهلي وآله وذكر مواقععه ، ولعل الصواب أن يقال : هي في مديح سليم بن قتيبة بن مسلم الباهلي ، والاشادة بأبيه قتيبة ، وآله من سراة بني الحصين .

٩٩ - وقال بشار يصف نحر المرأة (٣٢٩ : ٢) :

وكفى بضرب العقود ، فانه نحس يزني زبرجداً وفريدا

ضبط « مضطرب » بكسر الراء ، والصواب : فتحها . لأنها صيغة اسم المكان ، فالشاعر يتحدث عن نحر محبوبته الذي تضطرب عليه العقود وتتحرك ، لا عن العقود المضطربة فيصح كسر الراء .

١٠٠ - وقال بشار يتحدث عن معارك أبي حفص قتيبة بن مسلم

الباهلي أبي الممدوح (٣٣٥ : ٢) :

قَادَ الجُنُودَ مِنَ البَصِيرَةِ للعدَا حَتَّى وَقَعْنَ بِصَيْنِ ثَغْرِ قُودَا

خَيْلًا مَخْفَفَةً ، وَخَيْلًا حُسْرًا لَا يَعْتَلِجْنَ مَعَ الشَّكَاثِمِ عُودَا

وكلمة « الجنود » في صدر البيت الأول محرفة عن « الخيول » (بالحاء المعجمة والياء المثناة من تحت) ، يدل على ذلك قوله : « وَقَعْنَ ... قُودَا » في العجز ، فنون النسوة التي أسند إليها الفعل وقع ، لا يصح أن تكون ضمير الجنود ، والقود : من صفات الخيل لا الجنود . وبهذا التصحيح يستقيم مطلع البيت الثاني :

خَيْلًا وَخَيْلًا حُسْرًا

لأنها بدل من الخيول التي وردت في البيت الأول .

— وكلمة « ثغر » (بالثاء المثناة والغين المعجمة) في البيت الأول ،

في النفس منها شيء ، ويختل إلى أنها محرفة عن كلمة « بغر » أو « بغير » ، انظر ما سبق (رقم ٩٢٢) .

— أما البيت الثاني ففي شطره الأول تصحيف ، وصحته :

خَيْلًا مَخْفَفَةً ، وَخَيْلًا حُسْرًا

قال في اللسان : « فرس مخفف : عليه تجفاف . وتجفيف الفرس :

أن تلبسه التجفاف الذي يوضع على الخيل من حديد أو غيره في الحرب » .

وفي الأساس : « جفف أهل الحرب : صنعوا التجافيف » وفي تاريخ

الطبري (٥ : ٣٤٤) : « وإن معه لمخففة أمامه » . وبذلك يتألق معنى

بشار الذي يصف به قوة القائد العظيم فاتح بلاد الترك ، وحسن تأهبه

للقاء أعدائه ، وتم له الصنعة الجميلة التي كان يزين بها أشعاره .

١٠١ - وقال يصف خيل قتيبة بن مسلم وما أنزلته بالأعسداء
(٢ : ٣٣٦) :

ومنمن خاقان المسارح ، فانتنى عجلًا ، يشل سوامه مزوودا
والمعنى واضح لا غموض فيه ، فقد تغلب جند قتيبة على أرض خاقان
الترك ، ومضى خاقان مهزوماً يطرد السائة ، والمال الراعي ، خائفاً يبتغي
النجاة . وقد رأى الشارح أن تغير المسارح إلى المساليح ، باللام بدل الراء ، ولا حاجة
لهذا التغير ، لأنه يفسد المعنى ، ويبدل الفكرة . وما في الديوان صحيح
مستقيم ، يتسق ومقصد الشاعر وغايته ، ويلائم بقية الأبيات . قال في اللسان :
« السرح : المال يسام في المرعى ، من الأنعام . والمسرّح ، بفتح الميم ،
مرعى السرح ، وجمعه المسارح . مسرّحت الماشية » ؛ وسرحها هو : أسامها .
يتعدى ولا يتعدى . والسوام يرعى المسارح ولا صلة له بالمسالح .
- بقي أن ننبه إلى خطأ مطبعي فقد ضبطت المسارح بالكسر ،
وصوابه النصب على أنه مفعول به ثان لمنع .

١٠٢ - وقال بشار (٢ : ٣٣٧) :

وأبو قتيبة في الكريمة مثله أسد يرشح للقاء أسودا
فقال الشارح : « أبو قتيبة ، هو مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي .
والحق أن الشاعر يمدح بهذا البيت : سلم بن قتيبة ، بمدوحه ، فبعد
أن أطال في وصف مناقب أبيه قتيبة فاتح بلاد الترك عطف على ابنه
الممدوح ليجمعه نداء أبيه ونظيره في الشجاعة واللقاء . وإن كتب التراجم
والأخبار تؤيد ما ذهبنا إليه . جاء في كتاب المعارف لابن قتيبة :

« قتيبة بن مسلم الباهلي ويكنى أبا حفص - هو قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين ... من باهلة .

وكان مسلم بن عمرو [يعني أبا قتيبة] عظيم القدر عند يزيد بن معاوية ، ويكنى أبا صالح ...

... فأما سلم [بن قتيبة بن مسلم] فولي البصرة مرتين : مرة لابن هبيرة ، ومرة لأبي جعفر [المنصور] ، وكان سيد قومه ، ومات بالري . وكنيته أبو قتيبة ، .



- للبحث صلة - *شاكرو الفحام* *شاكرو الفحام*

مسالك النقد اللغوي

المصدر الصناعي

الأستاذ صلاح الدين الزعبلاني

المصدر الصناعي ، كما أسمى عند المتأخرين وجمع اللغة العربية في القاهرة ، هو اسم المعنى الذي صيغ من الكلمة بإضافة ياء النسبة وتاء النقل ، للدلالة على معنى المصدر وحقيقته المطلقة — دون حدثه — أو التعبير عن الحال والهيئة الحاصلة بالمصدر : كالخصوصية والوحدانية والكمية والكيفية والإنسانية والحيوانية والفاعلية والمفعولية . وجاء في مجلة المجمع القاهري (١ / ٢١٥) : (إذا أريد صنع مصدر من كلمة يزداد عليها ياء النسب والتاء) .

وقد عرضنا في كتابنا (أخطاءنا في الصحف والدواوين) المطبوع عام ١٩٣٩ للمصدر الصناعي في ردنا على من عاب استعمال لفظ (المسؤولية) ، فذكرنا أن قياسه يعتمد على ما جاء منه عن العرب ، كالعبدية والعبودية والحرية ، والحرورية واللاصوصية والخصوصية ، بفتح الأول وضمه في الألفاظ

الثلاثة ، والوحدانية والربوبية ... وقد حكى عنهم (المولوية) صفة المولى ، و (الأوليَّة) صفة الأول ، كما روي (الألمعية والأريحية) . قال ابن سيده في المخصص (وشيخ بين الشيخوخية ..) وقال (.. ووليدة بيَّنة الولادة والوليدية) ، وجاء في التاج (الوُلُودية) وحُكي فيها ضم الواو وفتحها . فكان بطرد ذلك والقياس عليه ما لا يحصىه عدد من مصطلحات الفلسفة ومواضع مختلف العلوم .

وقد بحث هذا المرحوم الأب أنستاس ماري الكرملي في مجلة مجمع اللغة العربية لآذار ونيسان من عام ١٩٣٧ . فاعتلّ لقياس صياغته بما جاء في شرح ديوان المتنبي للعكبري ، حول انتقاد سيف الدولة بعض أبيات المتنبي ، وقول المتنبي : (والحائك يعرف جملة وتفاريقه ، لأنه هو الذي أخرج من الغزلية إلى الثوبية) . إذ صاغ الشاعر (الغزلية والثوبية) ، وقد خلت منها المعاجم ، فدل بها على حال الثوب وحقيقته وهو (غزل) قبل أن ينسج ، والهيئة الحاصلة له بعد النسج .

وقال ابن جني في سر الصناعة (١٨٧/١) : (وكذلك تاء تجفاف ، لولا الاشتقاق لوجب القضاء بأصليتها) ، فصاغ (الأصليّة) من الأصل ، كما صاغ المتنبي (الثوبية والغزلية) من الثوب والغزل .

وجاء في نهج البلاغة (١٩٤/١) : (الأول قبل كل أول ، والآخِر بعد كل آخر ، بأوليته وجب أن لا أول له ، وبآخريته ، أن لا آخر له) . فجاء بـ (الآخريّة) على قياس (الأوليّة) .

وجاء فيه (٨١/٢) : (ليس لأوليّته ابتداء ولا لأزليّته انقضاء . هو الأول لم يزل ، والباقي بلا أجل) . فكانه يشير إلى أن (الأزلية)

اسم مصدر من قولك (لم يزل) . قال الجوهري في صحاحه (الأزل بالتحريك القديم ، يقال للقديم أزلي ، ذكر بعض أهل العلم أن أصل الكلمة قولهم للقديم لم يزل ، ثم نسب إلى هذا فلم يستقم إلا باختصار ، فقالوا : يَزَلِي ، ثم أبدلت الياء ألفاً لأنها أخف ، فقالوا : أزلي ، كما قالوا في الرمح المنسوب إلى ذي يزن أزني*) .

وفي نهج البلاغة أيضاً (١٤٥/٢) : (ولا يوصف بشيء من الأجزاء ولا بالجوارح والأعضاء ولا بالغيرية والأبعاض) فأتى بـ (الغيرية) اسم مصدر من (الغير) .

هذا وقد استعمل الامام أبو علي المرزوقي في كتابه (شرح ديوان الحماسة) : (الفتيانية) ، وهو اسم مصدر صناعي من (فتيان) . وفتيان اسم قبيلة والنسبة إليه (فتياني) . قال صاحب التاج (بنو فتيان أيضاً قبيلة منها أشجع ، وهو فتيان بن سبيع بن بكر بن أشجع) ، وأردف : (وفي بيت المقدس جماعة يعرفون بالفتيانيين ، فلا أدري أهم من بجيلة أو أشجع ، أو نسبوا إلى جد لهم يقال له فتيان) .

وجاء في شرح الحماسة للمرزوقي (وقال آخر :

أني الحق أني مفرم بك هائم وأنتك لا خلّ هواك ولا خمر
فإن كنت مطبوباً فلا زلت هكذا وإن كنت مسحوراً فلا برأ السحر)

قال المرزوقي : (وهو مطبوب أي مسحور ، ومعنى البيت : إن كان الذي بي وأقاسيه داءً معلوماً يعرف دوائه ، فلا فارقني فإني التذّبه ، وهذا هو : الفتيانية ، والهوى والتجلد على البلاء) .

فتبين بهذا أنه قصد بـ (الفتيانية) : ذهاب الحب على وجهه ، عند

غلبة الهوى عليه ، وصبره على المعاناة مها اشتدت به الحرقه وبرح به السقم .
ويبدو أنه اشتهر من (الفتيانيين) من عرف بذلك فذهب أمره مثلاً .
وقد تحمل (الفتيانية) على أنها نسبة إلى (فتيان) جمع (فتى) ، كما
ذهب بعض الأئمة إلى استعمال (الصيانية) نسبة إلى (صبيان) جمع
(صبي) ، ولا يخفى أن الكوفيين قد أجازوا النسبة إلى الجمع .
قال أبو منصور الثعالبي في فقه اللغة (٢٨١) : (فإن مد يده نحو الشيء
كما يمد الصبيان أيديهم إذا لعبوا بالجوز فرموا به في الحفرة فهو السدو .
والزدو لغة صيانية في السدو) . قال المرحوم الدكتور مصطفى جواد
في كتابه (المباحث اللغوية في العراق) : (قال صيانية لأنها مختصة
بمجموع الصبيان ، ولم يقل صبوية) . والرأي عندي أن ينسب إلى الجمع
كلما كانت النسبة إليه انهمض بالمعنى المراد ، وألصق بالدلالة المعنية .

وما أظن المرزوقي أراد النسبة إلى الجمع ، وإنما أراد الاضافة إلى
اسم المثلّم ، ولو نسب إلى الجمع لأشار إليه واعتل له ، كما هو مذهبه .

وقد عاب الأب الكرملي على مجمع القاهرة تسمية الصيغة بـ (المصدر
الصناعي) فأثر عليها (المصدر المصنوع أو الموضوع أو المصوغ) . ثم أخذ
على المجمع قوله : (إذا أريد صنع مصدر من كلمة يزد عليها ياء النسب
والياء) ، فقال : (وتسمى تلك الياء ياء المصدر ولا تقل ياء النسب ،
فإذا تم ذلك سميت الكلمة بالمصدر اليائي ، وسمي كذلك لاختتامه بالياء
المذكورة ، وهي التسمية التي جرى عليها أصحاب الفن) .

وانتقد الدكتور مصطفى جواد على مجمع القاهرة تسمية الصيغة بالمصدر
فقال : (قلت إن تسميته بالمصدر غير صحيحة لأن المصدر يعمل في

الاعراب كعمل فعله ، وهذا لا يعمل ولا فعل له في الغالب ، كالانسانية والجاهلية . والتحقيق أنه اسم يائي أو اسم نسبي أو اسم صناعي ، وكل هذه الأسماء الثلاثة تصح عليه ، دون اسم المصدر الصناعي ، ثم إن لفظ الصناعي في العصر الحاضر اختص بالصناعة الحديثة) .

والرأي عندي ما سبق إلى بيانه المرحوم الشيخ أحمد الاسكندري في مجلة المجمع القاهري (٢١٤/١) ، إذ قال : (ويظهر أن تسمية هذه المصادر بالنظائر عند أوائل النحاة ، كما يقول ابن سيده ، لم تشتهر عند المتأخرين وأهل زماننا ، فسماه بعضهم بالمصدر الصناعي وذاعت هذه التسمية . إذ لو سمي بالمصدر اليائي لم يُفقد المراد لأنه لم يتكون بزيادة الياء وحدها ، بل بزيادتها مع ثاء النقل مجموعتين . وأيضاً فإن قولنا المصدر اليائي يوم أن المراد اليائي المقابل الواوي . ولا غبار على تسميته بالمصدر الصناعي ، أي المنسوب إلى الصناعة من ناحية من نواحيها ، فهي بمعنى المصنوع ، فيكون نظير قولهم المصدر القياسي ، بمعنى المقيس ، والمصدر السماعي ، بمعنى المسموع) .

على أنني أستحب على (المصدر الصناعي) : (اسم المصدر الصناعي) . فإذا كان بعض الأئمة قد أسمى هذه المصادر بـ (النظائر) كما نقله الشيخ أحمد الاسكندري عن ابن سيده ، فقد أسماها آخرون بـ (أسماء المصادر) أيضاً . قال صاحب المزهري (١١٣/٢) : (وقال أبو عبيد في الغريب المصنف : باب أسماء المصادر التي لا يشتق منها أفعال ، هو رجل بين الرجولة ، وراجل بين الرجلة ، وحر بين الحرية والحرورية . . وعربي بين العروبية ، وعبد بين العبودية والعبودية) . وبعضه هذا ويسدده أن

الأئمة قد اصطاحت على تسمية اسم المعنى الذي يدل على الحال أو الهيئة الحاصلة بفعل المصدر بـ (اسم المصدر) ، كما أئمت اسم المعنى الذي ليس له فعل يجري عليه بـ (اسم المصدر) أيضاً . ففي الجاسوس على القاموس : (الفرق بين المصدر والاسم أن المصدر يتضمن معنى الفعل فينصبه مثله ، والاسم هو الحال التي حصلت من الفعل . .) . وقال ابن الحاجب في أماليه ، على ما حكاه السيوطي في الأشباه والنظائر (١٨٥/٢) : (اسم المصدر هو اسم المعنى ، وليس له فعل يجري عليه) . فتبين بهذا أن قولنا (اسم المصدر الصناعي) أسوغ من (المصدر الصناعي) وألصق بما يتميز به (المصدر) من (اسمه) . ففي التاج : (ويقال الخصوصية والخصية والخاصة : أسماء مصادر) . وفي اللسان (والاسم : الخصوصية والخصوصية والخصية والخاصة والخصيصي ، وهي تمد وتقصّر) .

أما قول الأب الكرملاني أن الياء المزیدة في (اسم المصدر الصناعي) هي ياء المصدرية ، لا ياء النسب ، فإنه أمر اعتباري . ذلك أن أكثر أسماء المصادر الصناعية قد تحولت في الأصل عن أسماء منسوبة أنزلت منزلة الصفات المشتقة للدلالة على حال الموصوف وهيئته واستعملت كذلك ، نحو قولك : (هو إنساني أو حيواني أو كمي أو كيفي أو جزئي أو كلي) . فإذا أريد التعبير بها عن جوهر حال الموصوف وبمجرد حقيقته ، أحيل الوصف إلى اسم مصدر صناعي ، بإلحاق تاء النقل من الوصفية إلى الاسمية ، نحو قولك (الانسانية أو الحيوانية أو الكمية أو الكيفية أو الجزئية أو الكلية) . فحق بهذا أن تسمى الياء ياء النسب ، وعليه قول الأئمة . قال ابن سيده (فأما النظائر عندهم فما جرى على وجه النسب) . وقال

صاحب الكليات (والكيفية اسم لما يجاب به عن السؤال بكيف ، أخذ من كيف بإلحاق ياء النسبة وتاء النقل من الوصفية إلى الاسمية ، كما أن الكمية اسم لما يجاب به عن السؤال بكم . بإلحاق ذلك أيضاً) .

على أن لك أن تسمي (الياء) ياء المصدرية إذا كان الأصل الذي تحوّل عنه اسم المصدر الصناعي صفة مشتقة كـ (فَعُول وفاعل وففعول) . ففي التاج (خصّه الشيء خصوصية بالضم والفتح أفصح .. ثم قالوا : الياء فيها إذا فتحت للنسبة ، فهي ياء المصدرية كالفاعلية والمفعولية ، بناء على تخصيص ، فعول ، للمبالغة في التخصيص) . أي أن فتح الأول في (خصوصيّة) يجعله على زنة (فَعُول) التي للمبالغة ، فإذا لحقتها الياء المشددة فهي ياء المصدرية ، لأنها أحالة من معنى الوصف إلى معنى المصدر . قال صاحب الكليات (والخصوصيّة بالفتح أفصح ، وحينئذ تكون صفة ، وإلحاق الياء المصدرية لكون المعنى على المصدرية والتاء للمبالغة) وعليه صاحب الفروق . تحقيق قاسم خير علوم

فإذا ضُمَّت الحاء كانت على (فَعُول) ، وهي زنة لمصدر ، فإذا لحقت بها الياء المشددة ، كانت ياء النسبة لأنها أحالت المصدر إلى اسم منسوب بمعنى الوصف المشتق . قال صاحب الكليات (وإذا ضُمَّ يحتاج إلى أن يعمل المصدر بمعنى الصفة ، والياء للنسبة ، والتاء للمبالغة) . وعليه صاحب الفروق .

وشيء آخر : فقد قال الشيخ أحمد الاسكندري بعد حكاية ابن سيده : (وأنت تراه قد نقل عن أوائل النحاة تسمية هذه الهيئات والأحوال المصدرية باسم النظائر ، وأن هذه الأحوال عبّر عن معناها بزيادة ياء النسب على المصادر الأصلية ، وتراه يقول : هذا غير مستعمل

في لغة العرب ، مع أنه ورد عنهم بضع عشرات من الكلمات سنذكر شيئاً منها ، فلعله يريد أنه نادر الوقوع ، إذ إن العرب لم تكن تريد من هذه المصادر المصنوعة بزيادة الياء والتاء كل ما يريد أرباب التدقيق الفلسفي) .

وقال الشيخ الاسكندري : (وتراه لم يتعرض لتكوين اللفظ المصدر من النسبة إلى أسماء الأعيان أو الأسماء المشتقة أو الأسماء التي تؤدي مؤدى الأدوات مثل : كيف وكم ومع . في قولهم الحشبية والذهبية والفاعلية والمفعولية والظرفية والكيفية والكمية ، كما تعرض لذلك غيره) .

أقول إن ابن سيده قد قصر كلامه على إلحاق الياء المشددة والتاء بالمصدر أو اسم المعنى الذي يشبهه ، ولعل هذا ما تعنيه (النظائر) . وقال : (وهذا غير مستعمل في لغة العرب) . وكلامه صحيح لا غبار عليه . قال ابن سيده : (فأما النظائر عندهم فما جرى على وجه النسب ، وهذا غير مستعمل في لغة العرب ، إنما يقولونه بوسيط كقولهم : يفعل ذلك على جهة العدل ، وعلى جهة الجور ، وعلى جهة السهو ، وعلى جهة الخير ، وعلى جهة الشر . ولا يقولون : على العدلية ولا على الجورية ولا على الخيرية ولا على الشرية) . وحقيقة الأمر أنه لا معنى لإلحاق الياء والتاء بالمصدر إذا كنت تبغي معنى المصدر وحسب . فإن اتخذ (العدلية) بمعنى العدل ، و (الجورية) بمعنى الجور ، على ما مثل ابن سيده ، غير سائغ ولا متقبل . فالعرب لم تجر به ، واللغة تأباه وتعافه ، ومن ثم لا يسعك إلا استغرابه وقضاء العجب منه ، لأنه عبث لا طائل ورائه . وهذا ما دفع الاسكندري أن يقول (أو أن العرب لم تكن تريد من هذه المصادر المصنوعة بزيادة الياء والتاء كل ما يريد أرباب التدقيق الفلسفي) .

لذلك كان الأصل في إلحاق الياء والتاء بالمصدر أو اسم المعنى عامة أن تزيد في معناه شيئاً كالمبالغة مثلاً . وقد صرح الشيخ الاسكندري ، هو نفسه ، بذلك فقال : (وإذا أريد التعبير عن هذه الأحوال بلفظ الجنس فقط بلا ضمنية أخرى تشير إلى إرادة شيء آخر غير مطلق الحدث أو ذات العين ، تخلف التعبير أحياناً عن إفادة المعنى الزائد على مطلق الحقيقة) . وهو كلام ظاهر الاستقامة . فإذا أحلت المصدر الأصلي مثلاً ، إلى اسم مصدر صناعي ، فأنت تفعل ذلك ابتغاء زيادة في معناه أو خصوصية في دلالاته ، وهذا أسلك في طريقة العربية ، بل هذا هو خاص اللغة وسرّها .

فـ (الانتاج) مثلاً مصدر . فإذا أحلته إلى اسم مصدر صناعي فقلت (الانتاجية) كما يقولونه اليوم ، فلا بد أنك قد أردت به شيئاً آخر لا يمكن التعبير عنه بمجرد لفظ (الانتاج) . كأن تعني به مثلاً : (خيصب الانتاج) أو (قوته وشدته) أو (مبلغه) أو نحو ذلك . فإذا قال العرب (فعلت هذا على جهة العدل) ولم يقولوا (العداية) فقد أصابوا وجه الرأي لأنهم لا يريدون بقولهم غير المعنى المصدري وحسب ، فلا حاجة بهم إلى صوغ اسم مصدر يعني معناه ويغني مغناه . أما قول الشيخ الاسكندري (وإذا أريد التعبير عن الأحوال بلفظ الجنس فقط بلا ضمنية أخرى تشير إلى زيادة شيء آخر غير مطلق الحدث أو ذات العين) ، فلا ينبغي أن يراد بـ (مطلق الحدث) فيه : إيقاع الفعل . ذلك أن اسم المصدر الصناعي لا يُبتَغى به إيقاع الفعل ، كما يقصد بالمصدر ، وإنما يراد به مطلق معناه مجرداً عن الحدث ، مع زيادة . وإذا كانت (الخصوصية) بضم الخاء قد تحولت من المصدر أي

(الخصوص) إلى اسم المصدر الصناعي بإلحاق الياء والتاء ، فلا شك أنها غدت تدل على معنى (الخصوص) وزيادة . وقد أشار الأئمة إلى هذا حين قالوا : التاء فيه للمبالغة ، ذلك ما قالوه في توجيهه .

هذا وقد منع الدكتور مصطفى جواد في كتابه (دراسات في فلسفة النحو والصرف) صياغة اسم المصدر الصناعي من (الحياة) فقال : (أما الحياة فاسم غير مستغرق في الإسمية ، فيجب أن يستعمل على حاله الأصلية ، إذا أريد به حاق معناه الأصلي ، وإذا أريد غير ذلك جيء بالاسم الدال على التعبير ونسب إلى الحياة فيقال : القوة الحيوية للغة) والجواب عن ذلك أننا إذا أردنا مجرد المعنى المصدري غير وقوع الحدث ، لم نقل (الحيويّة) . لكن إذا ابتغيينا أن نجمع إلى الدلالة على حال الحياة ، طبيعتها وجوهرها ، من حيث استمرار حركتها وتدفق أحداثها وتجدد صورها ، قلنا (الحيويّة) وكلمة ابتغيينا مثل هذه (الزيادة) من معنى المصدر ، لحاجة في التعبير ، كان لنا أن نصوغ منه اسم المصدر الصناعي . فقد قال الكتاب (اتفاقية) اسم مصدر صناعي من (الاتفاق) ، وعنوا به (العُهدَة أو العهد أو العقد) فزادوا في معنى (الاتفاق) . و (العُهدَة) كما قال ابن سيده في المخصص (.. كتاب العهد والشراء ، والعقد العهد والجمع عقود) ! وقد رد الأستاذ محمد المدفاني (صاحب معجم الأخطاء الشائعة) على من عاب (الاتفاقية) ، فاحتج بأنه (مصدر صناعي) واستدل بما جاء في الجزء الأول من مجلة المجمع القاهري حول قياسه ، ولكنه لم يعرض لفرق ما بين (الاتفاق) مصدرأ ، و (الاتفاقية) اسم مصدر صناعي ، من معنى ، وهو فرق ليس منه بد ولا عنه منصرف ، لجواز هذه

الصيغة من المصدر . ستقول : ألم يأت الكتاب بـ (الاتفاق) اسماً ويستعملوه فيما استعملوا فيه (الاتفاقية) وينزلوه منزله ؟ قلت نعم ، وهو من قبيل (التسمية بالمصدر) ، وقد جمعوه على (اتفاقات) كما استعمل الأئمة (الابتداء) اسماً وجمعوه على (ابتداءات) ، وجمع علماء المنطق (إنتاجاً) على (انتاجات) ، على ما جاء في كتاب : القطوف الدانية ، للشيخ محمد أمين السفرجلاني (٢٨٩) . على أن الأولى أن يفرّق في المعنى بين (الاتفاق) المصدر الذي استعمل استعمال الأسماء ، و (الاتفاقية) اسم المصدر الصناعي المسمى به ، فيقصد بالأول (ماتم الاتفاق عليه) ويراد بالثاني (صك ما اتفق عليه) .

هذا وكثيراً ما سمى العلماء (المذاهب الكلامية) بأسماء مصادر صناعية تحولت من (المصادر) كـ (البدائية) و (والعنادية) . وقد يعنون بهذه الأسماء أصحاب المذاهب أيضاً ، على تقدير حذف المضاف . قال الجرجاني في (تعريفاته) : (البدائية هم الذين جوزوا البدء على الله تعالى) . وقال : (العنادية هم الذين ينكرون حقائق الأشياء ويزعمون أنها أوهام وخیالات كالنقوش على الماء) . وهكذا .. وفي علم الكلام وعلم البيان كثير مما جاء على صيغة (اسم المصدر الصناعي) . فمن الأول قولهم : (الأحدية والكونية والقدرية والجبرية والأولية والجمعية والربوبية والعرفية والماهية والغائية ..) . ومن الثاني في علاقات الحجاز : (المصدرية والمظهرية والجزئية والكلية والسببية والمسببية والكونية والمحلية والحالية ..) .

فاتضح بضم ذلك كله والتأني له : حال (اسم المصدر الصناعي) وقياسه وخاصته ، وشدة الحاجة إليه في التعبير والاصطلاح ، وتحقيق المعاني ، وضبط دقيقها .

صلاح الدين الزعبلوي

وسائل تنسيق حركة الترجمة

على مستوى الوطن العربي

الأستاذ وديع فلسطين

قبل التعرض لوسائل تنسيق حركة الترجمة على مستوى الوطن العربي ،
يخلق بنا أن نتعرض أولاً لعموم الترجمة وأوضاعها لنتبين أحوالها وظواهرها ،
ثم نتطرق إلى الأسباب الداعية — في أصوب الآراء — إلى إعمال قواعد
التنسيق فيها ، ارتفاعاً بمستواها ، وتحقيقاً لرسالتها ، وتأكيذاً للدور الذي
تضطلع به في خدمة الفكر العربي ، وتأثيلاً لأجل الفوائد على الحركة الثقافية
عامة ، والنهضة التقنيّة بوجه خاص .

فالترجمة ما برحت عملاً فردياً ، ينهض به أفراد توسموا في أنفسهم
القدرة على الاضطلاع بتبعاتها ، واستوثقوا من أن لديهم أدوات الترجمة ،
فهماء وعمق ثقافة ، ودراية بالأساليب والمصطلحات ، وتمرساً على الصياغة
العربية التي تؤدي المعنى واضحاً ، ولا يستعصي عليها تركيب فرنجي ما .
ولا تسئل عن الدوافع التي تحدد المترجمين الى الترجمة ، فقد يكون
الكسب دافعهم الوحيد ، وقد تكون الشهرة مطمعهم ، وقد يكون

التبشير بعقيدة معينة غايتهم ، وقد يكون اشباع الهواية هو قصاراهم ، والمهم أنهم قد دخلوا الميدان ، وأسهموا فيه بجهودهم الفردية ، وتركوا آثاراً هي وحدها المعيار في الحكم على عملهم .

ولئن كانت هناك هيئات ثقافية عربية أو أجنبية وقفت جهداً كله أو بعضه على الترجمة ، فقد كان اعتمادها في المقام الأول على جهود أفراد نيّطت بهم ترجمة كتب قد عينت لهم وحددت ، أو كتب هم يختاروها ، ثم تولت تلك الهيئات نشرها وإخراجها في النسخ المقرر لها .

ولا نكاد نعرف في كل الوطن العربي هيئة متخصصة للترجمة ، لها رجالها المتفرغون المتخصصون الذين يعملون كفريق متآلف في عمل واحد كبير أو أعمال هي في جملتها مفضية إلى عمل واحد كبير ، كترجمة دائرة المعارف ، أو نقل الأمهات من كتب التراث الانساني ، أو ترجمة كتب العلوم بفروعها ، وهي شتى ، فإن استثنينا جماعات كالتي ترجمت دائرة المعارف الاسلامية (ولم تتمها) لاحظنا أن هذه الجماعات هي بدورها فردية الجهد في الصميم . ومشروع « الألف كتاب » - والكتب الألف لما تم - قد قام على أكتاف أفراد . ومشروع ترجمة مسرحيات شكسبير قام به أفراد . ومشروع ترجمة كتاب « قصة الحضارة » لويل ديورانت اضطلع به أفراد ، انقطع واحد منهم انقطاعاً شبه تام له ، ومع هذا لم تساعفه فسحة العمر على انجازه ، فانتقل العبء إلى سواه . وسلاسل المسرحيات العالمية وأشباهاها هي من صنع أفراد ، وهلم جرا . بل إن الكتب الضخام في الفكر الأجنبي قد اضطلع بترجمتها أفراد رواد . فالإبادة هومبروس ترجمها فرد ، والكوميديا الالهية لدانتى ترجمها فرد ، وجمهورية

أفلاطون ، ورأس المال لكارل ماركس ، والشهنامه للفردوسي ، ونظرية النسبية لأينشتين ، ونظرية النشوء والارتقاء لداروين ، وروح الشرائع لمونتسكيو ، والمنطق لجون ديوي ، والمهاجرات من الأدب الهندي ، هذه جميعاً كتب أمهات تصدى لترجمتها أفراد ذوو همة عالية ، فكان انجازهم لها من محرزات لغة الضاد الباقية .

فلسبب ما ، يؤثر المترجم أن يستقل بالكتاب الذي يترجمه ، لا يشاركه فيه أحد ، ولا تتوزع المسؤولية بينه وبين سواه ، ويضي في ترجمته إلى آخر الشوط غير عابئ بما يعترضه من مشاق . وقليلة نسبياً هي الكتب التي يشترك في نقلها أكثر من مترجم واحد ، وهذه إن لم يكن لها محرر يجانس بين أساليبها ومفرداتها وتراكيبها ، خرجت مفككة الأوصال ، وكأنها دكرنقال ، تختلف الأساليب والصياغات .

ولعل الجماعة الوحيدة التي وضعت لنفسها خطة تعاونية واضحة ، ومنهاجاً مرسوماً محدد الهدف ، هي جماعة د علم النفس التكاملي ، بإشراف أعلامها الدكتورة يوسف مراد ومصطفى زيور وصبري جرجس . فقد استهلت هذه الجماعة عملها بأن تواضعت على مصطلحات دقيقة في علم النفس كان لها فضل صوغها وسكتها وتداولها ، وحرصت على استعمالها في جميع كتبها المترجمة ودراساتها المنشورة . وقصرت كل جهدها على كتب علم النفس دون سواها ، بادئة بأعلامه : فرويد وأدلر ويونج ، ووزعت العمل بين أفرادها ، وكلهم من مدرسة واحدة أو متقاربة فكرياً ، فملؤوا بجهدهم ركناً هاماً في مكتبة الضاد ، سواء بما تنقوه للترجمة من كتب فلاسفة علم النفس الأوائل ، أو بما توخوه من أسلوب عربي شديد النصاعة ، أو بما تفاهموا عليه من مصطلحات متداولة بينهم ، تنسيقاً للعمل ، وإتماماً

لجوانبه ، فجاءت كتبهم متتامّة ، فيها المترجم المعتمد ، وفيها المؤلف الرصين ، وفيها كذلك الرسائل الجامعية والدراسات المنهجية في علم النفس . ناهيك « بمجلة علم النفس » التي أصدروها فحفلت بالدراسات المترجمة والموضوعة ، وكانت لها بدورها عناية واضحة بالاستمساك بالمصطلحات الدقيقة المتعارف عليها بين أعضاء الجماعة ، واحتفال بالأصاليب العربية المشرقة . فاستطاعت هذه الجماعة أن تخدم علم النفس أجل الخدمات ، وأن تخدم الضاد بما قد رفدتها به من تراث علم النفس ، وأن تسدي في باب المصطلحات مساهمة مقدورة ، لأن ما وضعته من مصطلحات كان ثمرة ذوق سليم ، وفهم صحيح ، ومعاونة يومية منهجية في الميدان الذي تخصصت فيه .

ولسنا نخطيء كثيراً إذا قلنا ، معممين الحكم ، إن الترجمة عمل هواة لا محترفين . وأولئك الهواة هم الذين يختارون الكتب التي يتصدون لنقلها أو يرافقون على نقل ما اختاروه لهم يتواراهم ، وهم الذين ينجزون ترجمتها من ألفها إلى يائها وفقاً لما يتوخونه هم من مناهج ، وهم الذين يسعون بها إلى الناشرين ارتجاء إخراجها . وقليل من القراء من تساعفه الأسباب فيعمد إلى مراجعة هذه الترجمات جميعاً ومقابلتها بالأصل ابتغاء معرفة حظها من الدقة والأمانة وحسن الفهم . فالقارئ حين يقرأ كتاباً مترجماً يفترض - كقضية مسلمة - أن ناقله متمكن أمين ، وعى النص أجمل وعي ، وتمثل معناه أصدق تمثيل ، وترجمه ترجمة تتأبى على المطاعن . فإن تعثر في عبارة أو فاته معنى لغموذه ، عزا الأمر إلى قلة فهمه هو ، أو رده إلى المطبعة وأغاليلها . وما أكثر ما جنت المطبعة على الكتب ، وما أكثر ما نجنى الناس على المطبعة برد كل تصحيف إلى سبب وحيد ،

هو حروفها الصماء في أبدي العامل الأمي أو القليل الحظ من المعارف .
وهكذا يدخل الكتاب المترجم إلى مكتبة الضاد ، ويستأثر لنفسه
بمكان فيها - متواضعاً كان ذلك المكان أو متعالياً - ويظل الكتاب مقصداً
للمراجعين ومثابة للباحثين - ولا سيما الذين يجهلون لغته الأصلية - إلى ما
شاء الله لهذا الكتاب أن يعمّر . ولا تتزعزع ثقة القارئ في كتاب
مترجم نال حظه من الاستقرار في المكتبة العربية إلا إذا انبرى له ناقد
على دراية كاملة بنصه الأصلي وموضوعه المتناول بين دفتيه ، ثم عقد مقارنة
دقيقة بين النص والترجمة ، فإما أن ينتهي إلى اقرار أمانة المترجم وحسن
فهمه ، فتبقى للكتاب منزلته كعمل فكري صادق ، وأما أن تسوقه
المقارنة والمقابلة إلى كشف معائب صارخة في الكتاب ، وعندئذ تتزعزع
ثقة القارئ في هذا العمل بوصفه مرجعاً ، وفي المترجم بوصفه ناقلًا .

وقد ارتأى بعض الجهات الناشرة للكتب المترجمة أن يُعيّن لكل
مترجم مراجع أو أكثر ، وهو إجراء أريد به أصلاً الاطمئنان إلى ضبط
الترجمة ، والاستيقان من عدم خروجها على النص أو سوء تأويلها له .
ولكن هذا الاجراء بات في حقيقة الأمر يلقي ظلالاً كثيفة على المترجم،
ومدى قدرته على القيام بالمهمة المسندة إليه . بل إن أمانة المترجم نفسها
تغدو .. في عين القارئ - موضوع استفهام وتساؤل .

فإذا ألقينا نظرة عامة على الكتب الكثيرة المترجمة التي تخرجها المطابع
في الوطن العربي ، ألقينا أنفسنا تلقاء ظواهر غير صحيحة ، نوجز بعضها
في ما يلي :

أولاً - ان هناك كتباً سقيمة الموضوع (كالروايات السوقية المثيرة) تؤلف نسبة غير قليلة من الكتب المترجمة . ولا نخال هذه الكتب مغناً للضاد ربيعاً ، بل لعلمها - مع التساهل - ترف وسرف في المكتبة العربية.

ثانياً - ان هناك كتباً متخصصة ينقلها مترجمون غير متخصصين ، فلا تسلم من خلط ، ولا سيما في نقل أسماء الأعلام والأماكن والمصطلحات.

ثالثاً - ان الأساليب التي تنقل بها هذه الترجمات تنقصها السلامة اللغوية والصقل البياني ، فتخرج علية ، أجنبية التراكيب ، منهمة المعاني .

رابعاً - ان بعض النقلة كالفون بالتبسيط ، بدعوى النزول إلى القارئ ، حتى لقد رأينا اللهجة العامية تتسلل إلى الكتب المترجمة ، ولا سيما في الأدب المسرحي ، بل لقد ارتفع ذات يوم صوت داعياً إلى ترجمة مسرحيات شكسبير باللهجة العامية لأن العامية هي لغة الخطاب في الحياة اليومية الدارجة ، والمسرح قطعة من تلك الحياة اليومية الدارجة بكل خصائصها.

خامساً - ان هناك ترجمات متعددة للأثر الواحد حتى في البلد الواحد. وربما أغنت ترجمة واحدة دقيقة سليمة عن كثرة من الترجمات .

سادساً - ان أمهات الكتب لا تلقى من المترجمين عناية أو تولوية ، بل لعلمهم عنها منصرفون . حتى إننا لو حصرنا كتب الأمهات في الفلسفة والعلوم المختلفة والآداب العالمية والفنون بأبوابها والاقتصاد بمذاهبه وكتب الصناعة (كصناعة النفط وهي أولى صناعات العالم العربي اليوم) ، ولو حصرنا الموسوعات ، ما كان منها عاماً أو متخصصاً ، ثم بجشنا عما نقل منها إلى الضاد ، لألفينا ركن الترجمة مليئاً بالثغرات في المكتبة العربية .

سابعاً - ان الترجمة كرسالة عمر وحياة ، ينقطع لها متفرغون من طراز عادل زعيترو أو منير البعلبكي مثلاً ، ليست بما نعهده اليوم في حركة الترجمة المعاصرة .

ثامناً - ان طائفة غير قليلة من الكتب المترجمة تنقل لا عن اللغة الأصلية التي وضعت بها ، بل عن لغة فرنجية أخرى ترجمت إليها ، بما يجعل الترجمة العربية - حتى مع الحرص الشديد على ضبطها - غير ممثلة تمثيلاً صحيحاً دقيقاً للنص الأصلي . فالترجمة عن نص مترجم لا يمكن أن ترقى إلى مستوى الترجمة عن النص الأصلي الوثيق بلغة كاتبه .

تاسعاً - بل لقد لوحظ أن بعض الكتب المؤلفة أصلاً باللغة الانكليزية والمترجمة إلى اللغة العربية عن هذه اللغة ، تسند مراجعتها إلى مراجعين هم باللغة الافرنسية أدري ، فيضاهون الترجمة العربية لأعلى النص الانكليزي ، كما هو مستصوب ، بل على النص الافرنسي ، وهو أمر مستغرب بل مستكره .

عاشرأ - ان بعض ما يسمى « ترجمات » هو في حقيقة أمره تلخيصات أو إعادة صياغة للنص الأصلي باللغة العربية وبأسلوب المترجم . وما أكثر ما يعتمد المترجمون إلى حذف فقرات بل صفحات وفصول برمتها دون إشارة إلى هذا الاختصار بداعي الأمانة العلمية . ولهم في ذلك حجة مقبولة عندهم ، وهي أن من حق المترجم التصرف في الأصل على الوجه الذي يرتئيه ، وكأنما منحت للمترجم رخصة تبينح له أن يعمل بالنص الفرنجي ما يشاء دون ملامة .

حادي عشر - ان قلة قليلة من المترجمين هي التي تحفل بحقوق التأليف والنشر المقررة في اتفاقيات شبه دولية . والكثرة السكاثرة منهم

غير محتفلة بهذه الحقوق ، تستيحيها بلا قيد ، اعتقاداً منها بأن أصحاب حقوق التأليف والنشر لن يدروا بأن كتبهم قد نقل إلى الضاد ، أو استناداً إلى أن الدول التي تنتمي إليها لم تنضم إلى اتفاقيات صون حقوق المؤلفين والناشرين ، وهي الحقوق التي تسقط بانقضاء نصف قرن على وفاة واضع الكتاب ، فيغدو كتابه تراثاً إنسانياً عاماً مشاعاً متاحاً لكل مترجم وناقل وناسخ .

ثاني عشر — ان هناك كتباً مترجمة تظهر وليس عليها اسم مترجم . فإما أن المترجم آثر الاستخفاء لأن موضوع الكتاب ليس مما يطاق رأيه أو بما يشرفه ، وإما أن ناقل الكتاب هو من المبتدئين الشداة ، والناشر يستنكف من وضع أسمائهم على غلاف الكتاب لأنه لا وزن لهم في سوق الرواج . فإليك بأن هناك أسماء مستعارة لمترجمين تظهر على أغلفة الكتب ، فإن بحثت عن أصحابها عجزت عليك أن تهتدي إليهم في دنيا القلم .

والذي لا ريب فيه أن هذه الظواهر التي ترافق حركة الترجمة المعاصرة هي بالعلل أشبه ، وهي تلح علينا أشد إلحاح في أن نبحث عن وسائل لمعالجتها كما تستقر الترجمة استقراراً عزيزاً في ركنها المقرر في المكتبة العربية ، فتغدو جزءاً من صميم تلك المكتبة لا كإضافة عليها .

وإذا طرحنا الجوانب الإدارية والميكانيكية في حركة الترجمة ، أعني الجوانب المتعلقة بالناشر والطابع والموزع والطابعة والإخراج والورق والتكاليف وهلم جرا ، فقوام الترجمة كتاب منقول ومترجم ناقل . فإن حسن الكتاب المنقول ودعت إليه حاجة حضارية أو فائدة علمية أو قيمة فنية أو رسالة إنسانية ، وإذا أحسن المترجم صنيعه فيها ثم استيعاباً

ونقلًا وتدقيقًا وأمانة وجمال صياغة ، حققت الترجمة المقصد المنشود .
أما إذا ساء الكتاب موضوعاً ومادة ، أو ترخص المترجم في أداء
مهمته ، أو إذا اجتمع الأمران معاً ، فحدث بسوء العاقبة ، حتى ولو
أحرز الكتاب رواجاً في السوق لسبب من أسباب الاستهواء ، أو لداع
من دواعي المناسبات .

فاختيار الكتاب إذن هو الخطوة الأولى في أي توفيق يراد للترجمة
أن تحققه . فإن وقع الكتاب لمترجم موصول الأسباب بموضوعه ، شديد
الاتقان لمادته ، لأسلوبه نصاعة وبيان ، تحققت المجانسة بين الكتاب والناقل ،
وحدث التعاطف الفكري والوجداني الذي من شأنه المؤكد إغناء المكتبة
العربية بهذا الكتاب الجديد .

ومن الذي يختار الكتاب ؟ قد تختاره هيئة متصدية لأعمال الترجمة .
وقد يختاره المترجم الناقل . ولا بد في الحالين من الاطلاع على عشرات
من الكتب لاختيار أفضلها ، أي أن الترجمة تسبقها مطالعات واسعة لغربة
الكتب الفرنجية واختيار ما يصلح منها للترجمة . فليس كل كتاب فرنجي
صالحاً بالضرورة للترجمة . وإن صالح من حيث إمكان نقله كعملية آلية
فقد لا يصلح من حيث موضوعه وجدواه بالنسبة للقارئ العربي على
وجه التخصيص .

فالكتب الفرنجية المتاحة ، ناهيك بما يصدر منها باللغات العالمية
واللغات الإقليمية في كل يوم طالع ، ليس إلى حصرها من سبيل ،
وليست جميعها بما يرفد الفكر العربي بأسباب الغنى أو الجدة أو الفائدة .
وطموح المترجمين لا يقودهم بحال إلى ترجمة هذه الكتب جميعاً . ولا معدى

إذن عن الامام بالقدر الأوفى من هذه الكتب وانتقاء ما لو ترجم لكان للضاد غناً وجدوى .

والخطوة الثانية في نجاح مهمة الترجمة هي وقوع الكتاب لترجم مالك أداته ، له بموضوعه دراية وثقى ، وله بمصطلحاته وأعلامه معرفة كاملة ، وله قبل ذلك وبعد ذلك أسلوب عربي تنصاع له المعاني انصياعاً جزلاً ، وتتنقاد له التراكيب الأعجمية فتتنصب على يديه في أجمل قالب عربي وأبدعه .

والكتاب قد يختار لموضوعه ، وقد يختار لمؤلفه ، أو لكليهما معاً . فالموضوع الجيد أو الفريد أو الفاتح في الفكر فتحاً جديداً ، يفرض نفسه على الحياة الفكرية ، ويستوعب انتباه المترجمين في كل لغة . والكتاب الذي استقرت سمعته الأدبية أو العلمية أو الفكرية ، هو بدوره يفرض نفسه على دنيا الفكر ، ويكتبه جميعاً ما لها إلى النقل بحجارة لشهرته العريضة .

وإن تهيأ للكتاب الجيد مترجم جيد ، لم يبق للمراجع محل في حركة الترجمة ، لأن الترجمة نقل ، والنقل أمانة ، ولا مكان للخيانة في النقل اللهم إلا إذا افقر المترجم إلى أولى أدوات صناعته .

والمترجمون في جملتهم أفراد مجتهدون ، قالوا بتدريبهم على الترجمة في الحياة العلمية العريضة ، فاستوعبوا اللغات التي هم بها معنيون استيعاب حياة لا استيعاب دروس مقررة في معهد ، وكانت لهم مطالعات أوقفهم على كثير من العلوم والفنون ، وكانت لهم مشغلة بالمصطلحات وما تؤديه من دقيق المعاني ، وكانت في متناولهم جمهرة من المعاجم المتخصصة والعامية التي ألفوا الاسترشاد بها ، ومارنوا على استخدامها .

وصفوة القول في المترجمين أنهم لا يحملون شهادة في الترجمة ترخص لهم مزاوله هذا العمل ، ولا يقسمون ميمناً على التدقيق في هذه الصناعة ، وإنما الأمر كله رهن بالضمان ، وهي وحدها الرقيب الحي ، كما أن السمعة الأدبية التي يكتسبها المترجم هي عنده أسمى الشهادات .

* * *

والسؤال الجوهرى الذى يفضى إليه هذا التمهيد هو : كيف السبيل إلى الارتقاء بالترجمة فناً ورسالة ، وعلماً وعملاً ، بل استثماراً للفكر الفرنجى الذى تنقله إلى حضن الضاد ؟ وكيف يكون التصدي للظواهر المرضية التى لا تقفأ تبلى الترجمات العربية ، مما ألحنا إلى ذرور منه فى ما تقدم ؟ وكيف يكون التنسيق الواجب لحركة الترجمة على الصعيد العربى بأسره ، بحيث يتأتى للترجمة أن تؤدى رسالتها فى تغذية الفكر العربى بجديد من ألوان الحصب ، وإطلاع العرب على أحدث ما وصل إليه التقدم العلمى فى الخارج . ولا خلاف على أن العرب ما انفكوا عالمةً على العالم الخارجى فى العلوم العصرية والتقنية المتطورة . وكل الكتب التى تتناول فتوحات العلوم الحديثة ، كفضو الفضاء ، والعقول الالكترونية ، والتقنية ، والتسيير الذاتى للآلات (Automation) هي فى حقيقتها كتب موضوعة بلغات الفرنجة ، وربما ترجم منها إلى الضاد قدر يسير ، أو لعل ما صدر منها فى العربية هو حصيلة مطالعات فى الكتب الأجنبية عمادها الأكبر على الترجمة والنقل .

ولسنا نفهم التنسيق المرجو على أنه إنشاء هيئة مركزية فى العالم العربى يعهد إليها وحدها فى شؤون الترجمة ، فتبسط سلطانها على المترجمين فى ربوع الوطن العربى ، ويكون لها دون سواها الرأى فى شؤون الترجمة .

وإنما نفهم التنسيق على أنه تقريب للجهود الفردية المبعثرة ، وارتفاع بمستوى الترجمة قلباً وقالباً ، وتيسير المشكلات التي تعترض القائمين بهذا العمل ، وتهيئة الأسباب والأدوات التي من شأنها تمكين المترجمين من أداء عملهم على أكمل وجه وأبعثه على الرضا ، وتشجيعهم على التصدي لترجمة الكتب النفيسة ، والسعي للاعتراف بالترجمة كقطاع هام في الحركة الثقافية العربية المعاصرة ، والدعوة إلى مؤتمرات لبحث شؤون الترجمة ووسائل النهوض بها .

والحاجة ماسة إلى انشاء جهاز ثقافي تشارك فيه الدول العربية المختلفة رجال بصيرين بشؤون الترجمة ، تكون مهمته الأساسية رصد نشاط الترجمة في الأقطار العربية ، وفهرسة الكتب التي سبقت ترجمتها عن اللغات المختلفة ، وتهيئة الأدوات المعينة المترجمين كالمعاجم المتخصصة في كل فن ، وتوجيه حركة الترجمة بحيث تهتم في المقام الأول بالكتب والموسوعات المستقرة في التراث الانساني ، والتخطيط لحركة الترجمة وذلك بالتوصية بترجمة كتب معينة تدعو إليها حاجات الفكر أو المجتمع العربي ، وتشجيع المترجمين حتى ينشأ جيل من المترجمين الأكفاء المتفرغين الذين يتصدون لأمهمات الكتب .

وأياً كان قوام هذا الجهاز المقترح ، وأياً كان مقره ، فإن الرسالة التي تناط به هي ، بشيء من التبسيط ، مايلي :

أولاً — ان أول المعينات على الترجمة الصحيحة الدقيقة ، ولا سيما للموضوعات العلمية ، هي المعاجم المتخصصة التي تقدم لقارئ العربية مصطلحات (١) دقيقة واضحة مستقرة لمرادفات لما أعجمية ، بحيث ينتفي

(١) يراجع في موضوع المصطلحات كتاب الأمير مصطفى الشهابي « المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث » الطبعة الثانية — ١٩٦٥ — مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

كل خلط أو سوء فهم عند القارىء . فلكل مصطلح معنى واحد يؤديه ولا ينصرف إلى سواه ، وهو مصوغ صياغة سهلة واضحة تساعد على تداوله . وهناك هيئات شتى تنبرى لوضع المصطلحات واصدار مجموعاتهما ، كمجامع اللغة العربية والجهات الحكومية وبعض الأفراد من ذوي المهمة ، ولكن هذه الجهود تنزع إلى التضارب بدلاً من التجانس والتوافق ، لأن واضعي المصطلحات يتعصبون لها ، ولا يرتضون أي عدول عنها ، وهم يستعملونها ضاربين صفحاً عن المصطلحات المقابلة التي سكتها غيرهم من علماء التخصص في بلدان عربية أخرى . والنتيجة الطبيعية لهذا التضارب هي أن علم المصطلحات قد بات فوضى ، ولا رابط بين أطرافه . ولا بد من هيئة تقوم بترجيح المصطلحات واعداد مجموعات أو قواميس متخصصة لها في كل علم وفن ، تتوحد في كل منها مصطلحات العلم بعد المقارنة والمفاضلة بين جميع مصطلحات هذا العلم كما يتداولها واضعوها ، بحيث يخرج قاموس موحد على غرار « المعجم العسكري الموحد » لكل علم من العلوم . فإذا انبرى مترجم لكتاب في علوم الفضاء ، استعان بقاموس الفضاء الموحد على ترجمة الكتاب ، ولم تستمع عليه عبارة أو تغمض بسبب عقبة المصطلحات .

ثانياً — ان بما لا ريب فيه أن جهود الأفراد — وهم الحاملون لعبء الترجمة الرئيسي — إنما تنكص عن التصدي لعمل مبہظ كترجمة دائرة معارف عالمية موثوق بمادتها . كما أن ميزانيات الفرادى من الناشرين تنوء بمثل هذه الأعمال الكبيرة ، وربما ناءت بها ميزانية جهة حكومية واحدة . ولا بد للجهاز المقترح لتنسيق حركة الترجمة من أن تناط به هذه المهمة وأشباهاها ، فيستعين بذوي الخبرة في كل علم وفن ، سواء على

أساس التفرغ الكامل ، أو على أساس التعاون كفريق متآلف يتفرغ كل عضو منه لفرع اختصاصه ، وبهذا يستطيع إخراج هذه الموسوعات الضخمة التي لا غنى عنها في مكتبة الضاد ، ولا معدى عن مراجعة مادتها كل عقد من الزمان على الأكثر لتبقى دائماً جديدة محافظة على قيمتها .

وقد يجادل البعض في جدوى ترجمة الموسوعات ما دام المثقفون عامة قادرين على مطالعتها في لغاتها الأصلية . وعلى هؤلاء . رد بأن لمعظم اللغات الكبرى موسوعات خاصة بها . ثم انه لو أخذ بهذه الحجة لما كان هناك مسوغ أصلاً لكل أعمال الترجمة ، ما دام المثقفون لا يجدون مشقة في قراءة الكتب الأصلية بلغات مؤلفيها .

وقيمة الموسوعات أنها خلاصات مركزة موثوق بمادتها في جميع أبواب المعارف الانسانية . وهي مرجع قريب التناول لكل طالب راغب في استيضاح حقيقة علمية أو قراءة مادة معينة ، فتوافيه في الموسوعة في أسطر أو أنهر أو صفحات وفقاً لأهمية هذه المادة ، ويغنيه ذلك عن قراءة الكتب والمتون الشديدة التبحر والعمق .

وليكن من مهام جهاز تنسيق الترجمة السعي لترجمة دائرة من دوائر المعارف ، تستخدم في فصولها المصطلحات العلمية المقررة في المعجمات المتخصصة الموحدة التي سلف الحديث عنها .

ثالثاً - ان جهود المترجمين في أنحاء الوطن العربي جهود متفرقة ، ولا رابطة بينها إلا ما قد ينشأ من صلات شخصية بين بعض المشتغلين بالترجمة بجهودهم الفردية . وهؤلاء وأولئك يجهلون ما ينشغل به زملاؤهم وأندادهم جهلاً تاماً ، فيتكرر الجهد في الترجمة أحياناً ، وتعدد الترجمات للأثر

الواحد ولعل مما يُستصوب للجهاز المقترح أن يصدر نشرة دورية إخبارية على غرار نشرة معهد المخطوطات العربية يورد فيها أخبار الترجمة والمترجمين وينبه إلى صدور كتب هامة تستحق عناية المترجمين ، ويعلن عن المسابقات والجوائز الخاصة بالترجمة . وحثم على هذا الجهاز المقترح أن يرصد حركة الترجمة رصداً حثيثاً دؤوباً ، فيعد فهرس مبنية للكتب المترجمة على الصعيد العربي ليسترشد بها المترجمون وهم يهتمون بترجمة كتاب ما .

رابعاً -- ان من المهام الرئيسية التي يتعين على الجهاز المقترح الانبراء لها ، التوصية بترجمة كتب معينة لأنها تمثل قيمة خاصة بالنسبة للقارئ العربي ، كأمهات الكتب ، والكتب التي تتناول القضايا الحيوية للوطن العربي ، والكتب التي لا غنى عنها في ميادين الفكر ، والكتب التي كان لصدورها دوي في الحياة الانسانية .

ومن مؤدى هذه التوصية أن يقوم الجهاز المقترح بدور القارئ المحلل (المغربل) المستصفي للكتب الأجنبية باللغات العالمية وما يتيسر من اللغات الأخرى ، فتجنيء توصيته بعد دراسة مسبهة للكتب الأجنبية ومفاضلة بينها وتقييم لمادتها ومراعاة حاجات الحركة الفكرية العربية .

وليس من قبيل الشطط أن يطالب الجهاز المقترح برصد معاونات أدبية ومالية تشجيعاً لطبع الكتب التي يوصي بترجمتها ، كأن ييسر وسائل الطباعة أو يساعد في التوزيع أو يتعهد باقتناء كمية معينة من نسخه المطبوعة ، أو يوصي الدول من أعضائه بشراء نسخ منه ، أو يجزل للمترجم مكافأة على جهده ، أو يضطلع هو بمهمة نشر الكتب من ألفها إلى بائها .

وعند التوصية بترجمة كتب أجنبية ، براعي الجهاز المقترح أولويات

معيّنة ، حتى ينصرف الجهد الأول والأكبر إلى ترجمة الكتب التي تلي للضاد حاجات في الصميم قبل ترجمة الكتب الثانوية القيمة التي يجوز إرجاؤها إلى زمن متأخر .

خامساً - لا بد لنشاط الترجمة ، إن عاجلاً أو آجلاً ، من أن تنسحب عليه الاتفاقات الدولية لحماية حقوق التأليف والنشر . كما لا بد له من التعاون مع الهيئات الثقافية الدولية أو الأجنبية التي تعالج شؤون الترجمة بين مختلف اللغات . وليس أحق من الجهاز المقترح بإجراء الاتصالات اللازمة في هذه الشؤون باعتباره الوكالة المتخصصة المعهود إليها في تنسيق حركة الترجمة في ربوع العالم العربي .

ويرجى مع الوقت أن ينتفع بهذه الاتصالات الخارجية في تنشيط ترجمة الكتب العربية إلى لغات الفرنجة ، فيصبح هذا النشاط من الاختصاصات المسندة إلى الجهاز المقترح .

سادساً - من الغايات البعيدة التي ينبغي للجهاز المقترح أن يتوخاها إيجاد فئة متخصصة من المترجمين المتفرغين الذين ينقطعون للترجمة المستأنية الرصينة ، دون أن يتحيّث ذلك على معاشهم . فلو انصرف مترجم عاماً كاملاً إلى نقل كتاب أو كتابين من أمهات الكتب الغربية ، فقد تحفى قدماءه حتى يجد ناشرأ . وإن وجدته فلن يكافئه على جهد سنةٍ إلا مكافأة ضئلى . وأمثال هذه الجهود لا بد أن تتبناها الهيئة المقترحة بما يكفل للمترجمين إنصافاً في اقتضاء حقوقهم ، ويؤكد لهم أن التفرغ لأعمال الترجمة لا يعد جهداً ضائعاً أو مبغوس القدر ومهمزوم الحق .

وليس من مؤدى ذلك أن يكون المترجمون المتفرغون موظفين في

الجهاز ، بل حسبهم أن يدركوا أن جهدهم محمي من عيون الجهاز اليواظظ ، لا يجور عليه ناشر أو مستغل .

سابعاً - ولا ندري لم لا يكون من مشروعات الجهاز ، ولو في مرحلة تالية ، إصدار مجلة دورية تعنى بشؤون الترجمة وتفرد باباً خاصاً في كل عدد لنقد الكتب المترجمة وتبيان ما فيها من وجوه اتقان وأوجه نقص . وهي بهذا تؤدي في الواقع رسالة مزدوجة ، فتعرف القارئ بالكتب المترجمة وتنبيه إلى جوانب التميز وجوانب القصور في الكتب المترجمة . ولا ريب في أن في تسليط أضواء النقد على الأعمال المترجمة كفيل بالارتقاء بمستوى الكتب المنقولة ، لأن كل ترخص أو إهمال أو نهبون في الترجمة سيبرزه النقاد أمام أعين القارئ .

وإذا جاز أن تكون هناك مجلات متخصصة للمأثورات الشعبية (الفولكلور) والسينما والمسرح ومجلات للشعر والمخطوطات والتربية وعلم النفس ، فليس ثمة ما يسوغ عدم صدور مجلة متخصصة لشؤون الترجمة ، تطرح فيها القضايا^(١) التي تهتم المترجمين ونهم القراء عامة . ومن تلك القضايا المناهج التي يسلكها المترجم ، وهل يتقيد بالحرف ، أو يضحي بالحرف في سبيل المعنى . وهل يحق للمترجم الإبقاء على نص الكتاب بكل ما فيه من آراء ولو خالفها هو ، أو خالفت مواضع الجماعة ، أو أن من حقه حذف هذه الآراء وفقاً لتقديره الخاص (ولعل المنهاج الأصوب في هذا الصدد هو إبقاء آراء المؤلف على حالها مع تعليق المترجم عليها في هامش

(١) في قضايا الترجمة يراجع كتاب « فن الترجمة » للأستاذ محمد عبد الغني

الكتاب أو صلبه تعليقاً مستقلاً ينسب إليه هو لا إلى المؤلف) . ومن الموضوعات التي يطيب لمجلة الترجمة مناقشتها ، كيفية اختيار الكتب للترجمة وهل يتوخى المترجم أذواق الجمهور فيترجم لهم ما يستهويهم ، أو يحتكم إلى ذوقه الخاص ويستند إليه وحده في اختيار الكتب التي ينقلها . ثم هل يكون المترجم متخصصاً فيقصر كل جهده على باب بعينه ، أو يكون غير متخصص ، فينقل كتب الأدب والتاريخ والاقتصاد والسياسة والفلسفة والسير وما إليها ما دامت مصطلحاتها مبذولة في المعاجم المتداولة . فهناك من يقول أن كتب الاقتصاد ينبغي ألا يترجمها إلا رجال الاقتصاد . ولكن رجال الاقتصاد علماء في مادتهم ، غير علماء في تراكيب الضاد وأساليبها وقواعدها نحواً وصرفاً . فإن ترجموا الكتاب الاقتصادي فقد لا يخلو من العجمة في عباراته ، واللحن في أسلوبه . وربما كان من صواب الرأي أن توكل الكتب الشديدة التخصص إلى أوليائها أرباب هذه العلوم ، على أن يعهد بعد ذلك إلى 'دراة' باللغة والأدب في صقل أسلوبها ، لتستقيم تراكيبه مع التراكيب المعهودة في لغة الضاد ، وتزول عنها أمارات الركافة والعجمة .

وما أكثر القضايا التي تتسع صفحات مجلة الترجمة لمناقشتها : قضايا المصطلحات ، وهل يستحسن التوسع في تعريبها ، أو يوجه أو الجهد وأكبره إلى إحياء مصطلحات عرفها القدامى وتداولوها في كتبهم . ثم هناك قضايا أولويات الترجمة ، وهل تكون للإنسانيات ، أعني الآداب والفنون والاجتماع ، أو تكون للعلوم النظرية والعملية . ثم ما هو الرأي في الكتب التي تتناول شؤون عالمنا العربي من زوايا قد لا ترضى عنها ، فهل نترجم هذه الكتب لتكون بمثابة تحت أبصارنا وأفهامنا ، أو نحاذرها اعتقاداً منا بأنها إلى التعامل والإجفاف أميل ؟

ولا بد لهذه المجلة من التعريف بأداب لغات قليلة الحظ من عناية المترجمين ، ك لغات الهند والصين واليابان والبلدان الآسيوية والإفريقية وبلدان أوربة الشرقية والشمالية ، وكذلك التعريف بأداب أمريكا اللاتينية . كما تتسع المجلة لنشر نجارب أعلام المترجمين في ميادين الترجمة ، فيتحدث كل منهم عن الصعوبات التي اعترضت سبيله ، وكيف استطاع خضد شوكتها وإلانة جانبها .

وبحكم كون المجلة متخصصة في شؤون الترجمة ، فهي تساعد بلاريب على عقد الصلات بين المترجمين الموزعين في ربوع العالم العربي ، كما تعين على كشف المترجمين الذين يستطيعون نقل الكتب من لغات كالأندونيسية والأوردية والمنغولية والإفريقية وما إليها ، إن وجد أمثال أولئك المترجمين . فإن تعددت الترجمات لأثر فكري واحد ، فلعل في مجلة الترجمة مجالاً للمقارنة بين هذه الترجمات المختلفة بميزان نقدي لا يمين .

وصفوة القول أن ظهور هذه المجلة عن الجهاز المقترح ، يعين القراء — ولو كانوا قلة — على إدراك أن الترجمة ليست عملاً آلياً يحسنه كل من يقتني قاموساً ، ولا هو عمل تؤديه العقول الألكترونية ، بل إن للترجمة فلسفة ومناهج وأساليب ، ولها رسالة لا يحسنها إلا قوم تمسوا بها بعد طول معاناة في ميادين الفكر ، قراءة وكتابة وخبرة بتطويع الأساليب ، ودراية بالألفاظ ومعانيها ومؤدياتها وظلال معانيها ، وملابسات استعمالها المختلفة .

ثامناً — وربما فطن الجهاز المقترح إلى ضرورة تبني اقتراح إنشاء معهد للتدريب على الترجمة ، يكون أساتذته أفضاذ المترجمين في الوطن العربي . وهؤلاء يحاضرون الطلاب في قواعد الترجمة ومناهجها ، وأهم من

ذلك يحاضرونهم في تجاربهم الخاصة ومغامراتهم مع الأفكار والألفاظ والتراكيب والصياغات ، ويوظفون لهم ولوج هذا الميدان من باب المعاناة والمران الذاتي فضلاً عن باب الدراسات المعهدة النظامية .

وكما أن خريجي كلية الآداب لا يكونون بالضرورة أدباء ، كذلك الشأن في خريجي معهد التدريب على الترجمة ، فلن يكونوا جميعاً مترجمين أشداء ما لم تتوافر لهم الموهبة أصلاً ، وما لم يكونوا مؤهلين باستعداد خاص لخوض هذا الميدان . ولكن خبرة المحربين لا تثمن بمال بالنسبة للشداة من المترجمين ، وهي خبرة لا سبيل إلى تحصيلها إلا بالاحتكاك الوثيق بسدنة الترجمة في هذا المعهد وفي خارجه ، إن أمكن . فإن كان لي أن أوميء إلى تجربة خاصة ، فإنني — على بعد العهد — ما زلت أذكر بالعرفان والشكران التوجيهات السديدة التي ألقنيها في أول العمر وربيقة أستاذان فاقهان في شؤون الترجمة هما خليل ثابت وفؤاد صروف . كما كان انتفاعي كبيراً بالملاحظات البصيرة التي أسمعنيها رجال من طبقة خليل مطران ونقولا الحداد والأمير مصطفى الشهابي وسلامه موسى وإسماعيل مظهر وعادل زعيتر وسابا حبشي ، ولكل منهم تاريخ في الترجمة عريق حافل .

تاسماً — ولسنا نتصور جهازاً خاصاً بالترجمة إلا ورهن يمينه مكتبة عامرة ، وتضم جميع كتب المراجع كالموسوعات والمعاجم العامة والخاصة ، وتضم أكبر حشد ممكن من الكتب المترجمة والكتب الفرنجية ، وتتابع كل جديد يصدر من الكتب المنقولة ، وتستقبل أحدث الكتب الصادرة باللغات الرئيسية وبغيرها من اللغات ، إن كان إلى ذلك سبيل .

فالمشتغلون بالترجمة لا غنى لهم عن كتب المراجع في كل علم وفن ،

يرجعون إليها كلما أعوزهم أن يضبطوا علماً أو يتحققوا من واقعة أو يستيقنوا من اسم نبات أو حيوان عرض لهم في غضون الترجمة ، أو يتثبتوا من النصوص في مصادرها الأصلية المنقولة عنها . فالترجم الحريص على سمعته لا يرضى لنفسه أن يكون دون المؤلف دراية بموضوعه وإلماماً بفردانه . وهو في هذا السبيل ينهياً للترجمة لا بقراءة الكتاب المراد نقله وحده ، بل باستقصاء جميع المراجع التي كانت تحت يد المؤلف ، وقد تدعوه ضرورة إلى التوسع في مطالعته وكأنه يهتم بتأليف الكتاب لا بترجمته . فالكتب ، ولا سيما الدراسات الأكاديمية منها ، تتشعب موضوعاتها حتى لتغطي ميادين متباعدة . فالعالم كفى على ترجمة سفر اقتصادي مثلاً ، كثيراً ما يلقي المؤلف وقد انتقل به من ميدان الاقتصاد إلى ميدان القانون الدولي ، ثم إلى ميدان الفلسفة وميادين الدين ، بل الأنثروبولوجيا (وهو علم السلالات البشرية) ، لأن لموضوعه أصولاً هنا وصلات هناك جميع المؤلف أطرافها المتباعدة ، واستخرج منها مادة متكاملة للكتابة .

وحتم على المترجم المدرك لقداسة مهمته أن يراجع مكتبته في هذه الموضوعات جميعاً ، فإن لم تسعفه ، ففي مكتبة الجهاز المقترح ضالته ومنشود غايته .

عاشراً ... ما زال هناك اعتقاد شائع بأن الترجمة ليست عمل إبداع ، بل هي في ميادين الفكر ثانوية المقدار ، لأنها صناعة نقل لا تقتضي المشتغل بها إلا الإلمام بلغتين أو أكثر ومعرفة كيفية استخدام المعاجم . أما الإبداع فهو حكر على الشاعر ، ولو لم ينظم في كل عمره إلا قصيدة واحدة ، وعلى الروائي ، وإن اقتصر إنتاجه على رواية واحدة ، وعلى المؤلفين ذوي الدراسات الموضوعية .

ومن مؤدى هذا الاعتقاد المهبوط بمنزلة المترجمين في سلم الطبقات ،
بينما ترتفع منزلة سواهم من أهل القلم ، قائل الشعر ورواة القصص وغيرهم
من المدارس .

وفي اعتقادي أن أي مقارنة بين الآثار الذهنية ، هي مقارنة لا محل
لها . ومن أكبر الخطأ القول مثلاً أن الأدب مثلاً أسمى منزلة من العلم ،
أو أن الشعر أخلد من الرواية ، أو أن الترجمة أقل مستوى من البحث
الموضوع . فلكل من هذه الأبواب ضرورة في الحياة ، ولكل من المشتغلين
بها رسالة يؤديها ، فتحمل جميعها أمانة في دنيا الفكر دون أن تطرد
منها الواحدة الأخرى . فإذا كانت الحياة العملية تحتاج إلى الطبيب الجراح
والطبيب المحلل والطبيب المتخصص بالعيون ، فلا يستغنى بواحدهم عن
الآخرين ولا هم يصنفون إلى طبقات عليا ودنيا ، فإن الحياة الفكرية
بدورها تحتاج إلى الشاعر بأحلامه ورؤاه وحماسته ولهوه ، كما تحتاج إلى
الروائي بتصوراته ورمزياته وتجسيده للخيال ، وتحتاج كذلك إلى المترجم
وهو يقرب آداب الدنيا وعلومها وفنونها إلى قارئ الضاد .

وليس ثمة ريب في أن الجهاز المقترح سيدأب دأباً متواصلاً في سبيل
إلغاء كل ميل في التفكير العام إلى إهدار قيمة المترجمين والنقلة . فهم إذ
يترجمون ، لا يفتقرون إلى موهبة القلم ، ولا هم من الإبداع محرومون ،
ولا انصرفوا إلى الترجمة باعتبارها أهون المآتي الفكرية ، وإنما اختاروا
هذا المجال إيماناً بجدواه في ارتقاء الفكر العربي ، واعتقاداً منهم بأنهم
يؤدون فيه للضاد من الخدمات ما قد لا يحسنه سواهم .

وإذ تتغير النظرة إلى المترجمين ، نترامى آثار ذلك في حقوقهم الأدبية

والمادية ، فلا يُفتأت عليها مادام الجهاز المقترح حاملاً أمانة الترجمة مبشراً بقيمتها ، مؤكداً ضرورتها ، ولا سيما لبلدان ما زالت تلهث وراء التقدم العلمي والتقني ، وتعجز عن اللحاق به .

أفليس من المفارقات الصارخة أن الأمة العربية التي يكاد يكون كل اقتصادها مستنداً إلى النفط ، ليس لديها كتاب واحد باللغة العربية ، يتناول هذه الصناعة من جوانبها الجيولوجية والجيوفيزيكية والجغرافية والكيميائية والاقتصادية ، وعمليات التنقيب والحفر والكشف والاستخراج والتكرير والشحن والتوزيع والنقل والبيع ، ناهيك بشؤون الناقلات ، وبالمرافئ وأمورها المعقدة ، وبالصناعات البتروكيميائية ، وهي دنيا وحدها . ومثل هذا الكتاب لا يمهّد في وضعه إلى أديب مبدع أو شاعر مفلق ، بل لابد من ترجمته بأقلام متخصصين في هذا الميدان .

حادي عشر - وتأكّداً للتعاون والتشاور بين النقلة والمترجمين في الأقطار العربية يرجى من الجهاز المقترح أن يدعو في الحين بعد الحين إلى حلقات أو ندوات يشترك فيها أكبر عدد ممكن من المشتغلين بالترجمة ويشاركون بالدراسات والآراء والمقترحات ، ويبحثون سبل التعاون في ميدان هم جميعاً من عمده . وأمثال هذه الحلقات الدورية لا يراد منها أن تنتهي إلى قرارات أو توصيات ، بل يكفي لها أن تكون مناسبة دورية لتقليب الرأي في أمور الترجمة وتبادل الأفكار والتجارب حولها ، والتماس أسباب حل المشكلات التي تؤود المترجمين .

وبعد ، إن حركة الترجمة وجدت لأنها ضرورة للتلاقح الفكري والتقارب الانساني . وهي ضرورة لا في اللغة العربية وحدها ، بل في

جميع لغات العالم . والمترجمون ماضون في طريقهم ، كل بما هو ميسر له . ولكن هذه الحركة تسير على غير هدى ، فلا تحكمها خطة مرسومة ، ولا يعرف لها هدف معلوم ، وهي تعتمد على جهود فردية متناثرة ، وأذواق خاصة ، واعتبارات شتى .

فإن قدر للجهاز المقترح أن يصبح حقيقة واقعة ، وأن يحمل على عاتقه الرسالة التي توضحنا قبلاً ، لوجد فيه المترجمون أكبر عون ، ولـكان بحكم وظيفته وبحكم اتصالاته وبحكم متابعته الشاملة لحركة الترجمة في الوطن العربي خير أداة لإسداء الرأي إلى المشتغلين بصناعة الترجمة ، ولتوجيههم إلى تحقيق مآرب الضاد العليا من فن الترجمة .

وديع فلسطين

القاهرة

مركز تحقيقات كاسيتور علوم رندى

التعريف والتقد

شرع أبيات سيبويه

المنسوب إلى أبي جعفر النحاس

القسم الثاني *

الدكتور محمد خير الحلواني

عرضنا في البحث السابق ما أحاط بتحقيق هذا الكتاب من أوهام،
وصوبنا ما استطعنا تصويبه من نصبه، وسيكون لنا في هذا البحث مسلك
آخر، نرود فيه مجاهد قد نصل بعدها إلى الحقيقة، أو إلى ما يشبه الحقيقة.

- ١ -

وأول ما همنا الحديث عنه هو أن الكتاب في وضعه الراهن مضطرب
أشد الاضطراب، عبت به أيدي النساخ، وشوهته أيدي الملقين، يدنو
من كتاب سيبويه حتى يكاد يلتصق به، ويبعد عنه حتى يكاد يعارضه،
وهو تارة كتاب في النحو في الكوفي، يصدر عن مذاهبه، ويستعمل

(*) نشر القسم الأول من هذا المقال في الجزء السابق (مج ٥٣ ج ٢ ص ٤١١)

مصطلحاته ، وثارة أخرى كتاب في النحو البصري يقول بآرائه ، وينحو نحوه ، ويرد على نحاة الكوفة صراحة .

ولعل أهم ما فيه من اضطراب أنك تجد العنوان في شيء وما يتضمنه في شيء آخر ، ففي الباب الذي عقده لما يجري « على المعرفة من سببها » ساق شواهد لما يجري على النكرة دون المعرفة . (انظر : الصفحة ١٧١ وما بعدها) وفي الباب نفسه تجد مقاطع غير قصيرة تنتمي إلى أبواب بعيدة جداً عن الموضوع العام ، كمجيء الأسماء الجامدة صفات كالمشتقة (ص ١٧٢) واستعمال لغة : أكلوني البراغيث (ص ١٧٣) وواضح جداً أن عنوان الباب لا يحتمل هذه الشوائب .

وفي باب سماه (باب ما يرتفع) ساق هذا الشاهد :

وابن اللبون إذا ما لُز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

وقال بعده : « حجة بأن (ابن اللبون) لا يكون معرفة إلا بالآلف واللام ، ولو أخرجت منه الآلف واللام كان نكرة » (ص ١٩٣) وساق شواهد أخرى فيما (بنات الماء) و (الثريا) وكلها يجمعها باب آخر سماه سيبويه (باب من المعرفة يكون فيه الاسم الخاص شائعاً في الأمة) ، وليس هذا فحسب ، بل انتقل إلى شواهد أكثر بحفاة للموضوع العام ، تدور حول استعمال (من) نكرة موصوفة ، (ص ١٩٤ وما بعدها) . ثم انتقل بعد ذلك إلى تقديم صفة النكرة على موصوفها (ص ١٩٦) .

وفي باب آخر سماه « باب من العطف على المضمر » تحدث عن حروف الجر التي لا يجوز أن تجر الضمائر (ص ٢٦٢ - ٢٦٣) وفي باب

(أي) تحدث عن استعمال (مَنْ) نكرة موصوفة (ص ٢٦٦) وعن استعمال (ذا) اسماً موصولاً (ص ٢٦٧) وفي باب (ما يذهب فيه الجزاء - أي ما يأتي فيه جواب الشرط غير مجزوم - تحدث عما لا يذهب فيه الجزاء (ص ٢٩١) وعن جواب الطلب (ص ٢٩٤) . وهذا كثير .

ويرتد بعض هذا التباين بين العنوان وما يتضمنه إلى أن الكتاب في أقسامه الأخيرة ، يتابع سيبويه في استطراداته التي يوضح فيها قياساً أو يشرح بها ظاهرة ، فهو يثبت الشاهد من دون تهيد ، بل من دون إشارة إلى ما يريد ، ولا يجد في نفسه حاجة إلى أن يربطه بعنوان الباب الكبير ، كما يرتد بعضه الآخر إلى عملية النسخ ، فلا أشك في أن الناسخ أو النساخ الذين تعاوروا على نقل الكتاب ، قد قدموا مقاطع فيه ، وأخروا أخرى ، جهلاً أو سهواً .

مركز تحقيق كتاب سيبويه

ولكن الشيء الذي يشير الانتباه هو ذلك التباين الغريب بين عنوانه جملة ، ومحتواه العام ، فهو موسوم بشرح أبيات سيبويه ، والحقيقة أنه ليس كذلك ، وإنما هو في قسمه الأول كتاب مستقل في النحو ، قد يلتقي بسيبويه في بعض الأبواب والشواهد ، ولكنه ينأى عنه في المصطلح ، والمذهب ، وبعض الأبواب ، وهو في قسمه الأخير تلخيص لسيبويه ، لا شرح لشواهد .

والذي يؤكد ذلك ما يلي :

١ - فيه أبواب ليست من أبواب كتاب سيبويه ، من ذلك الباب الذي عقده (ما يكون ظرفاً وما يكون اسماً) فهو باب خاص مرّ به

سيبويه مروراً عابراً في بعض فصوله ، (انظر : ١ / ٧٩ ، بولاق) ولم يفصل التفصيل الذي تجده في هذا الكتاب . أضف إلى ذلك أنه لا يلتقي بسيبويه بغير شاهد واحد ، ثم لم يقف منه موقف الشارح ، بل عرضه عرض المحتج به ، وزاد عليه شاهدين آخرين ، وفوق ذلك تراه ينقل عن الخليل ويونس ، ويعرض^١ للغة اليمن ولغة مضر ، وليس شيء من هذا في سيبويه^(١) .

ويتبع ذلك أنه يبدأ بعض الأبواب بدءاً بعيداً عن كونه شرحاً لشواهد خاصة ، ويدل على أنه كتاب مستقل ، يقول في (باب المضاعف الذي يرد على أصله في الشعر) : « اعلم أنهم يبلغون بالمضاعف من الكلام الأصل في الشعر ، نحو : ردّدوا ، وشدّدوا ، يريد : شدّوا وردّدوا ، قال الشاعر :

مهلاً أعاذل قد جربت من خلقي^٢ أني أجود لأقوام وإن ضنّيتوا
فرد التضعيف كما ترى ، وإنما يفعلون ذلك على أن يردوا الفعل إلى أصله ، وأصله : ضنّوا ، بنونين ، (الصفحة ١١) .

وفي باب آخر عقده لإسقاط حروف الجر ، ومماها (الصفات) - كما يسميها نحات الكوفة - قال : « إذا حسنت الصفة في اسم ، ثم نزعها منه ، فانصب الاسم الذي نزعته منه الصفة ، قال الشاعر :

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مالٍ وذا نسبٍ

فقال : أمرتك الخير ، على معنى : أمرتك بالخير ، (ص ٢٥)

(١) وانظر أيضاً : ٢٩ و ١١٨

وهذا في القسم الأول كثير وتقع عليه أحياناً في القسم الثاني (انظر : ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٣٢٢ ، ٣٢٧) .

٢ - وهناك شيء آخر ذو دلالة واضحة جداً ، هو أن كثيراً من شواهد يوجهها غير توجيه سيبويه ، بل يخالفه فيها أحياناً ، من دون أن يذكر رأي سيبويه ألبتة ، ولا سيما في القسم الأول منه ، وقد يقع هذا في القسم الثاني .

ولا شك أن عرض الشواهد كلها هنا يحتاج إلى مكان أرحب مما يتسع له هذا البحث ، ولهذا سأكتفي بعرض ثلاثة نماذج فقط ، مشيراً إلى مواضع النماذج الأخرى .

● ساق في بعض الأبواب قول ضابي، البرجمي :

ومن يك أمسى بالمدينة رحله فإني ، وقيار بها ، لغريب

وقال عنه : « مقدم ومؤخر » ومعناه : فإني لغريب بها وقيار ، قال : ومسمت الخليل بن أحمد وعيسى بن عمر ينشدان هذا البيت بالنصب . (ص ٣٣) .

ففي هذا النص شيان يخالف بهما سيبويه ، أولهما أنه اعتمد رواية الرفع في (قيار) ، على التقديم والتأخير كما قال ، أما سيبويه فقد اعتمد رواية النصب ، والثاني أنه جمل رواية الرفع أجود من رواية النصب ، فقال : « وأجوده الرفع » . أما سيبويه فقد ساقه ليدل على أن خبر الأول مجزئ عن خبر الثاني . (انظر ١ / ٣٨ بولاق) . والغريب أن المؤلف يروي سماعه عن الخليل وعيسى بن عمر ، وهي الرواية التي توافق رواية سيبويه الذي أخذ عن الشيخين كليهما .

● وفي موضع آخر أثبت الشاهد المعروف :

يا سارقَ الليلةِ أهلَ الدارِ

ثم شرحه بقوله : « يا سارق الليلة » ، فأضاف إلى الليلة حين جاورت الليلة الاسم الذي أضيف إليها ، فأما الخليل فإنه أنشدني :

يا سارقَ الليلةِ أهلَ الدارِ

على تأويل : يا سارق أهل الدار الليلة . فهما لغتان ، يا سارق الليلة أهل الدار ، لغة بني تميم ، ويا سارق الليلة أهل الدار ، لغة قيس . (ص ٤٤ - ٤٥) .

والرواية التي سمعها المؤلف من الخليل أثبتها سيدييه ، ولكنه لم يجعلها لغة قيس ، كما فعل المؤلف ، بل قصرها على ضرورة الشعر ، قال : « ولا يجوز : يا سارقَ الليلةِ أهلَ الدار . إلا في شعر كراهية أن يفصلوا بين الجار والمجرور . » (سيدييه ١/ ٨٩ - ٩٠ بولاق) .

● وأثبت في موضع آخر قول رؤبة :

إني وأسطارِ سطرِ سطرِ

لقائل : يا نصر نصر نصر

ثم قال : « فهذا يُروى على ما أخبرتك به ، ويرويه بعضهم : يا نصر نصر نصر . على : انصرني انصرني . فوضع المصدر وهو قوله : نصرأ مكان : انصرني . كما تقول : ضرباً ضرباً ، تريد : اضرب اضرب . » (ص ٢١٤ - ٢١٥)

ولعله يريد بـ (بعضهم) شيوخ سيدييه ، لأنه في (الكتاب) على رواية النصب ، وأنت تراه يجعل (نصرأ) مفعولاً مطلقاً ، على حين يجعلها سيدييه عطف بيان . (انظر ١/ ٣٠٥ بولاق) .

ومعظم توجهاته في باب الاستثناء لا تختلف عن توجهات سيبويه
فحسب ، بل تناقضها مناقضة صريحة ، كالشواهد ذات الأرقام (٤٨٠ ،
٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠) فهو يصدر فيها عن مذاهب كوفية ثابتة
في كتب الكوفيين ، وفي كتب من نقلها من المتأخرين .

٣ - وهناك دليل ثالث ، هو أن المؤلف ينقل بعضاً من شواهد
سيبويه عن الشيوخ القدماء ، وبعض ما ينقله عنهم من تأويلات لأوجه
الظواهر لم يثبتها سيبويه ، وسأعرض من ذلك نموذجين اثنين :

● أثبت في الصفحة (٤٥) هذا البيت :

وكرار خلف المحجرين جواده إذا لم يحام دون أنى حليلها

ثم علق عليه بقوله : « قال : وكرار خلف .. حين فرق بين
الاسم والاسم أضاف إلى الصفة ، وأحلها محل الاسم ، وأما يونس
فإنه أنشدني :

وكرار خلف المحجرين جواده

على تأويل : وكرار جواده خلف المحجرين . »

فهذا البيت من رواية سيبويه حقاً ، ولكن رواية يونس لا وجود
لها في (الكتاب) (انظر ٩٠/١ بولاق) وروايته إنشاد يونس بهذه المباشرة
يقطع بأن المؤلف أخذ عن يونس ، ولم ينقل الشاهد عن سيبويه .

● وفي الصفحة (١٣٥) أثبت قول الشاعر :

يا أمي إن تفقدي قوماً ولدتهم أو نُخِلتَهم فإن الدهر خلاص
عمرؤ وزيد مناة والذي عهدت بيطن عرعر آبي الضيم عباس

ثم قال : « والخليل رواه بالنصب على البدل ، ورواية الخليل ورأيه

لم يذكرهما سيبويه ألبته . (انظر : ٢٢٥/١ بولاق) .

وعلى هذا تجد المؤلف لا يشرح رأي سيبويه ، ولا يوضح توجيهه الذي ذهب إليه ، بل يروي عن الشيوخ القدماء انشاداً خاصاً ، على أن بعض هذه الشواهد تلتقي برواية سيبويه (انظر : ٩ ، ٣٣ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ١٣٤ ، ٥٧)

٤ - والدليل الرابع 'يعضد' الدليل الذي قبله ، فهناك شواهد ليست في سيبويه ، وقد نقلها المؤلف عن أمثال الخليل ويونس ، أو عن العرب مباشرة ، مما يؤكد أن الكتاب ليس شرحاً لشواهد ، وأن مؤلفه قديم معاصر لأوائلك الشيوخ ، وأن له سمعاً من فصحاء العرب ، فما رواه عن الخليل وليس في سيبويه قول الشاعر :

إن الحي والقوم الذي أنا منهم لأهل مقامات وشاء وجمال
(ص ٥٩)

وقوله :
فلا لغو ولا تأثيم فيها وما فاهوا به لهم مقسم
(ص ٤٩)

وهذا من شواهد النحو التي شاعت في المتأخرين .
أما ما أنشده عن يونس وليس في سيبويه فهو قول الشاعر :
إن شرح الشباب والشعر الأبدود ما لم يعاص كان جنونا
(ص ٣٥)

وقوله :
وأعور من نهان أمثاله فاعمى وأما ليله فبصير
(ص ٤٨)

ومما رواه عن العرب التميميين قول ذي الرمة :

تلك الفتاة التي علقتها عرضاً إن الكريم وذا الاسلام يختلب
(ص ٣٦ . وانظر : ٤٧ ، ٦٢)

هـ - وفي معظم المواضع تجد عبارته في تحليل الشاهد وشرح ظاهرته تقصر عن عبارة سيبويه ، بل تكاد تكون مهمة إذا هي قيدت إليها ، والمعروف أن كتب الشروح إنما تفيض في التوضيح ، وتعرض الظاهرة عرضاً أكثر تفصيلاً من عرض الكتاب المشروحة شواهد . ودونك هذه النماذج الثلاثة :

● وفي الصفحة (٢٥٦) أثبت بيت (الكتاب) :

ونحن اقتسمنا المال نصفين بيننا فقلت لهم هذا لهاها وذا ليها
وكل ما قاله في شرحه هو : « أراد : وهذا ليها ، ففصل وقدم . »
أما عبارة سيبويه فهي : « كأنه أراد أن يقول : وهذا لي ، فصيّر
الواو بين (ها) و (ذا) » ، (٣٥٤/٢ هارون) فليت شعري كيف يكون
ذاك الكلام شرحاً لهذا . ??

● وأثبت في الصفحة (٢٦٠) قول يزيد بن الحكم :

وكم موطن لولاي طحت كما هو بأجرامه من قلة النيق منهوى
وقال بعده : « حجة بأنه قال : لولاي ، ولم يقل : لولا أنا ،
لأن (لولا) ترفع ، وأنا ضمير مرفوع . » أما سيبويه فقد ساق في
الظاهرة كلاماً طويلاً ثم أثبت الشاهد (انظر ٣٧٣/٢ هارون) .

● وفي الصفحة (٢٩٩) أثبت قول الشاعر :

صدت فأطولت الصدود وقلمـا وصال على طول الصدود يدوم

ثم علق عليه بقوله : « قلما لا يليه إلا الفعل ، وفصل في هذا البيت . »
أما سيبويه فقد ذكر أنهم أخلصوا (قلما) للفعل ، ولكن « قد يجوز
في الشعر تقديم الاسم » . (انظر ١١٥/٣)

٦ - وإلى جانب هذا نجد في الكتاب ظواهر نحوية مشروحة
ولم يثبت المؤلف لها شواهد البتة ، من ذلك قوله : « ويمنع صرف
المعدول من الأسماء مثل : جعار ، وحذام ، ورقاش ، وحلاق ، وبداد ،
وججاد . فـ (جعار) معدول عن جاعرة ، وسميت بذلك لعظم بطنها ،
وهي الضبع . وججاد معدول عن جامدة ، وحلاق عن حالقة ، و . .
الخ » (٣١٥ - ٣١٦)

وكذلك فعل في قوله : « وقالوا حاجة وحاج ، وساعة وساع ، وقالوا :
تمرة وتمر ، وحقيقة وحيق . » (ص ٣٢٧)

ولا شك أن مثل هذه الظواهر المشروحة بلا شواهد ، ذات دلالة على
طبيعة الكتاب ، وعلى أنه ليس بشرح للشواهد .

٧ - وإلى جانب هذه الأدلة المتقدمة ، نجد المؤلف قلما ينسب
البيت إلى قائله ، وكثيراً ما يكتفي بقوله : قال ، أو : قال الشاعر ،
وأي كتاب في شرح الشواهد يفعل هذا ؟ فمذ فجر الدراسة النحوية عن
النحاة بشواهد سيبويه ، ونسبوا معظمها إلى قائلها ، وهي قصة معروفة
تناقلتها كتب الطبقات والأخبار ، فكيف يتصدي شارح لأبيات سيبويه
ولا يكلف نفسه مؤننة النسبة ، بل إنك لتجد البيت في سيبويه منسوباً
إلى قائله ، ولا تجده كذلك في هذا الكتاب .

٨ - وآخر هذه الأدلة أنك نجد المؤلف لا يذكر اسم (سيبويه)

ألبتة ، في معرض الحديث عن الشاهد ، ولا في معرض شرح موضع الظاهرة المحتج لها ، وإنما ذكره في الكتاب كله مرتين فقط ، ذكره ذكراً عابراً ، كأن ينقل عنه خبراً أو ينسب إليه رأياً . (انظر : ٢١٣ ، و ٣٢٧) وكان أقرب إلى المنطق أن يكثر من ذكره والعودة إلى آرائه ومذاهبه ، كما تفعل كتب الشروح المعروفة .

٩ - وعلى الرغم من هذا كله نجد مواضع من الكتاب تدل دلالة واضحة على أنه متصل بسبويه وشواهد ، على شكل يوحى بأنه تلخيص له ، لا شرح لأبياته فقط ، ولا سيما في قسمه الثاني ، ففي الصفحة (١٤١) أثبت قول الشاعر :

ومن بك سائلاً عني فإني وجروء لا تُزار ولا تمار
وقول الآخر :

ومن بك أمسي بالمدينة رحله فإني وقيار بهما لغريب

ثم قال : د وضع هذين البيتين حجة في أنه صير الواو في معنى (مع) يريد : فإني مع جروء - فإني مع قيار . ويلقاك مثل هذا في الصفحات (١٤٢ ، ١٤٨ ، ٢٠٣ ، ٢١٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣١ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٧ ، ٢٥٣ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣) .

ولا شك أن هذا الاضطراب في أبواب الكتاب يدل على أنه غير سوي ، وأنه لم يؤلفه رجل واحد ذو مذهب واضح ، ولقد حرت في أمر مؤلفه أول الأمر ، ثم استوى لي رأي هو إلى اليقين أقرب منه إلى الشك والزمع ، وهو أن الكتاب في أوله ملفق من أحد كتابي الكسائي أو كليهما أعني : المختصر في النحو ، والحدود ؛ أما قسمه الثاني فماخوذ

من كتاب أبي عمر الجرمي ، الذي نلخص فيه كتاب سيديويه ، وذلك أن ناسخاً على مقدار غير قليل من الجهل لفق كتاباً في النحو جمعه من هنا وهناك ، نقل فيه مذاهب شتى لا تجتمع في كتاب واحد ، وربط فيه بين المتباعدات التي لا يدنو بعضها من بعض .

والذي يدل على أن قسمه الأول من كتابي الكسائي أشياء كثيرة ، دونك بيانها وتفصيلها :

١ - ان المؤلف يروي مباشرة عن عيسى بن عمر ، والخليل بن أحمد ، ويونس بن حبيب ، وأبي الحسن الأخفش ، ويذكر ذكراً عابراً سيديويه وقطربا ، (انظر : ٩ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٧١ ، ١٣٤ ، ١٣٥) ، وتختفي هذه الأسماء في القسم الثاني ، وإذا ذكرت فإنما يكون الكلام فيها منقولاً عن سيديويه (انظر : ٢٧٧ ، ٣٠٨) .

والمهم في الأمر أن الكسائي هو النحوي الكوفي الذي لقي هؤلاء الشيوخ وروى عنهم ، أما تلميذه الفراء فقد لقي يونس بن حبيب وسيديويه ، والأخفش ، وقطربا ، ولكنه لم يرو عن غير يونس .

٢ - ويؤكد هذا أيضاً ما في القسم الأول من دلالة على سمة رواية المؤلف ، فهو ينقل عن العرب الفصحاء مباشرة دون واسطة ، إذ روى عن بني دارم ، ونهشل ، وعبس ، وأسد ، وقيس ، (انظر : ١٩ ، ٢١) وقد يعمم في الرواية ، كأن يقول : وبني تميم الضاميون ، يجعلون كذا وكذا .. أو : سمعت بعض التميميين ينشدون ، أو بعض الكنديين ، أو يقول : البانون يقولون كذا ، أما المضرئون فيقولون كذا ... أو : أهل

الغور ينشدون ، وبعض العرب النجديين . (انظر : ٢٤ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٧ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢) وهذا أسلوب كوفي نجده في كتاب الفراء : معاني القرآن ، أو كتابه : المذكر والمؤنث ، ونجده في كتب ثعلب وأبي بكر بن الأنباري الكثيرة ، أضف إلى ذلك أن الكسائي رحل إلى البادية وأنفذ فيها خمس عشرة قنينة حبر - كما تقول الرواية - عدا ما وعته حافظته من كلام العرب وروايتهم . والأماكن التي يحددها هذا الكتاب تطابق الأماكن التي ارتادها الكسائي ، وهي بوادي نجد ، ونهامة ، والحجاز .

٣ - وفوق هذا نجد في الكتاب مذاهب كوفية صريحة ، بعضها ينسب إلى الكوفيين جميعاً ، وبعضها ينسب إلى الكسائي خاصة ، وهي :

١ - القول بأن خبر (ما) الحجازية منصوب بنزع الخافض ، لا بـ (ما) نفسها كما يرى سيبويه ونحاة البصرة (انظر : ٢٦ ، ٥٧) .

ب - جواز العطف على اسم (إن) بالرفع قبل مجيء الخبر ، وإن كان اسمها معرباً ، وهذا رأي ينسب إلى الكسائي خاصة ، (انظر : ٣٥ ، ٣٦) .

ج - جعل فاء السببية هي الناصبة للفعل المضارع ، لا (أن) مضمرة وجوباً كما يرى البصريون (ص ٥٠) .

د - جعل (إن) الخفيفة من الثقيلة نافية ، واللام الفارقة بمدّها أداة حصر ، وهذا مذهب كوفي مشهور (انظر : ٥٩) .

هـ - جعل (إلا) في الاستثناء بمعنى الواو في بعض المواضع . (انظر : ٢٤٥ - ٢٤٦) وهذا مذهب ياباه البصريون ويرفضونه .

٤ - وكذلك نجد مصطلحات كوفية كتسمية الزائد حشواً ، وتسمية حرف الجر صفة ، وتسمية النفي ججداً ، وتسمية الفعل المتعدي واقعاً ، (انظر : ٢٤ ، ٢٥ ، ٤٩ ، ٦١ ، ٦٢) . صحيح أن بعض البصريين استعملوا أحياناً بعض هذه المصطلحات ، إلا أنك حين تضع هذا الدليل بجانب ما تقدمته نجده مما يستأنس به ، ويركن إليه .

٥ - وهناك دليل آخر هو ما نجده في القسم الأول خاصة من نسبة الأوجه النادرة التي يابها البصريون إلى لهجات عربية ، وتلك سمة كوفية تلتبس في آثار النحاة الكوفيين ، وفي كتب الطبقات التي تحدث عنهم ، (انظر : ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٤) .

٦ - وفي موقفه من القراءات دليل آخر ، فهو لا يسكاد يذكر من القراء إلا ابن مسعود ، وهو - كما تعرف - مقرئ أهل الكوفة ، وكثيراً ما يذكر في كتب نحاتهم . (انظر : ٦٠ ، ٦١) .

على أن الكتاب يضطرب في هذا نفسه ، إذ نراه يتناقض ، ويذكر من الأوجه أو يبدي من الظواهر ما ينفي أن يكون كوفياً ، فعلى الرغم من أنه ذهب مذهب الكوفيين في عمل (ما) الحجازية في (ص ٢٦ ، ٥٧) . نراه يعود إلى رأي البصريين في الصفحة (٧٧) فيجعلها عاملة عمل (ليس) ، ويجعل الخبر منصوباً بها لا بنزع الخافض .

بل إنه يذكر الكوفيين ويرد عليهم في بعض الأحيان ، وقد يسميهم بغداديين ، كما كان يفعل بعض نحاة القرن الرابع كابن السراج ، والفارسي ، وابن جني . (انظر : ١٧٦ ، ١٧٧ ، ٢٢٠) .

- ٤ -

بقي أن نتحدث عن القسم الثاني من الكتاب ، وهو الذي أخذ من كتاب الجرمي الذي لخص فيه كتاب سيبويه . فالمعروف في تاريخ هذا العلم أن أبا عمر الجرمي من أوائل النحويين الذين عنوا بالكتاب ، وبشواهد ، وقد هيات له عنايته أن يلخص الكتاب كله على سعة وشموله ، ولقب ملخصه هذا بالفرخ ، أي فرخ كتاب سيبويه ، وقد اختلف القدماء في تقويمه ، فعده بعضهم كتاباً جيداً ، ورآه آخرون ضعيفاً غير سوي . (انظر : إنباء الرواة ٨٠/٢ وما بعدها . والزبيدي ٧٤ ط ٢) ، وبغية الوعاة ٩/٢)

والحق أن الكتاب في صفحاته المتأخرة يلتصق التصاقاً محكماً بكتاب سيبويه ، لا يخرج عليه ولا يخالفه في الرأي ، بل إنه ليتابعه في استطراداته التوضيحية ، فجاءت شواهد هي المنطلق إلى الحديث الموجز عن القاعدة اللغوية .

ولا بد هنا من ذكر الأمثلة ، وسأكتفي باثنين فقط إشاراً للإيجاز :

١ - جاء في الصفحة (٢٥٩) مايلي : وقال الشاعر :

كمنية جابر إذا قال ليتني أصادفه وأفقيدُ بعض مالي

حجة أنه قال : ليتني ، ولم يقل ليتني . .

أما كلام سيبويه فهو : وقال الشعراء ليتني . إذا اضطروا ، كأنهم شهوه بالاسم حيث قالوا : الضاري . والمضمر منصوب ، قال الشاعر :

كمنية جابر . . . الخ . (٣٧٠/٢ هارون)

وواضح من النصين أن الكلام في الأول موجز غاية الإيجاز ، وأنه يتابع سيبويه في الفكرة والشاهد .

وفي الصفحة (٢٠٥) وما بعدها باب خاص عن (كم) ، جاء فيه ما يلي :

« وجداء لا يُرْجى بها ذو قرابة لعطف ولا تخشى السماء ربهم
هذا حجة لإضمار (رب) . كأنه قال : ورب جداء . »

فـ « و » كما ترى يتحدث عن (رب) وإضمارها بعد الواو ، وليس لهذا صلة بباب (كم) ولكنه يتابع سيبويه في بعض أقبيسته التي يوضح بها الظاهرة ، فـ (كم) الخبرية بحرف تميزها بـ (من) مقدرة ، لا بالإضافة ، وقد قيس هذا على إضمار (رب) بعد الواو والفاء وبل .

وإلى جانب هذا نجده ينقل أحياناً عبارة سيبويه اللفظية ، كما فعل في الصفحة (٢٢٥) حيث أثبت قول الشاعر :

فهي ترثي بأبي وابنيها

قال : « وإنما أراد : وابني ، و (ما) زائدة وصل بها كلامه ، (وإنما حكى نديتها) ، فالعبارة الأخيرة لفظ سيبويه نفسه . (انظر : ٢٢٣/٢ هارون) وفيه : « وإنما حكى نديتها » .

وجاء في الصفحة (٢٥٤) عند الكلام على قول الشاعر :

بعد اللتي والتى والسلاقي

« وحذف المضاف إليه ليس بأشد من حذف صلة التي . » وجاء في سيبويه : « فليس حذف المضاف إليه في كلامهم بأشد من حذف تمام الاسم . » (٣٤٧/٢ هارون) . وكذلك نجد مثل هذا في الصفحة (٢٣١)

حيث يقول عن ذي الرمة : « كان يسميها مرة مية ، ومرة ميا ، وهو لفظ سيبويه نقله عن شيخه يونس بن حبيب . (انظر : ٢٤٧/٢ هارون) .

وثمة شيء آخر هو أن المؤلف يشوه في بعض المواضع البحث النحوي الذي في سيبويه ، حتى إنك لاتكاد تقف على غرضه إن لم يكن بجانبك كتاب سيبويه ، فبدلاً من أن يكون هو شرحاً لـ (الكتاب) نجد (الكتاب) شرحاً له ، ودونك مثلاً واحداً على هذا :

جاء في باب (كم) ما يلي : « قال الشاعر :

على أنني بعد ما قد مضى ثلاثون للهجر حولاً كيلاً

يذكرنيك حنين العجول ونوح الحمام ينادي هديلاً

حجة للفصل ، وذلك أنه فصل بين (ثلاثين) وبين (حولاً كيلاً) بالهجر ، ولو جاء الكلام على وجهه لقال : ثلاثون حولاً ، كما تقول : ثلاثون درهماً لك عندي ، ولاتقول : ثلاثون لك عندي درهماً ، (ص ٢٠٥)

فالباب كما ترى باب (كم) ، والكلام كله يخلو من ذكر (كم) ومن طيفها ، وموضع الشاهد نفسه غامض ، ولا بد لك من العودة إلى (الكتاب) حتى تقف عليه ، فسيبويه يوازن بين (كم) وألفاظ العقود

من حيث جواز الفصل بينهما وبين التمييز ، أما (كم) فالفصل بينها وبينه عربي جيد ، لأنها اسم جامد لاتصرف لها في التقديم والتأخير ،

ولأنها هي ملازمة لصدر الكلام ، أما العقود فإن الفصل بينها وبين ما يميزها قبيح ، لأنها أسماء متصرفة ، تتقدم وتتأخر ، وإذا حصل الفصل فإنما

يحصل في ضرورة الشعر ليس غير . (انظر : ١٥٨/٢ هارون) ذاك هو موضع الشاهد ، فأين هو بما جاء في الكتاب المحقق ؟

وأحياناً ترى المؤلف يخطئ فهم سيبويه ، وتضل به السبل إليه ، وقد وقع منه هذا في غير موضع من كتابه ، ودونك مثلاً واحداً عليه : جاء في الصفحة (٢٣٨) عند الكلام على قول الشاعر :

أودى ابن جلمهم عبّاد بصرمه إن ابن جلمهم أمسى حية الوادي
« رخم جلممة ، وهي أمه . » وجاء في كتاب سيبويه (٢٧٢/٢ هارون) :
« وأما قول الأسود بن يعفر :

... البيت ...

فإنما أراد أمه جلمهم . والعرب يسمون المرأة جلمهم ، والرجل جلممة . »
وإذن فإن البيت يخلو من الترخيم ، وإنما أتى به سيبويه لينبه على ذلك ، فالشاعر يريد أمه ، واسمها : جلمهم ، بغير تاء ، فأتى به على حقيقة من دون حذف . ولو كان يريد أباه لكان في الكلام ترخيم . (١)

مركز تحقيق قايمة علوم * * *

فخلص من هذا كله إلى أن ناسخاً متأخراً أتى على حدود الكسائي ومختصره ، وعلى تلخيص الجرمي للكتاب ، فنقل من هذا ومن ذاك ، ولفق بين الآراء المتباينة ، فأتى كتابه المنسوخ بمسوخاً مشوهاً ، لا هو بالنحو الكوفي ، ولا هو بالنحو البصري ، ليس شرحاً للشواهد وليس بعيداً عن الشواهد ، ولت الجهد الذي بذل في تحقيقه توفر على كتاب أكثر نفعاً ، إذن لأفاد في نشر التراث ، وقدم ما نحتاج إليه .

محمد خير الحلواني

(١) وانظر مثل هذا في الصفحة (٣٢١)

من أوائل المتصوفة في بغداد
دراسة عن حياة الحارث بن أسد المحاسبي وتعاليمه
(٧٨١ - ٨٥٧ للميلاد)
تأليف مارغريت سميث

An Early Mystic of Baghdad. A Study of the life and
Teaching of Harith b. Asad al - Muhasibi, by Margaret
Smith, Sheldon Press, London, 1977

مراجعة الدكتور صفاء خلوصي

هذا كتاب راجعناه بالانكليزية لمجلة اسلامك ريفيو للفقيه عبد
المجيد عبد الرزاق عام ١٩٥٠ ولا اعتقد أن رأينا فيه قد تغير كثيراً ،
فقد طبع لأول مرة عام ١٩٣٥ وما هو ذا يظهر بطبعة ذات غلاف
رقيق ، يضم ثلثمائة وإحدى عشرة صفحة من القطع المتوسط ، بما في ذلك
مسرد المصادر العربية والفارسية والعبرية والسريانية والأفريقية باللغات
الثلاث : الانكليزية والفرنسية والألمانية ، وفهرس أبجدي للنقاط المهمة
في الكتاب بالإضافة إلى المصطلحات الصوفية ، ولا بد من الإشارة إلى
ورق الكتاب ونمط طباعته في زمن شاعت فيه الكتب ذات الورق العادي
والحروف الدقيقة المرهقة للعين ، فورق كتاب المحاسبي جيد وطباعته

بمنازة . وقد كسرت المؤلفه الكتاب على أربعة عشر فصلاً ، استهلته ببيئة المحاسبي وبأكورة حياته الأولى ، فقد ولد المحاسبي في البصرة سنة ٧٨١ للميلاد وعاش ودرس في بغداد . وقد اعترف به علماء المسلمين أستاذاً للتصوف الإسلامي في أوائل أيام نقاوته وبساطته وتدل كتاباته على أنه من عظماء المتصوفة الزهاد وأكبر الفقهاء ومع أنه كان غزير الانتاج فإن الكثير من مؤلفاته لم يطبع بعد ؛ لذلك اعتمدت الأستاذة الباحثة مارغريت سمث على مؤلفاته المخطوطة المبعوثه في مكتبات الشرق والغرب ، وكان ظهور المحاسبي توطئة لظهور الإمام الغزالي الذي جعل للتصوف مكانة عند أهل السنة ، فضلاً عن أن متصوفة العرب والفرس الذين أعقبوه كلهم عيال عليه ولا سيما أولئك الذين أثروا في متصوفة المسيحية . وأهم مآثر المحاسبي كتابه المشهور : (الرعاية لحقوق الله) ؛ وبعد أن تفرغ الأستاذة مارغريت سمث من حياة المحاسبي الظاهرية تعتمد إلى دراسة حياته الباطنية فتبحث في تحول المحاسبي إلى صوفي حقيقي بأعمق معاني الكلمة وتدرس مشاعره نحو الله جل شأنه ونحو جيرانه والناس الملتفين حوله ، وتخصص الفصل الثالث لريديه وخلصائه وعلى رأسهم الجنيد والطوسي والخواري والسري السقطي وتطرق إلى اثنين وعشرين مؤلفاً من مؤلفاته ومن بينها الرعاية والوصايا وكتاب التوهم ، والبعث والنشور ، والمكاسب والورع وآداب النفوس ومحاسبة النفوس وفهم الصلاة ، وكتاب العلم ، والتفكير والاعتبار ، وفهم القرآن ، والغيبة ؛ وعندما تسرد الأستاذة مارغريت مصادر المحاسبي تعدد بينها المحدثين الأوائل والجيل الثاني من الثقات كالحسن البصري وسفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم ومعاصريه كالأنطاكي وبشر الحافي وذنوب المصري ، والمصادر اليونانية

والمسيحية والعبرية . وتستغرق خمساً وعشرين صفحة في بحث النظرية النفسية للمحاسبي فتتطرق للباطن والظاهر والروح العلوية والسفلية والعقل وموضع المشاعر والعواطف والقصد والإرادة ونظرية المحاسبي في المعرفة . وتخصص السيدة الباحثة ثلاثة فصول متتابعة لموضوع (الفقه الزهدي عند المحاسبي) وكلها تدور حول الخالق والمخلوق وطبيعة الإثم والخطيئة وأعداء الروح وإبليس والذات والإغراء وهدفه والنفاق والكبرياء بأشكالها المختلفة والغبطة والحسد وآثام اللسان وإيهام الذات والندم والتوبة واختبار الذات وتمحيصها . أما الفصل العاشر فمحوره الفقه الأخلاقي بما في ذلك الأمل والورع والإحسان والعدل والصبر . وأبرز تعاليم المحاسبي التعبدية تتركز في أهمية الوحدة والصمت والصلاة التأملية . وبعد الفراغ من **كل** هذا تعرج مارغريت سمث على تعاليم المحاسبي الصوفية ، ومن ثم تجمل الفصل الثالث عشر خلاصة تعاليم المحاسبي كافة وتدير الحديث حول تأثير المحاسبي على معاصريه وتحدثنا عن نقاده ومريديه وبالتالي عن تأثيره على من جاء بعده كالخلاج وابن سينا والسهرووردي وطبقة الشاذلية من أمثال السبكي وابن حجر العسقلاني ؛ وتجد مارغريت سمث أن تأثير المحاسبي على الإمام الغزالي كان من القوة بحيث يستحق أفراد فصل خاص به هو الفصل الرابع عشر ، الفصل الختامي ، ويتشعب عندها الكلام فتستطرد إلى ابن العبري والتصوف الغربي وموسى بن ميمون والتصوف المسيحي وتوماس اكوانياس Thomas Aquinas ودانتي ؛ ولعل هذا الفصل هو أطرف ما في الكتاب وأمتعته ، ومن يقرأه يؤمن بأن المحاسبي كان أبا التصوف في العالم فمتصوفة الإسلام والمسيحية والموسوية مدينون له جميعاً على رأي الأستاذة مارغريت

سميث ، فتوماس اكويناس المتوفى عام ١٢٧٤ للميلاد درس كتب المتصوفة العرب وتأثر بالمحاسبي بشكل ملحوظ عن طريق الإمام الغزالي ؛ وهذا غلط من كتابات توماس اكويناس يذكرنا بأراء المحاسبي وأقواله ونظرياته : يقول القديس توماس وكأنه يترجم عن المحاسبي بالحرف الواحد : « إننا نقدم لله عبادة روحانية قوامها العبادة الباطنية في العقل ، والعبادة الجسدية التي قوامها الاخضاع الخارجي للبدن واستسلامه وفي كل أفعال العبادة يشير ما هو ظاهري إلى ما هو باطني والثاني أهم من الأول بكثير . فالعبادة الظاهرية إنما تقدم من جراء العبادة الباطنية .

وكان ريموند لل Raymond Lull الكاتالوني المتوفى سنة ١٣١٤ المعروف بالعلامة المنور أحد المتصوفة المسيحيين في إسبانيا الذين استوحوا أفكارهم من كتاب العرب وفقهائهم وهو الذي أسس كلية اللغات الشرقية بروما تدّرس في جملة ما تدّرس العربية والدين الاسلامي الحنيف ، يقول عنه بعض الكتاب المحدثين : « لقد أصبح كشعلة ملتهبة تضطرم حيوية وتدعو إلى الاتجاه إلى الله وإلى التأمل وعلى الأخص إلى العمل » وأكبر الظن أن الكثير من تعاليمه ومواعظه قد استقي مما كتبه المحاسبي ومن جاء بعده . وفي استعراضه لموضوع الخطايا وعلاجها نجد صدقاً مردداً لتعاليم المحاسبي الزهدية ، ومن أقواله الماثورة : « بين الأمل والخوف جمل الحب مقامه » وعلى لسان العاشق الإلهي يقول - وأقواله أصداء لما قالته متصوفة العرب - : « أمل في تذكري وفهمي وحيي للعدالة من أحب ورحمته وصدقتي وإحساني تكمنان في أنني أحب محبوبي أكثر من نفسي وأكثر من أي كائن سواه وصبري في خشيتي وحيي لمن أحب ، وقواي العقلية

في تذكري وفهمي وحب الشرور التي تنالني من حبيبي ، وفي عبادتي وحي وفهمي إياه كنزي . ويقول العاشق كذلك : « أنا لا أُميّز بين الأفراح والأفراح التي تبعث بها إلي ، هذا كلام المحاسبي وقد أعجب به (ريموند لل) وورده وكأنه من بنات أفكاره . لنستمع إليه وهو يتحدث عن (الوحدة) إنه ليقول : « الوحدة سلوى ورفقة بين الحب والمحبوب ، لأن السلوى والرفقة هما وحدة القلب العاشق عندما لا يتذكر غير شخص الحبيب » .

وقد امتد تأثير المحاسبي إلى الشاعر الإيطالي دانتي فهناك الشيء الكثير من تأثير التصوف الإسلامي فيه وأبرز ما نرى ذلك في الكوميديا الإلهية ومع أن (دانتي) مدين بمعظم ما جاء به إلى ابن عربي فهناك مع ذلك آثار من التعاليم الصوفية الأولى التي سبقت ابن عربي وعلى الأخص تلك التي جاء بها المحاسبي ومن بينها فكره (المطهر) Purgatory حيث ينال الآثمون عقاباً يطهرهم مما اقترفوه وهو تقاب وقتي وليس بأزلي ، فتواب الصالحين الذين توفاهم الله من بعدما تابوا وأنابوا جفات النعيم . أما الأولياء وخيار المؤمنين فلم فرحة الأزل برؤية ربهم الكريم وسماع صوته ، صوت المحبوب الأزلي الأبدي .

وهكذا نرى أن تأثير المحاسبي المباشر وغير المباشر في المتصوفة الذين جاؤوا بعده من مسلمين ومسيحيين وموسويين كان عميقاً بعيد المدى ، وقد شبه بعض الباحثين بالراهب الألماني توماس آ كيمبيس Thomas A Kempis الذي عاش في القرن الخامس عشر وقد كتب في التاريخ والسير والمواظب وأناشيد كنيسة واستنسخ الكتاب المقدس وألف عدة كتب في العبادات والطقوس الدينية ، أهمها كتابه (محاكاة المسيح) الذي نقل إلى العديد

من اللغات وظهرت له ما لا يقل عن ثلاثة آلاف طبعة ، وعلى ذلك فالمحاسبي هو توماس آ كيمبيس العرب ، غير أننا نستطيع السيدة مارغريت سمث العذر ونقول إن توماس آ كيمبيس هو محاسبي الألمان ، ذلك لأن المحاسبي هو السابق والمتصوف الألماني هو اللاحق الذي يجب أن يشبه به والمحاسبي هو أول من أوضح بجلاء طريق التصوف الهادف إلى تحقيق الوحدة الروحية مع الله ووضع أسس حتى الوجود التي أصبحت السبيل التي سلكها الكثير من المتصوفة الذين ترسموا خطاه على مر الأجيال سواء في الشرق أو الغرب .

وبعد ، فهذا هو كتاب الحارث بن أسد المحاسبي الذي بذلت فيه المستشرقة جهداً لا ينكر وتجلت فيه أنفاس أكابر المتصوفة من المستشرقين وعلى رأسهم آدري ونكلسون الذي يُخَيَّلُ إلي أنه هو الذي اقترح عليها هذا الموضوع يوم كان رئيساً لقسم اللغة العربية بجامعة كمبردج ، وهو الذي شجعها للمضي قدماً في هذا السبيل .

صفاء خلوصي

اكسفورد :

كتاب « حَجَّةُ أحمد بن طَوَّير الجنة »

ترجمة وتحقيق هـ . ت . نوريس

وكتاب « ملك القلعة : الاختيار والمسؤولية في العالم المعاصر »

تأليف : غاي إيتون

(1) The Pilgrimage of Ahmad son of the Little Bird of Paradise . Translated and edited by H. T. Norris , (Aris & Respousips Ltd, ENGLAND)

(2) Gai Eaton , « King of The Castle , Choice & Responsibility in The Modern World, » Imperial Iranian Academy of Philosobphy, London , 1977

مراجعة الدكتور صفاء خلوصي

مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي

سميراي هذا الشهر كتابان جديدان ظهرا بالانكليزية مؤخراً لا يجمع بينهما سوى خيط دقيق واحد ، هو أن موضوعهما إسلامي ، الأول بعنوان : « حَجَّةُ أحمد بن طَوَّير الجنة » وهو ترجمة انكليزية قام بها المستشرق الشاب ايتش . تي . نوريس المدرس بكلية المشرقيات بجامعة لندن ، والثاني كتاب عنوانه : « ملك القلعة أو الاختيار والمسؤولية في العالم المعاصر » تأليف غاي إيتون ، ولابد بالكتاب الأول فهو مخطوط موريثاني أو بالأحرى شنيطي . وحذا لو أعيد اسم شنييط واستعير به عن (موريثانيا) الاسم

الذي فرضه الاستعمار الأوربي على هذا القطر فرضاً ، وأود أن أطبق هذه الدعوة في مقالي هذا فحيثما ورد اسم (موريتانيا) فهو (شنقيط) إرضاء لأرواح السلف الصالح الذين ما كانوا ليعرفوا لها غير هذا الاسم . يسرد المخطوط الشنقيطي قصة حجّ في القرن التاسع عشر تتضمن رحلة من شنقيط إلى مكة المكرمة يتحدث فيها لنا المؤلف أحمد بن طوَيّر الجُنة عن القافلة التي سارت شمالاً إلى الساحل وركبَ رجالها متن البحر الأبيض المتوسط وسط العواصف والزوابع إلى أن بلغوا أرض مصر ومن ثمّ قدموا إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، عادوا بعدها عن طريق مصر إلى طرابلس الغرب ، فتسرد خلال ذلك حكايات عن جيش الصحابة ورجال القيروان ، ويُمضي الحجييج أباماً في تونس الخضراء ويتلقفون حكايات من تونس ويتحدثون عن ملاقاتهم للفرنسيين في الجزائر ، والانكليز في جبل طارق ، والعودة إلى مراکش ، والتقاط بعض الأشعار والقصص من فاس وإنشاء معتكف لأحمد والعودة إلى ودّان . ومع أن الكتاب في (أدب الرحلات) من نحو كتاب (النفحة المسكية في الرحلة المكية) للشيخ عبد الله السويدي و (نفحة الشمول في الرحلة إلى إسلامبول) الآلوسي ، فهو لا يخلو من التفانات أدبية بارعة ونظرات في الأدب العربي قام بترجمتها الأستاذ نوريس الذي يبدو أنه قد أولع بالشمال الإفريقي ، فقد سبق له أن وضع كتاباً عن (الطوارق) وتراثهم الإسلامي وانتشارهم في الساحل . وما ازدان الكتاب بالشعر البارع فحسب بل كذلك بالصور الضوئية التي زادت من إيضاح معالم شنقيط أو موريتانيا .

والشناقطة ، وقد أسمعنا الحظ باللقاء مع زمرة منهم في مهرجانات

المتنبي ببغداد ، أناس متمسكون بدينهم وعروبهم ، وقد نبغ منهم شعراء وأدباء وعلماء باحثون ومن هؤلاء أحمد بن طُوَيْرُ الجَنْسَةِ الذي عاش في ودّان وهي واحة في شنقيط أو موريتانيا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر ، وقد كان عالماً مهيباً وقوراً وكتابه عن رحلة الحج إلى مكة المكرمة لا يزال موضع عناية علماء الصحراء الغربية في إفريقية . وقد قام بزيارة معظم أقطار شمال إفريقية وما يذكر أنه اعتقل بُعيد الاحتلال الفرنسي للجزائر ، ولكنه نزل ضيفاً معزلاً مكرماً عند حاكم جبل طارق الذي أكرمه كملكٍ لشنقيط ، وتتفق « الارشيفات » الفرنسية والبريطانية على قصة حياة أحمد ، والكتاب يلقي ضوءاً جديداً على العالم الإسلامي حوالي سنة ١٨٣٠ ، وقد أضافت تعليقات المؤلف اللثام عن أهمية سلطان مراکش والثقافة المزدهرة في تونس ، والطاعون في مصر ، ومخاطر الحاة في بلاد العرب . والفكرة الجوهرية المسيطرة على الكتاب هي عقيدة البركة فمن حبسه الله بالبركة استطاع أن يتغلب على كل صعاب الحياة فالشخص المبارك موفق في حياته دائماً ومتمصر على الإلحاد والزندقة ومحمل الأعداء إلى أصدقاء . وللكتاب أهمية خاصة من وجهة نظر طلاب علم الأديان المقارن ولدارسي الإسلام في شمالي إفريقية وتاريخ حوض البحر الأبيض المتوسط في أوائل القرن التاسع عشر ، وتعد النسخة الخطية التي عثر عليها الدكتوران نوريس وسيمون أفضل وأصح نسخة ، وقد حدث ذلك أثناء رحلتها إلى شنقيط أو موريتانيا وذلك سنة ١٩٦٠ وقد أفاد نوريس من معلومات المستشرق المسلم الحاج داود كاون في إيضاح بعض القضايا المتعلقة بناسك الحج على ما يذكر في المقدمة ؛ وعلى العموم فالكتاب قد جمع بين المتعة والفائدة . فلمحققه ومترجمه الأستاذ نوريس كل نهضة على ما أسدى للعربية من جميل .

أما الكتاب الثاني (ملك القلعة) فأجمل أسلوباً ولغته الانكليزية أقوى وأرصن ؛ ولعل السبب في ذلك هو أنه ، خلافاً للكتاب السابق ، موضوع وليس بترجم . ومؤلفه غاي ايتون من مواليد سويسرة ومتخرجي جامعة كمبردج ؛ عمل لسنوات طويلة مدرساً وصحفيّاً في جيمسكا ومصر قبل أن يلتحق بالسلك الدبلوماسي البريطاني الذي تقاعد عنه مؤخراً وهو في سن الخامسة والخمسين بعد أن خدم في الهند وإفريقية وجزر البحر الكاريبي . والكتاب الوحيد الذي سبق أن طبع له قبل الآن هو الموسوم بـ Richest Root « أغني عرق » بناء على تكليف من الشاعر تي . إس . ايليوت T. S. Elliot ويعالج كتابه (ملك القلعة) العديد من فرضيات عصرنا التي لم تناقش مقارناً إياها بمعتقدات الغابرين . ويكتب المؤلف بالدرجة الأولى كمسلم ولكنه مع ذلك يرجع إلى مظاهر عديدة للحكمة التقليدية أو الفلسفة المتعارف عليها والتي تتمثل في الإسلام كمظهر من مظاهرها ، ويتعلق القسم الأول من الكتاب بمحاولة المجتمعات العلمانية أو الدنيوية أن تسيطر على رعاياها وتملكهم جسماً وروحاً مع الاضطرار إلى إعادة تحديد وتعريف المسؤولية البشرية في مدينة تعاونية تضامنية تقنية .

أما القسم الثاني من الكتاب فيقدم لنا وجهة النظر التقليدية للانسان كخليفة الله في أرضه ويحاول أن يتبين المضامين العملية لذلك ، ويمضي المؤلف قُدماً ليتبين دور العلم الحديث في ضوء حقيقة الفلسفة الأزلية التي ليست لها حدود ، وينتهي بتأكيد قوي عن قدرة الانسان على مقاومة الضغوط الاجتماعية واختيار مصيره النهائي . والدعوة التي يدعو إليها غاي ايتون في كتابه الممتاز (ملك القلعة) هي إعادة البعد الديني لنظرة الانسان للكون

ذلك البعد الذي اعتاد أن يقيس به الأشياء ، بما في ذلك إنجازاته خلال معظم مراحل التاريخ ؛ وتكتسب المناقشة قوة وإقناعاً عندما نأخذ بنظر الاعتبار ، على نحو ما يهدف المستر ايتون ، حقيقة كون رؤيتنا قد غدت مشوشة إلى حد خطر ومبهورة وخارجة عن نطاقها المعقول بسبب الانجازات الباهرة للعلم والتقنية المعاصرة ، ويضم الكتاب ثمانية فصول مع مقدمة ضافية ومقترحات لمطالعات إضافية في الموضوع ذاته ؛ والفصول الثمانية تتطرق للموضوعات التالية : ١ (المدن غير الحقيقية ٢) تكاليف الثراء ٣ (الحرية والطاعة ٤) الانسان في المجتمع ٥ (الانسان خليفة الله في أرضه ٦) العلم ومزيّقاته ٧ (التراث الوحيد الذي نملكه ٨) ما نحن وأين نحن ؟

وإنه لما يجبني حقاً أن يتحدث المؤلف في الفصل السابع عن غطوسة الغرب وعجرفته وغروره حين يقول (ص ١٦٥) : « أن كبرياء الغرب وتعاليه فيما يتعلق بالثقافات الأخرى مبرقة وملفعة في زماننا هذا لأنه زمن التزييف الملطف المؤدب ... فالمتوقع من غير الأوروبيين أن يطبقوا أساليب حكم أوربا الغربية ظاهرة من هذه الظواهر ، وإن اللعنة لتنزل على أي انحراف عن سلوكنا وتقاليدنا الأوربية المتأصلة على ما هي عليه في التاريخ الأوربي من قبل الأفارقة أو العرب أو الآسيويين ، فتعبيرنا اليوم عن ذلك بالأسف أكثر من الغضب ... وننسى أن تاريخنا قصة لا توازيها قصة في التخريب والاستغلال ، .

والاستناد غاي ايتون كبير الإعجاب بالإسلام ونظمه ولا يخفي هذا الإعجاب في تضاعيف كتابه ، فالمسلمون في نظره ، رغم كونهم قد تعرضوا لعوامل التحديث والمعاصرة ، لم يعانون الصعوبة التي عاناها غيرهم في موازنة

تقلبات الحياة الدنيوية مع الرحمة الإلهية ، فقد كانوا ولا يزالون أقل تمرضاً للوقوع في فخ أو شرك .

وتعلمو الكتاب من مستمله إلى منتهاه مسحة فلسفية متفائلة تخلق من كل قارئ إنساناً سعيداً ، فالهزيمة على رأي المستر ايتون شيء والتنازل شيء آخر ، وما القنوط إلا وليد التنازل لا الهزيمة ، وهو يرجح الهزيمة النكراء على أي تنازل من أي نوع كان . فعبارات من نمط (ما فائدة هذا ؟) و (ما جدوى ذلك ؟) شعارات عصر يقيس كل شيء بمقياس ما يبدو نجاحاً آنياً موضوعياً ، ذلك لأن الهزيمة تقوي العزيمة لإعادة الكرة ، وكما قيل فإن الفشل سماد النجاح ، في حين أن التنازل طريق عقيم مسدود لا يفضي إلى شيء غير الاضمحلال والفناء .

ويربط المؤلف الفاضل ربطاً رائعاً بين المسيحية والاسلام فيقول : « لقد قتل المسيح ولكن الرجل الذي أتم المعركة من أجل حضارة جديدة هو محمد بن عبد الله » . ولا يوافق تغاي ايتون أولئك الذين يحاولون إيجاد دين جديد لأنفسهم لأن ذلك لا يتاح إلا لعبقریات خارقة تظهر مرة عبر عشرات الأجيال .

اكسفورد : صفاء خلوصي

تعليقات على كتاب نُصْرَةُ الإغريض في نُصْرَةِ القريض

عبد الإله نيهات

نُصْرَةُ الإغريض في نُصْرَةِ القريض كتاب صدر في مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م بتحقيق الدكتور نهى عارف الحسن و من أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعة اللبنانية ، .

مؤلف الكتاب المظفر بن الفضل العلوي الحسيني ٥٨٤ - ٦٥٦ هـ. وموضوع الكتاب يدور حول صناعة الشعر ونقده وبديعه وبلاغته وجوانبات استعمال الشاعر وفضل الشعر ... وقد قدمت له المحققة بمقدمة وجيزة عرفت بالمؤلف وبمخطوطات الكتاب وبسبب طريقتها التي اتبعتها في تحقيق الكتاب .

والكتاب ممتع ومفيد وغني بالشواهد الشعرية ، والاقتباسات والأخبار والإشارات التاريخية ، وقد بذلت الدكتور المحققة أقصى الجهد - فيما يبدو - لتحقيق الانسجام بين خطّتها النظرية في التحقيق وبين التحقيق الفعلي ، يدلّ على ذلك شروحاتها وحواشيها ، ولكنّ طبيعة العمل في هذا الميدان - مع الأسف - تأبى أن يصدر عمل ما في ثوب الكمال ، فلا بدّ من التواء هنا وغموض هناك وسهو هنا وغلط ووهم هناك . لذلك

وجدتني كثيراً ما أتوقف عن القراءة متسائلاً مراجعاً مصححاً أو متأكداً موثقاً . وكثرت وقفاتي وطال بي الأمر ، ثم رأيت التعليقات التي دونتها جديرةً بالنشر لإغناء التحقيق لا لتجريح الكتاب ، فبعض المصادر التي أفدت منها الآن لم تكن ظهرت بعد ، وبعضها مما لم يتيسر للمؤلفة حيث كانت تعدّ عملها أو حين كانت تعدّه .

أول ما لفت نظري تراجم الأعلام الكثيرة في الحواشي ، مع عدم تقيّد المحققة بترجمة كل علم ، فقد يمرّ بك عدد من الأعلام لا يترجم لهم ، بينما يترجم لآخرين ، وتساءلت : ما المعيار الذي جعل المحققة تترجم بعضاً وتهمل آخر ؟

فإذا قلنا إنها لم تُرد ترجمة المشهورين فاجأتنا أنها ترجمت لرجال هم الشمس شهرةً كأبي علي الفارسي والتبريزي والمفضل الضبي وعمرو بن معديكرب والحارث بن حلثة . . . بينما أهملت أعلاماً كان من اللازم ترجمتهم لبُعد كتب التراجم التي ترجمت لهم عن الأيدي وندرتها ، فمثلاً ورد في ص ٢٣٦ ذكرُ شرف الدولة مسلم بن قريش ، وسكتت عنه المحققة مع أنه كان بإمكانها أن تُنحِّلَ إلى ترجمته في خريدة القصر - قسم شعراء الشام - ٢/٢٥٦ ، مع العلم أن هناك أعلاماً لم أَعثر لهم على تراجم - على شدة البحث في حدود الطاقة - وكان من الواجب الإشارة إلى ذلك في الحواشي ، لأن الإشارة أجدي من السكوت وأنفع ؛ ولعل غنى الكتاب بأسماء الأعلام وصعوبة العثور على تراجم قامة لهم صرف همّة المحققة إلى تتبع المشهورين ومَن قاربهم مِن الذين تيسرت سبل تراجمهم أمامها ، مع أن النَيْتَفَ القليلة التي قد نَعثر عليها عن المغمورين أجدي من تراجم

المشهورين لأن هذه النثف إذا جمع بعضها إلى بعض من كتاب إلى كتاب كونت مع الزمن تراجم تامة لأعلام لم نكن نعرف إلا أسماءهم .
فمثلاً مرتّ بي اسم الشاعر عقّال بن هاشم القيني مرتين في الكتاب دون تعليق بسلب أو إيجاب وبحث عنه في كتب التراجم المتوفرة لديّ فلم أجد له ذكراً وإنّما مرتّ ذكره عرضاً مرتين على الأقل في معجم البلدان : ٩١/٣ طبعة صادر .

وأعود الآن إلى الكتاب من أوّله وأقف في الصفحة الثانية لأقرأ قول المحققة وهي تترجم لابن العلقمي : « وقيل في رواية أكثر المؤرخين إنه مالأهولاكو » .

قلت : إذا كانت هذه رواية أكثر المؤرخين فلا لزوم إذا لصيغة التمريض (قيل) وكان الأفضل استبدالها بصيغة التوثيق . وأذكر أن العلامة الشيخ محمد أبو زهرة قد تعرض لبحث هذه القضية وأكد تأمر ابن العلقمي على بغداد في كتابه عن ابن تيمية .

— في الصفحة الرابعة ورد ذكر المثل : « كلّ الصيد في جوف الفراء » .

قالت المحققة : مثل من أمثال النبي ﷺ قاله لأبي سفيان بن حرب حين أسلم . وقد نقلت ذلك عن العمدة .

قلت : يفهم من سياق المثل وقصته في مجمع الأمثال ٢/٢٣٦ أن الرسول ﷺ قد تمثّل بهذا المثل الجاهلي القديم ليتأثّف به أبا سفيان . فنُسب المثل إلى الرسول في كتب البلاغة والتفد .

— في الصفحات ١٠ - ١١ - ١٢ ... وردت تعاريف للشعر والقصيدة وسبب تسميتها ، كما وردت طائفة من الأخبار والروايات ، ولم ترد المحققة شيئاً من ذلك إلى مصادره الرئيسية ، مع أنها ذكرت في منهجها أنها ستراجع النصوص والتعريفات والآراء إلى أصحابها إذا وجدت ضرورة - دون معرفة مقياس لهذه الضرورة - ويبدو لي أن اعتماد المحققة على كتاب العمدة اعتماداً رئيسياً قد أعاق انتقالها من كتاب إلى غيره وقيدتها مع أن تحقيق النصوص بحاجة إلى حرية كبيرة في الحركة والانتقال من كتاب إلى آخر . فهي تميل إلى العمدة في قول للأخفش عرّف به القافية مع أن الأصل وهو كتاب القوافي للأخفش مطبوع متداول . أما كانت الأليق الرجوع للأصل بدلاً من الاعتماد على العمدة ؟ .

واقف عند الأبواب ، باب الإشارة ، التجنيس ، الطباق ، التصدير ، الالتفات ، التقسيم ، التسميم ، الإيغال ... الخ ، فأرى أن المحققة لم تحل إلى المواضع التي عاجلت كل باب من الأبواب في كتب البديع والبلاغة على الرغم من اختلاف المصطلحات البديعية بين مؤلف وآخر . فمثلاً باب التسميم بحث في البيان والتبيين تحت اسم الأبيات المحجّلة ، وفي نقد الشعر تحت اسم التوشيح ، وفي سرّ الفصاحة تحت اسم المعازلة ، وفي الإيضاح تحت اسم الإحصاء .. نصّ على كل ذلك الدكتور حفني شرف في حواشي كتاب « بديع القرآن » ص ١٠٠ بينما اقتصرَت المحققة على الرجوع إلى العمدة فقط ، ولولا أن العمدة نصّ على أن قدامة يسميه توشيحاً لما ذكرت ذلك .. وقل مثل هذا في بقية الأبواب .

— في ص ١١٤ مرت ثلاثة أبيات نسبت للخارجي ، وورد البيت

الأخير منها في العمدة منسوباً للحارثي .. ومع أن الحارثي تكرر ذكره ص ١٢٣ - ٤١٩ إلا أن المحققة لم تقف عند ذلك واكتفت بالإحالة إلى الموشح أو العمدة ، مع أن كتب البلاغة والنقد لبست لها الأفضلية في مجال التوثيق .

- في ص ١١٧ ١٧٨ مرة ذكر جنوب أخت عمرو ذي الكلب فلم تترجم لها ، ولم تذكر حتى اسمها الكامل في الحاشية وهو جنوب بنت عجلان ، وقد ترجم لها الأستاذ عمر كجالة في أعلام النساء ٢١٨/١

وفي ص ١٢٥ ذكر المؤلف بيت أبي نواس :

ظنّ بي منّ قد كفّت به فـو يحفوني على الظننـ

قالت المحققة : لم أعر على البيت في الديوان المشار إليه .

قلت : البيت في الديوان المشار إليه (أي ديوان أبي نواس طبعة

الغزالي) ص ٤١٢ وهو بيت من قصيدة أولها : بدرى

يا كثير النوح في الدّمين لا عليها بل على السّمك

- في ص ١٢٨ : نقل مؤلف الكتاب عن كتاب البديع لابن

الممتاز ولم تحمل المحققة إليه وكان المفروض أن يقال في ذلك الموضع : قارن

بالبديع ص ٦٢

- في ص ١٢٩ : ترجمت في الحاشية للربيع بن ضبّع الفزازي

وقالت : انظر ديوان الشعر العربي ٥٧٦/١ . ولما رجعت إلى فهرس

المصادر والمراجع لم أجد ذكراً لهذا الكتاب ولا اسماً لمؤلفه . وما أدري

إن كانت أرادت المختارات التي أخرجها علي أحمد سعيد بعنوان ديوان الشعر

العربي ، وأتساءل إذا كان افتراضي صحيحاً : أبلغ بنا الأمر أن نعد مثل هذا الكتاب المحدث مرجعاً لتوثيق التراث !!؟

- في ص ١٣٠ ذكر المؤلف أربعة أبيات لأبي هفّان ، فنصّت المحققة : ان البيتين الثاني والثالث في العمدة ٤٨/٢

قلت : وكتب الأدب تروي الأبيات الثلاثة أو الأربعة مجتمعة مع بعض خلاف في الرواية عن رواية مؤلفنا . انظر أمالي القالي ٩٦/٣ ، ٩٧ - في ص ١٤٩ : ورد البيت :

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ومالت بأعناق المطي الأباطح
وقد أحالت المحققة إلى أكثر من مصدر ، وذكرت أن محقق نقد الشعر « بويّنباكر » ذكر في الحاشية أن البيت لكثير عزّة .

قلت : والبيت مع أربعة أبيات أخرى في ملحق ديوان كثير عزّة ، طبعة إحسان عباس ص ٥٢٥ مع تخريجها .

- في ص ١٥٨ : ورد بيت للنمري :

ولو كنت بالعنقاء أو بأثومها خلّلتك ، إلا أن تصدّ ، تراني

قالت المحققة : العنقاء : الداهية ، وطائر معروف الاسم مجهول الجسم .

قلت : الأرجح أن المعنى " بالعنقاء هنا اسم مكان معين وكأنه يريد به مكاناً بعيد المنال . قال أبو زيد : العنقاء أكمة فوق جيبيل مشرف أوى إليه " القتال ، - أي القتال الكلابي - . معجم البلدان ١٦٢/٤ طبعة صادر

- في ص ١٨٠ : قال المؤلف : " وقال الحكمي " - أي أبو نواس -

بصف سفينة :

فكأنّتها والماء ينطح صدرها والخيزرانة في يد الملاح
 تجوّن من العقبان تبدر الدجى تهوي بصوت واصطفاق جناح
 قالت المحققة : لم أعر على البيتين في طبعتي الديوان .

قلت : الأبيات في كتاب التشبيهات لابن أبي عون ص ٣٦٠ وقد
 ذكرته المحققة في مصادر التحقيق التي رجعت إليها .

- في ص ١٨٠ : قال المؤلف : قال أبو الشّيبص الحزاعي :

إنّ الثّانين - وبليغتها - قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

قالت المحققة : البيت في العمدة ٤٥/٢ . . . وقد نسب إلى عوف
 ابن محلّم .

قلت : البيت لعوف بن محلّم كما في أمالي القالي ١ / ٥٠ وهو
 مشهور متعاور في كتب النحاة .

- في ص ١٨٧ : أورد المؤلف أبياتاً للجون النمري .

قلت : والأبيات مع خبرها في كتاب الأنوار ومحاسن الأشعار
 للشمشاطي ٢٢٤/١

- في ص ١٩١ ورد في الكتاب : قال الأخطل :

ولقد سما للخرمي فلم يقبل بعد الونى لكن تضايق مقدماتي

قالت المحققة : لم أعر على هذا البيت في ديوان الأخطل تحقيق الأب
 أنطون صالحاني ، وهو في الصناعتين ص ٣٦ وذكر المحقق أنه لعنترة .

قلت : إن كلمة « الخرمي » قريبة تاريخية تمنع أن يكون البيت
 للأخطل بله لعنترة . فالخرمي قُصِدَ به (بابك الخرمي) الذي قتل أيام

المعتصم على يد الأفسشين وذكره أبو تمام في شعره بقوله :
ولقد شفى الأحشاء من بُرحائها أن صار بابك جارَ مازينار
والبيت المنسوب للأخطل يدل على أنه قيل في مدح القائد العباسي
أو الخليفة الذي هزم بابك وخضد شوكرته .

والصواب أن البيت لشاعر عباسي لقبه الأخطل . وقد ذكر
هذا البيت منسوباً إلى الأخطل في كتاب البديع لابن المعتز ص ٦٤ .
والأخطل هذا هو محمد بن عبد الله بن شعيب وترجمته في معجم الشعراء :
ص ٣٧٦ طبعة فرّاج وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٢ طبعة فراج :
دار المعارف .

في ص ١٩٤ وردت عبارة : وفي الحديث : « إن نافدتهم نافدوك »
ولم تقف المحققة عند هذا الحديث مع أن لسان العرب وتاج العروس قد
ذكراه في مادة « نفذ » وقالوا : « إن الحديث روي عن أبي الدرداء .

في ص ٢٠٤ ورد بيت لابن الزبيري :

والعطيات خمس بيننا وسواء قبرٌ مُشَرٌّ ومُقِيلٌ

قلت : البيت في السيرة لابن هشام ١٣٦/٢

في ص ٢٠٥ ورد ما يلي : « قال الحكمي :

« بـح صوت المال بما منك يشكو ويصبحُ

معناه صحيح ولفظه قبيح أخذه سلم فقال :

تظلم المال والأعداء من يده لا زال للمال والأعداء قتلاً »

قالت المحققة في الحاشية معلقة على اسم « سلم » : « : فيما : مسلم ،

أي أن اسم سلم في نسخة فيينا هو : مسلم .

قلت : وهو الصواب لأن البيت لمسلم بن الوليد وهو في ديوانه : ٦٤ - في ص ٢٠٦ : ذكر المؤلف بيتاً للبحثري ولم تحمل المحققة إلى ديوانه . والبيت في الديوان : ١٠٥٠/٢

- في ص ٢١٨ - ٢١٩ : ... قال علقمة بن عبدة :

أم هل كبير بكى لم يقض عبرته إثر الأحبة يوم البين مشكوم
قالت المحققة : لم أعر على البيت في ديوانه تبع : الشيخ أبي شنب .
الجزائر ١٩٢٥ وهو في شرح اختيارات المفضل ١٦٠١/٣

قلت : البيت في ديوان علقمة بشرح الأعلام ص ٥٠ بتحقيق لطفي الصقال ودريسة الخطيب ، وقد ذكرت المحققة في حاشية ص ٢٢٦ أنها تعود إلى ديوان الشاعر بشرح الأعلام .

وفي ص ٢١٩ ورد بيت يونس بن حجر ، وهو في ديوانه ص ٣٩ ، ولم تشر إليه المحققة مع أن ديوان الشاعر ذكر ضمن مراجع التحقيق .

- في ص ٢٢١ : وقال كعب الأشقري :

لم يركبوا الخيل إلا بعد ما هرموا فهم يقال على أكتافها ميل
سكنت عنه المحققة .

قلت : هذا البيت ليس لكعب الأشقري وإنما هو لجوير بن عطية الخطفي وهو في ديوانه ص ٤٦٥ طبعة الصاوي .

- في ص ٢٢١ - ٢٢٢ : وقال جوير :

لم يركبوا الخيل إلا بعد ما هرموا فهم يقال على أكتافها عزف

قالت المحققة : لم أعر على البيت في ديوانه ط : الحياة . وط :
دار الأندلس .

قلت : البيت ليس لجرير ، وإنما هو لكعب الأشقري يهجو يزيد
ابن المهلب ، ورواية الشطر الثاني كما في الأغاني ٢٩٩/١٤ طبع الدار :
فهم ثقال على أكتافها عنف

وأراها الرواية الأجود .

- وأجدني مضطراً لترك عشرات الأبيات التي أهملت وتركت دون
عزور إلى أصحابها مع شهرة بعضها وسهولة معرفة قائلها وأقف عند الصفحة
٢٥٣ وفيها : الإبطاء رد القافية مرتين كقوله :

وتخزيك يا ابن القين أيام دارم وعمر بن عمرو إذ دعا بالدارم

سكتت عنه المحققة مع سهولة رده إلى جرير ولكن البيت بهذه
الصورة ليس في ديوان جرير لأنه ملفق من شطرين من قصيدتين مختلفتين،
فالشطر الأول ورد في ديوان جرير ص ٥٥٧ :

وإن عدت الأيام أخزيت دارماً وتخزيك يا ابن القين أيام دارم

أما الشطر الثاني فقد ورد في قصيدة أخرى ص ٥٥٩ أولها :

ألا حي ربع المنزل المتقادم وما حل ممذ حلت به أم سالم

والبيت في ص ٥٦٣ :

كأنك لم تشهد لقيطاً وحاجباً وعمر بن عمرو إذ دعوا بالدارم

فالبيت في الكتاب ملفق ولم تنتبه له المحققة ، مع العلم أن النسخة
التي سميتها المحققة د م ، قد سقط منها الشطر الأول من البيت الملفق .

وأظن أن المؤلف يريد أن يشير إلى الإبطاء في البيتين اللذين هما من قصيدة واحدة ، الأول ص ٥٥٧ :

وإن عدت الأيام أخزيت دارماً وتحزبك يا بن القين أيام دارم

والثاني ص ٥٥٨ :

أقبن بن قين لا يسره نساءنا بذى تنجب أنا ادعينا لدارم

— في ص ٢٤٠ : ذكر المؤلف بيت امرئ القيس :

كأن ثيراً في عرانبين وبله كبير أناس في بجاد مزمل

ولم ينسبه لصاحبه

قالت المحققة : البيت في العمدة ١ / ٢٩٩ باب التشبهات ، وهو

منسوب لامرئ القيس ولم أعثر عليه في ديوانه تبع : حسن السندوبي ولا في

ديوانه بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وزير علوم مصر

قلت : البيت في ديوانه بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم طبع دار

المعارف سنة ١٩٥٨ ص ٢٥ وروايته :

كأن أباناً في أفانبين ودقه كبير أناس في بجاد مزمل

وموضع الشاهد في الشطر الثاني ، ولا قيمة لاختلاف الروايات في

الشطر الأول ، وهذا الاختلاف لا يسوغ المحققة أن تنفي وجود البيت

في الديوان بجرّة قلم ، مع العلم أن البيت المذكور في المعلقة في روايتي ابن الأنباري

والزوزني وهو متداول في كتب النحاة .

في ص ٢٥٩ ورد قول الفرزدق :

أبا حاضرم من يزن يظهر زناؤه ومن يشرب الخراطوم يصبح مستكراً

قالت المحققة : لم أثر عليه في ديوانه . وهو في الموشح ١٤٥ غير منسوب وإنما ذكر المحقق في الهامش أنه للفرزدق .

قلت : لم يذكر محقق الموشح ذلك على عهده كما يوم قول المحققة وإنما نقل محقق الموشح تعليقا وجده على هامش مخطوط الموشح فقال : « في هامش الأصل : قلت : هو للفرزدق » .

في ص ٢٦١ ورد بيت لابن قيس الرقيات ولم تحل إلى ديوانه ، مع أن البيت في الديوان ، وقد أحوالت إلى الديوان أكثر من مرة .

في ص ٢٦٣ ورد البيت :

مهلاً بني عمنا مهلاً موالينا لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا
سكتت عنه المحققة . وهو للفضل بن العباس اللّهي من شعراء الحماسة
والبيت من قصيدة خاطب بها الشاعر بني أمية . انظر المنصفات : ٨٥ ط
وزارة الثقافة بدمشق .

في ص ٢٦٦ ورد ما يلي : وقد روي عن أبي عمرو في بعض طرقه :
﴿ قل هو الله أحد الله الصمد ﴾ فحذف التنوين من (أحد)
لالتقاء الساكنين .

وقد اكتفت المحققة بما ورد في المتن وحذا لو عمدت لتفريغ القراءة وتوثيقها اعتماداً على كتب القراءات وهو أمر ضروري في هذا المجال لأن القراءة القرآنية ليست بيت شعر نترك العثور على قائله للمصادفات .

أمّا القراءة المشار إليها المروية عن أبي عمرو في بعض طرقه فقد ذكرها - على سبيل المثال لا الحصر - مكي بن أبي طالب في كتابه

الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢ / ٣٩١ طبع مجمع اللغة العربية بدمشق ، قال :

« وقد روي عن أبي عمرو حذف التنوين من « أحد » لسكونه وسكون اللام من الله . وروي عنه أنه كان يقف على « أحد » . والذي قرأتُ به له ، كالجماعة ، بالوصل وكسر التنوين لالتقاء الساكنين » .

وذكر هذه القراءة بطريقها أبو حيان في البحر المحيط ٨ / ٥٢٨ قال :

« وقرأ أبان بن عثمان وزيد بن علي ونصر بن عاصم وابن سيرين والحسن ابن أبي إسحاق وأبو السمال وأبو عمرو في رواية يونس ومحبوب والأصمعي واللؤلؤي وعبيد وهارون عنه : « أحدُ الله » بحذف التنوين لالتقائه مع لام التعريف وهو موجود في كلام العرب وأكثر ما يوجد في الشعر .. الخ » .

— كذلك فعلت المحققه الشيء نفسه — أي سكنت — عندما مررت بقول المؤلف وإشارته إلى أحد أوجه القراءة ص ٢٦٦ : « وكذلك حذف التنوين لالتقاء الساكنين في قراءة مَنْ قرأ : ﴿ وقالت اليهود عُزَيْرُ ابن الله ﴾ . فلم تحاول أن تعرفنا بالقارئ صاحب القراءة ، ولم تنص على كتاب يمكن الرجوع إليه كأن تقول : انظر إتحاف فضلاء البشر : ٢٨٦ على سبيل التوثيق المختصر .

— في ص ٢٦٧ ذكر المؤلف بيتاً فقال : « وقال الآخر :

كأنَّهَا مِيلَانٌ لَمْ يَتَغَيَّرَا وقدمر للدارين من بعدنا عصر »

والبيت يحتاج إلى شرح لأن الضمير في كأنها لم يذكر عائده وقد سكنت المحققه عنه .

قلت : البيت لأبي صخر الهذلي ، وهو البيت الثاني من قصيدة وقبله :
 ليلي بذات البين دارٌ عرفتُها وأخرى بذات الجيش آياتها عرفتُها
 فالضمير في كأنها يعود على هاتين الدارين ، ورواية السكري :
 وقد مر بالدارين من بعدنا عصر

انظر شرح أشعار الهذليين ٩٥٦/٢ ، والبيت بمفرده في المنصف شرح
 تصريف المازني ٢٢٩/٢ وفي غيره ..

- في ص ٢٦٩ قال المؤلف : وقد حكى أبو زيد في النوادر عن
 العرب مثل هذه الضرورة فيما أنشده الحُسيل بن عُرْفُطَةَ قال :

لم يك الحق على أن هاجه رسم دار قد تعفَى بالسّرر
 غيّر الجدة من عيرفانه خرق الرياح وطوفان المطر

وقد ترجمت المحققة لأبي زيد لكنها لم ترجع إلى النوادر ولم تنص
 على مكان البيتين فيه ، وهما في ص ٧٧ منه . وضبطت المحققة كلمة
 « خرق » في البيت الثاني بضم الحاء والراء مع أنها في النوادر قد ضبطت
 بكسر الحاء وفتح الراء ، وفسرها أبو زيد بقوله : الخرق : القطع من الريح
 واحدها خرقه . وطوفان المطر : كثرة . وروى الأصمعي : خرق .

- وتأتي في الصفحات التالية للصفحة ٢٦٩ طائفة من الشواهد التي
 ينبغي أن يحال فيها إلى كتب النحو وخاصة كتب ابن جني إلا أن المحققة
 اكتفت غالباً بالإحالة إلى الموشح والعمدة والصناعتين ، وأحالت أحياناً إلى
 كتاب سيبويه والخزانة .

- في ص ٢٧٧ قال المؤلف : وكذلك قول ابن هرمة : بمنزاج

يريد : بمترح ، من النزح . وقول الآخر : فأنظور أي فأنظر .

قلت : أراد المؤلف بقول ابن هرمة بيته الذي يقول فيه :

وأنت من الغوائل حين ترمى ومن ذم الرجال بمنزاح

والبيت من قصيدة يمدح بها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك .

انظر شعره ص ٩٢ طبع مجمع اللغة العربية بدمشق .

أما قوله « فأنظور » فإشارة إلى شاهد يتداوله النحاة وقد ذكر

منسوباً إلى ابن هرمة في شعره المجموع « قسم المختلط من شعره »

ص ٢٣٨ :

الله يعلم أنتما في تلفتينا يوم الفراق إلى أحببنا صور

وأني حينما يُشري الهوى بصري من حينما سلكوا أدنو فأنظور

والبيت الشامي في المحتسب لابن جني ٢٥٩/١ وغيره من كتب

النحاة والصرفيين .

- في ص ٢٨٢ ذكر الشطر :

يا حارٍ لا أرْمَيْنُ منكم بداهية

قالت المحققة : البيت في العقد الفريد ٤٤٨/٥ وينسب إلى زهير بن

أبي سلمى وتماه ... الخ .

قلت : والبيت في ديوان زهير ص ١٨٠

- في ص ٢٨٧ مر بيتان ذكر المؤلف أنهما لابن هرمة . قلت وهما

في شعره المجموع ص ٩٧

- في ص ٢٨٨ : وقال عمران بن حطان :

وأصبحتُ فيهم آمناً لا كعشرٍ أتوْنِي فقالوا من ربعةٍ أو مضّرٍ

قلت : البيت من قصيدة في كتاب : شعر الخوارج ، الذي جمعه الدكتور إحسان عباس ص ٢٤ وفيه تخريج القصيدة .

- في ص ٢٩٤ : ورد بيتان لعبد بني الحسحاس . قلت : وهما في ديوانه ص ٥٥

- في ص ٣٠٣ قال المؤلف : ولما هجا الحطيئة بني العجلان استعدوا عليه عمر بن الخطاب فقالوا هجائنا وشعث من أعراضنا . . إلى آخر القصة وفيها عدة أبيات .

قالت المحققة : ولم أعر على هذه الأبيات في ديوان الحطيئة . . وقد ذكرت الأبيات في ديوان الأخطل ٢٩٨ ونسبت إلى الحطيئة .

قلت : قولها : الأبيات في ديوان الأخطل بوجه أن الأبيات في أصل الديوان أو في متن الشرح القديم على الديوان مع العلم أن الأبيات قد وردت في تعليق كتبه محقق الديوان غير معزو إلى مصدر معين . فتكون إحالتها هنا كإحالتها فيما مضى إلى ديوان الشعر العربي .

- في ص ٣٢١ - ٣٢٢ : وردت أبيات في مدح بني أمية بعد زوال ملكهم على لسان شاعر ضريب .

قلت : الأبيات والأخبار المتعلقة بها في الأغاني ٢٩٩/١٦ ، ٣٠٠ . والشاعر هو أبو العباس الأعمى .

- في ص ٣٢٩ ذكر قول الشاعر :

أفي الله أمّا بجدلٍ وابن بجدلٍ فيحيا وأمّا ابن الزبير فيقتلُ

قلت : البيت لزفر بن الحارث ، وهو في تاريخ الطبري ٥٤٣/٥

— في ص ٣٣١ : ذُكرت أبيات مشهورة لمسلم بن الوليد في مديح يزيد بن مزيد الشيباني ولم تشر المحققة إلى قائلها ولم تحمل إلى ديوانه والأبيات أو بعضها في ديوان صريع الغواني : ٢١ ، ٢٢

— في ص ٤٠٨ وردت عدة قصص ولم تشر المحققة إلى مصادر هذه القصص والأخبار إلا إذا صدف وأتت في الموشع .. مع أن معظم هذه الأخبار متداولة في كتب الأدب كالهفوات النادرة ص ٤٠٨ - ٤٠٩ وكأخبار الحمقى والمغفلين وغيره . أما الأبيات الواردة ضمن القصص فقد أهملت ، فاليات : كليبٌ لعمري كان أكثرَ ناصراً وأيسرَ جرماً منك ضريح بالدم لم تنبه المحققة عليه . وهو للنايفة الجعدي . الأغاني ٤/٤٢٧ . والبيت التالي له : هم قتلوه كي يكونوا مكانه كما فعلت يوماً بكسرى مراربه لم تنسبه ، وهو للوليد بن عتبة في عثمان بن عفان . الأغاني ٥/١٢٢ دار الكتب .

— في ص ٤٠٨ : قال المؤلف : وحدث إبراهيم بن شكاة . قلت : وإبراهيم بن شكاة هو إبراهيم بن المهدي ، وشكاة أمه وإليها ينسبه خصومه .

— في ص ٤١٤ - ٤١٥ : ذكر المؤلف قصة الجحشاف والأخطل في حضرة عبد الملك بن مروان واستطرد ليذكر أن السلمي أخذ قول شاعر سابق . وقول السلمي هو :

وعلى عدوك يا بن عم محمد
رصيدان ضوء الصبح والإظلام
فاذا تنبه رعثته وإذا هدا
سلمت عليه سيفك الأحلام

ثم تابع المؤلف قصته .

قلت لم تشر المحققة إلى أن السلمي هذا هو أشجع السلمي وأن

البيتين من قصيدة مدح بها الرشيد وهما في طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٥١ دار المعارف مصر .

— في ص ٤١٢ : قال المؤلف : « والله درء المتوكل الليثي حيث يقول :

الشعر لبه المرء يعرضه والقول مثل مواقع النبل
منها المقصّر عن رميته ونواقر يذهبن بالخصائل
قالت المحققة : البيتان في الموشح ٣٥٧

قلت : في معجم الشعراء : ٣٤٠ ذكر البيتين وقال إنها له في رواية الصولي ورويان لغيره .

أما في الحيوان للجاحظ ٦٢/٣ طبعة هارون فينسيان لمعتور بن حمار البارق وهو سفيان بن أوس بن حمار ، شاعر جاهلي .

في ص ٤٥٤ أورد المؤلف أبياتاً لعمّار الكلبي هاجم بها النجاة ، والأبيات في إنباه الرواة ٤٢/٢ منسوبة إلى بعض العرب .

هذا بعض ما وقفت عنده وهو لا يغض من جهود الدكتورة المحققة التي بذلت صادق الجهد وثمين الوقت لبعث كتاب مخطوط حياً زاهياً مضبوطاً ، لكن لا يخلو كتاب من شيء من الملاحظات والنقادات والتعقيبات تفيد في دفع العمل في طبعاته اللاحقة نحو الأفضل والأكمل قدر المستطاع .

حمص : عبد الإله نبهان

آراء وأنبأ

نقيب

نشرت المجلة في عددها الماضي أنموذجاً عن « معجم عثرات الأدباء » الذي يعبه الأستاذ الجليل محمد المدناني ، وقد ورد فيه حول كلمة « الإصطبل » ما يلي : « ... وقال المعجم الكبير : إنها يونانية الأصل ، وعلقت لجنة المجلة على هذا القول في هامش الصفحة ٤٦٣ ما يلي : « ربما كان مصدر هذا القول محيط المحيط ، فقد جاء فيه أن الإصطبل من اليونانية ، والصواب أنه من اللاتينية ، .

ومن الرجوع إلى المعجم الكبير ، مصوباً بمقتضى ما ورد في الصفحة ٦٧٥ من طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٧٥ ، نجد المعجم يقول : الإصطبل : - معرب (الأصل لاتيني Stabulum) ومنه في الأرامية : إصطبلا وإصطبلا !

وتضمن البحث نفسه ، خلال الكلام على جمع كلمة إصطبل ، ما يلي : « وجمعه المعجم الكبير ، الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، على : إصطبلات

وأصاطب ، وجمعه الوسيط على إسطبلات ، وذكر المعجم الكبير والوسيط :
ان المفرد هو إسطل وإسطبل ، .

وأعتقد أن ورود ذكر « المعجم الكبير » في هذه الجملة المرة الثانية ،
كان (شطحة) قلم ، لأن المعجم الكبير لم يذكر الكلمة بصيغة «إسطبل»
إلا في مادة أس ط محيلاً على المادة الأصلية أص ط ، أي خلافاً لما فعله
المعجم الوسيط !

إن صيغة (إسطل) - تعريباً للكلمة اللاتينية - لم ترد في الأمهات ،
وإن وردت في الأرامية وعلى السنة العامة في كثير من الأقطار ، ولكن
المعجمات الحديثة كأقرب الموارد والوسيط ، أثبتتها . ومن عجب أن الأب
الكرملي في معجمه (المساعد) أغفل هذه الصيغة ، مكتفياً بصيغة (إسطبل) ،
ناقلًا عن ابن خلدون جمعها على إسطبلات ، ناصاً على أن عربيتها : الموبط .

مركز تحقيق تراثنا في علوم الردى

ع . خ .

الدنانير القُوقِيَّة أم القُوقِيَّة ؟

الدكتور ف. عبد الرحيم

قال الجواليقي في المعرب (١) : وفي حديث عبد الرحمن : أن معاوية كتب إلى مروان ليبيع الناس ليزيد ، فقال عبد الرحمن : أجمتم بهما هرقليَّة وقُوقِيَّة تباعون لأبنائكم ؟ قال : « قُوقِيَّة » يريد البيعة الأولاد ، سُنَّة ملوك المعجم .

وقُوق اسم ملك من ملوك الروم ، وإليه تنسب الدنانير القُوقِيَّة ، كما نسبت الهيرقليَّة إلى هيرقل . انتهى كلام الجواليقي .

وذكر ابن الأثير نحوه في النهاية (١٢٢/٤) ، وزاد وقيل كان لقب قيصر قوقا . وروي بالقاف والفاء من القوف : الأتباع ، كأن بعضهم يتبع بعضاً .

وذكر صاحب اللسان نحوه .

وقال الفيروز أبادي في فُوق : والدنانير القُوقِيَّة من ضرب قيصر لأنه كان يسمى قُوقا . وقال في فُوق : وقُوق ملك الروم نسب إليه الدنانير القُوقِيَّة . أو الصواب بالقافين .

(١) المعرب من الكلام الأعجمي للجواليقي بتحقيق أحمد محمد شاكر ص ٢٧٧

فاللفظ إذن فيه ثلاث لغات (١) قوقية بالقافين و (٢) قوقية بالفاء ثم القاف . وهما منسوبان إلى قوق أو فوق ، وهو اسم ملك من ملوك الروم . و (٣) قوقية بالقاف ثم الفاء وهو من القوف بمعنى الاتباع . والصواب أنه فوقية بالفاء ثم القاف نسبة إلى فوق ملك من ملوك الروم ، وهو تعريب Phocas باللاتينية (١) .

لقد ذكر الفيروز آبادي « فوق » ثم شك في صحته وقال : « أو الصواب بالقافين » . وزاد الزبيدي : « قلت : والذي صوبه هو الصواب ، وسيأتي ذكره في موضعه » ، والرواية الثانية هي بالقاف والفاء من القوف : الاتباع . وأما بالفاء والقاف الذي أورده المصنف هنا فإنه غلط محض وتصحيف ، فلينتبه لذلك أفرايت كيف جعل الصواب خطأ والخطأ صواباً وجزم به بهذه الثقة ؟

فيستور علوم رندى

جاء هرقل في حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنها مقدماً على قوق ، وقد يفهم من هذا الترتيب أنه كان سلفاً لقوق ، والصواب أنه كان خلفه . فقد كان حكم فوق بن موريس (٢) من ٦٠٢ م إلى ٦١٠ م وجاء بعده هرقل الذي حكم من ٦١٠ إلى ٦٤١ م .

(١) 'يؤخذ مما جاء في مختلف المراجع أن الاسم Phocas (وفي معجم لاروس الموسوعي Phokas أيضاً) كان يونانياً واستعمل في اللاتينية . (لجنة المجلة:م)

(٢) في دائرة المعارف البريطانية (١٩٧٥) أن Phocas كان ضابطاً في ثراقية . وعندما ثرد الجيش على الامبراطور موريس البيزنطي في سنة ٦٠٢ أرسل إلى القسطنطينية لتهنئة الحالة ، ولكنه على العكس استفاد من الفتن المتوالية فقتل الامبراطور موريس وابنه وأعلن نفسه امبراطوراً في سنة ٦٠٢ . (لجنة المجلة:م)

وقد يفهم من كلام عبد الرحمن رضي الله عنه أيضاً أن أحدهما كان ابن الآخر ، وهذا أيضاً خلاف الواقع ، فإن هرقل لم يكن ابن فوق ، إنما كان ابن الحاكم الرومي في إفريقية ، واستولى على الحكم بعد أن عزله وقتله . ويبدو أن العرب كانت تحسبه ابن فوق إذ كانت سنة العجم أن يرث الابن أباه حكماً .

الدكتور ف . عبد الرحيم

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم رمدى

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الثاني من عام ١٩٧٨

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
لطائف الظرفاء من طبقات الفضلاء	أبو منصور عبد الملك الثعالبي تحقيق الدكتور قاسم السامرائي	بريل ١٩٧٨
ببليوغرافيا بالمطبوعات الحكومية المراقية الموجودة في المكتبة المركزية لجامعة بغداد	طارق عبد الرحمن	بغداد ١٩٧٨
تاريخ طب الأطفال عند العرب	الدكتور محمود الحاج قاسم محمد	بغداد ١٩٧٨
البرعي اليمني : الشاعر والفقيه	جواد المرابط	بيروت ١٩٧٨
المصطلحات المتعلقة بصناعة الاسمنت	المهندس حسين رشدي إبراهيم باشا	حلب ١٩٧٨
المصطلحات المستخدمة في معامل الاسمنت	سي . اف . كلاوسين و . ار . ديرسناه تعريب المهندس حسين رشدي	» »

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
بابلونيرودا ، ترجمة صياح الجهيم	أحجار السماء ، أحجار تشيلي	دمشق ١٩٧٨
سان جون بيرس ، ترجمة ادونيس	الأعمال الشعرية الكاملة: منفى وقصائد أخرى	» »
محمد عمران	أنا الذي رأيت « شعر »	» »
ناظم حكمت ، ترجمها عن الروسية شريف شاكر	أول أيام العيد « مسرحية في أربعة فصول »	» »
علي السيد	التخزين والمناولة والتصنيف : أصولها ، أدواتها ، تطبيقاتها	» »
انجل كارا ليتشف ، ترجمة عيسى فتوح	دنيا الحكايات	» »
كارل ماركس ، ترجمة : أنطون حمصي	رأس المال « نقد الاقتصاد السياسي » الكتاب الثالث : السلسلة الإجمالية لأفاعيل الانتاج الجزء ١ - ٢	» »
جان الكسان	السينما السورية في خمسين عاماً	» »
قدم له : المهدي مصطفى طلاس	علم الأعلام خير الدين الزركلي	» »
عبد السلام العجيلي	عبادة في الريف	» »
رئيسه هويغ ، ترجمة صلاح برمدا	الفن : تأويله ومسببه ، الجزء الثاني من الفن القوطي إلى القرن العشرين	» »

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
ماري لويز فيشر . ترجمة زياد العودة	لورا والفتيان	دمشق ١٩٧٨
مروان ناصح	ما لم يحترق بعد « شعر »	» »
اختاره وشرحه : مطيع بيبي لي	من حماسة أبي تمام	» »
عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي . اختيار وتقديم : الدكتور أحمد بدر	من كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب « دولة الموحدين »	» »
القاضي علي الجرجاني اختيار ودراسة محيي الدين صبحي	من كتاب الوساطة بين المتنبئ وخصومه	» »
عدد من المؤلفين . ترجمة الدكتور عادل بدر	معنى المدينة	» »
ابن بسام، اختيار وتقديم الدكتور محمد رضوان الداية	من الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة	» »
عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، اختيار وتحقيق سهيل عثمان، محمد درويش	من مقدمة ابن خلدون « السياسة والاقتصاد »	» »
محمد كامل الخطيب	النخلة المضئئة « مجموعة قصص »	» »

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
فتيح عقلة عرسان	واقع السينا السورية وآفاق تطورها	دمشق ١٩٧٨
عبد الله بن محمد بن خميس	الشوارد « من شوارد الشعر الشعبي » الجزء الثالث	الرياض ١٩٧٨
عبد الله بن محمد بن خميس	من أحاديث السمر « الجزء الأول » « قصص واقعية من قلب جزيرة العرب »	» »
الجامعة الأردنية مركز الوثائق والتوثيق	فهرس المخطوطات المصورة ١-٤	عمان ١٩٧٧
المنظمة العربية للعلوم الادارية	مشروع المعجم العربي الموحد في مصطلحات العلوم الادارية (انجليزي - فرنسي - عربي)	القاهرة ١٩٧٨
السيد محمد مرتضى الزبيدي تحقيق مصطفى حجازي	تاج العروس من جواهر القاموس الجزء السابع عشر	الكويت ١٩٧٧



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

مجلة

مَجْمَعُ الْبَغْدَادِيِّينَ الْعَرَبِيِّينَ بِمَشْرِقِ

« مجلّة المجمع العلمي العراقي سابقاً »



مركز تحقيق وتطوير علوم إرسدي



شوال من سنة ١٣٩٨ هـ

تشرين الأول «أكتوبر» من سنة ١٩٧٨ م



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الألفاظ التاريخية متحف اللفظة

الأستاذ شفيق جبري

أولمت من حينٍ إلى آخر بتقليب النظر في معجمٍ من معجمات اللغة ، فما أكثر الأمور التي يقف عليها الإنسان في مثل هذا التقليب ، فقد يتبين له أن اللغة يجري عليها من القوانين ما يجري على عالم الطبيعة ، فقد يجري عليها التنازع على البقاء كما يجري عليها المذهب الذي اصطلاحنا على أن نسميه : التطور ، وقد يكون للبيئة آثار في اللغة كما يكون مثل هذه الآثار في عوالم الطبيعة ، والخلاصة فقد تقضي لفظة على لفظة فتحل محلها أو يقضي مصدر على مصادر ثانية أو تعيش لفظة في بيئة وتموت في بيئة ثانية ، ولكن هذا كله يستلزم بحثاً خاصاً ؛ فان غايتي في هذا المقال الإشارة إلى الألفاظ التاريخية وهي التي بطل استعمالها فذهبت بذهب المسميات التي تدل عليها ، فهي تموت في اللغة لأسباب تاريخية ، ولذلك سميت الألفاظ التاريخية كما وضّح ذلك د دار مستر ، في كتابه : « حياة الألفاظ » .

من هذا القبيل أسماء لبعض الآلات أو الحيوان أو الملابس أو السلاح وغير ذلك ، فمن الآلات مثلاً لفظة : الشَّجَب ، من جملة معاني هذه المادة : سِقَاء يابس 'مجرّك' فيه حصى' تَذَعَّرَ بذلك الإبل . لا ريب في أن هذا التفسير واضح لا لبس فيه ، ولكن ما هو هذا السِقَاء ، ما شكله ، ما حجمه ، ما تركيبه ، إنا لا نعرف شيئاً من هذا كله ، فهذه اللفظة : الشَّجَب ماتت بموت المسمّى الذي كانت تدل عليه .

ومن الآلات : الشُّكبان بالضم ، وهو شِبَاك للحشّاشين يحتشّون فيه ، فما شكل هذا الشباك .

ومن الأدوات لفظة : الشعيب ، وهي المزايدة من أديين ، أو المخروزة من وجهين . فمن منّا الذي وقعت عينه على هذه المزايدة .

وإذا انتقلنا إلى عالم الحيوان فإننا نجد أن الشُّجْدُب ، كقنفذ ، دويبة من أحشاش الأرض ، فما هي هذه الدويبة ، وإني لأشك في أن عالماً من علماء الحيوان يعرفها .

ومن الحيوان أيضاً : الشُّنْقُب ، كقنفذ وقنطار ، وهو ضرب من الطير . فمن الذي يدلّنا على هذا الطير .

وقد غرّ بأشباه هذا كله في الثياب ، فالمدرعة ، كمكنسة ، ثوب كالدرّاعة ولا يكون إلاّ من صوف وتمدرع : لبسه ، فما هو هذا الثوب .

إن اللغة تشتمل على آلاف من أمثال هذه الألفاظ ، وقد فسرها علماء اللغة تفسيراً لا غموض فيه على نحو ما قلت ، ولكننا على الرغم من هذا التفسير الواضح نعجز عن إدراك المسمّيات التي كانت تدل عليها هذه الألفاظ لأن العين لم تقع عليها .

وقد نشهد هذا الأمر في أكثر اللغات فاللغة الفرنسية مثلاً ماتت فيها أسماء كثيرة كانت تستعمل في القرون الوسطى ، لأن هذه الأسماء كانت تدل على أشياء اختفت ، أشياء من السلاح والآلات والعملة والملابس وغير ذلك ، كما كانت تدل على أمور معنوية واجتماعية وعلى أفكار وعلوم وأخلاق وتربية وألعاب ، وعلى بعض المؤسسات والحوادث ، وقد ذهب هذا كله بذهاب القرون الوسطى .

إن الألفاظ التاريخية إذا تعرضت على عين القارئ وفُسِّرت معانيها فإنها تحيي له ماضياً بأجمعه ، ولا يمكن بعثها وإحيائها إلا بالتنقيب عن التاريخ فإذا بُحث عن مصادر التاريخ ووثائقه ظهرت للعيان ألفاظ كانت تدل على المسميات التي اختفت كما تظهر أيضاً حياة الماضي من العصور ، والخلاصة فإن جملة كبيرة من الأسماء اختفت دون رجوع ، وقد نجد في تنقيب علماء الآثار أشياء كثيرة نضع لها أسماء جديدة لأننا نجعل الأسماء القديمة التي كانت تدل عليها ، كما بيّن هذا كله « دار مستتر » في كتابه القيم : حياة الألفاظ .

* * *

لقد اخترت لهذا المقال عنواناً غريباً : متحف اللغة ، فهل للغة من اللغات متاحف ! ولكني أرجو أن تزول غرابة العنوان . إن كثيراً من الأمم لها متاحف في بعض بلدانها ، تجمع فيها ما اهتمت إليه من آثار ماضيها في خلال التنقيب ، وقد تكون هذه الآثار من السلاح أو الثياب أو العملة أو الأواني أو العمران بما كان في ماضيها وذهب عنها في حاضرها ، فهي تجمع هذا كله في متاحفها وتُعنى به العناية كلها وتحرس عليه الحرص

كله ، وإذا قصد السيّاح هذه المتاحف نعموا برؤيتها وحدثوا عنها ذويهم وأصحابهم في رجوعهم إلى أوطانهم ، فلماذا لا يكون للغة من اللغات متحف خاص . ولست أعني بالمتحف مبنى من المباني ، وإنما أعني بذلك معجماً خاصاً تدوّن فيه الأسماء التي كانت تدل على مسميات في مواضي العصور ، وقد ذهبت هذه المسميات فنحن لا نعرفها وبقيت أسماؤها محفوظة في معجمات اللغة . وقد يكون للتصوير شأن كبير في هذا العمل ولكن التصوير لا يتم إلا إذا اهتمدى علماء الآثار إلى المسميات التي اختفت ؛ وأظن أن هذا من مصاعب الأمور . من هذا القبيل مثلاً لفظة : الطارمة ، فقد مرت بهذه اللفظة في كتاب الأغاني ، ففتشت عن معناها في معجم من المعجمات ، فلم أعثر على اللفظة ، وقد وجدت في مقال نشر في جريدة مصرية ، صاحب المقال أحد رؤساء الوزارة في بغداد في الماضي ، حبس فكان يصف حبسه واستراحته في طارمة ، فلبأت إلى معجم « دوزي » ، لعلني أهتمدي إلى معنى هذه اللفظة ، فوجدت صورة الطارمة في المعجم ، وهي عبارة عن غرفة صغيرة من خشب ، يجلس فيها المرء ويُطل من خلال الخشب على الحديقة ، فلو أمكن وضع معجم الألفاظ التاريخية وتصوير ما أمكن تصويره من المسميات التي تدل عليها هذه الألفاظ لذهب شيء كثير من الغموض الذي نمر به في بعض الأسماء ولكني أعتقد أن مثل هذا العمل غير يسير .

شفيق جبري

نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات

للدكتور أ. ل. كليرفيل

نقله إلى العربية الأساقذة مرشد خاطر
وأحمد حمدي الحياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

- ٣٨ -

الدكتور حسني سبح

- ١١٨٥١ احتيلام في حالة الصبحو 11851 Rêver à l'état de veille
وأرجع حلم اليقظة
- ١١٨٥٢ قلوبية ، عودة إلى الأصل 11852 Réversibilité
وأرجع قلوبية ، رجوع إلى ما سبق ، قابلية التغير
(ولا سيما في الارتكاسات الحيوية والكيميائية) وقابلية
التحوّل (الجنس)
- ١١٨٥٣ قلوب ، ردود إلى الأصل 11853 Réversible
قلوب ، قابل التراجع والتبدل والتغير
- ١١٨٥٤ ارتكاس ، ارتداد إلى الأصل 11854 Réversion
وأرجع تراجع ، نقيض ، تأشل (في الوراثة) تحوّل
(في المناعة) (١)

(١) لفظة (reversion) في معجم دُورلند (Dorland' s Illustrated Medical Dictionary)

- 11855 Révision ١١٨٥٥ فَحْصٌ ثَانٍ ، إِعَادَةُ النَّظَرِ
وأفضل مترجمة: ، إِعَادَةُ النَّظَرِ
- 11856 Révolution cardiaque ١١٨٥٦ ثَوْرَانٌ قَلْبِي
وأرجح دَوْرَانُ الْقَلْبِ أو دَوْرَةُ الْقَلْبِ ، كما جاء في
الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)
- 11857 Revolver port-objectif ١١٨٥٧ مُحَوِّلٌ حَامِلُ الْعَدَسِيَّاتِ
المادية أو الجُزْئِيَّةِ
وأفضل مُبَدِّلَةُ الْعَدَسَاتِ الشَّيْئَةِ (٢)
- 11858 Révulsifs, remèdes irritants, dérivatifs ١١٨٥٨ مُصْرِفَاتٌ ، أَدْوِيَّةٌ مُخْرِشَّةٌ مُحَوِّلاتٌ
- 11859 Révulsif , ve ١١٨٥٩ مُصْرِفٌ مُحَوِّلٌ
- 11860 Révulsion , dérivation ١١٨٦٠ تَصْرِيفٌ ، تَحْوِيلٌ
وأرجع التخصيص في هذه المصطلحات ، فأقول : مُحَوِّلاتٌ ،
أَدْوِيَّةٌ مُخْرِشَّةٌ وَمُصْرِفَاتٌ فِي الْفئةِ الْأُولَى ، وَمُحَوِّلٌ فِي
المصطلح الثاني وتَحْوِيلٌ وَتَصْرِيفٌ فِي الثَّالِثِ .
- 11861 r H , symbole du potentiel d' oxydo - réduction ١١٨٦١ (ر هـ) رَمَزٌ مَكْنُونُ الْحَزْلَةِ
وأفضل (ر هـ) رَمَزُ الطَّاقَةِ الْكَامِنَةِ بَيْنَ الْأَكْسِدَةِ وَالْإِرْتِجَاعِ
- 11862 R H facteur Rhesus ١١٨٦٢ (ع ر) عَامِلٌ نَسْنَسِي
وأفضل (ح ر) الْعَامِلُ الرَّبْضِي

(١) (cardiac cycle) .

(٢) الصفحة ٥١٨ من المجلد الثامن والأربعين من هذه المجلة .

- 11863 Rhabdomyome ١١٨٦٣ وَرَمٌ عَضَلِي مُخَطَّطٌ
وأفضل وَرَمُ الْعَضَلِ الْمُخَطَّطِ
- 11864 Rhinencéphale , rhinocéphale ١١٨٦٤ مَسِيخٌ مُشْتَوٌّ. الأنف
مَسِيخٌ مُشْتَوٌّ الرَّأْسِ وَالْأَنْفِ
- 11865 Rhinolalie , rhinophonie ١١٨٦٥ خَنْ ، غُنَّةٌ
وأرجح الخنخنة أو الخن أو الخنسة (١) (اللفظة الثانية)
باعتبارها حالة مرضية دماغية
- 11866 rhino-pharyngite épidémique , rhume commun ١١٨٦٦ اِلْتِهَابُ الْأَنْفِ وَالْبُلْعُومِ السَّارِي ، زُكَامٌ اعْتِيَادِي
وأفضل اِلْتِهَابُ الْأَنْفِ وَالْبُلْعُومِ الْوَافِدِ ، زُكَامٌ شائعٌ ،
وسبق للجنة أن ترجمت (contagieux) بِمُعْدٍ وَسَارٍ
(اللفظة ٣١٤٦) و (épidémique) بِجَائِحٍ وَجَائِحِي
(اللفظة ٥٠٤٦) وَسَبَقَتْ الْمُلَاحَظَةُ عَلَيْهَا (٢)
- 11867 Rhinoplastie ١١٨٦٧ تَرْقِيعُ الْأَنْفِ ، تَرْمِيمُ الْأَنْفِ
وأرجح رَأَبُ الْأَنْفِ أَوْ إِصْلَاحُهُ
- 11869 Rhinoscopie postérieure ١١٨٦٩ تَنْظِيرُ الْأَنْفِ الْخَلْفِيِّ ،
الْحَيْشُومِي
وأرجح تنظير الأنف الخلفي (٣)

(١) في لسان العرب : الخنخنة أن لا يبين الكلام فيخنخنة في
خياشيمه ، والخنسة ضرب من الغنسة كأن الكلام رجع إلى الخياشيم .
(٢) الصفحة ٥٦٢ من المجلد الأربعين من هذه المجلة .
(٣) في لسان العرب : الحيشوم من الأنف مافوق نخرته من
القصة وما تحته من خشارم رأسه .

11876 Rhumatismal , ale

١١٨٧٦ رَثِيْبِي

ورَثَوِي ترجيحاً

هذا وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريب (rheumatism)
بروماتيزم (١)

11877 Rhumatisme articulaire aigu , fièvre rhumatismale,
maladie de Bouillaud

١١٨٧٧ رَثِيَّة مَفْصَلِيَّة حَادَّة ، حُمَّى

رَثِيَّة ، دَاءُ بُوِي

رَثِيَّة مَفْصَلِيَّة حَادَّة حُمَّى رَثَوِيَّة ، دَاءُ بُوِي

هذا وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تخصيص لفظة رثية
ترجمة لالتهاب المفصل وجاء في التعريف : التهاب مفصلي
مؤلم قصير الأمد في ترجمة (acute arthritis) وعُرب
(rheumatism) بروماتيزم ، وجاء في ترجمة (rheumatic
arthritis) رثية روماتيزمية عيوضاً عن التهاب المفصل
الرثوي وهو الأفضل

11878 rhumatisme chronique déformant dégénératif
progressif , ou noueux , goutte asthénique primitive,
polyarthrite déformante chronique évolutive

١١٨٧٨ رَثِيَّة مُزْمِنَةٌ مُشَوِّهَةٌ مُتَنَكِّسَةٌ مُتَرْقِيَّةٌ أَوْ

عَقِيدَةٌ ، نِقْدَرَسٌ وَهَتَنِي بَدْئِي ، إَلْتِهَابُ الْمَفَاصِلِ الْمُتَدِيدَةِ
الْمَشَوِّهَةِ أَوْ الْمُزْمِنِ النَامِي .

(١) الصفحة ٤٧٧ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

وأرجع رَثِيَّة مُزْمِنَةٍ مُشَوِّهَةٍ تَنَكُّسِيَّةٍ مُتَرْقِيَّةٍ
أو عَقِيدَةٍ ، نِقَرَسَ وَهَتَنِي بِدَثْنِي ، التهاب المفاصل
الكثيرة المُشَوِّهَةِ أو المُزْمِنِ المُتَرْقِي أو المُتَطَوِّر

11879 rhumatisme (pseudo - rhumatisme infectieux)

١١٨٧٩ رَثِيَّة (رَثِيَّة مُوهِمَةٌ خَمَجِيَّة)

أقول رَثِيَّة كاذِبَةٌ خَمَجِيَّةٌ أو اِثْنَانِيَّةٌ (١)

11880 rhumatisme lombaire رَثِيَّة قَطَنِيَّة ، أَلَم قَطَنِي

خَنَزَرَةٌ chronique , lumbarthrie , lombarthrose

وأرجع رَثِيَّة قَطَنِيَّة مُزْمِنَةٍ ، العِيْلَةُ المَفْصَلِيَّةُ
القَطَنِيَّةُ أو الفُصَالُ القَطَنِي (٢)

11881 rhumatisme musculaire , myalgie , myodynne

١١٨٨١ رَثِيَّة عَضَلِيَّة ، عَضَالٌ ، أَلَم عَضَلِي رَثِي رُحْمَاتِيَّة

وأرجع رَثِيَّة عَضَلِيَّة ، أَلَم عَضَلِي ، وَجَع عَضَلِي
رَثَوِي . وللَفْظَةِ عَضَالُ مَعْنَى خَاص (٣)

11883 Rhumatoïde رَثِيَّة شَبِيهَةٌ بِالرَثِيَّةِ

وأرجع رَثَوَانِي

11887 Rictus sardonique , rire sardonique

١١٨٨٧ رَثَانْفٌ ، ضَحْكٌ بِاسْتِيْهْزَاءٍ

سَبَقَتْ المَلاحِظَةُ عَلَى هَذِهِ اللفظة (٤) وأقر مجمع اللغة العربية

(١) الصفحة ٤٦٩ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٤٩٧ من المجلد الخامس والأربعين من هذه المجلة .

(٣) في لسان العرب : وداءٌ عَضَالٌ شَدِيدٌ مُدْعِيٌّ غَالِبٌ .

(٤) الصفحة ٤٨٢ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

في القاهرة الايزميهرار ، وجاء في الشرح : صورة للوجه
(سيحنة) بسبب تقلص عضلات الوجه في
مرض الكزاز

١١٨٨٨ مير غضن ، اثنياء ، اثنياء 11888 Ride ,pli
وأرجح غضن ، جعدة . وسبق للجنة أن ترجمت
(repli) بانثنياء اللفظة (١١٧١٧) وليس للفظه مير
الدالة المطلوبة (١)

11889 rigidité des artérioscléreux , syndrome de Foerster

١١٨٨٩ صمل المتصلية شرايينهم تنادر فورستر
وأفضل صمل (بسكون الميم) لمتصلي الشرايين ، أو ذوي
النصلب الشيراني ، تنادر فورستر (كما يلفظ بالالمانية) .
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : كزازة - تيبس -
ترز ، وجاء في الشرح : توتر في العضل كما يحدث
في الكزاز (٢)

١١٨٩٠ صمل رمي ، صلابة الجثة 11890 rigidité cadavérique

(١) في لسان العرب : السير ما أخفيت ، السير الزنا والسير الجماع . وفي
التهذيب السير الأصل ووسط الوادي والسير ذكر الرجل الخ .

(٢) في لسان العرب : الصمل اليبس والشدة
الكزازة والكزاز : اليبس والانتقياس
اليبس بالضم : تقيض الرطوبة .

التارز اليابس الذي لا روح فيه ، ترز ترزأوتروزأ مات وييس .

سبقت الملاحظة على هذه اللفظة^(١)

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : التيبس الميتي
ترجمة لـ (rigor mortis)

وجاء في التعريف : وهو الذي يلحق الموت وسببه تجمد
بلازمة العضلات .

وأقر المجمع ترجمة اللفظة ذاتها بالتيبس الرمي* بين مصطلحات
الطب الشرعي وجاء في التعريف : وهي حالة تصلب في
الجملة بسبب تغيرات كيميائية في العضلات . ولعل لفظة تَرَز
المشار إليها في الهامش تقي بالمعنى . فأقول تَرَز وتَرَز الجملة
أو ييوستها ، وأرى تخصيص الصمّل للتوتر العضلي البادي في
الاصابة خارج الهرمية (extra - pyramidale) لشموله
فئتي العضل الباسطة والقبضة ، والتفجع للتوتر البادي في
إحدى الفئتين المذكورتين ، شأن ما يحدث في اصابة الجملة
الهرمية (système pyramidale) والصلابة أو القساوة
ترجمة لـ (dureté) والتصلب لـ (sclérose)

١١٨٩١ صلابة بالحرارة 11891 rigidité par la chaleur

وأفضل صمّل الحرارة

١١٨٩٢ صلابة* بانتزاع المخ 11892 rigidité décérébrée

وأفضل صمّل حذف المخ ، كما تقدم آنفاً ، ولأنه يحدث
بالآفات المرضية المؤدية إلى بطلان عمل المنع بالاختبار
في الحيوان فحسب

(١) الصفحة ٨٢ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

- ١١٨٩٣ rigidity par le froid صلابة بالبرد ، تجمّد
وأفضل صمّل البرودة. وسبق للجنة أن ترجمت (congélation)
بانجماد وتجمد (اللفظة ٣٠٥٢)
- ١١٨٩٤ rigidity musculaire صلابة عضليّة*
وأرجح صمّل أو صمول عضلي
- ١١٨٩٥ rigidity pallidale صلابة شاحبية
وأفضل صمّل الكرة الكتبية أو الشاحبية ، كما جاء في
الترجمة الألمانية من المعجم الأصلي (١)
- ١١٨٩٧ rigor , frisson قشعريرة ، رعدة ، نافض
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة العُرّواء وهي الشائعة
- ١١٨٩٨ Rigole ميازبة ، مجرى صغير
وأرجح سري* (٢) وسبق للجنة أن ترجمت (gouttière)
ميازبة (اللفظة ٦٤٤٦) و (conduit) بمجرى
(اللفظة ٣٠٢٠)
- ١١٨٩٩ Rincer شطف ، سكب الماء
وأرجح نظّف وشطف
- ١١٩٠١ rire forcé ضحك قسري تكلفي
وأفضل تضحك ، ضحك مُصطنع

(١) Steifheit bei lésion des Globus pallidus

(٢) في لسان العرب: السري النهر وقيل الجدول وقيل النهر الصغير
كالجدول يجري إلى النخل .

- 11905 Rob رُب ، الكثيف
والقطر كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي^(١)
- 11911 Robuste , vigoureux , euse قَويُّ البُنْيَةِ ، جَلَدٌ
وأرجح قَوي البُنْيَةِ^(٢) (بكسر الباء) مَتِين ،
شَدِيدٌ ، صَنِيدٌ
- 11914 Romarin إكليل الجبل
وَحْصا البان كما يسمى وشائع في سورية
- 11916 Rond , ronde مُدَوَّر
ومُسْتَدِير . وسبق للجنة أن ترجمة (trochanter) بِمَدَوَّر
(اللفظة ١٣٧٣٢)
- 11917 Ronflement غَطِيط
وَشَخِيرٌ أيضاً
- 11918 Ronronnement هَرِير
ولعلَّ الحَرْخَرَةُ أَفْضَلُ^(٣)
- 11919 Rosat onguent طِيلَاءُ الْوَرْدِ ، مَرْمَمُ الْوَرْدِ
وأرجح مَرْمَمُ الْوَرْدِ^(٤)

(١) (rob, thick syrup)

(٢) في لسان العرب : البُنْيَةُ والبِنْيَةُ ما يَبْنِيهِ ، وفلان صحيح البِنْيَةِ
أي الفِطْرَةِ .

(٣) في فقه اللغة للثعالبي : الهَرِيرُ للكلِّبِ إذا أَنْكَرَ شَيْئاً ، وَأَكْرَهَهُ ،
المُؤاءَ لاهِرَةٍ والحَرْخَرَةُ صوتُها في نَعاسِها .

(٤) الصفحة ١٦ من المجلد التاسع والأربعين من هذه المجلد .

- ١١٩٢١ وَرَدِيَّة 11921 Roséole
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة وَرْدِيَّة، وأرجح وَرْدِيَّة
- ١١٩٢٢ وَرْدِيَّة هَيْتَجَانِيَّة 11922 roséole émotive
وأفضل وَرْدِيَّة انْفِعَالِيَّة
- ١١٩٢٣ وَرْدِيَّة مُرْتَدَّة 11923 roséole de retour
وأفضل وَرْدِيَّة رَاجِعَة، كما جاء في الترجمة الانكليزية
من المعجم الأصلي (١)
- ١١٩٢٦ تَدْوِير إلى الأمام 11926 rotation en avant
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة لـ (internal
rotation) الدوران الداخلي
وأرجح التَّدْوِير تاركاً دَوْرَان ترجمة لـ (circulation)
- ١١٩٢٨ تَدْوِيرِي ، دَوْرَانِي 11928 rotatoire
وأرجح تَدْوِيرِي فقط مخصصاً دوراني ترجمة لـ (circulatoire)
شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ٢٦٩٧)
- ١١٩٣٣ حَصْبَة الْخِنْزِير 11933 rouget du porc
أو حَصْبَة الْخَنَازِير كما هو معروف ، وطاعون الْخِنْزِير
كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)
- ١١٩٣٥ إِحْمَرٌ ، إِحْمَارٌ 11935 Rougir
وأرجح احمرٌ وَحْمَرٌ وَاحْمَر وجهه تَجَلَّأ (٣) كما جاء في
الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي

(١) (relapsing roseola)

(٢) (Swine — plague)

(٣) (to redden, to blush)

١١٩٣٦ صدّيء 11936 Rouillé , ée

وبلوت الصدا ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من
المعجم الأصلي (١)

١١٩٣٧ تدحرج انبساطي 11937 roulement diastolique

تدحرج انبساطي (القلب) أو دحرجة انبساطية (القلب)
ونفحة انبساطية (القلب) كما جاء في الترجمة الانكليزية
من المعجم الأصلي (٢)

١١٩٣٨ مَغْرَ 11938 Roussir (faire)

مَغْرَ طلاه بالمَغْرَة (٣) ولا أظن أنه المقصود من هذه
اللفظة في هذا المعجم الطبي ، وأرى أن دلالتها على ضرب
من تحضير الأطعمة ولا سيما اللحم ، كما جاء في معجم
كيبه (٤) لذا أرجح حَمَرٌ (٥) وأشاط أو شَيْط (٦)

(١) (rusty - rust coloured)

(٢) (diastolic murmur)

(٣) في لسان العرب : المَغْرَة والمَغْرَة طين أحمر يُصبغُ به ، وثوب

مُغْرٌ مصبوغ بالمَغْرَة

(٤) لفظة (roussir) في معجم كيبه الموسوعي Qmiqillet : dictionnaire

encyclohédique

ومن معانيها تلوين قطعة اللحم في مادة دسمة شديدة الحرارة .

(٥) في المعجم الوسيط : حَمَر اللحم قلاه بالسمن ونحوه حتى احمر (محدثة)

(٦) في لسان العرب : والتشبيط لحمٌ يُصْلَح للقوم ويُسْتَوَى لهم اسم

كالتّمتين والتّشيط مثله . وقال الليث التشيط شيطوطة اللحم إذا مسته النار
يتشيط فيحترق أعلاه

وخص الدقيق بالزبدة كما جاء في الترجمة الانكليزية
من المعجم الأصلي (١)

١١٩٣٩ رُوسي-ليفِي (داء) تَغْيِيف, (maladie de) Roussy - Lévy 11939

وراثي مع إحماء المنعكس dystasie aréflexique héréditaire
والصحيح عُسْر الوقوف الوراثي مع فقد المنعكسات ،
وليس للفظه تَغْيِيف (٢) الدلالة المطلوبة

11940 Routage, facilitation des excitations, frayage fraiement

١١٩٤٠ تسْلِيك ، تسهيل التنبّهات تطريق تمهيد

تيسير مرور السيّلة العصبية، كما جاء في الترجمة الانكليزية
من المعجم الأصلي (٣) ولعلها أفضل

١١٩٤١ مَرَقٌ مُشَيِّط (طبّاخة) Roux (cuisine) 11941

وأفضل مَرَقٌ (أو صلصة) بالزبد (أو السمن)
المُشَيِّط ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم
الأصلي (٤) ولأن التشبيط إنما يحدث في السمن أو اللّحم
لا في المرق

(١) to brown (flour) with butter

(٢) في لسان العرب : تَغْيِيف ، تَبَخَّرَ وتَغْيِيفٌ : مشى مِشْيَةَ الطوّال ،
وقيل تغيف مرّماً سهلاً سريعاً ، وتَغْيِيفُ الفرس إذا انعطف ومال في أحد جانبيه
إلى أن قال : التغيف أن يتثنى ويتمايل في شقّية من سعة الخطو وابن السير

(٣) (facilitation of the passage of a nerve impulse)

(٤) (brown butter sauce)

11944 Rubéfiant , ante ١١٩٤٤ مُحمّر مُورّد

11945 rubéfiants ١١٩٤٥ مُحمرّات

وأرجح مُحمرّ وحدهما في اللفظة الأولى ومُحمّرات الجلد
(أدوية) في الثانية ، كما جاء في الترجمة الألمانية من
المعجم الأصلي^(١)

11946 Rubéole , roséole épidémique

١١٩٤٦ حُميراء ، ورديّة وبائيّة

11947 Rubéoleux , euse ١١٩٤٧ مُصاب بالحُميراء

11948 Rubéliforme ١١٩٤٨ حُميرائي الشكل ، شبيه بالحُميراء

وأرجح حصبة ألمانية (وهو الاسم الشائع)^(٢)
ورديّة وافدة^(٣) في اللفظة الأولى ولأن لفظة حُميراء
شائعة لما يُعرّف بالحصبة . مُصاب بالحصبة الألمانية في
اللفظة الثانية وشبيه بالحصبة الألمانية في اللفظة الثالثة .

11950 Rudiment ١١٩٥٠ مبدأ ، أصل

وأفضل مبدأ وأثر أو بقيّة باقية

11951 Rudimentaire ١١٩٥١ بدئي ، أوّلي

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة بأثرية متخلفة .

فقد جاء في ترجمة (rudimentary form of uterus)

(١) (Hautrotende Mittel)

(٢) في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي : (German measles,)

(rubella

(٣) وسبق للجنة أن ترجمت (épidémie) بجائحة (اللفظة ٥٠٤١)

القرنة الآثارية للرحم وفي الشرح : وهي بَقِيَّةُ القرنة الجنينية ، وفي ترجمة (rudimentary uterus) الرحم المتخلفة وفي الشرح : وهي رَحْمٌ وقف نموها في دَوْر من أدوار تكوُّنِها .

كما وأن لفظة غير متطور تعني كذلك في بعض المواطن كما جاء الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

11953 Rugin , raspatoire ١١٩٥٣ مِسْحَاة ، جارُوف

وأرجح ميكشَط مِجْرَف

11955 Rugueux , euse ١١٩٥٥ خَشِينٌ ، كَرِش

وأرجح خَشِينٌ ، مُتَكَرِشٌ ، جَعِيد

11956 Ruminant ١١٩٥٦ مُجْتَرٌ

11957 Ruminant , ante ١١٩٥٧ مُجْتَرٌ

وأفضل المُجْتَر في اللفظة الأولى ومُجْتَر في الثانية

11959 Rupia ١١٩٥٩ وَسَاخَةٌ

الترجمة صحيحة في معناها الشائع ، إلا أن لها معنى طبيًا إذ تطلق على القروح الجلدية (الأفرنجية في الغالب) التي تعلوها طبقاتٌ من القشور ومنه تشبها بصدفه المحار (٢) ، ولذا أرجح إطلاق صدفه المحار عليها إلى أن نجد لها إسمًا خاصاً .

(٢) (rudimentary , undevelopped)

(٣) لفظة (ruqia) في معجم ستديمان الطبي (Stedman's Medical

Dictionary) وفي معجم كيه (Dictionnaire encyclopédique Quillet)

١١٩٦٠ إنقطاع ، إنشقاق ، تمزق 11960 rupture

وأفضل تمزق ، انقطاع وسبق للجنة أن ترجمت
(Scission) بانشقاق (واللفظة ١٢١٣٥)

11962 rupture des membranes (obs.)

١١٩٦٢ انشقاق الأغشية (قبالة)
وأفضل تمزق الأغشية

١١٩٦٤ ودّرق 11964 rut (en) . en chasse

وودّرق وبها وداق

S

١١٩٧٥ السّاعة الرّمليّة (كشكل) 11975 sablier (en)

وأفضل السّاعة الرّمليّة (على هيئة)

١١٩٧٧ كيس 11977 Sac

وأقر بجمع اللغة العربية في القاهرة : جُرّاب كما أنه
أقر ترجمة (lacrimal sac) بالكيس الدّمعي أيضاً
وسبقت الملاحظة على هذه اللفظة (١)

وأفضل : كيس وكيسة وجيب ، كما جاء في الترجمة الانكليزية
من المعجم الأصلي (٢)

١١٩٧٩ كيس فوق الأم الجافية فو - الأمجافية 11979 sac épidual

وأفضل كيس فوق الأم الجافية فقط

(١) الصفحة ٥٧٩ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) (sac , cyst , pouch)

- ١١٩٨٠ كيس فتقي، كيس صِفاقِي sac herniaire, sac péritonial 11980
وأفضل كيس الفتق ، كيس البريطون (١)
- ١١٩٨١ كيس فتقي سابق التكون sac herniaire préformé 11981
والناهب للفتق ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من
المعجم الأصلي (٢)
- ١١٩٨٨ سُكَّرِي ، مَلْتُوت بِمَسْحُوق السُّكَّر Saccharolé 11988
وأفضل مَمزُوج بِمَسْحُوق السكر (٣)
- ١١٩٨٩ كَيْس (أذن باطِنة) Saccule (oreil interne) 11989
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : جُرَيْب إلا أنه
ترجم (saccular aneurysm) بأنورسما كيسية
(وسبقت الملاحظة على هذه اللفظة) (٤)
- ١١٩٩٣ ألم العجز ، ألم عَجْزِي sacrodynie , douleur sacrale 11993
وأرجح وَجَع عَجْزِي وألم عَجْزِي أو ألم العجز
(للبحث صلة)

(١) الصفحة ٢٥٠ من المجلد الحسین والصفحة ٢٢٨ من المجلد السادس والثلاثين
من هذه المجلة

(٢) (predisposition to hernia)

(٣) في لسان العرب: مَلَتْهُ يَلْتِيهِ مُلْتاً كَمَلَتْهُ أَي زَعَزَعَهُ أَوْ حَرَّكَهُ قَالَ
الأزهري لا أحفظ لأحد من الأئمة في ملت شيئاً وقال ابن دريد في كتابه ملت
الشيء ملْتاً ومَلَتْهُ مُتلاً إذا زَعَزَعْتَهُ وحركته ولا أدري ما صحته .

(٤) الصفحة ٥٧٩ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

داود بن سليمان بن عبد الملك بن مروان
فاتح حصن المرأة ومحاصر القسطنطينية^(١)

الواء الركن محمود شيت خطاب

نسبه وأيامه الأولى :

هو داود بن سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحَكَم بن أبي
العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيٍّ القرشي الأموي^(٢).
أبوه أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك بن مروان . وأمه من أمهات

(١) حصن المرأة : لا ذكر له في المصادر الجغرافية القديمة المتيسرة ،
والظاهر أنه حصن من حصون الروم مما يلي (مَلَطِيَّة) ، انظر الطبري
(٥٤٥/٦) وابن الأثير (٣٦/٥) وابن خلدون (١٥٦/٣) .

(٢) انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٢٢٣/٥) وتهذيب الأسماء واللغات
(٢٠٩/١) وجمهرة أنساب العرب (١٠٣ - ١٠٥) وفوات الوفيات (٣١/٢)
وتهذيب ابن عساكر (٢٠٣/٣) .

الأولاد (١) ، ويريدون بتعبير أمهات الأولاد الجواري والإماء اللواتي ولدن لمواليهن ذكرانا .

تربى تربية أبناء الخلفاء، فوالده سليمان وجده عبد الملك بن مروان وجد أبيه مروان بن الحكم خلفاء ، فلا بد أنه تلقى علوم القرآن والحديث والدين والتاريخ واللغة والأدب على أساطين العلماء في أيامه ، كما تلقى العلوم العسكرية النظرية والعملية على المبرزين في تلك العلوم .

كما مارس الأعمال الإدارية والسياسية والعسكرية عن كثب ، وشهد كيف تعالج أمور الدولة المختلفة وتعطى القرارات في محيط الخلفاء والأمراء والقادة على أعلى المستويات .

ومن الواضح أنه أصبح موضع ثقة والده ، فولاه قيادة بعض الصوائف (٢) وأراد أن يجعله ولي عهد بعد أخيه أيوب الذي توفي قبل أبيه سليمان بن عبد الملك (٣) ، وهذا دليل على أنه أصبح أبرز إخوته بعد وفاة أخيه أيوب ، وأن العلوم النظرية والعملية والتدريب العملي التي تعلمها في أيامه الأولى أثرت كفاياته ، فأصبح قادراً على تحمل المسؤوليات السياسية والإدارية والعسكرية على حد سواء .

لقد كانت أيامه الأولى تعليمياً وتدريباً وتجارب تشابه أُنْداده من أبناء الخلفاء كمسلمة بن عبد الملك ، والعباس بن الوليد بن عبد الملك ، إلى حد كبير (٤) .

(١) العيون والحداثق (٣٤) وانظر تهذيب ابن عساكر (٢٠٣/٣) .

(٢) الصوائف : جمع الصائفة ، وهي الغزوة التي تخرج صيفاً .

(٣) تهذيب ابن عساكر (٢٠٣/٣) .

(٤) انظر سيرة مسلمة بن عبد الملك وسيرة العباس بن الوليد بن عبد الملك .

جهاده :

١ - في سنة سبع وتسعين الهجرية (٧١٥ م) جهّز سليمان بن عبد الملك الجيوش إلى (القسطنطينية) ، واستعمل ابنه داود على الصائفة ، فافتتح حصن (المرأة) (١) .

والظاهر أن داود كان قائد القوات الساترة ، لحماية إعداد الجيوش وحشدّها بالقرب من الحدود الاسلامية الرومية ، ولحرمان الروم من التدخل المباشر أو غير المباشر في عرقلة الإعداد للجيوش تنظيمًا وتجهيزًا وتسليحًا وتقدير إدارية ، ولمنعهم من التأثير المباشر أو غير المباشر في حشدّها استعداداً للتحرك إلى (القسطنطينية) ، لكي يتم الإعداد والحشد حسب الخطة المرسومة .

وكانت منطقة إعداد الجيوش في (دابق) (٢) ، وكانت خطة سليمان ابن عبد الملك في ستر هذه المنطقة وحمايتها لاستكمال متطلبات الإعداد والحشد تتلخص بإرسال الصوائف إلى بلاد الروم شمالاً ، للسيطرة على الحصون التي تقع في منافذ جبال (طورس) الحصينة ، فعملت تلك الصوائف عمل القوات الساترة بأسلوب (التعرض) بالحركة ، لا بأسلوب (الدفاع) المستكن ، وبذلك حققت هدفين في آن واحد : الأول حماية منطقة الإعداد والحشد ، والثاني السيطرة على الحصون الجبلية التي تتحكم في الطرق القريبة المؤدية إلى بلاد المسلمين .

(١) الطبري (٥٢٣/٦) وابن الأثير (٢٠/٥) وابن خلدون (١٥٥/٣) .

(٢) دابق : قرية بقرب مدينة (حلب) ، وهذه القرية من أعمال (اعزاز) بينها وبين (حلب) أربعة فراسخ ، عندها مرج معشب ، كان ينزله بنو مروان إذا غزوا الصائفة ، انظر التذاهيل في معجم البلدان (٣/٤) .

وقد نجحت هذه الخطة نجاحاً كبيراً ، وهي خطة حصيفة بلا مرأى .

٢ - وفي سنة ثمان وتسعين الهجرية (٧١٦ م) غزا داود أرض الروم ، ففتح حصن (المرأة) مما يلي (ملطية)^(١) مرة ثانية^(٢) كما افتتح حصن (الأجرب)^(٣) .

وقد تكرر فتح حصن (المرأة) في هذه السنة ، إذ سبق ذكره في فتوح سنة سبع وتسعين الهجرية ، مما يدل على أن الروم استعادوه في شتاء سنة سبع وتسعين الهجرية ، لقلة المدافعين عنه وهو الأرجح ، أو لانسحاب داود منه بعد فتحه صيفاً ، واحتمال الانسحاب منه ضعيف ، لأن المسلمين لا ينسحبون من موقع فتحوه إلا لأسباب قاهرة .

وكان إعادة فتح هذين الحصنين في هذه السنة ، هو لتأمين خطوط الجيوش الاسلامية الزاحفة لفتح (القسطنطينية) ، لأنها الشريان الرئيس لتقدم تلك الجيوش نحو هدفها ، وهي التي تصل قواعد المسلمين الأمامية بالقسطنطينية ، وعليها تتحرك الإمدادات الإدارية والبشرية من تلك القواعد

(١) ملطية : بلدة من بلاد الروم مشهورة تتاخم أرض الشام شمالاً ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٥٠/٨) وتقويم البلدان (٣٨٤) والمسالك والممالك للاصطخري (٤٦) .

(٢) الطبري (٥٤٥/٦) وابن الأثير (٣٦/٥) وابن خلدون (١٥٦/٣) والنجوم الزاهرة (٢٣٦/١) وتهذيب ابن عساكر (٢٠٣/٣) .

(٣) تهذيب ابن عساكر (٢٠٣/٣) ، ولا ذكر لحصن الأجرب في المصادر الجغرافية القديمة ، ومن المحتمل أن يكون حصناً صغيراً في منطقة (ملطية) بالقرب من حصن المرأة .

الأمامية إلى الجيوش الزاحفة ، وكل قائد لا بدّ له من تأمين خطوط مواصلاته بالربايا في المناطق الجبلية والحصون .

والظاهر أن داود استعاد حصن (المرأة) وفتح حصن (الأجرب) في طريقه إلى (القسطنطينية) ، فقد كان قائد أحد الأرتال المتقدمة لفتح عاصمة الروم ، بصحبة عمه مسلمة بن عبد الملك الذي تولى القيادة العامة سنة ثمان وتسعين الهجرية ^(١) .

٣ - وكان داود بإمرة عمه مسلمة قائداً مروّوساً في ملحمة حصار (القسطنطينية) ، وبقي معه من صيف سنة ثمان وتسعين الهجرية (٧١٦م) حتى تم انسحاب مسلمة من (القسطنطينية) بعد وفاة سليمان بن عبد الملك سنة تسع وتسعين الهجرية ^(٢) (٧١٧م) وتولى عمر بن عبد العزيز الخلافة ، فأمر عمر بالقول منها بمن معه من المسلمين ^(٣) ، بعد أن بقي المسلمون محاصرون (القسطنطينية) ثلاثين شهراً ^(٤) .

(١) الطبري (٥٣٠/٦) وابن الأثير (٢٧/٥) والبداية والنهاية (١٧٤/٩) وأبو الفدا (٢٠٠/١) والعبر (١١٦/١) وابن خلدون (١٥٥/٣) ومختصر تاريخ الدول لابن العبري (١١٤) .

(٢) الطبري (٥٤٦/٦) وابن الأثير (٣٧/٥) والعبر (١١٨/١) والمسعودي (١٨٢/٣) وشذرات الذهب (١١٦/١) والعيون والحدائق (٣٣) والتنبيه والإشراف (٢٧٥) .

(٣) الطبري (٥٥٣/٦) وانظر ابن الأثير (٤٣/٥) والعيون والحدائق (٣٩) وسيرة عمر بن عبد العزيز (٣٢) والمعارف (٣٦٠) والبداية والنهاية (٣٢٨/٩) وتاريخ خليفة بن خياط (٣٢٦/١) .

(٤) البدء والتاريخ (٤٤/٦) .

وكان سليمان بن عبد الملك قد أرسل ولده داود مع مسلمة إلى (القسطنطينية) ^(١) وبقي معه إلى نهاية الحملة .

وهكذا أدى داود واجبه قائداً فاتحاً ، ومحاصراً لعاصمة الروم ، وكان في الحصار الرجل الثاني على الجيوش الإسلامية بعد عمه مسلمة بن عبد الملك ^(٢) .

الإنسان :

كان لسليمان بن عبد الملك أربعة عشر ذكراً ^(٣) ، منهم أيوب أمه أم أبان بنت خالد بن الحكم بن أبي العاص ، ويحيى وعبيد الله ^(٤) أمها عائشة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان ، ويزيد والقاسم وسعيد أمهم أم يزيد بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وعبد الواحد وعبد العزيز أمهم أم عمرو بنت عبد الله بن أسيد ، وداود ومحمد وعمر وعبد الرحمن لأمهات أولاد شتى ، والحارث لأم ولد وفي أيوب يقول جرير :

إن الإمام الذي تروجتي فواضيله
بعد الإمام ولي العهد أيوب
وقد مات أيوب في حياة أبيه . وأما محمد فكان صاحب لهو وباطل ، أدرك الوليد بن يزيد . وأما عبد الواحد فولاه مروان بن محمد المدينة وقتله صالح بن علي بن عبد الله بن العباس وأخذ ماله ، وفيه يقول ابن هرمة :

(١) العيون والحداثق (٣٨) وانظر الطبري (٥٥٠ ، ٦) وابن الأثير (٣٩ / ٥) وتهذيب ابن عساكر (٢٠٣ / ٣) .

(٢) انظر حصار القسطنطينية في : سيرة مسلمة بن عبد الملك .

(٣) العيون والحداثق (٣٤) .

(٤) في العيون والحداثق (٣٤) : عبد الله .

إِذَا قِيلَ مَنْ خَيْرُ مَنْ يُرْتَجَى الْمُعْتَرِّ فِيهِ وَ مُحْتَاجِيهَا
وَمَنْ يُعْجِلُ الْحِيلَ يَوْمَ الْوَعَى بِالْجَنَامِ قَبْلَ إِسْرَاجِهَا
أَشَارَتْ نِسَاءُ بَنِي كَمَالِكٍ إِلَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ وَاجِيَهَا

وأما عبد الرحمن فمات وهو شاب ، وأما الحارث فكان من رجالهم
جَلَدًا وَ ذِكْرًا ، وأما يزيد فمات قبل تولي العباسيين (١) .

وأما داود ، فقد كان أبرز إخوته بعد أيوب ، لأن والده أراد
أن يعهد إليه ليتولى الخلافة من بعده ، على الرغم من أنه ابن أمة ، وكانوا
يكرهون ذلك ولا يولّون إلا ابن حُرَّة (٢) ، كما هو معروف في تقاليد
بني أمية .

فقد ذكر رجاء بن حيوة ، وكان من أعبد ، وهو رجل من
أهل (الأردن) كان موصوفاً بالحكمة والشدة ، مرضياً في دينه وأمانته ،
وكانت ملوك بني أمية تثق به لفضله وشرف نفسه (٣) - أن سليمان بن
عبد الملك مريضاً مرضاً شديداً ، فلما ثقل عهده ، في كتاب كتبه ، لبعض
بنيه وهو غلام ولم يبلغ ، فدخل عليه رجاء وقال : « ما تصنع يا أمير
المؤمنين ! إنه مما يحفظ الخليفة في قبره أن يستخلف على المسلمين الرجل
الصالح » ، فقال سليمان : « أنا أستخير الله وأنظر فيه » ، ولم أعزم عليه ،
فمكث يوماً أو يومين ، ثم خرّقه . ودعا سليمان رجاء فقال له : « ماترى

(١) العيون والحدائق (٣٤ - ٣٥) وانظر جمهرة أنساب العرب (٩٠ - ٩١)

(٢) تهذيب ابن عساكر (٢٠٣/٣) .

(٣) العيون والحدائق (٣٨) والبداية والنهاية (١٨١/٩ - ١٨٢) .

في داود بن سليمان ؟ ، ، فقال رجاء : « هو غائب عنك بالقسطنطينية ، ولا تدري أحي هو أم ميت » ، فقال : « فمن ترى ؟ » ، فأجابه رجاء : « رأيتك يا أمير المؤمنين ! » ، فقال سليمان : « كيف ترى في عمر بن عبد العزيز ؟ » ، فقال : « أعلمه » ، والله ، خيراً فاضلاً مسلماً ، فقال سليمان : هو ، والله ، على ذلك ، ولئن وليته ولم أول أحداً سواه ، لتكونن فتنة ولا يتركونه أبداً يلي عليهم إلا أن يجعل أحدهم بعده . فامر سليمان أن يجعل يزيد بن عبد الملك بعد عمر (١) .

وقد كان الناس يقولون عن سليمان بن عبد الملك : « سليمان مفتاح الخير » (٢) ، فلا يمكن أن يفكر في تولية داود الخلافة من بعده وهو على فراش الموت ، إلا إذا وجد فيه مزايا وكفاية وعقلاً وديناً .

ولم يرد له ذكر في الخلافات والفتن التي تفجرت في داخل بني أمية ، ففرقت صفوفهم وجعلتهم شيعاً ، فكان ذلك سبباً من أهم أسباب انتقال الخلافة منهم إلى بني العباس ، كما لم يرد له ذكر في تولي المناصب الإدارية والقيادية ، منذ عودته من حصار (القسطنطينية) حتى قتل سنة اثنتين وثلاثين ومئة الهجرية (٧٤٩ م) يوم نهر (أبي فطرس) (٣) . فقد

(١) الطبري (٥٥٠/٦) وابن الأثير (٣٩/٥) والعيون والحدائق (٣٨) وانظر تهذيب ابن عساكر (٢٠٣/٣) وابن خلدون (١٦١/٣) .

(٢) الطبري (٥٤٦/٦) وابن الأثير (٣٧/٥) والعيون والحدائق (١٧) .

(٣) جمهرة أنساب العرب (٩١) وتهذيب ابن عساكر (٢٠٣/٣) . ونهر أبي فطرس : موضع قرب مدينة (الرملة) من أرض فلسطين ، على اثني عشر ميلاً من (الرملة) في سمت الشمال ، وخرجه من أعين في الجبل المتصل بمدينة (نابلس) وينصب في البحر بين مدينتي (أرسوف) و (يافا) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٣٣/٨) .

تتبع عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس عم السفاح أول خلفاء
العباسيين - بني أمية من أولاد الخلفاء وغيرهم ، فأخذهم ولم يفلت منهم
إلا رضيع أو من هرب إلى الأندلس ، فقتلهم بنهر (أبي فطرُس ،
فلما فرغ منهم قال :

فكيف لي منكم بالأول الماضي	بني أمية قد أفنيت جمعكم
عوضتكم من لظاها شر معتاض	يطيب النفس أن النار تجمعكم
بليت غاب إلى الأعداء نهاض	منيتكم لا أقال الله عثرتم
منيت منكم بما ربي به راض (١)	إن كان غيظي لفوت منكم فلقد

فإذا صح أن عبد الله العباسي قال هذا الشعر أو لم يقله ، فالأمر
سيئان في رأيي ، لأنه أفرط في إبادة بني أمية ، لا فرق بين مذنب وبريء ،
فاحترق الأخضر واليابس ، وقتل الصالح والطالح ، وخسر المسلمون خير
قاداتهم وإداريهم ورجال دولتهم دون مسوِّغ .

وعلى الرغم من حمامات الدم التي لطخ قسم من العباسيين أيديهم بها ،
وعلى الرغم من الإرهاب الشنيع الذي مارسه هؤلاء دون شفقة ولا رحمة ،
فقد ارتفعت أصوات شجاعة في رثاء قتلى بني أمية ، ولا جدال في أن
الشعر الذي قيل في رثائهم كان شعراً صادقاً ، لأنه لا نوال يُرجى من بني
أمية ولا زلفى ، بعد أن دالت دولتهم ، وأصبحوا أحاديث للناس وتاريخاً .

قال إبراهيم مولى قائد العَبَّاسِيِّين يرثيهم :

(١) ابن الأثير (٤٣٠/٥ - ٤٣١ :) . وانظر معجم البلدان (٣٣٣/٨) .

أفاضَ المدامعَ قَتَلَى كُدَى (١) وقتلى بكُثْوَة (٢) لم تُرْمَسِ
 وقَتَلَى بِيوَجَ (٣) وباللَابَتَيْنِ (٤) بيشرب (٥) هم خيرُ ما أنفُسِ
 وبالزَابِيَيْنِ (٦) نفوسُ ثَوَتْ وأخرى بنهر أبي فُطْرُوسِ
 أولئك قومُ أناخت بهم نوائبُ من زمنٍ متعسِ
 إذا ركبوا زَيَّنوا المركبين وإن جلسوا زينة المجلسِ

(١) كدى : وردت في معجم البلدان : كُدَى ، ومفتوحة الكاف هي : كداء ، موضع بمكة المكرمة عند (ذي طوى) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٢٠/٧ - ٢٢٣) .

(٢) كُثْوَة : ورد ذكرها في معجم البلدان (٢١٨/٧) دون أن يذكر مكانها .

(٣) وَجَ : هي مدينة الطائف في الحجاز ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٩٩/٨ - ٤٠٠)

(٤) اللابتان : ثنية (لابة) وهي الحرة ، وجمعها : لاب : وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم حرّم ما بين لابتيها : يعني المدينة المنورة ، لأنها بين الحرتين . واللابة لغة : الأرض التي ألبستها الحجارة السود ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٠٨/٧ - ٣٠٩) .

(٥) يثرب : مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٩٨/٨ - ٤٩٩) ، وهي المدينة المنورة التي فيها مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقبره الشريف .

(٦) الزاب : نهر معروف في العراق الشمالي الشرقي ، وهما زابان : الزاب الأعلى ، والزاب الأسفل ، وربما قيل لكل واحد من نهرَي الزاب : زابى ، والتثنية : زابيان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٣/٤ - ٣٦٤) والمشارك وضعاً والمفترق صقلاً (٢٢٩ - ٢٣٠) .

مُ أَضْرَعُونِي لِرَيْبِ الزَّيْمَاتِ وَهُمْ أَلْصَقُوا الرَّغْمَ ^(١) بِالْمَعْطَسِ
فَمَا أَنَسَ لَا أَنَسَ قَتْلَاهُمْ وَلَا عَاشَ بَعْدَهُمْ مَنْ نَسِي ^(٢)
وقال :

أَبْكِي عَلَى فَيْتِيَةٍ رُزِئَتْهُمْ مَا إِنْ لَهُمْ فِي الرِّجَالِ مِنْ خَلْفِ
نَهْرِ أَبِي فُطْرُسَ حَمَلَتْهُمْ وَصَبَّحُوا الزَّابِيْنَ لِلتَّلَفِ
أَشْكُو إِلَى اللَّهِ مَا بُلِيتُ بِهِ مِنْ فَقْدِ تِلْكَ الْوُجُوهِ وَالشَّرَفِ ^(٣)
وقال :

بَكَيْتُ وَمَاذَا يَرُدُّ الْبَيْكَا وَقَدْ الْبُكَاءُ لِقَتْلَى كُودَا
أَصِيبُوا مَعًا فَتَوَلَّوْا مَعًا كَذَلِكَ كَانُوا مَعًا فِي رَحَا
بَكَتْ لَهُمُ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَنَاحَتْ عَلَيْهِمْ نَجْمُ السَّمَاءِ
وَكَانُوا ضِيَائِي فَلَمَّا انْقَضَى زَمَانِي بِقَوْمِي تَوَلَّى الضِّيَاءُ ^(٤)

ولا يمكن أن يصدر مثل هذا الشعر الصادق إلا في رثاء من ظلم، لا في رثاء من ظلم ، وكان داود من ظلم حقاً ومعه من أنداده وآل بيته كثير ، إذ لم يشهد الاقتتال في الصراع على الملك بين الأمويين والعباسيين ، كما أن يوم نهر (أبي فطرس) كان بين قوتين غير متكافئتين: جماعة من بني أمية عزّل من السلاح ، وقوة مدبجة بالسلاح من بني العباس وجيشهم ، وأكثر الأمويين في تلك المنطقة كانوا ممن اعتزلوا الاقتتال .

(١) الرغم : الكرم والذل والهوان ، يقال : فعله على رغه .

(٢) معجم البلدان (٣٠٩/٧) و (٣٣٣/٨)

(٣) معجم البلدان (٣٣٤/٨)

(٤) معجم البلدان (٢٢٣/٧)

وما هكذا كان العرب يقاتلون ، ولا بذلك نصت تعاليم القتال في الاسلام .

وهذا الذي أوردته من شعر في الرثاء لقسم من الذين ظلموا بغير حق من بني أمية ، هو جزء يسير مما قاله شاعر واحد في رثاء هؤلاء المظلومين بعد أن أصبحوا رجالاً بلا غدر ولا سلطة ولا مال ، فما بالك بما قاله الشعراء الآخرون الذين رثوا المظلومين من بني أمية ، وهم عدد ضخم من الشعراء ، عاش شعر بعضهم وطوت الأيام شعر الأكثرين ، لم ينجشوا السلطة الغاشمة ، ولم يخافوا الوعيد والسجون والقتل والتشريد ، بل عبثوا عن شعورهم بشجاعة وصدق وأمانة .

ولم يقتصر رثاء المظلومين من بني أمية على الشعراء وحدهم ، بل شمل غيرهم من الأدباء والعلماء وأفراد الشعب العربي ، وقد عبّر كل واحد منهم بطريقة وأسلوبه ، ولكن معظم هذا الرثاء دُمِّر كما دُمِّر بنو أمية وأبید كما أبیدوا .

وهذا إن دل على شيء ، فإنه يدل على ما حاق بالأبرياء من بني أمية من ظلم شنيع .

ولعل داود كان من جملة المظلومين ، فلم يحدثنا التاريخ أنه شارك في الاقتتال بقلبه أو بلسانه أو بسيفه ، فلماذا يقتل وترمى جثته في الطرقات ؟ لقد ذكرنا أنه بدأ حياته العملية في الجهاد سنة سبع وتسعين هجرية (٧١٥ م) ، وأنه قُتل سنة اثنتين وثلاثين ومئة الهجرية (٧٤٩ م) . واعتيادياً تبدأ الحياة العملية لأبناء الخلفاء وأضرابهم في العشرين من سني حياتهم ، تزيد قليلاً أو تنقص قليلاً ، ومعنى ذلك أنه ولد سنة سبع وسبعين

الهجرية (٦٩٦ م) تقريباً، أي أنه عاش خمساً وخمسين سنة قمرية وثلاثاً وخمسين سنة شمسية .

القائد :

١ - لم يشهد داود غير غزوتين تمهيديتين لحصار (القسطنطينية) : الأولى لستر إعداد الجيوش وحمايتها بأسلوب التعرض بالحركة لا بأسلوب الدفاع المستكن ، والثانية بقيادة جيش من جيوش المسلمين في مرحلة : مسير الاقتراب ، لتطهير الجيوب الثابتة للعدو، وتأمين خطوط مواصلات الجيوش. فلما انتهت مرحلة : مسير الاقتراب ، ووصلت جيوش المسلمين إلى (القسطنطينية) ، بدأت مرحلة حصار هذه المدينة ، فشهد الحصار منذ بدايته حتى نهايته ، وكان في هذه المرحلة الساعد الأيمن لعمه مسلمة بن عبد الملك القائد العام للجيوش الاسلامية في مرحلة الحصار ، وكان الرجل الثاني في تسلسل القيادة بعد مسلمة ، فكانت هذه الغزوة هي الثالثة من غزواته قائداً .

٢ - وتدل الغزوة الأولى لداود : غزوة فتح حصن (المرأة) ، أنه كان قائداً (تعرضياً) ، فقد قام بواجب القِطْعِ الساترة لجيوش المسلمين التي يجري إعدادها في القاعدة الأمامية (دابق) ، ولكن بأسلوب جديد يتخذ (التعرض) بدلاً عن (الدفاع) ، فيستر قوات المسلمين ويحميها ، ويحرم الروم من الحصول على المعلومات عن نيات المسلمين وتدابيرهم العسكرية ، ويسيطر على الطرق القريبة التي تقود الروم إلى قاعدة المسلمين الأمامية بفتح الحصن الرومي الذي يسيطر على تلك الطرق .

ونستنتج من ذلك بعض مزايا داود القيادية ، فهو يتسم ببداً (التعرض)

من أهم مبادئ الحرب ، ويؤدي واجبه بأسلوب تعبوي جديد ، إذ المفروض أن واجب (السيتار) يتم بالدفاع أمام الموضع الأصلي بمسافة كافية تمنع العدو من التصدي لذلك الموضع بالنار والنظر ، ولكنه أدى هذا الواجب بالتعرض لا بالدفاع ، وهذا أسلوب جديد في التعبئة . وهو قدير في ممارسة الحروب الجبلية التي تتطلب كفاية قيادية عالية ، وهو قادر على التصدي للحصون المنيعه وقادر على فتحها .

وكل هذه القابليات من صفات القائد المتميز .

٣ - وتدل الغزوة الثانية لداود : غزوة استعادة فتح حصن (المرأة) ، وقيادة رتل من أرتال المسلمين الزاحفة لفتح (القسطنطينية) في مرحلة مسير الاقتراب ، أن داود كان يتسم بالحذر والحيلة ، فيحمي جيشه في مسيرته بالربابا عند اجتياز المناطق الجبلية ، وبقيطع الحماية : الميمنة والميسرة والمؤخرة والمقدمة في حركته على المناطق المكشوفة ، ويحتمي طرق مواصلاته بالسيطرة على المراكز الحصينة التي تتحكم في تلك الطرق ، ويحسب لكل شيء حسابه فلا يفسح المجال للعدو أن يهدد طرق المواصلات بالغارات أو بحرب العصابات .

والحذر والحيلة وإدخال أسوأ الاحتمالات في الحساب ، من صفات القائد المتميز أيضاً .

٤ - وتدل الغزوة الثالثة لداود : غزوة حصار (القسطنطينية) ، أنه كان قائداً يتحلى بالضبط المتين ، لأن العرب لا تصبر على الحصار المديد ، كما لا تصبر على البرد الشديد ، وقد عانى المحاصرون ظروفاً قاسية :

النار اليونانية ، وقلة الزاد ، والخسائر الفادحة بالأرواح ، وانحيار المعنويات ، وكل هذه المعضلات تحتاج إلى قائد مسيطر قادر ، يحول دون تسرب المقاتلين من ساحة المعركة إلى مكان آمن بعيد عن الأخطار .

كما أن ثباته العنيد مدة ثلاثين شهراً ، يدل على تمتعه بالشجاعة والإقدام ، وتحمله الأهوال والصعاب .

وقد دارت معارك طاحنة بين الطرفين فتحمل مسؤولية القتال وصبر وصابر ، مما يدل على اتقانه القضايا التعبوية بكفاية وإتقان .

كما صادفته مشاكل إدارية قاسية ، فعالج تلك المشاكل وتغلب عليها ، مما يدل على قابليته في حل المشاكل الإدارية .

وصادف مشاكل تردّي المعنويات ، فقاوم هذا التردّي بأناة وصبر ، مما يدل على تمتعه بالمعنويات العالية ، فبقي مع الجيوش الإسلامية المحاصرة وكان بإمكانه الانتحاق بوالده في (دابق) حيث الأمن والرخاء .

كما شارك في قيادة انسحاب الجيوش الإسلامية من (القسطنطينية) إلى قواعد المسلمين ، مما يدل على قابليته التعبوية ومقدرته على تحمل المشاق .

ومن المعروف أن القائد المتميز هو الذي ينجح في قيادة معركة الانسحاب ، التي تعد بحق من أصعب صفحات القتال ، لأن الانسحاب يؤثر في معنويات المنسحبين ، كما يبذل العدو قصارى جهده ويزج بكل طاقاته في المطاردة محاولاً جعل الانسحاب الذي هو أحد صفحات القتال هزيمة تحطم المعنويات وتكبد المهزمين أفدح الخسائر .

لذلك كان نجاح القائد في السيطرة على الانسحاب ، وإحباط محاولات

العدو لقلبه إلى هزيمة ، يحظى ولا يزال بأعظم التقدير ، ويعتبر اختباراً صعباً للقيادة القادرة .

تلك هي صفات داود القيادية التي يمكن استنتاجها في غزواته الثلاث، وهي بدون شك ثقيلة الوزن بالنسبة لجميع الموازين .

٥ - وبالإمكان إضافة صفة أخرى إلى تلك الصفات ، وهي أن داود كان راسخ العقيدة ، فبقي ثلاثين شهراً في أحلك الظروف والأحوال ثابتاً لا يتزعزع . وأصحاب العقيدة الراسخة وحدهم يصبرون على البأساء والضراء وحين البأس ، فهي وحدها تهوّن الصعاب وتذل العقبات .

كما أن أصحاب العقيدة الراسخة يجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، ويضحون بها وهما أغلى ما يحرص عليه الإنسان ، وغيرهم يضحون بكل شيء حرصاً على أموالهم وأنفسهم ، وكل أمر في سبيل العقيدة الراسخة يهون .

ولقد كانت انتصارات المسلمين الأوائل في أيام الفتح الإسلامي العظيم، انتصارات عقيدة ، لأمراء .

٦ - ونستطيع أن نتبين بجلاء أن مزيتين من مزايا القائد المتميز الثلاث ، وهي : الطبع الموهوب ، والعلم المكتسب ، والتجربة العملية، باديتان للعيان بوضوح ، وهما المزية الثانية والمزية الثالثة .

أما المزية الأولى ، وهي الطبع الموهوب ، فمن الصعب أن نتلمسها في شخصيته القيادية ، فهو لم يتحمل مسؤولية قيادة كبرى ، ولم يمارس القيادة بعد عودته من (القسطنطينية) ، ولا نعرف سبباً لتخليه عن ساحات القتال .

ولست أشك في أن والده أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك ، لم يوله القيادة لأنه ولده حسب ، بل لأن فيه مزايا قيادية معينة أهلته لتولي القيادة ، فقد كان لسليمان أربعة عشر ولداً من الذكور ، لم يتسلم منهم منصب القيادة غير داود ، كما يدل ذلك على أن داود له ميل طبيعي لتولي قيادة الجيوش وله رغبة في القضايا العسكرية .

ولكن مزايا داود القيادية وميله ورغبته في النهوض بأعبائها ، ليس كل شيء في إثبات تحليه بسجية : الطبع الموهوب ، فالقيادة الموهوبة تركوا بصماتهم على الأحداث الكبرى فتوحاً باقية وانتصارات خالدة . ولم يترك داود مثل تلك الفتوح والانتصارات .

وإذا جعلنا قادة بني أمية طبقات ، وجعلنا أمثال قتيبة بن مسلم الباهلي ومحمد بن القاسم الثقفي من قادة المشرق الاسلامي ، وعقبة بن نافع الفهري وموسى بن نصير وطارق بن زياد من قادة المغرب العربي ، في قائمة الطبقة الأولى ، والعباس بن الوليد بن عبد الملك ومعاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان في قائمة الطبقة الثانية ، فإن داود وأضرابه يصبح في قائمة الطبقة الثالثة .

وحسبه بهذا التقويم فخراً .

داود في التاريخ :

يذكر التاريخ لداود عزوفه عن تولي الخلافة ونصحه الصادق الأمين للخلفاء وذوي السلطان ،

ويذكر له أنه كان يعتبر المناصب العالية تكليفاً لا تشريفاً ، فلم

يسع لتولي منصب القيادة ، بل سمي المنصب إليه ، فتولاه بكفاياته لا بنسبه .
ويذكر له أنه لم يشارك في الفتن الداخلية ولا انضم إلى الطامعين
بالسلطة والحكم ، فاعتزل الفتن ، ولم يثرها بقلبه ولسانه وسيفه .
ويذكر له جهاده التمهيدي لفتح (القسطنطينية) ومشاركته المؤثرة
في حصارها ، وتحمله الأهوال صابراً محتسباً .
ويذكر له أنه قتل مظلوماً ، فاحترق بنار فتنة لم يكن من دعائها .
يرحمه الله جزاء ما قدم للمسلمين من جهد وجهاد .

بغداد

محمود شيت خطاب

اللغة العربية خلال ربع قرن

في ميدان التسليم والتعليم

الأزمة وعللها الأوائل - اقتراحات أساسية لمعالجتها (*)

الدكتور شكري فيصل

مقدمات

١ - المقدمة الأولى :

آثرت أن أضيف إلى العنوان المقترح : (اللغة العربية خلال ربع قرن) وهو عنوان عريض حقاً ، هذه الإضافة الصغيرة : (في ميدان التعلم والتعليم) حرصاً على تحديد ساحة الندوة ، وتجنباً لمواجهة الأبعاد الكثيرة الأخرى للموضوع .. ذلك أن اللغة في مجتمعنا العربي المعاصر تؤلف قضية من أخطر قضاياها وأكبرها :

١ - إنها هذه القضية التي تمتد على رقعة الوطن العربي كله ، ويكون لها - على وحدة اللغة العربية - في كل بلد لونٌ من ألوان التجربة ، وشكل من أشكال المعاناة ، ومظهر من مظاهر الأزمة .

* أقام اتحاد بجامع اللغة العربية ندوته هذا العام في عمان بدعوة من مجمع اللغة العربية الأردني، وذلك في الأيام ١٠/٣١ - ١١/٤ ٩٧٨ وكان موضوعها الذي دعي عدد من الخبراء لمعالجته: « اللغة العربية خلال الربع الأخير من هذا القرن ». والبحث ، هذا ، أحد الأبحاث التي أعدت لهذه الندوة .

٢ - ثم هي هذه القضية التي تمتد على تاريخ الوطن العربي في ماضيه البعيد ، وفي ماضيه القريب ، وفي حاضره المائل ، وفي مستقبله المأمول . والتفكير في اللغة العربية موصول بهذه الأزمنة كلها معقود بها ، لا يكاد ينفصل ما بين قضاياها وبين هذه الأزمنة كلها مجتمعة أو منفردة . . . وأنت لا تكاد تفكر في أمر من أمور اللغة دون أن تجد نفسك مشدوداً بخيوط إلى الماضي مرات ، وخطوط إلى الحاضر والمستقبل مرات آخر .

٣ - هذا إلى أنها ، هذه اللغة ، تجاوز أن تكون قضية من قضايا الذاتية التي نستطيع أن نتصرف بها على النحو الذي نشاء إلى أن تكون قضية من قضايا التي تجاوز حدودنا لتتشابك مع صلاتها باللغات الأخرى في هذه المحاولة المزدوجة : مجابهة تحدي اللغات الأجنبية لصدء أخطارها ، ومحاولة التفاعل معها لمواكبتها في التقدم .

٤ - ويبقى بعد هذا أن اللغة - بما هي الطريق لا اكتساب المعرفة وتوصيلها ، والعمل على إغنائها ، وإشاعة القيم الفاضلة وترسيخها - اللغة بما هي ذلك كله تعتبر الوسيلة الأولى للبناء الحضاري من بين أدوات هذا البناء . . . ولذلك فهي تخالط في المجتمع جزئياته وكياناته ، مناسط الأفراد ومناسط الجماعات ، معاناته في الشؤون المادية ومعاناته في الشؤون المعنوية .

٥ - فإذا ذكرنا بعد هذا كله أننا ، ونحن نواجه معركة الوجود العربي أو غيابه ، بقاء العرب أو فناءهم ، لانجد - بعد أن عصف بنا التفروق واستبدت بنا الأهواء - ما نعتصم به ونرتكز عليه وننطلق منه إلا هذه اللغة ، بكتابتها المجيد وتراثها الغني وقدراتها الكامنة . . . إذا ذكرنا هذا أدركنا أن موضوع اللغة العربية يداخل تفكيرنا كله وعملنا كله ووجودنا كله ، حيث انجبت بنا الطرق أو توازعتنا الجهود .

هذه الآفاق العريضة للغة وهذا التشابك بينها وبين قضايا الفكر والمجتمع كلها ، اقتضت هذه الإضافة على العنوان . وأنا أقدر أمرين اثنين لاشك فيهما : أولهما : أن هذه الإضافة هي في أذهان القائمين على الندوة لاشك . وإثما آثروا — في شيء كثير من التقدير للمشاركين — أن يتركوا لهم اختيار النحو الذي يختارون من هذه الأنحاء الكثيرة .

والآخر : أن قضية اللغة العربية من الاتساع والتشابك بحيث يسكاد يتمذر فعلاً أن يظل الباحث في نجوة من هذا التشابك في المعالجة .. وإلا فكيف يستطيع امرؤ أن ينظر إلى واقع اللغة العربية اليوم من دون أن يتحدث عن الغزو اللغوي الأجنبي ، وهل هنالك من يملك الحديث عن اللغة في مرحلة التعليم الجامعي دون أن يتحدث عن قضايا المصطلح في فروع المعرفة كلها ؟ .

ومع ذلك فنحن لا نملك إلا أن نأخذ أنفسنا بشيء من التحديد حتى لا ينتشر علينا الأمر وحتى لا تتسع الساحة ، فلانملك أن نحدد البصر في بعض أجزائها .

ومن هذا كله آثرت أن تكون حدود هذا البحث محصورة — بالقدر الذي 'يمكن' لي من ذلك — في تعاليم اللغة وفي تعليمها ، وما يتصل بالتعليم والتعليم من قضايا ومشكلات .

٢ - المقدمة الثانية :

في معالجة مثل هذه الموضوعات نجد أننا أمام أصوليين اثنين : أحدهما : أن يكون لهذه المعالجة مخطط مسبق يتناول الكليات والجزئيات التي يتقاسمها الباحثون ،

والآخر : أن يكون لها هذه الصفة المفوية أو الحرة التي تنأى عن التصورات المسبقة والتقسيمات النظرية التي يمارسها منظِّرون قد لا يملكون الإحاطة بالقضية من أقطارها كلها ، أو يستبد بهم جانب من جوانبها .. ولذلك تأتي تصوراتهم وافتراساتهم وتقسيماتهم وكأنها نتجدة من حرية البحث في تشققه وتفتحه وامتداد آفاقه ، وتكبت منه بعض منازعه وتطلعاته .

وفي هذا الأسلوب الثاني تكون الدراسات المختلفة التي يقدمها الباحثون - نتيجة لمعاناتهم الشخصية وتجاربهم الذاتية ورؤيتهم للواقع ورؤاهم لإصلاحه - هي التي تقود إلى اكتشاف الخطة النظرية والحلول العملية في آن

الأسلوب الأول يقوم على نظرات سابقة ترسم خريطة الموضوع وتضع الباحث في مكان محدد من هذه الخريطة لا يتجاوزه أو لا يملك أن يتجاوزه .. على حين يريد الأسلوب الثاني أن يستفيد من جملة الأبحاث لرسم خريطة الموضوع ، في قضاياها وفي نشدان الحلول لهذه القضايا من خلال هذه الأبحاث .

ويبدو أن الندوة آثرت هذا الأسلوب الثاني .. وهي لاشك ستنتهي - أو يجب أن تنتهي - من خلال التعدد إلى الوحدة أو ما يقترب من الوحدة ، ومن خلال الأفكار الجزئية المتناثرة إلى فكرة كلية لها أولياتها وتسلسل أجزائها ، ومن خلال العروض الخاصة التي تحددها ظروف البلد العربي الواحد إلى التصور المشترك بين مجموعة البلاد العربية ، ومن المشاكل المتداخلة المعقدة إلى تصنيفها الذي يذهب بتداخلها ، وبسطها الذي يذهب بتعقيدها ، وحلولها التي تذوّب معنى المشكلة فيها .

٣ - المقدمة الثالثة :

كان يحس الباحث - وهو يطرق الموضوع - حاجته إلى بعض

الأعمال المبدئية التي يستند إليها ويقبس برهانه منها .. ومثل هذه الأعمال تقتضي جهداً لا بد من التعاون عليه بين فريق من أصحاب هذا البحث .. ولعلنا كنا في حاجة إلى بعض الاستبيانات لطرحها وندرس إجاباتها ، وإلى بعض الوثائق تعيننا على تصور ما كان ومقارنته بما هو كائن ونسبته إلى الذي يجب أن يكون .

كان يكون ذلك ، أو بعض ذلك ، أمراً ضرورياً في هذا .. ولكن من المؤكد أن قضايانا العربية ، في تعلمها وتعليمها ، خلال هذه العقود الثلاثة الأخيرة ، من الوضوح والشيوع بحيث يستطيع الباحث الذي يعاني هذه القضايا أن يطمئن إلى أن ما يقوله يحمل براهينه .. إننا لانعالج قضية جديدة ، وإنما هي قضية متجددة .. ولا نبحت في أزمة مجهولة المصادر والموارد ، وإنما هي أزمة نواجهها حيث كانت وجهتنا .. فللقاها في البيت والشارع ، وفي المدرسة والجامعة ، وفي الجريدة والمجلة ، وتتصل بها في كل ساعة مُصباحين ومُسمين ، وندير حولها حديثاً صامتاً بيننا وبين أنفسنا ، وحواراً حاداً أو هادئاً بيننا وبين إخواننا وزملائنا .. فليس هنالك في الأمر خفاء يقتضي الاستبيان أو التبيين .. وإنما هو العمل على العلاج الذي يقتضي التبيين .

نحو الموضوع :

إن هذه المقدمات الثلاث بين يدي البحث ليست ملكاً لهذا البحث وحده وإنما ستكون حظاً مشتركاً بين الأبحاث المقدمة كلها .. ولعلها أن تكون لوناً من إحكام منهج الندوة وتفسير هذا المنهج ، دفعاً للنقد محتمل أو سؤال عارض ..

فإذا صحت لنا هذه المقدمات ، وهي صحيحة مادامنا نتواضع عليها

ونلتقي حولها ونتفق على الانطلاق منها ، فإن موضوع العربية خلال ربع قرن في تعلمها وتعليمها يمكن أن يتخذ في معالجته هذا الأسلوب الذي أوشك أن يكون تقليدياً .. وهو النظر في أربعة الأمور التالية : ١ - المعلم ٢ - الطالب ٣ - المنهاج ٤ - الكتاب .. كما يمكن أن يتخذ هذا الشكل العام في دراسة واقع العربية وتبيين أبرز ما يتصف به هذا الواقع: ما استطاع أن يحققه ، وما عجز عن تحقيقه .

وأياً كان الأسلوب الذي يمكن أن يتبّع فمن المؤكد أن واقع العربية ليس شراً كله ، وأن الجوانب التي نشكو منها ليست هي جوانب الموضوع كله وأبعاده . فلقد حققت العربية خلال هذه العقود قدراً صالحاً من التقدم في هذا الجانب أو ذاك ، ولكن ما حققته لم يكن كل الذي نتمناه لها .. إن مكانة اللغة من وجودنا الحضاري والقومي وأثرها الكبير في صياغة هذا الوجود تضاعف من المهات التي ننتظرها منها في ذات الوقت الذي تضاعف فيه من الأعباء الملقاة عليها .. ولهذا تظل القضية اللغوية - وقد تظل إلى حين - أمّ القضايا ، لا نجمع على أمرٍ كما نجمع عليها ، ولا نلتقي على تقديرٍ لشيء كما نلتقي على تقدير أثرها ومكانتها .

ولعله من هنا كانت أصواتنا ترتفع دائماً بالشكوى ، وتتسم أبحاثنا اللغوية بأقدار من الكآبة ، إن صحّ أن نستعمل هذا الوصف ، ونغفل الجانب الإيجابي لأن الطريق لا تزال طويلة ، والجهد الذي يبذل لا يزال مقصراً ، والأهداف لا تزال بعيدة .. فإذا جاءت أبحاثنا اليوم ، في هذه الندوة ، وهي تغليب الجانب السلبي أو أنها تهمل الجوانب الإيجابية التي تتبدى في نهضة العربية ، وفي تضيق الفروق بين الفصحى والعامية ، وفي انتشار

أقدار من المعارف اللغوية - إذا جاءت الأبحاث وفيها هذا التغليب فإن ذلك لن يكون عيباً فيها .. لأننا إنما نلتقي في العادة في مثل هذه الندوات من أجل تدارس النقص وتذاكر العيب والوقوع على الداء والطيب له .. ولا نلتقي من أجل تمجيد الواقع أو إعلان الرضا عنه .. إنه يوشك أن يكون طبعياً أن ننسخط بأكثر مما نحمد ، وأن يستبدّ بنا نشدان الأفضل الذي نتطلع إليه ونسعى نحوه .

أفلا يكون من الحق إذن - بعد هذا الاحتراس - أن نصوغ جملة ما تعانيه العربية ، تعلماً وتعليماً ، أنه سلسلة من الأزمات ، تقود في جملتها إلى سلسلة من الخطى المتقهقرة .. تثير في النفس إحساساً حاداً بالخطر ، وتدفع إلى ضرورة التعاون على معالجته مخافة أن يتسع الخرق على الراقع ، وأن يستعصي الواقع على الإصلاح ، وأن تؤول العروة الوثقى إلى خيوط منكوشة رثة ؟ ..

وليس صعباً ولا عسيراً أن نتيّن هذه الأزمة .. في الوسع أن نلمحها حيث ندير أبصارنا أو نلقي بأسماعنا .. في الوسع أن نجد أزمة اللغة في المدرسة على تعدد مراحلها ، وفي البيت على اختلاف مستواه ، وفي الوزارة على تنوع اختصاصها .. في المقال المكتوب والكتاب المطبوع ، وفي المحاضرة التي تلقى وفي الحديث الذي يذاع .. إننا نلمحه في وجوه ثقافتنا العلمية وفي وجوه من ثقافتنا الأدبية على السواء .. بل إن هذه الأزمة توشك أن تتناول اللغة نفسها في دراستها وتدريسها ، في مصطلحها القديم وفي مصطلحها الجديد ، في تراثها الذي خلفته وفي واقعها الذي تعانيه .

وما شيء من هذا بالمبالغة أو التهويل .. وهل كانت الدوافع وراء هذه الندوة إلاّ هذا الإحساس بهذه الأزمة ومعاناتها ؟ .

أين تقع المشكلة

ولكن كيف نتحدث عن أزمة اللغة العربية في البلاد العربية ؟ .. كيف تكون هذه الأزمة ونحن ، في كل بلد عربي ، أمام أعداد كبيرة من المعلمين والمدرسين الذين يتكفلون تعليمها ، وأمام أعداد هائلة من التلاميذ والطلاب والدارسين الذين يتكفلون تعلمها ؟ .. كيف تنشأ هذه الأزمة ونحن نطلق ، أفراداً وجماعات ، مؤسسات ومنظمات ، أحزاباً وحكومات ، من هذه المنطلقات الفكرية المشتركة : من تقديس اللغة ، ومن الإيثار العميق بأثرها في وحدة الثقافة والأفكار وفي وحدة القيم والمشاعر ، ومن التأكيد على أنها هي وحدها الطريق إلى ما ننشده من وحدة العرب السياسية وتجديد الحضارة العربية ومواكبة التطور الإنساني ؟ ..

لماذا تتوالد هذه الأزمة وتنمو على حين تنفق الحكومات العربية على التعليم ما تستطيع وفوق ما تستطيع ، ويتزايد هذا الإنفاق عاماً بعد عام وله من ميزانية الدولة أوفى نصيب ؟ ..

إن عرض الواقع اللغوي العربي يشير كثيراً من مثل هذه الأسئلة .. إنه يقترب بنا من صميم المشكلة .. فعملنا في الميدان اللغوي ، في نطاق التعلم والتعليم ، كان يجب أن يتشقق عن أطيب الثمار وأفضل النتائج ، وتجاربنا في ذلك ، في مجموعة البلاد العربية ، تجارب غنية لم تغفل العناصر الأساسية في هذا العمل التعليمي اللغوي .. فلماذا إذاً لا تحقق هذه العملية التعليمية أهدافها كلها ؟ .. لماذا تواجه بعض الانحراف أو تضل الطريق إلى بعض الأهداف ؟ .. ولماذا تجتمع لها اللجان وتمقد المؤتمرات وتنشأ الإدارات ثم لا تأتي النتائج كفاء الجهود ، أو كفاء الآمال التي تتجه إليها هذه الجهود ؟

وحيث يكون الطالب مكان الاهتمام والرعاية ، ويكون الكتاب موضع العناية والتجديد ، ويأتي المنهج نتيجة مدارس طويلة متعمقة ، ويكون المعلم نتيجة إعداد وتأهيل ، فلماذا تشير النتائج إلى ضهور وقصور وانحراف ؟.. أين يكمن الداء في هذه المسيرة التعليمية ؟. أهو في أجزاء الخطة أم هو في تواصل هذه الأجزاء وتكامل ما بينها ؟ أهو في هذه الجيواء التي تحيط بالعمل التعليمي أم هو في صميم هذا العمل ؟.. هل نشتكى ، معلمين ومتعلمين ، من أنفسنا وأدواتنا أم إننا نشتكى من انقسام ما بين عملنا وبين المجتمع من حولنا ؟.

بين العلل الأوائل والعلل الثواني :

أحسب أنه يحسن أن نفرق - في محاولة الوصول إلى صميم المشكلة - بين نوعين من الأسباب : الأسباب الأوائل أو العلل الأوائل - إذا استعرونا هنا مصطلحات النحويين - والأسباب الثانوية أو العلل الثواني ، وأن نضع كلاً منها في موضعه ، لا نتجاوز به مكانه ولا نرتفع به فوق قدره .

هنالك ، لاشك ، مجال لأحاديث كثيرة لا تنتهي عن الكتاب المدرسي مثلاً .. عن طريقة إعداد ومادته ، وعن طباعته وورقه ، وعن رسومه وألوانه .. عن هذه الطريقة أو تلك في تأليفه .. ولكن مهما يطل الحديث في ذلك فسيظل هناك حقيقة قائمة مؤكدة وهي أن بين أيدينا كتاباً مدرسياً ، ليس هو المثل الأعلى في الكتاب المدرسي ولكنه أداة صالحة في كل حال ، على الاعتراف بنقائصه وعلى ضرورة السعي لاكتماله .

وهناك كذلك لاشك مجال لانقادات كثيرة تتناول السلبيات في كل جانب من جوانب العملية التعليمية .. فنحن نجوز مرحلة صعبة من

مراحل البناء ، وبعض أقطارنا العربية كانت يعيش في حالة الانعدام اللغوي العربي - في نطاق التعلم والتعليم - أو ما يقرب منها ، وأكثر أقطارنا تمرّض في ذلك لألوان من الغزو وما أعقب الغزو من صراع غير متكافئ .. ونحن جميعاً لانملك القدرات الكافية لتحقيق كل شيء والوصول إلى كل شيء .. وإذن فأبواب النقد ستظل مُشرّعة . بل ويجب أن تظل كذلك .. وعلينا أن نستقبل ، في رضى وارتياح ، كل أرواح الحركة المتجهة نحو الأفضل وأن نفتتح لها النوافذ .

عملنا إذن في اكتشاف صميم المشكلة يجب أن يتجه نحو العلل الأوائل .. لا ننسى العلل الثواني ، ولكننا لا نسمح لها أن تستوقفنا وحدها .. وقد تكون لها آثارها الكبيرة ونحن مطالبون حقاً بتبيين هذه الآثار ومحاولة إصلاحها .. ولكننا مطالبون قبل ذلك بأن نفرق بين ما هو أولي وبين ما هو ثانوي .. بين ما هو أصيل في خلق المشكلة وبين ما هو فرعي . مطالبون بأن نعيّ العلل الأوائل لا يصرفنا غيرها عنها .

العلل الأوائل عند خصوم العربية وعند أصحابها :

وحيث ننشد هذه العلل الأوائل فسنظفر بها مرتين :
مرة عند خصوم العربية الذين يسكنون عقر دارها وينقضون غزلها من بعد قوة أفكائاً .. يفعلون ذلك أكثر الأحيان بحجة البحث فيما أوجبجة الفتيّة عليها .

ومرة أخرى في انفصام الجهود وتسربها وتقاطعها بين العاملين للعربية .
فأما خصوم العربية فليس من شأن هذا البحث أن يتوقف عندهم .. لأن العمل العربي كله ، في ميادينه كلها ، يجري على موج بحارٍ من الخصومات والمداوات الإسلام والعروبة .

وأما تقاطع جهود العاملين في ميدان العربية وانعدام تكاملها فذلك هو الذي أحب أن أتوقف عنده ، وذلك هو القضية التي يبدو لي أنها تقف على رأس القضايا في معالجة أزمة تعليم اللغة العربية .

فكيف يكون هذا التقاطع في نطاق التعليم وهذا التسرب في نطاق التعلم ؟ وأين مكانها من مسيرة الحركة اللغوية العربية .

المنحرفات الثلاثة في طريق المسيرة اللغوية :

موقفان خطيران في طريق هذه المسيرة يتصان الجهود المبذولة فيها ، ويغتايلانها ويخلّصان عظم هذه الأزمة التي نشكو منها .

أولها : داخل المدرسة الابتدائية والثانوية .

والآخر : في المرحلة الجامعية .

ينضم إليهما موقف ثالث ، لا في المدرسة أو الجامعة نفسها ، وإنما فيما حولها .. في هذا المجتمع الذي يحتاط بالمدرسة ويمارس سلطانه القوي عليها ، بما للمجتمع من نفوذ وما عنده من وسائل .

وسأتحدث فيما يلي عن كل من هذه المواقف الثلاثة بشيء من التفصيل :

أولاً : خلال المدرسة الابتدائية والثانوية : قوتان متعارضتان

تخضع الجهود التي تبذل في تعليم العربية في هذه المرحلة إلى نوع من استراق هذه الجهود أو إجهاضها .. ذلك أن معلم العربية يقف وحده في ميدان عريض لا يحتاج إلى شيء كما يحتاج إلى تكاتف القوى وتضافرها من حوله ، والتعاون معه على احتمال المسؤولية .

وإذا نحن أغضينا الطرف عن كل العلل التي وصفناها بأنها العلل الثواني ، وقدّرنا أن عملية التعليم قد استوت لها كل وسائلها وأن المعلم قد

توفرت له كل القدرات التربوية والمهارات العملية — فإن هذه العملية مكتوبٌ لها حظوظٌ كبيرة من الفشل ، لأنها عملية تصطبغ عليها قوتان متنابدتان : قوة البناء وقوة الهدم .

أما البناء فذلك ما يقوم به — أو ما يفترض أن يقوم به — معلم العربية . وأما النقص فذلك ما يقوم به معلمو المواد الأخرى ، وما يقوم به أحياناً معلم العربية نفسه ، حين يغادر نطاق اللغة السليمة إلى نطاق استخدام اللهجات المنحرفة .

إن مهمة معلم العربية أن يمكن عند طلابه لصحة الأداء وسلامته : الأداء الشفوي والأداء التحريري .. تلك غاية جهوده .. ولكن مهمة معلمي المواد الأخرى أضحت وكأنها المهمة النقيض .. إنها لا تُغفل ذلك فحسب ولكنها تبدو وكأنها تعتمد إفساداً ما قام به معلم العربي ومناقضته .

وعلى حين كان من المقدر أن تتعاون الجهود في ذلك وأن تتكامل ، وأن يكون أداء المعلمين في المواد الأخرى صورة تطبيقية غير مباشرة الذي يدعو إليه معلم العربية ويجاول غرسه فإن الذي يحدث ، في أغلب الأحوال ، أن ما يسمعه الطالب في المواد الأخرى يقف على الطرف النقيض أو المعاكس للذي يسمعه في دروس العربية والذي أوصي به .

وكذلك يعتمل في الوجود اللغوي عند التلميذ في المدرسة الابتدائية هذان الموقفان المتضادان : موقف البناء وموقف الهدم .. ولك هنا أن نذكر في كثير من الألم المعض الشاعر العربي الذي كان يقول :

متى يبلغ البنيعان يوماً أشدّه إذا كنتَ بُنيه وغيرك يم-دم

أو ذلك الشاعر الآخر الذي كان يقول :

أرى ألفاً بانٍ لا يقوم لهادم فكيف ببانٍ خلفه ألفٌ هادم

ما الذي يبقى إذن عند الطالب من جهود مدرس العربية ؟
إنه لا يبقى عنده إلا هذا القدر الذي تفرضه عليه الامتحانات ، أو
يَقْهَرُه عليه النظام ، أو تُكْرِهُه عليه سلطة المدرسة أو سلطة البيت ..
وهو في ذلك يتعرض لأزمة أخرى ليست أزمة المواقف المتناقضة التي تورثه
الحيرة والتردد ، ولكنها أزمة المواقف المفروضة التي تورثه شيئاً من الحقد
حيناً وأشياء من الكره في بقية الأحيان .

وما أقسى ما يقود إليه الحقد أو الكره .. إن ذلك لن يقتصر على
تخريب عالمه الداخلي ولكنه سيمتد إلى تخريب عالمه الخارجي بنوع من
التأثر .. سيحقد على المادة نفسها ، وسيحقد على المعلم .. وقد يقوده هذا
الحقد إلى ألوان من السلوك هي التي تعودنا أن نتحدث عنها تحت عنوان:
مكانة مدرس اللغة العربية .. فمكانة هذا المدرس - وهي نتيجة لسلسلة
من العوامل - تتأثر ، في بعض مآثر به ، أنها تتكون من خلال هذه
المواقف الفكرية والنفسية المشوشة .

وخلال سنوات التدريس الابتدائي كلها يظن الطالب تتقاذفه هذه الجملة
المتناقضة من القيم وتقوده إلى جملة متناقضة أخرى ورائها من المواقف
والسلوك : . هو يحب العربية بنوع من الدوافع الانسانية والقومية وهو
يكرهها بنوع من المواقف .. هو يقدر معلم العربية ، أو يجب أن يقدره ،
وهو محمول على أن ينمّر هذا التقدير إلى شيء يبلغ الهزء أحياناً .. هو
مكلف بأشياء يتقنها وقواعد يراعيها ثم هو لا يجد من يقيمها أو يراعيها .

فإذا غادر الطالب مرحلة الدراسة الابتدائية إلى مرحلة الدراسة
الثانوية وجدنا أن القيم تزداد تخلخلاً وأن المواقف تزداد تحرجاً وأن السلوك

يزداد تقلقاً أو انحرافاً .. ذلك أن الطالب الثانوي يواجه هنا أمرين جديدين لا يسيران مع العربية ولا يتكاملان معها .. بل لعل فيها ما يتناقض معها أشد التناقض .

أولهما : هذه الثقافة العلمية والفكرية التي تتأتى إليه من خلال الدروس في النطاق العلمي أو في النطاق الانساني .

والآخر هذه اللغة الأجنبية التي تُقدّم له ، وكأنها ، في طرائقها وجوانبها وتدريسها ، تقدم له على صحاف من فضة ، مصاحبةً بالكثير من البريق والتوهج والإغراء .

هاهنا يرشك أن يكتمل التناقض وأن تستوي له أبعاده كلها .. هاهنا يتحقق الانفصام بين العربية وبين المواد الأخرى كلها وبين مدرسي العربية ومدرسي المواد الأخرى .. بل إنه ليتحقق هذا الانفصام الداخلي في كيان الطالب بين لغته التي كان يجب أن تكون هي الأصل في وجوده وبين المواد الأخرى كلها التي تؤلف ثقافته وتثري تفكيره .. إن اللغة العربية تصبح هنا هي العبء الذي يحاول أن يلقي به في أقرب مكان يبلغه .

وكذلك تتخلى العربية السليمة ، والعربية مطلقاً أحياناً ، عن أن تكون هي أداة التواصل بينه وبين المعرفة ، وبينه وبين الثقافة ، وبينه وبين الفن .. بينه وبين كل مكونات عقله وعوامل شخصيته .. فإذا هي تنزوي لتكون آخر ما يتم به أو لتكون وراء منطقة اهتمامه .. لا يبقى له منها إلا الذكرى أو النادرة ، أو ما يضطره إليه المجتمع من وجوده الخارجي .

هذه الصورة توشك أن تكون الصورة السائدة لابنيد عنها إلا القليل أو النادر . وهي تطرح جملةً من الموضوعات التفصيلية أو من العلل الثواني التي تحتاج إلى دراسة ومعالجة .. وإيس علاجها بالمستعصي حين يصبح منا

العزمُ على أن ننظر إلى قضية اللغة العربية نظرة جادةً حازمة وحين نؤمن أنها قضية مصير لوجودنا وتراثنا وخصائصنا .

ولست الآن بسبيل من الحديث عن الحلول .. ولكني أحب أن أشير إلى جملة من المبادئ تصدر عنها في معالجة قضية العربية في هذه المرحلة :

أول هذه المبادئ : أن نأخذ بهذا العرف الذي تأخذ به الأمم واللغات الأخرى .. أن نقطع الطريق على هذا الازدواج في لغة المدرسة لأنه من المدرسة - ولعله منها وحدها - يمكن أن يكون البدء في القضاء على هذه الازدواجية في البيئات الأخرى ، وأن تجتمع لغة المعلمين جميعاً على هذه العربية الميسرة البسيطة التي لا جهد كبيراً في إقامتها ولا تكلف مرهقاً في استقامتها .. إنه ليس عصياً ولا عسيراً أن نستغني عن مثل التحريف في الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة وأسماء الاستفهام في أية مادة ندرسها .. وأن نستغني عن بعض الحروف أو الإضافات التي نضيفها إلى الأفعال ، وأن نصحح مخارج بعض الحروف وأن نجتمع عليها . فذلك أهون ما يكون من أمور التربية والتعليم .

إننا يجب أن نصل إلى الحد الذي يقول عنه الإنجليز : إن كل مدرس أو معلم في المدرسة هو معلم للغة الانجليزية ، على نحو تطبيقي غير مباشر حين يدرس مادته .. وإن هناك أولاً ودائماً وقبل كل شيء هذه اللغة المشتركة التي يجب أن نعتمدها في إيصال المعرفة ونقل الأفكار وإشاعة الثقافة وتأسيس القيم ، وبالتالي في بناء مجتمع متسق متوازن .

والمبدأ الثاني في ذلك أن يُعطى المعلمون والمدرسون جميعاً أقدارهم المتماثلة في الجوانب المعنوية أو في الجوانب المادية .. فلا تؤخذ بشيء من التمييز

بينهم إلا في حدود ما يكون من حسن أدائهم لواجبهم - فليس مدرس العلوم فوق مدرس اللغة ، وليس مدرس اللغة الأجنبية ، بأوهام فختلفها ، فوق مدرس العربية - ولا نُفْتَتَنَ بذلك ولا نفقتن به تحت تأثير الحاجة أو القدرة أو الضغوط الاجتماعية الخارجية .. لأن اللغة العربية تظل - أياً كان الخداع أو الانخداع - هي الأداة الأولى في التواصل الفكري والالتقاء الاجتماعي ، في المعارف أو في القيم أو في المشاعر .. ونحن لا نرتكب خطأ هو أدهى من هذا الخطأ حين نفغل عن هذه الحقيقة الأولى .. إننا حينذاك نغرقل ببناءنا الفكري ونشوش نظامنا الاجتماعي ، ونطيل الدرب في تجارب على غير طائل ، وجهود على غير مردود .

ومن عجب أن يكون للظروف الطارئة أو الضاغطة تأثيرها في بعض بيئاتنا العربية .. فتقدم لأساتذة بعض المواد العلمية بعض العلاوات ونضيف إلى مدرسي اللغة الأجنبية بعض الزيادات ، ونضع مدرس اللغة العربية أو معلمها في مثل هذه الظروف التي لا يحسها هو فحسب ، وإنما يحسها كذلك طلابه : هو يحسها ألماً وعزوفاً عن الجِدِّ ، وطلابه يحسونها ضموراً في المكانة وهبوطاً في الرتبة .

والمبدأ الثالث في ذلك أن نؤمن أن المعلم ، في المدرسة الابتدائية خاصة ، هو أبرز عناصر التجربة اللغوية وأقوى أدواتها تأثيراً وأعظمها مردوداً وأنه ما لم يتيسر لهذا المعلم كل الظروف التي تساعد في أداء مهمته على خير وجوها فإن هذه التجربة معرضة للفشل بقدر ما يكون من فشلنا في إعداد المعلم .

إن الحاجة إلى كفاح الأمية - وهي الحجة وراء كل مظاهر الضعف

والتقصير والتساهل في إعداد المعلم والإسراع في تخريبه - حاجة ملحة .. ولكن ذلك لا يمكن أن يكون على حساب إهمال اللغة العربية والتسامح في إعداد معلمها .. وإذا كان هناك من يحتاج إلى كثير من تجديد الخبرة وتنميتها عن طريق وسائل التدريب المختلفة ، فذلك هو معلم المدرسة الابتدائية سواء في ذلك معلم اللغة أو معلم المواد الأخرى .. إن سلسلة من الأعمال التوجيهية والتشجيعية والتدريبية عن طريق الإدارة أو المفتشين، في القراءة والتلخيص والمتابعة كفيلة أن تخلق - أو تساعد - جواً لغوياً متجانساً في المدرسة الابتدائية وأن تقطع الطريق ، في المدرسة على الأقل ، على الازدواج اللغوي أو على كثير من ظواهره التي يصعب القضاء عليها .

ثانياً - في الدراسة الجامعية :

إذا كانت جهودنا اللغوية في المرحلة الابتدائية والثانوية تتعرض إلى ما وصفته بالتسرب والتقاطع وفقدان التسكامل ، فإن هذه الجهود تتعرض في المرحلة الجامعية إلى نوع من الاغتيال الذي يذهب بها كلها .

ففي جامعاتنا كلها - الرسمية والأهلية ، على طول الوطن العربي وعرضه - لا نستثني إلا القطر السوري - تختفي اللغة العربية ، لا أقول في التعليم وحده وإنما أقول كذلك في الاستعمال ، وراء حجاب كثيف من اللغات الأجنبية : الفرنسية أو الإنجليزية ، وفي الأقسام العلمية بخاصة من هذه الجامعات .

القضية اللغوية العربية هنا لا تواجه أزمة من الأزمات التي نستطيع أن نعرف أسبابها وأن نقترح حلولها ، وإنما تواجه إنكاراً لها وابتعاداً - هل هو مقصود؟ .. عنها .. إنها تواجه وضعاً مؤلماً حين تغيب عن السنة

الأساندة وعن الكتاب وعن المراجع .. فلا يبقى منها إلا خطوط باهتة على امتداد أفقٍ عريض .

إن كثرة الجامعات العربية تأخذ بمبدأ تدريس العلوم باللغة الأجنبية.. وهي بذلك تُجهز على ما سلم من الجهود اللغوية - ولعله قليل - خلال المرحلة السابقة في نفوس الجيل الذي تستقبله ، وتزرع بذور النفرة أو بذور الإهمال في نفوس الجيل الذي يتوجه نحوها .. فالطالب الثانوي الذي يرى أن كل ما يكون من أمر عنايته بالعربية إلى ضياع في الجامعة لابد له من أن ينطبع سلوكه اللغوي بكثير من مشاعر الزهادة والانصراف .. يقابل ذلك شعور وضاء بالإقبال على اللغة الأجنبية .. وما تسوق إليه الزهادة من إهمال وما يسوق إليه الإقبال من تقدير .

إن ذلك يطرح إذن الموضوع الخطير الذي تعاقبت عليه المؤتمرات العربية المختلفة : موضوع لغة التدريس الجامعي .

وهناك ، في الساحة النظرية ، شيء يشبه الإجماع - ما يدري الإنسان أحياناً مدى الصدق أو الجدّية فيه - على أنه لا بد أن تأخذ العربية طريقها إلى التدريس الجامعي والعالي .

ولكن الخروج بذلك من القرار النظري إلى التطبيق العملي تداخله كثرة من العقبات والمعوقات أكثرها مما يمكن تجاوزه أو التغلب عليه ، على نحو فوري أو على نحو متدرج .

والذين يرقبون الحركة اللغوية العربية يحسون هذا التنافر بين التقرير النظري وبين التدبير العملي .. بين موقف يقال وموقف ينفذ ، ويجدون كثيراً من القلق حين تنهال الآراء التي تدعو إلى الأناة ، وتقدم الحذر ، وتتذرع

بالتبصر وحسبان العواقب .. وكأن الواقع اللغوي الحالي لا يدعو هو بالذات إلى الحذر منه وإلى حسبان عواقبه والتبصر فيما قاد إليه في المجتمع العربي من مظاهر .. أبرزها تقهقر اللغة العربية ، وانقسام ما بين الدراسات الانسانية والدراسات العلمية ، وتعذر التعاون العلمي العربي نتيجة لتوزيع العلماء على اللغات الأجنبية المختلفة ، وفقدان اللغة العربية الموحدة فيما بينهم .

الموقف هنا في نطاق ما لا غللكه هو موقف القرار السياسي الذي يجب أن تتخذه الدول العربية .

ولكنه في نطاق ما غللكه هو موقف الجامع العربية بالذات .. لأنها هي التي تستطيع أن ترد على كل تهمة وأن تكون أعمالها الايجابية - وما أجلتها - إسكاتها لكل صوت حين يأخذ هذا العمل طريقه الذي تفرضه الظروف اللغوية الحاضرة . إن أكبر الحجج التي يتذرع بها هؤلاء الذين يتمسكون بأن يكون التدريس الجامعي العلمي باللغة الأجنبية هي فقدان معاجم المصطلحات . . والجامع هي التي تقطع الطريق على هذه الحجج حين تغادر أسلوبها الجزئي إلى أسلوب آخر كلي ، وحين تتخلى عن العمل في قوائم المصطلحات إلى العمل في معاجم المصطلحات . . وحين تتخلى عن السرعة الهائلة - ان استوى الجمع بين السرعة والهدوء - التي كانت نتيجة لظروف البدايات إلى تسارع متزن ينهض بهذه الحاجات الملحة ويكافيء هذا التوسع العلمي الكبير (١) .

إن الجامع لا يمكن أن تنسى أن العمل اللغوي وحدة كاملة أو

(١) كان من التوفيق الذي كتب لهذه الشدوة أن جاء في صدر توصياتها التي أقرتها : « أن تقوم الجامع اللغوية العلمية متعاونة فيما بينها بالإسراع في إخراج المعاجم المتخصصة في مختلف الموضوعات » . ومثل التوصية منعطفاً جديداً في مسيرة الحركة اللغوية العربية ، وانظر في ذلك مقالاً للكاتب في عدد كانون الأول ١٩٧٨ من مجلة المعرفة الدمشقية .

متكاملة في حلقاته كلها .. وأنه حين نسمح للحلقة الأخيرة أن تَزيدَ عن هذا السَّين اللغوي فإن أثر ذلك لا يتوقف عند أصحاب هذه الحلقة الأخيرة ولكنه يمتداه إلى "من" قبلهم .. وحيث ينقطع العمل اللغوي - وهو دائري - فإن الدارة تخسر قدرتها على أن تكون دارة موصلة .. وتنفرط السلسلة ، ويؤول الأمر إلى ما يشبه الفوضى اللغوية ، ان لم يكن هو الفوضى اللغوية ذاتها .

ثالثاً - في الاطار الاجتماعي حول المدرسة والجامعة : وسائل الإعلام

١ - توافق وتعارض :

قلت إن الجهود اللغوية تتناقض وتتقاطع في المرحلة الابتدائية ، وتُسترق وتُمتص في المدرسة الثانوية ، وتُغتال في المرحلة الجامعية . ولكن وراء المدرسة والجامعة يقف المجتمع الآن بمؤسساته الجديدة موقفاً هو أدلّ المواقف على هذا التناقض الذي يلزم المسيرة اللغوية .. لا من داخلها فحسب ، ولكن من حيث هذه الظروف والوسائل التي تحيط بها .. وكأنه هذا التناقض الخارجي الذي يتكامل مع التناقض الداخلي ويتعاون معه على خباثة الجهود اللغوية وإفسادها .

إن المجتمع يمتلك ، وهو يحتاط عملنا اللغوي ويطيّف به ، سلاحين اثنين : أحدهما : هذا السلاح القديم وهو اللهجة العامية التي تسوده ، وقد أورثنا ذلك هذه الظاهرة الخطرة التي تستلب عملنا اللغوي : ظاهرة الازدواجية اللغوية .

والآخر : هذا السلاح القديم - الجديد ، وهو وسائل الإعلام التي أضحي بملكها هذا المجتمع وبشهرها هنا وهناك ، على ماتهوى نفوس الذين يسقطون عليه ويتحكمون به .

ولن يتسع هذا البحث للحديث عن العامية وعن الازدواجية ، على ما لها من خطر في دراسة التحديات والمشاكل التي تواجه اللغة العربية ، لأن أمرها لا يعود إلى هذه العقود الأخيرة التي تؤطّر بحثنا ، ولأنّ معالجتها لن تكون معالجة مباشرة ، وإنما هي هذه المعالجة التي تتأتى عن طريق التعليم .

وكذلك لن نتحدث عن أثر وسائل الإعلام ، إذ سيكون من نافلة القول الكلام عن عمق أثرها وعن هذا المفاد الذي حققته إلى عقول الناس وقلوبهم ، وإلى ألسنتهم ومنطقهم ، وعن هذا السلطان الحفيّ الجليّ الذي تمارسه في كل لحظة ، في الإذاعة المسموعة وفي الإذاعة المرئية ، في الصحيفة والمجلة ، وفيما تحمل هذه الصحف والمجلات والإذاعات من فنون القول وألوان الحديث .

وحسبنا من ذلك أن نتساءل عن مدى ما بين وسائل الإعلام وبين العمل اللغوي من ترابط أو تناقض لملاحظ أنه على حين كانت الصحافة في الوطن العربي من عوامل نهضته اللغوية ومن ظواهر هذه النهضة في آنٍ فإن وسائل الإعلام الأخرى الجديدة يتأرجح موقفها على نحو يثير التساؤل .. فهي لا شك استطاعت أن تساعد على تضيق الشقة بين العامية والفصحى ، بكل ما يسمع منها أو يرى من خلالها - بقدر ما استطاعت أحياناً أن تؤصل للعامية .. ولكنها من ناحية أخرى ، في كثير من هذا الذي تقدمه مسموعاً أو مرئياً ، كانت بجانب عمل المدرسة اللغوي وتنازل منه .

ذلك أن ما يذاع منها بالعامية يناقض العمل اللغوي المدرسي مناقضة كاملة .. أما ما يكون منها بالفصحى فإنه كثيراً ما تلبسه الأخطاء والانحرافات على نحو يثير عند الطالب الشكوك ، ويخلخل عنده ما تعلمه من صواب الأداء . ولعل من أشقّ ما تلقي العربية من وسائل الإعلام هذا الذي أخذ

يلجأ إليه بعض المتحدثين من التزام التسكين - أو الاحتواء به - وإهمال الحركات .. ذلك أمر يسهم في أن يخلق عندنا هذه اللغة الثالثة التي أخذ بعض الدعاة يروج لها وينظر فيها ويحاول أن يضع لها الحدود فيما يشبه الدعوة لها والتأكيد عليها .. إنها لغة ليست بالعامية وليست بالفصحى .. ليست بالعامية التي نملك - أو نملك الطالب - شعوراً حاداً بالارتياح فيها والحذر منها ، وليست بالفصحى التي ننشدها أو نتعلمها .. ومثل هذه البلبلة اللغوية خطرٌ جديد نحن جديرون أن نتجنبه قبل أن نقع فيه لأنه يقود إلى مستقبل لغوي معقد ، يتصدع فيه البناء اللغوي الواحد وتأخذ فيه الحركة اللغوية - في هذا المزج بين العامية والفصحى وفي هذا التفاعل المضطرب بين العاميات المختلفة والفصحى الواحدة - وجهات متباينة يخشى معها أن نخرج من الازدواج اللغوي إلى التعدد اللغوي أو إلى بدايات انشطار لغوي خطير .

٢ - مقترحات نحو التوافق

هل من سبيل إذن - وهذا هو الواقع - إلى أن يتكامل عمل وسائل الإعلام هذه مع العمل اللغوي السليم ، وأن تكون عائدتها على العربية خيراً لا شراً فيه ، وسلامة لا خطأ معها ، وصحة لا غلط فيها ؟ .

١ - من المؤكد أن لأصحاب هذه الوسائل - حين يجانبون الفصحى - منطقهم الخاص .. وأباً كان الشأن في هذا المنطق فنحن لا نملك أن نذكره أصحابه إكراهاً على أن يتجاوزوا غايتهم الأساسية : الإعلام ، من أيسر طرقه إلى أن يكونوا معلمين للعربية ، ولا أن يهملوا كتلتهم الكبرى من الجماهير ليتحدثوا إلى الخاصة فحسب .. ولكن الذي نملكه هو أن نتعاون في كل لحظة من لحظات الإذاعة وفي كل برنامج من برامجها على أن نكون

أوفياء - ماوسع الجهد - للعربية السليمة السهلة التي نريد أن تشيع على الألسنة وأن يُمكن لها من الأسماع .. إن أي حديث إذاعي أو نشرة للأخبار أو تعليق ، يمكن أن تراعى فيها العربية السليمة ولو كانت موجهة إلى الجماهير .. فليس السبيل بين العربية السليمة وبين العاميات الشائنة منقطعاً ، وليس البون كبيراً .. وإنما هو الجهد اليسير نبذله في حقل الأداء العامي - في النطق والتراكيب - ليتحول إلى أداء سليم ، أو إلى أداء هو أقرب إلى السلامة .

ولو أن وسائل الاعلام تواصلت فيما بينها بذلك ، وأعدت له خطة يراعى فيها التدرج في هذا الانتقال من العامية ومغادرتها لفظاً بعد لفظ وتركيباً بعد تركيب لاستطاعت أن تقدم إلى الحركة اللغوية من العون ومن التقويم ما لا تقوى عليه - في مثل شيعه وامتداده - كثرة من المؤسسات الاجتماعية الأخرى .

إنها تكون ، حينذاك ، عامل وحدة في الميدان اللغوي بدل أن تكون عامل تفريق .. وتكون جهداً متكاملأ بدلاً من أن تكون جهداً متدابراً . وإنها كذلك لتقطع الطريق على هذه اللغة الثالثة التي أشرت إلى غورها وخطورها .

ب - وهذا كله حين نتحدث عن وسائل الاعلام وهي تستخدم العامية .. ولكننا حين نتحدث عن وسائل الإعلام وهي تستخدم الفصحى فإن الأمر هنا لا يحتاج إلى كثير من الأناة بصطنعها المتحدثون والمذيعون في ضبط ما يقولون .. فليس عسيراً بحال أن نتجنب التمسكين ، وأن نراعى قواعد الاعراب .. وليس عسيراً بحال أن نلتزم النطق الصحيح للألفاظ ..

منطلقين من أن قواعد اللغة نظام فكري ، مراعاته هي التي تضمن التواصل السليم بين الذين يتحدثون والذين يتلقون هذا الحديث ، فلا تفسد عليهم الأخطاء حسنَ التلقي ويُسرَّ الفهم .

وحين تحرص وسائل الإعلام على أن تواكب المسيرة اللغوية ، تساندها ولا تعارضها ، فإن من الممكن الأخذ بمثل هذه التدابير التالية :

- ١ - اعتبار سلامة اللغة أصلاً من أصول العمل الإذاعي والتقدم فيه .
- ٢ - إقامة دورة تدريبية للمذيعين تؤصِّل عندهم معلوماتهم اللغوية - في حدود حاجتهم - وتمكِّن لهم من معرفتها واستخدامها .
- ٣ - مراقبة الأحاديث المذاعة وتصحيحها عن طريق مراقب لغوي .
- ٤ - الإنابة عن المحاضرين الذين لا يحسنون الأداء السليم .
- ٥ - صقل بعض الأغاني العامة ، ما أمكن ذلك .
- ٦ - التدرج في تغليب السلامة اللغوية على النصوص الفنية : التمثيليات والمسرحيات والمسلسلات - وفاق برنامج مشترك تتبناه وسائل الاعلام في كل قطر عربي بالقدر الذي تساعد عليه ظروفها اللغوية الخاصة .
- ٧ - أن يكون في رئاسة تحرير الصحف والمجلات ودور النشر العامة رقيب لغوي يكفل سلامة الأداء .

ولعلي أستجيز لنفسي أن أقترح هنا على الندوة أن تولي موضوع « اللغة العربية ووسائل الاعلام » اهتماماً خاصاً .. كأن تفرده باجتماع خاص تمهد له ببعض الدراسات الأولية ثم تصل ما بينها وبين اتحاد الاذاعات العربية في حوار يتناول القضية كلها : عرضاً ومعالجةً وتدابير .

* * *

خاتمة :

وبعد ، فقد قصدت إلى أن أرقب الحركة اللغوية لأتبين أين تستقيم سيرتها وأين تنحرف ، مزاولاً بين الظاهرة وبين الطيّب لها . تمهيداً للخروج من سلبية الشكوى إلى إيجابية العمل .

و كنت أنطلق في ذلك كله من هذا الذي نعانیه فيما حولنا في رقعتنا الضيقة ، وأغلب الظن أن هذا الذي نرضى عنه أو نشكو منه هنا هو ، تقريباً ، في وطننا العربي كله . وإذا صدق مني الظن وإخاله صادقاً - فما أحرى أن تتعاون الجهود العربية في ميدانٍ هو معتصمها .. إنه خطه دفاعها الأخير قبل أن تتبلبل بها ألسنتها ، بعد أن أوشك أن يتبلبل فيها كل شيء .

إن عمل اتحاد المجامع في ذلك هو العمل الأساسي الأصل الذي لا بد منه ، والذي لا بد له إن شاء الله - وقد صدقت النيات واجتمعت الجهود - من أن يعطي أطيب الثمار .

شكري فيصل

دمشق « ص.ب ١٩ »

وقفه مع ديوان بشار بن برد

- ٤ (*) -

الدكتور شاكر الفحام

الجزء الثالث من الديوان :

١٠٣ - يقول الشارح (٣ : ٢) في التعليق على قصيدة بشار التي مطلعها :

ألا قل لعبدة إن جئتها وقد يبلغ الأقرب الباعدا

« والظاهر أن هذه الأبيات بقية من قصيدة تلاشت ، فلم يظفر جامع شعر بشار إلا بهذه الأبيات » . والحق أن جامع الديوان أعاد القصيدة كاملة (٣ : ١٤٧ - ١٥١) .

(*) نشر القسم الأول والثاني من هذا المقال في الجزأين السابقين (مج ٥٣ ج ٢ ، ٣ ، ص ٣٤٠ ، ٥٧٢)

١٠٤ - يقول الشارح (٣ : ٢) في التعليق على قصيدة بشار التي ذكرتها آنفاً : « والأبيات من بحر المتقارب ، عروضها مخدوفة وضربها كذلك ، وهذا جائز في بحر المتقارب ، سواء كانت في جميع أبيات القصيدة أم كان في بعض أبياتها » . ويقول أيضاً (٣ : ١٤٧) في التعليق على القصيدة نفسها : « والقصيدة من بحر المتقارب ، عروضها وضربها مخدوفان ، والعروض المخدوفة في المتقارب غير مشهورة ، وإنما يكون الضرب مخدوفاً . ولكن بشاراً يكثر من تسوية عروض القصائد من المتقارب بضربها المخدوف ، . وفي هذا الكلام تسمح لابد من التوقف عنده . ذكر العروضيون أن المتقارب التام عروضه صحيحة (فعولن) ولها أربعة أضرب : (فعولن) ، (فعول) ، (فَعْلٌ) ، (فَعٌ) . وإذا بنى الشاعر قصيدته على أحد هذه الأضرب الأربعة وجب أن يلتزمه في جميع أبيات القصيدة التزاماً واجباً ، أما العروض فيجوز فيها دخول الحذف فتصبح : (فعو = فَعْلٌ) ، وهذه الملة في عروض المتقارب تجري مجرى الزحاف ، فتوجد العروض مخدوفة في بيت ، وصحيحة (أي لم تلحقها ملة) في بيت آخر ، ويجوز أن يدخل العروض الصحيحة القبض فتصبح (فعولٌ) (حاشية الدمنهوري : ٦٦ - ٦٧) . وهذا ما وقع في قصيدة بشار ، فقد جاءت العروض صحيحة حيناً ، ومخدوفة حيناً آخر ، أما الضرب فقد التزم الشاعر فيه الحذف التزاماً مطلقاً ، إذ لا يجوز له غيره . وإذا فات الشارح التنبيه إلى هذه الخاصة في عروض المتقارب فقد وقع شيء من الخلل في تجزئة بعض أبيات القصيدة .

وطارف حب أصاب الفؤاد دَ ، وجدت تباريحه زائدا
إذا نقص النأي حباً امرئ وجدت تباريحه زائدا

وعلق الشارح على البيت الأول بقوله : د والمصراع الثاني وضعه هنا سهو
من ناسخ الديوان ، لأنه بزيادة الدال لا يبقى موزوناً ، والصواب لفظاً
ومعنى أنه مصراع ثانٍ للبيت بعده ، كما هو مذكور فيه ، . وفي كلام
الشارح أمران :

أولهما : أن المصراع الثاني بزيادة الدال من الفؤاد لا يبقى موزوناً .
وهذا صحيح ، ولكن الدال هي تنمة المصراع الأول ، إذ أن عروض
المتقارب نجبيء مرة صحيحة ، ومرة محذوفة ، وهنا جاءت صحيحة ، مقبوضة :
(فعول) ، فكان لا بد من رد الدال إلى المصراع الأول .

الثاني : أن المصراع المذكور ورد سهواً من الناسخ ، وهو يلائم
معنى البيت الذي يليه . وهذا صحيح أيضاً ، وكان المصراع الملائم للمصراع
الأول على طرف الثام من الشارح . وصحة رواية البيت كما جاء في
الديوان (٣ : ١٤٧) :

لطارف حب أصاب الفؤاد وقد يمنع الطارف التالدا

١٠٦ — قال بشار (٤ : ٣) قصيدته التي مطلعها :

غُيِّبَ جيرانه بُذِي حَمْدٍ عن ليل من لم ينم ولم يكدر

فعلق الشارح على القصيدة بقوله : د والقصيدة من بحر المجتث ، وقد استعمله
لأماً على وجه الشذوذ والحق أن القصيدة من المنسرح عروضه
مطوية (مفتعلن) ، وخرجه مطوي (مفتعلن) (حاشية الدمنهوري :
٦٠ - ٦١) .

١٠٧ — قال بشار (٣ : ٥) :

يا أيها المكتوي على ظعن باتوا ، وما سلّموا على أحد
 روي « باتوا » بالتاء المثناة الفوقية ، والصواب : « بانوا » بالنون . وهو
 يذكّر بالتصحيف القديم الشهير : « بانت وبات قريبها » في القصة التي
 رواها منذر بن سعيد البلوطي الأندلسي (انظر معجم الأدباء ١٩ : ١٨٣) .

١٠٨ — قال بشار (٣ : ٥) :

كانت محل الخليط فاقلبت وحشاً من المنشدين والخُرُودِ
 وعلق الشارح : « الخرد » بضمّين ، أراد به جمع خريدة . . . ويجمع
 على خُرُود ، فضمّ الراء اتباع اضمّة الخاء للضرورة ، . والحق أنّ
 لا ضرورة ، قال في التاج : « الخريد ، والخريدة بهاء ، والخرود كصبور .
 من النساء : البكر التي لم تمس قط ، أو الخفرة الحية ، الطويلة السكوت
 الخافضة الصوت ، المسترة ، قد جاوزت الإعصار ولم تعنس ، الجمع
 خرائد ، وخُرُود بضمّين ، وخُرُود بضم فتشديد ، الأخيرة نادرة ، لأن
 فعيلة لا تجمع على فُعُئل ، .

١٠٩ — الأبيات السبعة : ٣١ - ٣٧ (٣ : ٧) الواردة في

القصيدة التي مطلعها :

غيب جيرانه بلدي حمد عن ليل من لم ينم ولم يحمد

هي هي الأبيات التي وردت في القصيدة التي مطلعها (٢ : ١٨٤) :

راحت سليمى تدعوك بالعند وبالمني في غد وبعد غد

١١٠ - قال بشار (٣ : ١٠) :

إذا قربت شطت ، وتدنو إذا دنت تقول بوعنان الشباب على الصمد

ولعل صحة الشطر الأول : « إذا قربت شطت ، وتدنو إذا نأت » ليتم
التناسق ويزول الاختلال في المعنى . وهو يشبه قوله (٣ : ٥١) :

إذا ما باعدت قربت برأي وإن قربت فشيمتها البعاد

١١١ - قال بشار يترضى محبوبته ريمة التي باعدته لاس حاسدة

تسعى في التفريق بينهما (٣ : ١١) :

لعنة الله على جارية صرفت قلبك عني حسدا

.

إن إعراضك من تبليغنا أسخط القلب ، وأوهى الكبد

ضبط « قلبك » بفتح الكاف ، والصواب كسرهما ، لأنها ضمير ريمة ،
محبوبته . وضبط « تبليغنا » ، والصواب : « تبليغها » ، لأن الضمير
يعود على الجارية التي وشت به ، وبلغت ريمة أقوالاً كاذبة « تبليغ من
يسدي الحديث وينسج » حتى أعرضت عنه . فالشاعر في بيته يتنصل إلى
محبوبته مما نقلته الحاسدة الواشية .

١١٢ - وقال بشار يخاطب امرأة عرضت له دون محبوبته ريمة ،

وراحت تصدى له تحاول أن تنصاه لتصرفه عن هواه ، فعافتم - نفسه ،
وتأذى بها (٣ : ١٣) :

يحتوى وصلك قلبي غاديا وثراك العين فيها رمدا

ضبط « يحتوى » بالحاء المهملة ، وفسر الشارح معنى البيت تفسيراً غريباً

فقال : « أي أتمنى وصلك ، وتشتاقك العين » . وإنما دفعه إلى مثل هذه المضائق أنه لم يبين مراد الشاعر الذي يؤكد تعلقه بمحبوبته ، وبصرف وجهه عن كل ما سواها . والحق أن كلمة « يحتوي » مصحفة ، وصحتها : « يحتوي » بالجيم . قال في اللسان : « اجتواد : كرهه » . فالشاعر يصد هذه المرأة التي تعرضت له ، ويبين لها أنها بغیضة إلى قلبه ، وقذاة في عينه ، وأنه لا يروقه في الحياة غير وجه محبوبته .

١١٣ - يقول بشار يتغنى بحاسن محبوبته عبدة (١٥ : ٣) :

من الخفريات لم تطلع بفحش على جار ، ولا بكرت ترود

فقال الشارح في تفسيره : « ترود : تلتمس الكلاء المرعى ، يريد أنها لا تخدم ، لأن الخدم يكرن الهبوب من النوم ، وكأنه أراد من الرود هنا مطلق التماس الحاجة » ، ويبدو لي أن بشاراً يريد معنى آخر من معاني « الرود » ، قال صاحب اللسان : « وامرأة راد ورواد .. طوافه في بيوت جاراتها ، وقد رادت ترود .. فهي رادة : إذا كثرت الاختلاف إلى بيوت جاراتها » . وجاء في الأساس : « وامرأة رادة ، وقد رادت ترود : اختلفت إلى بيوت جاراتها » ، وهذا المعنى أراد به جرير بقوله :
(د : ١٦٠) :

حصان ، لا المريب لما خدين ولا تفشي الحديث ولا ترود

١١٤ - وقال بشار يخاطب صاحبه الوليد الذي لأمه على هواه

(٣ : ١٦) :

فهلأ ، لا أبالك ، بعض لومي ضججت من الهوى وأنا العميد

ضبطت كاف د لا أباك ، بالكسر ، ولعلها من خطأ المطبعة ، والصواب فتحها ، لأن الشاعر يخاطب صاحبه الوليد .

١١٥ - وقال بشار في هجاء ابن قزعة (١٨ : ٣) :

كسوتك حلة بما أسدي بروداً لا يفارقهما برودُ

وكلمة د لا يفارقها ، لا تلائم معنى البيت ، ولعل الصواب : د لا تقاربا ، بالتاء المثناة الفوقية ، والقاف .

١١٦ - وقال بشار (٢١ : ٣) :

ليت شعري أكلهن بخيلٌ مثل ما قد يكون أم هن جودُ

والبيت قلق ، والصواب فيما بدا لي : د مثل ما قد بلوت ، أو د مثل من قد بلوت ، بالباء الموحدة واللام . ومعنى بلوت : امتحنت واختبرت . ثم قال الشارح في التعليق على د جود ، انها مصدر وقع خبراً عن قوله د هن ، . ولعل الصواب ان جوداً جمع جواد ، قال في اللسان : « جاد الرجلُ ... فهو جواد ، وقوم جُود ... وكذلك امرأة جواد ونسوة جُود ، مثل نوار ونُور ، .

١١٧ - وقال يتحدث عن قلبه (٢٣ : ٣) :

أقول لمثبت وبه حرّالكُهم ولا يسمع بانقياد

ضبط د يسمع ، بفتح الميم ، والصواب كسرهما . جاء في اللسان : د يسمع البهيرُ بعد صموبته : إذا ذلُّ ، ،

١١٨ - قال بشار قصيدته التي مطلعها (٢٩ : ٣) :

ألم بأن أن تسلي مودة مهددا فتخلف حاملا، أو نصيب فترقدا

وعلق الشارح مبيناً بحر القصيدة فقال : « وهي من بحر الطويل ، عروضها وضربها مخدوفان » ، والصواب أن يقال : « عروضها وضربها مقبوضان » (الحذف : هو ذهاب سبب خفيف ، والقبض : حذف الحامس الساكن) .

١١٩ — وقال بشار يصف ما يعاني من آثار الهجر (٣٢ : ٣) :

فألى على الهجر الرقاد ، ولم تزل نجياً لضيفان الهموم مسهدا

وكنت إذا ضاقت همومي قريبها الأراجبي ، حتى أورد الهم موردا
 وكلمة « فألى » في مطلع البيت الأول محرفة ، لعل صحتها « فأك » ،
 بالنون في أولها ، والكاف في آخرها ، فالشاعر يصف ما يلقاه من متاعب
 وأشجان لبعد حبيبته ، وكان يمكن أن تكون الكلمة « نأني » لولا فعل
 الخطاب التالي : « ولم تزل نجياً لضيفان الهموم » . وكلمة « ضاقت »
 بالقاف ، في البيت التالي ، مصحفة ، صحتها : ضافت ، بالفاء . قال في
 اللسان : « ضافه الهم : نزل به . قال الراعي :

أخيلد إن أباك ضاف وساده هتان باتا جنبة ودخيلا ،

وقال أبو خراش (ديوان الهذليين ٢ : ١٥) :

أرقت لهم ضافني بعد مجعة على خالد ، فالعين دائمة السهم

وقال القتال الكلابي (شرح المازوني على الحماسة ٢ : ٦٥٢) :

قرى الهم إذ ضاف ، الزماع فأصبحت منازلُه تعتس فيها الثعالب

وقال ذو الرمة (أساس البلاغة وكب) :

وكنْتُ إذا ما الهمُّ ضافَ قريته مواكبة ينضو الرعان ذميلها (١)

١٢٠ - قال بشار يصف ناقته (٣ : ٣٤) :

مواشلة مثل الفريسة عبت بشرقي وعساء السمينه موقدا
وأطال الشارح في تفسير « مواشلة » باللام ، على غير طائل . والصواب :
« مواشكة » بالكاف ، قال في اللسان : « ناقة مواشكة : سريعة ..
فرس مواشك ، والأنثى مواشكة ... » قال عبد الله بن عتبة يرثي بسطام
ابن قيس :

حقيبة سرجه بدت ودرع^٢ وتحمله مواشكة^٣ دؤول^٤ (٢) ،
وقال جرير (٥ : ١٤٨) :

وكم كافن دونك من سهوب تكل به المواشكة^٥ الوخود^٦

١٢١ - قال بشار يمدح محمد بن السفاح (٣ : ٣٦) :

به تطحر الأقداء عن سرياتها ونلقى إذا نابى الجنان تفر^٧دا
وفسر الشارح : « السريات » بالسين المهمة والياء المثناة التحتية ، بأنها
المعاقل ، لأن السراة أعلى الجبل . وينقض على الشارح ما ذهب إليه ، أن
السراة تجمع على سروات . والبيت كما ورد كثير التحريف حتى ما تبين
معالمه . وقد بدت لي قراءة أعرضها :

(١) قال في لسان العرب (مادة جرد) : « ولذلك قيل : نضا الفرس^٨
الحيل : إذا تقدمها ، كأنه ألقاها عن نفسه ، كما ينضو الإنسان^٩ ثوبه عنه » .
(٢) البيت من قصيدة لامية لعبد الله بن عتبة الضبي . انظر القصيدة
وتخرجها في الأصمعيات : ٢٧ - ٢٩ ، وقد صحفت كلمة « دؤول » في اللسان
إلى « دؤوك » بالكاف .

به تطحر الأقداء عن مشرباتنا ويلقى إذا هاب الجبان فعردا
قال في اللسان : « المشربة ، بفتح الراء : الموضع الذي يشرب منه كالمشربة .
وعرد الرجل عن قيرنه : إذا أحجم ونكل . والتعريد : الفرار ، وجاءت كلمة
« عرد » في بيت بشار في القصيدة نفسها . قال (٤٠ : ٣) :

مقيم يذب المشركين بسيفه حفاظاً ، وقد ولّى الخميس وعردا
١٢٢ - قال بشار في مديح محمد بن السفاح يذكر أباه وعمه
(٣ : ٣٧) :

هما جرّبا قبل الجياد وفلّدا فأبها أشبهت كنت المقلدا
ضبطت « جرّبا » بالباء الموحدة من التجريب ، والصواب : « جرّبا » ،
بالياء التحتية ، من الجري ، فالشاعر يشبه السفاح والمنصور بجوادين سابقين
جرّبا فسبقا . وضبط « المقلدا » بكسر اللام المشددة ، وفسر تفسيراً
خاطئاً . والصواب فتح اللام المشددة . قال في اللسان : « المقلد من
الحيل : السابق ، يُقلد شيئاً ليعرف أنه سبق .. ولا يقلد من الحيل
إلا سابق كريم » . وتشبيه الرجل الكريم بالسابق من الحيل تشبيهه درج
عليه الشعراء منذ الجاهلية ، قال جرير (١٧٤ : ٥) :

ولقد جرّبت فبحث أول سابق عند المواطن مبدئاً ومعيداً
وقال (٢١٩ : ٥) :

ولقد جرّبت فما أمامك سابق وعلى الجواب كهموءة وغبار
وقال بشار في مديح المهدي (٢٧٨ : ١) :

جرى اللهماسيم على إثره جري البراذين خلاف العراب

وقال في مديح الربيع (٤٧ : ٣) :

سبق الربيع بفضله أيام مكة ، كل قائد
خلّى الجياد خلفه ومضى بأبدية الأوابد

وهكذا يتسق المعنى الذي أراده بشار ، من مشابهة الممدوح لأبيه السفاح وعمه المنصور ، فيها سابقان ، وهو مثلها ، سابق لا يتخلف .

١٢٣ - وقال في مديح محمد بن السفاح (٣٧ : ٣) :

تخولت مخزوماً ، وفزت بهاشم فأصبحت من فرعي قریش مرددا
وأنت ابن من رادى أمية بالقنا جهاراً ، وبالبصري ضرباً مؤيدا

وكلمة « من » في البيت الأول محرفة ، صحتها : « في » . وضبطت كلمة « البصري » في البيت الثاني ، بفتح الباء الموحدة ، وأطال الشارح في تفسيرها ، ولم يهتد إلى وجه الصواب فيها . وصحتها : « البصري » ، بضم الباء . قال في اللسان : « بصرى » ، قرية بالشام . . . وتنسب إليها السيوف البصرية . قال [أوس بن حجر] :

يملون بالقلع البصري هاشم [ويخرج الفسوم تحت الدقارير]

والنسب إليها [أي إلى مدينة بصرى] « بصرى » . وقال ساءدة بن جؤية الهذلي (ديوان الهذليين ١ : ٢٠٤) :

كأنما يقع البصري بينهم من الطوائف والأعناق بالوذم

البصري : سيف من سيوف بصرى . وقال أبو جندب الهذلي (ديوان الهذليين ٣ : ٨٧) :

أما أسلُّ الصَّارم البُصريا

قال أبو سعيد السكري : وُبصريٌّ ، بضم الباء : سيفٌ عمل ببصري الشام.

١٢٤ - وقال يذكر الخلفاء العباسيين (٣ : ٣٩) :

أرى الناس ما كنتم ملوكاً بأمانةٍ ولو فقدوكم خالف القائمُ اليبدا

ضبط « خالف » بالخاء المعجمة ، ولا يلتئم معناه مع الشطر الأول ، والصواب « حالف » بالخاء المهملة ، إشارة إلى اضطراب الأمر ، ونشوب الفتن ، إذا نزل العباسيون عن الملك ، حتى إن مقبض السيف لا يفارق يد صاحبه ، لأنه غير آمن على نفسه .

١٢٥ - وقال في مديح محمد بن السفاح (٣ : ٤٣) :

إذا آذنته الحرب آذن نومه بحرب إلى أن يقعد الحرب مقعدا

ضبط « نومه » مرفوعاً على أنه فاعل آذن ، وتكلف الشارح تفسيره . والصواب نصب ، على أنه مفعول لآذن . قال في اللسان : « آذنه الأمر ، وآذنه به : أعلمه . وقد قرئ : (فآذنوا بحرب من الله ورسوله) [سورة البقرة ، آ : ٢٧٩] ، أي أعلموا كل من لم يترك الربا بأنه حرب من الله ورسوله . فالأمير محمد إذا شبت الحرب شمّر لها وتهاياً ، ومنع عينيه الكرى ، تيقظاً ، وشدة شكيمته . وقد أكثر الشعراء من طرق هذا المعنى ، يصفون به يقظة الممدوح وحذره ، ونجوده للحرب . وفي مثله يقول أبو تمام :

ليت صوتاً زبطرياً هرقت له كأس الكرى ، ورضاب الخرد العرْب

وقريب من هذا الباب قول بشار :

إذا أيقظتك حروب العدا فنبه لها عمرا ثم نم

١٢٦ - وقال في النسب بريئة (٥٠ : ٣) :

بريئة خالفت عيني سهوداً وبئس خليفة النوم السهاد

ورد « خالفت » بخاء معجمة ، وصوابها : « خالفت » بخاء مهملة . ووردت : « سهوداً » في الشطر الأول ، ولم تذكرها كتب اللغة ، ففعل الصواب : « سهاداً » .

١٢٧ - وقال (٥١ : ٣) :

ويوم في ذرى جشم بن بكر نعمت به ، وندماني زياد

ضبطت « ذرى » بضم الذا المفعمة ، ولا تلام معنى البيت ، والصواب « ذرا » بالفتح ، قال في اللسان : « الذرا : الكين » . . . ويقال : فلان في ذرا فلان : أي في ظله . . . قال الأصمعي : الذرا ، بالفتح : كل ما استترت به . يقال : أنا في ظل فلان وفي ذرا : أي في كنفه وستره ودفئه . وقال في الأساس : « وأنا في ذرا فلان وفي أذرائه » واستذريت به وتذريت . وإنه لكريم الذرا ، منيع الذرا ، . وقال الشارح في التعليق على « جشم بن بكر » : « حي عظيم من أحياء العرب . وهم من بكر بن وائل ، منهم كليب المشهور ، ولتصحيح هذا التعليق يجب أن يقال : « وهم من تغلب بن وائل [أخوة بكر بن وائل] » ، منهم كليب المشهور . وإن كنا لا نقطع بأن هذا الحي من أحياء العرب هو المراد بقول بشار .

١٢٨ - وقال في مديح روح بن حاتم (٥٣ : ٣) :

قربيع بني المهلب حين يغدو به يبكي العدا وبه يجاد
 ورد « يبكي » بياء المضارعة التحتية ، بعدها باء موحدة ، ومساق الكلام
 لا يجعل للبكاء معنى في البيت ، وإنما هو تصحيف صحته : « به تنكي
 العدا ، وبه نجاد » أو : « به ينكي العدا وبه يجاد » . قال في اللسان :
 « نكى العدو نكاية : أصاب منه ونكيت في العدو
 إذا كثرت فيهم الجراح والقتل فوهنوا لذلك » ومن شواهد
 النحاة المشهورة قوله : (كتاب سيبويه ١ : ٩٩ ، خزانة الأدب
 ٣ : ٤٣٩) :

ضعيف النكاية أعداءه يخال الفرار يراخي الأجل
 وهذا المعنى أكثر منه بشار في صفة ممدوحيه ، كقوله (١ : ١٤٩) :
 إلى فتى تسقى يده الندى حيناً ، وأحياناً دم المذنب
 ووقع الشارح في التصحيف نفسه حين أورد قول بشار يفخر بنفسه ويهجو
 حماد عجرد (٣ : ٢٩٦) :

أبكي العدا ، وأجود أهل مودتي والعلاج لا قـرـر ولا ساهور
 فقد تبين لك أن بشاراً لا يبكي أعداءه ، بل ينكيهم (بالنون ،
 لا بالباء الموحدة) . وهذا الفعل كثير الدوران في شعر بشار . قال في
 مديح المهدي (١ : ٢٧٨) :

لا يحسن الفحش وينكي العدا ويعتريه الجود من كل باب
 وقال في مديح روح بن حاتم (١ : ٣٤٦) :

وما ولدوا إلا أغـر متوجاً له راحة تنكي وأخرى تحلب

وقال يذكر صاحباً له (٢ : ٦٣) :

لا يعبد المال وينكي العدا بالخيل لا وانٍ ولا لائث

وقال في مديح روح بن حاتم (٢ : ٢٥٦) .

فانك العدا ، ورد الردي وابذل ، فما شيء بخالد

وقال في هجاء أبي هشام الباهلي (٢ : ٣٢٢) :

وحسبني كأبيك لا ينكي العدا فاصبر لحسبك التي لا تحمد

١٢٩ - وقال في وصف قصيدة له (٣ : ٥٣) :

وجارية من الغر العوالي ترف الى الملوك ولا تقاد

ورد « العوالي » بالعين المهملة ، والصواب : « الفوالي » بالعين المعجمة .

١٣٠ - وقال بشار من قصيدة يتمدح فيها بالجوذ ، ويذكر أن

المال ظل زائل لا يجني الشحيح عليه إلا التعب والخيبة (٣ : ٥٨ - ٥٩) :

وما المال إلا مثل ظل سحابة غدت طبقاً ثم انجلت قطعاً برداً

فقل للذي يُبقي لمن ليس باقياً نصيب ، ولم تُعقب نجاحاً ولا رشداً

وردت « تُصيب » بمثناة فوقية وصاد وياء مثناة تحتية . ولا يظهر لها

معنى ، ويبدو لي أن صحتها : « نصبت » بالنون ، والصاد المهملة ، يليها

باء موحدة . قال في اللسان : « النَّصَبُ : الإعياء من الغناء ، والفعل

نَصَبَ الرجلُ ، بالكسر ، نَصَباً : أعيا وتعب » . فكان بشاراً

ينمى على الغنى الشحيح يترك لوارثه الغاني المال الكثير ، أنه تعب وشقي

في غير خير ، وقضى حياته « دائب الرحلة في غير غناء » .

١٣١ - وقال في وصف حاله مع عبدة (٣ : ٦٢) :

قد شاب رأسك في تذكرها وهفا الفراق ورقئت الكبد

والفراق في البيت لا معنى له ، والصواب : « هفا الفؤاد » . قال في

اللسان والقاموس : هفا الفؤاد : ذهب في أثر الشيء ، وطرب .

١٣٢ - وقال يصف حاله (٣ : ٦٥) :

سلبت فؤادك يوم رحت وغادرت جسدا أجاوره بغير فؤاد

روي « فؤادك » بكاف الخطاب ، وجعله الشارح من الالتفات ، وأسلوب

الشاعر في القصيدة وفي البيت يمنع من ذلك . والحق أنه تحريف ، صحته :

« سلبت فؤادي » بالاضافة إلى ياء المتكلم .

١٣٣ - قال بشار (٣ : ٦٥) :

أذكرت نفسي عشة الأحد من زائر صادني ولم يُصدِر

وذكر الشارح في تعليقه أن القصيدة من بحر السربيع ، وعروضها وضربها

كلاهما مخبول مكشوف ، وفيها زحاف الطي . والصواب أنها من بحر

المنسرح ، عروضها مطوية وضربها كذلك (انظر ما سبق رقم ١٠٦) .

١٣٤ - قال بشار (٣ : ٦٨) :

فصرت بعد اجتهاد في مودتها وهل يلام على التقصير من جهدا

روي « فصرت » بالفاء العاطفة ، دخلت على الفعل صار ، وخلا البيت

من خبر صار ، واختل معناه . والصواب : « قصّرت » بالقاف والصاد ،

من التقصير . وبذلك يتم المعنى ، وينعطف مضمون الاستفهام في الشطر

الثاني على ما ورد في الشطر الأول .

١٣٥ - وقال بشار في الغزل (٣ : ٦٩) :

تراوت لنا في السابري وفي الحنا ثقيلة دعص الردف، مهضومة الكبد
ضبط الشارح : « الحنا » بالحاء المهملة ، ولم يجد له معنى يلائم البيت ،
فجعله جمع حنوة ، دون أن يكون له سند من اللغة . وقال بشار :
(٣ : ١٩٥) :

دعا لنا الحور ، عليها الحيا يا حبذا الحور المعاطير
وضبط « الحيا » بالحاء المهملة والياء المتناة . وقال بشار (٣ : ٣٠٣) :
وعروس يثرب في المجاسد والحبأ أيام فضل جمالها مذكور
وضبط « الحبأ » بالحاء المهملة والباء الموحدة . ويبدو لي أن الألفاظ الثلاثة
في الأبيات الثلاثة مصحفة ، صحتها جميعاً : « الجنى » بالجيم المفتوحة والنون .
قال في اللسان : « الجنسى : الودع ، كأنه 'جني من البحر . والجنى :
الذهب ، . وقد روي اللفظ صحيحاً في قول بشار (٢ : ٩٢) :

لحشابة السلوان والعطر والجنى ولي حرق تحت الحشا تتوهج

١٣٦ - وقال بشار يتحدث عن آثار الديار (٣ : ٧٠ - ٧١) :

أشاقك معنى منزل متأبد وفحوى حديث الباكر المتعبد
وشام بحوضى ما يريم كأنه حقائق وشم ، أو وشوم على يد
ضبطت « وشام » في مطلع البيت الثاني ، بكسر الواو ، جمع وشم .
والوشم ، كما في اللسان ، الشيء 'تراه من النبات في أول ما ينبت . وهو
لا يلائم معنى البيت ، لأن الشاعر يتحدث عن آثار الديار ، والصحيح أن
الكلمة « شام » مسبوقة بواو العطف ، والشام جمع شامة ، وهي الأثر
الأسود من البدن وفي الأرض . قال ذو الرمة :

وإن لم تكوني غير شام بقفرة تجرّ بها الأذبال صيفية كدّر
وذكر مفسرو ديوانه : أن الشام جمع شامة ، أي آثار كأنها شام في
جسد ... وإنما يريد آثار الرماد . وقال أيضاً :

فلم يدر إلا الله ما هيئت لنا أهلة آناء الديار وشامها
وقال بشار (٢ : ٢٩٧) :

أمن وقوف على شام بأحماد ونظرة من وراء العابد الجادي
١٣٧ - وقال بشار (٣ : ٧٢) :

أبا كرب لم تمس حبّتي بعيدة فما قلب حبّتي عن أخيك بعيد
ولفظ « لم » وقع في غير موضعه ، وصحته « إن » الشرطية الجازمة .

١٣٨ - جاء في الديوان (٣ : ٧٣) :

لغيث ثلاث لا يفارق ريبة عفن ولا أربو ولست بمبعد
ورجح الشارح أن تكون الرواية :
لغيث ثلاث لا تقارف ريبة عفت ولا أربو ولست بمبعد
وأظن ، وليس غير الظن ، أن تكون الرواية :
لغيث ثلاث لا تقارف ريبة عفن ، ولا أربو ولست بمبعد
واللغيب : الملاعب .

١٣٩ - وقال بشار في مديح المهدي (٣ : ٧٥) :

فتى جاد بالدنيا خلا زاد راكب وسحّ على دين النبي المؤبد
ضبط « سحّ » بالسين المهملة ، والصحيح : « شحّ » ، بالشين المعجمة .
وبذا تتأق المقابلة في البيت : جاد بالدنيا ... وشحّ على دين النبي ...

١٤٠ — وقال (٧٦ : ٣) :

وما أنا إن نام الرقيق ولم أنم بأول منكوب بفقد المساعد
كتب د الرقيق ، بقافين ، والصحيح أنه د الرفيق ، بقاء بدل القاف
الأولى ، ومثل هذا التصحيف من خطأ المطبعة .

١٤١ — أورد الديوان في جزئه الثاني قصيدة لبشار من أحد عشر

بيتاً ، وكررها في الجزء نفسه (انظر ، ديوان بشار ٢ : ٢٠٩ - ٢١٠ ،
٢٥٧) . ثم أعيدت خمسة أبيات من هذه القصيدة (الأبيات : ١١ ،
١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦) مختلطة بأبيات قصيدة بشار التي مطلعها (٧٥ : ٣) :

مللت مبيتي بالقرين وشاقي طروق الهوى من نازح متباعد

١٤٢ — وقال (٧٧ : ٣) :

تشكى الضنى حتى تعاد ، وما بها سوى قرة العينين ، سقم لعائد
وقرة العينين خطأ ، صوابه : « فترة العينين » ، فبشار لا يرى في محبوبته
سقماً تتشكى منه ، سوى فتور عينيها ، وهو سقم محب طالما تمدح به
الشعراء ، لأنه شارة جمال ، وعنوان حياة وخفر ، قال جرير :

إن العيون التي في طرفها مرض قلنننا — ثم لم يحيين قتلانا

وقد روي بيت بشار على وجه الصحيح في الديوان (٢ : ٢١٠ ، ٢٥٧) .

١٤٣ — وقال بشار يصف ناقته ، ونشاطها وصبرها على السير :

(٧٨ : ٣) :

تروّع من صوت الحمامة بالضحى وبالليل تنجو عن غناء الجداجد

وكلمة « عن » ، بالعين والنون في الشطر الثاني محرفة عن كلمة « من » بالميم .
وأظنها من تحريف المطبعة .

١٤٤ - وقال بشار يصف ماء آجناً في الصحراء (٣ : ٧٩) :

وماء صرى الجمّات ، طام ، كأنه عيبة طال متلدات صعائد
ويبدو لي أن صوابه :

وماء صرى الجمّات ، طام ، كأنه عنيّة طالي متليات صعائد

والعنيّة (وقد اهتدى إليها الشارح) : أحوال الإبل ، يؤخذ منها أخلاط
فتخايط ، ثم تحبس زماناً في الشمس ، ثم تعالج بها الإبل الجربى . ومن
أمثالهم : « عنيّته تشفي الجرب » ، يضرب مثلاً للرجل إذا كان جيد
الرأي (لسان العرب — عنى ، جمع الأمثال الميداني ١ : ٤٧٩ ، المخصص
لابن سيده ٧ : ١٦٥) . والمتليات ، جمع متلية ، يقال : ناقة مثل
ومتلية : يتلوها ولدها أي يتبعها (اللسان) . والصعود : الناقة يموت
حوارها ، فترجع إلى فصيلها فتدرّ عليه ، والجمع صعائد (اللسان) .
شبه بشار الماء الآجن قد تغير لونه حتى ضرب إلى السواد . بعنيّة قد
أعدت للإبل الجربى .

١٤٥ - قال بشار في هجاء بني زيد ، وأبي هشام الباهلي : (٣ :

٨٧ - ٨٨) :

وَأَثْوَاهُمْ — مسحورة لفساد	إذا الليل غطّاهم غدوا تحت ظله
يعقونهم — عن رائد ومراد	يعيشون في أمّانهم وبناتهم
.....

فأما اللعين ابن الخليفة فإنسه يبلّ إلى سود الوجوه جعّاد

كتب في البيت الأول : « غدوا » بالغين المعجمة ، و « مسحورة » بالسين
المهملة والحاء . ولعل صواب الأولى : « عدوا » بالعين المهملة ، والمعنى :

جروا ، وسعوا في الفساد ، مستترين بظلمة الليل . ولم اهتمد إلى وجهه الصواب في الثانية « مسحورة » . وكتب في البيت الثاني « يعيشون ، بالشين المعجمة ، وصوابها : « يعيشون » ، بالثاء المثلثة . والعيش : الفساد . وكتب في البيت الثالث « ابن الخليف ، بالفاء ، وصوابه : « ابن الخلق » ، بالفاء ، وهو أبو هشام الباهلي ، واسمه : عمرو بن عبد الرحمن بن الخلق الباهلي الظالم ، فبشار ينزهه بابن الخلق ، تعبيراً له بجده ، وقد نبزه بذلك كثيراً (انظر الديوان ١ : ١٣٣ ، ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٤٧ : ٢ ، ٤٧ : ٣ : ١٠٩ ، ١٠٧) .

١٤٦ — وقال بشار (٩١ : ٣) :

ليت شعري عن ذلك الشخص إذا شطّ (م) ت به نية إلى أجياد
كتب « إذا » ، وأظنها من خطأ الطبع ، والصواب : « إذ » .

١٤٧ — وقال بشار في هجاء يعقوب بن داود (٩٣ : ٣) :

لا يأسنُ فقيرٌ من غنى أبداً بعد الذي نال يعقوبُ بنُ داودِ
قال الشارح في بيان بحر القصيدة : « والأبيات من بحر البسيط ، عروضها وضربها مخبونان » . والصحيح أن العروض مخبونة ، والضرب مقطوع (حاشية الدمهوري : ٤٦) . وكرر الشارح قوله في قصيدة بشار التي مطلعها (٩٨ : ٣) :

يا ليلتي لم أنم شوقاً ونسهاداً حتى رأيت بياض الصبح قد عادا
ولمجد مثله في تعليقه (٣ : ١٠٤ ، ١٢٧ ، ١٦١) .

١٤٨ — وقال بشار في هجاء حماد عجرد (٩٩ : ٣) :

عزّت عن قرم بني هاشم والموتُ يحدوك به الحادي

لولا تنحيك وفي نذره فيك فأصبحت مع الزاد
ضبط « نذره » بضم الراء ، على أنه مرفوع فاعل « وفي » ، والصواب :
نصبه ، على أنه مفعول به ، والفاعل ضمير مستتر يعود على قوم بني هاشم
المذكور في البيت السابق .

١٤٩ - وقال في هجائه (٩٦ : ٣) :

لو كنت ممن يتقي سوءاً أعولت من سخطي وإبعادي
ضبط « إبعادي » بياء موحدة ، والصواب « إيعادي » بالياء المثناة التحتية .
ولعلها من خطأ المطبعة .

١٥٠ - وقال بشار (١٠٤ : ٣) :

أباهل ، إني للحروب عدادٌ وإن ردائي منصلٌ ونجادٌ
قال الشارح في بيان بحر القصيدة : « وهي من بحر الطويل ، عروضها
وغيرها مقبوضان » . والصحيح أن العروض مقبوضة والضرب محذوف ،
والبيت الأول مصرّع . وأعاد الشارح قوله في (١١٢ : ٣) ، والصحيح
أيضاً أن العروض مقبوضة والضرب محذوف .

١٥١ - وقال في هجاء الباهلي والفخر بنفسه (١٠٥ : ٣) :

أنا ابن ملوك الأعجمين تقطعت عليّ ، ولي في العامرين عمادٌ
كتب : « تقطعت » بالقف ، بعدها طاء وعين مهملتان . وصوابها :
« تعطفّت » بالعين المهملة ، بعدها طاء مهملة وفاء . قال في أساس البلاغة :
« تعطفّت عليه الأملاك » ، إذا كانت أطرافه ملوكاً . وقريبٌ من معنى
البيت قول بشار (٢٣٩ : ٣) :

أبي خراسانٌ وأدعو عامراً
أكرمَ حيٍّ أولاً وآخر

١٥٢ - وقال بشار في المهجاء (١١٥ : ٣) :

أشأوَ بني كعب طلبت بمجهر قريب المدى ، ياسوأة لك ، لاتعمدُ

ضبط : « مجهر » بالجيم والهاء ، والصواب : « بمجر » بالحاء المهملة والميم . قال في اللسان : « وفرس » محمر : لثيم ، يشبه الحمار في جريه من بطنه ... ويقال لمطية السوء : محمر ، والجمع المحامر ، والمحامير . وقد صحفت الكلمة مرة أخرى في قول بشار (١٩٧ : ٣) :

قل للغواة الطالبي شأوم لا يدرك الريح المجاميرُ

كتبت « المجامير » بالجيم ، وصوابها بالحاء المهملة .

١٥٣ - وقال في رثاء حمدة (١١٧ : ٣) :

لا تبعدن ، وأين من فارقته أمسى بمثل سبيلها لم يبعد

.

أحميد ، إن ترد المصاب فإننا رهن النفوس بمثل ذاك المورد

ضبط « لاتبعدن » بفتح الدال ، والصواب كسرهما ، على ما نصت عليه كتب النحو في تأكيد المضارع المسند إلى ياء المخاطبة . ومثله ماورد في خطاب عبدة (١٤٦ : ٣) :

لا تجملن في غدٍ وعدي وبعدي غد فإن فعلت فما وفيت ميعادا

فقد ضبطت لام « لا تجملن » بالفتح ، وصوابها بالكسر ، لأن الفعل مسند إلى ياء المخاطبة . وضبط « ترد » في البيت الثاني مسنداً إلى المخاطب المذكور ، والصواب : « إن تردى » بإثبات ياء المخاطبة ، لأن الأفعال الخمسة تجزم بحذف النون . وإذا كانت القصيدة في رثاء حميدة فيجب أن يصحح ضبط الكاف في كلمة « بعدك » في البيتين التاليين (١١٧ : ٣) :

أصبحت بعدك كالمصاب جناحه يبيكي لجانبه إذا لم يسعد

• • • • •

بما يعزّي القلب بعدك ، أني في اليوم جارك يا حميدة أو غدر

١٥٤ - وقال يستنجز صاحبه وعدا (١١٩ : ٣) :

ضمّنت حاجة صاحب فاسلك بها سبل الرشاد

ضبط « ضمن » مبنياً للمعلوم ، والصواب بناؤه للمجهول . قال في القاموس :
ضمّنته الشيء تضميناً ، فتضمنه عني ، غرّمته فالتزمه .

١٥٥ - قال يصف امرأة طرقه خيالها (١٢٠ : ٣) :

ألمّت مملومة كالقنما وفتيان حرب لهم توقد

كتب « لهم » باللام ، والصواب « بهم » بالباء ، فهم موقدوها . وكتيبة
مملومة : مجتمعة . (فسر الشارح المملومة بالهجنونة . وليس مثل هذا المعنى
مراداً في البيت) .

١٥٦ - وقال (١٢١ : ٣) :

ألاعب غولاً هداها الكرى إلينا تشطّ وتستورد

كتب « هداها » بضمير الغائب المذكر ، والصواب : « هداها » بضمير
الغائب المؤنث ، فالغول مؤنثة .

١٥٧ - وقال (١٢٢ : ٣) :

وليسمكة فحس حمسادية إذا لسمت ربحها ثبرد

ضبط « حمادية » بالحاء المهملة ، وتكلف الشارح تفسيرها . والصواب :
« حمادية » بالجيم ، قال في اللسان (حماد) : « قال أبو حميد : الشتاء
عند العرب حمادى ، لجمود الماء فيه ، وأنشد للطرماح :

ليسلة هاجت ، 'جماديسنة' ذات 'صرت' ، جرياء' النسام
أي ليلة شتوية وقال أبو حنيفة : 'جمادى عند العرب ، الشتاء كله ،
في جمادى كان الشتاء أو في غيرها ، .

١٥٨ - وقال بشار في مديح ابن برمك (١٢٥ : ٣) :

لعمري لقد أجدى عليّ ابن برمك وما كل من كان الغنى عنده فيجدي

فجمل الشارح القصيدة في مديح جعفر بن برمك ، والصحيح أنها في مديح
خالد بن برمك ، ذكر ذلك صاحب الأغاني (٣ : ١٩٤) ، وذكر ذلك
بشار نفسه في قصيدته حين قال :

أخالد ، إن الحمد يُبقي لأهله جمالاً ، ولاتبقى الكنوز على الكدر

١٥٩ - وقال بشار يوازن بين حاله وحال محبوبه (٣ : ١٢٦ - ١٢٧) :

حبيبٌ قربه 'الخالد' وانثى لك بالخالد

.

ترى مني له بدأ ومالي منه من بد

ضبط ' ترى ' ، بتاء المضارعة الفوقية ، والصواب ' يرى ' ، بياء المضارعة
التحتية .

١٦٠ - وقال يمدح سفيح بن عمرو (٣ : ١٣١) :

إذا لبس المأذي يوم كريمة وشمّر مجدو الحيل أوفادها جردا

رأيت إباء الملك فوق جبينه يهز المنايا ، والمركلية النقدا

ضبط ' إباء ' ، بالباء الموحدة ، وهي مصحفة ، صحتها : ' إباء ' ،
والباء التحتية . جاء في اللسان : ' قال الأزهري : يقال : الأباء ،

مفتوح الأول بالمد ، والإيا ، مكسور الأول بالقصر ، وإيابة ، كلثه
واحد ، شعاع الشمس وضوؤها ، . فمدوح بشار ملك تمت له مهابة
الملك ، يبرق فوق جبينه تاج الملك ، وهو معنى رده الشعراء ، قال
ابن قيس الرقيات :

يأتلق التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب
وقال بشار (١ : ١٥٥) :

وعاقد التاج على رأسه يبرق ، والبيضة كالكوكب

١٦١ — قال بشار (٣ : ١٣٥) :

نبا بك خلف الظاعنين وساد ومالك إلا راحتك عماد

وذكر الشارح أن عروض القصيدة محذوفة وضربها مقبوض ، ولعله من
خطأ المطبعة . والصحيح : أن العروض مقبوضة ، والضرب محذوف .
والبيت الأول مصرع .

١٦٢ — وقال بشار يخاطب حبيته عبدة أم عمرو (٣ : ١٤٠) :

رضينا من نوالك أن تردني علي ، ولم أمت غماً ، رقادي

فقال الشارح : « رقادي ، فاعل تردني » . وهو سهو إنساني ، سبحانه
من تنزله عن السهو ، وصحته : « رقادي ، مفعول تردني » .

١٦٣ — وقال بشار يتحدث إلى عبدة (٣ : ١٤٠) :

أصد عن النساء وهن صُور كما صد الرهيص عن الضماد

فقال الشارح : « صُور جمع صُورة ، أي حسان ، كما يقولون : دُمية
ودمي » . ولا يحتمل وزن البيت ، وهو من الوافر ، تحريك الواو من
« صور » كما ضبطها الشارح ، لذلك رأى المراجع أن تكون محرفة عن

حُور . وما جاء في الديوان هو الصحيح . يقال : صَوَّرَ ، بكسر
الواو ، مال ، فهو أصور وهي صورا والجمع صُور . قال الشاعر :
الله يعلم أنا في تلفتنا يوم الفراق إلى أحببنا صورُ
وقال جرير (د : ٢٨٩) :

أنكروا عهدك بعدما يعرفه ولقد يكنّ إلى حديثك صُورا
فبشار يذكر في بيته أنه بصدّ عن النساء ، وهنّ مائلات إليه ، يفعل
ذلك وفاء منه لحبيته عبدة التي أخلص لها الود ، ولم يشرك في حبها أخرى .
عفا من حبهن سوادُ قلبي وحبك يا عبدة في السوادِ (١٤١:٣)
وبذلك يتضح معنى بشار ، ويبدو جمال الطباق بين صده وميلهن .
وأعاد الشارح تفسيره في قول بشار (٣ : ١٩٦) :
بتنا نعطيهما رهاوية وهي عكاف بيتنا صورُ
والصواب أن تفسر « الصور » في البيت بالموائل .

١٦٤ - وقال بشار ينسب بسعدى بنت صقر بن قعقاع (١٤١:٣):
كدّرت شرب الغواني ، لاصفوت لنا وقد صفا لكِ وديّ مordاً فردي
ضبط « شرب » بضم الشين ، والشرب ، بضم الشين ، فيما روى اللغويون ،
مصدر شرب أو الاسم . وليس مراداً في البيت ، والصحيح : « شرب »
بكسر الشين . قال في القاموس : « الشرب » بالكسر : الماء ، والحظ
منه ، والمورد ، . وفي اللسان : « الشرب » [بالكسر] : الماء ...
والمورد ، وجمعه أشراب ، . فبشار يخاطب محبوبته خطاب الحب الذي
أخلص لها ، وعزف عن كل امرأة سواها ، فكل مورد ، غيرها ، كدر .
وهذا المعنى قد كرره بشار فقال (١ : ٢٥٩) :

فلما لم أنل حظاً بما كدّرت من شيربي

وقال (١ : ٣٨٠) :

أنت كدّرت شربهن فأصبحت ن غضاباً عليّ يذمن شرباً

وقال في تكدير المورد الذي يدلّ على فساد الصلات ، وانقطاع المودات

(٢ : ١٧١) :

أنت ، لعمر الله ، أوجدتها عليّ ، حتى كدّرت موردي

وكتب في الديوان : « لاصفوت » ، ورآها الشارح قلقة بموضعها نابية ،

فجعلها : « ماصفوت » ، وأرجع أن صحة الكلام : « لاصفون لنا » ،

بنون النسوة بدل التاء المثناة الفوقية . فهو يأتي بجملة دعائية تؤكّد إخلاصه

لحبه ، وعزوفه عن النساء . وبذلك يتألق معنى شطره الثاني الذي يصور

فيه الشاعر توحده في حبه ، ووجده بمحبوبته .

١٦٥ — وقال يذكر محبوبته (٣ : ١٤٢) :

جمعن نفسي وقد كانت مفارقة بين النساء ، وما أبقيت من جلتد

قال النواصيح : طوبى ، قدظفرت بها مكسورة الطرف بالتأنيث والرمد

ورد في البيت الأول : « جمعن » و « أبقيت » ، بنون النسوة ، وبشار

يحدث مسعداه بما كان لحبها في نفسه : لقد ملك عليه قلبه فاقتصر عليها وحدها

وآثرها بهواه ، وابتعد عن كل النساء سواها ، فلذلك وجب أن يكون

الفاعل مسندين إلى تاء الفاعل :

جمعت نفسي وقد كانت مفارقة بين النساء ، وما أبقيت من جلتد

وهذا المعنى قد كرره بشار في شعره ، كقوله (٣ : ١٣٩) :

جمعت القلب عندك أمّ عمرو وكان مطرحاً في كل وادٍ

وورد في البيت الثاني : « بالتأنيث والرمذ » بواو العطف ، ومثل هذا العطف يفسد المعنى ، لأنه يثبت للعين صفة قبيحة تناقض سابقتها . وصحة الكلام « بالتأنيث لا الرمد » بإثبات « لا » النافية بدل واو العطف . وكسر الطرف تأنيثاً وحياء من صفات النساء المحببة ، وهو عيب قبيح إن كان رمداً . وقد كرر بشار معناه في فتور العين وأغضائها ، قال (١ : ١١٤ ، ١٢٩) :

با حسنها يوم تراءت لنا مكسورة الطرف ياغضاء
وقال (١ : ١١٦) :

يتعرضن لي بفاترة الطر ف ، إذا أقبلت ثناها الحياء
وقال (٢ : ٧١) :

غراء ، ربا العظام ، آنسة مكسورة العين ، زانها دَعَجُ
١٦٦ — وقال بشار (٣ : ١٤٨) :

وأعجب منها وإن أصبحت أعاجيب تستنتج الهاجدا
تجنّيك زيناً على عاشق ولم يأت ما ساءكم عامداً

ورد « زيناً » وهي مصحفة ، صحتها : « ذنباً » بالذال المعجمة والنون والباء الموحدة . وكلمة « تجنّيك » هي خبر المبتدأ « وأعجب منها » في البيت السابق .

١٦٧ — وقال في وصف صبي (٣ : ١٤٨) :

رزان ، إذا رعدت مزنة عليهم ، فإن يسمعوا الراعدا

وكلمة « فإن » واضحة التعريف ، ولا جواب لها ، وصحتها : « فلن » (الفاء الرابطة لجواب الشرط « إذا » والداخلية على حرف النفي « أن ») .

١٦٨ - وقال بشار يصف إبريق الخمر (١٤٩: ٣) :

ركوب ، إذا الكأس كرت له أكب فخراً لها ساجدا

ولا مورد لكلمة « ركوب » ، في البيت ، ولا تناسب بينها وبين جاراتها .
ولعل الصواب أن يقال :

ركود ، إذا الكأس كرت له أكب فخر لها ساجدا

يصف بشار حالي الإبريق ، فهو ثابت قائم قبل الصب ، ساجد حين الصب .
وتظهر براءة بشار في التلاعب بلفظي الركود (القيام) والسجود في
الصلاة ، وتلاقي الطباق فيها . وشعر بشار يفسر بعضه بعضاً ، فقد كرر
بشار معناه في مواضع عدة . قال (١١٩: ٢) :

وندمان صدق قد وصلت حديثه بأزهر ، محتاج المدامة ، نباح
إذا فرغت كأس امرئ خراً ساجدا وصب لنا صفراء في طيب تفاح

وقال في صفة الإبريق بيدي الساق (١٩٠ : ٢) :

بيديه مثل المصلي من الـ لـ ، سجوداً حيناً ، وحيناً ركوداً

وقال في صفة الإبريق (١٩٩ : ٢) :

جاءت بأزهر لم تنسج عمامته إذا الزجاجة كادت كأسه ساجدا
ربان كالريم خداه ومذبحه إن لم يرع بسجود سامراً ركدا

وأصل معنى الركود : الثبات ، وكل ثابت في مكان فهو راكد . ومنه
حديث سعد بن أبي وقاص في صفة الصلاة : أركد بهم في الأولين ،
واحذف في الأخيرتين ، أي اسكن وأطيل القيام في الركعتين الأولىين
من الصلاة الرباعية ، وأخفف في الأخيرتين . والرواكد : الأثافي ،
مشتق من ذلك لثباتها . وفي مثل هذه المعاني يقول أبو نواس (٢٥ : ٢) :

إبريقنا منتصب تارة وتارة مبتوك^١ جساتِ

وقال (د : ٥١) :

من مائلٍ فدِمتَ^٢ مضاحكه يقلس في الكأس بيننا الذهبا

يقلس الذهب في الكأس : يصب الخمر في الكأس . يقال : قلست النحل^٣
العسل : مجتته . وقلست السحابة الندى : إذا رمت به من غير مطر
شديد . وقال (د : ١٦٦) :

إلى أبريق مفدمات

بصغين للكووس راكعاتِ

أي يملن راكعات .

١٦٩ — قال بشار (٣ : ١٥٣) :

فبت^٤ أنشد يوم العين مرتفقاً حتى الصباح ، وما نومي بوجود
كتب^٥ يوم ، بالياء التحتية ، وصحتها : « نوم » بالنون . ولعلها من خطأ المطبعة .

شاكر الفحام

— للبحث صلة —

تجربتي في تقريب المصطلحات العلمية

الدكتور عبد الكريم اليافي

طلبت لجنة السكان بمنظمة الأمم المتحدة في دورتها الرابعة إلى أمين المنظمة إدخال مشروع يقتضي وضع معجم ديمغرافي متعدد اللغات في برنامج عملها .

ثم عرض الاتحاد العالمي لدراسة السكان العلمية مشاركته في هذا المشروع . وتألقت لجنة من علماء بعض الأقطار لتأليف هذا المعجم . وقد هُيئت مسودة له سنة ١٩٥٤ أرسلت نسخ عنها إلى العاملين في بحوث السكان ليروا رأيهم في المصطلحات المؤلفة . ثم عمدت اللجنة بعد تلقيها مختلف الآراء وقبول ما هو مناسب إلى صوغ المعجم وطبعه بصيغته التي ظهر بها في الفرنسية والانكليزية والاسبانية سنة ١٩٥٨ ، وهي اللغات العملية التي كانت إذ ذاك لمنظمة الأمم أي بعد مضي أربع سنوات على نشر المسودة .

وفي غضون تدريسي لمادة علم السكان بالجامعة السورية التي صار اسمها بعد حين جامعة دمشق كنت مسيراً للبحوث السكانية في أكثر الأقطار ،

فاطلعت على فكرة وضع ذلك المعجم منذ نشوتها ، كما اطلعت على نسخة المسودة الوقتية ثم على الطبعة الأخيرة له .

ولم تكد تلوح الوحدة بين سورية ومصر حتى قدمت اقتراحاً بوضع نسخة عربية لهذا المعجم الذي لم يمضِ إذ ذاك على صدوره سنة واحدة . وقد أقر المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في الجمهورية العربية المتحدة هذا الاقتراح سنة ١٩٦٠ ، وعهد إليّ وإلى الدكتور عبد المنعم الشافعي من القاهرة في أمر النسخة العربية . وتقاسمنا كلانا الفصول . وعلى الرغم من انفصام الوحدة بعدئذٍ وتدابير الأقليمين الشقيقين استطعنا أن نجتمع وأن نتذاكر في النص العربي المهيأ سنة ١٩٦٣ ثم نهني إلى المجلس الأعلى النص الذي اتفقنا عليه بعد جهد جاهد ومناقشات طويلة استمرت نحواً من الشهر واشتملت على نصيب من التساهل حسماً للخلاف ورغبة في الإنجاز .

ولم يكن الغرض مجرد ترجمة المعجم الانكليزي أو الفرنسي إلى العربية . وإنما كان الغرض وضع المصطلحات السكانية وتعريفاتها باللغة العربية بحيث يحمل كل مصطلح منها رقماً إلى جانب رقم الفقرة التي يرد في ثناياها . فالمصطلح محدد برقمين : رقمه هو ورقم الفقرة التي هو فيها . وذلك بالاستناد إلى المصطلحات الأجنبية ودلالاتها . وهكذا لا يوجد في كل معجم إلا لغة واحدة يمكن مقابلة كل مصطلح فيها عند الحاجة بمصطلح اللغة الأجنبية فرنسية أو إنكليزية أو إسبانية أو غيرها بالنظر إلى الرقمين . وهذا من شأنه تحديد معاني المصطلحات بإيراد تعريفات لها دقيقة مطابقة ، ومن شأنه أيضاً تسهيل الترجمات من لغة إلى أخرى في هذا المضمار وتنسيق البحوث

فيه . وذلك كله بإضافة ما هو خاص بثقافة أهل اللغة وعاداتهم مما يتعلق بقضايا السكان . وقد ظهر المجلد العربي سنة ١٩٦٦ في القاهرة أي بعد انسلاخ خمس سنوات على إعداده . ولقد كان هذا التأخير إجرائياً محضاً ، ولا علاقة له بإنجاز النص .

ولم نجد أنا ورصيفي عقبات بارزة في وضع المصطلحات الديمغرافية الحديثة باللغة العربية الواسعة المطواع . وإنما كانت الصعوبة في اختيار أنسب المصطلحات وأمثلها وأشرفها دلالة عن المعاني .

سأعود بعد قليل إلى هذا الموضوع لأوضح كيف تم ظهور المعجم العربي . هذا ولم نكن نعلم إلى اختراع ألفاظ غريبة وغامضة إلا عند الحاجة القصوى . وإلا فإنه متى اتضحت الفكرة وملك المرء جانباً من زمام التعبير في اللغة العربية جاء الاصطلاح يسيراً . ولعل بعض الأمثلة يوضح ما نريد .

قد يتردد الذين يكتبون في علم السكان تلقاء المصطلح الفرنسي

Durée moyenne de la vie , espérance de vie

أو ما يقابله في اللغة الانكليزية :

mean length of life, expectation of life

فيقولون : أمل الحياة أو يقولون : توقع الحياة . فلا يسكاد يفهم المرء من ذلك شيئاً . وهنا نحب أن نشير إلى أن اللغات الأجنبية لغات جامدة توضع المصطلحات فيها دون أن تشف تمام الشفوف عن حقائق المعاني أو كنه المراد . إن ذلك المصطلح الأجنبي يعني ما يتحصّل إحصائياً إذا أخذنا جيلاً من الناس أي أناساً أتراباً ولدت ولدوا في سنة واحدة وطبقنا عليهم نسب

الوفيات الجارية في مجتمعهم سنة تلو سنة حتى فنائهم جميعاً وقسمنا على عددهم مجموع آجالهم . فذلك هو ببساطة كبيرة الوسط الحسابي لآجالهم أي هو « الأجل المتوسط » أو « الأجل المتوقع » لذلك الجيل إذا أردنا أن نستعمل لفظاً من ميدان حساب الاحتمال . ولا شك أن التعبير العربي هذا أسف عن المراد من الألفاظ الأجنبية المتعددة الطويلة الجمامدة التي ليس فيها روثق اللفظ العربي ولا طلاقته ولا دقته ولا شفوفه . وعندما نقرأ في الصحف أو المجلات العربية موضوعاً يمس هذه الأمور نعجب من كاتبها أو مترجمها حين يقولون ما معناه أن حياة الانسان قد طالت في العصر الحاضر . وإنما الذي طال هو الأجل المتوسط للمواليد بسبب نقص وفياتهم خلال العام الأول من حياتهم . ولا شك أن اختيارنا لهذا التعبير العربي متصل بمصطلحات ديمغرافية أخرى يلزم تفريق بعضها عن بعض . وهي « العمر المتوسط » وهو الوسط الحسابي لجماعة من الناس أحياء من أجيال شتى . و « العمر الوسيط » وهو العمر الذي يقسم جماعة من الناس أو مجموع الناس في المجتمع إلى شطرين متساويين عدداً . و « العمر المعتاد أو النظامي » وهو العمر الذي يبلغ عدد الوفيات في جيل مُتَتَبِعٍ نهائيه المظمى أو أوجه ، أو هو « المنوال » لعدد الوفيات في الجيل بالتعبير الإحصائي . وهو ما أشار إليه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في بعض حديثه لما بلغ الخامسة والستين حين قال ما معناه أنه أمسى في معترك المنايا ، دون أن يكون لديه علم بهذا المصطلح الإحصائي ، وإنما هو الحدس الإنساني البليغ . و « الأجل الوسيط » أو « الأجل المحتمل » ، وهو العمر الذي يصبح عدد الجيل فيه نصف ما كان ، هنا نستقرئ عدد الجيل سنة فسنة ، بل بعض

أجزاء السنة حين يتتابعون إلى الموت (التتابع بالياء هو التتابع إلى أمر مكروه) . أما العمر الوسيط الآنف فهو يتعلق بجماعة من الأحياء فقط أياً كانوا فيقسمها قسمين متساويين .

وقد احتجنا في بعض المواضع إلى اعتماد ألفاظ قل استعمالها وإن كانت سليمة صحيحة . ففي فن التوليد « تصنف الأمهات الحوامل اللواتي قرب مخاضهن بالنظر إلى الأمومة إلى أبكار أو خُرُسٍ وضوانىء سبق أن وضعن . أما اللاتي لم يضعن قط فيجوز دعوتهن العوط جمع عائط ، . وقد شرحنا أمثال هذه الألفاظ في الحواشي ، وأضفنا إليها استعمال ألفاظٍ أخرى . هذا وإن لفظ العائط ، وقد يجمع على عيطٍ أيضاً ، أوسع من لفظ العقيم لأن العائط ربما لا تكون عقيماً .

والألفاظ الأجنبية في فن التوليد مصطلحات علمية حديثة لا يفهمها إلا الأطباء وأصحاب الاختصاص وعلماء الأحياء . فالخُرُس تقابل في الفرنسية Primipare ، وفي الانكليزية Primiparous . ولها مرادف باللغة العربية وهو البكر . ولكن هذا اللفظ في لغتنا له عدة معانٍ تقتصر منها ههنا على معنيين : الأول البكر العذراء وجمعها أبكار والمصدر البـكاره ، والثاني البكر المرأة والناقة إذا ولدتا بطناً واحداً ، وهو ما أردناه في ذلك السياق . وتستشهد كتب اللغة على هذا المعنى بقول أبي ذؤيب الهذلي :

ولم حديثاً منك لو تبدلينه جنى النحل في ألبان عوذٍ مطافل
مطافيل أبكارٍ حديثٍ نتاجها تشاب بماء مثل ماء المفاصل

كما تورد قول أبي الهيثم شارباً هذه التسمية حين قال : « والعرب تسمي التي ولدت بطناً واحداً بكاراً بولدها الذي تبتكر به » . ولقطة

شيوع المعنى الثاني أردفنا لفظ الأبقار بالخُرُس جمع خروس وهي البكر في أول حملها . هذا والشيء بالشيء يذكر . فالخُرُس طعام الولادة كالخِرَاس، ثم صارت الدعوة للولادة خرساً وخراساً . والخُرسة بهاء ماتطعمه النفساء نفسها على حد إيضاح ابن جني .

ومهما يكن من أمر فقد سبقت العربية إلى وضع تلك المصطلحات الحديثة ! كذلك لم نجد في بحوث الولادة والإسقاط والتعمير والمرض والوفاة حرجاً من جانب اللغة العربية بل كانت تمدنا بألفاظ وتعابير غنية وسهلة إلى درجة أن رصيفي قال بعد تردد : إن الألفاظ العربية التي ضربنا صفحاً عنها ربما يحتاج العلم إليها في المستقبل عند تقدمه أشواطاً جديدة .

يمكن إيراد أمثلة أخرى في أرجحية التعابير العربية الحديثة على أمثالها في اللغات الأجنبية أو مكافئاتها لها . ولكن هذا الموضوع يقتضي تفصيلاً ربما لا يستسيغه الذين ليس لهم اختصاص في هذا الميدان مادام البحث قضية تعريب المصطلحات العلمية .

وليس معنى ذلك أننا نجد في العربية ما يقابل جميع المصطلحات الأجنبية الحديثة . هيات هيات ! ولكن في مجال التنقيب والاشتقاق بأنواعه والنحت والتركيب والإبدال واعتماد مقاييس اللغة الكثيرة و«تطويع» الألفاظ الأعجمية وغيره سعة أي سعة .

لنعد إلى أمر المعجم الديرغرافي المتعدد اللغات ولنبين مشكلات تتعلق بمسألة شيوعه وانتشاره واعتماده . وهو أنه بعد انفصال الأقليمين الشقيقين مصر وسورية واعتماد مخطوطة المعجم العربي أرسل إليّ مدير لجنة المعجم الدولية نسخة مطبوعة لها يسألني رأيي فيها قبل اعتماد تلك اللجنة لها إذ كنت

صاحب الاقتراح الأول . فتجشمت عناء المراجعة الدقيقة لهذا المجلد العربي وأثبتته جدولاً بالأخطاء المطبعية والألفاظ التي سقطت أثناء الطبع ثم أجزت الكتاب بشرط أن ينشر الجدول بذيله . بيد أن المجلد العربي نشرته وزارة الثقافة دون إثبات التصحيح ، مع أن المعجم كل معجم ينبغي أن يكون خلوّاً من التحريف والتصحيف والسقطات وأمثالها . وقد طبع منه خمسمائة نسخة فقط كما ترامي إليّ ولم يرج الرواج اللازم له في الجامعات والمعاهد مع حاجتها إليه . كذلك لم تصلي إلا النسخة التي بعث بها مدير لجنة المعجم الدولية إليّ مع أني صاحب المشروع وقد تابعته من أوله إلى آخره .

ومع عيوب هذا المجلد العربي فقد استفادت منه الجمعية الإحصائية للبلاد العربية ، وأصدرت « قاموس المصطلحات الإحصائية والديموجرافية » (انجليزي عربي) ، لا يحمل تاريخاً ، ترجمة عبد المنعم الشافعي وحسن محمد حسين وأحمد عبادة سرحان وخطاب محمد حسين . أشاروا في مقدمة هذا القاموس إلى أنهم اعتمدوا في جملة ما اعتمدوه « المعجم الديموجرافي المتعدد اللغات » الذي شاركت في وضعه . وكذلك أصدر « المركز الديموجرافي لشمال أفريقيا بالقاهرة » سنة ١٩٦٧ « القاموس الثلاثي للمصطلحات الإحصائية والديموجرافية » (عربي - إنجليزي - فرنسي - عربي) أشار زميلي الدكتور عبد المنعم الشافعي مدير المركز إذ ذاك في تصديره إلى المعجم الديموجرافي الأول .

إن التوفيق في وضع أمثال هذه المعجمات ليس أمراً يتعلق بالبلاد العربية وحدها . بل هو شأن ثقافي وإنساني له علاقة بأقطار متعددة تجمعها

والبلاد العربية جذور ثقافية أصيلة قوية . فلقد كتب إليّ الاتحاد العالمي لدراسة السكان العلمية يسأل عن أخبار المجلد العربي بعد ذبوع إنجازهِ لأن بعض البلدان تطلبه لوضع معجمات بلغتها مما له صلة بالثقافة العربية كإيران وباكستان واندونيسية وتركيا .

ذلكم أن قضايا السكان وما يجري مجراها من مواليد ووفيات وزواج وطلاق ذات وشائج عميقة باعتبارات حضارية شاعت وعمّت أقطاراً متعددة . ولما كانت اللغة العربية معيّناً ثراً في الماضي لختلف اللغات فقد تجدد هذه اللغات عونا ما أو رفساً حين تصادف ضالّتها ميسرة مذلة بسيطة في اللغة العربية . وهكذا يكون عكوف الباحثين في البلاد العربية على اللحاق بالثراث العالمي في مصطلحاته دعماً أكيداً لزملائهم في كثير من الأقطار الناهضة .

على أن العلم في تقدّمه لا يقف عند معجم أو كتاب بل هو حثيث السير قدّماً تنبت على صعيده المصطلحات الحديثة كل يوم . ولهذا أصبح « المعجم الديموجرافي المتعدد اللغات » عليه مسحّة من القدم بالنسبة لعلم السكان الحالي وبالنسبة لمصطلحات جمّة مستجدة . فعهد الاتحاد العالمي لدراسة السكان العلمية منذ حين إلى تأليف لجنة جديدة تضع معجماً جديداً على غرار المعجم القديم ولكنّه أوفى منه بالحاجات العلمية الناشئة . ولما يتّهيأ لهذا المعجم الظهور .

وليس هذا التأخر في وضع المعجم الجديد بأقل منه في وضع المعجم الأول . وذلك لصعوبة تجميع المصطلحات الجديدة ولم شملها واصطفاء أصحّها وأمثلها في لغات عالمية كالانكليزية والفرنسية وغيرها ومقارنة بعضها

ببعض . ومما هو جدير بالتنويه أن معجمنا العربي الذي تكلمنا عليه سبق في ظهوره كثيراً من المعجمات الأجنبية كالمعجم الألماني والسويدي والتشكسلافياكي وغيرها . ونحن لا نشك في قدرة اللغة العربية على استجابتها لتقدم العلوم . وإن كان هنالك مشقات فإن في جميع اللغات مشقات في ابتداع المصطلحات الحديثة والتقاطها واختيار المناسب منها . ومن يطالع تاريخ اللغات الأجنبية وتكوّنها ومشكلات مصطلحاتها الحديثة يغمره العجب من مرونة لغتنا العربية وسعتها كما يهوره الإعجاب بها .

نورد مثلاً بسيطاً على مرونة اللغة العربية فنأخذ كلمة في علم السكان فرنسية شائعة وهي Statistique de l'état civil ومقابلها بالانكليزية Vital Statistics . وعلى الرغم من أن لفظ vital من أصل لاتيني لم يعتمد الفرنسيون في هذا السياق . ونحن في اللغة العربية نقول : إحصاء الأحوال المدنية ، مقابل المصطلح الفرنسي و « الإحصاء الحيوي » ، مقابل المصطلح الانكليزي ، وإن كنا نرغب في الاختصار على اصطلاح واحد . وقد أصبح التعبير العربي المقابل للفظ الانكليزي أشيع وأعمّ لتأثير اللغة الانكليزية في كثير من الأقطار العربية ولذبولها العالمي .

اللغات الأجنبية ضيقة ضحلة . مثال ضحلتها وضيقها أيضاً أن اللغة الانكليزية حين تريد أن تفرّق بين معدل الوفيات Death rate أو الموتان - على حد تعبير ابن خلدون وأشباهه القدماء - ونسبة الوفيات أي احتمالها Mortality rate ، تعتمد إلى اللغة اللاتينية وهي لم تتحدّر منها فتستعير اللفظ mortality . أما اللغة الفرنسية فإنها تعتمد إلى تغيير لفظ المعدل Taux de mortalité فتستعمل لفظ خارج القسمة للدلالة على

الثاني فتقول quotient de mortalité . ولنا هنا بصدد بيان الألفاظ العربية الكثيرة الدالة على الهلاك بأشكاله المتنوعة وسياقاته المتفاوتة ، حفظ الله على القراء حياتهم وأمد في أعمارهم وأمتعهم بخيرات الدنيا والآخرة . فهم يعرفونها ، أو يسمعون الرجوع إليها في كتب اللغة الشهيرة .

* * *

ربما يرد إلى الذهن أننا في ميدان علم السكان على صعيد خاص قد بلا العرب قديماً فيه مختلف الصـروف ورصدوا شتى اللحظات والملاوات والتقلبات . ولكن كيف بنا إذا عاجلنا موضوعاً يتعلق بالمستحدثات الجديدة والأساليب المستطرفة كما في الفيزياء الحديثة .

نقول أولاً : إننا نقرأ البحوث العربية المتباعدة في هذا الميدان ونعجب للخلل الذي يمتورها واللبس الذي يشوبها والركاكة التي تخامرها والإبهام الذي يكتنفها سواء كان ذلك في علم السكان أو غيره ، وذلك من قلة احتفال مؤلفيها باللغة العربية وضآلة ممارستهم لبيانها .

ونقول ثانياً : نحن لا ندعي أننا نملك أداة البيان العربي ولا أننا مطلعون على خزائن اللغة العربية وكنوزها . ولكن جل ما نفخر به أننا نحترم هذه اللغة العظيمة ونقدرها حق قدرها ونحاول أن نعرب بها إعراباً دقيقاً عن أفكارنا ومشاعرنا . هذا وقد أتيح لنا في الماضي أن نعالج فيها بعض البحوث العلمية الفيزيائية الحديثة فلم نجد فيها حرجاً ولا من جانبها ازوراراً ولا في وضع المصطلحات فيها عقبات . وقد راج بعض هذه المصطلحات ، وقسّيد بعض آخر - لم أشرح كيف صفتها - تقييد قاف رؤية ، على حد تعبير أبي العلاء الممرى ، لم يقدر لها إجراؤها .

فلقد نظرنا في الأجزاء الصغيرة القصوى للضوء والمادة ، فاشتقنا لفظ السَّنيَّة من السنّا بعد تصغيره وإضافة تاء التأنيث مقابل لفظ فوتون Photon حتى خيّل إلينا من لفظها أن حبة النور هذه تلعب وتتوثب في الشعاع وذلك في قسم « البوزيات Bosons » وهي الأجزاء الدقيقة التي تخضع لإحصاء بوز - أينشتين .

وعمدنا إلى الأويِّل مقابل لفظ بروتون Proton فاستبدلنا الميم من المعتدل باللام فأصبح معنا الاويِّم مقابل نيوترون Neutron كما استبدلنا أيضاً بها النون من أول لفظ النواة فصار معنا الأويِّن Nucleon ، وهو الجزء الأصلي من نواة العنصر .

وكذلك قلنا ما قاله غيرنا الكهرب مقابل إلكترون Electron ثم بدلنا الباء سيناً للإشارة إلى كونه سالباً فصار كهرساً مقابل Negaton ، وبدلنا الباء جيماً فصار كهرجاً مقابل بوزيتون أو بوزترون Positon ، أو Positron ، وهلم جرا . ولست أريد أن أسرف في التعداد لأنه ليس هنا موضعه . ولكن أحب أن أشير إلى أن هذه الاصطلاحات العربية تبرز سلالات الأجزاء الدقيقة تلك وتظهر أسرارها التي تتحدر منها ولا يتعمقها التركيب الأجنبي الذي لا يميز تلك الأسرار والسلالات بعضها من بعض حين يجريها على نسق واحد بإضافة اللاحقة On .

ولا يخفى أن عملنا هذا من ضروب المقترحات . ولسنا نحاذر من استعمال اللفظ الأجنبي لشيوعه وعمومه في مجال العلم . ولكننا أردنا أن نضرب أمثلة على سهولة التعريب عند قصده ويسر العثور على مصطلح يناسب طبيعة اللغة العربية . وإلا فليس ما يمنع من تداول المصطلح الأجنبي على أن يحسن ضبطه وإملاؤه .

وثمة أجزاء دقيقة متعددة حديثة من نوع « الخفاف Leptons » التي يدخل فيها الكهر ب ، وأخرى من نوع « الثقائل Baryons » التي منها الأول . وكلا النوعين من « الفرميات Fermions » التي ينطبق عليهما إحصاء فيرمي - ديراك .

ويختلف « البوزيات » عن « الفرميات » بخصائص عدة ولا سيما بما دعونه « اللف Spin » .

وإذا أمكن إبقاء تلك الألفاظ الأعجمية على حالها - ولا بأس عندنا في ذلك - بقيت تعابير لا بد من اختيار مقابلاتها العربية أمثال علائق الارتباب والحتمية واللاحتمية ومبدأ الاشتباه وغيرها . بل إننا نجد أحياناً أن اللفظ العربي أسلم تعبيراً من اللفظ الأجنبي . فمن المعروف أن لفظ الذرة التي قوبل بها اللفظ الأجنبي « أتوم » أصلح من هذا اللفظ ، لأن اللفظ الأجنبي وضع ظناً أن مدلوله لا يتجزأ . ولكن تقدم العلم أفضى إلى تجزئة الأتوم الذي أصل معناه أنه لا يتجزأ . فهناك تناقض بين اللفظ ومعناه ، يشهد على ذلك نظرية « الجزء الذي لا يتجزأ Atomisme Atomism » وهي قضية فلسفية وعلمية شغلت الهنود واليونان والعرب قديماً ، وما تزال تشغل الفكر الانساني في العصر الحاضر . وخلاصتها في نظر العلم الحديث أن المادة أو الضوء في أحد اعتباريهما وهو الجسيمي لا الموجي يقف انقسامه عند حد ، فهو لا ينقسم إلى ما لا ينتهي من الأجزاء . فهذه النظرية التي كانت باشتقاق لفظها الأجنبي تعتمد على لفظ الأتوم في أوائل العصر الحاضر قد تجاوزت حقيقة الأتوم الذي تجزأ إلى التساؤل عن الكهر ب وعن السُّنِّيَّة وأمثالها أقبلة للتجزئة هي أيضاً أم لا . وعندئذ

تبدو نظرية الجزء الذي لا يتجزأ أعمق من فكرة تألف المادة من الذرات ما دامت الذرة قد انفصمت جسيمات ضئيلة . وهكذا بالتعبير العربي يزول اللبس الذي يوحى به التعبير الأجنبي عن تلك النظرية .. وأياً كان الأمر فليس غرضنا التنويه بمزايا اللغة العربية والحفض من اللغات الأجنبية التي بلغ بها أبناءها شأواً متقدماً . بل نحن نرى أن لكل لغة مزايا يبرز بعضها في مجال ويختفي في مجال آخر .

وإذا التمسنا تشبيهاً لمزايا مختلف اللغات استطعنا أن نجد ذلك في الجمل العددية المتعارفة أو نظم العد في الحساب من جملة عشرية شائعة ذائعة ومن جمل أخرى كالجملة الاثنينية أو الثنائية والثلاثية والسادسية والاثني عشرية وغيرها . فمن المعروف أنه يصعب علينا إفادة الثلث بتمامه في الكسور العشرية وتسهل إفادته سهولة بارزة في الجملة الثلاثية ، التي أساسها الثلاثة دون العشرة . وكذلك النصف تسهل إفادته التامة في الجملة العشرية وفي الجملة الثنائية وتصعب في الجملة الثلاثية . وهكذا دواليك إذا توسعنا في أنواع الجمل الحسابية وإفادة الكسور في كل منها . وعلى الرغم من شيوع الجملة العشرية وذبوعها نجد في العصر الحاضر أهمية الجملة الثنائية في ميدان الحاسبات الكهربية . وهكذا اللغات . لكل لغة مزايا وإفادات يسيرة سهلة في بعض الميادين كما قد تصادف عقبات في ميادين أخرى . ومع تلك العقبات والمزايا تلتزم الأمم بلغاتها وتعلم بها وتربي أبناءها على بيانها وتتمهدها بالصوت والتجويد والتدقيق والإساعة والإشاعة والتزويد والترويض وغير ذلك . وما رأينا إلا الأمم المتخاذلة أو الصغيرة أو المنقرضة تتجافي عن بيانها الأصل .

لقد بسطنا الأمور تبسيطاً شديداً على عمد للتخفيف من مشكلة التعريب . ولا شك أن البلاد العربية أمام عقبات هائلة من مصطلحات العلوم المختلفة الواسعة الزاخرة . وعندنا بوارق أمل في أعمال مجامع اللغة العربية ومكتب تنسيق التعريب وجامعات البلاد العربية ومعاهدها في تذليل تلك العقبات وتعميد الطرق إزاء المصطلحات الأجنبية أو استعمال بعضها . ولكن هذه القضية ليست مشكلة كبيرة في رأينا . فهي قضية تنطرح في مختلف اللغات حتى اللغات الحديثة المتقدمة . ومن مارس مشكلة المصطلحات الحديثة واضطرابها في اللغات الأجنبية يعرف مزالق هذه المشكلة ومصاعبها كما يعرف الاختلاط والتناقض فيها أحياناً . ولذلك يلجأ الاختصاصيون في تلك الأقطار إلى كفة ذلك الاضطراب وتقليله وتنسيقه بعقد الندوات ووضع المعجمات ونشر البحوث . إن الأفكار حين تشيع بين المثقفين أو المختصين لا بد من أن يواتهم التعبير عنها بمصطلح أو بآخر .

ولكن المشكلة في رأيي عندنا هي مشكلة معرفة اللغة العربية . فلقد انجذب ليل التأخر في البلاد العربية عن نهضة سبقت لامثيل لها في البيان وفي السعي لوضع المصطلحات الحديثة . حتى إن العلماء الأجانب استطاعوا في مدة يسيرة أن يتعلموا اللغة العربية وأن يكونوا أصحاب بيان سليم في الميدان العلمي . هل نذكر مثلاً العالم الأمريكي كرنليوس فان ديك الذي علّم في الجامعة الأمريكية ببيروت وكتب كتاباً سليمة التعبير دقيقة الدلالة سائغة الفهم في الفلك والفيزياء وفي غيرها؟ هذا بصرف النظر عن مراكز التعليم العالي التي كان يشرف عليها في فجر النهضة من أبناء البلاد من هم عنوان فخر في هذا المضمار ، كما حدث مثلاً في كليتي الطب والحقوق بالجامعة السورية زمناً سابقاً . ولكن العجب أن

انبعاث اللغة العربية في شتى الميادين قد خبا نوره الآن وآل إلى المكنة الدارجة والاخلخة المقيتة والركاكة المتفتفة وأمثال هذه العيوب بسبب الدعوة إلى تسهيل اللغة وانصراف الأبناء عن لغة آبائهم الجميلة . كم يعيب البلاد العربية أن أساتذتها في مختلف معاهدها قلّ منهم من يستطيع إلقاء الدروس بلغة سليمة أو كتابة صفحات يسيرة دون لحن ولا غموض ولا ركاكة ! هذا إذا ضربنا صفحاً عن خلل الكتابة الأدبية وتهالك الأساليب الصحفية في سدة التعابير الحديثة .

القضية عندنا إذن قضية إلمام باللغة العربية . وليست لغتنا صعبة كما يتوهم أو يدّعي فريق من الناس الأدعياء : فكثير من اللغات ربما برز شبيهاً بالعربية في غناه كالروسية مثلاً ، وزاد على العربية في تعصب أشكال إعرابه المتعددة كالروسية أيضاً فضلاً عن الصينية واليابانية وأمثالها . أقول قضية إلمام باللغة العربية فلا يحتاج الأمر إلى التبحر فيها . بيّدت أن الإلمام باللغة العربية وضبط مبادئها موضوع مستقل ندعو إلى معالجته معالجة سليمة والتفكير فيها تفكيراً صحيحاً مجدياً . ولن يعدم الباحثون فوائد تعود بالخير والنجاح . فاللغة نسغ الحياة الفكرية ، ومطية الثقافة الانسانية ، وسبيل تحقيق القيم الرفيعة . بل هي أغلى الروابط القومية ، وأعلى الأواصر الحضارية .

عبد الكريم اليافي

الصفة الغالبة

الأستاذ صلاح الدين الزعبلوي

هذا بحث طريف لم نر من عرض له . وإذا كنا قد بسطنا القول فيه ومددنا أطرافه ، فذلك أن ذهابه على كثيرين قد أدّاهم إلى مذاهب من الرأي لا ينبجلي بها شك ، وموارد من الحكم لا ينتفي بها ريب . وقد اعتمدنا في هذا القصد نصوصاً قد تناثرت في الأمهات فضعمنا بعضها إلى بعض ولاءمنا ذات بينها ، فكان لنا من ذلك معالم في طريق البحث ولوائح في سبيل التبيين والكشف .

الأصل في (الصفة) أن تجري على موصوف يتقدمها . فإذا دلت في الاستعمال على (موصوف معين) واستغنت عن ذكره ، فقد ضارعت الأسماء ، وأنزلت منزلتها وأسميت (الصفة الغالبة) لغلبة استعمالها كالأسماء . فـ (النكباء) مثلاً ، صفة (الربيع) . فإذا دلت على هذا (الموصوف المعين) واستغنت عنه ، فقليل : (هبت النكباء) يراد بها (ربيع) معينة ، فقد أنزلت منزلة الأسماء وكانت (صفة غالبة) . وقد عرض الرضي في شرح الكافية للصفات الغالبة (١٨٢/٢) في صدد ذكر

الفارق بين (المصغر) و (سائر الصفات) فأوضح أنه لا بد للصفة من (موصوف) تعتمد ، يذكر قبلها . ذلك أنها لا تدل في الأصل على (موصوف معين) . فإذا دلت على هذا الموصوف ، استغنت عن ذكره وكانت كالمصغر والصفة الغالبة . قال الرضي : (كل صفة تدل على الموصوف المعين ، لا يذكر قبلها ، كالصفات الغالبة) . فإذا قلت (رُجَيْلٌ) على التصغير فقد قصدت (الرجل الصغير) ودلت بذلك على الصفة والموصوف المعين معاً ، وكذلك الصفة الغالبة ، فقولك (النكباء) يعني (الريح التي تنكبت عن الرياح الأربع) . قال الجوهري في صحاحه : (والنكباء الريح الناكبة التي تنكبت عن مهاب الرياح) . وقال المرزوقي في شرح ديوان الحماسة (٨٠٦) : (والنكباء ربيع تنكبت عن الرياح الأربع) . وقال ابن سيده في المخصص (١٦ / ٤٤) : (فعلاء صفة غالبة غلبة الأسماء .. النكباء : كل ربيع تمه بين مهب ريجين .. وإنما قال نكباء لأنها تنكبت عن مهب هذه ومهب هذه) . وهكذا دلت (النكباء) على الصفة والموصوف المعين جميعاً . فإذا استقر هذا وعرف ، فإن تميز (الصفة الغالبة) عن (الصفة الأصلية) الجارية على موصوفها ، لا يقوم باستغنائها عن الموصوف وحسب ، وإنما يتجلى إلى ذلك بما تنفرد به دون (الصفة الأصلية) التي بنيت عليها ، من خصوص الدلالة . فـ (النكباء) في قولك (الريح النكباء) أي الناكبة ، عموم في الدلالة لأنها صفة جارية على موصوفها ، فهي تصف (الريح) بأن من شأنها أن تنكب عامة ، وهي لا تختص بـ (الريح) . أما (النكباء) من قول المرزوقي (والنكباء ربيع تنكبت عن الرياح الأربع) وقول ابن سيده : (النكباء

كل ربح تهب بين مهب ربحين) ، فإنها (صفة غالبة) لا تجري على موصوف ، يذكر أو يقدر ، جري الصفات . ذلك أن لها (موصوفاً معيناً) لا تعدل عنه ، ومؤدى خاصاً لا تفارقه . ومن هنا أنزلت منزلة الأسماء . قال الشيخ ناصيف البازجي في كتابه (نار القرى في شرح جوف الفراء) : (وقد يلزم الاستغناء بالصفة عن الموصوف فتجري مجرى الجوامد . ومن ثم لا يقدر لها موصوف ، ولا تتحمل ضميراً ، كالأدهم المراد به القيد ، فإنه في الأصل صفة ثم جعل اسماً ، فتقول في رجله الأدهم ، ولا تقول : القيد الأدهم ، وبهذا الاعتبار تكون الصفة قد صارت موصوفاً فتوصف ، نحو : إذا عُرِضَ عليه بالعشي الصافنات الجياد ، الآية ، وقس عليه) . ومن أجل هذا استحققت (الصفة الغالبة) أن تجمع جمع الأسماء . فكل (صفة) بابها في الجمع (التصحيح) أي جمع السلامة ، كسرت تكسير الأسماء إذا غدت (صفة غالبة) . وكل (صفة) بابها في الجمع (التكسير) عدل بها عن بابها كلما آلت إلى (الصفة الغالبة) ، فجمعت جمع الأسماء .

فمن الأول ما كان على (فاعل) صفة لمذكر عاقل . فقد نص العلماء على تصحيحه غالباً ، ومنع تكسيره على (فواعل) خاصة ، لأن هذا هو جمع (فاعل) اسماً أو صفة إذا كان لمؤنث عاقل أو مذكر غير عاقل ؛ أو جمع (فاعلة) اسماً وصفة . فإذا فارق (الوصفية) إلى (الصفة الغالبة) صح تكسيره . ومن الأول أيضاً : كل صفة من اسم فاعل أو مفعول بديء بالميم ، أو صفة مشبهة عدا ما استثنى منها ، فإذا عدل بها عن أصلها فضارعت الأسماء ، كسرت تكسيروها .

ومن الثاني : ما كان صفة على (فعلاء أفعل) ، فإن بابها (التكسير) ،

فإذا أنزل منزلة الأسماء صحح كما صححت الأسماء من (فعلاء) .

وقد جاء في الأشباه والنظائر للامام السيوطي (١٥٧/٢) فيما كان جمعه على التصحيح من الصفات : (قال في البسيط : كل صفة أكثر ذكر موصوفها ضعف تكسيرها لقوة شبهها بالفعل) . ذلك أنه لما أكثر استعمال الصفة مع موصوفها فقد جرت على أصلها واستحقت أن تجمع جمع تصحيح ، كما هو شأن الصفات غالباً . وقال (وكل صفة أكثر استعمالها من غير موصوفها قوي تكسيرها لالتحاقها بالأسماء : كعبد وشيخ وكهل وضيف) . ذلك أنه لما أكثر مجيء الصفة دون موصوفها فقد فارقت أصلها فزارعت الأسماء واقتضت التكسير ، كما هو شأن الأسماء عامة .

وقال الرضي في شرح الشافية (١١٦/٢) : (أعلم أن الأصل في الصفات أن لا تكسر لمشايتها الأفعال وعملها عملها ، فيلحق للجمع بأواخرها ما يلحق بأواخر الفعل ، وهو الواو والنون ، فيتبعه الألف والتاء لأنه فرع) . وإذا كان الرضي قد قال هذا في صدد الكلام على الصفات الثلاثية ، فقد جاء الحكم به عاماً ، في كل ما كان باب التصحيح . وقد حدده الرضي فقال (١٨١/٢) : (والوصف الذي يجمع بالواو والنون : اسم الفاعل والمفعول وابنية المبالغة إلا ما استثنى ، والصفة المشبهة) .

ولنبداً بـ (فاعل) . قال الرضي في شرح الشافية حول جمع (فاعل) صفة لمذكر عاقل ، إذا انتقل من الصفة إلى الاسم : (وإذا انتقل فاعل من الصفة إلى الاسم كراكب الذي هو مختص براكب البعير ، وفارس الذي هو مختص براكب الفرس ، وراع المختص برعي نوع مخصوص ، ليست كما ترى على طريق الفعل من المموم ، فإنه يجمع في الغالب على

فُعلان) . وقال سيبويه في الكتاب (٢٠٦/٢) : (كما قالوا في الصفة التي ضارعت الاسم ، وهي اليه أقرب من الصفة الى الامم ، وذلك راع ورعيان وشاب وشبان) . وجمع (فُعلان) هذا في الأصل للأسماء دون الصفات كما جاء في المجمع (١٧٨/٢) .

وقال ابن يعيش في شرح المفصل للزمخشري (٥٤/٥) : (الباب في فاعل إذا كان وصفاً نحو كاتب وضارب أن يجمع بالواو والنون ، وقد يكسر بحكم الاسمية ، فإذا كُسِّرَ المذكر فيه كانت على فُعَل ، قالوا شاهد وشهيد . . . وعلى فُعَّال ؛ قالوا : شُهَّاد وجُهَّال ورُكَّاب وذلك كثير) .

وجاء في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (١٠٣) حول قول بشامة النهشلي :

إن تُبتدر غايةً يوماً لمكرمة تلق السوابق منا والمصلين

(يقول إن تستبق نهاية مجد أو غاية مكرمة ترّ السابقين منا والتالين أيضاً منا ، وإنما قال المصلين ولم يقل المصليات مع السوابق ، لأن قصده إلى الآدميين ، وإن كان استعارهما من صفات الخيل) . وأردف : (ويجوز أن يكون أخرج السوابق لانقطاعه عن الموصوف في أكثر الأحوال ، ولنيابته عن المجلين ، وهو اسم الأول منها ، إلى باب الأسماء فجَمَعَهُ على السوابق ، كما يقال : كاهل وكواهل ، وغارب وغوارب) . فد (سابق) إذا كان وصفاً لمذكر عاقل ، جمع جمع تصحيح ما دام جارياً على فعله . فإذا أفرد عن موصوفه فشابه الأسماء كُسِّرَ تكسيرها كما رأيت في جمع كاهل على كواهل ، وغارب على غوارب . وقال البغدادي في خزانته

حول جمع (فارس) على (فوارس) : (٢٠٦ / ١) ، (فقالوا إنه من الصفات التي استعملت استعمال الأسماء فقرب بذلك منها ، ولأنه لا لبس فيه كما ذكر سيبويه من أن الفارس في كلامهم لا يقع إلا الرجال) . أي أن له موصوفاً معيناً لا يذكر قبله . وغريب على هذا أن يطلق الأستاذ محمد العدناني في معجمه (الأخطاء الشائعة) جمع (فاعل) إذا كان وصفاً لمذكر عاقل ، على (فواعل) ، دون شرط من مضارعة الاسم . كما أطلقه الأستاذ عباس حسن عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة في سفره (النحو الوافي - ٤ / ٤٥٦) ، فقال : (والحق أن صيغة فاعل تجمع قياساً على فواعل سواء أكان صفة للمذكر العاقل أم غير العاقل . غير أن مراعاة الشرط أفضل) ، وكان قد نحا هذا النحو ، الأستاذ علي السباعي في مجلة الأزهر (الصادرة في حزيران ١٩٦٨) . وحجتهم جميعاً ، ما جاء من ذلك سماعاً ، وقد بلغ الثلاثين أو جاوزها . أقول لا مساع البتة لإباحة جمع (فاعل) على (فواعل) إذا كان وصفاً لمذكر عاقل . ولا عبرة بما جاء منه على هذا النحو ولو فاق الثلاثين . إذ لا مندوحة عن تعرف حال الصفة ، فإذا جرت على الفعل فلا بد من تصحيحها ، كقولك (هؤلاء ذائع الصيت) و (مانعو الزكاة) . وإلا فهل تقول في هذا : (هؤلاء ذوائع الصيت) و (موانع الزكاة) ؟ ، وقد جاء في التنزيل : (التائبون العابدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله ، وبشر المؤمنين - التوبة / ١١٣) . أفصح أن نقول في معناها (التوائب العوايد السوائع الرواكع السواجد الأوامر ..) ؟ وأعجب من ذلك وأذهب في الغرابة إطلاق مجمع القاهرة في دورته

الـ (٣٦) جمع مفعول على مفاعيل ، دون تفريق بين صفة جارية على فعلها ، وأخرى مضارعة للاسم . فإذا صحّ هذا قلت : (حوادث مشاهد ، وأيام معاديد ، وأشياء مواضيع ، في معنى قوالك (حوادث مشهودة أو مشهودات ، وأيام معدودة أو معدودات ، وأشياء موضوعة أو موضوعات) وكان لك أن تقول في معنى الآيات (إنا لمردودون - النازعات / ١٠) و (إنهم لهم المنصورون - الصافات / ١٧٢) و (الحج أشهر معلومات - البقرة / ١٩٧) و (أكواب موضوعة - الغاشية / ١٤) : (إنا لمراديد) و (إنهم لهم المناصير) و (الحج أشهر معالم) و (أكواب مواضيع) . بل لو صح ما نزعوا إليه لجاز لك أن تقول : (هؤلاء مسارير أو مآسير أو مشاكير أو مآجير ..) جمع مسرور ومأسور ومشكور ومأجور .. . وسنعتقد في ذلك فصلاً برأسه نكشف فيه عن أن كثيراً مما قيل بشذوذه في هذا الباب ، إنما كان جمعه لسبب اقتضاه حاله من حيث مضارعة للاسم ، وعدم جريانه على الفعل .

* * *

هذا فيما جمع من الصفات جمع تصحيح . أمّا ما كان باب التفسير في الأصل كـ (فعلاء أفعل) فإنه إذا كان صفة غالبية جمع جمع تصحيح شأن الأسماء من فعلاء . فـ (النكباء) الصفة ، على تقدير موصوف ، مؤنث (الأنكب) ، نجمع على (النكب) كحمراء وحمر . أما (النكباء) الصفة الغالبة فتجمع على (النكباوات) كصحراء وصحراوات . قال المرزوقي (٨٠٦) : (وإذا كثرت النكباوات واشتد هبوبها شمل القحط) .

وربما سميت (النكباء) على التصغير . قال صاحب الأساس :
(والنكباء التي تهب بين الصبا والشمال خاصة) . ولكن هل تجمع
(النكباء) صفة غالبة ، على (النكب) كما تجمع الصفات ؟

أقول إن (الصفة الغالبة) من فعلاء إذا ضارعت الاسم بأفرادها
عن موصوفها واستغنائها عنه ، فإنها تجمع جمع الأسماء كما مر . على أن
لها حالين في احتمال جمعها جمع الصفات . الأولى : أن تخرج بخصوصها
عن معنى الصفة التي بنيت عليها فلا تغني هذه الصفة معناها بأي وجه .
الثانية : أن يبقى بها ، على خصوص دلالتها معنى الصفة المذكورة . فإن
كانت الأولى امتنع فيها جمع الصفات أو ضعف ، وإذا كانت الثانية صح
ذلك فيها أو قوي .

فـ (النكباء) الصفة الغالبة مؤداها (الريح الناكبة) على كل
حال ، فلا يزال بها ، على هذا ، معنى الصفة المشبهة التي بنيت عليها .
لذلك صح فيها جمع الصفات أيضاً . قال الجوهري : (والنكب في الرياح
أربع : فنكباء الصبا والجنوب تسمى الأزيب ، ونكباء الصبا والشمال
تسمى الصابية ، وتسمى النكباء النكبياء) . فجمعت (النكباء) الصفة
الغالبة على (نكب) وأوردها في قوله مورد الصفة ، وقال (لأن العرب تتناوح
بين هذه النكب ..) ، كما جمعها المرزوقي على (نكباوات) .

وبما جاء على (فعلاء) صفة غالبة (الخضراء) . وقد اكتسبت
دلالة خاصة نات بها عن معنى الصفة التي بنيت عليها ، فجمعت جمع
الأسماء على (الخضراوات) وامتنع فيها جمع الصفات على (الخضر) .
فـ (الخضراء) في الأصل صفة للبقلة ، لكنها استغنت عن موصوفها هذا
وأنزلت منزلة أسماء الجنس ، فقليل (ليس في الخضراوات صدقة) أي

في البقول . قال الرضي في شرح الشافية (١٧٢/٢) : وقوله - أي قول ابن الحاجب وهو المؤلف - وجاء الخضراوات لغلبته اسماً : غلب الخضراوات في النباتات التي تؤكل رطبة) .. وقال صاحب المصباح (ويقال للخضر من البقول : خضراء ، من قولهم : ليس في الخضراوات صدقة ، هي جمع خضراء ، مثل حمراء وصفراء . وقياسها أن يقال الخضر ، كما يقال الحمر والصفراء ، لكنه غلب عليه جانب الاسمية) . ف (الخضراء) الصفة تدل على اللون ، وتجمع على (الخضر) . و (الخضراء) الصفة الغالبة تدل على البقلة دون النظر إلى اللون ، وتجمع على (الخضراوات) . قال ابن الأثير في النهاية : (تقول العرب لهذه البقول : الخضراء ، لا تريد لونها) وجاء في (الفروق) لاسماعيل الحقي : (فالخضراء هنا ليست صفة ، بل اسم جنس ، وفعلاء في الأجناس تجمع بالألف والتاء) . ونحو من ذلك في شرح الدرّة للخفاجي ، وشرح الكافية الرضي (١٨٧/٢) .

و (الدكاء) في الأصل صفة (الأرض) إذا انبسطت . لكنهم افردت عن موصوفها ، ونأت عن معنى الصفة وُعدت اسماً (للراية) فجمعت على (الدكاوات) جمع الأسماء . ولم تجمع على (الدك) جمع الصفات . قال ابن منظور : (والدكاء الراية من الطين ليست بالغليظة ، والجمع : دكاوات ، أجري مجرى الأسماء لغلبته ، كقولهم : ليس في الخضراوات صدقة) . وقال ابن سيده في مخصصه (٤٤/١٦) : (فعلاء صفة غالبة غلبة الاسم .. والدكاء راية من طين ليست بالغليظة ، والجمع دكاوات) . فإذا قيل (الدك) جمعاً (للدكاء) الصفة ، لم يكن معنى (الدكاوات) الصفة الغالبة ، بأي وجه .

وقد اشتهر (الصحراء) اسماً ، وهو في الأصل صفة أفردت عن موصوفها ، وتميزت من (الصفة) بدلالة خاصة ، فأوغلت في الاسمية وجمعت جمع الأسماء دون جمع الصفات . قال صاحب اللسان : (ولا يجمع على صُحْر لأنه ليس بـنعت) لكنه أردف (قال ابن سيده والجمع صجراوات وصحار ، ولا يكسر على فُعل ، لأنه وإن كانت صفة فقد غلب عليه الاسم ..) . قال الرضي في شرح الشافية (١٦٧/٢) : (وأرى أن صحراء في الأصل فعلاء أفعل ، كانت أصله أرض صحراء ، أي أولها صُحرة ، كما تقول : حمار أصحر وأتان صحراء ، فتوغل في الاسمية فلم يجمع على فُعل) . ولا تؤدي الصُحر (جمع الصحراء وهو الصفة من صَحِر إذا اغْبَر في حمرة ، فهو أصحر وهي صحراء ، واللون : الصُحرة) مؤدًى (الصحراوات) جمع الصفة الغالبة الموعلة في الاسمية ، ولا تغني معناها ألبته ، وقد أطلقت على البراري .

* * *

وقد جاءت صفات غالبة ، على صيغة اسم الفاعل والمفعول ك (الخزية والمصيبة والمطيحة والمرسلة والمعقّبة ، بالتشديد ، والمدينة) . وهي تضارع ما جاء من الصفات الغالبة على صيغة (فعلاء) الصفة المشبهة ، لكنها أعلت بالفعل وألصق بجمع التصحيح . لذلك فإنه إذا صح فيها التكسير الذي يختص بالأسماء غالباً ، حين يواد بها الاسم ، والتصحيح الذي يغلب على الصفات ، كلما وجد بها معنى الصفة التي بنيت عليها ، فإنه يؤثر فيها هذا الجمع إذا أريد التنبيه بصيغة التصحيح على هذا المعنى ، وقد تقصر عليه إذا لم يُرد بها غير ذلك ، أو خيف اللبس .

ف (المخزية) صفة غالبة لا يزال بها معنى الصفة التي جرت عليها .
وأصلها صفة (للفعلة أو الخصلة) . وهي اسم فاعل من (أخزى) .
لكنها أنزلت منزلة الأسماء . قال المرزوقي (٢٤٣) : (والجميئة التي
حدَّثتها باقيئة في أنوفنا حتى لا نشتم بها مرغمة ، وفي أعناقنا ورؤوسنا
حتى لا نلويها إلى مخزية ومنقصة) . وقال صاحب المصباح : (والمخزية
على صيغة اسم الفاعل من أخزى : الخصلة القبيحة ، والجمع المخزيات
والمخازي) . وقد جمعت (المخزية) على (المخازي) الذي يختص بالأسماء
حين أريد بها الاسم كالمقصصة ، وهو جمع للمخزاة أيضاً ، وعلى (المخزيات)
الذي يغلب على الصفات حين قصد بها معناها . وأنت تؤثر بها هذا الجمع
كلما أردت بها معنى الصفة .

ونظير هذا (المصيبة) من (أصاب) . فقد جمعه على (مصيبات)
تصحیحاً ، وعلى (مصاوب ومصايب ومصائب) تكسيراً ، لاحتماها معنى
الصفة والاسم . وقد بسطوا القول في شذوذ همزة (المصائب) وفصلوه
تفصيلاً . لكن أحداً لم ياب تكسيروها أو يستبدع المدول عن تصحيحها .
ذلك أنه قد آلت من (الوصف) إلى (الاسم) أو الصفة الغالبة فعوملت
معاملة الأسماء في التكسير ، واستمر بها معنى الصفة التي بنيت عليها فصع
فيها جمع الصفات . ففي المصباح : (والمصيبة الشدة النازلة ، وجمعه المشهور
مصائب ، قالوا والأصل مصاوب . وقال الأصمعي قد جمعت على لفظها
بالألف والتاء فقليل : المصيبات) .

وهكذا (المطيحة) . قال الشاعر :

ليُبِّكْ يزيد ضارحاً لخصومة ومختبِطاً مما تُطَيِّحُ الطوائع

قال البغدادي في خزانته (٣٠٧/١) : (يقال أطاحته الطوائح وطوحته . فقياس الجمع أن يكون المطيحات والمطاوح) . وقال المرزوفي في شرح الحماسة (١٥٥٨) : (وكذلك الطوائح قياسه أن يكون إذا عدل عن الجمع بالتاء : مطاوح) . فما الذي أساغ جمع (المطيحة) على (المطاوح) تكسيراً ، وبابه في الصفة التصحيح ؟ أقول الذي صوّب هذا هو استعماله وصفاً مفرداً عن موصوفه وإجراؤه مجرى الأسماء . وقد استمر به معنى الصفة التي بني عليها فصح فيه جمع الصفات . قال الزمخشري في الأساس (وأطاحته المطاوح) . قال : ومختبط بما تطيح الطوائح ، أي المطيحات والمطاوح) . و (المطيحة) في الأصل من (أطاحه) إذا أهلكه وأذهب . وأما (المرسلة) على صيغة اسم المفعول من (أرسل) إذا أطلق ، فقد أنزلت منزلة الأسماء حين قصد بها الاسم لأن معناها (القلادة) فجمعت على (مراسل) . ففي القاموس (المرسلة كمكرمة قلادة طويلة تقع على الصدر ، أو القلادة فيها الخرز وغيرها) . وقال الزمخشري في الأساس (وفي عنقها مرسلة ، وفي أعناقهن مراسل : قلائد) . فكأنه قد أراد أن يعلل جمع التكسير بإرادة الاسم أو انتقال الوصف إليه ، حين قال : (وفي أعناقهن مراسل : قلائد) . لكن صاحب القاموس لمع بها معنى الصفة حين قال (قلادة طويلة) . ذلك أن (المرسلة) في الأصل هي (القلادة المرسلة) أي المطلقة . فأفردت عن موصوفها المعين وهو (القلادة) فقليل (المرسلة) . فإذا أريد التنبيه بها على معنى الصفة جمعت جمع الصفات فقلت : (في أعناقهن المرسلات) أي القلائد الطويلة أو المطلقة ، التي ترسل على الصدور . تقول هذا ولو لم تجد جمعه في المعاجم

على التصحيح . لأنه قياس كما يتبين بالاستقراء . ولا يشترط فيما كان على قياس أن تنص المعاجم عليه .

وقد جاء في التنزيل (والمرسلات عرفاً) . قال الزمخشري في الكشف : (أقسم سبحانه بطوائف من الملائكة أرسلهم بأوامره ..) . وجاء في التاج (والمرسلات في التنزيل : الرياح أرسلت كعرف الفرس ، أو الملائكة عن ثعلب ، أو الخيل لأنها ترسل أي تطلق في الحلبة) . فالأصل في (المرسلات) هنا أنها وصف (للملائكة) أو (الرياح) أو (الخيل) ثم أفردت عن موصوفها المعين ، ولوحظ في معنى الفعل فجمعت على (المرسلات) أي اللواتي أرسلن ، ولو أريد بها الاسم لقل (المراسل) . قال أبو حيان في البحر المحيط (٤٠٣/٨) : (ولما كان المقسم به موصوفات قد حذفت وأقيمت صفاتها مقامها وقع الخلاف في تعيين تلك الموصوفات) . أقول إن الأصل في الصفة الغالبة أن يكون لها (موصوف معين) ليتمكن حذفه والاستغناء عنه ، لكنه اختلف في تحديد هذا الموصوف . وقول أبي حيان إن (المرسلات) قد حذف فيه الموصوف فأقيمت الصفة مقامه ، هو ما عرّف به العلماء (الصفة الغالبة) ، وعندني أنه يصح في (المرسلات) التصحيح والتكسير كما صح في (المعقبات) : المعقبات والمعاقب .

فقد جاء على (مفعلة) 'معقبة' ، وهو اسم فاعل من (عَقَّبَ) إذ جاء في عقبه ، ففي التنزيل (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله - الرعد / ١١) . قال الراغب في مفرداته (أي ملائكة يتعاقبون عليه حافظين له) . وقال الزمخشري في الأساس : (هم ملائكة الليل

والنهار يتعاقبون) . على أن الآية قد قرئت (له المعاقب) جاء ذلك في البحر المحيط ، وقرئت (له معاقيب) جاء ذلك في المحتسب لابن جني (٣٥٥/١) . قال ابن جني : (ومن ذلك قراءة مُعَيِّد الله بن زياد له معاقيب من بين يديه . قال أبو الفتح : ينبغي أن يكون هذا تكسير معقِّب أو معقَّبة ، إلا أنه لما حذف أحد القافين ، عوض منها الياء ، فقال : معاقيب ، كما تقول في تكسير مقدِّم مقادِّم ، ويجوز ألا تعوض فتقول : معاقب كمقادم) .

وقد جاءت (المعقِّبات) صفة غالبة ، فأريد بها (التسبيحات والتحميدات والتكبيرات) أيضاً . وقد أريد بها معنى الصفة أي أنها متعاقبة . ففي النهاية لابن الأثير (وفي حديث الدعاء معقِّبات لا ينجب قائلهن ثلاث وثلاثون تسبيحة ، وثلاث وثلاثون تحميدة ، وأربع وثلاثون تكبيرة ، سميت معقبات لأنها جاءت مرة بعد مرة) .

وأما (المدينة) فإذا كان قد نزع بعضهم إلى أنها من (مَدَن) بمعنى أقام ، فجمعوها على (مدائن) كـ (فعيلة وفعائل) فقد ذهب آخرون إلى أنها من (دِنت) أي (مُلكت) فهي (مدينة) أي (مملوكة) . فالياء عين الفعل ، والجمع (مدائن) بالياء . قال أبو الطيب في الإبدال (٣١٦/٢) : (والمدينة عند بعضهم فعيلة من مَدَن بالمكان ، إذا أقام به . سميت بذلك لأن الناس يقيمون بها . وقال آخرون إنما وزنها مفعولة من قولك : دِنت أي ملكت ، فالمدينة : المملوكة ، وكل مدينة مملوكة) ، فما الذي أتاح جمع (المدينة) وأصل معناها (المملوكة) على (مدائن) ؟ تكسيراً الذي جَوِّز هذا أنها صفة غالبة . وقد نأت بدلائلها

التي 'خصت بها عن معنى الصفة التي بنيت عليها فضعف فيها جمع السلامة .
وقد قالوا (المبشرات) بالتشديد ، وهي الرياح التي تأتي بالسحاب
فتبشر بالغيث . وقد أريد بها معنى الصفة خاصة فجمعت جمع السلامة .
ففي فقه اللغة وسر العربية للثعالبي : (المبشرات التي تأتي بالسحاب
والغيث ، والسواقي التي تسقي التراب) . وهكذا (المعصرات) فإنها
صفة غالبية أريد بها الرياح أو السحاب التي تحمل الأمطار . ففي التنزيل
(وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً - النبأ / ١٤) . قال الإمام البيضاوي :
(السحاب إذا أعصرت أي شارفت أن تعصرها الرياح . كقوالك : أحصد
الزراع إذا حان له أن 'يحصد .. أو من الرياح التي حان لها أن تعصر
السحاب) . وفي البحر المحيط : (.. وجاء هنا من أعصر ، أي دخلت
في حين العصر فحان لها أن 'تُعصر ، فعلٌ للدخول في الشيء) . وقد
'حرص على جمع السلامة في هذا لارادة معنى الوصف وخوف اللبس ، كما
جمع المعجزة على المعجزات نصاً ، على ما جاء في اللسان والتاج ، ولم
يسمع بها التكسير .

* * *

وإذا عرف هذا ، فما القول في (مشكل ومشكلة) وما الحكم
في جمعها ؟ .

أقول قد استعمل علماء الأصول (المشكل والمُجمل) وغيرها ،
وقد جمعت جمع تصحيح . فقد جاء في الأصول لابن ملك : (وأما
المشكل فهو الداخل في أشكاله) ، فقال صاحب المنار : (أي الكلام
الذي دخل المراد منه في أشكاله بفتح الهمزة ، أي أمثاله . وحذف المصنف
الكلام هنا وفي سائر أقسام البيان عدا الظاهر اختصاراً لدلالة القرينة
عليه .) . فدل كلام الإمام أبي البركات النسفي صاحب المنار أن

(المشكل) ، هنا صفة (للكلام) ، وقد يكون في موضع آخر وصفاً للمعنى أو الأمر ، وأنه من (أشكل) فإذا كان موصوفه قد حذف فهو مقدر دلت عليه القرينة . وما كان هذا شأنه فهو وصف جارٍ على فعله لا صفة غالبة مفردة عن موصوفها . وعلى هذا جاء جمعه جمع تصحيح على (المشكلات) ولا وجه له غير هذا .

على أن المتأخرين قد استعملوا (المشكلة) في شأن آخر فقد عنوا به (كل ما التبس أو أعضل فاستوجب أن يبحث وجهه ويكشف حاله وبمعالج شأنه أو ييسر أمره) فهو على هذا اسم لما لا يُدرك حاله إلا بالتأمل والدراسة والطلب . وكأنه في الأصل وصف (للمسألة) أو (القضية) ثم استغني به عن هذا الموصوف المعين فأجري مجرى الأسماء . فهو لا يقتضي متبوعاً يذكر قبله أو يقدر . وما دام أمره كذلك فهو صفة غالبة تكثر إذا أريد بها الاسم ، على (المشاكل) ، وتصحيح لما بقي بها من معنى الصفة ، على (المشكلات) .

* * *

وما القول في (مهم ومهمة) بضم الميم فيها ، أيصححان أم يكثران ؟
(المهم والمهمة) صفتان استعملتا في الأمر الشديد الحزن ، وفي الأمر الشاغل العاني إذا وجب إنفاذه ، وانقطعنا عن موصوفيهما فجرتا مجرى الأسماء . قال تائب شرأ :

قليل التشكي المهم يُصيبه كثير الهوى شتى النوى والمسالك

قال أبو علي المرزوقي في شرح الحماسة (٩٤) : (المهم يجوز أن يكون من الهم الذي هو الحزن ويجوز أن يكون من الهم أو القصد . ويقول هو صبور على النوائب والعلات ولا يكاد يتألم بما يعزوه من المهمات) .

فغلب أن يكون (المهم) في البيت : الأمر الشديد المحزن . ونظير هذا قوله (٤٧٦) : (كأنها كانت تكرر الرجاء وتجده مع كل حادثة ومهمة) . وقول الزمخشري في الأساس : (ونزل بهم 'مهم' ومهمات) .

ومما جاء بمعنى الأمر المطلوب الشاغل ، قول المرزوقي (٤٦٧) : (وكثير من الناس يظن منا تباطؤاً في المهمات وتثاقلاً) وقوله (ودوام صبره على جميع ما يكلفه من المهمات الشاقة على كرام الناس) . وقوله : (والعتد بفتح العين وكسرهما الفرس المعد للمهمات من الطلب والهروب وغيرها) . وقول أبي حيان التوحيدي في كتابه أخلاق الوزيرين (١٢٧) : (وقد وردا في مهمات وحوائج) . وقول الزمخشري في الأساس : (وفلان حلال للمقد كاف المهمات) . وما جاء في الأشباه والنظائر (٢٢٦/٤) : (مهمة من مهمات شيخنا الكافيحي) . فجمع ' (المهمة والمهم) على (المهمات) واضح . فهما صفتان غالبتان جاءتا على صيغة اسم الفاعل ، ولا تزال بهما معنى الصفة . أما جمعها على (المهم) كما جرت به أقلام الكتاب وطاعت ألسنتهم ، فوجه أنها أنزلتا منزلة الاسم وأريد بهما الاسمية ، وهو قياس .

* * *

هذا وما اختتم به (التاء) من الصفات الغالبة ، قد تكون (تأؤه) للتأنيث لأنه في الأصل صفة لموصوف مؤنث ، وقد تكون للنقل من الوصف إلى الاسم أيضاً . فقد جاء في (الفروق) لاسماعيل الحقي (٤٦) : (اعلم أن التاء من مثل الخليفة والحقيقة على وجهين : إما للنقل من الوصفية إلى الاسمية . وإما للتأنيث بتقدير موصوف مؤنث . ومعنى كون التاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية أن اللفظ إذا كان في الأصل وصفاً ثم غلب عليه الاستعمال

حتى صار بنفسه اسماً ، كانت اسميته فرعاً لوصفيته (. وقال الموزوني (٢٥) : (ولقيطة ألحق بها الهاء وإن كان فعلاً بمعنى مفعولة لأنه أفرد عن الموصوف به وجعل اسماً) . قال الرضي في شرح الكافية (١٦٤/٢) : (الثالث عشر : دخولها إمارة للنقل من الوصفية إلى الاسمية ، لكون الوصف غالباً غير محتاج إلى الموصوف كالنطيحة والذبيحة) .

وما الحكم أخيراً في جمع (المعجم) ، هل يصح فيه (المعاجم) و (المعجمات) ؟ .

أصل قولك (المعجم) هو (حروف المعجم) . وقد جعلوا لهذا تأويلين :

الأول أن تقديره (حروف الخط المعجم) : قال أبو محمد الحفاجي في كتابه (سر الفصاحة / ١٧) : (بل يجوز أن يكون التقدير حروف الخط المعجم ، لأن الخط العربي فيه أشكال متفقة لحروف مختلفة ، وأعجم بعضها — أي نقط — دون بعض ليزول اللبس) . ثم قال : (فإذا قيل أعجمت الكتاب فمعناه أزلت إبهامه كما يقال : أشكيت إذا أزلت ما يشكوه) . وقد سده أحمد بن فارس في مقاييسه .

والتأويل الثاني ما قاله أبو العباس المبرد ومؤداه أن (حروف المعجم) يعني (حروف الإعجام) . فالمعجم هنا مصدر ميمي . تقول أعجمته مُعْجِماً أي إعجاماً ، كما تقول : أدخلته مُدْخِلاً أي إدخالاً . وقد تبعه كثيرون ، منهم ابن جني كما جاء في سر الصناعة (٣٨/١) .

أما التأويل الأول فـ (المعجم) فيه صفة فارقت موصوفها فغدت صفة غالبة . وجمع الصفة الغالبة هنا هو جمع الاسم ما دام قد أريد بها

الاسم . لذلك كان جمع (المعجم) على هذا التأويل (المعاجم) . ويؤيد هذا ما جاء في المقال الذي عقده الدكتور ناصر الدين الأسد عضو المجمع القاهري يومئذ حول (معاجم ومعجمات) ، في مجلة المجمع القاهري (٢٥/ ٨١) . فقد ذكر الدكتور الأسد أن الأستاذ محمود محمد شاكر قد أنبأ أنه عثر في ديوان القطامي على بيت هو :

ونادينا الرسوم وهن صمٌ ومنطقها المعاجم والسطار

وقد جاء في شرح البيت (المعاجم كتب معجمة إجابتها إيانا أن أرتنا علاماتها كأنها سطار كتب أي منطقها السطار والآثار ، وكل ذلك لا يجيب) .

فـ (المعاجم) في البيت (الكتب المعجمة) من أعجم خلاف أعرب . فما بالها قد جمعت على (المعاجم) . الجواب أنها صفة غالبية جمعت جمع الأسماء ، حين أريد بها الاسم .

ورب سائل يقول : ألا يجوز في (المعجمة) وهي الصفة الغالبة المبنية على (الكتب المعجمة) أن تجمع على (معجمات) كما جمعت على (معاجم) . أقول يجوز هذا لأن اختصاص الصفة الغالبة بموصوف معين وهو (الكتب) إذا كان قد عدل بها عن معنى الصفة فإنه لم يُعرِّها منه .

ولكن هل يجوز جمع السلامة فيما نريده بلفظ (المعجم) ؟

أقول بضمف هذا . ذلك أن ما يُراد من دلالة (المعجم) لم يُشْنَ على معنى قولك (كتاب الخط المعجم) أو (الكتاب المعجم) أي الذي أعجمت حروفه فأزبل اللبس منها ، وإلا كان كل كتاب (معجماً) .

فالحق أن الذي أريد به (المعجم) : الكتاب الذي جاء ترتيبه على حروف المعجم ، كما ذهب إليه الدكتور الأسد . فهو على هذا اسم ، أو صفة غالبة أوغلت في الاسمية حين اختصت بدلالة معينة وتراخت نسبتها إلى ما بنيت عليه ، فضعف جمعها على (معجمات) .

وإذا أخذنا بالتأويل الثاني في اعتداد (حروف المعجم) بمعنى (حروف الإعجام) ، كان (المعجم) مصدراً ميمياً مسمي به الكتاب الذي جاء ترتيب مضمونه على هذه الحروف . وقياس جمع المصدر الميمي إذا سمي به ، التكسير على (مفاعل) . ولا عبرة بقول من قال : المصدر لا يجمع .

قال الدكتور الأسد : (وربما كانت هذه الأمور الثلاثة : ١ - أن معاجم لم ترد في كلام العرب ٢ - أن المعجم مصدر والمصدر لا يجمع ٣ - أن المعجم صفة والصفات من أسماء الفاعل والمفعول وأولها ميم تجمع جمعاً سالماً لا جمع تكسير ، هي التي حملت هذا النفر من علمائنا المعاصرين على التوقف والتشكك ، ثم رأوا النجاة والأمان في جمع المؤنث السالم فقالوا : معجمات) .

أقول : أما قولهم إن (المعاجم) لم يرد في كلام العرب فجوابه أنه ليس يلزم في كل ما مست الحاجة إلى جمعه أن يكون العرب قد جمعته ، وكيف تجمععه ولم تنزله المنزلة التي أنزلها أو تورده المورد الذي أوردنا . وقد مر أنهم قالوا (المعاجم) وأرادوا به (الكتب المعجمة) ، بل جمعوا كثيراً من أمثاله حين كسروا ما حاله الصفة الغالبة ، وأصله الوصف الجاري على فعله .

وأما قولهم (المعجم) صفة والصفات من أسماء الفاعل والمفعول

وأولها ميم يجمع جمعاً سالماً لا جمع تكسير ، فجوابه أن هذا إنما يصدق على ما جرى على فعله من الصفات لا على كل صفة . فانظر إلى قول الرضي في الشافية (٢ / ١٨٠) : (كل ما جرى على الفعل من اسمي الفاعل والمفعول وأوله ميم فبإبه التصحيح لمشابهته الفعل لفظاً ومعنى) . وإلا فكيف جمعوا (الخزبة والمصيبة والمدينة والمعقبة والمطيحة والمرسلة والمعجمة) على (الخمازي والمصائب والمدائن والمعاقب والمطاوح والمراسل والمعاجم) ؟ بل قالوا إنه قياس . ففي خزانة الأدب للبغدادي (١ / ٣٠٧) : (فقياس الجمع أن يكون المطيحات والمطاوح) . وقال الزنجشيري في الأساس : (أي المطيحات والمطاوح) .

وقال ابن جني في قراءة عبيد الله بن زياد (له معاقب من بين يديه) : (ينبغي أن يكون هذا تكسير معقب أو معقبة .. ويجوز أن لا تعرض فتقول : معاقب ..) . وكيف يكون (المعجم) صفة جارية على فعلها ، وهو الكتاب الذي نسقت مادته على حروف المعجم ؟

وأما قولهم (المعجم) مصدر ، والمصدر لا يجمع ، فالجواب عنه أن (المعجم) ليس مصدراً ، وإنما عدل به عن المصدر إلى الاسم . والمصدر الذي لا يجمع هو المصدر الذي يصدق عليه تعريفه وحدته ، حين يقولون : هو الحدث المستغرق لجنسه ، فجمعك (العقل) مثلاً على (العقول) ليس جمعاً للمصدر وإنما هو جمع للاسم الذي آل المصدر إليه ، وجمعك (اللب) على (الألباب) جمع للاسم الذي عدل بالمصدر إليه أيضاً . وقل مثل ذلك فيما لا يعد ولا يحصى مما جمعه العرب والأئمة فتحولوا به من المصدر إلى الاسم . وقد عرضنا لذلك في كتابنا (أخطاؤنا في

الصحف والدواوين (المطبوع عام ١٩٣٩ ، وسنعتقد عليه فصلاً نكشف به عن حال المصدر وجمعه وشرطه .

هذا وقد أورد الدكتور الأسد (المهرق والمُصحف والموسى والمُطرف والمجسد والمُسند والمصعب والمذهب والمرسلة) ، وقال : (ولم نجد نصاً فيما اطلعنا عليه من كتب اللغة يجمع هذه الألفاظ التي أوردناها جمعاً سالماً . فلم نسمع مُسندات جمعاً لمُسند) !.

أقول من هذه الألفاظ ما هو اسم وبابه التكسير فكيف يجمع جمع السلامة ؟

قال الجوهري في صحاحه (المهرق الصحيفة فارسي معرّب والجمع المهارق) وقد قيل للصحراء ('مهرق ') تشبيهاً بالصحيفة كما أورده اللسان .

وكذا (المُصحف) وقد اعتد في الأسماء فبابه التكسير . قال الزمخشري في المفصل (ما جاء مضموم الميم والعين من نحو المسعط والمنخل .. فقد قال سيبويه لم يُذهب بها مذهب الفعل ولكن جعلت اسماً لهذه الأوعية ..) . قال ابن يعيش في شرحه (.. ومنه المُصحف من لفظ الصحيفة تقول أصحفته فهو مُصحف أي جعلته صحيفة . وربما كسروا أوله . قالوا مِصحف يشبهونه بالآلة) .

ونظيره (المُوسى) فقد ذهب جماعة إلى أنه (مُفعّل) من أوسيت رأسه إذا حلقتة ، كما جاء في المصباح والنوادر لأبي مسحل الاعرابي (٨٥) ذكروا هذا ليدلوا على أصله ، كما فعلوا في المصحف . وهو لو استمر على هذا الأصل لكان معناه (ما أوسي) أي حُلِق ، على المفعول . لكنه استعمل لما (يوسى به) أي يحلق به ، فاعتد اسماً .

وقد ذكر سيديويه ما جاء على (مُفْعَل) من الأسماء ، فقال في الكتاب (٣٧٨/٢) : (ويكون على مُفْعَل - أي الاسم - نحو مصحف ومخدع وموسى ..) فدلّ هذا على أن (المصحف والموسى) قد اعتدا في الأسماء .
و (المُطَرَف) واحد المطارف وهي أردية من خزها أعلام . وقد دلّ صاحب المصباح على أصله فقال : (وأطرفته أطرافاً جعلت في طرفيه علمين فهو مُطَرَف) لكنه أردف كلاماً يشير به إلى أنه انتقل من الوصف إلى الاسم فقال : (وربما جعل اسماً برأسه غير جار على فعله ، وكسرت الميم تشبيهاً بالآلة والجمع مطارف) . ولو كان على شيء من الوصف ، لما ساغ أن يكسر أوّله .

أما (المُجَسَّد) ، فمنهم من فرق فيه بين مكسور الميم فجعله (لاثوب الذي يلي الجسد) ، ومضمومه فخصّه بـ (الثوب المشبع من الصبغ) من قولك (أجسد ثوب فلان إجاداً فهو مُجَسَّد) . ولكن من الأئمة من اعتدّ الأصل واحداً . ففي اللسان (المِجْسَد والمُجْسَد واحد ، أصله الضم لأنه من أجسد أي ألزق بالجسد ، إلا أنهم استثقلوا الضم فكسروا الميم ، كما قالوا للمُطَرَف مِطَرَف والمُصْحَف مِصْحَف) . فدلّ هذا على أنهم تصرّفوا في (المُجَسَّد) بالضم فأخرجوه من الوصف إلى الاسم وأجازوا فيه الكسر . قال الزنجشيري في الأساس : (ولبس المجسّد وهي الشعر جمع مجسد ومُجَسَّد) . ويؤيد هذا ما جاء في اللسان (قال أبو زيد : نيم تقول المغزل والمطرف ... والمِجْسَد ، وقيس تقول : المغزل والمُطَرَف .. والمُجَسَّد) .

وأما (المُسَنَد) فقد جعل (للحديث الذي اتصل إسناده إلى رسول

الله ﷺ ، كما جاء في كتب الحديث . وقد جاء في التعريفات للجرجاني (١٤٤) : (المُسند من الحديث خلاف المرسل وهو الذي اتصل إسنادُه إلى الرسول ﷺ) . وقد جمع على (مساند ومسانيد) ، ففي التاج (المُسند كمكرم .. جمعه مساند على القياس ومسانيد بزيادة التحتية إشباعاً) . أقول قد جمع (المُسند) جمع تكسير لأنه انتقل من الوصف إلى الاسم ، وهو فيه قياس حين يراد به الاسمية ، كما اشتهر به ، لخصوصه . ولكن قد بقي فيه معنى الصفة لأنه (الحديث المسند) فليس شيء يمنع أن يجمع جمع الصفات على (المُسندات) ولو شاع فيه التفسير ، إذا أوردته موردها ، كأن تقول (المسندات من الأحاديث) . وخلاف (المُسند) : (المرسل) كما قال الجرجاني : فالمرسل من الحديث ما لم يتصل إسنادُه إلى الرسول الأعظم بل إلى التابعي . ويسند التابعي إلى الرسول فلا يذكر من رواه عنه . وقد جمع (المرسل) على (المراسل والمراسيل) لكنه جمع على (المرسلات) حين اوقع موقع الصفة . فقد جاء في المتن (والمرسلات من الأحاديث التي تصل بإسنادها إلى التابعي ، ويقول التابعي قال رسول الله ولا يذكر صاحب الذي تلقاها عنه) . وإنما حدد المراد بـ (المسندات) و (المرسلات) بذكر (الأحاديث) لعموم معنى الوصف وشموله .

أما (المصعب) على صيغة اسم المفعول فله وجهان : صفة جارية على فعلها ، وصفة غالبة . ومثال الأول ما جاء في الصحاح (وأصعبت الجملَ فهو مصعب إذا تركته فلم تركبه .. حتى صار صعباً) .

وما جاء في اللسان (وجملٌ مُصعب إذا لم يكن منوّقاً وكان محرّم الظهر) . ويسمى صاحب الجمل هذا : (مُصعباً) بالكسر . ففي النهاية (في حديث خيبر من كان مُصعباً فليرجع ، أي من كان بعيره صعباً غير منقاد ولا ذلول) . وقياس جمع ما كان صفة جارية على فعلها : التصحيح .

ومثال الثاني - أي الصفة الغالبة - ما جاء في الصحاح (والمصعب الفحل ، وبه سمي الرجل مصعباً) . وفي فقه اللغة للثعالبي (إذا كان الفحل يودع ويُعفى من الركوب والعمل ويقتصر على الفحلة فهو مُصعَب) . وفي التاج (والمُصعَب كَمَكْرَم ، قال ابن السكيت : الفحل الذي يُودع ويُعفى من الركوب ..) والجمع مصاعب ومصاعيب كما ذكره اللسان والتاج . وقد اقتصروا فيه على التفسير حين انفردت الصفة الغالبة من الصفة الصريحة بدلالة خاصة ، فكان ذلك فرقاً بينهما . ورب معترض يقول : إذا كان (مصاعب أو مصاعيب) صفة غالبة غير جارية على فعلها فماتأويل قولهم (جمال مصاعب ومصاعيب) ؟ أقول قولهم هذا شبيه بقولك (هذه أراضٍ صجراوات) و (هؤلاء أسرى رهائن) والصجراوات والرهائن صفتان غالبتان .

ونظير (المُصعَب) الصفة الغالبة : (المذهب) وجمعه (المذاهب) وهي جلود فيها خطوط مذهبة ، بعضها إثر بعض فكأنها متتابعة ، كما جاء في شرح ديوان قيس بن الخطيم لابن السكيت ، فقولك (جلود مذهبة) على الوصف ، لا يُغني مفعلي (المذاهب) بحال من الأحوال ، ومن هنا الاقتصار في الصفة الغالبة على التفسير .

وأما (المرسله) فقد مرّ بنا الكلام في (جمعها) .

ويقول الدكتور الأسد : (هل نستطيع أن نضيف إلى ذلك أن الصحيح في جمع الألفاظ الأخرى التي على هذا البناء ، هو : مفاعل ، حين تجري هذه الألفاظ مجرى الأسماء فنقول في جمع - ملحق - ملاحق ، وليس ملحقات كما أصبح حديثاً يحرصُ نَفَرٌ من محققينا ومؤلفينا على استعماله ؟) . أقول ليس الأمر مقصوراً على ما صحَّ جمعه على (مفاعل)

من الصفات إذا أنزلت منزلة الأسماء وإنما الحكم جارٍ في كل صفة عدل بها عن الوصف إلى الاسم بأفرادها عن موصوفها وتمييزها بدلالة خاصة .
والأمر يتعدى في هذا جواز التكسير إلى الاختصار عليه أو الجمع بينه وبين التصحيح . وليس التعويل في كل هذا على (المبني) وحده ، بل على (المبني والمعنى) جميعاً .

أما (الملحق) فإذا أطلقته على (مسمى خاص) نأى به عن الدلالة العامة كأن تعني به (ما تلحقه بالمعاهدة من شروح وشروط) ليس غير ، قلت في جمعه (الملاحق) . لأنك سميت به هذه (الشروح والشروط الملحقة بالمعاهدة) فباعدت ما بينه وبين الوصف وأنزلته منزلة الأسماء .

وإذا قصدت به كل ما يمكن إلحاقه بأصل من الأصول أو إتباعه باباً من الأبواب قلت (الملحقات) كما جمعه النحاة حين قالوا (الملحقات بلا سيا) .

بقي أن نعرض لرأي الدكتور مصطفى جواد عضو الجمع العراقي ، في جمع (معجم) . فقد جمع الأب أنستاس الكرملي (المعجم) على (معاجم) فأنكره الدكتور جواد . قال الأب الكرملي (أما معجم فهو وزن مصحف ومخدع ، وما كان على هذا الميزان يكسّر على مفاعل : معاجم ، كما يقال مصاحف ومخادع) .

أقول ليس الأمر على ما قال . ذلك أن صيغة الجمع لا تحدد بوزن واحد حسب ، وإنما تتعلق إلى ذلك بأصل معناه اسماً أو وصفاً أو صفة غالبة ، كما رأيت . إذ ليس كل (مفعّل) جمعه (مفاعل) . وقال الأب : (أما أنه ورد معاجم فهو مما لا يختلف فيه اثنان قال السيد الزبيدي في كلامه على أثال : وهو تمامة بن أثال بن النعمان .. كما هو في

المعاجم () . أقول إن جمع الزبيدي (معجماً) على (معاجم) ليس نصاً ملزماً ، لكنه باءث على البحث والتدبر واستبانة وجهه .

قال الدكتور جواد في كتابه (دراسات في النحو والصرف ..) :
(أراد بالمعاجم جمع المُعْجَم أي المعجمات ، مع أن المعاجم جمع المُعْجَم على وزن المذهب ، وهو موضع المعجم أي العضّ الاختبار ... قال العلامة الزنجشيري في أساس البلاغة : وفلان مُصَلَّب المعجم إذا عجمته الأمور ، وقال في صدق : وفلان صدق ، وصدق المعاجم ، فالمعاجم جمع المُعْجَم بالمعنى المذكور . أما المُعْجَم بضم الميم فالقاعدة في جمعه زيادة الألف والتاء ، فيكون : المعجمات) .

أقول أما أن (المُعْجَم) بالفتح اسماً ، على (معاجم) فهو صحيح .
وأما أن (المُعْجَم) بالضم ، على (مُعْجَمَات) كيف كان بناؤه صفة أو صفة غالبية أو اسماً ، فليس بالوجه . وإذا كان (معاجم) جمعاً لـ (مُعْجَم) بالفتح فليس يلزم منه ألا يكون جمعاً لـ (مُعْجَم) بالضم .
فقد تماقب على (مذاهب) : (مذهب) بالفتح و (مذهب) بالضم كما مرّ ، واتفق على (مسان) جمع (مسن) بالكسر ، اسم آلة من (سن) ، و (مسن) بالضم ، صفة غالبية ، على اسم الفاعل من (أسن) .

هذا وقد أنكر الدكتور جواد (معاجم) جمعاً لـ (مُعْجَم) ، لكنه أثبت (معاجيم) بالياء جمعاً له . أقول : الأصل فيما جاز تكسيره من (مُفْعَل) أن يجمع على (مفاعل) دون (مفاعيل) ، لأن هذا إنما جعل لتكسير (مفعال ومفعيل) مما تخلله حرف مد . على أنه حكى

جمع (مفاعيل) في ألفاظ لم يتخللها حرف مد . فما الذي قاله العلماء فيها ؟
 أجاز الكوفيون في كل ما جمع على (مفاعل) أو هيئته كفواعل
 وفعائل أن تزداد فيه الياء ، وأجازوا حذفها فيما جاء على (مفاعيل) كما
 نص عليه الهمـع للسيوطي (١٨٢/٢) . وقد أخذ بهـذا جماعة وعبروا
 عن إضافة (الياء) في نحو (مفاعل) وما كان على هيئته بأنه إشباع
 للكسرة وأسماء ابن جني في الخصائص (١٥١/٣) وفي المحتسب (٣٥٧/١)
 إشباعاً للحركة أو مطلقاً : ورده الأنباري في الإنصاف (٣١/١) وقصره
 على الشعر .

قال الزبيدي في التاج (المسند كمكرم جمعه مساند على القياس ،
 ومسانيد بزيادة التحتية إشباعاً ، وقد قيل إنه لغة ، وحكي في مثله القياس
 أيضاً) . وقد جمع الزبيدي (معجماً) على (معاجم) ، كما جمعه
 على (معاجيم) .

على أن جواداً قد أثبت (معاجيم) وهو الفرع ، وأبى (معاجم)
 وهو الأصل ، وهو غريب . بل استظهر في هذا بنظر البست
 محلاً لقياس . قال الأستاذ جواد (ويجوز عندي جمعه جمع تكسير ،
 شرط أن تطبق عليه قاعدة الأسماء المضمومة الميم كالمفطر والموسير والمنكر
 والمطفل . . فيكون المعاجيم كالمفاطير والمياسير والمطافيل . . ، ويجوز حذف يائه
 لوزن الشعر حسب أو لحذف الالتباس) أقول قد جعل الرضي هذه
 الألفاظ مما خرج في جمعه عن بابه ، فقال في شرح الشافية (١٨٠/٢) : (قوله
 مضروبون ومكرمون ومكرمون ، أي ماجرى على الفعل من اسمي الفاعل
 والمفعول وأوله ميم فبابه التصحيح . . وجاء في اسم المفعول الثلاثي نحو ملعون

ومشؤوم .. ملاعين ومشائيم .. وقالوا أيضاً في مُفعيل كموسر ومُفطر ،
وفي مفعّل كمنكر : مياسير ومفاطير ومناكير) ، وأردف : (وإنما أوجبوا
الياء فيها مع ضعفها في نحو معاليم جمع مُعلم ، ليتبين أنّ تكسيرهما
خلاف الأصل ، والقياس التصحيح) . أليس هذا صريحاً بأن هذه المثل لا تصح
قياساً ، وهي ليست كـ (معجم) على كل حال ؟ وقد أورد الأستاذ
جواد (المطفيل) المختص بالمؤنث . قال الرضي : (والأغلب في المفعيل
المختص بالمؤنث التجرد عن التاء ، فلا يصحح ، بل يجمع على مفاعل كالمطافل
والمشادن والمراضع .. وجوزوا في جمع هذا المؤنث زيادة الياء أيضاً ليكون
كالعوض من الماء المقدرة فتقول : مطافيل ومراضيع ومشادين ، ويجوز
تركه ، قال تعالى : وحرمنا عليه المراضع) . فأين هذا من جمع (المعجم)
وكلام الرضي يدور على ما يختص بالمؤنث ؟ ومفاعيل فيه كمفاعل ، على كل حال !
فقد استبان بما قدّمنا وشرحنا ، حال الصفة الغالبة وحدها ، وما انفردت
به عن الصفة : معنى وحكماً ، وأنّ ليس المدار في الجمع على وزن المفرد
حسب ، بل على دلالاته ومبناه صفة أو صفة غالبة أو اسماً . ويتضح كل
ذلك بالاستقراء والتدبر واستفراغ الوسع في التلطف له .

معروف الرصافي والاستقلال العزبي

١٩٠٨ - ١٩٢١

عبد اللطيف الطيباوي

غرض هذه المقالة توضيح ناحية في حياة الرصافي وشعره لم تنل عناية كافية حتى الآن ، وهي موقفه ظاهراً في شعره وباطناً بسكوته ، ونحو محاولة العرب نيل شيء من الاستقلال الداخلي في الدولة العثمانية قبيل الحرب العالمية الأولى، ونحو الثورة العربية على تلك الدولة بزعامة الشريف حسين بن علي ، ونحو الجهاد العربي ضد الانكليز في فلسطين والعراق وضد الفرنسيين في سورية بعد انتهاء تلك الحرب .

وتمهيداً لدرس ذلك تفصيلاً لا غنى عن إجمال المراحل الرئيسية في حياة الشاعر حتى ابتداء اشتغاله بالصحافة والسياسة . ولد في بغداد سنة ١٣٩٢ هـ / ١٨٧٥ م وتعلم أولاً في « الكتّاب » بحسب النظام الأهلي ، ثم انتقل إلى مدرسة « رُشدية » من مدارس النظام الجديد التي أنشأتها الدولة بعد إصدار قانون المعارف سنة ١٨٦٩ . وكانت الدخول في المدرسة الرشدية جائزاً لمن أكمل مدرسة أولية من مدارس النظام الجديد

أو مدرسة أهلية من درجة « الكتاب » . وكانت مدة الدراسة فيها أربع سنوات أكملها الرصافي لكنه لم ينجح في امتحان السنة الرابعة ، فحيل بينه وبين الارتقاء إلى مدرسة إعدادية فلسطينية بحسب النظام الجديد . فعاد إلى النظام الأهلي وأصبح من طلاب محمود شكري الألوسي^(١) ، فعلمه علوم اللغة العربية والفقه والمنطق . هذا مبلغ ما تيسر للرصافي من التعلم ، وهو عظيم الأثر في لغته الشعرية وفي تكرار إشارات بمفاخر العرب ، وقليلته في غير ذلك .

بعد أن أجازته شيخه أصبح معلماً في مدرسة أولية ، ثم تخصص بتعليم اللغة العربية في مدرسة رشدية فمدرسة إعدادية حتى سنة ١٩٠٨ ، وهي السنة التي أعاد فيها السلطان عبد الحميد العمل بالدستور ، وتولى فيها زعماء جمعية الاتحاد والترقي مقاليد الحكم في الدولة . وقد أسسوا فروعاً لجمعيتهم في عواصم الولايات كان أحدها في بغداد . وفيها صدرت جريدة رسمية بهذا الاسم باللغتين التركية والعربية ، فأصبح الرصافي من محرري القسم العربي مناصراً لجمعية الاتحاد والترقي مدافعاً عن مبادئها . لكن المشهور أن عبد الحميد أعاد العمل بالدستور مكرهاً ، وأن عدداً من العلماء آزروه خوفاً على الدين والدولة من تطرف رجال الجمعية وبينهم عدد من اليهود . فقامت ثورة في العاصمة أخذها الجيش ، وأدى ذلك إلى خلع عبد الحميد وتولي محمد رشاد . وقد سجل الرصافي هذه الانقلابات بقصيدتين

(١) أحد سراء العراق وعلمائها ومؤلف كتاب « بلوغ الأرب في أحوال

العرب » (ثلاثة أجزاء - بغداد : ١٣١٤ هـ) وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق .

ضد استبداد السلطان وأعدائه والأشرار ، (١) .

روى شاهد عيان ، وهو الشيخ محمد جلال العباسي ، لتلميذه قاسم الخطاط (٢) أن الرصافي بعد هذه الحوادث دخل على رأس جماعة فيهم عدد من اليهود والنصارى إلى جامع الوزير في بغداد في يوم جمعة والوائظ على وشك الكلام . فأسكته الرصافي واعتلى هو المنبر وحث الناس على مناصرة جمعية الاتحاد والترقي ، فاستاء المصلون وهاجوا وألفوا مظاهرة سارت إلى مقر الوالي ، فطلب رؤساؤها معاقبة هؤلاء «الكفرة» فلبى الوالي طلبهم وأمر بسجن الرصافي مع أحد أعدائه ، لكنه أطلق سراحه سريعاً بعد هدوء العاصفة . كان هذا الوالي غالباً كسائر الولايات في ذلك الوقت من أعوان الجمعية . وجريدة بغداد التي كان الرصافي أحد محرريها كانت الجريدة الرسمية للولاية ، فكان بهذه الصفة موظفاً في ديوان الوالي . ولا يستبعد أنه هو الذي دفع الرصافي إلى دخول المسجد على تلك الصورة . وحبسه لم يكن سوى تدبير موقت . وهذه القصة تدل على ضآلة أثر ما تعلمه الرصافي من الألوسي من علوم الدين ، إذ هو الذي جلب اليهود والنصارى إلى المسجد وأشركهم معه في منع حوية الوعظ فيه عاملاً بما قال في إحدى القصيدتين المذكورتين :

لقد جمعوا الجموع فمن نصارى ومن هود هناك ومسلمين

لا شك أن ما كتبه الرصافي في جريدة الولاية كان من أسباب دعوته

(١) ديوان الرصافي (الطبعة السادسة . القاهرة ١٩٥٩) ص ٣٨٢ - ٣٨٨

(٢) معروف الرصافي : حياته وشعره لقاسم الخطاط وزميله (القاهرة ،

١٩٧١) ص ٥١ - ٥٤

إلى استانبول ، حيث اشتغل محرراً في مجلة « سبيل الرشاد » ومعلماً
 للغة العربية في المدرسة السلطانية التابعة لوزارة المعارف ، ومعلماً للخطابة
 في مدرسة الوعاظ التابعة لوزارة الأوقاف . وسرعان ما اختاره طلعت
 باشا وزير الداخلية ليكون معلمه الخاص في اللغة العربية ، وقربه زيادةً
 على ذلك فدبر تعيينه نائباً في مجلس المبعوثان (النواب) عن المنتفك دون
 أن ينتخبه أهلها وكان ذلك في سنة ١٩١٢ عندما أصبح الرصافي من
 الرجال البارزين في العاصمة . لكنه مع مناصرته لرجال الحكم من
 الأتراك ، ظل متحفظاً مع رجال العرب في استانبول ، وفيهم النواب
 والموظفون وطلاب الجامعة والمدارس العليا من مدنية وعسكرية ، وكأنه
 لم يشاركهم في آمالهم القومية العربية . خذ مثلاً على ذلك القصيدة التي
 ألقاها عليهم في حفلة عامة بعنوان « إلى الأمة العربية » فكلها تمجيد
 الماضي وذم الحاضر ودعوة إلى « نهضة علمية عربية » دون الإشارة تلميحاً
 أو تصريحاً إلى الآمال القومية .

لم يخالف الرصافي هذه الخطة مع الأتراك أو مع العرب ، لا قبل
 الحرب ولا أثناءها . فكان دائماً مع الدولة على كل من عاداها من الدول
 الأجنبية وعلى كل من خالفها من العرب . ومن العبث التماس العذر له
 بشواذ من أبيات الشعر قد تشير إلى خلاف ذلك ، فهي أشبه شيء
 بالمتناقضات في كلام رجال السياسة ولا أثر لها على المبادئ الأساسية .
 زعم بعضهم أن الرصافي عاضد رجال الإصلاح من زعماء العرب بقصيدة
 « في معرض السيف » قالها بمناسبة اجتماع عقوده في بيروت في أوائل
 سنة ١٩١٣ . ولكن هذه القصيدة لا تختلف في محتواها ومعناها عن
 القصيدتين المذكورتين أعلاه ، بإقتصارها على التعميم دون التخصيص وعلى

الماضي أكثر من الحاضر ، ولعدم ذكر شيء من قرارات الاجتماع ، هذا مع العلم أنه عقد بموافقة الحكومة التي أمرت برفض جميع قراراته .

وكان هذا الرفض من أسباب عقد مؤتمر في باريس في حزيران ١٩١٣ اتخذ قرارات مشابهة كلها مطابقة للدستور وموافقة لمبادئ الحرية والعدالة والمساواة ، التي فادت بهما جمعية الاتحاد والترقي . وأهم هذه القرارات : جعل اللغة العربية لغة التدريس في مدارس البلاد العربية بدلاً من التركية مع تعليم هذه كلغة ثانية - اعتبار اللغة العربية لغة رسمية في المحاكم ودوائر الحكومة في الولايات العربية - اشتراك العرب مع الأتراك في إدارة الدولة وتولي الوزارة والولاية - إدارة البلاد العربية على طريقة اللامركزية بتقليل تدخل الحكومة المركزية في الشؤون المحلية . وبعد توسط الشريف علي حيدر والشيخ عبد العزيز شاويش قبلت الحكومة هذه المطالب في اتفاقية وقعها طلعت باشا وزير الداخلية وعبد الكريم الخليل رئيس المنتدى الأدبي .

ولكن قبل توقيع الاتفاقية قال الرصافي قصيدته المشهورة وما هكذا (١) ، وهي كما جاء في البيت الأول كلها « لوم ونثريب » مع اللم والنهم الباطلة : « لائحة خرقاء » ، « كلفت الحكومة شططاً » ، « خالف أصحابها الحزم والتجارب » ، « تدع إلى التعصب الديني والتفرقة بين المسلمين والنصارى » ، « ضجة إفسادٍ وشر » . لكن الناظر في مطالب العرب لا يرى لهذا كله من أثر فيها ، ودليل ذلك أن الحكومة بعد تردد قبلتها . وهجوم الرصافي على بني قومه تعصب سياسي وتهور في الإعراب عنه .

(١) ديوان الرصافي ص ٤٠٢ - ٤٠٥

لكن للرصافي سؤال في هذه القصيدة لم نجد في كل ما قرأنا عن مؤتمر باريز جواباً شافياً له : لماذا لم يعقد مؤتمر في بلاد محايدة مثل سويسرا مثلاً وعقد في باريز وهي عاصمة أمة كانت لها مطاعم ظاهرة في سورية الكبرى ؟

لو كان في غير باريز نألتهم ما كنت أحسبهم قوماً مناكيباً

لكن باريز ما زالت مطاعمها ترنو إلى الشام تصعيداً وتصويباً

على كل حال استنكر العرب موقف الرصافي من المؤتمر ورجاله وقراراتهم ، فرد عليهم بقصيدة فيها سب وكلام بذيء قال في نهايتها : « فاشطب عليهم بنعل إنهم غلط » . لا شك أنه لم يكن جاهلاً مساعي غيره من العرب كالشريف علي حيدر ، والشيخ عبد العزيز شاويش ، والشيخ رشيد رضا ، وسليمان أفندي البستاني لتقريب مطالب العرب من سياسة رجال الاتحاد والترقي ، فلماذا لم يسلك هو هذا المسلك ؟ أشار في شعره إلى ما طلبه رجال الإصلاح ولكنه لم يحدد شيئاً منه ، وأشار إلى الجمعية التي طالبت ببدء اللامركزية الإدارية دون أن يسميها ، فإذا فرضنا جهله بمبادئ الجمعيات السرية كالقحطانية والفتاة فلا يصح أن نفرض جهله ما كان منشوراً في الصحف ومشهوراً على الألسن . فلماذا لم يقل كلمة واحدة على الأقل في الدفاع عن اللغة العربية ؟ ولماذا وصف من أرادوا إعلاء شأنها بالشطط وبما هو أشنع من ذلك ؟ ألا يصح الاستنتاج أن تكرار التفني بماضي العرب في شعر الرصافي كان بمثابة تعويض عن قصيره في السعي لتحسين حاضرهم السياسي أو على الأقل تحسين حال لغتهم في مدارس الحكومة ودواوينها ؟ هل كان الرصافي جاهلاً أن أبناء العرب في مدارس الحكومة كانوا يتعلمون باللغة التركية لا بلغتهم العربية ؟

وجاءت الحرب العظمى فاتخذها الأتراك حجة لايقاف تنفيذ شروط الاتفاق مع زعماء العرب ، فوافقهم على ذلك الرصافي بسكوته واستمر يؤازرهم مؤازرة قامة . فلما أعلن الجهاد الاسلامي (١) قال قصيدة طويلة استبعد فيها أن ينجح الهجوم البريطاني على جنوب العراق ودعا إلى إنقاذ عدن ومصر من حكم الانكليز واكدنه لم يقدر أن مصر بعد إعلان الحماية البريطانية عليها وإقامة حكم عسكري فيها لم يكن بوسعها المقاومة . وعليه فاتهم السلطان كامل حسين ورئيس الوزراء حسين رشدي باشا بالخيانة لا يستطيع المؤرخ المنصف قبوله :

قل للحسينين في مصر رؤيدكما قد خنتما الله والاسلام والوطنا
شابتما الانكليز اليوم عن سفته تالله ما كان هذا منكما حسنتا
قد بيعتما الدين بالدنيا مجازفة فكنتما في البرايا شر من عينا (٢)

بثل هذا حافظ الرصافي على مكانته عند رجال الحكم في استانبول ، وبسكوته التام عن فضائع جمال باشا في سورية وإعدامه زعماء العرب في سنتي ١٩١٥ و ١٩١٦ شابعهم بزعمهم أن العرب قد خانوا الدولة وتآمروا مع أعدائها . وقد وجد غير واحد من الذين نظروا في شعر الرصافي في سكوته ، هذا من أغرب الأمور . ومع هذا ليس من الصعب تفسيره . عرّف الرصافي عدداً من الذين أعدموا ومنهم عبد الكريم الخليل ، وربما استبعد ما سمعه من اتهامهم بالخيانة ، أو ربما راودته نفسه أن يذكهم ،

(١) نصه التركي في جريدة صباح (٦ محرم ١٣٣٣ = ٢٥ تشرين الثاني ١٩١٤)

بامضاء شيخ الاسلام خيرى وعدد من كبار العلماء .

(٢) الديوان ص ٨٩

فوجد أن ذلك لا يجدي فقد ماتوا وكلامه لا يحميمهم ، فلم يجزأ أن يعرض نفسه لغضب ذوي السلطة وهو تحت رحمتهم ، فأثر السكوت .

لو سكت أيضاً عندما أعلن الشريف حسين بن علي الثورة العربية في حزيران ١٩١٦ لوجد الباحث المنصف له مخرجاً مشابهاً : سكوت عن فظائع جهال بلشأ يقابله سكوت عن ثورة الحسين . ولكن الرصافي لم يتغير ، وظل مع الحكام الأتراك حتى على قومه العرب ، ساكتاً ومتكلماً ، وهجاؤه للثورة العربية وخاصة للحسين أوضح برهان على ذلك . وبعض هذا الهجاء مثبت في الديوان بصورة غامضة وبعضه مروي شفهاً وسُجِّل في بعض الكتب:

دع الحسينين في مصر وقد بغيا	ففي الحجاز حسين ثالث لهما
هذان قد أخجل الأهرام بغيبها	وبني ذلك أخزي البيت والحرما
فأنت يا أرض ميدي تحته فزعاً	ويا سماء عليه أمطري نقما
قالوا الشريف ولو صحت شرافته	لم ينقض العهد أو لم يخفر الذمما (١)

وهنا يجب القول أن كثيراً من المسلمين وبعض العرب لم يناصروا الثورة العربية إخلاصاً لدولة الخلافة ومحافظة على الوحدة الإسلامية . وهذا ينطبق على زعماء مسلمي الهند ومصر وعلى نفر من العرب كالأمير شكيب أرسلان والشيخ أسعد الشقيري والسيد محمد كرد علي وغيرهم . ولكنه لم يشتهر عن أحد منهم من القول ما اشتهر عن الرصافي ، ولهذا لم يجدوا صعوبة كما وجد هو بعد الحرب للانتقال من العمل مع الترك إلى العمل مع العرب في الدولة التي قامت في دمشق .

(١) بعض القصيدة في الديوان ص ٥٤٥ . الأبيات الأربعة ليست فيه وقد نقلها الأستاذ قاسم الخطاط (كتابه المذكور ص ٩٠) رواية عن مؤرخ الثورة العربية أمين سعيد .

واجه الرصافي هذه المعضلة حالاً بعد انتهاء الحرب . في سنتها الأخيرة سقطت بغداد ثم سقطت القدس بيد الانكليز . ولم يقل الرصافي شعراً في سقوط القدس ولكنه سجل سقوط بغداد بقصيدة « نواح بغداد » عزى نفسه في ختامها أن الترك أعدوا لاستردادها جيشاً (وهو بلا شك جيش «صاعقة» واسمه بالتركية ييديرم بلدرم) جمعوه في حلب ، فقال :

بل هم اليوم عازمون على الزحف بجيش به تفص البطاح
كيف يُغضون عن إغاثة واد زانه من وداهم أوضاح
فعلية من فخر عثمان تاج وله راية الهلال وشاح
أنا باقٍ على الوفاء وإن كا نت بقلي ممّن أحب جراح (١)

لم يكن جيش الصاعقة كاسمه ، ولم يتقدم لاسترداد بغداد بل خصص لتقوية جبهة فلسطين التي كان يهددها الجيش الانكليزي إلى الغرب من نهر الأردن والجيش العربي بقيادة الأمير فيصل إلى الشرق من ذلك النهر .

وفي خريف ١٩١٨ هُزم الأتراك وأخرجوا من سورية جميعها فطلبوا الصلح الذي كان من نتائجه إقامة مندوب سام بريطاني في استانبول يملّي على الحكومة العثمانية تنفيذ شروط الهدنة . بُعيد هذه الكارثة ، في أواخر ١٩١٨ أو أوائل ١٩١٩ ترك الرصافي استانبول ولكن إلى أين ؟ .

مصر بلا شك كانت مغلقة أمامه بسبب هجائه لحكامها ، والعراق كانت أيضاً مغلقة لأن جيش الاحتلال البريطاني منيع دخول كل ما كان قادماً من تركيا حتى ولو كان عراقياً ، فكيف بشاعر ناصر الجهاد الاسلامي ضد الانكليز وناح بقصيدة مشهورة عندما احتلوا بغداد . فلم يبق أمامه

إلا سورية ؟ نعم كانت هذه البلاد أيضاً تحت احتلال عسكري بريطاني ، لكنه قامت في داخلها ، بموافقة بريطانيا ، حكومة عربية عاصمتها دمشق ورئيسها الأمير فيصل بن الحسين . وهذه الحكومة كانت ابنة الثورة العربية ، وكان جلّ رجالها من الذين حاربوا في جيشها . فماذا كان يرجو الرصافي منهم وقد هجمهم وهجا رئيسهم ، ولم يقل كلمة على سبيل الاعتذار وطلب المغفرة ؟

لم يكن من المستغرب أن يُعرض الناس عنه - من الأمير زيد رئيس الحكومة في غياب أخيه الأمير فيصل في أوروبا لحضور مؤتمر السلام ، إلى رجال الحكومة وفيهم من كبار العراقيين نوري السعيد وجعفر العسكري وياسين الهاشمي ، إلى عدد من الأدباء والشعراء في دواوين الحكومة وفيهم الأستاذ محمد كرد علي والشيخ فؤاد الخطيب . وبكفي بياناً لما لاقاه الرصافي من الإهمال أنه لم يُدْعَ للعمل في مكتب الترجمة الذي أنشئ في دار الحكومة تحت رئاسة محمد كرد علي ، فكان نواة المجمع العلمي العربي^(١) . وهذا المجمع أيضاً لم ينتخب الرصافي عضواً فيه أثناء إقامته في دمشق . أما الشعر فوجده الناس كما يحبون عند الشيخ فؤاد الخطيب فسموه شاعر الثورة منذ اشتغاله وكيلاً للخارجية عند الملك حسين في مكة ثم انتقله إلى دمشق بجانب الأمير فيصل .

وهكذا ظل الرصافي في دمشق دون عمل ، يعيش غالباً على ما ادخره من أيام استانبول . ولا بيّنة على أنه نال عوناً مادياً ، إلا على

(١) مجلة المجمع العلمي العربي : الجزء الأول من المجلد الأول (كانون الثاني

١٩٢١) ، ص ٢ والجزء الثاني عشر من المجلد الثاني ص ٣٥٣ - ٣٥٤

سبيل الاستنتاج ، من ياسين الهاشمي . فهذا مثلُ الرصافي ، ظل مع الأتراك حتى انكسارهم . ولكن الهاشمي كان من كبار رجال جمعية العهد السرية ، ومكانته عند العرب كانت عالية ، فلما انكسر الجيش العثماني والهاشمي أحد القواد فيه ، لم يجد صعوبة في الانتقال إلى الجانب العربي وتولى قيادة الجيش العربي في دمشق . فلما اعتقله الإنكليز في تشرين الثاني ١٩١٩ قال الرصافي في ذلك قصيدته الوحيدة وهو في دمشق (١) :

ياسينُ إنك بالقلوب مشيِّعُ أفأنت للوطن العزيز مودعُ
أخذوك يا بطل المعامع غيلةً بيد الخداع ومثلهم من يخدع

تثبت هذه القصيدة أن الرصافي كان موجوداً في دمشق في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٩ وهو يوم اعتقال الهاشمي (٢) . وتثير القصيدة سؤالاً يصعب إيجاد جواب حاسم له : لماذا غيَّرت السلطة العسكرية البريطانية موقفها من الرصافي حالاً بعد قول القصيدة ، وما الذي جعلهم يمينونه معلماً للغة العربية في دار المعلمين الابتدائية التي أسسوها وأداروها في القدس ، وما الذي جعلهم يتجاهلون ما في القصيدة من وصف الإنكليز بالخداع ونقض العهود وإنذارهم بإثارة « الهياج والمعامع والهزاهز » ضدهم؟ لا شك أن السبب في هذا كله كان سياسياً . فالإنكليز الذين منعوا

(١) الديوان ص ٤٥٩

(٢) كان ذلك بأمر القائد البريطاني العام وبطلب من فرنسا . والقصة مذكورة في السجلات البريطانية الرسمية المحفوظة في دار الوثائق العامة في لندن تحت رقم Fo 371 - 4185

الرصافي من العودة إلى بغداد ، سمحوا له أولاً أن يقيم في دمشق تحت حكمهم غير المباشر ، ثم أخذوه نهائياً إلى القدس ليكون موظفاً تحت إدارتهم يتناول راتباً من يدهم . فهل أرادوا إسكاته في وقت قرارهم الخطير لتسليم شؤون سورية وحكومة دمشق لفرنسا ؟ لا يمكن الفصل في ذلك ، لكن تصرف الرصافي في مدة أربعة عشر شهراً قضاها في القدس يدل على أن الانكليز قد نجحوا في إسكاته .

صرّح الشاعر فيما بعد أن ذهابه إلى القدس كان بمساعي محمد كرد علي^(١) . ولكن هذا مستبعد لأن المذكور تجنب تكريم الرصافي أو مساعدته احتراماً لرأي ذوي الشأن فيه ، ولا برهان على أن كرد علي كانت له كلمة مسموعة عند الانكليز في فلسطين . وأقرب إلى الصواب ما رآه كاتب عراقي^(٢) من أن تعيين الرصافي معلماً في القدس كان بتدبير من السير غيلبرت كيتلاتون المستشار السياسي للسلطات العسكرية البريطانية في سائر سورية . وكانت إدارة معارف فلسطين من اختصاصه لأنه كان يتقن اللغة العربية وله معرفة متينة بعرب السودان ومصر وفلسطين وأصبح فيما بعد مندوباً سامياً في العراق .

ذكر أعلاه أن الرصافي أقام بالقدس مدة أربعة عشر شهراً ابتدأت

(١) مجلة الثقافة الجديدة (بغداد) العدد الأول لسنة ١٩٥٤ ص ٢١ « الرصافي يتحدث عن نفسه » .

(٢) هو الأستاذ الدكتور صفاء خلوصي في مقال له عن « الرصافي في القدس » كتب باللغة الانكليزية ونشر مع بحوث لعدد من العلماء في الشرق والغرب في كتاب عنوانه (Arabic And Islamic Garlan) طبع في لندن سنة ١٩٧٧

في أول سنة ١٩٢٠ وانتهت كما سيأتي تفصيلاً في أول آذار سنة ١٩٢١ .
وذلك ينطبق على تصريح نشر في العدد الأول من مجلة « الثقافة الجديدة »
السنة ١٩٥٤ : « طُلب إليّ التدريس في دار المعلمين في مدينة القدس
وذلك بوساطة محمد كرد علي ... فسافرت في أواخر سنة ١٩١٩ أو أوائل
سنة ١٩٢٠ على ما أذكر » .

ودّع الرصافي دمشق وداع مصدور بقصيدة « بعد براح الشام » (١).
وكان الأصح لو قال دمشق ، فالمنتقل منها إلى القدس لا يخرج من حدود
بلاد الشام . وفي هذه القصيدة من المرارة وبذيء القول ما يزيد على ما جاء
في قصيدة الردّ على من استنكر موقف الشاعر من مؤتمر باريس . فهذه
ملاي بدم الرؤساء والحكام وأعوانهم دون استثناء . وهذه أمثلة مما فيها :
خائن يشتري بالدرهم ، مدّع في الوطنية ، عبّئ في السياسة ، تكرر مني
الأراذل ، ملّك في البلاد عضو ، بلد به مقيت الأديب وأكرم
العيربض . ومع هذا كله يفتخر الشاعر أنه أفاض في ذكر مفاخر العرب
وأنه ظل الوحيد في هذا الميدان حتى دار الزمان :

وغداً يُنازعني الحرورة شاعر ما كان حراً شعره المقروض

والشاعر المقصود هنا هو غالباً فؤاد الخطيب لأنه كان في حاشية
الأمير فيصل بعد أن كان في حاشية والده الملك حسين وشعره في الثورة
العربية مشهور . لكن لا مجال الآن للمفاضلة بين الشعارين في القريض
ولغته ومادته .

ذكر أعلاه وصف دار المعلمين بالقدس التي جاء الرصافي إليها معلماً

« بالابتدائية » وهذا ترجمة من اسمها الكامل باللغة الانكليزية ، وهو ينطبق تماماً على حقيقتها . فالمعهد كان ابتدائياً في كل شيء . أشيء في ربيع سنة ١٩١٨ لتعليم المعلمين مادة ما سيعلّمونه في المدارس الأولية الجديدة وكانت مدة الدراسة فيها ستة أشهر زبدت في عهد الرصافي إلى سنة . أما مواد الدراسة فيها فكانت أولاً مبادئ صرف اللغة العربية ونحوها والقراءة والإملاء ، وثانياً مبادئ بعض الدروس الأخرى كالتاريخ والجغرافية . وسبب الاهتمام باللغة العربية أن الطلاب في دار المعلمين تعلموا سابقاً في مدارس الحكومة التركية باللغة التركية وكانوا يجهلون لغتهم العربية .

بناء على هذا لا يمكن قبول ما نُقل عن الرصافي أنه درّس « آداب اللغة العربية » ، فهذه المادة لم يكن لها وجود في برنامج دار المعلمين في ذلك الوقت . والذي يؤخذ من رواية بعض الطلاب الذين علّمهم الرصافي أن تعليمه كان قليل الجدوى . لكن الشاعر وجدّ في مدينة القدس أديبين هما إسعاف النشاشيبي و خليل السكاكيني ، رحبّا به وأكرماه . فقال فيها قصيدة « في إيلياء : إلى فاضليها النشاشيبي والسكاكيني » (١) . وإيلياء هو الاسم الروماني للقدس ، واتخاذها دون الاسم العربي الاسلامي غريب من شاعر عربي مسلم . وأغرب منه أن ينحصر نحو نصف القصيدة للعودة إلى ذم دمشق ومن فيها .

والأغرب هو أن أول تكريم علني للرصافي كان حفلة أقامتها له الكلية الانكليزية (٢) . وهي مدرسة أنشأتها وأدارتها جمعية تبشيرية بريطانية .

(١) الديوان ص ١٤٠ - ١٤١

(٢) وصف الحفلة في جريدة « مرآة الشرق » (القدس) في ١٩ أيار ١٩٢٠

وفي الحفلة ألقى الشاعر قصيدة لعلها أتفه ما في ديوانه بعنوان : « العلم :
إلى شبان الكلية الانكليزية » (١) وفيها مدح المؤسسين الانكليز وجعل
مدرستهم أحسن ما في جميع بلاد الشام :

ومعهد أسست قواعده	في بلد شفّني هوى عربيّه
شيده للعلوم مدرسة	متنّ كان نشر العلوم من دأبه
ناهت به إيلياء فاخرة	على دمشق الشام أو حلبه
شكراً لبانيه ما أقام به	شباناه القاطنون في قُببّه

والقُبب هنا جاءت بها القافية ، فالمدرسة كانت في بيت جديد البناء
سكنته إحدى أسر القدس المعروفة قبل أن استأجره الانكليز ولا
قُبب لبنائه .

ثم سكت الرصافي ستة أشهر فما الذي سكت عنه حتى كانوث
الأول سنة ١٩٢٠ ؟ يكفي إجماله بذكر أهم الحوادث الخطيرة في العراق
وسورية وفلسطين والكوارث العظيمة التي حلت بالأمة العربية في هذه
البلاد بترتيب وقوعها :

١ - في آذار أعلن المؤتمر السوري استقلال سورية بمحدودها الطبيعية
وانتخاب الأمير فيصل ملكاً دستورياً عليها ، وفي الوقت نفسه أعلن زعماء
عراقيون في مؤتمر لهم في دمشق (لاستحالة إقامته في بغداد) استقلال
العراق وانتخاب الأمير عبد الله ملكاً عليه . فرفضت بريطانيا وفرنسا
الاعتراف بذلك كله .

٢ - أعلنت ملكية فيصل في القدس وذكر اسمه في خطبة الجمعة

في المسجد الأقصى بعد قرار المؤتمر السوري . وفي الأسبوع الأول من نيسان وأثناء الاحتفال الشعبي بموسم النبي موسى هزج الجمهور فيصعد يا منصور ، بسيفك هدينا السور ، وعند وصول الموكب إلى باب الخليل خطب فيه رئيس البلدية موسى كاظم باشا الحسيني . وبعد ذلك حدثت فتنة دموية بين العرب واليهود دامت أياماً وأخذها الجيش . (كان الرصافي ساعة وصول الموكب إلى باب الخليل جالساً في مقهى حديقة البلدية على بعد نحو نصف كيلو متر !) قبل أن رافقه هناك خليل السكاكيني ^(١) .

٣ - عزل الانكليز موسى كاظم باشا وعينوا مكانه من كان أكثر مسايرة لهم وهو راغب النشاشيبي ، مع أن المحكمة العسكرية برأت الباشا وانتقدت عزله دون محاكمة .

٤ - في الأسبوع الأخير من نيسان قرر الحلفاء ما أرادته انكلترا وفرنسا في مؤتمر سان ريمو وهو وضع سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي والعراق وفلسطين تحت الانتداب البريطاني . وفي حالة فلسطين جعلت بريطانيا مسؤولة عن تنفيذ وعد بلفور بإنشاء وطن قومي لليهود . وقامت المظاهرات في القدس وأعلن العرب رفض الانتداب ووعد بلفور .

٥ - في شهر أيار أعلنت الحكومة البريطانية تعيين هربرت صموئيل اليهودي الصهيوني مندوباً سامياً في فلسطين لتنفيذ سياسة إنشاء وطن قومي لليهود فيها . فتجددت المظاهرات والاحتجاجات العربية .

(١) كذا أنا يادنيا : يوميات خليل السكاكيني (القدس ١٩٥٥) ص ١٩٤

(تحت تاريخ ٤ نيسان ١٩٢٠)

٦ — في شهر تموز احتلت فرنسا دمشق وقضت على الاستقلال العربي وأخرجت فيصل من البلاد وأخذت السوريين بالقهر .

٧ — وفي الشهر نفسه ثار العراق على الحكم الانكليزي ثورة كلفت بريطانيا لمدة أشهر آلاف الأرواح وملايين الجنيهات .

فإذا كانت هذه الحوادث والكوارث قد هزت من الرصافي نفساً أوجرحت منه قلباً فإنها لم تُوح له شعراً ولم تُنطق منه لساناً . قد يُقال إنه كان موظفاً تحت إدارة بريطانية تدفع له راتباً شهرياً فلم يكن يوسع أن يعارض سياسة حكومتها . ولكن ما الذي منعه من الاحتجاج على الفرنسيين في سورية ؟ أما كان مصير الحكومة العربية وإخراج فيصل من دمشق بالقوة جديراً بالثناء ؟ كان فيصل نائباً عن الحجاز في مجلس المبعوثان في استانبول في الوقت الذي كان الرصافي نائباً فيه عن المنتفك . أما الأول فكان محبباً لطلاب الاستقلال من شبان العرب ، وأما الثاني فقد كرهه نفسه إليهم بموقفه من طلاب الإصلاح . ثم جاء هجاء الحسين بن علي والثورة العربية فزاد في التباعد والكراهية . وموقف الرصافي من فيصل هو امتداد لموقفه من الحسين والثورة ، وزاد هذا الموقف عند الرصافي مرارة ما لاقاه من الإهمال في دمشق وهي تحت حكم فيصل أو نائبه وأخيه زيد .

وبعد سكوت ستة أشهر قال الرصافي قصيدة كانت من أشد ما قال ألماً في نفوس العرب . وقبل تفصيل المناسبة يحسن ذكر الأثر الوحيد الذي نُشر باسم الرصافي وهو يعلم بدار المعلمين بالقدس . وهذا الأثر هو كتيّب « الأناشيد المدرسية » ، لكل نشيد فيه لحنه الموسيقي بالرموز . وأحد هذه الأناشيد قصيدة للشاعر التركي توفيق فكرت كان الرصافي

ترجمها إلى العربية وهو في استانبول . والمروي أن واضع اللحن هو وديع صبرا اللبناني . ولكن لم يُذكر سابقاً أن لحن النشيد هذا ، كما نُشر مع ترجمته العربية ، هو عين لحن النشيد الوطني الفرنسي (المارسيليز) . وأول من انتقد ذلك هو الأستاذ درويش المقدادي معلم التاريخ في دار المعلمين بعد عهد الرصافي ، وهذا هو النشيد (١) :

نحن خواضو غمار الموت كشافو المحن
مالنا غير اكتساء العز أو لبس الكفن
نبذل الأرواح نفديها لأحياء الوطن
هل سوى الأرواح للأوطان في الدنيا ثمن
يا ضلال الألى لم يكونوا الفدا
إن نمت نحن فلتحي أوطاننا (٢)

(١) الديوان ص ٥٥٣

(٢) كان هذا النشيد معروفاً قبل سنة ١٩١٨ ودوره الثاني كما يلي :

أنت يا أوطان من أرض حوتنا أم سما
فارفعي في أوج عليك اللواء المعلى
وارتقي نحو المعالي واجعلينا سلماً
نحن من جراك تُجري في الوغى سيل الدما

وأما ما ذكره صاحب المقال من أن هذا النشيد مترجم عن قصيدة للشاعر التركي توفيق فكوت بك فقد يكون صحيحاً ، ولكن الأرجح أن ما نظمه هذا الشاعر إنما كان النشيد الوطني التركي الذي مطلعُه :

بر فدائي ملتتاز ، مرد اوغلي مرد عثمانلي يز

غير أن النشيد « نحن خواضو غمار الموت » لم يكن مترجماً عنه لأن بين

النشيدَين اختلافاً كبيراً في المعاني .

لم ينتقد اللحن إلا بعض العارفين . لكن قصيدة الرصافي التي نظمها وقدمها إلى هربرت صموئيل وقعت على العرب في فلسطين وقع الصاعقة ، لأنهم ، والرصافي بينهم ، رفضوا الاعتراف بصموئيل حاكماً عليهم ينفذ سياسة وعد بلفور بإنشاء وطن قومي لليهود ، ولأنه من زعماء الصهيونية أعلن عند وصوله إلى القدس أنه مأمور بتنفيذ تلك السياسة . ولم يغير العرب هذا الموقف بل عقدوا مؤتمراً عاماً لتأكيد رفض تلك السياسة والاحتجاج عليها بارسال وفد منهم إلى لندن . وفي أثناء انعقاد هذا المؤتمر دبّر صموئيل مكيّدة سياسية ظاهرها بريء وباطنها مكر وتضليل .

لا نعلم ما دبّر في الخفاء . ولكن الحوادث كانت كما يلي : دعا راغب النشاشيبي رئيس بلدية القدس إبراهيم يهودا لإلقاء محاضرة باللغة العربية عن مدينة العرب في الأندلس . وكان المحاضر من يهود القدس وأصل عائلته من بغداد ، وقد تمثّل يهود القدس في المؤتمر الصهيوني الأول ، ثم صار أستاذاً في جامعة مدريد . وسمع محاضراته عدد من العرب بدعوة خاصة ، وكان معظمهم من الموظفين ، كما سمعها عدد من الزعماء الصهيونيين وعلى رأسهم هربرت صموئيل ، مع أنه كان يجمل اللغة العربية . وكان الرصافي أحد الحاضرين . وبما يستدعي الانتباه أن جميع الصحف العربية لم تشر

= ثم إن لحن النشيد « نحن خواضو غمار الموت » يختلف عن لحن النشيد الوطني الفرنسي المعروف بالمرسيليز ، مما يثبت أنه من تلمحين الموسيقي البيروني وديع صبرا وأنه ليس منقولاً عن أي نشيد وطني آخر . وعليه فإننا نخال أن الأستاذ درويش المقدادي لم يكن مصيباً في انتقاده . « م.خ : لجنة المجلة »

إلى المحاضرة بشيء ، أما الصحف العبرية فوصفتها تفصيلاً^(١) .

وبدل على الغرض من تدبير إلقاء المحاضرة أمران : (١) أن صموئيل ألقى خطاباً بالانكليزية "ترجم إلى العربية جملةً جملةً" وعد فيه وعداً أخلفه وهو إنشاء معهد للدراسات العربية والاسلامية : (٢) كلمة لا شك في مصدرها ظهرت في جريدة التايمس^(٢) تمدح روح هذا الوعد الذي لم ينفذ وتقدح في زعماء العرب لأنهم أرادوا الاحتجاج على السياسة البريطانية في مؤتمرهم : (٣) والدليل الثالث وهو أخطرها إدخال الرصافي في أمر ليس من شأنه عدوه عرب فلسطين خيانة لا تغتفر .

هل مثل يهودا البغدادي الأصل دوراً سرياً مع البغدادي الشاعر ؟ كيف يُفسَّر قوله قصيدة ، قد تُعد من أحسن ما قال صناعة ، وتقديماً إلى هربت صموئيل المعظم في تلك الظروف الخطيرة ؟ ما الذي جعل الرصافي يخالف أصول الضيافة العربية فيمدح عدو مضيفه ؟ ما الذي جرّاه على مخالفة إجماع عرب فلسطين دون حساب العواقب ؟ هل يعتبر اتهامهم له بأن الصهيونيين اشتروه بالدرهم حقاً أو باطلاً ؟ ما معنى إضراب الصحف العربية عن نشر القصيدة رغم أمرهم من أحد أمناء سر صموئيل ؟ وما معنى نشرها مترجمة في الصحف العبرية واعتبارها نصراً صهيونياً^(٣) ؟ .

(١) جريدة «ها آرتس» (١٥ كانون الأول ١٩٢٠) وجريدة «دوارها يوم» (٢٠ كانون الأول ١٩٢٠) .

(٢) جريدة «التايمس» (لندن : ٢٩ كانون الأول ١٩٢٠) .

(٣) قالت جريدة «مرآة الشرق» (٢٨ كانون الثاني ١٩٢١) : «نظن جريدة «بريد اليوم» (أي دوارها يوم) بنشرها قصيدة الرصافي أنه أصبح صهيونياً . خيَّطي بغير هذه المسألة » . الكلمات الأربع الأخيرة هي مثل فلسطيني يفيد النفي .

تقع القصيدة في واحد وثلاثين بيتاً منها ما يلي :

خطاب يهودا قد دعانا إلى الفكر
لدى محفل في القدس بالقوم حافل
ولما تنهى من يهودا خطابه
تصدى له هيربر صموئيل فاطقاً
وقال وقد أصفى له القوم إننا
ونهمضكم في منهج العلم نهضة
وعدت فأمسى القوم بين مشكك
فكذّيب وأنت الحرّ من ساء ظنه
ولسنا كما قال الألى يتهموننا
وكيف وهم أعثامنا وإلهم
ولكننا نخشى الجلاء ونتقي
وذكرنا ما نحن منه على ذكر
تبوأه هيربر صموئيل في الصدر
وقد سرنا من حيث ندري ولاندرى
بسحر مقال جلّ عن وصمة السحر
سنراب ما أثنأته منكم بد الدهر
مقويمة ما اعوجّ فيكم من الأمر
ومنتظر الإنجاز منشرح الصدر
فقد قيل إن الوعد دين على الحر
نُعادي بني اسرائيل في السر والجر
يمتّ بإسماعيل قدما بنو فيهر
سياسة حكم يأخذ القوم بالقهر^(١)

بعد مضي أكثر من نصف قرن قد يجد المؤرخ في البيت الأخير ما يشفع الرصافي ، ولكن الناس في القدس وفلسطين كلها حينئذ لم يجدوا فيه ولا في الاشادة بفناخر العرب المألوفة في شعر الرصافي ما يكفر عن سيئة كبرى . فأصبح مركز الشاعر مع زملائه وطلابه حرجاً ، وأخذ الذين رحبوا به عند قدومه يتجنبونه ، ورفضت الصحف العربية (بخلاف العبرية) نشر رده على منتقديه . ومن هؤلاء اثنان جديران بالذكر مع شيء من التفصيل .

أما الأول فهو وديع البستاني ، لبناني ماروني اختار فلسطين وطناً

له . وقد تخرج في الجامعة الأمريكية في بيروت ومارس الكتابة ، ونظم الشعر . فلما جاء أمر ' أمين سر ' صموئيل إلى جريدة الكرمل بنشر قصيدة الرصافي تريت صاحبها نجيب نصار (وكان من أول الذين نهوا إلى الخطر الصهيوني قبل الحرب العظمى ووعده بلفور) حتى تمكن البستاني من نظم قصيدة رداً على الرصافي تقع في أربعة وثلاثين بيتاً منها ما يلي :

خطاب يهودا أم عجاب من السحر	وقول الرصافي أم كذاب من الشعر
بيغداد ، يا معروف ، بالأرض ، بالسما	بربك ، بالاسلام ، بالشّفْع بالوثر
قريضك من دُرّ الكلام فرائد	وأنت ببحر الشعر أعْلَم بالدر
والكن هذا البحر بحر سياسة	إذا مدّ فيه الحق آذن بالجزر
أجل ، عابر الأردن كان ابن عمنا	ولكننا نرتاب في عابر البحر
أصليت في الأقصى صباحاً وفي	المسا هشوت مع العاشين للرسم والذكر
ففي الحرب أبلينا بلاء موقفاً	تسطر نوراً فوق ألوية النصر
وراقهم التقسيم أجراً موزعاً	وعزّ جهاد العرب عن ذلك الأجر
فبيغداد في قُطْر ومكة وحدها	وعكاه في قُطْر وصيداء في قطر
أتؤمن في بلفور بمد محمد	وعيسى وموسى ، والوزير من الوزر
وربك لا ، فالوحي في الذكر صادق	يكذب ما في الطرس من لؤثة الخبر ^(١)

أما المنتقد الثاني للرصافي فهو الشيخ سليمان التاجي الفاروقي ، من علماء مدينة الرملة وسراتها ، تخرج في الأزهر ثم درس القانون وأصبح من كبار المحامين . وكان عند نشر قصيدة الرصافي في الصحف العبرية أحد أعضاء المؤتمر العربي الفلسطيني الذي اجتمع للاحتجاج على صموئيل

(١) ديوان الفلسطينيين لوديع البستاني (بيروت ١٩٤٦) ص ١٠٤ - ١١٠

وتنفيذ سياسة وعد بلفور . وقد نشرت كلمة الشيخ سليمان باسم « إبراهيم حقي التاجي الفاروقي » لسبب يصعب الآن اكتشافه . لكن المشهور والمنقول أن الكلمة من إنشاء الشيخ سليمان لما فيها من بلاغة القول وقوة الحجة وأدب الحوار .

رد الشيخ سليمان بعنوان « إلى الفاضل الرصافي المعروف » الصفحة الأولى من جريدة « بيت المقدس » . وقبل الاقتباس منه حرفياً بحسن ذكر تاريخين : أُلقيت محاضرة يهودا في ١٤ كانون الأول ، وأرسل الأمر بنشر قصيدة الرصافي إلى الجرائد العربية في ٢٨ منه ، فتكون القصيدة قد نظمت بين هذين التاريخين ووصلت إلى « هربرت صموئيل المعظم » قبيل التاريخ الثاني . وبعد ذلك نشرتها الصحف العبرية مترجمة . أما جريدة « بريد اليوم » ، وهي الطبعة العربية لجريدة « دُوار هاليوم » العبرية ، فنشرت القصيدة كلها . فقامت الماصفة . ولم تكن الجرائد حينئذ يومية ، بل كانت بعضها يصدر مرة في الأسبوع أو مرتين أو ثلاث مرات على الأكثر . وهذا سبب تأخر النشر وظهور الردود . ومعظم هذه كانت قاسياً وبلهجة شديدة بخلاف رد الشيخ سليمان الذي يعد بحق مثلاً في الأدب كما هو واضح من الفقرات التالية التي نقلت حرفياً :

« عفا الله عنك وقد أجراك الشعر قسراً في مضماره أو جرى على لسانك بما لملك لا تحب أن تقوله » .

« والحازم الشفيق على نفسه ممن لم يجئبه الناس بما لا يحبون ، هذا إذا شاء أن يصون كرامته وهذا إذا كانوا في ضلال . فما الظن بمن يأتي للحق فيقرعه في جبهته ويضربه في أرق موضع من نفسه إلا أن يكون ، أيها الفاضل ، ملوماً ملجأً » .

— « لما انبثق نور النهضة لا نقول أكثر من أنه أدراك اجتهادك إلى غير ما أدى إليه أمتك ... وإن اجتهادك ذاك قد أجنالك ثمرة جهادك فأصبحت لدى الأتراك مبعوثاً عن بغداد » .

— « أقبلتَ إلى حاضرة الدولة العربية في دمشق ، وأعلمك لم تلقَ منها ما كنت تحب ، فأرسلتَ نفثتَكَ المعروفة أتيت بها على كل شيء ... نفذت إلى أخلاق القوم تهجين صحيحها وتكدير صريحها وتذال في غير حق كريمها » .

— « هبطت هذه البلاد فأكرموا مشواك ... وأثستهم أخلاقهم الكريمة خذلانك لهم في تلك النهضة وإيثارك عليهم وظيفة النيابة . واليوم قمت ، عافاك الله ، تسدد إلى قلب ذاك الشعب ذلك السهم ... ولم يكن الناس على توقُّع ذاك منك » .

— « رُحِّتَ تنشر في جريدة صهيونية تعليقك على كتاب وصلك من ناشيء لم يكبح جماح نفسه ... فماذا يقول الناس يا معروف ؟ أيقولون إنك رغبت عن الأمة . . . وإنك كنت تتحين مثل هذه الفرصة لتعلن اعتزالك لأمة تشترك معها في لغة واحدة ، وتمهد لنفسك عذراً بهذا الاعتزال وتزدرع لدى أعدائها السياسيين بدأ تزولف بها إليهم وتغال بها مرضانهم »^(١).

(١) بيت المقدس (٢٩ كانون الثاني ١٩٢١) . والمقصود من قوله « جريدة صهيونية » في الفقرة الأخيرة هو جريدة « بريد اليوم » . وفيها نشر الرصافي كتاباً جاءه من أحد منتقديه في مدينة نابلس مع تعليق يدل ، كما قال الشيخ سليمان ، « عما في النفس من نقمتك على الوطنيين » ، وقالت جريدة « بيت المقدس » في آخر رد الشيخ سليمان إن الرصافي عرض عليها ما نشره في « بريد اليوم » فنصحته المحرر أن لا ينشره . ولم يكن بالإمكان إيجاد نسخة من « بريد اليوم » في المكاتب العامة .

وختم الشيخ سليمان كلمته بقوله إن بعض محبي السلام التمسوا لأقوال الرصافي بعض « الخارج » ، ومن هؤلاء بولص شهادة صاحب جريدة « مرآة الشرق » ، من أعوان راغب النشاشيبي الذي أقيمت محاضرة يهودا بدعوة منه . فاقتبس شهادة من القصيدة ما فيها ، كما في كثير من أمثالها في قصائد الرصافي ، من تمجيد العرب . فلا عجب أن التجأ الرصافي إلى « مرآة الشرق » لنشر جوابه على كلمة الفاروقي التي نشرت في « بيت المقدس » وفيما يلي دفاع الرصافي عن نفسه وبلغته :

— « ما كتبت ولن أكتب إلا ما اعتقدت وأعتقد أنه هو الصواب وإنني لم أقل شعراً إلا وأنا مندفع إليه بدافع وجداني عام ليس بالمنفعة الخاصة إليه من سبيل » .

— « ولقد سمعت هذا الرجل السياسي يتكلم بكلام يشف عن حسن نية في سياسة البلاد ، ويعد مواعيد يجب على القوم تقييدها عليه مهما كانت. ولقد صدر منه ذلك الكلام في محفل حافل كنت لشقوتي فيه من الحاضرين .. فكان كلام هذا الرجل السياسي عندي من البواعث والدواعي إلى قولي القصيدة المعلومة . وأنا أعتقد أن ليس فيها ما يُغضب الحق أو يُرضي الباطل » .

وبعد أن يلخص محتوى القصيدة من أولها إلى آخرها يقول :

— « فما تنقم منه ، أيها الوطني ، وما أنا براجع عنه ، وسأقوله غداً كما قلته بالأمس إذا توفرت الدواعي إلى القول . يجوز للوطني أن يخطئ ولا يجوز له أن يخونني ، فإنه متى نسبني إلى الخيانة كان عندي هو الخائن لا محالة » .

— « أعلنُ لجمهور البشر من وطنيين وغيرهم أنه من علم منهم بأنني قلت شعراً لجلب مغنم أولدفع مغنم قدمي له هدر » .

— « بعد مدة يسيرة اطلعت على اللائحة التي وضعها طلاب الاصلاح ورأيت القوم قد عقدوا مؤتمرهم في باريز فكتبت قصيدة « ما هكذا ، منتقداً خطأ القوم في لائحتهم ومؤتمرهم معاً » .

— « إني أقول لك ، ولا فخر ، لم يكن في مبعوثي العراق من هو أحق مني بأن أكون مبعوثاً » .

— « نهضة الحجاز ... هبني قاومتها كما تزعم ، فاي ضرر حصل لها من مقاومتي ، بعد أن أصبح العرب قاطبة يتمتعون اليوم بنتائج نجاحها العظيم ، إذ أصبحت بلادهم كلها وطناً سياسياً لهم مستقلاً استقلالاً تاماً ناجزاً. أنا لم أقاوم هذه النهضة إذ لا قوة لي على مقاومتها ولكني أبرأ إلى الله منها » .

— « والسلام عليك من رجل أينما ذهب اليوم لم يجد له وطناً سياسياً ، فهو ساخط على الدنيا ومن فيها » (١) .

هذا هو الدفاع وذاك هو الاتهام ، والحكم للقارىء . وإذا جاز للكاتب أن يبدي رأياً قال إنه تذكر حالاً بعد كتابة ما سبق قول عمر بن الخطاب لعامله على مصر عمرو بن العاص ، وقد سأله في مال لم يكن عنده قبل الولاية ، « كتابك إليّ كتاب من أقلقه الحق » .

والتاريخ فيه كثير من المفاجآت . إذ بعد أربعة أسابيع من نشر دفاعه عن نفسه غادر الرصافي القدس على عجل — بدعوة من حكومة العراق وبتسهيل من صموئيل الذي سمح له بترك عمله قبل تعيين خلف له في دار المعلمين . وافهم القصة نذكر بعض التفاصيل السياسية تمهيداً .

(١) مرآة الشرق (٦ شباط ١٩٢١) .

بعد أن احتل الفرنسيين دمشق وأخرجوا فيصلاً منها زحف أخوه عبد الله إلى شرق الأردن وأعلن عزمه على استرجاع دمشق . أما فيصل فقد فاض الانكليز في لندن ، وتم الاتفاق على ترشيحه لعرش العراق على أن يتنازل عبد الله عن حقه فيه ويقبل البقاء في شرقي الأردن . وفي تلك الأثناء قامت في العراق بعد الثورة حكومة وطنية تحت إرشاد المندوب السامي البريطاني ، بخلاف فلسطين حيث كان المندوب منفذاً لحكم بريطاني مباشر . وأما شرقي الأردن فكانت في منزلة بين المنزلتين . وجاء وزير المستعمرات تشرشل للاجتماع مع المندوبين في القاهرة ومع عبد الله في القدس . أما الحكومة العراقية فكانت برئاسة السيد عبد الرحمن الكيلاني وكان وزير الداخلية فيها طالب باشا النقيب (نائب البصرة في مجلس المبعوثان في استانبول قبل الحرب) . وكانت كل منها طامعاً في ملك العراق ، فقرر إصدار جريدة للدعاية في سبيل ترشيح عراقي لعرش العراق ومعارضة ترشيح فيصل ، فلم يجدوا أصح من الرصافي لهذه المهمة . وهذه بقية القصة بكلامه :

« اتفقوا على أني أنا الذي أتولى تحرير هذه الجريدة ، وجرى ذلك وأنا لا أعلم عنه شيئاً . وبما أني من المخالفين لطالب النقيب ، ومن الذين يبغضونه ، لم يُصدر دعوة إليّ بهذا الشأن بنفسه بل بواسطة حكمت بك سليمان . فجاء تلغراف باسمه يدعوني إلى العراق مستعجلاً لمسائل وطنية مهمة . فكتبت إليه برقية بأي صفة تدعوني أنت ، ثم على حساب مَنْ آتى إلى العراق ، والظاهر أن طالب باشا هو الذي تولى هذا الأمر ، فطلب من المندوب السامي في فلسطين (وكانت آنذاك السر هيرت

صموئيل) أن يُسَفِّرَنِي إلى العراق على حساب الحكومة العراقية . فاستدعاني الموما إليه بوساطة أحد موظفي المندوبية . وفاتحني بالأمر فوافقت على السفر إلى العراق ، (١) .

ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن . إذ بعد وصول الرصافي بأسبوع واحد اعتقل الانكليز طالب النقيب ونفوه إلى سيلان . وبذلك سقط مشروع الجريدة ، خصوصاً لأن الكيلاني مال إلى ترشيح فيصل . وهكذا وجد الرصافي نفسه عاطلاً بلا مورد رزق . فالتجأ إلى الميس غونروودبل سكرتيرة المندوب السامي ، فأعطته كتاب توصية إلى دائرة المعارف ، ولم يكن بالامكان إيجاد وظيفة دائمة ترضيه . وظل حاله كذلك مدة فعاد كما وصف نفسه « ساخطاً على الدنيا ومن فيها » وخاصة على الملك فيصل وحاشيته . ولكن هذا فصل آخر في حياة الشاعر له مجال آخر .

عبد اللطيف الطيباوي

(١) مصطفى علي : الرصافي وصليتي به (بغداد ، ١٩٤٧) ص ٢٧٣ ، وأحمد

مطلوب : الرصافي - آراؤه اللغوية والنقدية (القاهرة ١٩٧٠) ص ٤٥

التعريف والتقد

عشرة وعبد

حكاية غرام بدوية أعادت كتابتها وترتيبها داينا ريجموند

Antar and Abla, A Bedouin Romance Rewritten

and Arranged By Diana Richmond, London 1978

Published By Quartet Books Ltd.

مراجعة الدكتور صفاء خلوصي

مؤلفة الكتاب داينا ريجموند من أسرة اسكتلندية مستوطنة في لندن ، تلقت تعليمها باديء ذي بدء في داون هاوس Downe House ومدارس الفن البلدية بلندن ، وبعد أن تقلدت منصباً في النشر الموسيقي تزوجت شقيق زميلتها في الدراسة ، تلك التي أيقظت فيها اهتماماً خاصاً بمصر وفلسطين . وبعد أن فرقتهما السنوات الخمس من الحرب عن زوجها التحقت به في القدس ، ولكن الانتداب البريطاني كان في أخريات أيامه فانخرط زوجها سنة ١٩٤٧ في السلك الخارجي ، فعاثت المؤلفة فترة في بغداد وعمّان والقاهرة والكويت والخرطوم ، وزارت شمالي إفريقيا وإيران

واجتازت العديد من الصحارى وزارت المواقع الأثرية القديمة . وهي معروفة بدعمها للقضية الفلسطينية وقد نشرت من أجل ذلك مقالات في الكاثوليك هيرالد (Catholic Herald) ومجلة الأديان العالمية (World Faiths) والمجلة العالمية للشرق الأوسط Middle East International .

والذي ألهم المؤلفه هذا الكتاب صورة لعنترة رأته لأول مرة في القاهرة ثم في دمشق ، وبعد ذلك بفترة وجيزة في بيت بعض الأصدقاء العراقيين في إيطاليا ، مما حدا بها إلى كتابة هذه الحكاية مجدداً .

وعنترة - كما نعلم - شاعر عربي بطل عاش في القرن السادس الميلادي ، ولكنني لا أعتقد كما يعتقد بعضهم ، ومن بينهم المؤلفه ، أن الأصمعي من رجال الحاشية الأدبية في بلاط الرشيد هو الذي وضع الرواية في اثنين وثلاثين مجلداً وإنما هي من وضع القصص أيام الحروب الصليبية .

والكتاب عبارة عن مختارات مترجمة ومحوورة عن نسختين فرنسيتين ظهرتتا سنتي ١٨٧٨ و ١٩٢٣ ونسخة انكليزية نشرت سنة ١٨٢٩ ، وهي تحدثنا جميعاً عن صراع عنترة كعبد يحاول أن ينال مكانه الجدير به في العشيرة وحب لبننت عمه عبلة وزواجهما . يتخلل كل ذلك حكايات أحداث الحب والفروسية والحرب والخيانة ومغامرات أقرانه ومعاصريه ؛ وبعض الأشخاص المذكورين حقيقيون والبعض الآخر من صنع الخيال ، كما أن بعض الحوادث المروية تاريخية إلى جنب أخرى مفتعلة . وقد قامت اولريكا لويد بتزيين الكتاب بصور تخطيطية إيضاحية جميلة . وإهداء الكتاب إلى : « توماس الذي ولد في عاصمة العباسيين ويحب الدنيا الناطقة بالعربية » وتوماس هو ابنها العراقي ولادة ، وقد وشحت الكتاب

بعبارة مقتبسة من « جورج ماكدونالد » في كتابه (خلف ربيع الشهبان)
 At The Back of the North Wind يقول فيها : « القاص البارع
 هو الذي يحاول أن يحسّن قصصه كلها أعاد روايتها . ويبدو أن غلوب باشا
 قد ساعدها في مواضع من هذا الكتاب الذي يضم ثمانية وعشرين فصلاً .
 وتعتقد السيدة المؤلفة مقارنة بين (الف ليلة وليلة) و (قصة عنتره بن
 شداد العبسي) فتقول إن العرب يفضلون الثانية على الأولى ربما لأنها أكثر
 واقعية ، ثم تبدي المؤلفة تدمرها من عدم اطلاع الانكليز الاطلاع الكافي
 فيما يتعلق بالعرب وتاريخهم وأديبهم ، ورغم أن مراکش أقرب إلى انكلترا
 من اليونان بكثير فإن مدى التفاوت في الاطلاع شامع ورقعة البلاد العربية
 الممتدة من أغادير إلى عدن والخليج أوسع وأهم ؛ وباعتقاد السيدة داينا
 ريجموند أن العرب واقعيون لا يسمحون لأنفسهم أن يخلقوا في دنيا الخيال
 إلا في أديبهم ، ولا سيما قصصهم وأشعارهم ، وهم أبرع الناس في معرفة
 الصحارى واجتيازها بسرعة وسلام ، كما أن فيهم عشقاً خاصاً للعبارات
 البليغة وغراماً بالألفاظ الرائقة المنتقاة ، فلا عجب أن يكتبوا أجمل أشعارهم
 على الحرير وبأحرف من ذهب ويعلقوها في أقدس مكان ألا وهو الكعبة .
 فأني شعب في الدنيا بلغ من تقديسه للغة ما بلغه العرب ؟ ومن هؤلاء
 الذين علقت أشعارهم على جدران الكعبة عنتره . وككل رواية تنال
 الإعجاب وتروى بملايين الأفواه عبر الصور ازدادت القصة سعةً وغنى
 وثرًا في التعبير ، ولم يكن بوسع المؤلفة أن تلم بمختلف وجوه الرواية ،
 فافتصرت على وجهين منها ، أولهما حبّهُ الاسطوري لعبلة وثانيها فوزه في
 احتلال المكانة اللائقة به في قبيلته ؛ وللقصة منزى بعيد هو أن الإنسان

مها كانت مغموراً مهملًا فقد يدرك ذرى المجد بجهد المتواصل . وليس الكتاب مجرد أحداث في حياة عنزة وما يتصل بقبيلته من قريب أو بعيد بل يستطرد من حين لآخر إلى عادات العرب وتقاليدهم ونمط عيشهم ، فمن ذلك أن النساء أيام عبلة كن يشربن ابن الشياه عند نهوضهن في الصباح الباكر وكان الخدم يحملون هذا اللبن إلى شيوخ القبيلة بعد أن يُبرّد بنسيم الفجر ، وقد اتخذت الكاتبة طور قصص العرب فهي تتخاطب قراءها بقولها في الحكاية الثالثة عشرة : « وبينما كان عنزة غائبا ، أيها المستمعون لم يعد الرجال والنساء ، فضلا عن أطفال القبيلة ، يتجهجون بوجود عبلة بينهم أو يسمعون ضحكاتها المرحية ، ويلاحظون أن الكاتبة قد نعت فصولها الثمانية والعشرين بالحكايات ، وباعتقادي أنها حاولت جاهدة نقل الأسلوب العربي الأصلي إلى قرائها الانكليز ، فقد تتخذ أحيانا طريقة الواعظين في كلامها كما هو الأمر في ختام الكلام الذي يدل على احترام عظيم تكنه السيدة للرسول الكريم ومحبة للعرب ومراعاة لشعورهم ، فخلافا لما يذكره المؤلفون الأوروبيون في خرائطهم استعاضت عن عبارة الخليج الفارسي بالخليج العربي ، ومن الطريف أن الرسامة التي زانت كتابها بالصورة الابيضاحية هي الأخرى قد جارتها في أسلوبها التقليدي ، فالصور تذكرنا بما نجده في المخطوطات العربية المصورة باستثناء النساء العاريات في بركة الاستحمام وقد لمهن راكب مصادفة من بين القصب المحيط بالبركة .

وإذا جاز لنا أن نوجه شيئا من النقد إلى الكتاب فإنما ينصب على الحكاية الأولى التي ليست بحكاية وإنما استعراض للقبائل والشيوخ وكانت بالإمكان حذفه ودمج ما فيه من نقاط جوهريّة قليلة في الحكاية الثانية

الموسومة بـ (ثياب عنتره) . ومن النقداً التي يمكن أن توجه إلى الكاتبة هي أنها لم تتبع الأسلوب المتعارف عليه في نقل الأسماء العربية بالرسم اللاتيني كما حصل مع أسماء أخرى من نحو (كنعان) و (مضر) و (والمُهَلَّيل) وكنا نود لو أن غلوب باشا الذي راجع الكتاب قد نهبها إلى هذه الناحية .

وقد نجد فصلاً لا ينطبق عنوانه عليه تمام الانطباق كالفصل الرابع الموسوم (عبله) وليس فيه عن (عبله) سوى مشهد مفاجأة عنتره لابنة عمه وهي تمتشط وتترين ، فتهرب منه إلى الجانب الآخر من الحباء وتحاول بعد ذلك أن تنهض كل يوم مبكرة لزيتها لئلا يفاجئها ابن عمها كربةً أخرى في مثل هذه الحال عندما يأتيها بالابن الساخن فطُوراً كل صباح ، هذا كل ما في فصل عبله عن عبله . ثم تمضي المؤلفة لتتحدث عما كان يقاسيه عنتره من ضرب والده المبرح له ، مع أنه لم يكن أقوى منه ، وإنما كان يرضخ له ويدعن احتراماً له ليس غير ، وأخيراً يتفق أبوه وعمه على قتله في بعض الآجام ، وبينما هما يكتمان له وراء الأدغال إذ يخرج عليه سبعٌ ضارٍ فيفرحان لأنه سيقوم بالمهمة عنهما ولكن سرعان ما يذهل الجمع المتآمر الختبيء عندما يشاهد عنتره يهجم على الأسد ويمسك بفكيه ويشقه شقين ويسلخ جلده ليستعمله فرواً له ، فيكبرون عمله ويعتدونه منذ ذلك الحين بطلاً من الأبطال ، وتقص علينا الأستاذة الكاتبة في هذا الفصل كيف أن جماعة مغيرة تأتي غازية فتسبي عبله فيستردها عنتره بعد أن يقتل ساببها ويوقع بالغازاة أفدح الخسائر .

أعتقد أن خير عنوان لهذا الفصل (بطولة عنتره) لأن البطولة هي الطاغية عليه و (عبلة) موضوع ثانوي فيه ، ومن الممتع أنه خُصِّصَ فصلٌ مستقلٌ للأبجور ، فرس عنتره ، فهو في نظر السيدة دايانا لا يقل أهمية عن (عبلة) في مدار الكلام ومجريات القصة . وأخيراً كنت أودّ لو أن الأشعار في الكتاب قد تُرجمت بدقة وبراعة أكثر ، ولكن هذا لا يمنعني من تقديم التهنئة لدايانا ريجموند على جوانب أخرى من كتابها الأنيق اللطيف (عنتره وعبلة) .

اكسفورد

صفاء خلوصي

فيليب لطف الله

شاعراً وإنساناً

تأليف الأستاذ وحيد الدين بهاء الدين

[سانت باولو - البرازيل ١٩٧٧]

مراجعة الدكتور صفاء خلوصي

تباركت اللغة العربية ، فما أوسع مداها وما أعظم انتشار رقعتها
فهي اليوم لغة ١٥٠ مليون عربي ومليار مسلم يرددون ألفاظها العذبة في
الصلوات الخمس ومن فوق آلاف المآذن ، ولن تنطوي صفحة هذا القرن
إلا وستكون اللغة الأولى في العالم بإذن الله .

تباركت هذه اللغة السهاوية في كتاب هو أقدم كتب الباري عز
اسمه وجلّت صفاته . أقول هذا وقد باغتني البريد بكتاب جديد مطبوع
بالعربية في سانت باولو بالبرازيل ، والبرازيل ذاتها اسم عربي كما يقول علماء
المعجمات واللغات فقد اشتق من عبارة « بر السَّيْل » لكثرة ما كان فيها
من سيول يوم وفد عليها المغامرون الإسبان المنحدرون من أصل عربي . وأياً
كان مقطع الصواب في هذه التسمية ومحجة القول الفاصل ففي البرازيل

اليوم عروبة وفي العروبة نشر وإبداع على صعيدي الشعر والنثر ، وقد راقني أن يكون الشاعر عربياً برازيلياً في أقصى الغرب ومن كتب عنه في المشرق العربي وفي قلب العروبة النابض - في العراق ؛ ومن يتحدث عنها في كعبة المعاجم والآداب الانكليزية ، اكسفورد . فأنا إذن صادق كل الصدق حين أقول إن أوتار الحناجر تصدح بالعربية ما بين بغداد وإكسفورد وسان باولو في هذه الساعة التي نتحدث فيها ، فضلاً عن عواصم وأمصار الدنيا الأخرى . لن أتقدم بتعريف للأستاذ المؤلف وحيد الدين بهاء الدين فهو صاحب ما لا يقل عن عشرين كتاباً في موضوعات متباينة شتى ما بين خواطر هائلة وتراجم أعلام ومراجعات كتب وقصص وحكايات ولوحات أدبية فهو صاحب مصطفى جواد ؛ صاحبه ورأسه دهرأ ، وصديق الشاعر حافظ جميل وقد كتب عن خرباته وزهدياته ، والخيلة الوفي لأمير شعراء المغتربين في أوربا الأستاذ الكبير جورج صيدح ، وقد ألّف وكتب عن حياته وشعره ورسائله ؛ وكفاه هذا التناغم والتجاوب الأدبي بينه وبين أساطين الفكر المعاصر على اختلاف أمصارهم واعتزازاً وفخراً ومكانة مرموقة في دنيا الأدب والبحث والنقد .

أما المستر جيم له : « فيليب لطف الله ، الحاج مخوّل التبشراني ، فهو شاعر البرازيل العربي دون منازع ؛ ولد عام ١٨٩٧ في قرية بسكنتا ، أم العباقرّة الأفذاذ ، الرابضة على سفح صنين الشامخ ، قرية ميخائيل نعيمة ورشيد أيوب وكعدي فرهود . انخرط في سلك المدرسة الوطنية ببسكنتا متلقياً بها دروسه الأولى على نفقة الدولة الروسية القيصريّة يومذاك ؛ وفي سنة ١٩١٢

يتم فيليب وجهه شطر ظهور الشوير ليلتحق بالمدرسة الأميركية فكانت ذلك أول عهده بالانكليزية وشرع يرسل أخاه « سليم » في البرازيل وقد سبقه في الهجرة إليها فقرر أن يُبْحِرَ إليها مهاجراً عام ١٩١٣ غير أن الحرب العالمية الأولى وكوارثها وويلاتها حالت دون ما كان يهدف إليه ويتمنى ، ولم تتح له بعد ذلك فرصة الهجرة إلا عام ١٩٢٠ مصطحباً معه شقيقته وابنتي عمته وهو يردد بمرارة [من بحر الطويل] :

أهاجرُ لُبْنَاناً وفي الخلقِ غُصَّةٌ وفي القلبِ غُصَّاتٌ وفي العينِ أدمعُ
وفي النفسِ أثباتٌ على من هجرتُهُمُ صِحَابٌ وأحبابٌ وأهلٌ وأربُعمُ
وشوقٌ به نارُ الجحيمِ نأججتُ هي الحبُّ ، هل يوماً إلى العُشِ أرجعُ ؟
وخَفَّفتُ عن نفسي بدمعٍ ذَرَفْتُهُ وكلُّ يمامٍ فارقَ السَّيرْبِ يسجَّعُ !

هذا هو والله الديباج الخُسرواني ، فأني لسان يردد هذه الأبيات ولا يرتعش ارتعاشة أوتار الكمان بجنين دونه حنين الفطيم إلى أمه والفرخ التائه إلى عُشِّه .

وعلى صغر حجم الكتاب النسبي فقد جمع أطراف الموضوع وحسُنَ تقسيمُ فصوله إلى فصلٍ استهلالي عن حياته بعنوان : « إشارات وإضاءات » يدعمه فصل مجلل فيه الكاتب الفاضل شعر المترجم له ، يليه آخر واسمه « نسبات برازيلية » ، ثم فصلان ممتعان أحدهما عن أدب فيليب لطف الله الاخواني والآخر عن مراسلات بين المؤلف والشاعر ، ومسكُ الختام كما هو المعتاد في كتب تراجم الشعراء الموفقة فصل يضم نماذج من شعر فيليب لطف الله بموضوعات وأوزان وقوافٍ متنوعة تروق الأذن والقلب

والعقل فهو يتنقل بين (جهنم الدرهم) و (زمن الصيّا) و (الشباب في الشيخوخة) و (عيد النصر) و (الزورق الضائع) و (موت البلب) و (العزلة الخضراء) و (بين دارين) و (مروج الياسمين) إلى آخر ما هنالك من عناوين معظمها من ابتكار الشاعر واختراعاته المبدعة ؛ وقد صوّر لنا الأستاذ وحيد الدين شاعره جاداً في موضوع الحب ، هازلاً في مواقف الهزل والسخرية ، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الشاعر المفلق فله حياة أطوار متضاربة متناقضة ، ولا بد من تصويرها ببراعة كلما وجد الشاعر نفسه مطوقاً بها . ومن جميل شعره الهازل الساخر قوله : [من الكامل] :

لم يبقَ غيرك للبريّة مغنّمٌ عبدوكَ قبلَ إلههم يادهم !
إن رنّ صوتك فالقلوب خواقيقٌ أو بان وجهك فالأسيرة تبسّم

وتمجّني في الشاعر المسيحي العربي الأصيل فيليب لطف الله روحه الإسلامية التي يجعلها جزءاً لا يتجزأ من عروبه الخالصة ، ويتجلى ذلك واضحاً صريحاً في قصيدته (عيد النصر) ، التي يقول فيها أبياتاً تجد تجاوباً في قلوب العرب على اختلاف أديانهم ومذاهبهم فمن ذلك قوله [من الوافر] :

رسولَ الله جئتَ رسولَ هديٍّ ونوراً للأعارب والأنامِ
فكان الوحيُ الإسلامَ ديناً يقومُ على التآخي والسلامِ
وما القرآنُ إلا فجرٌ عليمٌ به مشّت القلوبُ إلى الأمامِ
رسولَ الله حين وطئت أرضاً أزاحَ النورُ أستارَ الظلامِ

وفيليب لطف الله أديبٌ مترسلٌ ؛ ولكن شاعريته غالبية عليه فهو

شاعر حتى في نثره ولا يكاد يمضي في رسالة أو رد على رسالة بضعة أسطر حتى يعرج به شيطانه على وادي عبقر فإذا بالرسالة شعرٌ أكثر منها نثراً، وهذا ما لاحظته في مراسلاته مع الأستاذ وحيد الدين بهاء الدين في كتابه عنه ؛ ولا تخلو هذه الرسائل من التفاتات بارعة ظريفة فقد بعث إليه الأستاذ المؤلف شيئاً من تمر العراق فكتب إليه يقول :

« تحية أشهى من التمر .. كانت صلتنا روحية أدبية بحمة فأصبحت بعد أن أنشركت معدتي بجلاوة تمرك جسدية أيضاً ، ولا يتالك نفسه من أن يطلق العنان للسانه فيتدفق شعراً عذبا ، ويمضي مغنياً [من البسيط] :

يستعذبُ التمرَ من أرجاء بغدادِ إن جاء موسمهُ في غير ميعادِ
النفسُ تمرح في أفضالِ مرسلِهِ وينعمُ الجسمُ في عذبِ من الزادِ

ويبدو أن هناك حركة أدبية عربية مباركة في مهاجر البرازيل لابد أن يماط عنها اللثام كاملاً . وقد رفع الأديب الكبير الأستاذ وحيد الدين جانباً من هذا اللثام في كتابه الجديد عن « فيليب لطف الله ، رجل الأعمال البرازيلي ورئيس رابطة القلم فيها » والشاعر الوجداني الذي خلّد وفاءه للبنان في ديوانه (نسمة الجبل) ولم يجحد فضل وطنه الثاني البرازيل فأصدر ديوانه الآخر (نسمة برازيلية) .

ولكن ما يقوله الأديب اللبناني راجي عشقوني عن فيليب لطف الله في مجلة (المراحل) العربية - البرتغالية للسيدة ماريانا فاخوري ينطبق على الأديب الباحث الأستاذ وحيد الدين أيضاً ، ولا عجب فيها في هذا الكتاب روح واحدة في جسدين : أحدهما مشرقٌ والآخر مغربٌ . ويقول الشاعر راجي عشقوني :

« إنك تكتب لا تشكر ، بل من طبعك أن تُعطيَ دون شرط ،
لكأنك الشمسُ التي تزور الأرض وتمسح بكفها الأشياء وتمضي ولا تسأل
ولكن العافية التي تحركت في كل عرق هي وحدها ترتفع أناشيد صامته
تشكر للشمس حبُّها ، .

وختاماً أمد بعناي إلى فيليب لطف الله مباركاً شاعريته وشاكراً
هديته ويُسراي حيث موضع القلب إلى الأستاذ الكبير وحيد الدين بهاء الدين
على ما أمدى للعربية من صنيع بترجمته لهذا الشاعر الفذ .

اكسفورد

صفاء خلوصي

حوّل ديوان عروة بن الورد

الأستاذ محمد يحيى زين الدين

نشر ديوان عروة بن الورد أول مرة في جوتنجن^(١) عام ١٩٦٣ بتحقيق المستشرق الألماني تيودور نولدكه . وقد أثبت المحقق في أول الديوان بعض أخبار عروة بن الورد ، كما ترجم قصائد الديوان ومقطعاته إلى اللغة الألمانية ، مع ذكر مقدمة موجزة عن الشاعر ، وعن نسخة ديوانه .

ثم طبع ثانية في القاهرة عام ١٢٩٣ هـ بعناية الأستاذ أمين بن عمر زيتونة ، ضمن « مجموع مشتمل على خمسة دواوين من أشعار العرب » . ومع أن الأستاذ المحقق لم يذكر النسخ التي اعتمدها في نشرته تلك ، إلا أنني أرجح أنه اعتمد على المطبوعة السابقة ، ولكن ترتيب المقطعات في نشرته مختلف عما هو في طبعة المستشرق .

كما طبع أيضاً في بيروت عام ١٣٢٧ هـ ضمن « خمسة دواوين العرب » ، إلا أن الناشر أغفل مجمل شرح ابن السكيت ، وبعض الأخبار الأخرى ، كما أعاد ترتيب الديوان ترتيباً هجائياً ، بيد أن أغلب المقطعات خالية من الشكل إلا في القليل النادر .

(١) وفقاً لقواعد التعريب يقتضي أن نكتب : غوتنجن .

كذلك نجد في شعراء النصرانية طائفة أخرى من أشعار عروة بن الورد وبعض شرح ابن السكيت ، غير أن المؤلف بدل ترتيب المقطعات على غير نهج واضح ، كما أضاف إليها جملة من الأخبار المتصلة بها وبعض الأبيات المتفرقة ، ولكنه أباح لنفسه ألواناً من التصرف في النص لم تخل في بعض المواضع من سقط واضطراب .

ثم نشر مرة أخرى في الجزائر عام ١٩٢٦ م . بتحقيق الأستاذ محمد ابن أبي شنب ، وهي فيما أرى من أفضل طبعات الديوان ، وأتمها ، وأغزرها شعراً . إذ استطاع المحقق أن يصحح كثيراً من أخطاء النشرات السابقة وأن يكمل النقص في بعض عباراتها .

كما نشر أيضاً في بيروت عام ١٩٦٤ م بعناية الأستاذ كرم البستاني ، بيد أنه أعاد ترتيبه على القوافي ، كما أثقل النصوص بشيء غير يسير من التزويد والاضطراب ، مما أدى إلى كثرة بالغة من الأخطاء اللغوية والنحوية.

كذلك طبع في دمشق عام ١٩٦٦ بعناية الأستاذ عبد المعين الملوحي غير أنه لم يعتمد في نشرته تلك على نسخة خطية من الديوان ، وإنما اعتمد بعض الطبقات السابقة منه ، إلا أنه لم يشر إلى أي اختلاف فيما بينها ، كما لم يبين عدد الأبيات وترتيبها في كل مطبوعة . كذلك لم يعن بتخريج الشعر أو معارضة رواية الديوان والروايات المختلفة في شتى المصادر . وثمة بعض الملاحظات الأخرى أجملها فيما يلي :

● ص ٣٥ : « قال اللحياني : يقال للمجتهال من الرجال إنه

لحوالة ، وحوال قلب ، وحوالي قلب ، .

وتتمة العبارة كما في شرح ابن السكيت ص ٨٧ (١) : ... إنه لحولة
وحولة وحول قلب ...

● ص ٣٩ : د ماوان : واد فيه ماء فيما بين النقرة والربذة
فغلب عليه الماء فسمي ذلك الماء ماوان . رزح : قد سقطوا من الإغيا .
وكانت منازل بني عبس فيما بين أبانين والنقرة وماوان والربذة
هذه منازلهم .

والشرح في معجم البلدان (ماوان) عن ابن السكيت باختلاف
يسير : د هو واد فيه ماء بين النقرة والربذة فغلب عليه الماء فسمي بذلك
الماء ماوان . وكانت منازل عبس فيما بين أبانين والنقرة وماوان والربذة .
هذه كانت منازلهم .

● ص ٤٢ :

إذا آذاك مالك فامتهينه لجاديه وإن قرع المراح
والصواب : د إذا آذاك ، بالذال ، وآذاك : أعانك . ويروى : د إذا ما
آد ، ، وآد : كثر . انظر اللسان والتاج (آدا) ، (قرع) ، والأماي
٥٨/٣ ، وسمط اللآلي ٧١٤/٢ ، وديوان عروة بن أذينة ٣١٤ . وهذا
البيت شرحه المحقق كما يلي : د قرع : خلا وفرغ . المراح : المكاتب
يروح القوم فيه ، . والصواب : قرع المراح : أي هلكت الماشية ، يقال :
قرع مأوى المال ومراحه من المال قرعا . هلكت ماشيته فخلا .

(١) شرح ديوان عروة بن الورد طبع القاهرة ١٢٩٣ هـ ، وهو الأصل
الذي اعتمده المحقق .

● ص ٥٢ : « والماء البارد : أي في الشتاء ، وذلك أشد » .

والذي في شرح ابن السكيت ص ٨٨ : والماء بارد : أي في الشتاء ، فذاك أشد .

● ص ٥٦ : « السرير موضع في بلاد بني كنانة » .

والشرح في معجم البلدان (السرير) عن ابن السكيت ، وهو كذلك في اللسان (سرر) دون نسبة .

● ص ٥٦ :

رُوْبِدَ عَلِيٌّ جُدًّا مَا ثَدِي أُمِّيهِمْ إِلَيْنَا وَلَكِنْ وَدَّاهُمْ مُتَمَائِنٌ
« يريد متفاعِلن ، من المين ، وهو الكذب . يقال : كذب ومَان » .
والصواب : « متفاعل » والبيت لمالك بن خالد الحنّاعي كما في أشعار الهذليين
١/٤٤٧ ، وهو كذلك في اللسان (مين) ، (مَان) ، (جدد) ،
(رود) ، والتاج (مَأْت) ، وتمذيب اللغة ١٠/٤٦١ ، ١٤/١٦٢ ،
١٥/٥٢٩ ، والمخصص ١٤/٨٩

● ص ٥٧ : ذو النقيير : هو موضع ماء لبني القين وللكلب ،
وقيل موضع يقر فيه الماء .

والشرح في معجم البلدان (النقيير) باختلاف يسير :

« موضع وماء لبني القين من كلب ... » .

● ص ٥٨ : « اليَسْتَعُورُ : موضع قبل حرّة المدينة فيه عِيَضاه
من سَمُرٍ وطلّح » .

والشرح في معجم البلدان (اليستعور) عن أبي عبيدة باختلاف يسير:
« ... عِضَاه وسمر وطلح » .

● ص ٥٨ : فطاروا في عضاه المستعور : وهي بعيدة لا يكاد يدخلها أحد إلا يرجع من خوفها .

والشرح في معجم البلدان (المستعور) عن ابن السكيت بتصرف يسير : « وعضاه المستعور : جبال لا يكاد يدخلها أحد إلا يرجع من خوفها » .

● ص ٦١ :

وكيف ترجئها وقد حيلَ دونها وقد جاورت حياءً بتيمُنْ منكرا والصواب : « تيمُنْ » بفتح الميم . انظر معجم البلدان (تيمُنْ) ، ومعجم ما استعجم ١١٢١/٤ ، واللسان (تمُنْ) .

● ص ٦١ : « قوله كدء هذه التي ذكرها بمدودة وهي أرض ببيشة كثيرة الأسد وكدا غير هذه مقصورة ثنية بين مكة والطائف » .
والشرح في معجم البلدان (كداء) عن ابن السكيت وفيه : « .. بمدودة هي ... »

● ص ٦١ - ٦٢ : « تيمُنْ أرض قبل جرش أو في شق اليمن وثم كدء والناس ينشدونها : بتياءً منكرا . وهذا خطأ وتياء التي ينشدها الناس أرض قبل وادي القرى بها نخل كثير » .

والشرح في معجم البلدان (تيمُنْ) عن ابن السكيت بتصرف يسير : « تيمُنْ أرض قبل جرش في شق اليمن ثم كداء ، والناس ينشدونها : بتياءً منكراً . وهذا خطأ لأن تياء قبل وادي القرى وهذه المواضع باليمن » .

● ص ٦٤ :

لعلك يوماً إن تُسيري ندامةً عليّ بما جشمتني يوم غَضُورا والصواب : « أن تسري » .

● ص ٦٧ : « يقال للذي يخرج سهمه من القـداح أولاً : فاز سهمك » .

والذي في شرح ابن السكيت ص ٩٤ : قد فاز سهمك .

● ص ٦٩ : « وهي في الدواهي مثل هذه الإبل » .

والصواب كما في شرح ابن السكيت ص ٩٤ : مثل هذه (١) في الإبل .

● ص ٧٤ :

فيوماً على نجدٍ و غاراتٍ أهلها ويوماً بأرضٍ ذاتِ شتٍ وعروعرٍ
والصواب : « ذاتِ شتٍ وعروعرٍ » . انظر اللسان والتاج (شت) ،
والأصميات ٤٧ .

● ص ٧٦ :

وبالغُرِّ والغُرَّاءِ منها منازلٌ وحولَ الصُّفا من أهلها مُتَدَوِّرٌ
والصواب : « وبالغُرِّ » بالفتح . و يروى : « وبالغُرِّ » . والبيت في
اللسان (غرا) ، ومعجم ما استعجم ٩٩٩/٣

● ص ٧٦ : « غَضُورٌ : ثَنِيَّةٌ فَيَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ إِلَى بِلَادِ
خَزَاعَةَ وَكِنَانَةَ » .

والشرح في معجم البلدان (غُضُور) عن ابن السكيت باختلاف يسير :
« غُضُورٌ : مَدِينَةٌ فَيَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ ... »

● ص ٧٧ : « يريد بأثواب خفافٍ : الأبدان » .

وتتمة العبارة كما في شرح ابن السكيت ص ٩٧ : يريد بقوله بأثواب..

(١) أي الناقة المذكور .

● ص ٧٨ : « أي متى ما يحملوا عليه ما لا يطيق من العذل والظلم يتعير .. »

والذي في شرح ابن السكيت ص ٩٧ : أي متى يحملوا ..

● ص ٨١ : « وعُلالة كل شيء ما جاء منه بعدما يمضي أوله » .

والصواب كما في شرح ابن السكيت ص ٩٧ : وعُلالة كل شيء ..

● ص ٨١ : « مهند منسوب إلى الهند . فما أرفىء منه بالخط »

وهي قرية بالبحرين سمي خطيا ، .

وتمة العبارة كما في شرح ابن السكيت ص ٩٨ : « »

الهند ، والأسمر : الرمح تؤخذ قناته وقد أدركت في غابتها ونضجت ويبست ، فإذا قومت خرجت سمراء . وهو الأظمى ، يقال : رمح أسمر وأظمى وشفة ظمياء : أي سمراء . والخطي : القنا ، كله يؤتى من الهند ، فما أرفىء منه بالخط ... ،

● ص ٨٣ : « وكان الرجل إذا حسنت إليه في عينه ، وامتنع

من أن ينحرها في حق ، أو يعطي منها في حَمالة ، قيل : أخذت إبل فلان أرماحها ، .

والصواب كما في شرح ابن السكيت ص ٩٨ ، واللسان (رمح) :

يعطي ... رماحها .

● ص ٨٥ : غزت بنو عبس طيمًا بعدما رمي عنثرة ، فسبوا

نساء خارجات من الجبل ، فتبعتهن طيء ، فقاتلتهن عبس ، وكان عامر ابن الطفيل ... ، .

وتمة العبارة كما في شرح ابن السكيت ص ٩٨ : « ... فقاتلتهن

عبس حتى ردوهم إلى جبلهم ، وجاؤوا بالنساء إلى بني عبس ، وكانت عامر بن الطفيل » .

● ص ٨٦ : « والطائفة : الناعمة الرطبة » .

وتتمة العبارة كما في شرح ابن السكيت ص ٩٩ : الناعمة الرطبة الرطبة .

● ص ٨٦ : « إذا شال السماء - أي النجم - ارتفع » .

وتتمة العبارة كما في شرح ابن السكيت ص ٩٩ : ... أي النجم - أي ارتفع .

● ص ٨٧ : « سبيت في الليل من آخره » .

والذي في شرح ابن السكيت ص ٩٩ : سبيت بالليل في آخره .

● ص ١١٥ : « لأن الأثل إنما تنبت بالجبل ، يعني حتى

تروا يثرب » .

وتتمة العبارة كما في شرح ابن السكيت ص ١٠٢ : « ... بالجبل ،

فيقول : المكان الذي تطلب فيه الغارة هو منبت الأثل ، والهيمة هناك ، ومنبت النخل : يعني حتى تروا يثرب » .

● ص ١١٥ : « وحرس واد بنجد فقال حرسين لشيء آخر » .

والشرح في معجم البلدان (حرس) عن ابن السكيت وفيه :

« وحرس واد بنجد فأضاف إليه شيئاً آخر فقال حرسين » .

● ص ١١٦ : « لأننا فطردها ونسبنا الناس بها » .

والذي في شرح ابن السكيت ص ١٠٣ : ونسبنا بها الناس .

● ص ١٢٠ : « وينوس يتحرك من ثقل القدر ، وفوقها أعلاها ، إنما أراد أن الأثافي تحرك على هذا القدر » .

وتتمة العبارة كما في شرح ابن السكيت ص ١٠٤ : ... القدر ، ولم يرد فوقها أعلاها إنما أراد ...

● ص ١٢٣ : فإذا لم يفتضها قيل : باتت بليلة حُرَّة .

والذي في شرح ابن السكيت ص ١٠٥ : فإذا لم يفتضها . وفي اللسان (فضض) : افتَضَّ فلان جاريته واقتَضَّها إذا افتَرَعها . وتتمة العبارة السابقة : فإذا لم يفتضها من ليلتها قيل : باتت بليلة حُرَّة .

● ص ١٢٣ :

أقول له يا مال أمك هابل متى حُبست على أفبيح تُعَقِّلُ والصواب كما في معجم ما استعجم ١/١٧٨ : أفبيح تُعَقِّلُ .

● ص ١٢٥ : « بذى طلال : يروى بذى ظلال . هو ماء قريب من الرَبْدَةِ وقال غيره هو واد بالشرية لغطفان » .

والشرح في معجم البلدان (ظلال) عن ابن السكيت باختلاف يسير . وانظر كذلك اللسان (طلل) .

● ص ١٢٩ : « قوله : ولم أسألك قبيل اليوم وإكني على أثر الدليل » .

والصواب :

ولم أسألك قبيل اليوم شيئاً وإكني على أثر الدليل

● ص ١٣٣ :

فإلا أنزل أوساً فإني حسبها بمنبطيح الأوعال من ذي الشلائل

والصواب كما في معجم البلدان : « من ذي السلائل » ، وهو واد بين الفرع والمدينة ، وهذه المقطعة ليست من مرويات ابن السكيت .
نسبت بعض المراجع إلى عروة بن الورد عدداً من المقطعات والأبيات المفردة التي لم ترد ضمن مرويات ابن السكيت وهي في مجموعها اثنتان وعشرون قطعة ، عدة أبياتها اثنان وأربعون بيتاً ، إلا أن أغلبها من الشعر المتنازع كالمقطعات ١ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، أما المقطعات ٣ ، ١٠ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، فهي لم تنسب إلى عروة ابن الورد إلا في مراجع متأخرة لا يمكن الاعتماد عليها . وليس يصح من المقطعات الباقية فيما أرى إلا المقطعتين ٤ ، ٢٢ .

لستُ لِمُرَّةٍ إن لم أوفِ مَرَقَةً يبدو لي الحِثُّ منها والمقاضيِبُ^(١)

* * *

لسعدى بَصَافٍ منزلٌ متأبَّدٌ عفا ليسَ مأهولاً كما كنتُ أعهدُ^(٢)
عَفَّتْهُ السَّوَارِي وَالغَوَادِي وَأَدْرَجَتْ بِهِ الرِّيحُ بَوْغَاءَ نَصْبٍ وَتَصَعْدُ

* * *

فلم يبقِ إلَّا النَّوْيُ كَالنَّوْنِ نَاحِلًا نَحُولَ الْهَلَالِ وَالصَّفِيحُ الْمُشِيدُ
وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ قَدْ أَضَرَ بِهِ الْهَوَى فَعَوَّدَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَفْعُوْدُ^(٣)

* * *

(١) اللسان والأساس (قضب) وتهذيب اللغة ٨/٨٤٨ ، والبيت مطلع مقطعة في تسعة أبيات لأنِّي خراش الهذلي ، وهي في أشعار الهذليين ٣/١٢٣٢ ، والبيت في التكملة (قضب) ، وفيه : « قال عروة بن مرة أخو أبي خراش ، ويروى لأنِّي خراش أيضاً ... » وانظر الشعر والشعراء ٢/٦٦٤ ، وأشعار الهذليين ٣/١٣٢٦ ، والتاج (قضب) .

(٢) معجم ما استعجم ٤/١٣٢٦ ، وفيه : « وقال عروة وذكر صافاً ... » ولعله عروة بن الورد .

(٣) محاضرات الأدباء ٣/٤٢

ألا إن شَرَّ الناس كلهم نَهْدُ وألأمهم جَهْدًا إذا بلغَ الجَهْدُ (١)
وأكثرهم حَيَاكَةً تنسفُ اللُّثَمَا إذا أظلمت يأوي إلى حَجَرِهَا عِبْدُ

* * *

إن كُنْتُ كَارِهَةً لَعِشْتَنَا هــ انا فحلي في بني بدر (٢)
الضاربين لدى أعينَتِهِمْ — والطاعنين وخيلُهم تجري
متى ما يجيء يوماً إلى المالِ وارثي يجيدُ جمع كفٍ غيرَ مَلَأَى ولا صِفَرِ (٣)
يجيدُ فرساً مثلَ القنَّاةِ وصارِماً حُسَاماً إذا ما هُزِّمَ لم يرضَ بالهَبَرِ

* * *

أبتِ الرِّوَادِفُ والتُّشْدِي لِقَمَصِهَا مَسَّ البُطُونِ وأن تَمَسَّ ظُهُورَا (٤)
وإذا الرِّيحُ مع العَشِيِّ تناوَحَتْ نَبْهَنَ حاسِدةً وهيجنَ غَيُورَا

* * *

فلا ترضَ من عيشٍ بدونٍ ولا تَنَمِّ وكيف ينامُ الليلَ من كان مُعَسِّراً (٥)

(١) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ٧٣٤/٢ ، وفي الحاشية : « والبيتان في ديوان عروة ص ١٢ » إلا أنني لم أجدها في الطبعة التي أحال عليها المحقق .
(٢) أشعار النساء ٨٢/٣ (مخطوط) . والصواب أنها لحاتم الطائي ، وهما في ديوانه ٢١٥ ، وانظر أيضاً اللسان (نحت) ، (نضر) ، وتهذيب الألفاظ : ٥٥٨

(٣) كتاب العصا : ٢٠٦ - ضمن المجموعة الأولى من نواذر المخطوطات - وهما في البيان والتبيين ٥٩/٣ دون نسبة . والصواب أنها لحاتم الطائي ، وهما في ديوانه : ٢٥٣ ، والحماسة ٢٩٥/٤ - ٢٩٦ ، والتبيين ٢٧١/٢ ، وشرح ديوان المتنبي للواحدي : ٧١٣ .

(٤) محاضرات الأدباء ٣٠٧/٣ ، وهما في ديوان عمر بن أبي ربيعة : ٣٨٤ أيضاً . والبيتان في الحماسة ٢٤٦/٣ ، والحماسة البصرية ٩١/٢ ، والأمال ٢٣/١ ، والبصائر والذخائر ٤٩٣/٣ ، والعقد الفريد ٤٥/٤ ، ١٠٢/٧ دون نسبة .

(٥) عيون الأخبار ٢٤٣/١ ، والعقد الفريد ٣١٠/٢ ، والحماسة =

والنَّاشِئَاتِ المَاشِيَاتِ الخُوزَرَى كَتَمْتُكَ الْآرَامِ أَوْفَى أَوْفَى (١)
 * * *
 وَكُنْتُ أَخِي والدَّهْرُ مَرَحٌ سُدُولُهُ عَلِيٌّ فَلَمَّا نَابَنِي بِالْمَغَائِظِ (٢)
 تَبَرَّأْتُ مَنْشِيٍّ وَاسْتَتَرْتُ بِمَلَّةٍ وَمَا هَكَذَا أَهْلُ الْوَفَا وَالْحَفَائِظِ
 * * *
 يَا هِنْدُ بَنَتْ أَلِي ذِرَاعِي أَخْلَفْتَنِي ظَنِّي وَوَرَّتَنِي عَشْقِي (٣)
 وَنَكَّحْتَ رَاعِي ثَدَّةً يُنَمِّرُهُمَا والدَّهْرُ فَانِيهِ بِمَا بُقِي
 * * *
 فَلَوْ أَنَّنِي شَهِدْتُ أَبَا مَعَادٍ غَدَاةً غَدَا بِمَهْجَتِهِ يَتَفُوقُ (٤)
 فَدَيْتُ بِنَفْسِهِ نَفْسِي وَمَالِي وَمَا آلُوكَ إِلَّا مَا أَطِيقُ
 * * *
 كَرِيمٌ رَأَى الْإِقْتَارَ عَادَاً فَلَمْ يَزَلْ بِحُجُوبٍ بِلَادَةَ اللَّهِ حَتَّى تَمُوتَ لَا (٥)

= والمساوىء : ٢٨٥ ، وغرر الخصائص : ٢١٦ ، ولباب الآداب : ٢٧ ،
 والأغاني ٧٨/١٦ ، والحماسة البصرية ١٠٩/١ - ١١٠ ، وانظر الديوان :
 ق/ ٢١ : ٨٩

(١) اللسان والتساج (خزر) ، (صرى) . والبيت الأول في التخصيص
 ٢٦/١٤ ، وإصلاح المنطق ١٦٢ ، والأساس (خزر) دون نسبة ، وهو في
 الصحاح (خزر) لأبي الصهباء بن المختار العقيلي ، وهما في تهذيب اللغة ٢٢٦/١٢ ،
 دون نسبة .

(٢) مضاهاة أمثال كلية ودمنة : ٣٣ . وانظر مقدمة المحقق (و - ز) ،
 وديوان الشهاخ : ٤٤٨

(٣) الموشح : ١٢٢ ، ونقد الشعر : ٦٨ ، والبيتان مضطربا الوزن .
 (٤) ديوان الخطيئة ١٨٧ ، والموشح ١٢٨ ، ونقد الشعر ٨٧ ، ومنهاج
 البلغاء ١٨٤ ، والبيت الثاني في اللسان (تيز) ، وهو في أمالي المرتضى ٢١٧/١
 للعباس بن مرداس .

(٥) الرسالة الموضحة ١٨٥ ، وهما في الحماسة البصرية ١١٣/١ لأحمد بن =

فلما استفادَ المالَ عادَ ببذله	لمن جاء يبغي نداء مؤملا
وذي أمل يرجو تراثي وإن ما	يصير له منه غداً لقليل ^(١)
وما لي مالٌ غيرُ درعٍ ومِغْفَرٍ	وأبيض من ماء الحديدِ حَقِيلٍ
وأستَرُ خَطَّيَّ القنساءِ مُنْقَفٍ	وأجرَدُ عُرْيَانِ السَّراقِ طَوِيلٍ
وكنْتَ كَلِيلَةَ الشَّيْبَاءِ هَمَّتْ	بمنعِ الشُّكرِ أتاَمَها القَبِيلُ ^(٢)
* * *	
إذا المرءُ لم يُقدم على الهولِ لم ينل	رغائبَ دُنياه وإن كانَ حازِمًا ^(٣)
ومن تركَ الأمرَ الذي علَّه به	إذا جدَّ فيه مُبلِغُ الحاجِ سالِمًا
* * *	
مخافةَ أمرٍ علَّه أن يكيدَه	فليسَ بذِي أوبٍ مدى الدهرِ غامِ
ما ابنُ أبي جهرٍ بأوَّلِ ظالمٍ	تدبُّ أفاعيه لنا وأراقِمُه ^(٤)
* * *	
فدع ما لمتَ صاحِبَه عليه	فشينَ أن يلومَكَ من تلومُ ^(٥)

= سالم المري ضمن مقطعة في سبعة أبيات . والبیتان وقبلها بیتان آخران لمضرس الأسدي في بهجة المجالس ٢٢٨/١ ، وهما في الحماسة ٢٧١/٤ دون نسبة .

(١) الوساطة ٢٣٨ ، والشطر الأول في التبيان ٢٧١/٢ ، وشرح ديوان المتنبي للواحي ٧١٣ ، وفيه : « وكلها في الحماسة » . والصواب أن الأبيات لأبي الأبيض العباسي كما في الحماسة ٤٠٢/٢ ، وثمام القطعة ستة أبيات .

(٢) المعاني الكبير ٥٠٩/١ ، واللسان (تآم) ، (شيب) ، والتناج (تآم) ، وهو في الصحاح (تآم) ، والأزمعة والأمكنة ٧٢/٢ دون نسبة . وانظر الديوان ق / ٣٥ : ١٢٨

(٣) مضاهاة أمثال كيلة ودمنة ٩٤

(٤) ديوان الخطيئة ٣٢٨ ، وفيه : « وبیت عروة في الألفاظ لابن السكيت » .

— لم ينسب هذا البيت إلى عروة بن الورد ، وإنما هو في تهذيب الألفاظ ٣٦٤ دون نسبة .

(٥) الصداقة والصديق ١٢٧

أَتَتْ بِالْمُعَلَّى عِنْدَ أَوَّلِ سَوْرَةٍ
وَجَاءَتْ بِفَذٍّ وَالضَّرِيبِ بِلِسِهَا
فَرَّاحَ بِهَا غَمٌّ وَتَغْرَمُ مَا جُنَتْ
وَأَنْتَ مَنِيحٌ بِالْيَدَيْنِ مَتَى تَعُدُّ

* * *

أَلَمْ تَعْرِفْ مَنْ أَزَلَ أَمْرَ عَمْرٍو
وَقَفْتُ بِهَا فِقَاضَ الدَّمْعِ مَنِي
بِنَعْرِجِ النَّوَاصِفِ مِنْ أَبَاتِ (٢)
كَمَنْحَدَرٍ مِنَ النَّظْمِ الْجَمَاتِ

* * *

وَلَكِنْ لَنْ يُلَبِّثَ وَصَلَ حَبِيْرٍ
إِذَا مَا جَعَلَتْ الشَّاةَ لِلْقَوْمِ خُبْرَةً
وَمَحْسَبَةً قَدْ أَخْطَأَ الْحَقُّ غَيْرَهُمَا
فَأَعْجَبَنِي إِدَامُهُمَا وَسَنَامُهُمَا

لم يرو ابن السكيت من أشعار عروة بن الورد سوى إحدى وثلاثين
مقطعة بيد أن المحقق أضاف إلى ما رواه ابن السكيت عدة مقطعات
أخرى ، ولكنه لم يجعلها في قسم مفرد ، وإنما أقحمها بين قصائد الديوان
دون تمييز .

(١) محاضرات الأدباء ٢/٧٢٤

(٢) المنازل والديار ٣٨

(٣) المعاني الكبير ٢/٦٨٤

(٤) البيتان في اللسان (ليت) ، وتهذيب اللغة ١٤/٣٢٢ ، والبيت الأول
في اللسان والتاج (حسب) ، وتهذيب اللغة ٤/٣٣٥ ، وهو في اللسان (نفس)
والحكم ٣/١٥٠ دون نسبة . والبيت الثاني في اللسان والتاج (شوا) دون
نسبة أيضاً . والشطر الثاني منه في التاج (ليت) .

وكذلك لم يبين المحقق ما في نسبة هذه المقطعات من شك أو ترجيح كما يتضح من الأمثلة التالية :

١ - ق / ٤ : ٢٩

إذا المرء لم يتبعث سواماً ولم يرح^١
فللموت خير للفتى من حياته^٢
وسائلة أين الرحيل^٣ وسائل^٤
مذاهبه أن الفيجاج عريضة^٥
فلا أترك الإخوان ماعشت^٦ الردى^٧
ولا يستضام الدهر جاري ولا أرى^٨
وإن جارتى ألوت^٩ رباح^{١٠} بيتها^{١١}
عليه ولم تعطيف عليه أقاربه^{١٢}
فقيراً ومن مولى تدب^{١٣} عقاربه^{١٤}
ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه^{١٥}
إذا ضن^{١٦} عنه بالفعال أقاربه^{١٧}
كما أنه لا يترك الماء شارب^{١٨}
كمن بات للصديق عقارب^{١٩}
تعاقلت حتى يستر البيت جانبه^{٢٠}

الأبيات الأربعة الأولى لأبي النشماش النشلي في الأغاني ٤٣/١١ ،
كما نسبت إليه الأبيات ١ - ٣ في الأصمعيات : ١١٨ ، وعيون الأخبار
٢٣٧/١ ، والحماسة ٣٠٢/١ - ٣٠٣ ، والحماسة البصرية ١١٢/١ ، أما
الأبيات ٥ - ٧ فلم ترد ضمن أبيات أبي النشماش . وانظر كذلك مجلة
مجمع اللغة العربية المجلد ٥٠ ص ٨١٦

٢ - ق / ٨ : ٤٣

قالت تمأخر^١ إذ رأت مالي خوى^٢
مالي رأيتك في الندي منكساً^٣
خاطر^٤ بنفسك كي تصيب غنيمه^٥
المال فيه مهابة^٦ وتجيلة^٧
وجه ما الأقارب فالقواد^٨ قريح^٩
وصيباً كأتك في الندي^{١٠} تطيح^{١١}
إن القعود مع العيال قبيح^{١٢}
والفقر فيه مذلة^{١٣} وفضح^{١٤}

والأبيات ليست من مرويات ابن السكيت . وقيل هي للنمر بن توبل .

ولعلها كذلك ، فالبيتان ٣ - ٤ في عيون الأخبار ١/ ٢٣٨ ، وبهجة المجالس ١/ ٢٠٢ للنمر بن تولب ، وانظر أيضاً غرر الخصاص : ٢١٦ .

٣ - ق / ٢١ : ٨٩

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه
شكا الفقر أو لام الصديق فأكثر
وصار على الأدنين كلاً وأوشكت
صلات ذوي القربى له أن تنكراً
وما طالب الحاجات من كل جهة
من الناس إلا من أجسد وشميراً
فسر في بلاد الله والتمس الفنى
تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

والأبيات الأربعة في العقد الفريد ٢/ ٣١٠ وفيه :

« كان الرماحيس بن حفصة بن قيس ، وابن عم له يدعى ربيعة بن الورد ، يسكنان الأردن ، وكان ربيعة بن الورد موسيراً ، والرماحيس معسراً كثيراً ما يشكو إليه الحاجة . ويعطف عليه ربيعة بعض العطف . فلما أكثر عليه كتب إليه ... » .

والأبيات ١ - ٤ في لباب الأداب : ٢٧ للناطقة ، ولكنني لم أجدها في ديوانه ، وهي في عيون الأخبار ١/ ٢٤٣ دون نسبة . والأبيات ١، ٢ ، ٤ في الأغاني ١٦/ ٧٨ لأبي عطاء السندي ، وهي في غرر الخصاص ٢١٦ دون نسبة والبيتان ١ ، ٢ في المحاسن والمساوىء ٢٨٦ ، وبهجة المجالس ١/ ٢٦٦ دون نسبة كذلك . كما نسبت بعض المراجع عدداً من أبيات هذه المقطعة إلى عروة بن الورد ، أذكر منها : الحماسة البصرية ١/ ١٠٩ ، ١١٠ ، وفيها الأبيات ١ - ٤ ، وبهجة المجالس ١/ ١٩٩ ، وفيها البيتان ١ ، ٢ ، وهذه المقطعة ليست من مرويات ابن السكيت .

٤ - ق / ٢٢ : ٩٠

سلي الطارق المعتز با أم مالك
إذا ما أثنى بين قيدي ومجزري

أيسفرُ وجهي أنته أولُ القيرى وأبذلُ معروفٍ لهُ دون مُنكري
والبيتان في الأغاني ١٤٩/١١ للعجير السلوي ضمن مقطعة في ستة
أبيات . وفيه : قال ابن حبيب : من الناس من يروي هذه الأبيات لعروة
ابن الورد وهي للعجير . وهما في البيان والتبيين ١٠/١ لحاتم الطائي ،
وعنه أثبتها المحقق في ديوانه ص ٣٠٠ ، والبيتان في بهجة المجالس ٢٩٨/١ ،
وأُمالي الزجاجي ٢٠٤ ، والحماسة ٤/١٣٤ ، دون نسبة . والبيت الأول
في الموازنة ٢١٢/١ دون نسبة كذلك . وهذان البيتان ليسا من مرويات
ابن السكيت .

٥ - ق/٢٧ : ١٠١

فراشي فراش الضيف والبيتُ بيتُهُ ولم يلهني عنه غزالٌ مُقَنَّعُ
أحدتهُ إن الحديث من القيرى وتعلم نفسي أنه سوف يهجعُ

البيتان في أُمالي المرتضى ٤٧٥/١ ، وبهجة المجالس ٢٩٦/١ ، لمسكين
الدارمي ، والثاني منها كذلك في الحماسة البصرية ٢/٢٣٩ ضمن مقطعة في
ثلاثة أبيات . وهما في الحماسة ٤/٢٤٣ - ٢٤٤ لعتبة بن بجير ، غير أنها
نسبا في الحماسة البصرية ٢/٢٤٧ إلى عقبة بن مسكين الدارمي ؟

وهما أيضاً في ديوان طفيل الغنوي ١٠٢ - ١٠٣ ، ضمن مقطعة في
أربعة أبيات ، وفيه : « وهذان البيتان يرويان لعروة بن الورد وغيره » .

والبيتان كذلك في اللسان (بصص) ، وعيون الأخبار ٣/٢٤٠ ،
والبيان والتبيين ١٠/١ ، دون نسبة ، ويروى قبلها :

أرى كلَّ ربيعٍ سوف تسكنُ مرَّةً وكلَّ سماءٍ لا محالةً تقلعُ
وإثني والأضياف في بردةٍ معاً إذامات نصف الشمس والنصف ينزعُ

انظر اللسان (بصص) ، والحماسة البصرية ٢/٢٣٩

٦ - ق/٣٠ : ١٠٤

وخيلٍ كنت عين الرشيد منه إذا نظرت ومستمعا سميعا
أطاف بغيته فعدلت عنه وقلت له أرى أمرا فظيعا

البيتان لإبراهيم بن العباس الصولي ، وهما في ديوانه : ١٦٠ ضمن
الطرائف الأدبية - غير أن ابن قتيبة نسبها في عيون الأخبار ١٥/٣ ،
والشعر والشعراء ٥٥٦/٢ إلى عمر بن أبي ربيعة ، وهما في ذيل ديوانه
٤٨٧ - ٤٨٨ . إلا أنها نسبا إلى عروة بن الورد في محاذرات الأدباء
٩/٣ ، والأغاني ٦٩/٣ - دار الثقافة - وروى معها بيت آخر وهو :

أردت رشادة جهدي فلما أبى وعصى أتيناها جميعا

٧ - البيتان ٣ - ٤ من المقطعة ٦ ص : ٣٩ ، في عيون الأخبار
٢٣٨/١ ، والمعاني الكبير ٤٩٨/١ لأوس ابن حجر ، غير أنني لم أجدهما
في ديوانه . وهما لأبي العيال الهذلي في الممدة ٢٤/١ ، وعنه أثبتها المحقق
في شرح أشعار الهذليين ١٧٤٣/٣ ، وانظر كذلك بهجة المجالس ١٩٩/١ ،
والأمالي ٢٣٤/٢ ، ونهاية الأرب ٦٨/٣ ، والحماسة ٣٥/٢ ، ومعجم
البلدان (ماوان) ، وغرر الخصاص : ٢١٦ ، والمحاسن والمساوي ٢٨٦
والتمثيل والمحاضرة ٥٧ و ٤٠٠ ، وثمار القلوب ١٠٣ ، والبخلاء : ١٩٢

٨ - البيت الأول من المقطعة ٧ ص ٤٢ في اللسان والتاج (قوع)
والمحكم ١١٧/١ لعروة بن أذينة ، وانظر اللسان والتاج (إذا) ،
والأمالي ٥٨/٣ ، وسمط الآلي ٧١٤/٢ ، والنحوص ١٨٢/١٢

٩ - البيت التاسع من المقطعة ١٥ ص ٦٣ في اللسان والتاج
(حور) ، وفي اللسان : قال هذبة ونسبه ابن سيده لابن أحر ، .

وهو في شعر عمرو بن أحرص ١٨٠ صنعة الدكتور حسين عطوان .
وانظر كذلك الأساس (حور) ، والمحكم ٣/٣٨٦ ، وتهذيب اللغة
٢٧/٥ ، والمخصص ٤٩/٣

١٠ - البيت الأول من المقطعة ٢٥ ص ٩٧ ، والبيت السابع من
المقطعة ٢٦ ص ١٠٠ في حماسة البحتري ٣٠٨ لمسعود بن مصاد الكلابي ،
وهما في الحماسة البصرية ٣٢/١ لأبي الطفيل عامر بن واثلة الليثي . وانظر
كذلك التيجان في ملوك حمير ٢٤٦

١١ - ق / ٢٣ : ٩١

دعيني للغنى أسعى فإني	رأيتُ الناسَ تُسرُّهمُ الفقيرُ
وأبعدُهمُ وأهونُهمُ عليهمُ	وإن أُمسى له حَسَبٌ وخيرُ
ويقصيه الندي وتزدريه	حليتهُ وينهره الصغيرُ
ويُلفي ذو الغنى وله جلالُ	يكادُ فؤادُ صاحبه يطيرُ
قليلُ ذنبه والذنبُ جَمُّ	ولكن للغنى ربُّ غفورُ

وفي الحاشية : « ورد البيت الأول من القصيدة في طبعة المطبعة
الوهبية في القاهرة ، ووردت الأبيات الثلاثة الأخيرة في طبعة المطبعة
الأهلية ببيروت . »

- لم يرد البيت الأول ضمن مرويات ابن السكيت وإنما ورد في
أول الديوان ضمن أخبار عروة بن الورد التي أثبتتها الناشر عن الأغاني ،
كما وردت الأبيات بتمامها في مطبوعة المكتبة الأهلية . وليس كما ذكر
المحقق . وهي كذلك في بهجة المجالس ١/٢٠٨ - ٢٠٩ ، وعيون الأخبار
٢٤١/١ ، والمقد الفريد ٣٠٨/٢ ، والبيان والتبيين ٢٣٤/١ ، والبغلاء
١٨٣ ، والأبيات ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، في الحماسة الشجرية ٤٧٨/١ وهذه المقطعة
لبست من مرويات ابن السكيت .

١٢ - ق / ٣١ : ١٠٧

تقول 'سليمى لو أقتَ لَسَرْنَا ولم تدرِ أنِّي للمُقامِ أطوِّفُ'
وفي الحاشية : «ورد هذا البيت في طبعة المطبعة الأهلية ببيروت» .
- لم يرد هذا البيت في طبعة المكتبة الأهلية ، وإنما ورد في
مطبوعة دار صادر ص ٥١ . وهو كذلك في التمثيل والمحاضرة ٤٠٠ ،
وعيون الأخبار ١/ ٢٣٤ ، والوساطة ٢٢٩ ، والأغاني ٣/ ٧٨ - دار الثقافة -
وشعراء النصرانية ٨٩٨

حلب محمد مجيب زين الدين

آراء وأنباء

تقرير

عن أعمال المجمع في دورته ١٩٧٧ - ١٩٧٨

أ - مجلس المجمع :

عقد مجلس المجمع في دورته المنصرمة ١٩٧٧ - ١٩٧٨ تسع عشرة جلسة بحث فيها أموراً جموعية مختلفة أهمها :

- ناقش ما تلقاه المجمع من بعض الهيئات والمؤسسات داخل القطر وخارجه من موضوعات ثقافية ولغوية وتوصيات ومقررات ومصطلحات مختلفة ، وأحال كلاً منها على اللجنة المختصة لدراستها وبيان الرأي فيها .

- ناقش المذكرات والبحوث التي أعدها بعض أعضائه والتي دارت حول نشر التراث وتنمية البحث اللغوي ، وضمور ما ينشر في القطر عن تطور البحث اللغوي ، والعمل على نقد ما ينشر من كتب التراث ، وحول أسرار الأبجدية العربية .

- درس موضوع تعديل القرار الجمهوري ذي الرقم ١١٤٤ لسنة ١٩٦٠

والمتضمن القانون الأساسي لإنشاء مجمع اللغة العربية . وألف لجنة من أعضائه ضمت السادة : الدكتور محمد كامل عياد والأستاذ المهندس وجيه السمان والأستاذ عبد الهادي هاشم لدراسة القانون ووضع مشروع جديد يقدم إلى المجلس لمناقشته .

- نظر في الدعوات الموجهة إلى المجمع من مختلف الهيئات العلمية والثقافية داخل القطر وخارجه للمشاركة في مؤتمرات أو ندوات أو حلقات دراسية ، ورشح من يمثل المجمع من أعضائه فيما قرر المشاركة فيه .

- إضافة إلى اللجان الخمس الدائمة ألف لجنة سادسة هي لجنة ألفاظ الحضارة وقد ضمت الأعضاء السادة : الدكتور عدنان الخطيب ، والدكتور شكري فيصل ، والدكتور عبد الكريم اليافي .

- عمل على زيادة توثيق الصلات وروابط التعاون بالهيئات العلمية والثقافية في القطر وخارجه وذلك بطريق المشاركة في نشاطاتها التي دعي إلى الإسهام فيها ، وتبادل المطبوعات والمجلات والأفلام الدقيقة المصورة والمكبرة على الورق وغيرها من الوسائل الأخرى .

- تابع الاهتمام من أجل إيجاد مطبعة حديثة للمجمع تفي بمتطلباته واطلع على ما آلت إليه مساعي رئيس المجمع في هذا الأمر .

- تتبع المراحل التي اجتازها البناء الجديد للمجمع ووقف على سير أعمال تنفيذ المرحلة الأخيرة من بنائه وهي مرحلة الكسوة والتجهيز .

ب - أعمال اللجان :

اللجنة الإدارية :

قامت ، خلال جلساتها التي عقدها في هذه الدورة ، بدراسة الأمور

الإدارية والشؤون المالية ، وقضايا الموظفين وفقاً لما نصت عليه اللائحة الداخلية واتخذت القرارات اللازمة والتي تقضي بها مصلحة الجمع .

ومن أعمالها :

وافقت على مشروع قرار وضعته الإدارة ينظم شؤون مكتبة الجمع ويحدد أغراضها وأهدافها ومهام موظفيها ، وطرق تصنيف كتبها وفهرستها وقواعد الإعارة وغير ذلك من الأمور التنظيمية والإدارية والفنية - وقد أحيل المشروع على وزارة المالية لنشره .

وافقت على مشروع قرار وضعته الإدارة يتناول تعديل القرار ذي الرقم ٧٩ والمؤرخ في ٢١/١٠/٩٧٦ والمتضمن حدود التعويضات عن المقالات التي تنشر في المجلة ، وعن الكتب المؤلفة والمحققة التي ينشرها الجمع . وقد نص المشروع على رفع حدود هذه التعويضات إلى مستوى يتناسب مع الظروف الحاضرة ، ومع ما تمنحه بعض الوزارات والمؤسسات الرسمية الأخرى من تعويضات في مجال النشر والتأليف والتحقيق .

درست مشروع موازنة الجمع للعام ١٩٧٩ والبيانات الموضحة لها والتي أعدتها الإدارة والمحاسبة وأقرتها . وقد بلغت الموازنة العامة للمجمع للعام ١٩٧٨ / ١٨٣٠٠٠ / ليرة سورية . وبلغت الموازنة الاستثمارية / ١٣٢٢٠٠٠ / ليرة سورية .

لجنة المجلة والمطبوعات :

درست في جلساتها التي عقدتها في غضون هذه الدورة ما ورد عليها من مقالات وبحوث من داخل القطر وخارجه ، وأقرت نشر ما كان مناسباً منها لأغراض المجلة وأهدافها .

لجنة المخطوطات وإحياء التراث :

عقدت سبع جلسات قامت خلالها بدراسة وتدقيق ما تلقت من كتب التراث المحققة ، وقد أقرت طبع ونشر : كتاب تاريخ أبي زرعة الدمشقي تحقيق الأستاذ السيد شكر الله نعمة الله وكتاب شرح أرجوزة أبي نواس وكان المجمع قد طبعه ونشره سنة ١٩٦٩ ولكن عضو المجمع المراسل الأستاذ محمد بهجة الأثري أعاد النظر في تحقيقه بعد العثور على مخطوطة جديدة له . وقدمه إلى المجمع للموافقة على إعادة طبعه بصورته الجديدة كما أنها درست كتابين آخرين هما :

جزء من تاريخ دمشق لابن عساکر تحقيق الأستاذ الشيخ عبد الغني الدقر .

وكتاب شعر ربيعة الرقي . جمع وتحقيق الدكتور يوسف حسين .
وقد أبدت بعد دراستها ملاحظات حول كل منها وأبلغتها إلى صاحبها ليعيد النظر في التحقيق في إطار هذه الملاحظات .

لجنة ألفاظ الحضارة :

عقدت اثنتي عشرة جلسة استعرضت فيها مختلف ميادين الحضارة بغية اختيار موضوع للدرس . وقد وقع اختيارها على مادة (اللون) وذلك لعلاقته بالفنون وبعلمي الكيمياء والفيزياء وبجوانب أخرى من جوانب الحياة الحضارية . وتدارست الوسائل المجدية لاستقصاء كل ما جاء عن اللون في كتب اللغة والتراث والمعاجم والموسوعات . وعهدت إلى كل من الأعضاء بطرف من أطراف البحث والتنقيب تمهيداً لبدا العمل المشترك .

لجنة المصطلحات :

عقدت سبع جلسات قامت خلالها بدراسات تمهيدية لتحديد الأعمال والمهام الملقاة على عاتقها ووضع أسلوب لتحقيق هذه المهام وجمع مكتبة خاصة تحوي المصادر والمراجع التي تحتاج إليها في دراساتنا . كما أنها بحثت موضوع توصية اللجنة الثقافية التي تنص على أن المجمع هو المرجع الأساسي للتعريب في القطر وعلى تأليف لجنة وطنية للتعريب ، وكذلك درست توصية مدير مكتب تنسيق التعريب في الرباط للاشتراك في مؤتمر التعريب الذين سيعقدانها المكتب خلال عامي ١٩٨٠ و ١٩٨٣ للاستفادة من التجربة السورية في تعريب مصطلحات التعليم العالي والجامعي ومصطلحات التعليم التقني العام وأبدت رأيها واقتراحاتها في ذلك إلى مجلس المجمع وقد تبناها ونقلها المجمع إلى مكتب تنسيق التعريب في الرباط .

لجنة الأصول :

عقدت ثماني جلسات درست خلالها موضوعات شتى أحالتها عليها رئاسة المجمع ، وتصدت لموضوعات أخرى تتصل بأغراضها .

ومن أم الموضوعات التي أحالتها المجمع عليها لدراستها ومعالجتها :

- كتاب (المفتاح) الأستاذ محمد الكسار - وكتاب (جدلية الحرف

العربي) للأستاذ عنبر .

- سؤال طرح على المجمع وموضوعه : (ألغة الضاد هي العربية أم

لغة الظاء) .

- أجابت أحد الباحثين وأرشدته إلى الوجه الصواب في ما أشكل

عليه من الألفاظ الفصحى والعامية في موضوع الألفاظ الشائعة على السنة الأطفال العرب وتصنيفها والاستعاضة عن عاميتها .

- أجابت عن استفتاء وجهته إليها لجنة المصطلحات بالمجمع بشأن كتابة المصطلحات العربية المنكرة إذا كانت منقوصة .

- نظرت في مقترحات بشأن إصلاح الكتابة العربية .

أما الموضوعات التي تصدت لها فهي:

- وسائل خدمة الأصول - وضع قواعد الترقيم في الكتابة العربية .

- ما يجب أن يكون عليه المعجم العربي الجديد - تطور الألفاظ العربية وتغير دلالاتها - طغيان الأساليب الأعجمية وعلاجه .

ج - نشاط المجمع داخل القطر :

- شارك رئيس المجمع الأستاذ الدكتور حسني سبيع في اجتماعات

اللجنة الثقافية التي عقدت في مقر رئاسة مجلس الوزراء والتي بحث فيها موضوع الحفاظ على اللغة العربية والسبل التي تؤول إلى تحقيقها .

- شارك الأستاذ رئيس المجمع في الاجتماع الذي عقد بوزارة التعليم

العالي والذي بحث فيه أمر تشكيل اللجنة الوطنية للتعريب .

- كلف العضو الدكتور شكري فيصل بالمشاركة ، ممثلاً للمجمع

في الاجتماعات التي تعقدها اللجنة المكلفة بدراسة وضع مشروع قانون لحماية المخطوطات في القطر العربي السوري .

- كلف العضو الأستاذ عبد الهادي هاشم بالمشاركة في اجتماعات

اللجنة التي تدرس وسائل تنفيذ التوصية السابعة من توصيات اللجنة الثقافية والتي تنص على (تحسين طرائق تدريس اللغة العربية بغية تسهيل تعلمها) .

- شارك المجمع في جناح الكتب الخاص بوزارة التعليم العالي في معرض دمشق الدولي السابع والعشرين لعام ١٩٧٨ .

د - نشاط المجمع خارج القطر :

شارك رئيس المجمع الأستاذ الدكتور حسني سبع في اجتماعات اللجنة الاستشارية للمكتب الصحي الاقليمي لشرق البحر المتوسط لبحث موضوع استعمال اللغة العربية في منظمة الصحة العالمية وما ينبغي لتحقيق ذلك من إجراءات ، في مقدمتها دعوة لجنة من الأطباء الاختصاصيين من الأقطار العربية لتحضير معجمين طبيين أحدهما انكليزي عربي والثاني إفرنسي عربي ، ثم النظر في مطبوعات التوعية الصحية التي صدرت عن المنظمة المذكورة في جنيف وتهيئة جدول بأفضلية ترجمة بعض تلك المطبوعات للغة العربية ، وتنفيذاً للقرار المذكور دعي رئيس المجمع والعضو الدكتور محمد هيثم الحياط إلى المشاركة في جلسات لجنة المعجمين التي انعقدت خلال هذه السنة في كل من الاسكندرية وبغداد وتونس لتهيئة المعجمين المذكورين واللجنة ماضية في سبيل تحقيق هذه الغاية .

- شارك العضو الأستاذ عبد الهادي هاشم في المؤتمر الدولي الثاني عشر لعلماء الألسنيات في العالم الذي انعقد في فينا .

- شارك العضو الدكتور شكري فيصل في مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي الذي عقد في جامعة بغداد في المدة الواقعة بين ٤ و ٧ آذار ١٩٧٨ .

- شارك العضو الدكتور عبد الكريم اليافي ممثلاً للمجمع في اجتماع الخبراء العرب لإجراء المراجعة النهائية للجزء الأول من مشروع دليل

مصطلحات الحاسبات الالكترونية الذي عقدته المنظمة العربية للعلوم الإدارية بمدينة عمان في المدة الواقعة بين ١ و ١٣ / ٧ / ١٩٧٨ .

- شارك رئيس المجمع الأستاذ الدكتور حسني سبيع والمضوان السيدان المهندس وجيه السمان والدكتور محمد هيثم الحياط في الندوة التي أقامها مجمع اللغة العربية الاردني في ٢٢ و ٢٣ آذار ١٩٧٨ في عمان والتي تناولت موضوع تجربة دمشق في تعريب التعليم العالي الجامعي . وقد رأس هذه الندوة رئيس المجمع الدكتور حسني سبيع .

هـ - أعضاء المجلس :

- انتخب المجلس العضو الأستاذ الدكتور شاكر الفحام نائباً لرئيس المجمع .

- انتخب العضو الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد عضواً في اللجنة الإدارية .

- قررت محافظة مدينة دمشق إطلاق اسم العضو الراحل المرحوم الأستاذ جميل صليبا على أحد شوارع مدينة دمشق ، ويسمى المجمع لدى المحافظة لتسمية بعض شوارع المدينة بأسماء الزملاء الراحلين جميعاً .

- أطلق اسم العضو المرحوم الشيخ محمد بهجة البيطار على مدرسة من مدارس حي الميدان بمدينة دمشق .

و - مطبوعات المجمع :

الكتب التي صدرت :

- فهرس مجلة المقتبس من وضع الأستاذ رياض عبد الحميد مراد .

- كتاب (محمد كرد علي مؤسس الجمع) وبضم ما ألقى من مقالات وقصائد في مهرجان ذكرى مرور مئة عام على ولادته ، والذي أقيم بدمشق خلال أسبوع العلم السادس عشر سنة ١٩٧٦ ، وما تلقاه الجمع من كلمات بعد انقضاء المهرجان .

كما صدر الجزء الرابع من المجلد الثاني والخمسين والجزءان الأول والثاني من المجلد الثالث والخمسين من مجلة الجمع .

الكتب التي بوشر طبعها :

- فهرس لمخطوطات دار الكتب الظاهرية في التصوف وضع الأستاذ محمد رياض المالح .

- فهرس لمخطوطات دار الكتب الظاهرية في الفقه الحنفي من وضع الأستاذ محمد مطيع الحافظ .

- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لأبي أحمد العسكري بتحقيق الدكتور محمد يوسف .

- الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري تحقيق الدكتور أمجد طرابلسي .

- تاريخ المنصوري بتحقيق الدكتور أبو العيد ديدو .

- جزء من تاريخ دمشق لابن عساكر ويضم تراجم الرجال - من عبد الله بن جابر إلى عبد الله بن زيد .

- تصنيف العلوم والمعارف من وضع المرحوم الدكتور يوسف العش ومراجعة السيدة سماء المحاسني .

الكتب التي قرر نشرها ولم يبدأ بطبعها :

- جزء من تاريخ دمشق لابن عساكر ويضم تراجم الرجال من عبادة إلى عبد الله بن ثوب .

- المعاصرون من تأليف الأستاذ المرحوم محمد كرد علي .

- تاريخ أبي زرعة الدمشقي تحقيق الأستاذ السيد شكر الله نعمة الله .

ز - البناء الجديد للمجمع :

بعد أن تم بناء هيكله ، عهدت الهيئة العامة لأبنية التعليم المكلفة بالإشراف على تنفيذ المشروع إلى مكتب هندسي ، وفقاً للأصول القانونية ، بأمر استكمال كسوته وتجهيزه بوسائل التدفئة والتبريد وإنجازه خلال سنة تبدأ من الشهر الرابع من العام ١٩٧٨ .

وحرصاً على سير العمل وعلى اتساقه في مرحلتيه الأولى والثانية كلفت الهيئة العامة لأبنية التعليم ، بناء على رغبة المجمع ، الأستاذ المهندس السيد شكيب العمري الذي أشرف على المشروع منذ تنظيم تصاميمه ووضع حجر أساسه ، الاستمرار في الإشراف على تنفيذ هذه المرحلة الأخيرة ، والمجمع يتابع سير العمل خطوة بخطوة .

ح - مكتبة المجمع :

الكتب والمخطوطات :

- بلغ عدد ما اقتنته من الكتب إهداء وشراء خلال هذه الدورة

٥٦ ؛ ونشر أسماءها تبعاً في أجزاء المجلة .

المجلات :

بلغ عدد المجلات العامة والثقافية التي اقتنتها المكتبة باللغة العربية ١٢٥ مجلة وباللغات الأجنبية ٤٠ مجلة .

ط - دار الكتب الظاهرية

المخطوطات :

- انتهى فهرس البطاقات حسب شهرة المؤلف .
- يوالي قسم المخطوطات العمل على إعداد بطاقات حسب عنوان المخطوط .
- بلغ عدد المخطوطات التي صورت على الأفلام الدقيقة وعلى الورق للمؤسسات والميئات والباحثين ١٨١٥ مخطوطة .
- بلغ عدد المخطوطات المعارة داخلياً للباحثين ٢٧٧٨ مخطوطة .
- نظم سجل جديد تدون فيه المخطوطات التي تصور والبيانات الخاصة بها .
- توقف القسم عن التصوير عن الأصول حفاظاً على المخطوطات من التأثر والتلف وعمد إلى التصوير نقلاً عن الأفلام الدقيقة المصورة .

الكتب المطبوعة :

- يسير العمل بخطى حثيثة في سبيل فهرسة الكتب الأجنبية ، وإعداد فهرس خاص ببطاقات حسب عناوين الكتب ذات الأجزاء المتعددة .
- أعدت قائمة بليوغرافية بالكتب والوثائق التي تتناول تاريخ فلسطين والقضية الفلسطينية .

- بلغ عدد ما اقتنته من الكتب إهداء وشراء ١٧٥٩ كتاباً في اللغة العربية و ٢٤٣ كتاباً في اللغات الأجنبية .
- بلغ عدد الكتب المعارة ٢٣٧٠٦
- تستمر النشرة بالصدور حاوية تعريفاً بما يرد المكتبة من كتب ومجلات ونشرات .

الدوريات :

- بلغ عدد المجلات العربية ٣٠٧ والأجنبية ١٤٧
- تم وضع فهرس للصحف .

الرواد :

- بلغ عدد الرواد إلى دار الكتب الظاهرية حوالي ٦٠ ألفاً وعدد الذين يؤمون قاعة الباحثين ١٥٠ .

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الثالث من عام ١٩٧٨

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
د . أحمد زكي بدوي	تشريعات العمل في الدول العربية	الاسكندرية ١٩٦٥
د . صابر بكر أبو السعود	القياس في النحو العربي من التحليل إلى ابن جني	أسيوط ١٩٧٨
علي بن إسماعيل بن سيده تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين	شرح مشكل أبيات المتنبي	باريس ١٩٧٧
د . عماد عبد السلام رؤوف	الآثار الخطية في المكتبة القادرية الجزء الثالث	بغداد ١٩٧٨
إعداد المكتبة الوطنية بإشراف فؤاد يوسف قز انجي	الانتاج الفكري العراقي لعام ١٩٧٥	د ١٩٧٧
الحسن الصغاني تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين	العباب الزاخر واللباب الفاخر (حرف الهمزة)	د ١٩٧٧
د . عبد الرحمن معروف	ما كتب عن اللغة الكردية	د ١٩٧٨

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
اتحاد الأطباء العرب رئيس التحرير د. محمود الجليلي	المعجم الطبي الموحد (انكليزي - عربي) الطبعة الثانية	بغداد ١٩٧٨
مالك بن نبي	تأملات	بيروت ١٩٧٧
خليل مردم بك، شرحه وقدم له عدنان مردم بك	دمشق والقدس في العشرينات	د ١٩٧٨
الحسن بن أحمد الرباعي اليمني تحقيق أحمد علي زبارة	فتح الغفار ١ ٢	بيروت والقاهرة ١٩٧٥ و ١٩٥٢
جامعة البصرة	فهرس الكتب العربية الموجودة في المكتبة المركزية (التاريخ والجغرافية والتراجم)	البصرة ١٩٧٨
عبد الله كنون	معارك	تطوان —
د. أبو القاسم سعد الله	الحركة الوطنية الجزائرية ١٩٣٠-١٩٤٥ الجزء الثالث	الجزائر ١٩٧٧
د. محمد نذير سنكري	بيئات ونباتات ومراعي المناطق الجافة وشديدة الجفاف السورية	حلب ١٩٧٧
عبد الله كنون	الاسلام أهدى	الدار البيضاء
الخزانة الملكية - القصر الملكي	منتخبات من نواذر المخطوطات	الرباط ١٩٧٨
عبد الله بن محمد بن خميس	معجم الياقة (آ - ز)	الرياض ١٩٧٨

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
أحمد بن محمد الحيمي الكوكباني	عطر نسيم الصبا	صنعاء ١٣٦١ هـ
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	اجتماع خبراء متخصصين في اللغة العربية	القاهرة ١٩٧٥
محمد بن عبيد الله المسيحي تحقيق أيمن سيد وتياري بيانكي	أخبار مصر (الجزء الأربعون)	القاهرة ١٩٧٨
أحمد بن يحيى بن المرتضى طبع بإشراف عبد الله الصادق وعبد الحفيظ عطية	البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار (١ - ٥)	القاهرة ١٩٤٧
محمد بن إبراهيم الوزير	البرهان القاطع في اثبات الصانع وجميع ما جاءت به الشرائع	القاهرة ١٣٤٩ هـ
د . عبد الفتاح لاشين	البهاء السبكي وآراؤه البلاغية والنقدية	د ١٩٧٨
محمد بن إبراهيم الوزير	ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان	القاهرة ١٣٤٩ هـ
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	التقرير النهائي لندوة خبراء لدراسة نتائج تجربة تيسير الكتابة العربية	د ١٩٧٧

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
تمذيب سيرة ابن هشام	عبد السلام هارون	القاهرة ١٩٦٤
الحياة الفكرية في ضوء الفلسفة الإسلامية	د. حسن الفاتح قريب الله	د ١٩٧٨
توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار (١ - ٢)	محمد بن إسماعيل الصنعاني	د ١٣٦٦ هـ
ديوان ابن الرومي الجزء الرابع	تحقيق د. حسن نصار	د ١٩٧٨
ديوان عمر بن أبي ربيعة	الهيئة المصرية العامة للكتاب	د ١٩٧٨
الخور المين	الأمير نشوان الحميري	د ١٩٤٨
دليل المصطلحات العربية الموحدة في العلوم الإدارية	المنظمة العربية للعلوم الإدارية	د ١٩٧٤
شرح الأزهار	عبد الله بن مفتاح	د ١٣٥٧ هـ
الشعاع الفاتض شرح مختصر علم الفرائض	علي بن هلال الدبب	القاهرة ١٣٦٥ هـ
شعر فهد المسكر (دراسة نقدية وتحليلية)	نورية صالح الرومي	د ١٩٧٨
شمس العلوم ودواء كلام العرب من العلوم (١ - ٢)	نشوان الحميري	د
العلاقات العربية الأفريقية، دراسة تحليلية في أبعادها المختلفة	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	د ١٩٧٨

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
د. فتحي فريد	المدخل إلى دراسة البلاغة	القاهرة ١٩٧٨
هزاع بن عيد الشمري	مشاهير كرماء العرب في الجاهلية والإسلام	» ١٩٧٨
محمد نصر الدين مهنا	مشكلة فلسطين والصراع الدولي ١٩٤٥ - ١٩٦٧	» ١٩٧٨
مرتضى السيد محمد الرضوي	مصادر الحديث عند الإمامية	» ١٩٧٥
د. عبد الحميد محمد أبو مسكين	معالم اللهجات العربية	» ١٩٧٨
د. عبد الصبور شاهين	المنهج الصوتي للبنية العربية ورؤية جديدة في الصرف العربي	» ١٩٧٧
محمد الشاطر أحمد محمد	الموجز في نشأة النحو	» ١٩٧٨
الجمعية المصرية للدراسات التاريخية	الموسم الثقافي بمجموعة المحاضرات العامة التي أقيمت بالجمعية (١٩٧٦ - ١٩٧٧)	» ١٩٧٨
أبو سعد منصور الآبي	نثر الدر الجزء الأول (١ - ٢)	» ١٩٧٨
تحقيق محمد هلي قرنة		
محمد بن علي الأهدي اليمني	نثر الدر المكنون من فضائل اليمن الميمون	»
محمد بن محمد زبارة الصنعاني	نشر العرف لنبللاء اليمن بعد الألف إلى سنة ١٣٥٧ هـ	» ١٣٥٩ هـ

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
النقد في عصر التنوير (كنت)	د . نازلي إسماعيل حسين	القاهرة ١٩٧٦
نبيل الوطري في تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر (١ ٢)	محمد بن محمد زبارة الصنعاني	د ١٣٤٨ هـ
الوزارة : نشأتها وتطورها في الدولة العباسية	د . توفيق سلطان اليوزبكي	الموصل ١٩٧٦
المعجب في علم النحو	رؤوف جمال الدين	النجف ١٣٩٨ هـ

تصحيح أخطاء

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٧٠٦	٨	الشيئة	الشيئية
٧٠٧	٨	pharingite	pharyngite
٧١٣	٢	القطر	القطر الكثيف
٧١٥	١٧	Qruquill	Quillet
		dictionnaire encyclohédique	dictionnaire encyclopédique
٧١٦		Leyy	Levy

الفهارس العامة للمجلد الثالث والخمسين

١ - فهرس المواد

منسوقة على حروف المعجم

التذكرة لأبي حيان الأندلسي ٥٠	(أ)
تصويبات ٢٥٣	أحياء الأسلوب القديم «الشدياق» ٢٥٩
تعقيب ٦٨٩	أعلام الإصلاح في الجزائر ٤٤١
تعليقات على كتاب نضرة	الألفاظ التاريخية «متحف اللغة» ٧٠١
الاغريض ٦٧١	انتخاب الدكتور شاكر الفحام
تقرير عن أعمال المجمع في دورته	نائباً لرئيس المجمع ٢٠٧
(١٩٧٧ - ١٩٧٨) ٩٠٠	(ب)
تنويه ٢٠٦	بقايا الفصاح ٣
(ح)	بلوغ الأمل في فن الزجل ١٧٠
حفل استقبال الأستاذ أحمد	(ت)
راتب النفاخ ٢٠٨	تاريخ أبي بشر هارون بن
الحكيم الترمذي ٥٦١	حاتم التميمي ١٠٧
حول ديوان عروة بن الورد ٨٨٠	تجربتي في تعريب المصطلحات
حول ديوان مسلم بن الوليد ١٥١	العلمية ٧٩٦
حول شعر الصنوبري ٤٥٤	تحقيقات وتصحيحات لكتاب
	الأعلام ٣٧٤

١٤٨ شعر عبد الله بن معاوية

٢٠١ الشيخ أبو عبد الله الزنجاني

(ص)

٨١١ الصفة الغيالية

(ع)

٨٦٨ عنبرة وعبرة

(ف)

٨٧٤ فيليب لطف الله

(ق)

قضية عنوان كتاب البيان

٧٧ للاجأظ

(ك)

كتاب الأزمئة والأنواء

٤٤٧ « لابن الأجداني »

٦٦٥ كتاب حجة أحمد بن طوير الجنة

الكتب المهداة إلى مكتبة

المجمع ٢٤٦، ٤٨٧، ٦٩٤، ٩١٢

كلمة السيد الدكتور حسني سبع

رئيس المجمع في حفل استقبال

٢٠٩ الأستاذ راتب النفاخ

« ملاحظات على امتدراك في

٤٥٤ مجلة المورد »

(خ)

خطاب الأستاذ أحمد راتب النفاخ

٢٢١ في حفل استقباله

خطاب الأستاذ عبد الهادي هاشم

في حفل استقبال الأستاذ

٢١١ أحمد راتب النفاخ

(د)

داود بن سليمان بن عبد الملك

٧٢١ ابن مروان

٦٩١ الدنانير القوقية أم القوقية

(ذ)

٤٢٦ ذيل مشتبه النسبة

(ر)

ابن رشد العالم بالبصريات

٥٠٣، ٣١٣ والفلك خاصة

(ش)

شرح أبيات سيبويه المنسوب

٦٤١، ٤١١ إلى أبي جعفر النحاس

٦٥٩	من أوائل المتصوفة في بغداد	الكنى والألقاب والأسماء عند	
٤٨٢	منشأ لفظة المروثة	العرب وما انفرد به اليمن	٣٩٥
	(ن)	(ل)	
	نظرة في معجم المصطلحات الطبية	اللغة العربية خلال ربيع قرن	
٧٠٥، ٢٦٣، ٧	الكثير اللغات	في ميدان التعلم والتعليم	٧٤٠
	(هـ)	(م)	
٢٣	نظرية النظم النحوي قبل	ما وراء البيان	٤٩٩
	عبد القاهر	المخطوطات العربية في جامع بكين	٤٧٤
	(و)	مخطوطات يتيمة في مكتبة	
٤٨٦	هدية قيمة	شستر بتي بدبلن	٤٥٠
		مسالك النقد اللغوي	٦٠٦
		معبد الجهنني	٥٢٧، ٢٧٩
٦١٧	وسائل تنسيق حركة التعريب	معجم عثرات الأدباء	٤٦٢
	وقفه مع ديوان بشار بن برد	معروف الرصافي والاستقلال	
٧٦٥، ٥٧٢، ٣٤٠		العربي	٨٤٠

ب - فهارس الأعلام - كتاب المقالات

منسوقة على حروف المعجم

	(ج)	(أ)	
٢٠١	جواد مشكور	أحمد نصيف الجنابي	٢٣
	(ح)	إسماعيل بن علي الأكوخ	٣٩٥
٧٠٥، ٢٦٣، ٧	حسني سبيع	(ب)	
	(س)	بارنت رادكه	٥٦١
١٠٧	سكينة الشهابي		

٤٨٢	علي حيدر النجاري	(ش)	
٤٤٧	علي الفقيه الحسن	٧٦٥،٥٧٢،٣٥٠	شاكر الفحام
٥٠٣،٣١٣	عمر فروخ	٧٧	الشاهد البوشيخي
	(ف)	٧٠١،٤٩٩،٢٥٩،٣	شفيق جبري
٦٩١	ف . عبد الرحيم	٧٤٠	شكري فيصل
	(م)	(ص)	
٣٧٤	محمد أحمد دهمان	٦٥٩،٤٥٠،٤٤١	صفاء خلوصي
٦٤١،٤١١	محمد خير حلواني	٨٧٤،٨٦٨،٦٦٥	
٤٦٢	محمد العدناني	٨١١،٦٠٦	صلاح الدين زعلابي
٨٨٠،١٥١	محمد يحيى زين الدين	(ع)	
٧٢١	محمود شيت خطاب	٦٧١	عبد الإله نيهان
٤٥٤	مصباح غلاونجي	٤٢٦	عبد الجبار زكار
	(هـ)	٧٩٦	عبد الكريم اليافي
٤٧٤	هادي العلوي	٨٤٠	عبد اللطيف الطيباوي
	(و)	١٧٠	عبد المحسن علي العباس
٦١٧	وديع فلسطين	٦٨٩	عدنان الخطيب
	(ي)	١٤٨	عدنان مردم بك
٥٢٧،٢٧٩	يوسف فان اس	٥٠	عفيف عبد الرحمن

فهرس الجزء الرابع من المجلد الثالث والخمسين

الصفحة	المقالات
٧٠١	الألفاظ التاريخية « متحف اللغة » . الأستاذ شفيق جبري
٧٠٥	نظرة في معجم المصطلحات الطبية . الدكتور حسي سبيع
٧٢١	داود بن سليمان بن عبد الملك بن مروان . اللواء الركن محمود شيت خطاب
٧٤٠	اللغة العربية خلال ربيع قرون . . . الدكتور شكري فيصل
٧٦٥	وقفة مع ديوان بشار بن برد (٤) . . . الدكتور شاكر الفحام
٧٩٦	تجربتي في تعريب المصطلحات العلمية . الدكتور عبد الكريم اليافي
٨١١	الصفة الغالبة . . . الأستاذ صلاح الدين الزعبلوي
٨٤٠	معروف الرصافي والاستقلال العربي . الأستاذ عبد اللطيف الطيباوي

التعريف والتقدير

٨٦٨	عنتر وعنترة مراجعة الدكتور صفاء خلوصي
٨٧٤	فيليب لطف الله شاعراً وإنساناً » » » »
٨٨٠	حول ديوان عمرو بن الورد الأستاذ محمد يحيى زين الدين

آراء وأنباء

٩٠٠	تقرير عن أعمال المجمع
٩١٢	الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية خلال الربع الثالث من عام ١٩٧٨
٩١٧	تصحيح أخطاء
٩١٨	الغمارس العامة للمجلد الثالث والخمسين